مثنوى

مولانا جلال الدين الرومى

الكتاب السادس

ترجمه وشرحه وقدم له

دكتور

إبراهيم الدسوقى شتا

١٤١٦ هـ

١٩٩٦ م

بســــــم الله الرحمن الرحيـــــــــــم

مقدمــــــــة

موســــى وفرعــــــون

دراسة في ظاهرةالطغيان عند مولانا جلال الدين الرومـــــى

برغم انشغال مولانا بتحرير الإنسان روحيــــا، والتأكيد على أن حريته تنبع من داخله هو [١] لم يهمــــل مولانا القـــوى التي تحد من إنطلاق الإنسان نحو عالم التكامل الشخصي والروحـــي ،ومن ثم نلتقي فـي مثنـــوى جلال الدين بهذا النقد اللاذع للقوى السياسيـــة التي كانت حاكمة في عصـــره، وغيبة العدالـــة ، وتعرض البشـــر للقمع، وسقوط مصيــــره في أيدى فراعين البشر ممن يحولون الإنســـان خليفة الله في الأرض وأكرم المخلوقات إلى مجرد سائمـــة يكون كل همه البحث عن لقمة العيش ، والحياة في مستوى أدنـــى من حيـــاة الحيــــوان ، وليس من المهم أن تكون لهجة الخطاب المولوى مباشـــرة ، فلم يكن بدعـــا في أن يتناول كل هذه الموضوعات بشكل رمزى ، وإن غلب التصريح أسلوب تعبيـــره في أحيـــان كثيـــرة ، وهو في هذا يشترك مع أستاذه الروحي سنائي الغزنوى الذى قدم لنا فـي موسوعتـــه حديقة الحقيقة مدحـــا مبالغا فيه للحاكم الذى كان يعيش في ظل دولتـــه ، كما قدم لنـــا صورة مثلى للحاكم لم يكن نصيب ممدوحه منها أقل القليل ، وقدم صورة للعصر والفساد المتفشي بين الطبقات الحاكمة والظلم الذى يتدرج من أعلى إلى أسفـــل حتى يكون كله من نصيب المستضعفين [٢]

---

(١) أنظـــــر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس .

(٢) أنظر الترجمة العربية لكتاب حديقة الحقيقـــة وشريعة الطريقـــة لسنائي الغزنوى ترجمة كاتب هذه السطور البابين الثامن والتاسع وشروحهمـــا– القاهرة – دار الأمين – ١٩٩٥.

ويربط مولانا بين عدم خشية الناس لله وخشيتهم من السلطـــــة ، فهؤلاء الحكام الجبارون لا يستطيعون إذلال إلا من لا يخاف اللـــــه ويخشاهم هم ، وهم كالباب الذى وضعــــه موسى عليه السلام على ربض القدس لكي يركع جبارو بني إسرائيـــل عند الدخـــول إليهـــا :

- وكذلك فإن الحق صنع من اللحم والعظـــام بابا صغيرا " من الملوك " فانتبه إلى حكمته في هـــذا .

- هذا ليجعل منهم أهل الدنيـــا مسجدا لهم ، لأنهم أعداءللسجود لله وحده سبحانـــه وتعالى.

- وصنع من المزابل محاريب لهذه المساجـــد ، وأسماء هذه المحاريب الأميروالبطل .

- وهؤلاء الأخســـاء يخضعون لأولئك الكلاب ، وعارعلى الأسد أن يكون ميلهم إليه .

- ويكون القط شرطيـــا لكل من فيه طبيعة الفئـــران ، ومن يكون الفأر لكي يخاف من الأسد؟

- فامض إلى لاعق الأطبـــاق يا لاعق القدور ، واكتب عنه أنه سيدك وولي نعمتك .

- ولأقصـــر القول ، فإن بسطت في هذا الحديث ، وقدمت شرحـــا عميقا ، فسوف يغضب الأميـــر لأنه يعلم أن الأمر هكذا .(١)

وفي الكتاب الخامس يقدم مولانا في حكايـة لم يتمهـــا صورة الأمير عندما يغضب ، ويروع وحده بهراوتـــه حيا بأكمله لأن زاهدا كان يسكن في ذلك الحي تجرأ وكسر جرة الخمر التي كان غلامه يحملها إليـــه ، ويقدم مولانا

---

(١) مثنـــوى مولانا جلال الدين : ٣/٣٠٠٠- ٣٠١٠ .

الحي تجرأ وكسر جرة الخمر التي كان غلامه يحملها إليـــه ، ويقدم مولانا صورة حيـــة لأهل الحي يحيطون بالأمير الغاضب حامل الهراوة يتملقونـــــه ويمدحونه بما ليس فيه لكي يعفو عن الزاهد المجرم "!!" ولأن مولانا لم يتم حكايته ، لاندرى هل عفا عنه أو نفذ فيه تهديده ووعيده [١] وتتم المنظومة السياسيـــــة عند مولانا بالحديث عن الحاشية ، فلكل حاكم حاشيـــــة من جنســـه ، ويشير إلى دور الوزير في معاونة الحاكم سواء كان خيرا أو كان شريرا ، فآصف هو وزير سليمان عليه السلام ، وهامان هو وزير فرعون عليه اللعنة ، والسلطة العليا تختار معاونيها من جنسها ومن نفس أخلاقهـــا [٢] يقدم لنــــا مولانا عالمــــا لا يمكن أن يقـــال فيه الحق إلا تحت الغطاء[٣] وعالمــــا من الإنهيـــــار الإسلامي التام في صراع الحكام وسفك الدمـــاء وتحطيم المدن من أجل جاريـــــة[٤] ترى كم مرة تكررت في تاريخنـــا ؟!

وموقف مولانا جلال الدين من الشرطـــة أو كما يعبر عنها " العسس " نابع من هذا الموقف من الطغيان عموما ، وفي حكاية العاشق الذى طاردته الشرطة فهرب منها ليلقى محبوبته في البستان ، يلفت النظر هذا الهجوم الذى شنــــه مولانا على الشرطـــة، فهاهو العاشق يطلق لسانه بالدعاء للشرطة بأن يخلصهم الله من طبيعة الشرطي فيهم ، وما هي هذه الطبيعة ؟ أنها أكثر توحشــــا على الخلق من السلطـــة التي تقوم بحمايتها ، وأنها لا تريد الخير للناس ، وتفرح إن

---

(١) مثنــــوى مولانا جلال الدين : ٥/٣٤٤٢-٣٥٩٣.

(٢) أنظر الكتاب الرابع حكاية الوزيرين اللذين كان إسم كل منهما أبو الحسن ومع ذلك كان أحدهما جوادا أما الآخر فقد أطلق عليـــه مولانا لقب جلاد أو سلاخ الفقراء " الكتاب الرابع الأبيات ١١٥٦ وما بعده .

(٣)أنظر الكتاب الخامس الأبيات ٣٤٩٥ وما بعده .

(٤) أنظر الكتاب الخامس الأبيات ٣٨٣٤-٣٨٤٥.

ضيق عليهـــم السلطـــان ، وتخوفه دائما منهم ليطلق يدها فيهـــم .[١] وفي الكتاب الخامس يقدم صورة ساخرة عن الهارب فزعا إلى داخل دار لأنهم يقبضـــون على الحمير في الخارج ، وعندما يطمئنـــه صاحب الدار بأنه ليس حمارا فلم يخاف ، يجيبه بأن التمييز قد انعدم وحتى يثبت ذلك يكون حكم القضـــاء قد نفذ [٢] ويعتمد مولانا هنا على حكاية شعبية وردت في كل الآداب الشعبية في الدول الإسلاميـــة على اختلاف لغاتها . ويصل الأمر بمولانا أن يقول في تعبير شديد الإيحـــاء : أثمة مشي في الطريق والعسس يملأونه .

وتقوم فلسفة التاريخ عند مولانا على فكرة الصـــراع المستمر بين الرسل والأنبياء من ناحية والطغاة والفراعين الذين يريدون استعباد الناس من ناحيـــة أخرى ، تتلخص كل أدوار التاريخ وأكواره في رأى مولانا في هذا الصراع ، التاريخ كله صراع مستمر بين القوى الإلهية الممثلة في الأنبياء والأئمة والأوليـــاء ، والقوى الشيطانيـــة ويمثلها الفراعنة والطواغيت وأرباب الجاه والمال والمرشدين المزيفين ، ويبين مولانا حكمة جعل الإنســـان خليفة في الأرض ويلخصها في هذا الصراع المستمـــر :

- ثم إنه جعـــل خليفة صاحب صـــدر ،حتى يكون مرآة لملوكيتـــه .
- ثم وهبه صفاءً لا حدود لـــه ، وحينذاك جعل له ضدا من الظلمـــة .
- ولقد رفع علمين أحدهما أبيض والآخـــر أسود ، أحدهما آدم والآخر إبليس الطريق .
- وبين هذين المعسكرين العظيمين ، نزاع وصراع ، وما جرى قد جرى .

---

(١)أنظر الكتاب الرابع الأبيات : ٥٢-٦٤.

(٢)أنظر الكتاب الخامس الأبيات :٢٥٤١- ٢٥٤٧.

- وكذلك في النوبـــــة الثانيـــــة ظهر هابيـــل ، ثم ظهر قابيل ضدا لنوره الطاهر .

-وهكذا علمان من العدل والجور ، حتى حل دور النمرود في الأدوار .

- صـار ضـد إبراهيم وخصمـــــا لــه ، وصــار هنـاك عسكران متنـاحران متقاتلان.

- وعندما لم يرض سبحانه عن طول هذه الحرب ، كـانت النـار هـي الفيصـــل بين الإثنين .

- فحكم النار وما تأتي به من نكر ، حتى تحل مشكلة هذين الشخصين .

- ونوبة بعد نوبــــة وقرن بعد قرن لهذين الفريقين ، حتى نوبـة فرعـون مـع موسى الشفيق .

- ولقد دارت الحرب بينهما لعدة سنوات ، وعدما جاوزت الحد وأخذ الملل يزداد .

- جعل الحق من ماء البحر حكمـــا ليرى عن طريقه من يبقى ومن يسبق مـن هذين الإثنن.

- وهكذا حتــى حـل دور المصطفـى وطـوره مـع أبـي جهـــــل قـائد جنـد الجفــــاء.(١)

وتتجلى تفصيلات فكرة مولانا في هذا المجال في الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون ، وتذكر القصة في أجزاء المثنوى الستة دون أن يكـرر مولانـا جلال الدين أيا من تفصيلاتها ، ومثل مصور ماهر يقص في كل مجلد جزءً من القصـــــة ، وهذه المعركة لا تجرى فـي التـاريخ فحسب ، بـل هـي حادثـة تجرى أيضـــا في داخل كل إنســـــان :

---

(١) الكتـــاب السادس : الأبيات :٢١٦٠-٢١٧٢.

– وكل ما هو في فرعون موجود فيك أنت ، لكن أفاعيك حبيســـــة جب .

– وا أسفاه ، فإن أحوالك كلهــــا سوف تضعها على كاهل فرعون ذاك .

– فلو تحدثوا عنك سوف يتولد لديك الخوف ، ولو تحدثوا عن آخر سوف يبدو الأمر لـك وكأنـه أسطـــــورة .[1] ويذكـــــر نفس المعنى في موضـــــع آخـــــر :

–لقد صـــار ذكر موسى قيـــدا على الخواطـــــر ، فكم من قائل : مالنـا نحن وهذه الحكايات القديمـــــة ؟

– إن ذكر موسى هنا مجرد دريئـــــة وحجاب ، لكن ليكن لك منه نـور موسى أيها الرجل الطيب .

– إن موسى وفرعون في وجودك ، وينبغي أن تبحث عن هذين الخصمين في داخلك .

– وهنـاك نتـاج مـن موسـى حتـى القيامـــــة ، وليـس نـورا آخـر،وإن تغير السراج.[2]

يقول يوسف بن أحمد المولوى في شرح الأبيات السابقـــــة :" فموسى وفرعون نقدحالك،موجودان فيك ، واللائق أن تطلب هذين الخصمين في نفسك لأنهما حسب حالك ، وتعلم أن المراد من موسى الروح الإنساني ومن هارون عقل المعاد ، ومن العصا القرآن أو العرفان والإيقان والخواطر الرحمانيـة التي يعبرون عنها بالوحي الإلهامي ، ومن اليد البيضـــاء نور التوحيد ، ومن فرعون النفس الأمارة ومن هامان عقل المعاش والوساوس الشيطانية ، ومن السحرة الفسق والعصيـــان وأعوان النفس من الهوى والشهوة وغيرها ، وهذه كلها في

---

(١)الكتاب الثالث : الأبيات ٩٧١- ٩٧٣ .

(٢)الكتاب الثالث :الأبيات : ١٢٥٢-١٢٥٥.

الأنفس ما دام سالك طريق أهل الله يصادق فرعون نفسه ، ويخاصم روح بدنه وعقل معاده لايقدر الوصول لربه ، وإذا أردت الحصة من الآفاق تعلم أن المراد من موسى الدال على الباقيات الصالحات من الوعاظ ، ومن هارون الذى يعاون الناس على الصلاح ومن العصا القرآن لزجر الفساق ، ومن فرعون أصحاب العصيان ، ومن هامان إخوان الشياطين أصحاب الخذلان ، ومن السحرة أهل الدنيا الذين يزينون للناس العصيان والشهوات .[١] وأغلب الشراح القدامى يتناولون قصص المثنوى من المنطلق السابق ، ولا حديث هناك عن الطغيان وتأثيره في المجتمع والأخلاق ، أو تحليل لسلوكيات المبتلين به ، في حين أن مولانا جلال الدين سعى من خلال هذه القصة بالذات إلى بيان كراهيته للطغيان السياسي واستعباد البشر واستحمارهم والاستكبار عليهم ، وفي هذا المجال يقدم نموذجا عرف طوال عصور التاريخ كنمط للظلم والطغيان ، فلماذا لانفترض أن مولانا كان يقصد حكام زمانه ، وكان يريد أن يبث هموم نفسه ؟ وهل يستبعد هذا الموقف عن مولانا جلال الدين الذى احتفظ بذكريات طفولته في وعيه أو لا وعيه طويلا ؟ وكان يريد برسمه لهذه الصورة القاتمة الساخرة لفرعون أن يصور خوارزمشاه وبطانته . ولم لا وقد صور محمد خوارزمشاه نفسه في إحدى حكايات المثنوى كملك سفاح يريد أن يبيد مدينة بأكملها ما لم تخرج له " سنيا " من بين أهلها [٢]

وشخصية فرعون في المثنوى شخصية حية ذات حضور وذات عدة أبعاد ، وفي تحليل هذه الشخصية هناك تشابه يصل إلى حد المطابقة بين ما ذكره مولانا وذهب إليه في رسم الشخصية وما ذهب إليه الفلاسفة والمفكرون

---

(١) يوسف بن أحمد المولوى : المنهج القوى لطلاب المثنوى – جـ٣ صـ ١٨٣.

(٢) الكتاب الخامس : الأبيات ٨٤٦-٨٧٦.

القدماء في تحليل شخصيـــة الطاغية وظـاهرة الطغيـــان ، ورسم خصـائص الطغيان . والأعجب أن مولانا يصور فرعون في أكثر من موضـع بأنه أفعى ، وبتقدم علم المصريات صار معلوما أن فراعنـة مصـــــر كـانوا يحيطـون رؤوسهم بشكل يرمز إلى الحية المقدســة والتي تسمى " اوريـوس" وذلك من أجل إلقاء الرعب في قلوب الرعيـــة كما نص كارل فيتوفجل فـي كتابه عن الإستبداد الشرقي ، هذه الأفعي هي نفسها التي ذكرها الفردوسي فـي الشـاهنامه وأنها كانت تنمو من كل كتف من كتفي الضحاك " رمـز الطغيان في الشـاهنامه والمأثور الفارسي والعربي فيما بعد " ، ولا يعدم هذا الرمـز تشـابها مـع رمـز أفلاطون في هذا الصدد ، إذ يشبـــه الطاغية بذئب ، ويضيف أنـه عندما يـأكل الإنسان قطعة من لحم الإنســـان فإنه يتحول إلى ذئب .

ومن خصائص الفرعون سجود الناس له ، كدليل على الخضـوع الذى لا نهايـة لـه وخصيصـة من خصـائص الاستبداد الشـرقي ، وهـذا هـو مـا نـص عليـــه مولانا:

- إن سجود الخلق من نساء وأطفال ورجال ، قد وقـر فـي قلـب فرعـون فجعلـه مريضا .

- وخطاب كل إنسان له قائلا : أيها الملك الإله ، قد جعله متهتكا من الوهــــم -حتى جرؤ على ادعاء الألوهيـــــة ، صار أفعى ولم يكن يشبع قط .[1]

ومن صفات الطاغيـــة أيضـــا والتي يتفق فيها مولانا مـع من حللـوا ظـاهرة الطغيـــان ، والتي يتفق فيها أيضــــا الطغاة القدماء مع الطغـاة المحدثيـن ، أن الطاغيـــة يهتم اهتماما فائق الحد بـتزيين مظهره ، إنـه بتعبير مولانـا يرصـع

(١) الكتاب الثالث : الأبيات١٥٥٦-١٥٥٨ .

نفسه ، وهو وإن كان لا يساوى دودة ، إلا أنه يحب أن يتجلى دائما بمظهر الطاووس :

-إن ذلك يشبه أمر فرعون الذى رصع لحيته ، وادعى من حماريته أنه فوق منزلة عيسى .

– وكان بدوره قد ولد من أنثى إبن آوى ، وسقط في دن المال والجاه .

– وكل من رأى ماله وجاهه سجد ، وخدع هو بسجود من انخدعوا فيه .

– ومن سجود الخلق وانبهارهم به ، انتشى ذلك الشحاذ مهلهل الثياب(١)

ولنمعن النظر ، أو لنرجع البصر إلى بعض الطغاة القدامى والمعاصرين ولنطابق بين أوصافهم وما ذكره مولانا ، وماذا تعنى رصع لحيته غير ارتداء الحلل الفاخرة وأحيانا بعض الأزياء الخاصة والغريبة ، والتحلى بأنواع الحلى والميداليات والأنواط ، ثم الظهور أمام الجياع العراة ، ولا شك أن هذه الزينة المبالغ فيها على الظاهر ، تخفى خرابا بلقع وخواءً لانهاية له في الباطن ، وكل كان الباطن أكثر خرابا وخواءً ، كان الظاهر أبهى زينة وأقشب .

ومعلوم أيضا أن الطاغية – قديما وحديثا – ينأى بنفسه عن الناس ، ويضن بمرآه عليهم، ويجعل من دونه الحرس والحجاب ، لأنه لا ينبغي أن يراهم الناس كثيرا فيبتذلون، وهكذا كان فرعون ، فاليوم الذى يلتقي فيه بالناس يوم عيد ، مجرد رؤيته عيد :

– فلم يكن لهؤلاء الأسرى من نصيب إلا الإبعاد ، ولم يكن مسموحا لهم برؤية فرعون .

– ولو كان يصادفهم في الطريق ، كانوا طبقا لذلك القانون ينكبون على وجوههم.

---

(١) الكتاب الثالث : الأبيات٧٧٨–٧٨١.

- كان القانون هو ألا يرى أحد من الأســـرى وجه فرعـون ذاك فـي وقـت أو في غير وقت .
- وعندمـــا كانوا يسمعون أصوات الحرس في الطريق ، كـانوا يسـتديرون إلـى الجدران كي لايروا وجهـــــه .
- ومن يرى وجهـــه يكون مجرمـــا ، ويحيق به أشـــد أنواع العقاب .[١]
وقال كل فلاسفة اليونان وبخاصـــــة أفلاطون أن النتيجة المباشرة لهذا أن ينقلب كل الناس إلى عبيد ، فالناس عندما يتحولون إلى عبيد تجد الناحية الألوهية عند الطاغيـة ماصدقاتها ، لكـن مـن تناقضـــــات شـخصية الطاغيـة ، أنـه فـي نفس الوقت يمتليء رعبا وهلعـــا من الناس ، ويظـل فـي انتظـار نهايتـه المحتومـة . ولننظر إلى مولانا يصور فرعون الذى كـان يعيش داخـل قصـره وبيـن حراسـه وحجابه يمتليء رعبا وهلعا من الناس المحتفلين في الميدان ، ويخرجه صيـاحهم الذى يصــــل إلى مسامعه على البعد عن طوره :
- وفي نفس الوقت ، ومن ناحية الميدان ، كانت صيحات الخلـق تمـلأ الفضـــاء وتصل إليهما.
- وخوفا من تلك الأصــــوات قفز فرعون في تلك اللحظة حافيـــا صائحا : أى ضجيج هذا حذار .
- أى صوت هذا من ناحية الميدان ، وأى ضجيج يهلع الجنى والشيطـــان خوفا منه .
- فقال عمران : أطال الله عمر مليكنا ، إن بني إسرائيــــل مسرورون منك .
- إنهم في مرح وسعادة من عطـــاء الملك ، فهم يرقصــــون ويصفقـــون .
- قال فرعون : ربما يكون الأمر هكذا ، لكن الوهم والفكر قد ملآني تماما .[٢]
ويقول أفلاطون ، ومن المشاهدة العينية لكل طاغيـة أن الطاغيـة لا يجمـع حولـه عـادة إلا كـل منـافق ومداهـن ، وهـم يخافونـه ، وهـو أشـد خوفـا منهـم ، وكلهـم

---

(١) الثالث :٨٤٩- ٨٥٣.

(٢) الكتاب الثالث : الأبيـــات ٨٩٠-٨٩٥.

بمصطلح مولانا يلعبون نرد الخدمة معكوسا ، وأسوأ خيانة لفرعون ولخطط فرعون تتم على باب مخدع فرعون ، وعلى يد أقرب المقربين إليه ، وهذا يثبت – للمرة المليون – أن الخطر الحقيقي على الطاغية يكمن في أقرب الناس إليـــه . وتتكرر في التاريخ شخصية بروتوس ، ومن هنا فإن نطفة موسى تنعقد على باب فرعون نفسه ، وموسى نفســه يتربي في أحضـــان فرعون:-

– لقد احتال الإنســـان ، وكانت حيلته شراكا له ، ومن ظنه حبيبا ، كان سافكا لدمه .

– وأغلق الباب والعدو داخل داره ، وكيد فرعون من هذا القبيل .

– فلقد قتل مئات الآلاف من الأطفال ذلك الحقود ، في حين أن من كان يقصده ، كان داخل داره .[1]

وبتعبير مولانا أن كل ما كان يجرى كان سببه عمى قلب فرعون الذى كان يصارع الإرادة الإلهية ، فقد كان يرى نفســه إلها قادرا على كل شيء ، وبالنظر إلى طبيعة الطغيـــان نرى أن الطاغية يسرع بنفســـه إلى نهايته ، ويسعى إلى حتفه بظلفـــه ، ويجد ويكدح من أجل نهايته ، وكل لحظة يدق مسمارا في نعشـــه ، إنه هو الذى يربي الثورة ، بفعاله يغذيها بالوقود اللازم ويقوى في زخمهـــا ، وأعدى أعداء الطاغية هو نفس الطاغية :

– مثل فرعون الذى كان قد ترك موسى ، وأخذ في قطع رؤوس أطفال الخلق .

– كان العدو موجودا في منزل ذلك الأعمى القلب ، بينما انهمك هو في قطع رؤوس الأطفال الآخرين .

– وأنت أيضـــا سيء مع الآخرين في ظاهرك ، وفي باطنك تصالحت مع النفس ثقيلة الحمل

---

(١) الكتاب الأول : الأبيات ٩٢٢-٩٢٤.

– إنها عدوتك ومع ذلك تقدم لها السكر ، ثم تلقي التهمة على كل إنســـان يحبط بك من خارجك .

– إنـك كفرعـون أعمـى البصــــــر وأعمـى القلـب ، طيـب مـع عــدوك ، مـذل للأبريـــــاء .

– فحتام تقتل البريء يا فرعون ، وتكرم الجسد المليء بالغرم .[١]

وهذا هو نفس المعنى الذى عبر عنه مولانا في موضع آخـر بـأن " الطـاغيـة فـي عين قهره مقهور وفي عين نصــــره مأســـور " .[٢]

وقـد صـــــورت التناقضـات الداخليـــة فـي نفسية الطـاغيـة والتـي تظـهـر فـــي سلوكياته بإبداع شديد في مثنوى مولانا ، فالفرعون الذى كان فـي ظـاهره جبـارا سفاكا للدماء متكبرا مليئا بالشـــر ، وكان يرى نفسه قادرا على كل شيء ، كـان في الحقيقة على العكس: واهنا معدوم الكفاية خائفـــا وجبانا ، بحيث يسخر منـه الأذكياء والمؤمنون :

–لقد رأى فرعون العنـــود حيـــة موسى ، فأخذ في طلب المهلـــة وإبداء اللين

– وقال الأذكيـــاء : كان ينبغي عليه أن يكون أكثر حدة وغضبـــا مـا دام هـو رب الدين .

– وسـواء كـانت المعجـزة أفعــى أو حيــــــة ، تـرى مــاذا حـدث لألوهيتــــه وكبريائــــه ؟

– لقد كان يهتف : أنا ربكم الأعلى عند جلوسه ، فما هذا الهلـع الـذى يبديـه مـن أجل دودة ؟ [٣]

---

(١)الكتاب الرابع : الأبيات ١٩١٧-١٩٢٢.

(٢)الكتاب الثالث : العنوان السابق للبيت ٤٥٦٤.

(٣)الكتاب الخامس : الأبيات ٢٤٤٤-٢٤٤٧.

وفي تحليل شخصيـــة الطاغية في الآداب العالمية – وبخاصة الآداب الروائية – نـرى أن الطاغيـة مهمـا كـان فـي الظـاهر يبـدو مظفـرا ومنتصـــرا ، فهـو فـي الحقيقة مهزوم في أعماقـه شـاك بـاك ومعـذب بـرؤى تعـد انعكاســـا نفسيـــا حتميـــا لما يرتكبه من آثام ، وتبدو نهاية الطاغية أول ما تبدو له نفســـه في صورة رؤى وكوابيس مهولة ومخيفة تحرمة اللذة التي ينالها كل فقير معدم وهي لذة العيش والنوم وراحة البـــال :

– أحيانا كنت ترى فـي النـوم أن ملابسك تشتعل نـارا، وأحيانـا كنـت تـرى أن عينيك وفمك قد خيطـــا .

– وأحيانا ترى وحشـــا يهم بسفك دمـك ، أو تـرى رأسـك بيـن أنيـاب حيـوان مفترس .

–حينـــا ترى نفسك منقلبا في مرحاض أو غريقـــا في سيل عرم من الدم .

– وأحيانا يهتف بك هاتف من هذا الفلك النقي : إنك شقي شقي شقـــي .

– وأحيانا يهتف بك هاتف صراحة من الجبـــال ، قـائلا لـك : إمـض إنـك مـن أصحاب الشمـــال.

– وحينا يأتيك النداء من كل جمـــاد هاتفا : لقد سقط فرعـون فـي الجحيم إلـى أبد الآباد .

– وهناك ما هو أسوأ ، ولا أذكره لـك حيـاءً ، حتـى لا يـزداد طبعـك المعكـوس سوءا .(١)

ألا تذكرنا كل هذه الكوابيس التي كان فرعون يراهـا فـي النـوم بنظريـات علمـاء النفس المعاصرين ؟ أليست تعبيرا دقيقا عن هجوم اللاوعي على الوعـي ؟ وفـي الشطرة الثانية من البيت الأخير توجد إشارة عميقـــة ، أن النتيجة الحتمية لهذه

---

(١)الكتاب الرابـــع : الأبيات ٢٤٩٣-٢٤٩٩.

الكوابيس هي أن الطاغية يزداد سوءا ، فضلا عن أن مواجهته بها تجعله أكثر عتوا واستكبارا ، وأكثر تعطشا للدماء واستعبادا للخلق ، وبين هذين الوجهين كحجرى الرحى يطحن الطاغية ويسرع نحو نهايته المحتومة .

وأسوأ تجليات سمات شخصية الطاغية تظهر عند مواجهته للناس أو مواجهة الناس له ، تفتضح مداهنته ونفاقه وضعفه وخوره وتعلن على الملأ ، وفي الأبيات التالية يبين مولانا ببيان معجز كيف أن فرعون الذى استعبد الناس وأذلهم وأفقرهم وأضعفهم يظهر لهم الشفقة ويتحدث باسمهم وآمالهم ، وحتى يجعلهم يثورون على موسى عليه السلام يقدم لهم موسى كمتمرد يخدع الخلق ويجرهم إلى الذبح :

- قال له فرعون : لماذا أيها الكليم قتلت الخلق وأوقعت فيهم الرعب ؟

- وعند فرارهم سقط الخلق خوفا منك ، وعند فرارهم قتل الخلق من سقوطهم بعضهم فوق بعض منزلقين .

- فلا جرم أن الناس قد اعتبروك عدوا ، ووقر الحقد عليك في قلوب الرجال والنساء .

- وكنت تدعو الناس ، وانقلب الأمر إلى عكسه ، ولا بد للناس من مخالفتك .

- وأنا أيضا وإن كنت أعانى من شرك ما أعانى ، فإنني عقابا لك ، أدبر لك أمرا .

- فاصرف عن قلبك أنك تستطيع خداعي ، أو أن أحدا سوف يتبعك ، إلا ظلك .

- ولا تغتر بما صنعت ، أو أنك أوقعت الرعب في قلوب الخلق .

- فهات أضعاف ما أتيت به ، وتفتضح ، وتذل ، وتصير أضحوكة للغوغاء .

- فقد كان هناك كثير من المشعوذين والمحتالين أمثالك ، وفي النهاية أفتضحـــوا في مصرنـــــا .[1]

ولنر ، كم مرة كرر فرعون لفظ الناس والخلق في هذه الخطبة القصيـــرة ؟ لكن علينا ألا ننسى أنه فرعون ، وفرعون سرعان ما يرتد إلى طبيعته ، ويسمى نفس هؤلاء الناس الذين يتملقهم بالغوغاء " أو العوام كالأنعام " ، وموسى في رأى فرعون هو المسئول عن قتل الخلق ، والمسئول عن رعبهم وفرارهم ، أما من قتل فرعون ، وسنوات الرعب التي عاشها الخلق تحت ظل حكمه الفرعوني ، فأمور من السهل نسيانها ، فلا بد أن هذا كله كان لمصلحة الشعب الذى اختاره . وهكذا يرى كل فرعون نفســـه واجب الوجود ، لازما لزوم الماء والهواء ، بدونه لا يتم أمر ، ويتوقف الكون عن الدوران ، وهو يعتقد أنه لو انحسر ظله المبارك - لا قدر الله- عن رؤوس الخلق ، فلن يكون بديل لـه إلا الهرج والمرج والفوضى ، وفرعون الذى بين أيدينا كان يظن أن ماء النيل لا يجرى إلا بأمره وإرادته " ضمن إشارة لسنائي الغزنوى في الحديقة " ومن هنـــا يوجه فرعون الحديث إلى موسى قائلا :

- وقد اختارنـــي أهل الدنيــــا ، فهل أنت أعقل منهم يا هذا ؟! [2]

وفي الشطرة الثانية : موسى النبي وأول نبي مطالب بالحرية وثائر هو في رأى فرعون مجرد هذا أو في النص الفارسي " فلان " يعنى إنسان مغمور بلا إسم فاقد الأهلية لا يستحق أن يجرى إسمه على لســـان فرعون العظيـــم .

ومن التناقضـــات الأخرى في شخصيـــة الطاغية ، والتي فهمها مولانا فهما جيدا أن أسوأ مظاهر غضب الطاغية تنصب أول ما تنصب على المقربين

---

(١)الكتاب الثالث : الأبيـــات ١٠٦٧-١٠٧٥.

(٢)الكتاب الثالث : البيت ١٠٨٣.

والمستشارين والمخلصين ، فالطاغية أصـــلا لا يخطيء ، وإذا خاب وخســـر وفشل – وهذا هـو مـا يحـدث فـي الغـالب – فإنـه لايستطيع أن يتحمـل مسئولية الفشل والخيبة مهما كان ضليعا فيها – وهـو فـي الحقيقـة أصلها وأساسهـــا – ومن ثم ينصب غضبـــه علـى أولئك المقربيـن الذيـن كـانوا أول مـن خـدع بـه وأول من عاونوه وأعانوه على الباطل ، فسـرعان مـا يقدمـون ككبـاش ، وعـامل تهدئة ، ووسيلة تقرب :

– وسمع الملك فقــال : أيها الخونـــة ، لأصلبنكم جميعـــا بلا إمهـــال .

–لقد جعلت من نفسي أضحوكة ، وخسرت أموالي " وأنفقتها " على الأعداء .

– حتى ابتعد بنو إسرائيل جميعـــا عن نسائهم تلك الليلة .

– وضاع المال والكرامة ، ولم يتم الأمر ، أهذا هو العون وأفعال الكرام ؟!

–ولسنوات وأنتم تـأخذون الأمـوال والخلـــع ، وتنهبـون الممـالك ، وهـي مسـلمة لكـــم .

– وهكذا كان رأيكم ، والعلم ، والنجـــوم ، وأنتم آكلـــون بالمجان ، مكـرة ، مشئومون .

– لأشنقنكم ، ولأضرمن فيكم النيران ، ولأقطعن أنوفكم وآذانكم وشفاهكم .

– ولآجعلن منكم حطبـــا للنيران ، ولأجعلن سروركم السالف مرارة عليكم.(١)

والنتيجة أن الطاغية يصبح سيء الظن مليئا بالوساوس بالنسبـــة للمحيطين به ، يبقى وحيدا تماما ، يرى الكوابيس في النوم ، ويبكي في اليقظة ، وتتجسد أمـام عينيـــه كل جرائمه وآثامه ، ويرى نفســـه عيانا بيانا على الباطل :

– وكان موسى شاكيـــا إلى الله نهارا ، بينما كـان فرعـون باكيـــا فـي جنـح الليل .

---

(١)الكتاب الثالث : الأبيات ٩٢٠- ٩٢٧.

- مناجيـــا : يا إلهي ، أي غـل هـذا فـي عنقـي ؟ وإن لـم يكـن ثـم غـل ، فمـن يجرؤ على قول : ها أنا ذا ؟

- وذلك أنك قد غمرت موسى بالنـــور ، ومن ذلك جعلتني كدرا هكذا .

- ونجمـي لـم يكـن بأفضــــل مـن القمـر ، ومـادام الخسـوف قـد حـل ، فأيـة حيلـــة لي ؟!

- والدور دورى ، وكوسات السلطنة تـدق لـي ، ومـع ذلـك فقـد خسـف قمـرى ، والناس يدقون على الطسوت .

- إنهم يدقون على الطسوت ويحدثون الضجيج ، ويجعلون القمـر مفتضحـا بهـذا الدق .

- وويلـي ، ويلـي أنـا الفرعـون مـن الـدق علـى الطسـوت التـي تنـاديني بربـي الأعلـــى .

- ثم قال فرعون لنفســه : عجبـــا !! ألست أنـا المقيم علـى المناجـاة طـوال الليل ؟!

- إنني في السر أكون مخلوقا من تراب ومتزنـا ، وعندمـا ألتقـي بموسـى ، إلام أصير ؟!(١)

في الأبيات السابقة ، يصور مولانا فرعـون كـأحد أبطـال التراجيديـات القديمـة ، يعلم أن كل ما يصنعه ، ينفرق بددا ، يساق بقوة فـوق بشريــــة ، ولا يسـتطيع أن ينجو من مصيـــره ، ومهما رأى عمله بلا نتيجـة ، لا يسـتطيع أن ينصـرف عنه ، ولا يستطيـــع أن يفعـل سـواه ، كأنـه يلعـب دورا فـي مسرحيـــة ، ولا يستطيع أن يتفوه بكلمة واحـدة بعيـدا عـن النـص ، وهكـذا يعـترف فرعـون أمـام نفســـه :

---

(١)الكتاب الأول : الأبيات :٢٤٥٩-٢٤٦١و٢٤٦٣-٢٤٦٦و٢٤٧١-٢٤٧٢.

– فإنني قد انقلبت من انعكاس نار الجحيم على إلى نار ، وصـرت غريقـــا في غضب الله .

– أحيانا من انعكاس غاشية الجحيم عليّ صرت كالحيـــة ، ممطـرا للسم علـى أهل الجنة .

– وأحيانا من إنعكاس غليـــان ماء الحميم ، جعل ماء ظلمي الخلق كالرميـم .

– فأنـا مـن انعكـاس الزمهرير زمهريـر ، أو مـن انعكـاس ذلـك السـعير علـىَ سعيــــر .

– فأنـا جهنم علـى الدرويش والمظلـوم الآن ، وويـل لذلـك الـذى أجـده ضعيفـا فجأة.(١)

والطاغية الذى يسرع نحو مصيره هرولة ، لا يستمع إلى نصيحة الناصح الأمين المخلص ، ويعطيها أذنا بها وقر ، وعلى العكس يستمع إلى مشورة المستشـــار المنافق ، وهكذا كان فرعون ، ضرب بنصيحـة زوجتـه عـرض الحـائط ، وقبـل نصيحة وزيره هامان ، لماذا ؟ لأن هامان من جنســه ، ولا يمكـن أن يكـون أحـد وزيرا لفرعون إلا هامان ، ويصور مولانا مشورة هامان قائلا :

– لقد تحدث إلى هامان عندمـــا انفرد به ، فقفز هامــــان وشق جيبـــه .

– وأخذ يصرخ ويبكي ذلك اللعين ، وألقى بالعمامة والتاج على الأرض .

– وقال : كيف قال ذلك الوقح كلاما فارغا كهذا في حضور الملك ؟

– لقد أخضعت العالم بأجمعه ، وسويت الأمور بإقبالك الذهبي .

– ودون أى عناد ، يأتي إليك الملوك من المشارق والمغارب ، يـؤدون الجزيـة " عن يد وهم صاغرون " .

– والملوك يمرغون شفاههم على عتبة بابك فرحين أيهـــا الملك العظيم .

---

(١) الكتاب الرابـــع : الأبيات ٢٥٢٣-٢٥٢٦.

– وجواد كل متمرد عندمـــــا يرى جيادنا ، يحول وجهه ويلوذ بالفرار دون عصا منا .

– وكنت حتى الآن معبودا للدنيا وموضع سجودها ، فتحولت إلى أحقر العبيد .

– إن الدخول في لهيب ألف نار ، أفضل من أن يصير سيد مولى لعبد .

– لا ، أقتلني أولا يا " غالبا " ملك الصيـن ، حتى لا تبصر عيني هذا الأمر " يجرى على " الملك .

– واضرب عنقي أولا يا سيـــدى ، حتى لا تبصر عيناى هذه المذلة .

– إن هذا الأمر لم يحدث من قبل ، ولاحدث ولا كان ، أن تنقلب الأرض سماءً والسماء أرضـــا .

– وأن يصير عبيدنــــا شركاء لنـــا ، وأن يصير الخائفون منا أذى علـى قلوبنـــا .

– وأن تضيء عيون الأعداء فرحـــا بينما يعمى الأصدقــــاء ، إذن فقد صارت بطن الأرض لنا خيرا من ظهرهـــا .[1]

ولقد تحدث هامان من مدخل شخصيـــة فرعون : الكبريـــاء والكبريـــاء وحده ، ومن ثم شارك في سوق فرعون إلى مصيـــره المحتوم .

هل كان مولانا يؤمن بالتغييـــر الجذرى ؟ الواقع أننا نلمح عند مولانا راديكالية مبكرة استخدمها في معرض تكوين الشخصيـــة ، لكن لماذا نستبعد أنه كان يقصدها بكل أبعادهـا ؟ فالتغيير لابد وأن يكون شاملا لا يتوخى التدرج ، وترميم القديم لا يفيـــد ، بل الواجب أن يقوض البنـــاء من أساســه ويقوم بدلا منه بناء جديد ، وكل واقع جديد لا بد وأن يقوم على أنقاض القديم ، والعـالم

---

(١)الكتاب الرابـــع : الأبيات٢٧٢٣-٢٧٣٦.

كله في حالة تهدم وبنــــاء ، قديـم يمضـي وجديـد يـأتي ، وكـل شـيء هـالك إلا وجهـــــه :

– لقد جاء أحدهم وأخـذ يحـرث الأرض ، فصِــــاح أحد البلهـاء ، ولـم يسـتطع صبـــرا؛ .

– قــائلا : لمــاذا تقـوم بتخريـب الأرض وكشفهـــا وتحـدث فيهـا كـل هــذا الإضطراب ؟

– فقال له : إمض أيها الأبلــــه ، ولا تحمل عليّ ، وميــــز أولا بين العمـارة والخراب .

– فمتى ينبت منها حقل حنطــــة أو تنبثـق منهـا روضــــة مـا لـم تصـر قبيحـة ومخربة هذه الأرض ؟

– ومتى يمكن أن تتحول إلى بستــــان وفروع وأوراق وثمــــار ، ما لـم تقلـب ظهرا لبطن ويصيــــر عاليها سافلها ؟

– وما لـم تشـق بالمبضــــع الجـرح الذى إلتـأم علـى تقيـح ، فمتـى يشـفى ومتـى يصيــــر موضعه ناعمــــا ؟

– وما لم تغســــل أخلاطك بالدواء ، متى يذهب التهيج ويأتي الشفــــاء ؟

– إن الخياط يمزق الثــــوب إربــــا ، فهـل يقـوم أحـد بضـــــرب هـذا الخيـاط الماهر ؟

– قـائلا لـه : لمـاذا مزقـت هـذا الأطلـس الفـاخر ؟ ومـاذا أفعـل أنـا بهذه القطـع الممزقــــة ؟

– وعندما يراد ببناء قديم أن يعمر ، ألا يقومون في البداية بهدم البنــــاء القديم ؟

– وهكذا ألا يقوم النجــــار والحداد والقصــــاب بهد قبل البناء والتعمير ؟

- وألا يكون من دق النباتات الطبيـــة وسحقها الدواء الذى جعلوا منه عمارة الجســـد ؟

- وما لم يطحن القمح ويدق في الطاحون ، متى يمكن لموائدنا أن تزدان بـــه؟[1]

وتكثر هذه الإشارات في مثنوى مولانا ، مما يثبت أنه لم يكن ذلك الصوفي الهائم بين وحدة الوجود ووحدة الشهود ، بل كان مفكرا عظيما ، عينه على الأرض ، يريد أم يجعل من الإنسان مخلوقا سماويـــا ، ومن ثم ضن به أن تستعبده نفســـه فضلا عن أن يستعبده جبار في الأرض ، يريد أن يشارك الله رداء كبريائـــــه .

---

(١)الكتاب الرابـــع :الأبيات ٢٣٤١-٢٣٥٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومى

الكتاب السادس

الترجمة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو المجلد السادس من دفاتر المثنوى والبيانات المعنوية التى هى مصباح "يقشع" ظلام الوهم والشبهة وخيالات الشك والريبة ، وهذا المصباح لا يمكن إدراكه بالحس الحيوانى لأن المقام الحيوانى في أسفل سافلين إذ خلق من أجل عمارة الصورة السفلى ، وحصرت حواسه ومداركه في دائرة لا يتجاوزها – ذلك تقدير العزيز العليم – أى بمقدار مدى عملها ومنتهى نظرها، لأن لكل نجم قدراً وعملاً على الفلك ، ويصل عمله إلى ذلك الحد ، ومثله مثل حاكم المدينة الذي يكون حكمه نافذاً في تلك المدينة، ومن ثم يكون حاكماً لما يكون وراء توابع تلك المدينة . عصمنا الله من حبسه وختمه وما حجب به المحجوبين . آمين يارب العالمين .

النص

– يا حياة القلب ، يا حسام الدين ، إن الميل ليغلب كثيراً إلى " نظم " قسم سادس .

– لقد صار من جذب علامة مثلك ، طوافا في الدنيا باسم حسامى نامه[1] .

– وسوف أقدم لك هدية أيها المعنوى ، قسماً سادساً هو تمام المثنوى .

– فافتح النور للجهات الستة من هذه الصحف الستة ، "كى يطوف حوله من لم يطف "[2] .

٥ – وليس للعشق أمر مع " الحواس " الخمسة " و " الجهات " الستة ، وليس له من مقصد سوى جذب الحبيب .

– ولعل أمراً يصل فيما بعد ، فيتم البوح بالأسرار التى ينبغى أن تقال .

– وذلك ببيان يكون أقرب من هذه الكنايات الدقيقة المستترة .

– وليس للسر من شريك إلا العالم بالسر ، والسر في أذن المنكِر لا يكون سراً .

– لكن الدعوة واردة من الخالق، وأى شان له – جل وعلا – بالقبول أو عدم القبول .

١٠– لقد أخذ نوح يدعو لتسعمائة سنة ، وكان إنكار قومه يزيد لحظة بعد لحظة .

– فهل تراه لوى العنان عن القول قط ؟! وهل تراه رقد قط في غار الصمت ؟!

– وقال : أمن نباح الكلاب وأصواتهم عادت قافلة قط عن الطريق ؟!

– أو وهن البدر في مسيره في ليلة مقمرة من نباح الكلاب ؟!

---

[1] نسخة جعفرى (يرمز إليها بعد ذلك بالحرف ج) بيت زائد هو :

– إننى اقدم من أجل رضاك قسماً سادساً من المثنوى كهدية لك .

(محمد تقى جعفرى : تفسير ونقد وتحليل مثنوى جلال الدين محمد ، جـ١٣ ، ص ٦٠ ، طـ١٠ ، ١٣٦٩) .

[2] بالعربية في المتن .

- إن القمر يلقى بالنور والكلب ينبح ، وكل أمرئ يعكف على ما تمليه عليه خلقته .

١٥- لقد أعطى القضاء كل أمرئ خدمة ما ، وجوهره مناسب لها عند الابتلاء .

- ومادام الكلب لا يقلع عن نباحه السقيم ذاك ، فمتى أترك أنا سيرى وأنا القمر ؟!

- وإذا كان الخل يزيد في طبيعة " الخلية " ، فمن الواجب إذن أن يزاد السكر .

- إن القهر خل واللطف بمثابة العسل ، ومنهما معاً يكون أساس كل عقار مكون من الخل والعسل !!

- فإذا قلّ العسل في كميته عن الخل ، فقد اختل ذلك العقار .

٢٠- ولأن القوم أخذوا يصبون عليه ألوان " الخل " ، فإن البحر أخذ يصب على نوح كثيراً من السكر .

- وكان المدد لسكره من بحر الجود ، ومن ثم كان يظل في زيادة عن خل كل أهل العالم .

- فمن هو الواحد الذي يساوى ألفاً ؟! إنه ذلك الولى ، بل إن عبد العلى يساوى " أهل " مائة قرن .

- والدن الذي يكون من البحر طريق إليه ، تركع الأنهار ، التى تشبه جيحون على ركبها أمامه .

- خاصة ذلك البحر الذي عندما استمعت كل البحار لهديره وجيشانه ؛

٢٥- تمررت أفواهها حياءً وخجلاً ، إذ كيف صار الاسم الأعظم مقترناً بما هو أقل منه ؟!!

- وعندما تقارن هذه الدنيا بتلك الدنيا ، فإن هذه الدنيا تصير قافزة من الخجل .

– إن هذه العبارة قاصرة دنية في رتبتها وإلا فأى نسبة للخسيس مع الأخص ؟!

– وعندما ينعق الغراب في الكرْم نعيق الغربان ، متى يجعل البلبل يقلل من تغريده العذب ؟!

– ومن ثم فكل شاذ على حدة ، في هذا السوق الذي فيه " يفعل ما يشاء " .

٣٠– فإن ما يُحصد من أجمة الشوك يكون غذاءً للنيرانً ، ورائحة الورد قوتٌ لأنف المنتشى .

– وإذا كانت القذارة بغير قيمة بالنسبة لنا ، فهى للخنزير والكلب " في حلاوة " السكر .

– وإذا كان الأقذار يكثرون من هذا القَذَر ، فإن المياه تعكف على التطهير[1] .

– وإذا كانت الحيات تنفث السم ، وإذا كان الممرورون يبعثون فينا الفرقة ؛

– فإن النحل على الجبل وعلى الشجر وفي خلاياه يصنع من الشهد مخزناً للسكر .

٣٥– ومهما تقوم أنواع السم بتسميم " الخلق " ، فإن أنواع الترياق منها تمحو السم سريعاً .

– وهذه الدنيا عندما تنظر إليها ، حرب شاملة ، بين كل ذرة وذرة " كالحرب " بين الكفر والدين .

– فتلك الذرة آخذة في الطيران نحو اليسار ، وانظر إلى الحرب الفعلية بينهما في ميلهما وانحرافهما .

– والحرب الفعلية هى هذه الحرب الخفية ، ومن هذا التضاد ، اعلم ذلك التضاد .

---

[1] ج ١٣ / ٦١ : وإذا امتلأت الدنيا بالقذى ، فإن النار تمحوها في لحظة واحدة .

٤٠- أما الذرة التى انمحت في الشمس ، فان الحرب " التى تخوضها " ، خرجت عن الوصف والحساب .

- وعندما انمحى عنها النفسْ والنفَس ، صارت حربها حرب للشمس فحسب .

- لقد انتفت عنها بالطبع الحركة والسكون ، من أى شئ ؟! من « إنا إليه راجعون » !!

- إننا راجعون من أنفسنا إلى بحرك ، صرنا طالبين للرضاع من رضاع الأصل .

- ويا من بقيت في شعب الطريق من " إضلال " الغول ، كفاك نفاجاً عن الأصول يا عديم الأصل .

٤٥- وإن حربنا وصلحنا في نور عين الوجود ، ليس من لدنا ، إنه " بين إصبعين " !!

- وهناك حرب الطبع وحرب الفعل وحرب القول ، هناك حروب ضروس بين الأجزاء .

- وهذه الدنيا قائمة على هذه الحرب ، فانظر إلى العناصر حتى يحل لك هذا " المشكل " .

- فالعناصر الأربعة أربعة من العمد القوية ، يستوى بها سقف الدنيا .

- وكل عمود محطم للعمود الآخر ، فعمود الماء محطم لذلك الشرر .

٥٠- ومن ثم فبناء الخلق قائم على الأضداد ، فلا جرم أننا مقاتلون من أجل الضر والنفع .

- وهناك أحوال يخالف كل منها الأخر ، وكل منها يخالف الآخر في أثره .

- ومادمت أقطع الطريق على نفسى في كل لحظة ، فكيف أتوافق مع شخص آخر ؟!

- فانظر إلى أمواج جند أحوالى ، كل منها مع الآخر في حرب وخصومة .

- وانظر في نفسك إلى مثل هذه الحرب الشعواء ، فما انشغالك إذن بقتال الآخرين .

٥٥- فربما يشتريك الحق من هذه الحرب ، ويحملك إلى عالم السلام ذى اللون الواحد .

- فتلك الدار ليست إلا باقية وعامرة ، ذلك لأن تركيبها غير قائم على الأضداد .

- وهذا الفناء إنما يتأتى للضد من ضده ، وعندما لا تكون أضداد، فليس إلا البقاء .

- لقد نفى ذلك الذي لا نظير له الضد عن الجنة ، فلا يصح أن تكون شمس " مع " ضدها " أى " الزمهرير .

- فإن انعدام اللون هو أصل الألوان ، وإن أنواع الصلح هى أصول الحرب .

٦٠- وذلك العالم هو أصل هذه الدار الممتلئة حزنا ، والوصل هو أصل كل هجر وفراق .

- فمن أى شئ هذا الخلاف عندنا ... يا سيدنا ؟!! ومن أى شئ أدت الوحدة إلى هذه الأعداد ؟!!

- ذلك أننا فروع والأضداد الأربعة هى الأصل ، والأصل نقل طبعه إلى الفروع .

- وجوهر الروح لما كان وراء أنواع الفصل ، فليس هذا طبعه ، بل هو في طبع الكبرياء .

- فانظر إلى الحروب فهى أصول السلام ، مثل النبى ، كانت حروبه من أجل الله[1] .

٦٥- فهو غالب ومظفر في الدارين ، وشرح هذا الغالب مما لا تستوعبه الأفواه .

- وإذا كان تجرع ماء نهر جيحون غير ممكن ، فإنه لا يمكن الامتناع عما يطفيء الظمأ .

- فإذا ما صرت ظامئاً إلى البحر المعنوى ، فقم بنزهة في جزيرة المثنوى .

- تنزه فيه بحيث ترى في كل نَفَس ، أن المثنوى " كتاب " معنوى فحسب .

- وعندما تفصل الرياح القذى عن ماء الجدول ، يكتشف الماء لونه المتوحد !!

٧٠- وأنظر إذن إلى أغصان المرجان النضرة ، وانظر إلى الثمار التى نمت من جدول الروح .

- فعندما يتوحد عن الحرف والصوت والنفس ، يترك هذا كله ويصير بحرا .

- صار المتحدث والسامع والكلام نفسه روحاً في النهاية .

- وعاطى الخبزوآخذ الخبز والخبر الطاهر ، يتجردون عن الصور ، ويصبحون تراباً .

- لكن معانيها تكون في ثلاث مقامات ، وفي المراتب تتميز على الدوام .

٧٥- لقد صارت الصورة تراباً لكن المعنى لم يصر ، وهناك من يقول لك : بل صار ، قل له لا ... لم يصر .

- وفي عالم الروح ، الثلاثة منتظرون ، حينا هاربون من الصورة وحينا آخر مستقرون فيها .

---

[1] ج ٦٢/١٣ :

- فما أعجبها من حرب تكون أصلا للسلام ، وسعد ذلك الذي تكون حربه من أجل الله .

- ويأتيها الأمر : امض في صور ، فتمضى ، ثم تصير أيضاً مجردة بأمره .

- فاعلم إذن أن ﴿ له الخلق والأمر ﴾ ، والخلق هو الصورة والأمر هو الروح التى تعتليها .

- والراكب والمركوب " خاضعان " لأمر المليك ، والجسد على العتبة ، والروح في البلاط .

٨٠- وعندما يريد للماء أن يوضع في القدر ، يأمر المليك جيش الروح بالركوب .

- ثم إنه عندما يدعو الأرواح إلى الصعود ، يأتى الأمر من النقباء بالنزول .

- وبعد هذا سوف يصير الكلام دقيقاً ، فقلل " ضرام " النار ولا تزد في حطبها .

- حتى لا تغلى القدور الصغيرة سريعاً ، وذلك أن قدر الإدراك صغيرة ودنية .

- فتقدس سبحانه ، إنه يغرس مزرعة تفاح ، ثم يخفيها في غمام الكلمات .

٨٥- " ويضع " حجاباً من غمام الصوت والحرف والقيل والقال بحيث لايبدو من التفاح سوى رائحته .

- فاجذب مرة هذه الرائحة بوعيك حتى تحيلك إلى أصلك ، جارة إياك من أذنيك .

- فاحفظ هذه الرائحة ، وحاذر الزكام ، وغط جسدك من الريح ، ووجود العامى الغث .

- حتى لا يسد مشامك عن الأثر ، من هواهم أكثر برودة من الشتاء .

- فلانهم جماد متجمدون عظام الأجسام ، فإن أنفاسهم تنطلق من تل من الثلج .

٩٠- وعندما تكتسى الأرض بكفن من هذا البَرَد ، فاضرب بسـيف شـمس حسـام الدين .

- هيا واستل من الشرق سيف الله ، وأُدفيء من مشرقها هذه العتبة .

- فإن تلك الشمس تطعن ذلك البَرَد بخنجرها ، فتنصب السيول من الجبال علـى التراب .

- ذلك أنها لا شرقية ولا غربية ، وهى في حرب مع المنجم صباح مساء .

- قائلة له : لماذا جعلت من دونى نجوماً بلا هُدىَ قبلة من اللؤم والعمى ؟!

٩٥- بحيث لا يعجبـك مقال ذلك الأمين، حين قال في القرآن ﴿لا أحب الآفلين﴾

- ومن قوس قزح عقدت الحزام أمام القمر ، ومـن هنـا فلازلـت فـي ضيـق مـن قوله ﴿ وانشق القمر ﴾ .

- وأنـت مُنكـر للآيـة ﴿ إذا الشـمس كـورت ﴾ ، لأن الشـمس عنـدك فـي أعلـى مرتبة .

- لقد رأيت أن تصريف الأثير يكون مـن النجـم ، ومـن ثـم لا تعجبك آيـة ﴿ إذا النجم هوى ﴾ .

- إن قرص القمر في حد ذاته لا يكون أكثر تأثيراً من قرص الخبـز ، فمـا أكـثر الخبز الذي يقطع عرق الروح .

١٠٠- وليست الزهرة في حد ذاتها بأكثر تأثيراً من الماء ، فما أكثر المـاء الـذي جعل الجسد خراباً .

- إن حبها " كـامن " فـي روحـك ، ونصيحـة الصديـق ، تـدق علـى أذنـك ، لكـن خارج الجلد !!

- ونصيحتنا لا تؤثر فيك يا فلان ، فاعلم أيضاً أن نصيحتك لا تؤثر فينا .

- اللهم إلا أن يأتى مفتاح خاص من الحبيب ، لأن في يده مقاليد السموات .

- إن هذا الكلام كأنه النجم وكأنه القمر ، لكنه لا يؤثر دون أمر من الحق .

١٠٥- وهذا النجم الذي لا اتجاه له ، يدق تأثيره على الآذان التى تبحث عن الوحى .

- قائلاً لها : تعالوا من المكان إلى اللامكان ، حتى لا يمزقنكم الذئب وأنتم ذاهلون .

- ولمعه الناثرة للدر ، شمس الدنيا بالنسبة لها كالخفاش .

- والأفلاك السبعة الزرقاء في رقة ، ورسول القمر في حُمى وسلٍّ منه .

- والزهرة مدت إليه يد السؤال ، والمشترى تقدم إليه باذلا الروح .

١١٠- وزحل في هوى تقبيل يديه ، لكنه لا يرى نفسه أهلا لذلك .

- ويد المريخ وقدمه متخنة بالجراح منه ، وعطارد ذلك حطم مائة قلم منه .

- وكل هذه النجوم في قتال مع المنجم ، قائلة له : يا من تركت الروح واخترت اللون .

- إنه هو الروح ونحن جميعاً ألوان وحروف ، إنه كوكب كل فكر وروح النجوم .

- وأين الفكر هناك ؟! إنه كله نور طاهر ، إن لفظ الفكر من أجلك أنت أيها المفكر .

١١٥- ولكل نجم برج في العلى ، لكن نجمنا لا يسعه برج قط .

– فكيف يمضى محرق المكان في مكان ؟!! ومتى يكون للنور غير المحدود حد ؟!!

– لكن الأمر يساق على سبيل المثال ويصور ، وذلك حتى يفهم الضعيف العاشق !!

– إنه ليس مثلاً لكنه مثال ، وذلك حتى يتحرك ذلك العقل المتجمد !!

– فالعقل حاد الرأس لكنه واهي القدم ، وذلك أن القلب قد خرب ، والجسد صحيح .

١٢٠– إن عقولهم ملتفة حول ما تقدمه الدنيا، وأفكارهم في ترك الشهوة هباءٌ وغثاء .

– وصدورهم في وقت الدعوى كأنها الشرق ، وصبرهم في وقت التقوى كأنه البرق !!

– وعالمٌ مظهر نفسه في الفضائل ، كأنه العالم بلا وفاء حين ينبغي الوفاء .

– وعند رؤية الذات لا تسعه الدنيا ، لقد ضاع في الحلق والمعدة كأنه الخبز .

١٢٥– وإذا كانت الأنية عفنة كأنها المنى ، فإنها تجد النور عندما تتصل بالروح .

– وكل جماد يتجه إلى نبات ، تنبثق من شجرة إقباله الحياة .

– وكل نبات يتجه نحو الروح ، يشرب من عين الحيوان كأنه الخضر .

– ثم إن الروح عندما تتجه نحو الأحبة ، تلقى عصاها في العمر الذي لا نهاية له .

سؤال سائل عن طائر حط على ربض المدينة
أرأسه أفضل وأعز وأشرف وأكرم ؟ أم ذَنَبه ؟!
وجواب واعظ عليه بقدر فهمه

- سأل سائلٌ ذات يوم أحد الوعاظ قائلاً : يا من أنت لائق بالمنبر الأسنى ؛

١٣٠- إن لدى سؤالاً يا ذا اللباب ، فأجبنى عليه في هذا المجلس :

- على رأس البرج حط طائرٌ ، فهل رأسه أفضل أو ذيله ؟!!

- قال : إذا كانت رأسه إلى المدينة وذيله إلى القرية ، فاعلم أن رأسه افضل من ذيله .

- وإذا كان ذيله ناحية المدينة ورأسه ناحية القرية ، فكن تراباً لذلك الذيل ، ودعك من رأسه !!

- إن الطائر يطير بجناحه نحو عشه ، وجناح الإنسان هو الهمة أيها الناس .

١٣٥- والعاشق الذي لوث بالخير والشر ، لا تنظر إلى خيره وشره ، بل أنظر إلى همته .

- والبازى حتى وإن كان أبيض بلا نظير ، إذا كان صيده الفأر فقد صار حقيراً .

- وإذا كان بومة وميله إلى الملك ، فهو فوق البازى ، ولا تنظر إلى العرف[١] .

- والإنسان وهو على قدر طست من الخمير ، قد سما على السموات وعلى الأثير .

- فهل سمعت السماء قط آية ﴿ كرمنا ﴾ تلك التى سمعها الإنسان كثير الأحزان .

---

[١] ج ١٣ / ٩٣ :

- ولو جندل الكلب النمر والذئب ، فهو أسد الميدان بلا ريب ولا شك . إن الآدمى معجون من قبضة طين ، وجاوز الفلك والكواكب بقلبه .

١٤٠- وهل عرض أحدهم على الأرض والفلك الحسن والعقل والعبارات والهوس ؟!!

- فهل تجليت قط على السموات ... ياجمال الوجه وأيتها الإصابة في الظن ؟!

- وهل عرضت قط أيها الولد أمام صور الحمام جسدك الفضى ؟!!

- فهل تمر على هذه النقوش التى تشبه الحور ، وتتجلى أمام عجوز نصف عمياء ؟!!

- فما الذي في العجوز ولم يكن فيها ، بحيث اختطفتك من هذه النقوش ؟!!

١٤٥- إنك لا تقول ، لكنى أقول لك مبيناً ، إنه العقل والحس والإدراك والتدبير والروح .

- إن في العجوز روحاً قائمة بالامتزاج ، وليس في صورة الحمام روح .

- ولو تحركت صورة الحمام ، فانها تفصلك عن العجوز في التو واللحظة .

- وماذا تكون الروح ، إنها العالمة بالخير والشر ، وهى الفرحة من الإحسان والباكية من الضرر .

- ولما كان الوعى هو سر الروح وماهيتها ، فكل من هو أكثر وعياً أقوى روحاً .

١٥٠- وتأثير الروح هو الوعى ، وكل من لديه وعى أكثر فهو إلهى .

- ولما كان الوعى هو لازمة الروح أيها القلب ، فكل من هو أكثر وعياً أقوى روحاً .

- وعالم الروح بأسره عالم من الوعى ، وكل من لا روح له فهو فارغٌ من العلم .

- ولو كانت العلوم خارج هذا الأصل ، لكانت تلك الأرواح جماداً في ذلك الميدان .

– لقد كانت الروح الأولى مظهراً للبلاط ، أما روح الروح فقد صارت مظهرا لله .

١٥٥– لقد كان أولئك الملائكة بأجمعهم عقلا وروحاً ، ثم خلقت الروح الجديدة ، وكانوا جسداً لها .

– وعندما وقعوا على تلك الروح صاروا من سعادتهم خدما لها كأنهم الجسد .

– إن إبليس ذاك قد عصى تلك الروح لأنه لم يتوحد بالروح وكان عضوا ميتاً .

– ولما لم تكن له روح لم يصر فداءً لها ، ولم يطع الروح ذلك المبتور اليد .

– والروح لم تنقص بانفصال ذلك العضو عنها ، وذلك أنها تستطيع بيدها أن تقوم بالوجود .

١٦٠– وهناك سر آخر فأين أذنٌ أخرى ؟!! وأين الببغاء المستعد لذلك السكر ؟!

– ولخواص الببغاوات سكر كثير ، وعوام الببغاوات نالت نصيباً من ذلك الطعام !!

– ومتى يتذوق درويش الصورة من تلك الزكاة ، إنها معنى وليست بحراً من الشعر !!

– وليس السكر بممنوع من حمار عيسى ، لكن الحمار بطبعه محب للتبن .

– ولو كان السكر مزيداً لطرب الحمار ، لصب أمام الحمار قنطاراً من السكر !!

١٦٥– فاعلم أن هذا هو معنى ﴿ نختم على أفواههم ﴾ ، وهذا أمرٌ مهم بالنسبة للسالك .

– حتى عن طريق خاتم الأنبياء ، ربما يرفع عن الشفة ذلك الختم الثقيل .

– وذلك أن الأختام التى تركها الأنبياء قد رفعت بالدين الأحمدى .

- كانت قد بقيت عنهم أختام لم تفتح ، فكنها فتحت بكف من نزلت فيه ﴿ إنا فتحنا ﴾ !!

- فهو شفيع لهذه الدنيا وتلك الدنيا ، " يوجه هذه " الدنيا صوب الدين ، والأخرى صوب الجنان !!

١٧٠- وتقول هذه الدنيا : أبِد لهم الطريق ، وتقول تلك الدنيا : أبِد لهم القمر !!

- وإن عمله في الظهور وفي الكمون ، مصداقا لقوله : { اهد قومى إنهم لا يعلمون } .

- وبنفسه انفتح كلا البابين ، ودعوته في الدارين مستجابة .

- ومن هنا صار " الخاتم " ، فما كان له مثيل في الجود ولن يكون .

- وعندما يبز أستاذ في صنعته ، ألست تقول له : ختمت الصنعة بك .

١٧٥- إنك " الخاتم " في فتح الأختام ، وأنت " حاتم " في عالم واهبى الروح .

- إن إشارات محمد ﷺ هى المراد ، إنها فتح كلى في فتح في فتح .

- فمئات الآلاف من الثناء على روحه ، وعلى قدومه وعلى نوبة أبنائه .

- سواءٌ كانوا من بغداد أو هراة أو الرى ، هم أبناؤه دون امتزاج الأجساد .

١٨٠- وحيثما ينبت غصن الورد يكون ورداً ، وحيثما يغلى دن الخمر يكون خمراً !!

- ولو أن عين الشمس تطل من المغرب ، فهى عين الشمس وليست شيئاً آخر .

- فاجعل الباحثين عن الغيب عمياناً عن هذا النفَس بسترك يا الله .

- قال الله : لقد أغلقت عين الخفاش سئ الخصال عن الشمس التى بلا مثال .

- بل إن أنجم تلك الشمس في خفاء عن أنظار الخفاش الوضيع[1] .

---

[1] ج ١٣/٩٥ :

- إن الأنجم كأنها المريد والشمس هى الشيخ ، والشمس في يقينها كالبدر المنير .

ذم النظم العتيقة التى تمنع لذة الإيمان وهى دليل على ضعف الصدق وقاطعة لطريق ألف أبله ، كماقطعت الخراف طريق ذلك المخنث ولم يستطع العبوروسؤال المخنث الراعى : عجباً هل خرافك تعض ؟!فأجاب : إذا كنت رجلا وفيك عرق الرجولة فكلها فداءٌ لك وإذا كنت مخنثا فكل واحد منها أفعى بالنسبة لك ... وهناك مخنث آخر عندما يرى الخراف يعود في الحال عن الطريق ولا يجرؤ علىالسؤال ويخاف ... ويقول : ربما لو سألت تقع فيَّالخراف وتعضنى

١٨٥- يا ضياء الحق يا حسام الدين تعال ، يا جلاء الروح ويا سلطان الهدى .

- وامنح المثنوى ساحة مفصلة ، وانفث الروح في صورة أمثاله .

- حتى تصير حروفه بأجمعها عقلاً وروحاً ، وتصير محلقة نحو خلد الروح .

- فهى بسعيك أيضاً جاءت من الأرواح ، نحو شراك الحروف ، وأضمرت فيها .

- وليكن عمرك في الدنيا " كعمر " الخضر ، مزيداً للروح ومعيناً ودائماً .

١٩٠- وتبقى في الدنيا كالخضر وإلياس ، وحتى تصبح الأرض من لطفك كالسماء .

- ولو لم تكن تلك الجلبة التى يقيمها حسادك ، لتحدثت عن لطفك جزءاً من مائة جزء .

- لكن من أولئك الحاسدين ذوى الأنفاس الصفراوية ، قد تلقيت طعنات محطمة للروح .

- ولن أتحدث عن أحوالك في بيانى إلا رمزاً عند ذكرى لأحوال الآخرين .

- ولعل هذه حجة من حيل القلب ، خاصة عندما تكون أقدام القلب مغروسة في الطين .

١٩٥- لقد صار أحدهم عاشقاً للصانع بمائة قلب وروح ، لكن عين السوء وأذن السوء صارت مانعا في طريقه .

- وحتى أبو الطالب الذي كان عم الرسول ﷺ ، كانت تبدو له شنعة الأعراب شيئاً مهولاً .

- وقال : ماذا يقول العرب عني ؟ أيقولون : لقد صبأ عن ديننا بتأثير ولده ؟![١]

- قال له : يا عم : انطق بالشهادة مرة واحدة ، حتى أدافع عنك أمام الحق .

- قال : لكنهم يسمعون بها وتشيع ، وكل سر جاوز الاثنين شاع .

٢٠٠- وأبقى أنا على ألسنة العرب ، وأذل أمامهم لهذا السبب .

- لكن لو كان قد كتبها له في سابق لطفه ، فمتى كان هذا الجبن مع جذبات الحق ؟!

- فالغياث يا غياث المستغيث ، من التردد في الاختيار الخبيث .

- إنني من حيل القلب ومكره ، قد ذهلت حتى عجزت عن الصراخ .

- ومن أكون أنا ؟! والفلك بكل هيلمانه ، صرخ من مكمنه " رافضاً " الاختيار .

٢٠٥- قائلاً أيها الإله الكريم الحليم ، أنقذني من التردد في الاختيار .

- إن الجذب إلى الطريق المستقيم مباشرة ، افضل من التردد بين طريقين أيها الكريم .

- وبالرغم من أن المقصد كله من هذين الطريقين هو أنت ، لكن نزع الروح يتأتى من هذه الإثنينية .

---

(١) ج ١٢٩/١٣ :

- لقد بقي في منصب آبائه وأجداده ، لكنه فيما يخص أحمد ساق هذا الضلال وتائبه ذلك الرسول الطاهر المجتبى ، من أجل أن يخلصه وينجيه .

- ومن هذين الطريقين بالرغم من أن العزم ليس إلا إليك ، لكن القتال ليس كاللهو على آية حال .

- فاستمع في القرآن بيان " هذه النقطة " من الله في آية ﴿ أشفقن أن يحملنها ﴾ .

٢١٠- وهذا التردد في القلب كأنه الوغى ، فالمرء يتساءل : ترى أهذا أفضل أم ذاك بالنسبة لحالى ؟!!

- فكلاهما يصطدم بالآخر في هذا التردد ، فالخوف ورجاء الخير في كر وفر[١] .

مناجاة ، والتجاء[٢] إلى الله من فتنة الاختيار وفتنة أسباب الاختيار ،

فإن السموات والأرضين جأرت بالشكوى من الاختيار وأسباب

الاختيار ، وخافت ثم جاءت خلقة الآدمى مولعة بطلب الاختيار

وأسباب الاختيار عنده ، كما يكون مريضا ويرى لنفسه اختياراً

قليلاً فيريد الصحة وهى سبب الاختيار حتى يزيد اختياره ،

ويريد المنصب حتى يزيد اختياره ، ومهبط القهر في الأمم الماضية

كان فرط الاختيار وأسباب الاختيار ،فلم ير أحد فرعون متضرعاً قط

- إن هذا[٣] الجزر والمد قد وصل إليَّ في البداية منك ، وإلا فإن هذا البحر كان ساكناً أيها المجيد !!

---

[١] ج ١٣/١٣٠ :

- ومن هذا التردد لتكن عاقبتنا خيرا ، فاجعل أرواحنا سعيدة يا الله .

[٢] ج ١٣ / ١٤١ :

- يأيها الكريم ذا الجلال الرؤوف ، يا دائم المعروف ويا ملك الدنيا

- يا كريم العفو حى لم يزل ، يا كثير الخير ، يا مليكاً بلا بديل .

– وأيضا فلأنك أعطيتنى هذا التردد ، اجعلنى بكرمك خاليا من التردد .

– أم تراك تبتلينى ؟ الغياث ، يا من الذكور من بلائك كالإناث .

٢١٥– فحتام هذا الابتلاء ؟ لا تفعل يا إلهى ، امنحنى دينا واحداً ولا تجعلنى أتبع عشرة أديان !!

– إننى بعير نحيل جريح الظهر ، ومن الاختيار أصبح شكلى كالسرج .

– فهذا العِدل يصير حيناً ثقيلاً من هذه الناحية ، وذلك العدل حينا يصير جارّا (اياى) من تلك الناحية .

– فالقِ من فوقى الحمل غير المتوازن ، حتى أرى روضة الأبرار .

– ومثل أصحاب الكهف أرعى من بستان الجود ، وهم ليسوا بأيقاظ بل هم رقود .

٢٢٠– أكون نائماً على اليمين أو على اليسار ، ولا أصير إلا مثل كرة بلا اختيار .

– وأصير بتقليبك ذات الشمال أو ذات اليمين يارب الدين .

– كنت آلاف السنين في طيران ، مثل الذرات في الهواء بلا اختيار .

– فإذا كنت نسيت ذلك الوقت والحال ، فعندى منه تذكار هو الارتحال في النوم .

– فانجو من هذا الصليب ذى الفروع الأربعة ، ومن هذا المناخ "المضيق" ارتع في ساحة الروح .

٢٢٥– وإننى أتذوق لبن الأيام الماضية من حاضنة النوم أيها الصمد .

– وكل الناس يهربون من اختيارهم ووجودهم في رؤوسهم المنتشية الثملة .

– ولكى يتحرروا لحظة من الوعى ، يضعون على أنفسهم عار الخمر والزمر .

- فلقد علموا جميعهم أن هذا الوجد فخ ، وأن التفكير في الاختيار وتذكره من قبيل جهنم .

- فهم يهربون من الذات إلى التجرد عن الذات ، إما بالسكر أو بالعمل ... أيها المهتدى .

٢٣٠- وإنك لتجذب النفْس من ذلك العدم ، ذلك لأنها صارت في انعدام الوعى معدومة السلطة[١] .

- " ليس للجن ولا للإنس أن ، ينفذوا من حبس أقطار الزمن

- " لا نفوذ إلا بسلطان الهدى ، من تجاويف السموات العلى

- لا هدى إلا بسلطان يقى ، من حراسِ الشهب روح المتقى "[٢] .

- وليس لأحد طريق إلى حظيرة الكبرياء إلا عندما يكون فانياً .

٢٣٥- فما هو معراج الفلك ؟! إنه هذا العدم ، والعدم هو مذهب العاشقين ودينهم.

- إن السترة الحلبية والحذاء الريفى هما محراب اياز من ضراعته في طريق العشق.

- بالرغم من أنه كان محبوباً للملك ، وكان لطيفاً جميلاً ظاهراً وباطناً .

- لقد صار خاليا من الكبرياء والرياء والحقد ، وصار وجهه مرآة لحسن السلطان .

- وعندما ابتعد عن وجوده ، كان منتهى أمره محموداً .

٢٤٠- ومن هنا كان تمكين اياز أكثر قوة ، لأنه كان يحترز خوفا من الكبر .

---

[١] ج ١٤٢/١٣ : وينبغى العدم إذ أنه من الحق ، حتى يرى فيه حسن الأحد .

[٢] بالعربية في المتن .

– كان قد تهذب وصار مقداما ، وقطع رقبتى الكبر والنفْس .

– فإما أنه كان يقوم بهذه الأمور من أجل التعليم ، أو من أجل حكمة بعيدة عن العقول .

– أو أنه أحب رؤية حذاءه الريفى ، فان للوجود عُلقة بنسيم العدم .

– فما دام يفتح ذلك القبر الذي يفضي إلى العدم ، يجد نسيم السرور والحياة[١] .

٢٤٥– إن الأفلاك والأموال والثياب الفاخرة في هذا المرحلة ، هى بمثابة السلاسل على الروح خفيفة السير .

– لقد رأت الروح السلسلة الذهبية وأصابها الغرور ، فبقيت في قعر جب محرومة من الوادى .

– إن صورتها جنة ، لكنها جحيم بالمعنى ، إنها أفعى ممتلئة سما وصورتها صورة حسناء .

– وبالرغم من أن سقر لا تضر المؤمن ، لكن من الأفضل له أن يتجازوها .

– وبالرغم من أن الجحيم يبعد عنه النكال ، لكن الجنة أفضل له على كل حال .

٢٥٠– فالحذر أيها الناقصين من هذه الحسناء ، التى تكون جحيماً عند الصحبة[٢] .

---

[١] ج ١٣/١٤٢ : وما لم يغلق القبر على هؤلاء الموتى ، تأتى رائحة سرور تلك الدنيا .

[٢] ج ١٣/١٤٢-١٤٣ :

– الفرار أيها الغافلون من هذه الروضة ، فهى في الحقيقة أسوأ من مستودع القمامة – وحذار أيها الجهال من ذلك الورد بالسكر ،الذي يحرق الفم كالشرر – وحتام أقول لك أن هذا العسل ، زهر" قتال ، فابتعد عنه – لكن قولى بدى لك مسرا ، وأخذ النوم يغلبك من موعظتى – فافق لحظة واحدة آخر أيها السيد، وانتفع بحياتك هذه – هيا اسلك الطريق واترك اللحية ، وفتش في الفناء والعدم

حكاية الغلام الهندي الذي أحب ابنة سيده في السر
وعندما عقدوا للفتاة على ابن عظيم وعلم الغلام مرض وأخذ يذوب ،
ولم يكن للطبيب قط أن يعرف علته ولم تكن له جرأة على الحديث

– كان لأحد السادة عبد هندى ، قام بتربيته وتنشئته واحيائه .

– علمه العلم والأدب على خير وجه ، وأشعل في قلبه شموع الفضل .

– ورباه منذ طفولته على العز ... في كنف لطفه ... ذلك المكرم .

– وكان للسيد أيضاً ابنة جميلة فضية القوام حسناء حسنة الجوهر .

– ومن طرف كل الكبراء كان يأتى خاطب للبنت لحظة بلحظة .

– قال السيد : ليس للمال ثبات ، إنه يأتى نهاراً ويمضى بدداً ليلاً .

– وحسن الصورة أيضاً ليس له اعتبار ، فان الوجه يصفر من وخزة شوكة .

– ومن السهل أيضاً بالنسبة لطيب الأصل أن يكون مغترا بماله وخيله .

٢٦٠– ورب ابن لعظيم صار من فتنته وشره وفعله السئ عارا على أبيه .

– وكثير الفضل وإن كان نفيساً ، فهو قليل العبادة ، واعتبر من إبليس .

– كان عنده العلم ، لكن لما كان خاليا من العشق ، لم ير من آدم إلا صورة الطين .

– فبالرغم من أنك تعلم العلم بدقة أيها الأمين ، إلا أنه لا تتفتح منك عينان ناظرتان إلى الغيب .

– انه لا يرى سوى عمامة ولحية ، لكنه يسأل عمن يعرفه بأحواله كثيرها وقليلها .

٢٦٥ – ويا أيها العارف إنك فارغٌ ممن يعرفك ، فأنت ترى بنفسك لأنك نور بازغ .

- وأمر التقوى والدين والصلاح الذي يكون منه له في الدارين الفلاح .

- فاختار زوجا صالحا كان فخر أهل وعشيرته .

- ثم قال النسوة : لا مال له ... ولا عظمة عنده ... ولا حسن ... ولا استقلال .

- قال : إنها أمور تابعة للزهد والدين ، وهو بلا ذهب كنز فوق الأرض .

٢٧٠- وعندما شاعت جدية أمر تزويج الفتاة ، وجهاز العرس والعلامات والقماش .

- سرعان ما صار الغلام الصغير الذي في الدار مريضا ونحيلا .

- أخذ يذوب كمريض السل ، وقليلا ما عرف طبيب علته .

- كان العقل يقول أن علته من القلب ، ودواء الجسد باطل في غم القلب .

- ولم يتحدث ذلك الغلام الصغير عن حاله ، ومن أي شئ كان يأتيه الوخز في صدره !!

٢٧٥- فقال الزوج لزوجته ذات ليلة : استفسرى " منه " عن حاله في خلوة .

- فأنت منه في منزلة أمه ، ولذلك قد يبثك همه .

- وعندما سمعت السيدة هذا الكلام ، اقتربت في اليوم التالى من الغلام .

- وأخذت تلك السيدة تمشط شعره بحنان شديد وبرفق وود .

- ولاطفته كما تفعل الأمهات الحنونات ، حتى تحدث قائلاً :

٢٨٠- لم يكن أملى منك أن تزوجى الفتاة لغريب معتد .

- إنها ابنة سيدى ، وكبدى ممزق من أجلها. وأليس من الخسارة أن تمضى إلى مكان آخر ؟!

- فهت تلك السيدة بضربه وإلقائه من فوق السطح نتيجة لما اعتراها من غضب .

- فمن يكون هو ؟! هندى ابن زانية يطمع في بنت سيده ؟!

- لكنها قالت لنفسها : الصبر أولى ، وضبطت نفسها ، ثم قالت للسيد : اسمع هذه العجيبة .

٢٨٥- إن مثل هذا العُبَيد خائنٌ بينما كنا نظنه ثقة[١] .

أمر السيد لأم الفتاة بالصبر قائلاً :

لا تنهري الغلام فسوف أرده عن هذا الطمع دون عقاب

بحيث لا يحترق السفود ولا يبقى الشواء نيئًا

- قال السيد : اصبرى وقولى له ... إننا سوف نفصل بينها وبين " الزوج المرتقب " ونعطيها لك .

- فربما أخرج هذا " الأمر " من قلبه ... وشاهدى أنت كيف سأصرفه عنه .

- اجعليه راضيا وقولى له : اعلم حقيقة أن ابنتنا هى يقينا زوجتك .

- ونحن لم نكن نعلم أيها الخاطب الطيب ، ومادمنا قد علمنا فأنت أولى " بها " .

٢٩٠- و" لتبق " نارنا في تنورنا ، إن ليلى عندنا وعندنا أيضاً المجنون بها .

- حتى يطيب خياله ويطيب فكره ، إن الأفكار الحلوة تجعل المرء سميناً .

- إن الحيوان إنما يسمن بحسن مرعاه ، اما الإنسان فيسمن من العز والشرف .

- إن الإنسان يسمن عن طريق الأذن ، والحيوان يسمن عن طريق الحلق وحلو " الطعام " .

- فقالت تلك السيدة : متى يتحرك فمى بهذا العار المهين ؟!

---

(١) ج ١٣ / ١٦١ :

- لقد حدثني عن أحواله وقال كذا — وأردت من غضبى أن أقتله

٢٩٥- وكيف ألوك هذا الهذر من أجله ، قل له فليمت هذا الخائن المتطبع بطبع إبليس .

- قال السيد : لا ، لا تخافى بل خادعيه بلطف القول ، حتى تذهب العلة عنه من هذا اللطف الطيب .

- ولك العهد بأن صده على أنا أيتها المحبوبة ، واتركى الأمر حتى يشفى ذلك الذي يجدل برقه !!

- وعندما تحدثت السيدة إلى المريض هكذا ، لم تكن الأرض تسعه من الفرح .

- سمن وامتلأ واحمر وتفتح كالوردة الحمراء ، وأمطرها بآلاف من الشكر .

٣٠٠- لكنه كان يقول بين الآن والآخر : لا كان هذا يا سيدتى احتيالا وخدعة[١] .

- وأقام السيد احتفالا ووليمة ، ليعلن فيها : إننى سوف أصاهر " فَرَجاً " !!

- حتى يقوم المدعوون بالخداع والهرج قائلين : بارك الله في هذه المصاهرة يا فرج !!

- حتى ازداد فرج يقينا من هذا الكلام ، وذهبت عنه العلة كلية من الأساس .

- وبعد ذلك في ليلة العرس ، خضب أحد المُرد بالحناء مخادعاً وكأنه امرأة .

٣٠٥- وملأ ساعده بالزينة والحلى كالعروس ، لقد أبدى له دجاجة لكنه أعطاه ديكاً .

- وألبس ذلك الجلف الأمرد حجاباً وحلة عروس غالية .

- وفي الخلوة قام بإطفاء الشمع سريعاً ، وبقى الهندى مع مثل ذلك السوقى الفظ.

---

[١] ج ١٣/١٦٤ :

- لكن السيدة كانت تؤكد له قائلة : إننا ننجز هذا الأمر فطب نفساً !!وعندما رأى السيد أنه قد سمن واحمر وذهبت عنه العلة وأفاق ،أخذ يقوى قلبه بالخداع والكلام المعسول ، حتى يزداد سروره وكأنه الديك .

- وأخذ الهـندى المسكين يصرخ ويستغيث ، لكن أحداً في الخارج لم يكن يسمع من نقر الدفوف .

- فإن ضرب الدفوف والتهليل من الرجال والنساء ، أخفت صياح ذلك المستغيث.

٣١٠- ظل " ذلك الأمرد " حتى الصباح يلوط بذلك الهندى المسكين ، فكيف يكون خرج من الدقيق أمام كلب؟!

- وفي الصباح جاءوا بالطاس والزمر الكبير ، وذهب فرج إلى الحمام كعادة العرسان .

- ذهب إلى الحمام مريض الروح ، ممزق الدبر كملابس الوقادين .

- وجاء من الحمام إلى المخدع ، و" ليتم " الخداع جلست الفتاة أمامه " على أنها " العروس .

- وجلست أمها هناك للمراقبة ، إذ لا ينبغى أن يقوم بامتحان " الأمر " نهاراً .

٣١٥- ونظر إليها برهة مستنكراً ، ثم أخذ يفرد أصابع يديه كليتهما في وجههما معترضاً .

- وقال : لا كان لاحد اتصال بمثلك عروساً قبيحة سيئة الفعال .

- إن وجهك في النهار هو وجه السيدات النضر ، وذكرك القبيح ليلاً أسوأ من ذكر الحمار !!

- وكذلك يكون كل نعيم هذه الدنيا ، يبدو جميلاً على البعد وقبل الامتحان .

- إنه يبدو للنظر على البعد ماءً ، حتى إذا جئته وجدته سراباً بقيعة .

٣٢٠- إنها عجوز نتنة ، ومن شدة نفاقها وخداعها ، تبدى نفسها كالصبية العروس .

- فانتبه ، ولا يغرنك خضابها ، ولا تتذوق من عسلها الممزوج بالوخز .
- واصبر فالصبر مفتاح الفرج ، حتى لا تسقط مثل " فرج " في مائة حرج .
- إنها واضحة " الحب " لكنها خفية الفخ ، يبدو لك إنعامها حلوا في أوله .

في بيان أن هذا الغرور لم يكن عند هذا الهندي وحده

بل إن كل إنسان مبتلى بهذا الغرور في

كل مرحلة إلا من عصمه الله

- وعندما تتصل بها ... يا ويلتاه ، يشتد أنينك ونواحك ندماً !!

٣٢٥- إنها إمارة ووزارة وملوكية ... بالاسم ، وفي باطنها الموت والألم والاحتضار !!

- فكن عبداً " لله " وسر على الأرض كالجواد ، لا كالنعش الذي يحمل على الأعناق !!

- وإن الكفور يريد جميع " الناس " حمالين له ، يأتون به إلى القبر كالفارس الميت .

- إن كل من تراه في النوم في هيئة الفارس عالى الركاب ، " تعبيره " أنه يكون في جنازة .

- إن ذلك التابوت يكون حملا على كواهل الخلق ، وهؤلاء الكبار ألقوا بأحمالهم على الخلق .

٣٣٠- فلا تضع حملك على أحد وضعه في نفسك ، وكفاك طلباً للرئاسة ، فالدرويش أفضل .

- ولا تعتل أعناق الخلق متخذاً منها مركباً ، حتى لا تصاب بالنقرس في كلتا قدميك .

- والمركب الذي تعترض عليه في النهاية ، عندما تعجز في مدينة خربة أو قرية خربة .

- اعترض عليه الآن ما دامت المدينة " العامرة " قد ظهرت لك ، وحتى لا يلزمك أن تلقى عصاك في الخراب !!

- اعترض عليه الآن فلك مائة بستان ، حتى لا تصير عاجزاً عابداً للخراب .

٣٣٥- قال الرسول ﷺ : إذا كنت تريد الجنة من الإله فلا تطلب شيئاً من أحد .

- وعندما لا تريد شيئاً من أحد فأنا كفيل لك بجنة المأوى ولقاء الله .

- وذلك الصحابى صار طامعا في هذه الكفالة ، وكان قد ركب ذات يوم .

- فوقع سوطه من كفه ، فنزل هو بنفسه ، ولم يطلبه من أحد .

- وذلك الذي لا يتأتى من عطائه أي سوء ، يعمل ويعطى دون طلب .

٣٤٠- وإذا أردت بأمر الحق فهذا جائز لك ، ومثل هذا الطلب هو طريق الأنبياء .

- ولا يبقى سوء مادام الحبيب قد أشار ، لقد صار الكفر إيماناً مادام الكفر من أجله .

- وإن كل سوء يقدمه أمره ، يَجُب كل حسنات العالم .

- وإذا كان الجلد يتألم من ذلك الصدق ، فلا تعترض ... ففيه مئات الآلاف من الدرر .

- وهذا الكلام لا نهاية له فعد صوب الملك وكما يعود البازى .

٣٤٥- وعد إلى المنجم الذي يحتوى على الذهب الخالص ، حتى تتحرر يداك من " استخدامها " في الاعتراض !!

– فعندما يعطى عابد لصورة الطريق إلى القلب ، فإنه من ندمه يقوم في النهاية بالاعتراض .

– واللص الذي يفيض مرارة عند القطع ، إنما يشنع " بيديه " على لذة السرقة ... وكأنه امرأة !!

– لقد رأيت حركة تشنيع واعتراض" باليد " من حزين ، انظر إلى التشنيع من هذا المبتور اليد .

– وأيضاً فالمزور والمجرم والفاسق ، عند تجرع المرارة يقومون بالتشنيع على اللهو واللذة .

٣٥٠– وانهم ليتوبون ، لكن كتوبة الفراش ، ويجرهم النسيان ثانية نحو نفس العمل .

– وكتلك الفراشة ، رأت النار نوراً من بعيد ، فعقدت إليها الأحمال .

– وعندما جاءتها وأحرقت جناحها ، هربت ، ثم سقطت ثانية كالأطفال وسكبت الدموع .

– ومرة ثانية على الظن وطمعا في النفع ، ألقت بنفسها على نار ذلك الشمع سريعاً .

– فاحترقت ثانية أيضاً،وتقهقرت، ثم جعلها حرص القلب مرة ثانية ناسية ثملة !!

٣٥٥– وفي ذلك الوقت الذي كانت تتقهقر فيه من الاحتراق ، كانت كالهندى " إياه " يعترض على الشمع بحركة يده !!

– قائلة له : يا منير الوجه كقمر يضئ بالليل ، ويلاه من الصحبة الكاذبة التي تحرق المغرور .

– ثم تمضي عن ذاكرتها مرة ثانية التوبة والأنين ، مصداقا لـ « أوهن الله كيد الكائدين » .

في عموم تأويل هذه الآية :

﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب ﴾

- " كلما هم أوقدوا نار الوغى ، أطفأ الله نارهم حتى انطفى "[1] .

- لقد عزم قائلاً : أيها القلب لا تتوقف في ذلك المكان ، ثم صار ناسيا لأنه ليس من أولى العزم !!

٣٦٠- ولأنه لم تكن لديه بذور الصدق مغروسة ، سلط الله عليه نسيان ذلك .

- فبالرغم من أنه يقدح زناد القلب ، فان كف الحق تقوم بإطفاء شعلته تلك !!

قصة في تقرير هذا المعنى أيضاً

- [2]سمع أحد السادة ليلا وقع أقدام ، فأمسك الزند ليشعل النار[3] .

- وجاء اللص في تلك اللحظة وجلس أمامه ، وعندما أمسك " صاحب الدار " بالذبالة ، أخذ يخفضها !!

- وكان يضع طرف إصبعه على اللهب ، حتى يقضى على لهب النار .

٣٦٥- وكان السيد يظن أنها تنطفئ من تلقاء نفسها ، ولم يكن يرى أن اللص يطفئها .

- وقال السيد " لنفسه " إن هذه الذبالة رطبة ، ومن رطوبتها ينطفئ اللهب سريعاً.

- ومن شدة الظلمة والدجى من أمامه ، لم يكن يرى من يطفئ النار وهو أمامه .

- إن مثل هذا المطفئ للنار يوجد في قلب الكافر ولا يراه ، من عماه !!

- وكيف لا يعلم قلب العالِم ، أن مع المتحول محولاً .

---

(١) بالعربية في المتن .

(٢) ج ١٧٨/١٣ : - ذهب لص ذات ليلة إلى منزل عظيم ودخل من طريق خفي كالذئب

(٣) ج ١٧٨/٣١ : - وسمع صاحب الدار الصوت ليلا ، فأمسك بالزند ليشغل به ذلك الوحيد أن يقدح الزند لإشعال شمعة . حتى يعرف سر هذا الصوت عيانا .

رب ؟!

- أتطوف حول المعقولات ؟! أنظر إلى إنعدام عقلك أيها المهين .

- أيكون المنزل مع " وجود " البناء أكثر معقولية أو بغير وجوده ؟! قل يا قليل الفضل [١] .

- وهل يكون الخط بوجود الكاتب أكثر معقولية أو بغير وجوده ؟! فكر يا بنى !!

- وكيف تكون جيم الأذن وعين العين وميم الفم بلا كاتب ... أيها المتهم !!

٣٧٥- وهل الشمع يكون مضيئاً دون مُشعل أو بمشعل عالم ؟!

- والصنعة الحسنة أتكون أولى من كف مشلول ضرير أو من صانع بصير ؟!

- إذن فما دمت قد علمت أنه يقهرك ، وأنه يدق رأسك بمقامع الفتنة ؟!

- فادفعه إذن كالنمرود بالحرب ، وأطلق السهم من القوس نحوه في الفضاء .

- وكجيش من المغول داوم على إطلاق سهامك نحو السماء درءً لنزع الروح !!

٣٨٠- أو اهرب منه لو استطعت ، وامض ... وكيف تمضى وأنت رهينة في كفه .

- لقد كنت في العدم ولم تنج من كفه ، وكيف تنجو من كفه يا خفيف اليد !!

- إن رغبة البحث عن الفرار تكون أمام عدله سفكاً لدماء التقوى .

- وهذه الدنيا فخ وحبها الشهوة ، فاهرب من الفخاخ واتجه إليه سريعاً .

- وعندما تمضى هكذا ترى مائة فتح ، وعندما تمضى إلى الناحية المضادة ترى الفساد[٢] .

---

[١] ج ١٧٨/١٣ :ومنزل بهذه العظمة والأبهة كيف يكون دون استاذ مجيد

[٢] ج ١٣ / ١٧٩: وعندما تمضى إلى الضد فإنك تعرف ضده ، فالضد يعرف من ضده أيها الشاب .

٣٨٥- ومن ثم قال الرسول ﷺ : استفتوا القلوب ، وإن كان مفتوكم من الخارج يحدثونكم بالخطوب[١] .

- واترك رغبتك لتأتيه الرحمة لك ، وقد جربت أن هذا هو ما ينبغى له .

- وما لا تستطيع الهرب فاخدمه ، حتى تمضى من سجنه إلى روضته .

- ومادمت مراقبا لحظة بلحظة ، فإنك ترى العدل والحكم أيها الغوى .

- وإذا أغلقت عينيك من الاحتجاب ، فمتى تترك الشمس عملها[٢] .

إظهار الملك للأمراء والمتعصبين بالنسبة لإياز

سبب فضله ومرتبته وقربه وراتبه عليهم ،

على وجه لا تبقى معه حجة أو اعتراض عندهم

٣٩٠- وعندها هاج الأمراء من الحسد ، طعنوا في الملك نفسه .

- قائلين : إن إياز هذا ليس له ثلاثون عقل ، فكيف يأخذ راتب ثلاثين أمير ؟!!

- فخرج الملك مع أولئك الأمراء الثلاثين إلى الخلاء والجبل من أجل الصيد .

- ورأى الملك قافلة من بعيد ، فقال لأحد الأمراء : إمض أيها المتحدث بالإفك ؛

- امض وأسأل تلك القافلة الموجودة على الرّصد ... من أى مدينة هى قادمة ؟!

٣٩٥- فذهب وسأل وعاد قائلاً : " من الرى " ، فقال الملك : إلى أين هى ذاهبة ؟! فعجز عن الجواب ؟!

- فقال لآخر : امضى يا أبا العلا ... وسل القافلة إلى أين هى ذاهبة .

---

[١] ج ١٨٦/١٣ :

- واستمع إلى استفت قلبك من الرسول وإن كان المفتى الخارجي يحدثك بالفصول

[٢] ج ١٨٦/١٣ :

سق ثانية نحو اياز ورتبته وتلك الفضيلة في كمال رفعته

- فذهب وعاد وقال : إلى اليمن ، فسأله : وما بضاعتها أيها المؤتمن ؟!!

- فحار جوابا ، فقال لثالث : امض وأسال عن بضاعة هذا النفر .

- فعاد وقال : من كل صنف ، وأغلبها من أواني الري .

٤٠٠- فسأل : متى خرجوا من مدينة الري ، فتحير ذلك الأمير واهن الخطى[١] .

- وهكذا حتى ثلاثين أمير وأكثر ، كانوا واهني الرأي ناقصين في الكر والفر[٢] .

- فقال للأمراء : لقد قمت ذات يوم بامتحان " إيازي " هذا وحده .

- وقلت له : فمضى وسأل عن كل هذه الأشياء .

- ودون توصية أو أمر عرف أحوالهم بالتفصيل حالا حالاً .

٤٠٥- وكل ما كشف من هؤلاء الأمراء الثلاثين في ثلاثين مرة ، كشف منه بأجمعه في لحظة واحدة .

احتجاج الأمراء بشبهة جبرية وجواب الملك عليهم

- ثم قال أولئك الأمراء : إن هذه المهارة من العناية ، وليست بحوله وطوله .

---

(١) ج : ١٨٧/١٣ :

- فقال لرابع : اذهب واستفسر متى كانت حركة القافلة ؟!

- فعاد وقال : السابع من رجب فسأل : ترى ما هي أسعار بضائعها ؟!

- ولما لم يكن يعلم لم ينبس أرسل الملك أميراً آخر من الجماعة

(٢) ج : ١٨٧/١٣ :

- كل واحد ذهب من أجل سؤال واحدكانوا ناقصين عاجزين عن إدراك الكمال

– إنها قسمة الحق ، أن يكون للقمر وجه لطيف ، وعطاء الإقبال أن يكون للورد رائحة زكية[1] .

– قال السلطان : بل إن ما تولد من النفس ، هو من دخل الإجتهاد ، ومن نتائج التقصير .

– وإلا فمتى كان آدم يحدث الله قائلاً : « ربنا إنا ظلمنا أنفسنا » ؟!

٤١٠– ولكن قد قال : إن هذا هو عيب الحظ ، ما دام القضاء كان هكذا فما فائدة الحزم ربنا ؟!

– مثل إبليس الذي قال « أغويتنى » ، فهل تكسر أنت الكأس ثم تضربنا نحن ؟!

– بل إن القضاء حق وجهد العبد حق ، هيا ولا تكن أعور مثل إبليس الخَلِق .

– لقد بقينا مترددين بين أمرين ... فمتى يكون هذا التردد دون اختيار ؟!

– ومتى يقول مقيد اليدين والقدمين : أأفعل هذا ؟! أم أفعل ذاك ؟!

٤١٥– فهل يعترى رأسى هذا التردد بين أن أمشى على الماء في البحر أو أطير في الهواء ؟!

---

[1] ج : ١٣/١٩٠ :

– بل إن عناية السلطان عندما تسبغ عليه   يضرب من الفخر خيمته فوق القمر

- لكنى قد أتردد بين أن أمضى إلى الموصل أو أمضى إلى بـابل مـن أجـل تعلـم السحر !!

- إذن ، تنبغى قدرة من اجل التردد ، وإلا كان الأمر ضحكاً على الشوارب .

- فقلل التعلل بالقضاء أيها الشاب ، فكيف تضع جرمك على كواهل الآخرين .

- فهل يسفك زيدُ الدم ويكون القصاص على عمرو ؟!! ؛ أيشرب عمرو الخمـر ويكون على أحمد حد الخمر؟!

٤٢٠- ففتش في نفسك ، وانظر إلى جرمك ، وانظر إلـى الحركـة مـن نفسـك لا من الظل !!

- فـإن جزاء الأمير لـن يكـون خطـأ ، ذلـك أنـه يعـرف الخصـم ، ذلـك الأمـير البصير .

- وما دمت قد أكلت العسل فان الحمى لم تصب سواك ، وأجر " عملك " نهار لا يصل إلى سواك ليلاً !!

- ففى أى شئ قمت بجهـد ولـم يعـد إليـك ؟! ومـاذا زرعـت ولـم يـأتك ريـع مـن زراعته ؟!

- إن فعلك الذي يتولد من روحك وجسدك ، هو مثل ولدك يأخذ بطرف ثوبك .

٤٢٥- وهم في الغيب يصـورون الفعـل ، ومـن أجـل جـرم السـرقة ألا ينصبـون المشنقة ؟!

- فمتى تشبه المشنقة السرقة ؟! لكن ذلك هو تصوير الله عالم الغيب .

– إلا أن الحق عندما وضع الإلهام في قلب الشرطي ، قال له : صورها هكذا من أجل العدل !!

– حتى تكون أنت عالماً والقضاء عادلاً ، فكيف يعطى العدل والجزاء " بشكل " غير مناسب ؟!!

– ولما كان الحاكم يفعل هذه الأمور باختياره ، فما بالك بفعل أحكم الحاكمين .

٤٣٠– فعندما تزرع الشعير لا ينمو إلا الشعير ، وأنت اقترضت فممن يطلب الرهن ؟!

– فلا تضع جرمك على شخص آخر ، وعاقب أذنك ولبك به !!

– ضع الجرم على نفسك ، فأنت الذي زرعته ، وأرض بجزاء الحق وعدله .

– فللألم سبب ، هو فعل السوء ، فاعلم أن السوء من فعلك وليس من الحظ .

– إن ذلك النظر في الحظ يجعل العين حولاء ، ويجعل الكلب كسولا ملازما للحظيرة .

٤٣٥– فقم باتهام نفسك أيها الفتى ، وقلل اتهام الجزاء العدل .

– وتب ، واتجه إلى الطريق برجولة ، إذ أنه :﴿ من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾

– وقلل اغترارك بوساوس النفْس ، فإن شمس الحق لا تخفيها ذرة !!

– إن هذه الذرات الجسمية أيها المفيد ، ظاهرة أمام هذه الشمس الجسمانية !!

– لكن ذرات الخواطر والأفكار ، تكون واضحة ظاهرة أمام شمس الحقائق[1] .

---

[1] ج ١٩١/١٣ :

– انها ظاهرة للحق خفي عنك — إنها من أسرار الغيب فلا تفكر فيها

حكاية ذلك الصياد الذي كان قد لف نفسه في العشب

ووضع باقة ورد وشقائق كالقلنسوة فوق رأسه حتى تظنه الطيور عشباً ،

وذلك الطائر الذكي فهم بعض الفهم أنه إنسان وقال في نفسه :

لم أر نباتاً على هذا الشكل ، لكن لأنه لم يكن تام الفهم اغتر بوسوسته

ذلك أنه لم يكن يقطع في البداية للإدراك الأول ، وقطع بإدراك المكر

الثاني هو الحرص والطمع لا سيما عند فرط الحاجة والفقر ،

قال النبي ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً !!

٤٤٠- ذهب طائر إلى وسط المرج ، وكان هناك فخ من أجل الصيد .

- وبضع حبات ملقاة على الأرض ، وذلك الصياد كمن مترصداً .

- كان قد لف.نفسه في الأوراق والأعشاب ، حتى يسقط الطائر المسكين من طريقه !!

- وتقدم الطائر الصغير منه وكأنه يجهله ، ودار دورة ثم تقدم من الرجل سريعاً

- وقال له : من أنت يا لابس الأخضر ، يا " مقيما " في الصحراء بين هذه الوحوش .

٤٤٥- قال له : إننى رجل زاهد ، صرت منقطعاً وقانعاً هنا بالعشب .

- وقد اخترت الزهد والتقوى دينا ومذهبا ، ذلك أننى كنت أرى الأجل " ماثلا " أمامى .

- لقد وعظنى موت الجار ، وحطم كسبى وحانوتى .

- ومادمت سأبقى آخر الأمر فرداً ، لا ينبغى أن أعاشر كل رجل وامرأة .

- ومادمت سأتجه في آخر الأمر إلى اللحد ، فمن الأفضل أن يكون الفتى مع الأحد .

٤٥٠- ومادامِوا سيقومون بربط ذقنى أيها الجميل ، فمن الأفضل أن اقلل من حركة الذقن " في الحديث " !!

- ويا من ألفت الملابس والأحزمة المذهبة ، أليست نهايتك الكفن ؟!!

- لنتجه إلى التراب ما دمنا قد نبتنا منه ، فلماذا تعلق القلب بمن لا وفاء عندهم؟!!

- إن جدودنا وأقاربنا الأقدمين هم الطباع الأربعة ، ونحن قد طمعنا في قرابة مستعارة .

- وإن جسم الإنسان قد صحب العناصر واقترن بها لسنوات عديدة .

٤٥٥-وروحه في حد ذاتها من النفوس والعقول ، لكنه نكص عن روحه الأصيلة

- ومن النفوس والعقول المليئة بالصفاء ، يأتيه خطاب إلى الروح قائلا : يا عديمة الوفاء !!

- لقد وجدت أصحاباً لا قيمة لهم يستمرون معك خمسة أيام ، فهل أشحت بالوجه عن الرفاق القدماء ؟!!

- والأطفال وإن كانوا سعداء باللعب ، إلا أن ذويهم يجرونهم ليلا نحو الدار !!

- لقد خلع الطفل الصغير ملابسه عند اللعب ، فسلب اللص خفية قباءه ونعله .

٤٦٠- لقد انهمك في اللعب حتى نسى تلك القلنسوة وذلك القميص .

- وحل الليل وصار لعبه بلا لذة ، ولا وجه لديه حتى يعود إلى الدار .

- وألم تسمع ﴿ إنما الدنيا لعب ﴾ ، وأضعت بضاعتك أدراج الريح وصرت هلعاً؟!

- فابحث عن الثوب قبل أن يحل الليل ، ولا تضيع النهار في القيل والقال .

- ولقد اخترتُ " أنا " خلوة في الصحراء ، إذ رأيت الخلق سارقين للثياب .

٤٦٥- ونصف العمر ضاع في طلب المحبوب ، ونصفه الآخر في الأحزان التى يسببها الأعداء .

- لقد سرق هذا الجبة وسرق ذاك القلنسوة ، ونحن غارقون في اللعب كالأطفال الصغار .

- والآن ، وقد حل ليل الأجل ، خل هذا اللعب ، كفاك ، لاتعد !![١] .

- هيا واركب " مركب " التوبة والحق باللص ، وخذ ثيابك منه وعد .

- ومركب التوبة مركب عجيب ، إنه يصل من الحضيض إلى الفلك في لحظة واحدة .

٤٧٠- لكن داوم على حفظ مركبك من ذلك الذي سرق قباءك خفية .

- حتى لا يسرق مركبك أيضا ، فاحفظ مركبك هذا لحظة بلحظة .

حكاية ذلك الشخص الذي سرق اللصوص كبشه
ولم يكتفوا بذلك بل سرقوا ثيابه أيضاً بالحيلة

- كان لأحدهم كبش ، وكان يسحبه من ورائه ، فقطع اللص الحبل وسرق الكبش .

- وعندما انتبه ، أخذ يجرى ذات اليمين وذات اليسار حتى يجد سارق الكبش .

- فرأى ذلك اللص على حافة البئر ، وقد أخذ يصرخ قائلاً وايلتاه !!

٤٧٥- فقال له : لماذا تصرخ أيها الاستاذ ؟! فقال : لقد سقط كيس ذهبى في البئر .

- فلو استطعت النزول واستخراجه ، أعطيك خمسة عن طيب خاطر .

---

[١] الشطرة الثانية بالعربية في النص .

– تأخذ خمس المائة دينار في يدك ، فقال في نفسه : إن هذا المبلغ ثمن عشرة كباش !!

– فإذا كان بابٌ قد أغلق فقد فتح بدلاً منه عشرة أبواب ، وإذا كان كبش قد فُقِدَ ، فقد عوضني عنه الله بجمل

– وخلع ملابسه ونزل إلى البئر ، فحمل ذلك اللص الملابس سريعاً .

٤٨٠– فينبغي حازمٌ حتى يطوى الطريق إلى القرية ، وإن لم يكن حزم فإن الطمع يأتي بالطاعون .

– إنه لص ديدنه الفتنة ، وهو كالخيال ، له صورة مختلفة في كل لحظة .

– ولا يعلم مكره إلا الله ، ففر إلى الله ، وانج من ذلك المحتال .

مناظرة الطائر مع الصياد عن الترهب ومعنى الترهب

وأن المصطفى ﷺ نهى عنه قائلاً : « لا رهبانية في الإسلام »

– قال له الطائر : أيها السيد ، لا تتوقف في الخلوة ، فليس الترهب طيباً في دين أحمد !!

– لقد نهى عن الترهب ذلك الرسول ، فكيف تعلقت ببدعة أيها الفضولي ؟!!

٤٨٥– إن الجمعة شرط والجماعة في الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

– وتحمل إيلام الأشرار بصبر ، ونفع الناس كالسحاب !!

– إن خير الناس أنفعهم للناس أيها الأب ، وإن لم تكن حجراً فلم تصاحب المدر ؟!!

– فعش بين الأمة المرحومة ، ولا تترك سنة أحمد ، واخضع للحكم .

– قال : إن عقل من لا رسوخ له ، هو في رأى العاقل بمنزلة الحجر والمدر .

٤٩٠- مثل الحمار خبزه أمنية ، وصحبته هى عين الرهبانية .

- ذلك أن كل ما هو غير الحق يصير رفات ، كل آت بعد حين فهو آت[١] .

- [٢] وحكمه هو نفس حكم قبلته ، فسمه ميتاً مادام باحثا عن الميتة .

- فكل من يكون مع هؤلاء القوم يكون راهبا ، والحجر والمدر رفيقان له[٣] .

- حتى الحجر والمدر لم يقطعا الطريق على أحد ، ومن " هؤلاء الخلق " كالمدر يحدث مئات الآلاف من الأذى .

٤٩٥- قال له الطائر : إذن فالجهاد فرض عندما يقف مثلُ قاطع الطريق هذا في وسط الطريق .

- ومن أجل الحفظ والعون والنزال ، يأتى الرجل الشجاع إلى الطريق غير الآمن .

- ويظهر عرق الرجولة في ذلك الوقت الذي يلتقى فيه المسافر بالأعداء في الطريق .

---

[١] الشطرة الثانية بالعربية في المتن .

[٢] ج : ١٣ / ٢٠٨ :

- وكل شيء هالك إلا ذلك الوجه   فالملك والملكوت انعكاسان لذلك المالك
- وبالرغم من أن الظل انعكاس للمرء يا بنى   إلا أنك لن تستطيع أن تستفيد من ظل قط المالك
- ولا ظل يكون سائراً دون صاحبه   فامض إلى أصل الظل يا رفيق القافلة
- انتبه ولا تطلب من ظل المرء   ودعك من السبب وامض إلى المسبب
- فالصديق الجسمانى صائر إلى الموت   وصحبة شؤم ، يجب تركها

[٣] ج : ١٣/٢٠٩ :

- ودعك من الحجر والمدر اللذين لا وجود (حقيقى) لهما ، وامض صوب ذلك المنجم من أجل الجود

– ولما كان ذلك الرسول هو نبى السيف ، فإن أمته " تتكون " من شاقى الصفوف والفحول .

– فالمصلحة في ديننا هى الحرب والمعمعة ، والمصلحة في دين عيسى هى الغار والجبل[1] .

٥٠٠– قال " الصياد " : نعم إن كان هناك مئونة وقوة ، حتى يهجم بقوته على الشر والفتنة[2] .

– وعندما لا تكون قوة ، فمن الأفضل التوخى فتعلق آنذاك بيسر بقوله " الفرار مما لا يطاق " (من سنن المرسلين) !![3] .

– قال : " ينبغى صدق القلب في الأمور ، وإلا فان الأصدقاء ليسوا بقليلين بالنسبة لصديقهم " !!

– فكن صديقاً حتى ترى الأصدقاء بلا عدد ، ومن لا أصدقاء له يبقى بلا مدد .

– إن الشيطان بمثابة الذئب وأنت كيوسف ، فلا تترك جوار يعقوب أيها الصفى.

٥٠٥– والذئب في الأغلب آخذ لتلك الشاة التى تنبت عن القطيع وتسير وحدها .

– وذلك الذي ترك السنة مع الجماعة ، ألم يسفك دمه في هذا المكان الملئ بالوحوش ؟!!

---

(١) ج : ٢٠٩/١٣ :

– لقد أعطى لكل إنسان مصلحته على حدة ، فابحث عن المصلحة إن كنت رجل الله

(٢) ج : ١٣ / ٢٠٩ :

– فتنبغى قوة في هذا الطريق كالرجل ، وينبغى صديق في هذا المكان نسيج وحده

(٣) ج : ٢٠٩/١٣ :

– والصنعة هنا أيها العزيز الشهير ، وفكر وانظر إلى عاقبة الأمور

– فالسنة هى الطريق ، والجماعة هى الرفيق ، وتسقط في المضيق دون طريق ودون رفيق !![1] .

– وليس برفيق طريق الذي يكون خصماً للعقل ، فهو يهتبل الفرصة لكى يسلبك ثوبك .

– إنه يسير معك حتى يجد مكاناً خالياً يستطيع فيه أن ينهبك[2] .

٥١٠– أو يكون جبان القلب عندما يرى الخوف ، يلقى الدروس من أجل الرجوع .

– انه من جبن قلبه يخوف الرفيق ، فاعلم أن مثل هذا الرفيق عدو وليس ولياً[3] .

– إن الطريق هو تضحية بالروح وفي كل دغل ، آفة تدفع كل هلع هش الروح[4] .

– ومن هنا فطريق الدين ملئ بالمخاطر والفتن ، وهو ليس طريق كل مخنث الأصل .

---

[1] ج: ١٣ / ٢٠٩:

– وأفضل طريق هو طريق السنة والجماعة ، والجواد يسير جيداً مع الخيل .

–لكن لا تعتبر كل ضال رفيقا لك في السير ، ولا تعتبر الغافلين النيام أيقاظا .

[2] ج : ٢١٠/١٣ :

– وباحث عن رفيق طريق تجد منه المدد ،مشارك في القلب وفي الألم باحث عن الأحد

(٣)– انه يمضى معك من أجل نفعه ، حذار ولا تشرب من عسله فهو وخز

[4] ج : ٢١٠/١٣ :

– والصديق السئ حية فاهرب منه ، حتى لا يصب عليك السم ذلك السئ الطوية

– إنه يضل الرفيق عن الطريق ذلك القاطع للطريق ، ولا يكون رجلاً ذلك الذي يقع تحت أمره

- وفي الطريق ، هذا الخوف امتحانات للنفوس ، يكون كالمنخل في تمييز النخالة .

٥١٥- فما هو الطريق ؟ إنه الملئ بآثار الأقدام ، ومن هو الرفيق ؟ إنه سلم الآراء .

- ولأفرض أن الذئب لم يلحق بك لأنك احتطت له ، إنك بدون الجماعة لن تجد هذا السرور[١] .

- إن ذلك الذي يسير وحيداً وسعيداً في الطريق ، يكون مسيره مع الرفاق أضعاف مسيره " وحده " .

- والحمار مع غلظته أيها الفقير ، ينشط من رفاقه ويصير قابلا للقوة .

- وكل حمار يسير منبتا عن القافلة ، يكون ذلك الطريق عليه مائة ضعف من التعب .

٥٢٠- فهو يتعرض كثيرا للوخز والضرب بالعصا حتى يقطع وحيدا هذه الصحراء .

- وذلك الحمار يحدثك فاستمع جيدا ، يقول لك : إن لم تكن حمار لا تسر وحدك هكذا .

- وذلك الذي يسير سعيداً وحيدا في مفترق الطرق ، هو مع الرفاق يسير أكثر سعادة بلا شك .

- وكل نبى في هذا الطريق الصحيح ، أبدى المعجزة وبحث عن الصحاب .

- وإن لم تكن رفقة للجدران ، فمتى تقوم المنازل والمخازن .

---

(١) ج : ٢١٠/١٣ :

- ومتى يسير كل ضال في طريق الدين ، ينبغى حازم يكون رجل طريق .

٥٢٥- وإذا كان كل جدار قد انتصب وحيداً ، فكيف يكون السقف ؟! أيكون معلقا في الهواء ؟!

- وإن لم تكن رفقة بين المحبرة والقلم ، متى كانت الحروف تكتب على الأوراق ؟!

- وذلك الحصير الذي يبسطه إنسان ، إن لم يتصل ببعضه تحمله الريح .

- وعندما خلق الحق من كل جنس زوجين ، ظهرت الجماعة من نتاجهما .

- لقد قال هذا " الصياد " وقال هذا " الطائر " جدلا ، وطالت مناقشتهما في هذا المعنى .

٥٣٠- فاجعل " المثنوى " خفيفا ومرغوبـاً ، وأوجز ما حدث وأقصر في " قصه "[1] .

- قال " الطائر " بعد ذلك " لمن هذا القمح " ، قال : إنه أمانة من يتيم بلا وصى .

- إنه مال أيتام وأمانة عندى ، ذلك لأنهم يتوسمون فىّ الأمانة .

- قال : إننى مضطر وسئ الحال ، والميتة في هذه الحال لى حلال .

- هيا : لآكل من هذا القمح بإذنك أيها الأمين والزاهد المحترم !!

٥٣٥- قال : إنك الذي أفتيت بالضرورة ، وإذا أكلت بلا ضرورة صرت مجرماً !!

- وحتى وأن وجدت الضرورة فالعفاف أولى أيضاً ، وأن أكلت فلعلك تؤدى ضمانه .

---

(١) ج : ١٣ / ٢١١ :

- عندما وقعت أنظار الطائر على القمح ، نفد صبر نفسه وتفتحت

- فغاص الطائر في نفسه تلك اللحظة كثيرا ، وسحب جواده رأسه من جذب العنان .

- وعندما أكل ذلك القمح سقط في الفخ ، وقرأ سورتى " يس " و " الأنعام " عدة مرات .

- وبعد العجز والسقوط ما الأسف وما الآه ؟ كان هذا التفجع واجبا قبل الآن .

٥٤٠- وفي ذلك الزمان الذي يتحرك فيه الحرص والهوس ، داوم على الدعاء قائلا : يا مغيث !![1] .

- في تلك اللحظة ، أى قبل خراب البصرة ، ربما كانت البصرة تنجو من تلك الهزيمة .

- " ابك لى يا باكيى يا ثاكلى ، قبل هدم البصرة والموصل .

- نح على قبل موتى واغتفر ، لا تنح لى بعد موتى واصطبر

- ابك لى قبل ثبورى في النوى ، بعد طوفان النوى حل البكا "[2] .

٥٤٥- وفي ذلك الزمان الذي يصبح فيه الشيطان قاطع طريق ، ينبغى أن تقرأ يس .

- وقبل أن تصير القافلة بددا ، دق عصيك ذلك الزمان أيها الحارس .

حكاية ذلك الحارس الذي صمت حتى سلب اللصوص بضائع التجار تماما وبعد ذلك أخذ يطلق الصيحات ويقوم بواجب الحراسة

---

[1] ج : ٢١١/١٣ :

- قبل أن تجرح الحبة حلقك ، تصبح حرارة حرصك كالثلج

- تفجع وتألم في تلك اللحظة ، وشرد الحرص أيها الذكى .

[2] بالعربية في المتن .

[1] نام حارسٌ فسرق اللص المتاع ، ودفن البضائع تحت كل تل .

– وطلع النهار واستيقظت تلك القافلة ، فرأت أن البضائع والمال والإبل قد ضاعت[2] .

– ثم قالوا له : قل أيها الحارس ، ماذا حدث لهذه البضائع وأين هذا المتاع ؟!!

٥٥٠– فقال : لقد جاء اللصوص منقبين ، وسلبوا البضائع وأسرعوا من أمامي .

– فقال له القوم : يا من أنت مثل تل الرمل ، ماذا كنت تفعل ومن تكون إذن أيها الميتة ؟!!

– قال : كنت شخصا واحدا وكانوا جماعة مسلحة شجاعة ذات هيبة !!

– قالوا : إذا كان أملك في الحرب ضئيلاً ، فصح صيحة قائلا استيقظوا أيها الكرماء !!

– قال : لأبدوا في تلك اللحظة الخناجر والسيوف قائلين اصمت وإلا قتلناك دون إمهال .

٥٥٥– ففى تلك اللحظة أغلقت فمى من الخوف ، وفي هذه اللحظة الاستغاثة والصراخ والعويل .

– في تلك اللحظة انقطع منى النفس فلا أنبس ، والآن لأنبه بالقدر الذي تريدون.

– وعندما يسلب عمرك شيطان الافتضاح ، تكون الفاتحة والمعوذتان بلا طعم .

– وإذا كان الصراخ الآن بلا طعم ، فاعلم يقينا أن الغفلة أكثر غثاثة منه !!

---

[1] ج : ٢٢٥/١٣ :

– كان هناك حارس في إحدى القوافل ، كان حارسا على أموال ومتاع أولئك العظماء

[2] ج : ١٣ / ٢٢٥:

– والحارس آخذ في الصياح والتنبيه ، وقد تحمس وكأنه من قطاع الطرق

- وهكذا دوام على النواح أيها الغث ، قائلا : أنظر إلى الأذلاء أيها العزيز .

٥٦٠- فأنت قادر في وقت أو في غير وقت ، ومتى فاتك شئ أيها الإله !!

- إنه ملكُ " قائل " (لا تأسوا على ما فاتكم) ، فمتى يصير المطلوب في غير متناول قدرته ؟!!

تحويل الطائر وقوعه في الفخ إلى فعل الزاهد ومكره واحتياله ، وجواب الزاهد على الطائر

- قال ذلك الطائر ، هذا جزاء من يستمع إلى وسوسة الزهاد .

- قال الزاهد : لا بل هو جزاء ذلك الأحمق ، الذي يأكل أموال اليتامى ظلماً .

- ثم أخذ في النواح بحيث ارتعد الفخ والصياد ألماً .

٥٦٥- وأخذ يقول : لقد أنقصم ظهرى من تناقضات القلب ، فتعال أيها الحبيب واربت على رأسى .

- وتحت يدك تستريح رأسى ، فيدك آية في عطاء الشكر .

- ولا تحسر ظلك عن رأسى ، فأنا مضطرب وشديد الاضطراب !!

- فلقد جفا النوم عينيَّ ، حزنا عليك ، يا من يحسدك السرو والياسمين .

- فان لم أكن جديراً فماذا يكون لو أنك للحظة واحدة سألت عمن لا يستحق في حزنه ؟!!

٥٧٠- وأى استحقاق كان للعدم في حد ذاته ، حتى فتح لطفك مثل هذه الأبواب ؟!

- فهل آذى الكرم التراب الأجرب ؟ لقد وضع في جيبه عشرة جواهر من نور الحس .

- خمسة حواس ظاهرة وخمسة باطنة ، منها صارت النطفة الميتة بشراً .

– والتوبة دون توفيق منك أيها النور السامى ، ماذا تكـون إلا سـخرية مـن لحيـة التوبـة !!

– وأنك لتقتلع شوارب التوبة شعرة شعرة ، والتوبة ظل وأنت قمر مضئ .

٥٧٥– فيا من منك خرب حانوتى ومنزلى ، كيـف لا أنـوح عندمـا تضغـط علـى قلبى !!

– [١] وكيف أهرب ؟! ولا حى هناك بدونك ، ولا وجود لعبد دون ألوهيتك .

– فاقبض روحى يا من أنت أصل للروح ، ذلـك أنـى بدونـك صـرت ملـولا مـن الروح .

– اننى عاشق لفن الجنون ، وصرت ملولا من الفضل والذكاء .

– ومـادام الخجـل يمزقنـى فلأبـح بسـرى علـى المـلأ ، وكفـى مـن هـذا الصـبر والاضطراب والارتعاد !!

٥٨٠– كنت مختفيا في الحياء ، كالسجاف ، ولأقفز فجأة من تحت اللحاف !!

– أيهـا الرفـاق ، لقـد سـد الحبيـب الطريـق ، ونحـن غـزلان عرجـاء وهـو أسـد الشرى !!

– فما الحل سوى التسليم والرضا في كف الهزبر الورد سافك الدماء ؟!.

– إنه لا يأكل ولا ينام وكأنه الشمس ، ويجعل الأرواح دون طعام أو نوم .

– قائلا : تعال ... وكن أنا أو تخلق بخلقى ، حتى ترى وجهى في التجلى .

٥٨٥– وإن لم تكن رأيته فكيف صـرت مفتونـا هكـذا ؟! وكنـت ترابـا فـأصبحت طالبا للأحياء !!

---

[١] ج : ٢٢٨/١٣ :

– ما دامت أمورى لا تنتظم بدونك : متى يكون للأمور تمامها ؟!

- وإن لم يكن قد أعطاك القوت من حيث لا جهة ، فلماذا بقيت عين روحك " مركزة " على تلك الناحية ؟!

- إن القط عكف على الجحر ، لأنه صار مطعوما من ذلك الجحر .

- وقط آخر لا يزال يطوف على السطح ، لأنه وجد الطعام من صيد الطير .

- وصارت مهنة " النسج " قبلة لهذا ، وذلك الآخر يعمل حارسا من أجل الراتب .

٥٩٠- وثالث لا عمل له ، ووجهته اللامكان ، لأنك أعطيته القوت من تلك الناحية .

- إن عمله أنه صار مريدا للحق ، فقطعه عن كل عمل آخر من أجل عمله هذا .

- والآخرون كالأطفال يقومون باللعب هذه الأيام المعدودة حتى ليلة الترحال .

- والنؤوم الذي يهرب من اليقظة ، تغريه حاضنة الوسواس " الخناس " .

- قائلة له : امض فنم أيها الحبيب فلن نسمح أن يفزعك أحد من النوم .

٥٩٥- وأنت تقتلع نفسك من جذور النوم ، مثل ظمآن استمع إلى خرير الماء .

- وأنا خرير الماء أصل إلى أسماع الظامئين كالمطر من السماء .

- فانهض أيها الفاسق ، وأبد لهفتك ، فهذا خرير الماء وأنت ظمآن .. ثم تنام ؟!!

حكاية ذلك العاشق الذي جاء ذات ليلة إلى تلك الحجرة على أمل وعد المعشوق إذ واعدته فيها ، وانتظر شطرا من الليل ثم غلبه النوم ، وجاءت المعشوقة لإنجاز وعدها فوجدته نائما فملأت جيبه بالجوز وتركته نائما ومضت

- كان هناك عاشق فيما مضى من أيام ، كان في زمنه حافظا للعهد .

- وظل سنوات على أمل وصار قمره ، مهزوما ومغلوبا من مليكه .

٦٠٠- وفي النهاية ... من جد وجد ، والفرج يتولد من الصبر .

- قالت له محبوبته ذات يوم ، تعال الليلة ، فقط طبخت من أجلك لوبياء .

- واجلس في الحجرة كذا حتى منتصف الليل ، وأوافيك آنذاك دون طلب منك .

- فذبح الرجل أضحية ووزع الخبز ، عندما أطل قمره مما وراء الغمام .

- وفي الليل جلس في تلك الحجرة ذلك المحزون ، على أمل وعد ذلك الحبيب الحميم .

٦٠٥- وعند منتصف الليل جاءت فاتنته تلك بصدق وعد تلك الحبيبة.

- فوجدت عاشقها ممددا ونائما ، فمزقت جزءا من كم ثوبه .

- ووضعت عدة جوزات في جيبه ، قائلة : إنك طفل ، خذهذا والعب به النرد .

- وعندما استيقظ العاشق من النوم في الفجر ، رأى الكم والجوز .

- فقال : إن مليكنا كله صدق ووفاء ، أما ما يحدث لنا فهو منا .

٦١٠- فيا أيها القلب الذي لا ينام ، نحن آمنون من هذا " المصير " ، ونحن كالحرس ندق عصى الحراسة على السطوح !!

- وجوزنا قد تحطم في هذا المطحن ، وكل ما نقوله عن أحزاننا قليل !!

- ويا أيها العاذل كفاك دعوة لنا إلى أشغال العالم ، وبعد هذا قلل من نصح المجنون .

- إننى لن أسمع بعد إغواء الهجران ، لقد جربته ، فحتام أجربه !!

- وكل ما هو سوى الفتنة والجنون ، يعد غربة في هذا الطريق .

٦١٥- هيا وضع على قدمى هذا القيد ، فلقد حطمت سلسلة التدبير .

- وغير تلك الجدائل التى هى لحبيبى صاحب الإقبال ، لو أتيت بمائة غل حديدى أحطمها .

- أعشق ونخوة ؟!! لا يتفقان أيها الأخ ، ولا تقف أيها العاشق على باب الكبرياء والنخوة !!

- لقد حان الوقت الذي أصير فيه عريانا ، أترك الصورة وأصير بأجمعي روحاً.

- فتعال ، يا عدو الحياء والفكر ، فلقد مزقت حجب الخجل والحياء .

٦٢٠- ويا من عقدت بالسحر نوم الروح ، إنك قاسى القلب أيها الرفيق ، لأنك في هذا العالم .

- فهيا وأمسك بحلق الصبر واضغط عليه ، حتى يسعد قلب العشق ، أيها الفارس !!

- ومتى يسعد قلبه ما لم احترق ؟! يا من قلوبنا أهله ومنزله .

- إنك تحرق منازلنا ، فاحرقها ، فمن هذا الشخص الذي يقول : لا يجوز .

- احرقها تماما هذه الدار ، أيها الأسد الثمل ، فهكذا أولى بمنزل العاشق .

٦٢٥- وبعدها أجعل من هذا الحريق قبلة ، وذلك لأننى شمع أضئ بالاحتراق .

- واترك النوم الليلة أيها الأب ، ومر ليلة بحى الذين لا ينامون .

- وأنظر إليهم فقد صاروا مجانين ، وقتلوا بالوصل كالفراش .

- وانظر إلى سفينة الخلق هذه قد غرقت في العشق ، وحلق العشق تخاله قد صار أفعى !!

- أفعى غير مرئية سالبة للقلب ، والعقل كالجبل وهى " كالمغناطيس " !!

٦٣٠- وعقل كل عطار صار منتبها إليها ، أراق كل جعبة في النهر .

- قائلا : امض ، إنك لن تأتى من هذا النهر إلى الأبد ، " لم يكن حقا له كفوا أحد " .

- ويا أيها المزور ، افتح عينيك وانظر ، حتام تقول : لا اعلم هذا وذاك !!

- واخرج من وباء الاحتيال والحرمان ، وادخل في عالم الحى القيوم .

- حتى تصبح عدم رؤيتك رؤيـة مستمرة ، وتصبح كل عدم معرفتك معرفة دائمة .

٦٣٥- واعبر مرحلة السكر ، وكن واهبا للسكرْ ، وانتقل من هذا التلون إلى الاستواء معه !!

- فحتام تفخر بهذا السكر كفاك ، إن على باب كل حى كثيرا من السكارى .

- وإذا امتلأ العالمان بسكارى الحبيب ، لكانوا جميعا واحدا ، وهذا الواحد ليس بالهين .

- إن هذا من كثرته لا يجد ذلة ، ومن يكون الذليل ؟! عابد الجسد ، السائر إلى النار !

- [١] وإذا صارت الدنيا مليئة بنور الشمس ، متى تكون ذليلة تلك الحرارة حسنة السطوع ؟

٦٤٠- لكن اعلُ مع هذه الجماعة وتبختر ، ما دامت أرض الله واسعة ومهيأة .

- وهذا السكر وإن كان كالبازى الأشهب ، فهناك ما هو أسمى منه في الأرض المقدسة !!

- [٢] فاذهب وكن اسرافيل في تميزه ، واهبا للروح ثملا صانعا للسكارى .

- وعندما صار قلب الثمل ميالا إلى المزاح ، صار ديدنه أن يقول : لا أعلم هذا ، ولا أعلم ذاك !!

---

[١] ج : ١٣ / ٢٣٨ :

- وإذا كان العالم مغطى بضوء القمر ، متى يكون كاسدا أمام صاحب القلب .

[٢] ج : ١٣ / ٢٣٩:

- والثمل من الأبرار المقرب أفضل منه ، واسده بالنسبة للمقرب كالثعلب.

- فمن أي شئ قوله هذا،لا أعلم ولا أعلم ، حتى تقول من هو هذا الذي نعلمه ؟!

٦٤٥- إنه نفى من أجل الإثبات هذا الكلام ، اترك النفي وابدأ بما ثبت .

- انتبه ودعك من قول " ليس هذا " ، و " ليس ذاك " ، وقدم ما هو موجود بالفعل .

- واترك النفى ، وابعد نَفَس ذلك الوجود ، وتعلم هذا أيها الأب من ذلك التركى الثمل .

استدعاء الأمير التركي المخمور للمطرب وقت الصبوح وتفسير هذا الحديث : {إن لله تعالى شرابا أعده لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طابوا}... إلى آخره:إن الخمر لتجيش في دن الأسرار ∴ ليشرب كل مجرد من تلك الخمر قال تعالى : ﴿ إن الأبرار يشربون ... ﴾ هذه الخمر التي تشربها أنت حرام ∴ ونحن لا نشرب إلا الخمر الحلال جاهد حتى تصير وجودا من العدم ∴ وتصير ثملا بشراب الله

- انتبه أعجمى تركى وقت السحر ، ومن خمار الخمر ، طلب مطربا .

- إن مطرب الروح هو مؤنس السكارى ، ويكون نُقلا وقوتا وقوة للثمل .

٦٥٠- فإن المطرب يجرهم نحو السكر ، ثم يتذوق السكر من نفس المطرب .

- وذاك يحمل شراب الحق بذاك المطرب ، وهذا يتجرع شراب الجسد من هذا المطرب !!

- هذا وإن كان كلاهما عند الحديث يحمل لقباً واحداً ، لكن شتان بين " حسن " هذا و " حسن ذاك " !!

- وهناك لبس في اللفظ عند البيان ، لكن أين السماء من الحبل[1] .

---

[1] هنا تلاعب لفظي بين حبل " ريسمان " ؛ وسماء " آسمان " .

- والاشتراك في اللفظ دائما ما يقطع الطريق ، كاشتراك المؤمن والمجوسى في الجسد .

٦٥٥- والأجساد كالجرار مغلقة الفوهة ، ولكى تعلم ما في الجرة انظر إليها !!

- فجرة ذلك الجسد مليئة بماء الحياة ، وقدر هذا الجسد ملئ بالسم القاتل .

- فإذا نظرت إلى المحتوى فأنت ملك ، وإذا نظرت إلى الغلاف فأنت ضال .

- فاعلم أن اللفظ شبيه بهذا الجسد ، ومعناه في داخله شبيه بالروح .

- وعين الجسد دائما ما تكون ناظرة إلى الجسد ، وعين الروح ناظرة إلى الروح المليئة بالفنون !!

٦٦٠- ومن ثم فمن صورة ألفاظ المثنوى، يكون العاكف على الصورة ضالا ، أما المعنوى فهو مهتدى!!

- وقد قال في القرآن ... إن هذا القرآن يضل به كثيرا ويهدى به كثيراً .

- وبالله ، عندما ينطق العارف كلمة خمر ، متى تكون شيئا معدومافي رأيه ؟!

- ولما كان فهمك أن المقصود هو خمر الشيطان ، متى يمكن أن تتخيل خمر الرحمن ؟!

- إنهما شريكان : المطرب والشارب ، ذاك يأتى بذا وذا يأتى بذاك على وجه السرعة .

٦٦٥- إن من يعانون الخمار يشربون من نَفَس المطرب ، ويحملهم المطربون صوب الحان .

- ذاك رأس الميدان ، وهذه خاتمته ، وقد صار القلب كالكرة في صولجانه .

- والأذن إنما تمضى حيثما تمضى الرأس ، وإن كان في الرأس صفراء تتهوس بها .

– ثم يمضى هذان كلاهما إلــى فقـدان الوعـى ، ويصـير الوالـد والمولـود هنـاك واحدا .

– وعندما تصالحا معا السرور والألم ، أيقظ " تركينا " المطرب !!

٦٧٠– وبدأ المطرب ببيت وهو نعسان ، قائلا " أنلني الكأس يا من لا أراك !!

– أنت وجهى لا عجب ألا أراه ، غاية القرب حجاب الاشتباه .

– أنت عقلى لا عجب إن لم أرك ، من وقور الالتباس المشتبك .

– جئت اقرب أنت من حبل الوريد ، كم أقل يا يا نداء للبعيد ؟

– بل اغالطهم ... أنادى في القفار ، كى اكتم ما معى ممن أغار[١] [٢] .

دخول ضرير إلى منزل المصطفى ﷺ

وهرب عائشة رضى الله عنها من أمام الضرير ...

وقول الرسول ﷺ : لماذا تفرين ... إنه لا يراك ،

وجواب عائشة رضى الله عنها على الرسول ﷺ

٦٧٥– دخل ضريرٌ على الرسول ﷺ قائلا : يا واهب الزاد لتنور كل عجين .

– ويا أمير الماء ، إننى طالب السقيا ، المستغاث المستغاث يا ساقيى .

– وعندما دخل الضرير ، أسرعت عائشة من الباب على عجل من أجل الاحتجاب .

– ذلك أن تلك السيدة الطاهرة ، كانت تدرك أن الرسول يغار غيرة شديدة .

---

[١] بالعربية في المتن .

[٢] ج : ١٣ /٢٤٨ :

– هذا الكلام لا نهاية له أيها العزيز ، فاستمع إلى نقطة دقيقة يا صاحب التمييز .

– وكل من كان أكثر جمالاً فغيرته أشد ، ذلك أن الغيرة تحدث من الجمال أيها الأبناء .

٦٨٠– وعجائز النساء يهدين الزوج مخطية ، لأنهن عارفات بقبحه وشيخوخته وعجزه .

– ولما كان الجمال الأحمدى في الكونين ، " يستمد " من البهاء الإلهى العون .

– كان تنعم الدارين يصل إليه ، فكانت تلك الشمس المضاعفة تصاب بالغيرة .

– قائلة : لقد ألقيت الكرة في عطارد ، فخبئوا أيها النجوم وجوهكم .

– وافنوا في شعاعى الذي لا نظير له ، وإلا افتضحتم أمام نورى .

٦٨٥– إننى أغيب كل ليلة كرما ، ومتى أمضى ؟! إلا أننى أبدى أننى أمضى !!

– حتى تطيروا بدونى ليلا كالخفاش حول هذه الساحة .

– وحتى تعرضوا أجنحتكم كالطواويس ، وتصبحون ثملين معجبين بأنفسكم متمردين .

– ولا تنظرون إلى أقدامكم التى تصنع القبح ، مثل الحذاء الريفى الذي كان شمعا لإياز .

– ثم أبدى وجهى صباحا من أجل العقاب ، حتى لا تصيروا من " الأنية " من أهل الشمال .

٦٩٠– أترك هذا " الموضوع " فالكلام فيه يطول ، وقد نهى عن التطويل أمر " كن " .

امتحان المصطفى ﷺ لعائشة رضى الله عنها قائلا لها :

لماذا تحتجبين ؟! لا تحتجبى فهو أعمى لا يراك ،حتى يظهر له :

هل تفهم عائشة ضمير الرسول ﷺ أو أنها تقلد القول الظاهر

– قال الرسول ﷺ امتحانا لها ، إنه لا يراك ، فلا تحتجبى .

– فأشارت عائشة بيديها بما معناه : " إنه لا يرانى ولكنى أراه ".

– إن غيرة العقل على جمال الروح ، ملئ بالتشبيهات والأمثال عند هذا الكتاب الملئ بالموعظة .

– فمع كل هذا الخفاء الموجود للروح ، لماذا يكون العقل غيورا عليها إلى هذا الحد ؟!

٦٩٥– فممن تختفى أيها الغيور ، ذلك الذي نوره حجاب وجهه ؟!

– إن هذه الشمس تمضى دون نقاب ، وفرط نورها هو نقاب لوجهها .

– فممن تخفيها إذن أيها الغيور ، إن الشمس نفسها لا ترى منه أثراً !!

– إن الغيرة تزداد في جسدى إلى حد أننى أريد أن أختفى من نفسى !!

– ومن نار الغيرة الشديدة التى تهاجمنى ، أكون في حرب على عينى وأذنىَّ .

٧٠٠– فما دامت عندك هذه الغيرة أيتها الروح والقلب ، اغلق فمك إذن واترك القول !!

– وإننى أخشى إن صمت أن تمزق تلك الشمس الحجاب من ناحية أخرى !!

– إن قولنا هذا يكون أكثر ظهوراً في الصمت ، فمن منعه يكون الميل إليه في ازدياد .

– فان جاش البحر يصير جيشانه زبدا ، ويصير غليانا لقوله جلا وعلا " أحببت أن أُعرف " !!

– والحديث هو إغلاق لتلك الكوة ، وعين إبداء الكلام هو إخفاؤه !!

٧٠٥– فاصرخ كالبلابل مغرداً على وجه الوردة ، حتى تشغلهم عن شذى تلك الوردة !

– وحتى تنشغل آذانهم بالكلام ، ولا يتجه وعيهم إلى أريج الورود .
– وأمام تلك الشمس التى هى شديدة الضياء ، يكون كل دليل في الحقيقة قاطع طريق !!

حكاية ذلك المطرب الذي بدأ في مجلس الأمير التركي بهذا الغزل :

أأنت وردة أو سوسنة أو سروة أو قمر لا أدري

وماذا تريدين من هذا المولّه مسلوب القلب لا أدري

وصياح الأمير التركي له : قل ما تدريه ...

وجواب المطرب على الأمير

– وبدأ المطرب أمام التركى الثمل ، يغنى في إطار النغمات أسرار " ألست "
– لست أدرى أنت قمر أو وثن ، ولست أدرى ماذا تريدين منى
٧١٠– لست أدرى أي شئ أقوم به من أجلك هل أصمت أو أعبر عنك ؟!!
– والعجيب أنك لست منفصلة عنى ولست أدرى أين أنا وأين أنت .
– ولست أدرى كيف تقومين بجذبى ، كيف تجذبينى حينا إلى صدرك وحينا تمرغينني في الدم .
– وهكذا فقد بدأ القول بـ " لست أدرى " ، وجعل من " لست أدرى ... لست أدرى " لحنا !!
– وعندما جاوزت " لست أدرى " الحد بشكل عجيب ، اجتاحت قلب " تركينا " الحرارة !!
٧١٥– فقفز ذلك التركى وسحب هراوة ، حتى ينزل بها على رأس المطرب .
– فأمسك أحد قواده بالهراوة بيده ، وقال : لا ... إن قتل المطرب في هذه اللحظة أمر سئ .

– قال : إن تكراره هذا الذي لا حد له ولا طعم له ، بوخ لذتى فلأدق رأسه !!
– أيها الديوث ، لا تدرى ، إخسأ ، وأن كنت تعلم فادخل في الموضوع مباشرة.
– وقل أيها الأحمق ما تعلمه ، ولا تزد في " لست أدرى ... لست أدرى " !!
٧٢٠– وأنا أسألك من أين أنت ، أيها العنيد ، وأنت تقول : لا من بلخ ولا من هراة .
– [١]لا من بغداد ولا من الموصل ولا من طراز، وتمط في " لا " ولا طريقها طويل !!
– قل إذن : أنا من ذلك المكان " واخلص" ، فإن تفصيل المقصود هنا من البله.
– أو أسألك : ماذا أكلت على الإفطار ، فتقول لى : لا شراب ولا شواء !!
– [٢]لاقديد ولا ثريد ولا عدس ، قل إذن ما أكلته فحسب .
٧٢٥– فلماذا هذه الثرثرة الطويلة ؟! قال المطرب : لأن مقصودى خفى !!
– إن الإثبات ليفر من أمام نفيك ، فنفيت حتى تشم رائحة عن الإثبات .
– إننى أجعل هذا اللحن قائما على النفى ، وعندما تموت يحدثك الموت بالسر .

تفسير قوله ﷺ : موتوا قبل أن تموتوا

مت أيها الصديق قبل الموت إن كنت تريد الحياة

فإن إدريس من مثل هذا الموت صار إلى الجنة قبلنا

– لقد عانيت كثيرا ولا زلت في حجاب ، ذلك أنك لم تمت الموتَ الذي هو أصل الوجود .

---

[١] ج : ١٣/ ٢٦٨ :
– لا من الهند ولا من الروم ولا من الحبش ، ولا من الشام ولا العراق ولا باردين

[٢] ج : ١٣/٢٦٩ :
– لا بقول ولا جبن ولا بصل ، لا لبن ولا سكر ولا عسل

- وما لم تمت ، لا يكون المعاناة تامة ، وبدون أن تتم السلم لا تأتى إلى السطح .

٧٣٠- وعندما تكون درجتان ناقصتين من مائتى درجة ، يكون الساعى غير مسموح له بالسطح .

- وعندما ينقص الحبل الذي يبلغ مائة ذراع ذراعا واحدا ، متى يأتى ماء البئر في الدلو ؟

- إنك لن تجد الغرق في هذه السفينة أيها الأمير ، إلا عندما تضع فيها " المن " الأخير .

- فاعلم أن " المن " الأخير أصل فهو " طارق " ، وهو الذي يغرق سفينة الوسواس والغى .

- وتسطع شمس الفلك الأزرق ، عندما تقوم بإغراق سفينة الوعى .

٧٣٥- ومادمت لم تمت فقد صار نزع الروح طويلا ، فانطفئ في الصباح يا شمع طراز .

- فاعلم أن شمس الدنيا مختفية ، حتى لا تختفى نجوم " ذواتنا "

- واضرب نفسك بالهراوة ، وحطم " الأنية " ، ذلك أن عين الجسد هى قطنة في الأذن .

- إنك تضرب نفسك بالهراوة أيها الدنى ، وهذه الأنية هى انعكاس صورتك في فعالي .

- - قد رأيت صورتك في صورتى ، ونهضت لقتال نفسك .

٧٤٠- مثل ذلك الأسد الذي سقط في البئر ، لقد ظن أن خياله خصم له !!

- والنفى هو ضد الوجود بلا شك ، حتى تعلم من الضد قليلا عن الضد .

- ولا إعلان في هذا الزمان إلا لنفى الضد ، وفي هذه النشأة لا توجد لحظة بلا فخاخ .

- وإذا أردت أن تكون بلا حجاب يا ذا اللباب ، اختر الموت إذن ومزق الحجاب .

- ليس ذلك الموت الذي تمضى منه إلى القبر ، بل الموت التبديلى الذي تمضى منه في النور .

٧٤٥- لقد صار منه رجلا بالغا وماتت تلك الطفولة ، وصار " في بياض " الرومي ومحيت عنه صبغة الزنجى .

- وانقلب التراب إلى ذهب ، ولم تبق له الهيئة الترابية ، وانقلب الحزن إلى فرح ، ولم تبق أشواك الحزن .

- ومن هنا قال المصطفى ﷺ : يا باحثا عن الأسرار ، هل تريد أن ترى ميتا حيتا ؟!

- تراه حيا يمضى على الأرض كالأحياء ، وهو ميت ، صعدت روحه إلى السماء .

- ولروحه مسكن في الأعالى ، وإن يمت فلا انتقال لروحه .

٧٥٠- ذلك أنه قد انتقل قبل الموت ، وهذا يصبح مفهوما بالموت لا بالعقل .

- انه يكون نقلا ، لا كانتقال العوام ، لكنه انتقال من مقام إلى مقام .

- وكل من يريد أن يرى ميتا يمشى على الأرض عيانا هكذا ؛

- قل له انظر إلى أبى بكر التقى ، صار من صدقه أمير المحشرين .

- وانظر إلى الصديق في هذه النشأة ، حتى يزداد اعتقادك في الحشر .

٧٥٥- ومن ثم كان محمد مائة قيامة حاضرة ، ذلك أن حله وعقده ذابا في الفناء.

- إن أحمد هو المولود ثانية في الدنيا ، وكان هو مائة قيامة عيانا .

- وكانوا يسألونه عن القيامة قائلين : أيتها القيامة ، كم الطريق إلى القيامة .

- فكان يرد عليهم كثيرا بلسان الحال ، قائلا : أيسال إنسان من المحشر عن الحشر ؟!!

- ومن هنا قال ذلك الرسول ﷺ حسن الرسالة سر{ موتوا قبل الموت يا كرام} !!

٧٦٠- مثلما مت أنا قبل الموت ، وأتيت من ذلك الطرف بالصيت والصوت .

- فصر قيامة إذن ، ثم انظر إلى القيامة ، وهذا هو شرط رؤية كل شئ .

- فما لم تصر اياه ، لا تعلمه تماما ، سواءً كان ذلك " الشئ " أنوارا أو ظلما !!

- تصير عقلا ، فتعرف العقل بالتمام ، وتصير عشقا فتعلم ذبالة من العشق !!

- ولو كان هناك جدير" بالقول ، لقلت برهان هذه الدعوى بوضوح !!

٧٦٥- إن التين في هذا الناحية كثير جدا ورخيص ، إذا وصل طائر" آكل للتين و "نزل" ضيفا !!

- وفي كل العالم الناس جميعا من رجال ونساء لحظة بلحظة في نزع وموت .

- فاعتبر كلامهم هذا من قبيل الوصايا التي يقولها الأب لابنه تلك اللحظة .

- حتى تتأتى منه العبرة والرحمة ، وحتى تقتلع جذور البغضاء والحقد والحسد.

- فانظر بهذه النية إلى أقربائك ، حتى لا تحترق قلبك عند " معاناتهم " النزع وعند فقدهم .

٧٧٠- وكل آت آت ، فاعتبره حاضرا ، واعلم أن الحبيب في فقد وفي نزع !!

– وإذا صارت الأغراض حجابا لهذه النظرة ، فالق بهذه الأغراض خارجا من جيبك .

– وإن لم تستطع ، فلا تتوقف جامدا عند العجز ، واعمل أن مع العاجز معجزا قويا !!

– فالعجز قيدٌ قيدك ، فضع العين على القيد ، إذ ينبغى حله .

– ثم تضرع قائلا : يا هادى الحياة ، كنت طليقا ، فصرت مقيدا فمن أي شئ هذا ؟!

٧٧٥– أترانى جعلت القدم أكثر ثباتا في الشر ؟! بحيث أننى في خسر من قهرك لحظة بلحظة !!

– وهل كنت أصم عن نصائحك ؟! هل كنت أدعى أننى كاسر الأصنام وأنا صانعها ؟!!

– وهل ذكر صنعك أوجب أو ذكر الموت ؟ والموت كالخريف وأنت أصل الأوراق !!

– إن هذا الموت يدق الطبول لسنوات ، لكن أذنك تتحرك فجأة .

– وتتحدث الروح عند النزع : آه ... الموت ... فهل في هذه اللحظة فحسب يعرفك الموت بنفسه ؟!

٧٨٠– لقد أمسك الموت بحلقة عند الصياح ، وقد مزق طبلته من ضربه إياها بشدة !!

– لقد الزمت نفسك دقائق الأمور ، أتراك أدركت سر الموت هذه اللحظة فحسب ؟!

تشبيه المغفل الذي يضيع العمر ، وعند الموت

في تلك الشدة يأخذ في التوبة والاستغفار ، بقيام

شيعة حلب بالتعزية كل سنة في أيام عاشوراء

على بوابة إنطاكية ، ووصول شاعر غريب من

السفر وسؤاله قائلا : هذه الضجة أي تعزية تكون ؟!

– في يوم عاشوراء ، يكون كل أهل حلب على باب أنطاكية حتى الليل .

– يتجمع جمع عظيم من الرجال والنساء ، ويقيم مأتم تلك الأسرة " من آل البيت " .

– ويصرخ الشيعة وينوحون باكين ، في عاشوراء ، ذكرى كربلاء .

– ويعددون ذلك الظلم والبلاء الذي لقيه آل البيت من شمر ويزيد .

٧٨٥– وتمضى صياحتهم و " تهديداتهم " بالويل والثبور ، حتى تمتلئ بها الصحراء والوادى .

– فوصل شاعر غريب من الطريق يوم عاشوراء وسمع تلك الضجة .

– فترك المدينة واتجه إلى تلك الناحية ، بهدف البحث والتفتيش عن " سر " هذه الضجة .

– أخذ يمضى متسائلا بإمعان : ما هذا الحزن ؟ وعلى من أقيم هذا المأتم ؟!

٧٩٠– أهو رئيس عظيم ذلك الذي مات ؟ إن مثل هذا التجمع لا يكون بالشئ الهين !!

– حدثونى عن اسمه وعن ألقابه ، فأنا غريب ، وأنتم أهل هذا البلد !!

– ما اسمه ؟! وما عمله ؟! وما هى أوصافه ؟! حتى أنظم مرثية في مناقبه .

– ولانظم مرثية ، فأنا رجل شاعر ، حتى أحصل من هنا على الزاد والعطاء .

– فقال له أحدهم ... ماذا ؟! هل أنت مجنون ، إنك لست من الشيعة ، بل عدو لآل البيت .

٧٩٥– ألا تعلم أن اليوم عاشوراء ، وهو مأتم لروح تفضل " رجال " قرن بأجمعهم .

– وبالنسبة للمؤمن ، متى يكون هذا الحزن هينا ، أيكون عشق القرط بقدر عشق الأذن ؟!

– وبالنسبة للمؤمن فإن مأتم طاهر الروح ذاك ، أكثر شهرة من مائة طوفان لنوح .

قول الشاعر لنقطة دقيقة طعنا لشيعة حلب

– قال : نعم ... لكن أين عهد يزيد ؟! ومتى كان هذا الحزن ؟! ولماذا وصل هنا متأخرا ؟!

– لقد رأت عيون العميان هذه الخسارة وسمعت بها آذان الصم .

٨٠٠– فهل كنتم نائمين حتى الآن ، بحث تمزقون ثيابكم حداداً !!

– إذن فأقيموا العزاء على أنفسكم أيها النائمين ، ذلك أنه موت سئ هذا النوم الثقيل !!

– إن روح سلطان من السلاطين قد فرت من السجن ، فلماذا تمزق الثياب ، ولماذا نعض البنان ؟!

– ولما كان سيدا للدين ، يكون وقت سرور ذلك الوقت الذي كسر فيه القيد .

– لقد أسرع نحو سرادق الإقبال ، وألقى بالنير والغل .

٨٠٥– إنه يوم الملك والسرور والسلطان ، لو كان علمك بهم مثقال ذرة .

– وإن لم تكن عالما فامض وابك على نفسك ، ذلك أنك منكر للانتقال والمحشر

– ونح على قلبك ودينك الخربين ، الذي لا يرى إلا هذا التراب القديم .

– وإن كان يرى ، فلماذا لا يكون شجاعا مؤزرا مضحيا بالروح شبع العين ؟!

– فأين في وجهك النضرة من خمر الدين ، وإذا كنت قد رأيت البحر فأين الكف السخى ؟!

٨١٠– إن من رأى الجدول لا يبخل بالماء ، خاصة ذلك الذي رأى البحر والسحاب !!

تمثيل الرجل الحريص الذي لا يرى رزق الحق وخزائن الرحمة بنملة تكدح من أجل حبة وهي في بيدر عظيم وتسعى وترتعد وتسحبها بعجلة ولا ترى سعة ذلك البيدر

– إعلم أن النملة تكون مرتعدة من أجل حبة ، لأنها تكون عمياء عن البيادر الحلوة .

– أنها تسحب تلك الحبة بحرص وخوف ، إذا أنها لا ترى ذلك البيدر الكريم .

– ويقول لها صاحب البيدر : انتبهى .. يا من بسبب عماك انعدم الشئ أمامك

– لقد رأيت ذلك من بيادرنا ، بحيث تعلقت الروح بتلك الحبة

٨١٥– فيا من أنت في صورتك ذرة ، انظرى إلى عطارد ، وأنت نملة عرجاء ، فامض إلى سليمان !!

– إنك لست ذلك الجسم الذي رأيته ، وتنجو من الجسم إذا كنت قد رأيت الروح !!

– إن الإنسان رؤية والباقى لحم وجلد ، وكل ما رأته عيناه هو ذلك " المرئى "

– وإن دنا واحدا يغرق الجبل من القطر ، إذا كانت عين هذا الدن مفتوحة صوب البحر !!

– وعندما تكون روح الدن متصلة بالبحر ، فإن الدن يزرى بجيحون .

٨٢٠– ولهذا السبب ، يكون نطقه كنطق البحر ، كل من يكون متحدثا بالنطق الأحمدى .

– تكون كل أقواله درر بحر ، وذلك أن قلبه متصل بالبحر .

– وعطية البحر لما كانت من دننا ، فأى عجب أن يستوعب البحر في سمكة ؟!

– إن عين الحس قد تجمدت على الممر ، إنك تراه ممرا لكنه يراه مستقرا !!

– إن هذه الأثنينية من أوصاف رؤية الأحول ، وإلا فإن الأول آخر ... والآخر أول !!

٨٢٥– [1] انتبه !! من أى شئ يكون هذا معلوما ؟! من البحث ، فابحث عن البعث ، وكفاك جدلا في البحث!!

---

[1] ج : ١٣ /٣٢٦ ودعك من صورة الدن وانظر فى الدن ففيه بحر دون بداية ونهاية

إنه طاهر من البداية والنهاية تلك المياه العذبة ومن قهرها المحرومون فى عذاب

فاعلم أن هذا الدن هو البحر يقينا تحيا منه سواء الأرض والسماء

وصار بحرا ثانيا فى عين الوصال وصار من الجهة إلى لا جهة فى عين الوصال

بل صارت له الوحدة من الوصال وصار خطابه هو خطاب ذى الجلال

وبعد ذلك يقول أنا الحق كالمنصور حتى يصبح ممتطيا مشنقة الشهرة

وحتى يظهر مثل ذلك السر فى الدنيا ويصبح المقبل ماهرا فى البحث

وحتى يزيد فى جهاده وسعيه حتى يتيسر له رؤية " هو "

[illegible] ... رون داخله كجدون وبلا اثنينية صار واحدا فى بحر الروح

- وشرط يوم البعث ، هو الموت في البداية ، ذلك أن البعث هو إحياء الميت .

- ومن هنا أخطأ كل العالم الطريق ، إنهم يخافون العدم ، والعدم هو الملاذ .

- من أين نبحث عن العلم ؟! من ترك العلم ، ومن أين نبحث عن السلم ؟ من ترك السلم !!

- ومن أين نبحث عن الوجود ؟! من ترك الوجود ... ومن أين نبحث عن التفاح ؟! من ترك اليد !!

٨٣٠- وهو أنت يا نعم المعين ، الذي تستطيع أن تجعل البصيرة الناظرة إلى المعدوم ، مبصرة للموجود !!

- والبصيرة التى أبدعت من العدم ، رأت المعدوم كله ذات الوجود !!

- وتصير هذه الدنيا المتسعة محشرا ، إذا بدلت العينان وصارتا أكثر نوراً .

- ومن هنا تبدو هذه الحقائق غير تامة ، إذ أن فهمها حرام على هؤلاء السذج .

- ونعمة الجنان الحلوة صارت محرمة على نزيل جهنم بالرغم من أن الحق سخي .

٨٣٥-فان شهد الجنان يكون مرا في فمه ، لأنه لم يكن من الأوفياء لعهد الخلد .

- ألستم تقومون بنفس الأمر في التجارة ؟! ومتى تتحرك اليد إن لم يكن ثم مشتر ؟!!

- ومتى تكون نظرة أهل الشراء مثل نظرة أولئك الذين يتجولون من أجل الخداع ؟!

- أولئك الذين يلحون في السؤال ... بكم هذا وبكم ذاك ؟! من أجل تمضية الوقت والسخرية " من الخلق" ؟!

- إن " أحدهم " ليطلب منك البضاعة من ملله ، وليس ذلك الشخص بالمشترى الباحث عن البضاعة .

٨٤٠- لقد رأى السلعة وردها ، فمتى قاس الثوب ، لقد قاس الريح ؟!

- فأين حماس المشترى وحركته وإقدامه من مزاج الهازل العابث ؟!

- ومادام لا يمتلك حبة واحدة " من الذهب " ، فأى طلب منه " لشراء " جبـة إلا من أجل الهزل.

- وليس له في التجارة رأس مال ... ومن ثم فسواء شخصه الكريه والظل .

- والمال في سوق هـذه الدنيا هـو الذهـب ، والمـال هنـاك هـو العشـق وعينـان دامعتان .

٨٤٥- وكل من ذهب إلى السوق بلا مال ، أضاع العمر ، وعاد منه سريعا وهو ساذج .

- " وعندما تسأله " : هيا أيها الأخ ... أين كنت ؟! فيقول : لا فـي مكـان قـط ، هيا ، ماذا طبخت من أجل الطعام ؟ لا شئ !!

- فصر مشتريا حتى تتحرك يدى ، وينتج الياقوت منجمى الحامل" بالجواهر " .

- ومهما كان المشترى واهنا غثا ، ادعُ إلى الدين ، فالدعوة واردة .

- وطير البازى ، وصد حمام الروح ، وتوخ في الدعوة أسلوب نوح .

٨٥٠- وداوم على الخدمة من أجل الله ، فما شأنك بقبول الخلق أوردهم ؟!

قصة ذلك الشخص الذي كان يدق للسحور على باب قصر في منتصف الليل ... فقال له الجار : إن الوقت هو منتصف الليل آخر الأمر ، وليس وقت السحر ، وثانية فإنه لا أحد في القصر ، من أجل من تدق ، وجواب " المطرب " عليه !!

- كان أحدهم يدق للسحور على باب ، كان عتبة عظيم ورواقه .

– أخذ يدق للجسور في منتصف الليل بجد ، فقال له قائل : يا طالب المدد ؛

– أولاً : دق من أجل هذا السحور عند السحر ، ولا تكون هذه الضجة والجلبة عند منتصف الليل ؛

– وثانيا افهم أيها المتهوس ، أثمة أحد يوجد داخل هذه الدار .

٨٥٥– فلا أحد هنا إلا الجن والشياطين ، فلماذا تضيع أيامك عبثاً ؟!

– إنك تنقر الدف من أجل أذن ، فأين الأذان ؟ وينبغى ذهن حتى يعلم ... وأين " ذلك " الذهن ؟!

– قال " تحدثت ؟! فاسمع من تابعك الجواب ، حتى لا تبقى في حيرة واضطراب .

– إذا كان الوقت بالنسبة لك هو منتصف الليل ، فان الصبح بالنسبة لى قد اقترب .

– إن كل هزيمة بالنسبة لى صارت نصرا ، وكل الليالى صارت أمام عينى نهاراً !!

٨٦٠– إن ماء النيل هو دم بالنسبة لك ، وهو عندى ليس دما بل ماء ، أيها النبيل .

– وذلك في رأيك حديد ورخام ، لكنه عند داود النبى شمع يلين .

– وأمامك الجبل ثقيل جدا وجماد ، لكنه أمام داود مطربٌ واستاذ .

– وفي رأيك أن ذلك الحصى ساكت ، لكنه أمام أحمد فصيحٌ وقانت .

– وأمامك جذع المسجد من قبيل الميتة ، لكنه أمام أحمد عاشق مسلوب الفؤاد .

٨٦٥– وكل أجزاء الدنيا أمام العوام ميتة ، لكنها أمام الله عالمة منقادة .

– وما قلته أنه لا يوجد أحد في هذه الدار ، فلماذا تدق هذا الطبل ؟!

- إن الناس من أجل الحق يهبون هذه الأموال ، ويضعون أسس المئات من أبنية الخير والمساجد .
- ويضحون بأموالهم وأجسادهم في طريق الحج الطويل بسعاده كالعشاق الثملين .
- فهل " سمعتهم " يقولون قط إن هذا البيت فارغ ؟! بل إن صاحب الدار حبيب خفى كالروح " لا تدركه الأبصار " !!

٨٧٠- إنه يرى دار الحبيب مليئة ، ذلك الذي له ضياء من نور الإله .

- ومن ثم فالدار المزدحمة المليئة بالناس ، تكون فارغة أمام الناظرين إلى العواقب .
- وكل من تريده ، إبحث عنه في الكعبة ، يطلع أمام وجهك في التو واللحظة .
- والصورة التى تكون فاخرة وعالية ، متى تكون خالية من بيت الله ؟
- إنه يكون حاضرا منزها عن الإقصاء ، وبقية الناس محتاجون إليه .

٨٧٥- " وهل سمعتهم " قط يقولون أن قولنا لبيك ، لماذا نقوم به آخرا دون أن ينادينا أحد ؟!

- بل التوفيق الذي يأتى بـ " لبيك " هو في كل لحظة نداء من الأحد !!
- وأنا أعلم بالشم " والفراسة " أن هذا القصر ... هو ملهى للروح وترابه كيمياء .
- وإننى أعرض نحاسى على كيميائه حتى الأبد عن طريق " وترى " الجهير والخفيض .
- حتى يغلى من دق هكذا من أجل السحور ، في نثر الدر وعطاء البحور .

٨٨٠- والخلق في صف القتال ومعمعة ، لا يزالون يضحون بالأرواح من أجل الخالق .

- وأحدهم في البلاء كأنه أيوب ، وآخر في الصبر كأنه يعقوب .

- [١] ومئات الآلاف من الخلق الظامئين المحتاجين يجاهدون طمعا من أجل الحق .

- وأنا أيضاً من أجل الرب الغفور ، أدق على الباب للسحور رجاءً فيه .

- إنك تريد مشتريا تأخذ منه الذهب ، ومن يكون - أيها القلب أفضل من الحق مشترياً .

٨٨٥- إنه يشترى مما تملك كيسا نجسا ، ويعطيك نورا مضمرا فيك يقتبس " من نوره " !!

- ويأخذ هذا الجسد الفانى كالثلج ، ويعطيك ملكا خارجا عن أذهاننا .

- ويأخذ عدة قطرات من الدمع ، ويعطى كوثرا يزرى بالشهد .

- ويأخذ آهة حرى مليئة بالرغبة والحزن ، ويعطى من أجل كل آهة مائة من جاه النفع !!

- [٢] وأليست ربح الآهة التى ساقت الدمع من سحاب العين هى التى سمت الخليل أواها ؟!

---

[١] ج : ١٣ / ٣٣٧ :

- وأحدهم كنوح في غم وكرب ، وآخر كأحمد في صف الحرب

- وهذا من الدنيا على حذر كأنه أبو ذر ، وآخر في استقامته كأنه عمر .

[٢] ج : ٣٣٧/١٣ :

- فهات النقد حتى تربح منه ، واترك النسيئة حتى لا تخسر .

٨٩٠- فهنا في هذا السوق الرائج الذي لا نظير له ، بع الأشياء القديمة ، وخذ الملك الحاضر .

- وإن قطع عليك الطريق ريب وشك ، فاجعل التجار الأنبياء مسنداً " لك " .

- ومن كثرة ما زاد ذلك المليك إقبالهم ، لا يستطيع الجبل أن يتحمل متاعهم ..

قصة قول بلال ﷺ أحد أحد في حر الحجاز

محبة للمصطفي ﷺ في تلك الظهيرات إذ كان

سيده خلالها يضربه من تعصبه اليهودي بفروع الشوك

تحت شمس الحجاز ، ومن الجراح كان الدم يفور من جسد بلال

وكان يصيح أحد أحد بلا قصد كما يخرج الأنين

من المتألمين الآخرين بلا قصد لأنه كان ممتلئا بألم العشق

ولم يكن هناك اهتمام بدفع ألم الشوك مثل سحرة فرعون

ومثل جرجيس عليه السلام وغيرهم لا يعد ولا يحصى

- كان بلال ذاك - يجعل الجسد فداء للشوك ، وكان سيده يضربه " به " عقاباً .

- قائلاً له : لماذا تقوم بذكر أحمد ، فهل أنت منكر لديني يا عبد السوء ؟!

٨٩٥- كان يضربه في هجير الشمس بالشوك ، وكان يقول " أحد ... أحد " مباهياً !!

- حتى حدث أن " الصديق " كان يمر من تلك الناحية ، فبلغت سامعه صيحات أحد ... أحد .

- فدمعت عيناه ، وتألم قلبه ، فقد كان من " أحد " تلك يجد رائحة مألوفة لديه .

- ثم رآه بعدها في خلوة فنصحه قائلا : اعتقد ما شئت لكن خفية عن اليهود .

– وهو عالم السر ، فاخف خطوك ... قال : تبت أمامك أيها الهمام .

٩٠٠– وفي اليوم التالى كان الصديق يمر فجرا مسرعا في تلك الناحية من أجل عمل ما ؛

– فسمع ثانية كلمة " أحد " من الضرب بالشوك ، فاندلع من قلبه اللهب والشرر

– ونصحه ثانية ، وكرر بلال توبته ، وحل العشق وابتلع توبته هذه .

– وكثرت توبته على هذا النمط ، وفي النهاية ضاق من التوبة .

– وأعلن " اعتقاده " واسلم جسده للبلاء ، صائحا : يا محمد ياعدو التوبات .

٩٠٥– يا من جسدى وعروقى مملوءة بك ، فأى مكان فيه بعدها يسع التوبة ؟!!

– فأخرج التوبة من الآن فصاعدا من القلب ، فكيف أتوب إذن عن حياة الخلد ؟

– إن العشق قهار وأنا مقهور للعشق ، لقد صرت حلوا كالسكر من مرارة العشق .

– إننى قشة أمامك أيها الإعصار ، فأى علم لى إذن أين أسقط ؟!

– فسواء كنت هلالا أو كنت بلالا فإننى أسرع ، واصير تابعا لك ،

٩١٠– وأى شأن للقمر مع السمنة والنحول ، إنه يسرع في أثر الشمس كالظل .

– فإن كل من يفر مع القضاء ، إنما يكون ساخرا من نفسه .

– أقشة في مهب الريح ثم قرار ؟! أقيامة ثم عزم على العمل ؟!

– إننى فى يد العشق قط في جوال ، لحظة في علو وأخرى في انخفاض من العشق !!

– وهو يديرنى حول رأسه ، فلا راحة لى إن كنت أسفل ولا راحة لـى إن كنـت أعلى !!

٩١٥– لقد سقط العشاق في سيل مندفع ، وانتظروا ما يفعله بهم قضاء العشق .

– وكـأنهم حجـر طـاحون فـي دوار ، دائـرون ليـل نهـار، نـائحون بـلا قـرار .

ودورانه شاهد على الجدول الكلى " جدول الجداول " ، حتى لا يقـول أحـد إن ذلك الجدول راكد .

– فإن كنت لا ترى الجدول المختفى ، فانظر إلى ساقية الفلك في دوران .

– فإن لم يكن للفلك قرار فيه ، فلا تبحث أيها القلب عن الاستقرار كالكوكب .

٩٢٠– فإن تشبثت بغصن في يدك متى يتركـه " العشـق " ؟! وحيثمـا تقيـم صلـة يحطمها " العشق " .

– وإن لم تكن ترى تدوير القدر ، فانظر إلى العناصر في فوران ودوران .

– ذلك أن دوران ذلك القذى والزبد ، يكون من جيشان البحر ذى الشرف .

– وانظر إلى الرياح الحائرة في هزيم ، وانظر إلى موج البحر في جيشـان أمـام أمرها .

– والشمس والقمر ، ثورا طاحون ، يدوران ويقومان بالحراسة .

٩٢٥– والكواكب لا تزال تسرع من منزل إلى منزل ، وتصير مركبا لكـل سـعد ونحس .

– فإذا كانت كواكب الفلك بعيدة وحواسك هذه كسول واهنة ضعيفة .

– فأين تكون كواكب أعيننا وآذاننا ووعينا ليلا ؟ وأين تكون عند اليقظة ؟!

– فهى حينا في سعد ووصال وهناء ، وحينا في نحس الفراق وانعدام الوعى !!

– ولما كان قمر الفلك في هذا الدوران ، يكون حينا مظلما وحينا مضيئاً .

٩٣٠– وأحيانــــا ربيـع وصيـف كالشـهد واللبـن ، وأحيانــا دار عقــاب الــبرد والزمهرير .

– فإذا كانت الكليات أمامه كأنها الكرة مسخرة لصولجانه وساجدة له ؛

– فيا أيها القلب الذي تعتبر جزءاً من مائة ألف جزء منها ، لماذا لا تكـون أمـام حكمة ساكناً ؟

– كن كالدابة تحت حكم الأمير ، حينا محبوسة في الإصطبل ، وحينا في مسير

_ وعندما يربطك إلى الوتد كن مربوطاً ، وعندما يحـل عنـك القيـد ، امـض ... وكن مسرعاً .

٩٣٥– والشمس في الفلـك عندمـا تمضـى باعوجـاج ، يعاقبهـا بالكسـوف وسـواد الوجه .

– قائلا لها : تجنبى الذَنَـب ، انتبهـى ، حـذار ، حتـى لا تصـيرى سـوداء الوجـه كالقدر .

– كما أنه يضرب السحاب بسوط نارى ، قائلا له : سر على ذلك النسق لا على هذا النسق .

– أمطر على وادى كذا ولا تمطر على هذه الناحية ، وينزل عليـه العقـاب قـائلا له : استمع .

– وليس عقلك بأعظم من الشمس ، فلا تقف عند هذه الفكرة التي ورد فيها النهى .

٩٤٠– ولا تضع خطوك في الضلال أيضاً أيها العقل ، حتى لا يحدث لك أيضاً ذلك الكسوف .

– وعندما يكون الذنب أقل ترى نصف الشمس في كسوف ونصفها الآخر مشعا بالضياء .

– قائلا لها : إننى آخذك بقدر جرمك ، وهذا هو المقرر في العطاء والجزاء .

– وسواءٌ كنت طيبا أو شريراً ، فاشيا أو مستورا ، فإننى سميع وبصير بكل الأشياء .

– ودعك من هذا أيها الأب فقد حل النوروز ، وصار الخلق من الخلاق ... حُلوى الفم .

٩٤٥– ولقد عاد ماء الروح في جدولنا ، وعاد مليكنا إلى حينا .

– والإقبال يتبختر ويبسط رداءه ، ويدق نوبة النكوص عن التوبة .

– لقد جرف السيل التوبة مرة أخرى ، وحانت الفرصة ، فقد غلب الحارس النوم .

– وكل ساقى للخمر ثمل ،معاقر للخمر ، والليلة سوف نرهن متاعنا .

– ومن ذلك الشراب الياقوتى الذي ينعش روح الروح ، نحن ياقوتٌ في ياقوتٍ في ياقوت !!

٩٥٠– وثانية ، أصبح المجلس المضيء للقلب سعيداً ، فانهض واحرق العود دفعا لعين السوء .

– وإن عربدة السكارى تقع منى وقعا حسنا ، فليدم لى هذا الأبد – كما ينبغـى – أيها الحبيب .

– لقد صار هـلال حبيبا لبـلال ، فصـارت جـراح " عصـى " الشـوك منـه وردا وزهر رمان .

– فـإذا كـان الجسـد قـد صـار مـن وخـز الشـوك غربـالا ، فقـد صـارت روحـى وجسدى روضتى إقبال .

– إن الجسد " موجود " أمام طعنات شوك ذلك اليهودى ، وروحـى ثملـة مهدمـة بذلك الودود .

٩٥٥– إن رائحة حبيب تصل صوب روحى ، وتصل رائحة الحبيب الحنون .

– ومن صوب المعراج ، اقبل المصطفى ... إلى بلاله ،، حبذا لى حبذا .

– وعندما سمع الصديق من بلال صادق النفس هذا القول ؛ نفض اليد من توبته.

رؤية الصديق ﷺ واقعة بلال ﷺ

وجور " اليهود " عليه وقوله " أحد أحد " وازدياد حقد اليهود عليه

ورواية هذا الأمر للمصطفى ﷺ واستئذانه في شرائه من اليهود !!

– ثم إن الصديق قص للمصطفى ﷺ عن أحوال بلالٍ الوفى .

– و قال له " إن ذلك الذي قطـع الأفـلاك ، ميمـون القـوادم ، الجَلـدْ ، هـو هـذه اللحظة في فخك ، وعاشق لك .

٩٦٠– وبازى السلطان في عناء من ذلك البوم ، وذلك الكنز العظيم صار مدفونا في الغائط .

– إن البوم يجور على البازى ، ويقوم باقتلاع جناحه وقوادمه دون ذنب .

- وجرمه هو أنه بازى فحسب ، فماذا كان جرم يوسف ﷺ غير الحسن ؟.
- إن موطن البوم ، ومسكنه هو الخراب ، ومن هنا فلديهم على البازى غضبُ اليهود .
- [1] قائله له : لماذا تذكر تلك الديار ، أو تذكر القصر وساعد السلطان .

٩٦٥- إنك تقوم بالفضول في ديار البوم ، وتثير الفتنة والاضطراب .
- ومسكننا الذي أزرى بالأثير ، تدعوه بالخرابة ، وبالإسم الحقير .
- إنك تقوم بالمكر لعل بومنا يجعل منك ملكا وإماماً .
- إنك تلقى فيهم بالهموم والسوداء ، وتسمى هذا الفردوس خرابة .
- فلنضربك على رأسك بضع ضربات يا سئ الصفات ، حتى تقلع عن المكر والترهات .

٩٧٠- إنهم يصلبونه أمام الشمس ، ويضربونه بفروع الشوك وهو عارى الجسد
- وينبثق الدم من مائة موضع من جسده ، وهو يقول " أحد ... أحد " ويطأطئ رأسه .
- وقد نصحته كثيرا وقلت له : اكتم دينك ، واخف سرك عن أولئك اليهود الملعونين .
- إلا أنه عاشق ، حلت به القيامة ، حتى أغلق باب التوبة أمامه .
- أعشقٌ وتوبة وإمكان الصبر ، إن هذا محالٌ أيها الحبيب وصعبٌ جداً .

٩٧٥- إن التوبة بمثابة الدودة والعشق كالأفعى ، إن التوبة وصف للخلق ، أما العشق فهو وصف لله .

---

[1] ج : ٣٨٨/١٣ :

- قائلة له لماذا تذكر مرزعة الشقائق والروضة ومجرى النهر

– إن العشق من أوصاف الله الغنى ، أما العشق لغيره فيكون مجازا .
– لأن ذلك الغير حسنه مطلى بالذهب ، إن ظاهره نور لكن باطنه دخان .
– وعندما يمضى النور ويصير الدخان ظاهرا ، يبوخ العشق المجازى ذلك الزمان .
– [١] يعود ذلك الحسن صوب أصله ، ويبقى الجسد بدونه نتنا مفتضحا سيئاً .
٩٨٠– ويمضى نور القمر صوب القمر ، ويمضى انعكاسه عن الجدار الأسود .
– ويبقى الماء والطين دون هذه الزينة ، ويصير ذلك الجدار بدون القمر كالشيطان .
– والزيف الذي فر الذهب من وجهه ، وعاد وقبع في منجمه .
– يبقى نحاسا مفتضحا كالدخان ، ويبقى عاشقه أكثر افتضاحاً منه .
– إن عشق المبصرين يكون لمنجم الذهب ، فلا جرم أنه يزداد يوما بعد يوم .
٩٨٥– ذلك أن منجم الذهب لا شريك له في احتوائه عليه ، فمرحبا يا منجم الذهب الذي لا شك فيه .
– وكل من يجعل الزيف شريكا للمنجم ، فإن الذهب يمضى عنه إلى منجم اللامكان .
– والعاشق والمعشوق ماتا دهشة واضطرابا ، كسمكة بقيت بعد أن ذهب الماء عن النبع .
– أما العشق الربانى فهو شمس الكمال ، والأمر هو نوره والخلق كالظلال. [٢]

---

[١] ج : ١٣ /٣٨٩ :
– وعندما يظهر الدخان الذي يزيد الغم ، ينوح ، فلا عشق يبقى ولا هوى !!
[٢] من هنا في نسخة جعفرى بعد العنوان التالى .

- وعندما تهلل المصطفى من هذه القصة سعيداً ، ازدادت الرغبة عند الصديق في الحديث .

٩٩٠- وعندما وجد مستمعا كالمصطفى ﷺ، صارت كل شعرة فيه لسانا ، على حدة .

- وقال له المصطفى ﷺ : والآن ، ما الحل ؟، قال " الصديق " : إن عبد الله الماثل أمامكم سوف يشتريه .

- سأشتريه مهما طلب سيده من ثمن ، ولن أنظر في الخسارة والغبن الظاهرين.

- فهو أسير الله في الأرض ، وغضب عدو الله مسلط عليه .

وصية المصطفى ﷺ للصديق رضي الله عنه

قائلا : عندما تصبح مشتريا لبلال مهما زادوا من غضبهم في الثمن ، فاجعلني شريكك في هذا الفضل وكن وكيلي وخذ مني نصف الثمن

- قال له المصطفى ﷺ يا باحثا عن الإقبال ، سوف أصير شريكا لك في هذا الأمر .

٩٩٥- وكن وكيلى ، فالنصف على ، واشتره ، واقبض منى الثمن .

- قال : سمعا وطاعة، وذهب في التو واللحظة ، إلى منزل ذلك اليهودى الذي لا أمان له .

- وقال لنفسه : إن شراء الجواهر من أيدى الأطفال أمر بالغ السهولة أيها الأب

- إن الشيطان الغول يشترى العقل والإيمان بملك الدنيا من هؤلاء الأطفال المخدوعين .

- إنه يزين الجيفة بحيث يأخذ منهم في مقابلها مائتى بستان .

١٠٠٠- إنه يقيس ضوء القمر بسِحره ، ويختطف من الأخساء مائة كيس في مقابله .

– فعلمهم الأنبياء التجارة ، واشعلوا أمامهم شمع الدين .

– والشيطان ، والغول الساحر من سحرهما وحيلهما ، قاما بتقبيح الأنبياء في نظرهم .

– إن العدو يقبح " الأمور " بسحره ، حتى يقع الطلاق بين الزوج وزوجه .

– لقد خالطوا عيونهم بسحر ما ، حتى باعوا ذلك الجوهر بالغثاء .

١٠٠٥– إن هذا الجوهر أسمى من العالمين ، هيا اشتره من هذا الطفل الجاهل ، فهو حمار .

– فأمام الحمار ، يستوى الجوهر وخرز الحمار ، فهذا الحمار يشك في الدر والبحر .

– إنه ينكر البحر وما فيه من جوهر ، فمتى يكون الحيوان باحثا عن الدر والحلى ؟!

– إن الله لم يضع في خلقة الحيوان ، أن يكون مفكرا في الياقوت أو عابدا للجوهر .

– فهل رأيت قط قرطا عند الحُمُر ؟! بل إن أذنه وعينه كله منصرفان إلى المرعى .

١٠١٠– فاقرأ " أحسن التقويم " في سورة التين ، فهى جوهر عزيز تلك الروح ، أيها الصديق .

– إن أحسن التقويم هذه تعلو على العرش ، " وأحسن التقويم " خارج ما يعن لفكرك .

– ولو قلت قيمة ذلك الذي يمتنع " عن التقييم " ، لاحترقت أنا كما يحترق المستمع .

– فاصمت هنا ، ولا تسق حمار " فكرك " إلى هذه الناحية ، لقد ذهب الصديق إلى أولئك الحمير .

– ودق حلقة الباب ، وعندما فتح الباب ، دخل بلا وعى دار ذلك اليهودى .

١٠١٥– وجلس فاقد الوعى ثمل الرأس ممتلئا بنار " الغضب " ، وانطلق من فمه كلام شديد الإيلام .

– قال : كيف تضرب ولى الله هذا ؟! ما هذا الحقد ، يا عدو الضياء .

– فإن كنت صادقا في دينك ، كيف يطاوعك قلبك على ضرب " هذا " الصادق

– فيا من أنت " أنثى " في دين اليهود ، بحيث تظن نفس هذا الظن في أحد أمراء " الدين " .

– فلا تنظر إلى جميع " الناس " بمرآتك التى تجعل " الأمور " معوجة ، أيها المردود ، والملعون إلى الأبد .

١٠٢٠– وإن ما صدر في تلك اللحظة من فم الصديق ، لو أننى قلته لعقدت أنت اليد والقدم .

– إن ينابيع الحكم تلك كأنها الفرات ، منطلقة من فيه ، من حيث لا جهات .

– مثلما انبثق ماءٌ من صخرة ، فلا هو يستمد من جانبها ، ولا من قلبها ووسطها .

– لقد جعل الحق تلك الصخرة درعا أمامه ، ففجرت الماء السماوى اللون .

– مثلما سير من نبع عينيك النور دون بخل أو فتور .

١٠٢٥– ولا هذا " النور " يستمد من شحمة " العين " ولا من جلدها ، لكن الحبيب عند الإبداع يضع دريئة ما!!

– وفي خلاء الاذن ، تدرك ريحه الجاذبة ، صدق الكلام وكاذبه .

– فأية ريح هذه في تلك العظمة الصغيرة ، بحيث تقبل كلمات الراوى وصوته ؟

– إن العظم والريح دريئة فحسب ، وليس في الدارين غير الله .

– إنه هو المستمع وهو القائل بلا احتجاب ، ذلك أن " الأذنين من الرأس " أيها المثاب .

١٠٣٠– قال " اليهودى " : إذا كنت تشفق عليه ، فادفع الذهب وخذه ، يا من طبعك الكرم .

– اشتره منى ، مادام قلبك في حرقة من أجله ، وبلا إنفاق ، لا حل هناك لمشكلتك .

– قال : حبا وكرامة ، وخمسمائة سجود " شكرا لله " ، إن عندى عبدا ابيض البشرة ، لكنه يهودى .

– إنه أبيض البشرة ، وأسود القلب فخذه ، واعطنى فى مقابله صاحب البشرة السوداء والقلب المنير .

– ثم أرسل في طلبه وأحضره ذلك الهمام ، وكان ذلك العبد في الحقيقة شديد الجمال .

١٠٣٥– بحيث صار ذلك اليهودى حائرا والها ، وتحرك قلبه الحجرى من مكانه سريعا .

– وهكذا تكون حالة عباد الصورة ، تصير " قلوبهم " الحجرية " في ليونة " الشمع من صورة .

– لكنه عاد إلى العناد ولم يرض وقال : لابد أن تزيد على هذا .

– فاضاف عليه نصابا من الفضة ، حتى شبع حرص ذلك اليهودى .[١]

---

[١] ج : ٣٩٧/١٣ :

– فباع ... واتم الصفقة دون غرض ، وأعطى جوهرة أخذ في مقابلها حجراً .

– على ظن أنه قد كسب ، اذ أعطى أسود وأخذ في مقابله أبيض .

– وعندما تمت الصفقة بينهما ، وجدت الايجاب والقبول عند الطرفين .

ضحك اليهودي وظنه أن الصديق

مغبون في هذه الصفقة

– وقهقه ذلك اليهودى قاسى القلب ، سخرية واستهزاء وغشا وغلا .

١٠٤٠– فقال له الصديق : ما هذا الضحك ؟ فأجاب على سؤاله بأن زاد في ضحكه .

– ثم قال : لو لم تكن جادا مغرما بشراء هذا الغلام الأسود ؛

– لما غلَبْتُ أنا عناداً ، ولبعته لك بعشر هذا الثمن .

– فإنه بالنسبة لى لا يساوى نصف دانق ، وأنت رفعت ثمنه بجلبتك .

– فأجاب عليه الصديق قائلا : أيها الغبى ، لقد أعطيت جوهرة في مقابل جوزة وكأنك الصبى .

١٠٤٥– فإنه عندى يساوى الكونين ، فأنا ناظر إلى روحه وأنت ناظر إلى لونه.

– إنه ذهبٌ أحمر ، اسود في لونه ، من أجل " نجاته " من هذا الموطن للحمقى.

– إن بصيرة هذه الأجسام ذات الألوان السبعة ، لا تدرك تلك الروح من " تحت هذا النقاب ".

– ولو أنك فاصلت في البيع أكثر ، لأعطيت كل أموالى وأملاكى .

– ولو زدت أكثر في المفاصلة ، لاقترضت – من اهتمامى بالأمر – حِجْرا من ذهب من آخر .

١٠٥٠– لقد فرطت فيه بسهولة ، ذلك أنك اشتريته بيسر ، ولم تر الدر ، لأنك لم تفتح الصندوق .

– لقد أعطى جهلك الصندوق مغلقا ، وسريعا ما ترى كيف غُبنت .

- لقد أعطيت صندوقا مليئا بالياقوت في مقابل هباء ، فأنت كالزنجى سعيدٌ في سواد الوجه .
- وكم ستطلق الحسرات في النهاية ، فهل يبيع أحد دولته وإقباله ؟! .
- لقد وصل الإقبال في ثوب عبيد ، وعينيك التعسة لم تر سوى الظاهر .
١٠٥٥- لقد أبدى لك " الإقبال " عبوديته ، لكن طبعك القبيح تصرف معه بمكر وحيلة .
- فخذ هذا الأسود الباطن الأبيض الجسد ، كما يفعل عباد الأوثان ، أيها المخرف .
- فهذا لك ، وذلك لى ، وقد كسبنا معاً ، هيا ، لكم دينكم ولى دينى أيها اليهودى .
- فهذا هو الجدير حقا بعبدة الأوثان ، إن جواده خشبى وإن كان غطاء سرجه من الأطلس.
- كأنه قبر الكفار ملئ بالدخان والنار ، وخارجه مائة نقش وصورة وزينة .
١٠٦٠- ومثل أموال الظلمة ، ظاهرها جمال ، وباطنها دماء المظلوم والوبال .
- وكالمنافق ، ظاهره الصوم والصلاة ، وفي الباطن تراب أسود لا نبات فيه .
- وكسحابة خالية " من المطر " كثيرة الإرعاد ، فلا فيها نفعٌ للأرض ولا قوتٌ للبرْ.
- مثل الوعد الماكر والقول الكاذب ، أوله ذو ضياء ، وآخره افتضاح .
- ثم أمسك بعد ذلك بيد بلال ، ذلك الذي جعلته ضربات أجراس المحنة " في نحول " عود الخلة .
١٠٦٥- صار كعود خلة في فم واتخذ طريقه ، وأخذ يسرع نحو حلو اللسان .

- [1] وعندما رأى ذلك وجه المصطفى ﷺ ، خر مغشيا عليه ، وسقط على ظهره .

- وظل فترة طويلة فاقد الوعي ، وعندما عاد إلى الوعي ، ذرف الدموع من الفرح .

- ثم إن المصطفى ﷺ أجلسه إلى جواره ، وماذا يدرى أحد عما وصله من عطاء ؟!!

- فكيف يكون نحاسٌ عُرض على الأكسير ، "وكيف" يكون مفلس قد وقع على كنز غنى ؟!!

١٠٧٠- وسمكة ذابلة سقطت " ثانية " في البحر ، وقافلة ضائعة عثُرت على سبيل الرشاد .

- وذلك الكلام الذي تفضل به النبي ﷺ في ذلك الوقت ، لو وقع على الليل لخرج عن طبيعته .

- ولتحول ذلك الليل إلى نهار مضئ كأنه الصباح ، إنني لا أستطيع أن أكرر ثانية ما قيل .

- فأنت نفسك تعلم ماذا تقول الشمس حين تكون في برج الحمل للنبات والحشب

- وتعلم أنت نفسك أيضاً ماذا يقوله ذلك الماء الزلال للرياحين والأغصان .

١٠٧٥- وصنع الحق مع كل أجزاء الدنيا ، كأنه حديث السحرة وتعاويذهم .

- وجذب الله للآثار والأسباب ، يتحدث في السر بمئات الكلمات دون كلام ودون شفة .

---

[1] ج : ١٣/٤١٢ :

- وأتى به حتى الرسول ، ذلك الذي كان قد آمن بدينه بروحه

- إنه ليس معهودا لكنه من تأثير القـدرة ، مهمـا كـان تـأثيره مـن قبلـه تعـالى لا يدرك بالعقل .
- وعندما يكون العقل مقلدا في الأصول ، اعلم أنه أيضاً مقلـد فـي الفـروع أيهـا الفضولى .
- وإن سأل العقل كيف يكون الهدف ؟! قل له : بشكل لا تعرفه والسلام . [١]

عتاب المصطفى ﷺ للصديق ﷺ قائلاً :

ألم أوصك أن تشتريه مشاركة بيننا ،

فلماذا اشتريته من أجلك وحدك ؟! واعتذاره

١٠٨٠- قال : أيها الصديق : ألم أقل لك اجعلنى شريكا لك في هذه المكرمة ؟!
- [٢] قال : إننا كلانا عبيد حبك ، ولقد اعتقته لوجهك .
- فاجعلنى أنا عبداً لك وصديقا حميما ، لا أريد حرية قط ، حذار .
- فمن عبوديتى لك أظفر أنا بالحرية ، وبدونك كم " يلحق بى " من ظلم ومحنة
- فيا من أحييت الدنيا من الاصطفاء ، وجعلت العامى من الخواص ، وبخاصـة أنا !!

١٠٨٥- كانت روحى ترى فـي الأحـلام فـي الشـباب ، أن قـرص الشـمس يلقـي على بالسلام .
- وأنه سحبنى من فوق الأرض إلى عنان السماء ، وإننى قد صرت رفيقـا لـه ، في ارتقاء وسمو !

---

(١) ج : ١٣/ ٤١٢ :
- وسيد الكونين سلطان الزمان ، أخذ يعاتب " الصديق " فترة بعد ذلك .

(٢) ج : ١٣ / ٤٢٧ :
- فلماذا اشتريته وحيدا من أجل نفسك ؟! تحدث بما حدث يا طاهر الدين .

- قلت ، إن هذا لماليخوليا ، ولأمر محال ، ولا يصير مستحيل أبداً وصفا للحال.

- وعندما رأيتك ، رأيت نفسى ، فالثناء على تلك المرآة طيبة الدين .

- وعندما رأيتك صار محالى حالا ، وصارت روحى مستغرقة في الإجلال .

١٠٩٠- وعندما رأيتك بنفسى يا روح البلاد ، سقط حب تلك الشمس من ناظرى!!

- صارت عيناى منك عالية الهمة ، ولا تنظر إلى الرياض إلا باحتقار .

- لقد بحثت عن النور ، فرأيت بنفسى نور النور ، وبحثت عن الحور فوجدت من يزرى بالحور !!

- وبحثت عن " مثيل " ليوسف ... جميل ... فضى الجسد ، فرأيت فيك ارضا مليئة بأمثال يوسف .

- وكنت في بحث وتفتيش من أجل الجنة ، فأبدى لى كل جزء منك على حدة جنة " وارفة " .

١٠٩٥- إن هذا بالنسبة لى بأجمعه مدح وثناء ، لكنه بالنسبة لك قدح و هجاء .

- مثل مدح ذلك الرجل الراعى الساذج لله أمام موسى الكليم .

- عندما قال له : أفليك من القمل وأسقيك اللبن ، وأخصف نعلك وأضعه أمامك

- لقد اعتبر الله تعالى قدحه مدحا ، ومن ثم لا عجب في أن ترحم أنت .

- فلترحم قصور الأفهام ، يا من أنت وراء العقول والأوهام .

١١٠٠- أيها العشاق إن إقبالا جديدا قد وصل من الدنيا التى تقوم دائما بالتجديد

- ومن تلك الدنيا هو العلاج الباحث عن المساكين ، وهناك الآلاف من عجائب الدنيا فيه .

– " أبشروا يا قوم إذ جاء الفرج ، افرحوا يا قوم قد زال الحرج "[١] .

– لقد ذهبت شمس إلى منزل الهلال ، طالبة قائلة " أرحنا يا بلال " .

– أتهمس بها من خوف العدو ؟! اصعد إلى المئذنة إذن وناد بها برغم أنفه .

١١٠٥– فينفث البشير في أذن كل محزون ، قائلا له : انهض أيها المدبر ، واسلك طريق الإقبال .

– يا من أنت في هذا السجن وفي هذا القذر والقمل ، انتبه حتى لا يسمع احد ، نجوت ، صمتا .

– فكيف تصمت الآن ؟ يا حبيبى ، فمن أسا س كل شعرة هناك قارع لطبل .

– بحيث صار العدو الحاقد أصم ، متسائلا : أين صوت هذه الطبول العديدة ؟

– إنها " عبير " يدق على مثال الريحان الندى ، وهو من عماه يقول : ما هذا الأذى .

١١١٠– إنه يتعذب ، فالحور تأخذ بيده ، والأعمى حائر يتساءل : لماذا يقومون بتعذيبى ؟!

– ما هذا الشد والجذب على يدى وجسدى ؟! لقد نمت ، فدعنى أحلم .

– إنه هو من تبحث عنه في الحلم ، افتح عينيك فهو هذا القمر جميل الخطى .

– وهناك من تلك البلايا الكثير على الأعزاء ، فإن الحبيب يزيد من هذا الدلال مع الحسان .

– إنه يأتنس مع الحسان بكل طريقة ، كما أنه يثير العميان في بعض الأحيان .

١١١٥– إنه يعطى نفسه لحظة لهؤلاء العميان ، حتى ترتفع الضجة من حى العميان .

---

[١] بالعربية في المتن .

قصة هلال الذي كان عبدا مخلصا لله صاحب بصيرة ، غير مقلد ،
اختفى في عبودية البشر للمصلحة لا للعجز مثل يوسف ولقمان وغيرهما في الظاهر ، وذلك أنه كان عبدا سائسا عند أحد الأمراء ، وكان ذلك الأمير مسلما إلا أنه كان أعمى :

يعلم الأعمى أن له أما .. لكنه لا يستطيع أن يتصور كيف تكون فإن قام بتعظيم هذه الأم على أساس هذا العلم ربما نجا من العمى : مصداقا لقوله ﷺ : إذا أراد بعبد خيرا فتح عيني قلبه ليبصره بها الغيب[1]

– ما دمت قد سمعت بعض أوصاف بلال ، فاستمع الآن إلى قصة ضعف هلال
– كان متقدما في السلوك عن بلال ، كان قد قتل خصال السوء في نفسه بما يفوقه .
– وليس مثلك متقهقر كل لحظة أكثر تقهقرا ، وتمضى من الجوهر نحو حجر .
– مثل ذلك السيد الذي نزل به ضيف ، فسأله السيد عن عمره .
١١٢٠ – وقال له : كم عمرك يا بنى ؟! هيا قل ، ولا تنقص منه وعده لى عداً .
– فقال : ثمانى عشرة أو سبع عشرة أو ست عشرة أو خمس عشرة يا أخيَّ بالروح .
– قال : إلى الخلف ، إلى الخلف يا دائر الرأس ، داوم حتى التقهقر حتى تصل إلى فرج أمك .

---

(١) ج : ١٣ / ٤٣٧ : بيت زائد في العنوان هو :
– احصل على هذا الطريق من حياة القلب ، فحياه الجسد صفه حيوانية

حكاية في تقرير هذا الكلام

– طلب أحدهم جوادا من الأمير ، فقال له : امض وخذ ذلك الجواد الأشهب .

– قال " لا أريده !! " قال " لم " ؟ قال : انه يمشى إلى الخلف كما انه حرون جداً .

١١٢٥– إنه يسير القهقرى بسرعة شديدة وحتى البداية ، قال : اجعل ذيله اذن ناحية الدار .

– إن ذيل دابة نفسك هو الشهوة ، ومن هنا فإنها تتقهقر دائما تلك التى تعبد نفسها .

– وهى شهوانية ، فهى ذيل من البداية ، فيا أيها المبدل اجعل شهوتها العقبى .

– وعندما تسد شهوتها برغيف ، يطل من تلك الشهوة العقل الشريف .

– مثل غصن تقطعه من شجرة ، تطل القوة من ذلك الغصن المقبل .

١١٣٠– وعندما تجعل ذيله إلى تلك الناحية ، فإنه إن تقهقر يمضى حتى الهدف.

– وما أحسنها تلك الجياد المروضة التى تتقدم ، لا التى تتقهقر ، وتكون حرونة دائماً .

– إنها سائرة بحماس كجسد موسى الكليم ، فحتى مجمع البحرين بالنسبة له ، كان في سعة الكليم .

– إن طريق تلك الحقب التى عزم على سيرها بحب مسيرة سبعمائة سنة .

–ولما كانت همة سير جسده على هذا النحو ، فإن سير روحه يكون حتى عليين.

١١٣٥ – إن الفرسان العظام قد تسابقوا في العدو ، فالقوا بالحمقى السمان تحت الأقدام .

مثل

– إن هذا يشبه مسافرا ، اقترب من قرية ودخلها فرأى بابا مفتوحاً .

– فقال ذلك الرجل : لنلق الرحل هنا بضعة أيام في هذا البرد الشديد .

– فهتف به هاتف : " ألق رحلك في الخارج ، وتعال أنت حينذاك إلى الداخل .

– وألق خارجا بكل ما يلقى ، ولا تدخل به ، فهذا مجلس سنى .

١١٤٠– كان هلال استاذا مستنير القلب والروح ، كان سائساً وعبدا عند أمير مؤمن .

– كان يقوم بالخدمة في الاصطبل ذلك الغلام ، لكنه كان سلطانا على السلاطين وأن كان عبدا بالاسم .

– [١] وكان ذلك الأمير جاهلا بحال الغلام ، فلم يكن عنده سوى نظر إبليس .

– كان يراه ماءً أو طينا لا كنز في داخله ، كان يراه " حواسًا " خمسة " و"جهات ستة ، لا أصل الخمسة.

– إن لون الطين ظاهر ونور الدين خفى ، وهكذا كان كل نبى في هذه الدنيا .

١١٤٥– لقد رأى تلك المنارة ولا طائر فيها ، وفوق المنارة بازى ملكى ، شديد المهارة .

– وآخر كان يرى طائرا خافقا بجناحيه ، لكن لا شعرة هناك في منقار الطائر .

– وذلك الذي ينظر بنور الله ، يكون عارفا بالطائر وبالشعرة .

– قال : انظر إلى الشعرة آخر الأمر ، فما لم تر الشعرة لا تحل العقدة !

– رأى أحدهم طينا مصوراً في الوصل ، ورأى أحدهم طينا مليئا بالعلم والعمل[٢] .

---

[١] ج : ٤٣٩/١٣ :– كان يروض الخيل ويروض نفسه ، وسبق كثيرا من الناس .

[٢] ج : ١٣ / ٤٤٠ :

– وعندما يعجن العلم بالنور ، يجد من حلمك النور القوم اللد

– والشيخ النورانى عالم بالطريق ، وبكلامه يجعل حتى النور رفيقا له .

– وهذا في حد ذاته هو روح كل المعجزات ، التى تمنح الميت الروح الأبدية .

١١٥٠- إن الجسد هو المنارة ، والعلم والطاعة بمثابة الطائر ، وسواء افترضت أنها ثلاثمائة طائر، أو طائران .

- إن الرجل الأوسط ناظر إلى الطائر فحسب ، فلا يرى غير الطائر من قدامه ومن ورائه .

- والشعرة هى ذلك النور الخفى عند الطائر ، بها تكون روح الطائر ثابتة .

- والطائر الذي تكون تلك الشعرة في منقاره ، لا يكون عمله أبداً على سبيل العارية .

- فان علمه يفور من روحه على الروح ، لا هو عنده على سبيل العارية أو القرض .

مرض هلال هذا ، وعدم معرفة سيده بمرضه احتقارا لشأنه وجهلا به ، ووقوف قلب المصطفى ﷺ على مرضه وحاله ، وافتقاده له ، وعيادة الرسول ﷺ لهلال هذا

١١٥٥- وشاء القضاء أن مرض هلال وأصبح عليلا ، فنقل الوحى الأحوال إلى المصطفى .

- لم يكن سيده على علم بمرضه ، فقد كان في نظره معدوم القيمة لا خطر له.

- لقد رقد تسعة أيام في الاصطبل ذلك المحسن ، ولا يعلم أحد ماذا جرى له .

- وذلك الذي كان بشرا وملكا على البشر ، كان عقله الذي يساوى مائة قلزم واصلا إلى كل مكان .

- نزل عليه الوحى ، صارت رحمة الحق مواسية ، قائلا : إن فلانا المشتاق لك قد مرض .

١١٦٠- وذهب المصطفى ﷺ إلى تلك الناحية من أجل عيادة هلال ذى الشرف .

– وذلك القمر مسرع في أثر شمس الوحى ، وأولئك الصاحبة في أثره كالنجوم
– والقمر يقول : إن أصحابى كالنجوم ، هم للسرى قدوة وللطاغى رجوم[١] .
– وقالوا للأمير : لقد وصل ذلك السلطان ، فقفز من السرور مسلوب القلب والروح .
– وضرب كفيه فرحا ظناً بأن ذلك الملك قد جاء من أجل زيارة ذلك الأمير .
١١٦٥– وعندما نزل ذلك الأمير من غرفته ، كان ينثر روحه ضيافة لذلك البشير .
– وقبل الأرض بين يديه وسلم ، وتهلل وجهه كالورد طرباً .
– وقال : بسم الله شرف دارك وموطنك ، حتى يكون هذا المحفل فردوساً .
– وحتى يزيد قصرى علوا عن السماء ، إذ رأيت قطب هذا الزمان .
– قال له معاتبا ذلك المحترم ، إننى لم آت من أجل رؤيتك .
١١٧٠– قال : روحى لك ، وما الروح في حد ذاتها ، هيا ، تفضل بالقول من أجل من هذا التنازل ؟.
– حتى أصير تراباً لقدم ذلك الشخص ، الذي يكون له غراس في بستان لطفك .
– وعندما تحدث هكذا وترك الكبرياء ، آثر المصطفى أن يترك معاتبته .
– ثم قال له : أين هلال العرش ذاك ، أين من يشبه ضوء القمر وهو من تواضعه على الأرض ؟!
– ذلك الملك الذي تخفى في العبودية ، وجاء إلى هذه الدنيا لتفقد أمورها .
١١٧٥– فلا تقل أنه عبدنا وسائس خيلنا ، واعلم أن الكنوز في الخرابات .
– واعجبا ، كيف هو من السقم هلال هذا ، وآلاف البدور تحت قدميه .

---

[١] بالعربية في المتن .

– قال : لا علم لي بمرضه ، لكنه لم يظهر على العتبة منذ بضعة أيام .

– إن صحبته مع الدواب والبغال ، فهو سائس ومنزله ذلك الاصطبل .

دخول المصطفى ﷺ إلى اصطبل ذلك الأمير

من أجل عيادة هلال ، وملاطفة المصطفى ﷺ لهلال ﷺ

– ذهب النبي ﷺ برغبته من أجله إلى الاصطبل ، وأخذ يبحث عنه .

١١٨٠– كان الاصطبل مظلما قبيحاً قذراً ، لكن هذا كله انتقى عندما حلت المحبة .

– وشم ذلك الأسد الهصور عبير الرسول ، مثلما شم يعقوب ريح يوسف .

– إن المعجزات لا تكون سببا للإيمان ، لكن التجانس هو الذي يقوم بجذب الصفات .

– إن المعجزات تكون من أجل قهر العدو ، أما رائحة التجانس فتكون من أجل سلب القلوب .

– إن العدو يقهر أما الصديق فلا ، فكيف يكون صديقا بتقييد الرقبة ؟!

١١٨٥– لقد استيقظ " هلال " من النوم على هذه الرائحة ، وقال " في نفسه " : أمثل هذا الشذى في موضع البعر ؟

– ومن بين أقدام الدواب ، رأى الطرف الطاهر لرداء المصطفى ﷺ الذي لا ند له .

– فجاء من ركن الاصطبل زاحفا ، ووضع وجهه على قدم " المصطفى ﷺ " ذلك البطل .

– فوضع المصطفى وجهه على وجهه وقبل رأسه وعينيه ووجهه .

– وقال : يا رب أي كنز خفي !! كيف أنت يا غريب العرش ، ألست أحسن ؟

١١٩٠- قال : كيف يكون ذلك الذي يكون نائما مولها فتدخل شمس في فمه ؟!

- وكيف يكون ذلك الظمآن الذي يرعى الطين ، ويصب الماء على رأسه ، فيأخذه سعيداً !!

في بيان أن المصطفى ﷺ سمع أن عيسى عليه السلام سار فوق الماء ؛ فقال : لو ازداد يقينه لمشى على الهواء

- مثل عيسى كان الفرات يحمله على سطحه ، إذ كان آمنا من الغرق في ماء الحياة .

- قال أحمد : لو ازداد يقينا لكان الهواء نفسه مركبه المأمون .

- مثلي أنا الذي صرت راكبا للهواء ، وكنت مصحوبا ليلة المعراج .

١١٩٥- قال " هلال " : كيف يكون كلب أعمى قذر ، نهض من النوم فوجد نفسه أسداً .

- ليس مثل ذلك الأسد الذي يصميه أحدٌ بسهم ، بل من خوفه تتكسر السيوف والسنان .

- " أو مثل " أعمى زاحف على بطنه كالحية ، فتح عينيه على البستان والربيع

- كيف يكون ذلك الذي تحرر من الكيفية ، ووصل إلى موضع الحياة التي لا كيفية فيها !!

- صار واهبا للكيفية في اللامكان ، وحول مائدته كل الكيفيات كالكلاب .

١٢٠٠- وهو من اللاكيفية يقذف لها بالعظام ، إنك جنب ، فاصمت ، ولا تقرأ هذه السورة .

- فما لم تغتسل تماما من الكيفية ، لا تضع كفك على هذا المصحف أيها الغلام.

- وسواء كنت نجسا أو طاهراً أيها الملك ، ولا أقرأ هذا ، فماذا أقرأ في الدنيا.

– وأنت تقول لى: من أجل الصواب ، لا تمض غير مغتسل إلى حوض الماء .

– وخارج الحوض لا يوجد إلا التراب ، وكل من لا يدخل الحوض لا يكون طاهراً .

١٢٠٥– وإن لم يكن للمياه ذلك الكرم ، متى تقبل الخبيث لحظة بلحظة .

– فويلاه على المشتاق ، وويلاه على أمله ، وواحسرتاه على حسرته الأبدية .

– إن لدى الماء مائة من الكرم ومائة من الاحتشام ، لكى يقبل الأنجاس ، و السلام .

– يا ضياء الحق يا حسام الدين ، إن النور حارس لك من شر الطيور .

– إن حارسك هو النور وارتقاؤه ، يا من أنت شمس مخفى عن الخفاش .

١٢١٠– وماذا يكون الحجاب أمام وجه الشمس ، إلا زيادة التألق وحدة الضوء .

– إن حجاب الشمس هو أيضاً نور الرب ، وكلاهما بلا نصيب منه ، الخفاش والليل .

– وكلاهما ، ما داما قد بقيا في بعد وحجاب ، إما أنهما بقيا أسودى الوجه أو متجمدين .

– وما دمت قد كتبت جزءاً من قصة هلال ، فهيا تحدث عن قصة البدر .

– فهناك بين هلال ذلك وبين البدر اتحاد ، كلاهما بعيد عن الاثنينية وعن النقص والفساد .

١٢١٥– فهلال ذاك برئ من نقص الباطن ، لكن الهلال الآخر في نقص بالتدريج .

– إنه يلقى الدرس ليلة بعد ليلة ، بشئ من التدريج ، إنه يعطى الفرج في التأنى

- وهو يقول بتأنٍ ، أيها العجول الساذج ، إنما يمكن الذهاب إلى السطح درجة بعد درجة .
- قاغل القدر بالتدريج وبأستاذية ، فإن " القلية " التى غليت بجنون لا تنفع .
- ألم يكن الحق قادرا على خلق الفلك بأمر واحد هو " كن " بغير شك ؟!

١٢٢٠- إذن فكيف صوره في ستة أيام ، وكل يوم هو ألف عام أيها المستفيد .
- ولماذا تتم خلقة الطفل في تسعة شهور ؟! ذلك أن التدريج هو شعار ذلك الملك .
- ولماذا كانت خلقة آدم في أربعين صباحا ، كان يزيد في هذا الطين قليلا قليلاً
- [١] وليست مثلك أيها الساذج الذي عدوت الآن ، وأنت طفل وجعلت من نفسك شيخاً .
- أسرعت كثمرة القرع فوق الجميع ، فمتى كان لك ثبات الجهاد والملحمة ؟!

١٢٢٥- واستندت على الأشجار والجدران ، وصرت كالقرعة أيها الأقيرع .
- فإذا كن السرو الممشوق هو مركبك في البداية ، إلا أنك في النهاية جاف خال فارغ من اللب .
- ويصفر لونك الأخضر سريعا أيها الاقرع ، وذلك لأنه كان من الخضاب ولم يكن أصيلاً .

قصة تلك العجوز التي كانت تخضب وجهها بالخضاب والأحمر ، ولم يكن ينفع فيه أو يكون مقبولاً

---

(١) ج : ١٣/٤٥٦ :

- فمن هذا الفجر إلى ذلك الفجر بعض العام ، حتى استقرت هذه الصورة على ما هي عليه

– كـان هنـاك عجـوز فـي التسـعين ضخمـة ، وجهها ملـئ بالتجـاعيد ، ولونهـا كالزعفران .

– كان وجهها طيات وكأنه وجه مفرش السفرة ، لكن عشق الزوج كان قد تبقى عندها !!

١٢٣٠– تساقطت أسـنانها وصـار شـعرها فـي بيـاض اللبـن ، وتقـوس قوامهـا ، وتغير كل حس فيها .

– لكن عشق الزوج والشـهوة والحـرص كـانت عندهـا كاملـة ، فهـى فـي عشـق الصيد وقد تمزقت الشبكة إرباً !

– إنها طائر يصيح في غير أوانه ، وطريق لا يسلكه أحد ـ ونار متأججـة تحـت قدر فارغ .

– عاشق للميدان ولا جواد ولا قدم ، وعاشق للزمر ولا شفة ولا مزمار .

– فلا كان حرص الشيخوخة حتى عند اليهود ، وما أشقى ذلك الـذي ابتـلاه اللـه بهذا الحرص .

١٢٣٥– لقد تساقطت أسنان الكلب عندما شاخ ، فترك " عقـر " النـاس ، وصـار آخذا للبعر .

– فانظر إلى هؤلاء الكلاب الذين بلغوا ستين خريفا ، أسنانهم الكلبيـة أكـثر حـدة لحظة بعد لحظة .

– لقد تساقط شعر الكلب العجوز من جلده ، فـانظر إلـى هـذه الكـلاب العجـوز التى ترتدى الأطلس .

– عقولهم وحرصهم على المال والفروج ، انظر إليهم يزدادون عددا لحظة بعد لحظة كنسل الكلاب .

– إن مثل هذا العمر هو مادة الجحيم ، وهو مسلخ لقصابى الغضب .

١٢٤٠– وعندما تقول له : أطال الله عمرك ، يسعد ، وينفرج فمه عن ابتسامة .

– إنه يظن مثل هذا اللعن دعاء ولا يفتح عينيه ويطل إطلالة !!.

– لو أنه رأى مقدار طرف شعرة من المعاد ، لقال " لهذا الداعى " : ليكن لك مثل هذا العمر الطويل !!

قصة ذلك الدرويش الذي دعا لذلك الجيلانى قائلاً : ردك الله إلى أهلك وداركـ سالماً !!

– قال ذات يوم أحد عبدة الخبز والشحاذين الملحاحين حملة المخالى لسيد جيلانى :

– أيها المستعان رده سعيداً إلى أهله وداره ، وذلك عندما أعطاه السيد خبزاً .

١٢٤٥– فقال : إذا كان الأهل هم أولئك الذين رأيتهم ، فأوصلك الله إليهم أيها الشرير .

– إن الأخساء يجعلون كل محدث جباناً ، ولو كان كلامه ساميا ينزلون به .

– ذلك أن النبأ يأتى على قدر المستمع ، وعلى قوام السيد يفصل الخياط القباء .

وصف تلك العجوز

– لما كان هذا المجلس لا يخلو من مثل هذا التهكم ، لا مناص إذن من الحديث الدنى .

– استرد هذا الكلام إذن ممن رهنته عنده ، وعد صوب حكاية تلك العجوز .

١٢٥٠– عندما طعنت في السن ، وليست " رجلا " ، في هذا الطريق ،سمها إذن عجوزا طاعنة في السن .

– فلا راس مال عندها ، ولا أساس ، ولاهى قابلة لقبول قيمة ما .

– فلا هى معطية للسعادة واللذة ولا قابلة لها ، ولا معنى لها ولاجذبا للمعنى .

– ولا لسان ولا اذن ولاعقل ولا بصر ، ولا لباب ولا غياب ، ولافكر .

– ولا ضراعة ولا جمال تدل به ، إنها طيات من العفن كأنها البصلة .

١٢٥٥– ولاهى قطعت طريقا ، ولا قدرة لها على الطريق ، ولا حرارة عند تلك البغى ولا حرقة ولا آهة !![١] .

قصة الدرويش الذي كان كلما طلب شيئا من تلك الدار قيل له : لا يوجد!

– جاء سائل إلى منزل فطلب لقمة من الخبز القديد أو الطرى ،

– فقال له صاحب المنزل ، من أين لهذا المكان الخبز ، هل أنت ذاهل ؟ متى كان هنا دكان خباز ؟!

– قال : ربما تجد لى قطعة من الشحم ، قال : ليس هذا المكان آخرا بدكان قصاب !!

– قال : اعطنى بعض الدقيق أيها الوجيه ، قال : تظن أن هنا مطحنا ؟!

١٢٦٠– فقال : اعطنى جرعة ماء إذن من الجرة ، فقال : ليس هنا آخر الأمر بالجدول أو المشرعة !!

– وهكذا فكل ما طلبه منه من خبز أو نخالة ، كان يرده خائبا ويسخر منه .

– فدخل ذلك الشحاذ الدار وشمر ثوبه ، وهم بالتبرز في تلك الدار .

– صاح : انتبه انتبه ، فقال : أصمت أيها الشرير ، حتى أفرغ نفسى في هذه الخرابة !!

– فإذا لم يكن هنا وجه للمعاش ، ينبغى التغوط في مثل هذه الدار .

---

[١] ج : ٤٦٧/١٣ : لا تعصب ، لا فلاح عندها ، ولا حتى في قلبها عزم على السلامة .

١٢٦٥- فما دمت لست بازياً مدربا مُعلماً من أجل صيد الملك ، وتقوم بالصيد .

- ولست طاووسا بمئات من النقوش التى تسعد العيون .

- ولست أيضاً ببغاء بحيث عندما تُعطى السكر تنصت الآذان لقولك الحلو .

- ولست أيضاً بالبلبل تغرد تغريدا حلوا مثل العاشق المتيم في الرياض وشقائق النعمان .

- ولست أيضاً هدهدا تؤدى الرسائل ، ولست كطير اللقلق تتخذ وطنك في الأعالى .

١٢٧٠- [١] فلأى عمل أنت ، ومن أجل ماذا تُشترى ، وأى طائر أنت ومع ماذا تؤكل ؟!

- فاسم على هذا الدكان الذي فيه من يبعون بالمكس ، إلى دكان الفضل مصداقا لـ «إن الله اشترى » .

- والبضاعة التى لم ينظر إليها أحد من الخلق ، من قدمها واهترائها اشتراها ذلك الكريم .

- وليس أى زيف قط مردوداً عنده ، لأن قصده من الشراء ليس الربح [٢]

عودة إلى قصة تلك العجوز

- [٣] عندما أرادت صاحبتنا أن تمضى إلى العرس ، أزالت شعر حاجبيها تلك الخفيفة العقل !!

١٢٧٥- ووقفت أمام المرآة تلك العجوز ، حتى تزين الوجه والوجنة والفم .

---

[١] ج: ١٣ / ٤٦٨ : تمضي في الصيف إلى الهند ، وفي الربيع تمضي إلى تركستان .

[٢] ج : ١٣ / ٤٦٨ :

- إن أفضاله بلا حد فلا تيأس ، وعد ثانية إلى قصة العجوز .

[٣] ج : ٤٧١/١٣ :

- لأعد إلى قصة العجوز ، ذلك أنها بلا نهاية هذه الرموز

- كان عند جيرانها حفل عجيب ، ودعوها إلى الحفل من القضاء !!

- دهنتها ببضعة أصباغ بطراً ، لكن السفرة التى في وجهها لم تزدد خفاءً .
- فأخذ تقطع علامات الأعشار من المصحف وتلصقها على وجهها تلك الدنسة .
- حتى تختفى سفرة وجهها ، وحتى تصير فصا في خاتم الحسان .
- كانت تلصق علامات الأعشار في كل موضع ، لكنها عندما كانت تعقد حجابها كانت تسقط .
١٢٨٠- فكانت تلصق ثانية تلك العلامات بلعابها على أطراف وجهها .
- ثم كانت تعيد إصلاح ملاءتها تلك الهمامة فتسقط علامات الأعشار على الأرض .
- وعندما أخذ تقوم بكثير من الحيل ومع ذلك تسقط تلك العلامات ، قالت : لعن الله إبليس مائة لعنة .
- تمثل لها إبليس في التو واللحظة ، وقال : أيتها البغى المتيبسة الشقية .
- إننى لم أفكر في هذا طوال عمرى ، ولم أر هذا من سواك بغى .
١٢٨٥- لقد زرعت بذورا نادرة في الفضيحة ، ولم تتركى مصحفا في العالم .
- إنك مائة إبليس ، بل خميس في خميس " من الأبالسة " ، فاتركينى أيتها العجوز الردبيس .
- فحتام تسرقين علامات الأشعار من علم الكتاب ، حتى يصير وجهك ملونا كأنه التفاحة .
- وحتام تسرقين كلام رجال الله ، حتى تبيعين وتشترين .... لا مرحبا بك .
- إن اللون المعقود عليك لم يجعلك وردية اللون ، والحيلة لم تجعل الغصن كثير العقد عرجوناً .

١٢٩٠- وفي النهاية عندما تحط عليك ملاءة الموت ، تقع علامات الأعشار هذه عن وجهك .

- وعندما ترتفع أصوات تهيأوا للرحيل ، تضيع من ذلك الوقت فصاعدا فنون القال والقيل .

- ويتقدم منك عالم الصمت ، فقف ، وويل لذلك الذي لا يكون أنسه من داخله .

- فقم بجلاء الصدر يوما أو يومين ، وأجعل تلك المرآة كتابك لك .

- فإنه من ظل يوسف صاحب القران ، صارت زليخا العجوز شابة من جديد .

١٢٩٥- ويتبدل إلى شمس تموز ، ذلك المزاج البارد كأنه برد العجوز .

- ويتبدل بحرقة مريم ، الغصن المتيبس إلى نخلة نضرة .

- أيتها العجوز ، حتام تجاهدين مع القضاء ، ابحثي عن الحاضر الآن واتركي ما مضى .

- وما لم يكن لوجهك أمل في الحسن ، فسواء وضعت عليه الخضاب أو وضعت عليه المداد .

حكاية ذلك المريض الذي لم ير فيه الطبيب أمل الصحة

- ذهب أحد المرضى إلى طبيب ، وقال له : جس نبضى أيها اللبيب .

١٣٠٠- فمن النبض تصبح عالما بأحوالى ، فإن عرق اليد متصل بالقلب .

- فإذا كان القلب غيباً وأردت مثالا عنه ، فابحث فيها ، فإن لها اتصالا بالقلب .

- والريح مختفية عن العين أيها الأمين ، لكن أنظر إليها في الغبار وحركة الأوراق .

- أهى تهب من اليمين أو تهب من الشمال ، تقول لك حركة الأوراق وصف الحال :

- ألست تعلم أين يكون سكر القلب؟! ابحث عن وضعه من النرجس المخمور .

١٣٠٥- وإذا كنت بعيدا عن الحق فإنك تعلم وصف الذات من الرسول ومن المعجزات .

- ومن المرشدين الأصفياء تطرق المعجزات والكرامات الخفية على القلب .

- فإن في بواطنهم مائة قيامة حاضرة ، أقلها يكون جارهم منها ثملاً .

- ومن ثم صار ذلك المقبل جليسا لله ، ذلك أنه جاور سعيداً .

- والمعجزة التي أثرت في الجماد ، سواء كانت عصا أو بحرا أو شقا للقمر .

١٣١٠- لو أثرت في روحك دون واسطة ، فإنها تكون متصلة برابطة خفية .

- إن تلك الآثار من قبيل العارية على الجمادات ، إنها متوارية خلف روح حلوة.

- حتى يتأثر الضمير بذلك الجماد ، وحبذا ذلك الخبز دون مادة الخمير .

- وحبذا مائدة المسيح التي لا تنقص ، وحبذا فاكهة مريم التي طلعت دون حديقة .

- والمعجزات تطرق كأنها الحياة ، ضمير روح الطالب من الروح الكاملة .

١٣١٥- إن المعجزة بحر وطائر التراب ناقص ، والطائر المائي آمن فيها من الهلاك .

- والعجز هو عطية روح من لم يؤذن له ، لكن القدرة نصيب لروح النجي .

- وما دمت لا تجد هذه السعادة في الضمير ، فاستدل كل لحظة من الظاهر .

- فإن الآثار ظاهرة على المشاعر ، وهذه الآثار مخبرة عن المؤثر .

- إن معنى كل دواء خفي ، كأنه السحر وصنعة كل ساحر .

١٣٢٠- وعندما تنظر إلى فعله وآثاره ، مهما كان خفيا فإنك تظهره .

- والقوة التي تكون مضمرة داخله ، عندما تأتي إلى الفعل تصير ظاهرة عياناً .

- وإذا كان هذا كله ظاهرا لك بآثاره ، كيف لا يكون الله ظاهرا لك من تأثيره؟!

- أليست الأسباب والآثار كلها كاللب والقشر ؟ إنك عندما تبحث فهى كلها آثاره

- إنك تحب الأشياء من آثارها ، فكيف تكون غافلا عن الذي يمنح الآثار ؟

١٣٢٥- إنك تحب الخلق من خيال ، فكيف لا تحب ملك الشرق والغرب ؟

- إن هذا الكلام لا نهاية له أيها العظيم ، فلا كان لحرصنا فيه نهاية .

عودة إلى قصة المريض

- عد واذكر قصة المريض مع الطبيب العالم المتصف بالستر و " الكتمان " .

- لقد جس نبضه وصار واقفا على الحال ، وعلى أن الأمل في صحته أمر محال .

- فقال له : افعل كل ما يحلو لك ، حتى يذهب عن جسدك هذا الداء القديم .

١٣٣٠- وكل ما يعن لخاطرك لا تقاومه ، فإن الصبر والتوقى مضران بالنسبة لك .

- اعلم أن الصبر والتوقى ضرر بالنسبة لهذا المرض ، فكل ما يميل إليه قلبك ، نفذه .

- وهكذا قال لمثل هذا المريض ، أيها العم ، لقد قال تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم﴾.

- فقال : اذهب هيا ، يا روح عمك ، إننى ذاهب للنزهة على شاطئ النهر .

- أخذ يتنزه على شاطئ النهر وفق هواه ، حتى يفتح الباب إلى الصحة .

١٣٣٥- وعلى شاطئ النهر ، كان أحد الصوفية جالسا يغسل يديه وقدميه ويزيد في طهارته .

- وأبصر قفاه ، ولما كان رجلا ذا خيال ، اشتاق إلى صفعه .

- وأخذ يمد يده نحو قفا الصوفى آكل الجرجير من أجل صفعه .

- وقال في نفسه : إننى إن لم أحقق مشتهاى ، فإن الطبيب قال لى إن الأمر ينقلب إلى علة عندى .
- فلأصفعه صفعة واحدة في معركة ، تطبيقا لقوله تعالى ﴿ لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

١٣٤٠- إن هذا الصبر تهلكة يا فلان ، اضربه جيدا ، ولا تسكت كالآخرين .

- وعندما صفعه الصفعة طرقعت ، فقال الصوفى ، آه ... آه أيها القواد العاق .
- وأراد الصوفى أن يضربه لكمتين أو ثلاث لكمات ، وأن يقتلع شاربه ولحيته شعرة شعرة .
- [1] إن الخلق مرضى بالسل ومساكين ، لكنهم من خداع الشيطان عشاق لصفع " الآخرين " .
- إنهم جميعا حريصون على إيذاء الأبرياء ، وكل منهم باحث عن النقائص من خلف ظهر أخيه .

١٣٤٥- فيا من أنت صافع لأقفية الأبرياء ، ألن ترى الجزاء في قفاك ؟

- ويا من ظننت أن الهوى طب لك ، وعكفت على صفع الضعفاء .
- لقد ضحك عليك الذي قال لك أن هذا دواء ، إنه هو الدليل لآدم إلى القمح .
- قائلا لهما : كلا هذه الحبة أيها العظيمان ، علاجا لكما حتى تكونا خالدين .
- لقد جعله يتعثر وينزلق ثم ضربه على قفاه ، ورُدت تلك الصفعة وصارت جزاءً له .

---

[1] ج : ١٣ / ٤٨٣ :

- لكنه رأه متعبا مريضا ، وضعيفا جدا ونحيلا وشاحبا ومهدما !!
- ففكر في ضعفه وقال في نفسه : لو ضربته لكمة واحدة لهلك .
- إن مرض السل قد أورده موارد الهلاك ، لقد رآه نحيلا جداً ومريضاً .

١٣٥٠- لقد جعله ينزلق بقسوة في المنزلق ، لكن الحق كان ظهيره ومعينه .

- كان آدم جبلا وإن صار مليئا بالحيات ، فصار منجم ترياق خاليا من الإضرار والإيذاء .

- وأنت الذي لا تملك ذرة من الترياق ، لماذا أنت مغرور بخلاصك ؟

- وأين ذلك التوكل الخليلى عندك ، حتى لا يقطع سيفك " حلق " إسماعيل .

- وأين لك تلك الكرامة كالكليم ؟ حتى تجعل قاع اليم طريقا معبداً .

١٣٥٥- ولو أن فاضلا سقط من فوق مئذنة ، لملأت الريح ثوبه ونجا .

- وإذا لم يكن عندك يقين في ذلك الحظ ، أيها الحسن ، فكيف أذهبت نفسك أدراج الرياح .

- ومن هذه المنارة مئات الآلاف مثل عاد ، سقطوا ، وذرت الرياح رؤوسهم وأسرارهم .

- فداوم على النظر إلى من سقطوا منقلبين من هذه المنارة تجدهم مئات الآلاف في آلاف .

- وأنت يقينا لا تعرف المشى على الحبال ، فاشكر القدمين وداوم السير على الأرض .

١٣٦٠- ولا تصنع جناحا من الورق ولا تطر من فوق الجبل ، فكثير هى تلك الرؤوس التى ضاعت بسبب هذه الشهوة .

- وبالرغم من أن ذلك الصوفى قد استشاط غضبا ، إلا أنه ألقى نظرة على العاقبة .

- ذلك أنه يبقى أول الصف وفق هواه ، الذي لا يلتقط الحبة بل يرى حبل الفخ .

- وحبذا عينان عظيمتان تريان العاقبة، إنهما اللتان تحفظان الجسد من الفساد .

– وكان أحمد من الناظرين إلى العاقبة ، فقد رأى الجحيم في نفس هذا المكـان ، بكل تفصيلاتها .

١٣٦٥– ورأى العرش والكرسي والجنان ، حتى مزق حجب كل ألوان الغفلة .

– وإذا كنت تريد السلامة من الضرر ، أغمض عينيك عن البدايات وانظـر إلـى عواقب الأمور .

– حتى ترى كل ألوان العدم وجودا ، وترى كل أنواع الوجود المحسوسة دنية .

– وانظر مرة إلى كل من له عقل ، هو في بحث عن العدم ليل نهار .

– فهو في الكدية ليس طالبا للجود ، وليس طالبا للنفع في الحوانيت .

١٣٧٠– وليس طالبا للدخل في المزارع ، وليس طالبا للنخل في المغارس .

– وليس طالبا للعلم في المدارس ، وليس طالبا للحلم في الصوامع .

– لقد ألقوا بأنواع الوجود خلف ظهورهم ، فهم طلاب لألوان العدم عبيد لها .

– ذلك أن منجم صنع الحق ومخزنه ، ليس إلا العدم في تجليه .

– لقد تحدثنا بيسر عن هذا الموضوع من قبل ، فانظر إلى هذا وذاك على أنهمـا موضوع واحد ، ولا تنظر اليهما كموضوعين .

١٣٧٥– إن كل صانع بز " أقرانه " ، بحث في صنعته عن موطن العدم .

– فالبناء بحث عن موضوع لا بناء فيه ، قد تهدم وانهارت سقوفه .

– وبحث السقاء عن جرة لا ماء فيها ، وذلك النجار " بحث " عن منزل لا باب له .

– فعند الصيد كان هجومهم كله على العدم ، ثم آنذاك كلهم هاربون من العدم .

– فإذا كان أملك عدما فأى توق لك منه ؟! وأى خصومة لك مع أنيس طمعك ؟!

١٣٨٠– ومادام أنيس طمعك هو هذا العدم ، فأى توَق لك من الفناء والعدم ؟!

– فإن لم تكن أنيساً للعدم أيها الابن الحبيب ، لماذا أنت مترصد في كمين العدم؟
– لقد صرفت قلبك عن كل ما لديك ، وألقيت بشص القلب في بحر العدم .
– ولماذا إذن الهرب من بحر المراد هذا ، الذي أعطى لشصك مئات الآلاف من الصيد ؟!
– ومن أى شئ سميت الزاد بالموت ؟ فانظر إلى السحر الذي أبدى لك الزاد موتاً .
١٣٨٥– لقد أغلق كلتي عينيك سحر صنعته ، حتى رغبت الروح في السقوط في البئر .
– وفي خياله من مكر الإله ، كل الخلاء خارج البئر سم وأفاع .
– فلا جرم انه اتخذ من البئر ملاذا ، حتى ألقى به الموت في البئر .
– إن كل ما قلته من أخطائك أيها العزيز ، فاسمع في نفسى هذا الموضوع أيضاً قولا من " العطار

قصة السلطان محمود والغلام الهندي

– لقد تحدث في هذا الموضوع رحمة الله عليه عن السلطان محمود وثقب در ذكره .
١٣٩٠– إنه في إحدى غزواته في الهند وقع له من الغنيمة أحد الغلمان .
– فجعله عاملا له وأجلسه على العرش ، واجتباه على الجيش وتبناه .
– وطول القصة وعرضها ووصفها بتفصيلاتها ، اطلبه في كلام هذا العظيم من عظماء الدين .
– الخلاصة أن ذلك الصبى جلس على هذا العرش الذهبى إلى جوار الملك العظيم .

– فأخذ يبكى ويذرف الدمع بحرقة ، فقال له الملك : يا منصور الأيام :

١٣٩٥– لماذا تبكى ؟! ألم ترضك الدولة ؟ إنك فوق الأفلاك قرين للملك !!

– إنك على هذا العرش والوزراء والقواد أمام عرشك قد اصطفوا كالنجوم حول القمر .

– قال الطفل : إننى أبكى هكذا بحرقة لأن لى أما في تلك المدينة .

– كانت تهددنى بك في كل لحظة قائلة : أراك في يد السلطان محمود الشجاع!!

– فكان أبى يتشاجر معها قائلا : أى غضب هذا وأى عذاب .

١٤٠٠– ألست تجدين لعنة أخرى أقل من هذه اللعنة المهلكة ؟

– إنك شديدة القسوة بل فظة وغليظة إذ تقومين بقتله بمائة سيف .

– وكنت أحار من قولها ، وكان الحزن والخوف يسكنان قلبى .

– أى جهنمى الطبع محمود" هذا ويا للعجب ، لقد صار مثلا في الويلات والكرب .

–كنت في رعدة دائمة خوفا منك ، غافلا عن إكرامك وتعظيمك

١٤٠٥– فأين أمى حتى ترانى الآن على العرش يا ملك الدنيا !!

– إن الفقر هو كمحمود بالنسبة لك أيها المعوز ، يخوفك الطبع منه على الدوام .

– ولو علمت رحمة هذا الـ " محمود " العظيم ، لقلت سعيداً ، ليجعل الله العاقبة " محمودة " .

– إن الفقر ، هو " محمود " بالنسبة لك يا خائف القلب ، فقلل الاستماع إلى أم الطبع المضللة تلك .

- وعندما تصبح صيداً للفقر ، فإن من المتيقن أنك تذرف الدمع كالطفل ، يوم الدين " فرحاً " .

١٤١٠- وإذا كان الجسد أما بالنسبة للتربية ، إلا أنه أعدى لك من مائة عدو .

- وعندما يمرض الجسد يجعلك باحثا عن الدواء ، وعندما يقوى يجعلك طاغوتاً

- فاعلم أن هذا الجسد الظلوم بمثابة الدرع ، لا يصلح لشتاء أو لصيف .

- ورفيق السوء يطيب من أجل الصبر ، وذلك أن الصبر يشرح الصدر .

- وصبر القمر على ظلمة الليل يجعله مضيئاً ، وصبر الورد على الشوك يجعله مسكا أذفر .

١٤١٥- والصبر لبن من بين الفرث والدم ، تجعله مغذيا الناقة الحلوب .

- وصبر كل الأنبياء على المنكرين ، جعلهم من خواص الحق وأصحاب السلطان .

- وكل من ترى أنه قد اكتسى جيداً ، اعلم أنه كان له بالصبر والكسب .

- وكل من تراه عاريا فقيراً ، اعلم أن هذا دليل على عدم صبره .

- وكل من يكون مكتئبا ملئ الروح بالحزن ، فإنه يكون قد اقترن بماكر .

١٤٢٠- فلو كان قد صبر على الأليف الوفى ، لما تلقى هذه الصفعة من فراقه .

- ولكان قد ائتلف مع الحق ، كالعسل واللبن ، مصداقا لقوله ﴿لا أحب الآفلين﴾ .

- ولما بقى وحيدا على هذا الحال ، كنار بقيت من القافلة على الطريق .

- وعندما صار من انعدام صبره قرينا للغير ، صار في فراقه شديد الحزن محروما من الخير .

- ومادام الذهب النضار قد صار مصاحبا لك ، فكيف تضعه أمانة لدى خائن ؟

١٤٢٥- فلتكن ألفتك معه ، فإن أمانتك معه ، آمنة من الأفول ومن العتو .

- لتكن ألفتك معه ، فهو الذي خلق الطبع ، وربى في الأنبياء طباعهم .

- إنك تعطي حملا فيرده عليك قطيعاً ، وهو يربي كل صفة لأنه الرب .

- وأنت تضع الحمل أمانة لدى الذئب ، فلا تسمح بصحبة الذئب ويوسف .

- فالذئب وإن أبدى لك صفات الثعلب ، انتبه ، لا تصدقه ، فلا يتأتى منه بهاء .

١٤٣٠- والجاهل وإن يبدي لك الود ، فإنه في النهاية يصيبك بالجراح من جهله

- إن له عضوين فهو خنثي ، ويبدو منه فعل الاثنين بلا شك " الذكر والأنثى ".

- إنه يخفي ذكره عن النساء ، لكي يبدي نفسه أختا لهن .

- ويخفي عورته الأخرى عن الرجال بكفه ، حتى يبدي نفسه من جنس أولئك الرجال .

- وقد قال الله عن فرجه ذلك المكتوم : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ .

١٤٣٥- حتى لا يخدع المبصرون لدنيا من ذي الدلال ذاك ، ومن حيلته .

- والخلاصة أنه ليس من كل ذكر تتأتى الرجولة ، فانتبه وخف من الجاهل إن كنت عالماً .

- وصداقة الجاهل ذرب اللسان ، لا تعول عليها كثيرا فهي سم معتق .

- إنه يقول لك : " يا روح أمك ، يا نور العين " ، ومن ذلك لا يزيدك إلا حزنا وحسرة .

- أليست هذه الأم تقول للأب صراحة : " إن طفلي قد حار من المكتب نحيلا جداً " ؟

١٤٤٠- ولو أنك كنت قد أنجبته من امرأة أخرى ، لكان جورك وقسوتك عليه أقل .

- انتبه ، وفر من هذه الأم وإغوائها ، إن صفعة الأب خير من حلوها .

- إن الأم هي النفس ، والأب هو العقل العظيم ، أوله ضيق وآخره مائة فتوح .

- ويا من أعطيت العقول ، الغوث ، ما لم ترد أنت ، لا يريد أحد قط .

١٤٤٥- والطلب أيضا منك وأيضاً ذلك الإحسان ، فمن نكون نحن ؟! أنت الأول ، وأنت الآخر .

- وقل أنت أيضا ، واسمع أنت ، وكنت أنت موجودا ، فنحن جميعا لا شئ ، مع العديد من الزخرف .

- فمن تحولنا عنك ، زد عندنا الرغبة في السجود لك ، ولا ترسل " إلينا " كسل الجبر وخموده .

- إن الجبر يكون جناحا وقوادم للكاملين ، وهو أيضاً سجن وغل للكسالى .

- فاعلم أن هذا الجبر مثل ماء النيل ، هو ماء بالنسبة للمؤمن و " دم " بالنسبة للمجوسى .

١٤٥٠- وإن القوادم تحمل البزاة نحو السلطان ، كما تحمل الغربان أيضاً نحو القبور .

- فعد الآن نحو شرح العدم ، فهو كالترياق لكنك تظنه سماً .

- ومثل الغلام الهندى ، انتبه ، أيها الرفيق ، وامض ، لا تكن خائفا من " محمود " العدم .

- وخف من الوجود الذي أنت فيه الآن ، فخيالك هذا لا شئ وأنت لا شئ .

- وقد عشق اللاشئ اللاشئ ، وقطع هباءٌ الطريق على هباء .

١٤٥٥- وعندما تنعدم هذه الخيالات ، تظهر لا معقوليتك عيانا .

ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت

– لقد صدق ما قاله ذلك القائد للبشر ، إن : كل من غادر الدنيا ؛

– ليس لديه ألم أو حسرة أو غبن من الموت ، لكن مائة حسرة عنده تكون من الفوت [١]

– إنه يتساءل : لماذا لم أجعل الموت قبلة ؟! وهو خزانة كل إقبال وكل زاد !!

– وجعلت من جراء الحول قبلة طوال عمرى ، تلك الخيالات التى ضاعت في الأجل .

١٤٦٠– إن حسرة أولئك الموتى ليست من الموت ، لكنها " حسب قولهم " لأننا توقفنا عند هذه النقوش !

– ونحن لم نر إلا هذه النقوش ، وهذا الزبد ، مع أن الزبد يتحرك من البحر ويجد المدد .

– وكما أن البحر يلقى بالزبد على البر ، فاذهب أنت إلى المقابر وانظر إلى ذلك الزبد .

– وسله : أين حركتك وصولاتك ؟ وهل ألقى بك البحر في بحران ؟!

– حتى يتحدث إليك لا بشفة بل بلسان الحال ، ويقول : اسأل البحر ولا تسألنا نحن .

١٤٦٥– والصورة التى كالزبد متى تتحرك دون موج ، ومتى يصعد التراب إلى الأوج دون ريح ؟!

– ومادمت قد رأيت غبار الصورة فانظر إلى الريح ، ومادمت قد رأيت الزبد ، فانظر إلى بحر الإيجاد "والخلق" .

---

[١] ج: ٥٠٦/١٣ :

– قال : ليس للماضين هم الموت ، ذلك أنهم قرناء حسرة الفوت .

- هيا ، انظر فإن ما ينفع منك هو النظر ، وما تبقى منك شحم ولحم وسدى ولحمة .

- وشحمك لا يزيد الضياء في الشموع ، ولحمك لا يكون شواء لمخمور .

- أذب كل هذا الجسد " وركزه " في البصر ، امض ناظرا ، امض ناظرا ، امض ... ناظرا !!

١٤٧٠- إن نظرة ترى ذراعين من الطريق ، ونظرة رأت الكونين ووجه المليك

- وبين هاتين النظرتين فرق لا حد له ، فابحث عن الكحل والله أعلم بالسرار.

- وما دمت قد سمعت شرحا عن بحر العدم ، فجاهد دائما حتى تقف على هذا البحر .

- وما دام أصل الصنع هو ذاك العدم ، الذي هو خلاء ودخان ولا أمارة له .

- فإن كل الأساتذة من أجل إظهار عملهم ، يبحثون عن العدم وموضع الإنكسار

١٤٧٥- فلا جرم أن أستاذ الأساتذة أى " الإله " الصمد ، مصنعه هو العدم والفناء .

- وحيثما يكون هذا العدم أكثر ، يكون فعل الحق ومصنعه .

- ولما كان العدم هو الطبقة العليا للوجود ، فلا غرو أن الفقراء حازوا قصب السبق على الجميع .

- وخاصة ذلك الدرويش الذي صار دون جسد أو مال ، ويكون مشغولا بأمر فقر الجسم ، لا السؤال .

- إن السائل هو ذلك الذي أذاب ماله ، والقانع هو ذلك الذي قامر بجسده .

١٤٨٠- إذن فلا ترفع " صوتك " بالشكوى الآن من الألم ، فهو جواد مسرع نحو العدم .

- وكفانا هذا القدر من القول ، وفكر أنت في الباقي ، وإذا كان الفكر جامدا ، فاذهب ، و " قم " بذكر الله .
- إن الذكر هو الذي يجعل الفكر في حركة ،واجعل من الذكر شمسا لهذا المتجمد!!
- والأصل في حد ذاته هو جذبة الحق لكنى يا أخى ، إعمل ... ولا تكن موقوفا على تلك الجذبة .
- ولما كان ترك العمل هو من قبيل التنعم ، متى يكون المتنعم جديرا بالمقامرة بالروح !!

١٤٨٥- ولا تفكر في القبول أو في الرد أيها الغلام ، ولكن انظر إلى الأمر والنهى على الدوام !!

- وعلى حين غرة ، يطير طائر جذبة " الحق " من عشه ، وما دمت قد رأيت الصبح ، فأطفئ الشمع آنذاك .
- وعندما صارت العيون نفاذة بنوره ، ترى اللباب في عين القشور !!
- وترى في الذرة شمس البقاء ، وترى في القطر البحر بأجمعه .

العودة مرة أخرى إلى قصة الصوفي والقاضي

- قال الصوفي : إن قصاص صفعة في القفا ، لا يجوز أن يكون التضحية بالرأس بعمى !!

١٤٩٠- وإن خرقة التسليم حول عنقي ، سهلت عليّ التعرض لصفعة !!

- لقد رأى الصوفي خصمه شديد النحول ، وقال : لو أنني لكمته كما ينبغي للخصم .
- فإنه ينهار من لكمتي الوحيدة كالرصاص ، وسوف يأمر الملك بالعقاب والقصاص .

- إن الخيمة خربة محطمة الأوتاد ، وهى تتعلل لكى تسقط !!
- وخسارة شديدة أن يقع على القصاص تحت حد السيف من أجل هذا الميت !!
١٤٩٥- ولما لم يكن قادرا على صفع خصمه ، عزم على حمله إلى القاضى .
- فهو ميزان الحق ومكيا له ، وهو المخلص من مكر الشيطان وحيلته .
- وهو مقراض الأحقاد والخصومات ، وهو قاتل للشجار بين الخصميـن والقيل والقال .
- وإن رقيته تدخل الشيطان الزجاجة ، وقانونه يجعل الفتنة ساكنة .
- وعندما يرى الخصم شديد الطمع الميزان ، يترك العناد ويتبع " الحق " .
١٥٠٠- وإن لم يكن ميزان ، مهما تزد له من القسمة ، لا يرضى عقله .
- إن القاضى رحمة ودفع للخصومة ، وهو قطرة من بحر عدل القيامة .
- والقطرة بالرغم من أنها صغيرة واهية الخطى ، فإن لطف ماء البحر يبدو منها .
- وأنت إن نظفت رأسك من الغبار ، فإنك ترى دجلة من قطرة واحدة !!
- إن الأجزاء شاهدة على أحوال الكليات ، حتى إن الشفق ينبئ عن الشمس .
١٥٠٥- وذلك القسم قصد به الحق جسم أحمد ، عندما قال تعالى : ﴿ كلا والشفق ﴾ .
- فلماذا تكون النملة مرتعدة " حرصا " على الحبة ، إذا كانت من تلك الحبة عالمة بالبيدر .
- فتعال إلى اصل الموضوع ، فإن الصوفى المسلوب القلب متعجل إلى جزاء " ما حاق به " من قسوة .
- فيا من قمت بكثير من الظلم ، كيف تكون سعيد القلب ؟! وكيف تكون غافلا عن طلب المجازى ؟!

– أو تراك نسيت أفعالك ، أو أن الغفلة أسدلت حجبها عليك !!

١٥١٠– وإن لم يكن الخصوم يجدون في طلبك ، لحسدك جرمُ الفلك على صفائك .

– لكنك محبوس من تلك الحقوق ، فاطلب العذر قليلا قليلاً عن هذا العقوق .

– حتى لا يأخذك المحتسب دفعة واحدة ، فصف ماء " جدولك " الآن مع المحب.

– وقد ذهب الصوفى نحو صافعه هذا وأمسك بخناقه كما يفعل المدعى .

– وأتى به إلى القاضى جارّا إياه ، قائلا للقاضى : طف بحمار الإدبار هذا على الحمار " مشهرا " به .

١٥١٥– أو جازه بضرب الدرة ، أو افعل ما يراه رأيك من جزاء .

– فكل من يموت تحت عقابك ذهب هدراً ، ولا دية عليك ، فقد ذهب جُبارا .

– [1] فكل من مات في حد القاضى أو تعزيره ، لا ضمان على القاضى فهو ليس بالصغير .

– إنه نائب الحق وظل لعدل الحق ، إنه مرآة لكل صاحب حق ، ولكل من عليه الحق .

– فهو يقوم بالتأديب من أجل المظلوم ، لا من أجل عرضه أو " شفاء " لغضبه ، أو لدخل " يأتيه " !

١٥٢٠– لما كان من أجل الحق ومن أجل الآخرة ، فإنه إن أخطأ ، تكون الدية على العاقلة .

---

[1] ج : ٥٣٧/١٣ :

– وكل من يرى أن موته هو من طعنة منك ، فقد برئ من النار وتقدم إلى الخلد .

– إن من يضرب من أجل نفسه يكون هو الضامن ، لكن من يضرب من أجل الحق يكون آمنا .

– فلو أن أبا ضرب ابنه ومات ، ينبغى أن تحسب الفدية على ذلك الأب .

– ذلك لأنه ضربه من أجل عمل له ، وخدمته واجبة على الولد .

– وعندما يضرب المعلم صبيا ويهلك الصبى، فلا شئ على المعلم ، ولا خوف!!

١٥٢٥– فإن ذلك المعلم نائب " للحق " وأمين ، وكل أمين حكمه هكذا .

– وليست خدمة الأستاذ واجبة عليه ، ومن ثم لا يكون ضرب الأستاذ إياه من أجل عمل له .

– لكن الأب إذا ضربه فقد ضربه من أجل نفسه ، فلا جَرَم أنه لم ينج من دفع الفدية .

– إذن فاقطع رأس " الذاتية " يا ذا الفقار ، وصر متجردا عن الذات فانيا كالدرويش .

– وما دمت قد صرت متجرداً عن الذات فكل ما تفعله تكون آمنا من " جرائه " مصداقا لـ " ما رميت إذ رميت " !!

١٥٣٠– وذلك الضمان يكون على الحق لا على الأمين ، وتفصيل هذا الأمر بين في " كتب " الفقه .

– ولكل حانوت تجارة والمثنوى هو حانوت الفقر يا بنى !!

– وفي دكان الحذَّاء جلد جيد ، وقالب للحذاء وإن تراه من خشب .

– وعند البزازين يوجد الخز والأدكن ، وإن وجد حديد فمن أجل القياس .

– وكتابنا المثنوى هو حانوت الوحدة ، وكل ما تراه غير الواحد فهو صنم .

١٥٣٥- [١] ومدح الصنم إنما يكون شراكا للعامة ، واعلم أن الأمر هو أشبه بما روى في قصة " الغرانيق العلى " !!

- لقد قرأها سريعا في سورة النجم ، لكن الأمر كان فتنة ، ولم تكن السورة هي السبب .

- لقد سجد كل الكفار في ذلك الوقت ، وقد ظنوا أنفسهم شركاء في السر ، أولئك الذين دقوا الأبواب برؤوسهم !!

- وبعد هذا هناك كلام شديد الغموض بعيد الغور ، فكن مع سليمان ، ولا تهيج الشياطين .

- وهيا ، هات حديث الصوفي والقاضي ، وذلك الظالم الضعيف شديد التحول .

١٥٤٠- قال القاضي : ثبت العرش ، أي بني ، حتى أقوم بالنقش عليه ، خيرا كان أو شرا !!

- أين الضارب ؟! وأين موضع الانتقام ؟! أهذا هو الذي صار خيالا من المرض والسقم ؟!

- إن الشرع من أجل الأحياء والأغنياء ، فمن أين يكون الشرع من أجل أهل القبور ؟!

- وتلك الفئة التي هي من الفقر بلا رؤوس ، هي أكثر فناء من موتى " الجسد " من جهات عديدة .

- إن الميت أصبح فانيا في حرص من جهة واحدة ، لكن الصوفية فانون من مائة جهة .

---

[١] ج : ١٣ : ٥٣٨ :

- وكل ما تراه فيه غير الواحد ، اعلم أنه كله من قبيل الصنم .

١٥٤٥ – إن الموت قتلٌ واحد ، وهذا " موته " ثلاثمائة ألف ، ولكل واحد منهم دية لا تعد ولا تحصى !!

– فإذا كان الحق قد قتل هؤلاء القوم عدة مرات ، فقد صب عليهم الخزائن دية لهم .

– كل منهم مثل جرجيس في باطنه ، قُتل ثم صار حيا ، ثم قتل ستين مرة .

– إنه قتيل من لذة سنان العادل ، وهو يحترق قائلاً : اطعن طعنة أخرى !!

– فوالله ، إنه من عشق الوجود العابد للحبيب ، يكون القتيل أكثر عشقاً للقتل الثاني !!

١٥٥٠ – قال القاضي : إنني صاحب القضاء بين الأحياء ، ومتى أكون حكما بين أصحاب القبور ؟!

– وهذا " المتهم " بالرغم من أنه صوريا ليس في حفرة القبر ، إلا أن أهله جاءوا من أجله إلى المقبرة !!

– لقد رأيت كثيرا أمواتا في قبور ، فانظر الآن إلى قبر في ميت أيها الأعمى .

– فإن سقطت لبنة من قبر عليك ، متى يطلب العقلاء القصاص من مقبرة ؟!

– فلا تغضب على ميت ولا تحقد عليه ، انتبه واحذر من قتال صورة في حمام!!

١٥٥٥ – واشكر الله أن حيا لم يضربك ، فمن يرده الحي ، فقد رده الحق !!

– إن غضب الأحياء هو غضب الحق وطعنه ، فهو حي بالحق ذلك الطاهر الجلد .

– لقد قتل الحق " أحدهم " ونفخ في ساقه ، ثم سلخ جلده سريعا كالقصابين .

وبقي فيه النفخ حتى المآب ، ونفخة الحق لا تكون كنفخة ذلك القصاب .

– وهناك فرق كبير بين النفختين ، فكل هذه النفخة زين وتلك " أي نفخة القصاب " كلها شين .

١٥٦٠– إن هذه النفخة أي نفخة القصاب قد جعلت الحياة تنتفى عنه وصار مضرورا ، لكن الحياة قد استمرت واستقرت من نفخة الحق .

– إن هذه النفخة ليست تلك النفخة التى تتأتى في شرح ، فيها اصعد من قاع الجب إلى أعلى الصرح .

– فلا اجتهاد هناك من أجل التشهير " بهذا المريض " على حمار ، فهل يضع أحد صورة حطب على حمار؟!

– إنه ليس جديرا بالوضع على ظهر حمار ، وأولى به أن يوضع على ظهر تابوت .

– فما هو الظلم ؟ إنه وضع الشئ في غير موضعه ، فانتبه ولا تضيع " الأمر " بوضعه في غير موضعه .

١٥٦٥– قال الصوفى : إذن فأنت تجوز له أن يقوم بصفعى دون تعزير ودون " أن يدفع " شروى نقير ؟!

– فهل يجوز إذن أن يصفع فدم ضخم[١] محتال الصوفية بالمجان ؟!

– [٢] قال القاضى ماذا لديك من مال قل أو كثر ؟! قال " المريض " أملك من حطام الدنيا ستة دراهم !!

---

[١] حرفيا : دب ضخم .

[٢] ج : ٥٤٣/١٣ :

– قال الصوفى وما جدوى الصفع ، انهض ، وكفاك جدلا مع مثل هذا المريض .

– قال القاضى : انفق على نفسك إذن ثلاثة دراهم ، وأعطه الثلاثة الأخرى دون أن تتبس !!

– إنه نحيل وفقير وضعيف ، وتلزمه ثلاثة دراهم من أجل رغيف وبعض الفجل.

١٥٧٠ – [١] فوقع نظر " المريض " على قفا القاضى ، فبدى له أعرض من قفا الصوفى !!

– فأخذ يمد يده من أجل صفعه ، قائلاً " في نفسه " ، لقد صار قصاص صفعى رخيصاً .

– وتقدم من أذن القاضى وكأنه " يريد " أن يفضى إليه بسر ، وصفعه صفعة قوية .

– وقال : خذا الدراهم الستة كلها أيها الخصمين ، وبهذا أصبح أنا حرا من هذا الجدل العقيم ومن العقوبة !!

غضب القاضى من صفع الدرويش

ولوم الصوفى للقاضى

– وغضب القاضى فقال الصوفى : انتبه ، فحكمك عدل ، وليس من الهوى بلا شك .

١٥٧٥ – وما لا تقبله لنفسك يا شيخ الدين ، كيف تقبله على أخيك أيها الأمين؟!

–ألا تعلم أنك تحفر من أجلى بئراً ، ثم تلقى بنفسك فيه في النهاية ؟!

---

[١] ج : ١٣/٥٤٣ :

– واشتبك القاضى والصوفى معا في قيل وقال ، لكن ذلك المريض كان ضعيفاً في حال شديدة !

- ألم تقرأ في الخبر " من حفر بئراً " ؟! اعمل إذن بما قرأت يا روح أبيك !!
- فإن كان هذا هو حكمك في القضاء ، الذي أتى لك بصفعة على قفاك .
- فويلاه من أحكامك الأخرى ، ترى ماذا تجلب لرأسك ولقدميك ؟!

١٥٨٠- وهل تشفق على ظالم كرما منك ، وتقول له : احتفظ بثلاثة دراهم لنفقتك .

- ابتر يد الظالم ، فأى موضع هذا الذي تسلم إليه الحكم والزمام ؟!
- وما أشبهك بتلك الماعز يا مجهول العدل ، التى أرضعت من لبنها جرو ذئب !!

جواب القاضي على الصوفي

- قال القاضى : ينبغى علينا الرضا بكل صفعة على القفا وكل جفاء يأتى به القضاء .
- إننى راض في باطنى بحكم الكتاب ، بالرغم من عبوس وجهى ، فالحق مر .

١٥٨٥- إن قلبى هذا كالبستان وعينى كالسحاب ، فالسحاب يبكى ، والبستان يضحك سعيداً نضراً .

- والسنة القحط من الشمس الضاحكة خبط عشواء ، تكون البساتين في موت وفي نزع .
- ولقد قرأت في كلام الله " فابكوا كثيراً " ، فلماذا بقيت هكذا ضاحكاً كأنك رأس " حمل " مشوى ؟!
- وتكون ضياءً للدار كأنك الشمع ، وذلك إذا ذرفت الدمع كالشمع .
- وذلك العبوس من الأم أو الأب ، صار حافظاً للابن من كل ضرر .

١٥٩٠- لقد رأيت لذة الضحك يا ضاحكاً كيفما اتفق ، فانظر إلى لذة البكاء فهو

منجم سكر .

– وما دام ذكر جهنم يجلب البكاء ، فإن جهنم إذن تجمل عن الجنان .

– إن الضحكات مختفية في البكاء ، وابحث عن الكنوز في الخرابات أيها الساذج .

– لقد فقدوا الخطى إلى اللذة " الكامنة " في الأحزان ، وأخفوا ماء الحياة في الظلمات .

– إن النعال مقلوبة في الطريق حتى الرباط ، فافتح عينيك عن آخرهما على سبيل الإحتياط .

١٥٩٥– وافتح عينيك عن آخرهما اعتبارا ، واجعل عينى صديق عونا لعينيك .

– واقرأ في الكتاب ﴿ أمرهم شورى ﴾ ، فكن للصديق ، ولا تتدلل عليه ولا تتأفف منه .

– فالصديق للطريق يكون ظهيرا وملجأ ، وعندما تنظر جيدا فالصديق هو الطريق .

– وعندما تصل إلى الأصدقاء اجلس صامتا . ولا تجعل نفسك فصا في تلك الحلقة .

– وأمعن النظر في صلاة الجمعة بذكاء ، فالجميع مجتمعون وذوو فكر واحد ، وصامتون .

١٦٠٠– وجر أمتعتك نحو الصمت ، وإن كنت تبحث عن هدف ، فلا تجعل نفسك هدفا .

– إذ قال الرسول ﷺ : في بحر الهموم ، اعلم أن الصحابة في الدلالة كأنهم النجوم .

– فضع عينيك علـى النجـوم وابحث عـن الطريـق ، فـالنطق يكـون باعثـا علـى اضطراب النظر ، فلا تنطق .

– فإذا تحدثت بكلمتي صدق يا فلان ، فإنما يتبعهما انهمار الكلام الغث !!

– ألم تقرأ يا مستهام أن الكلام ذو شجون ، وأنه يجر بعضه بعضاً !!

١٦٠٥– فانتبه ، ولا تبدأ بهذا الكلام الرشيد ، فإن الكلام يجر بعضه بعضاً .

– فليس الفم طـوع أمرك عندمـا تفتـح فمـك مـن أجـل أن تقـول كلامـا صـافيا ، فسرعان ما يصير الزلال كدراً .

– وذلك المعصـوم عن طـريق الوحي الإلهـي ، يجوز له أن يتحدث ، لأن كل " قوله " صاف .

– ذلك أن الرسول ﷺ ﴿ ما ينطق عن الهوى ﴾ ، فمتى يتولد الهوى ممن عصمه الله .

– فاجعل نفسك بليغا عن طريق الحال ، حتى لا تصبح مثلي مسخرا للمقال !!

سؤال الصوفي للقاضي

١٦١٠– قال الصوفي : إذا كان الذهب من منجم واحد ، فلمـاذا يكـون هـذا نفعـا وذلك ضرراً .

– وإذا كان الناس جميعا قد خلقوا من يد " صنع " واحدة ، فلماذا يكون هذا يقظا وذاك ثملا ؟!

– وإذا كانت كل هـذه الجداول جاريـة مـن بحـر واحـد ، لمـاذا هـذا " الجـدول " كالعسل والآخر سم في الأفواه ؟!

– وإذا كـانت كـل الأنـوار مـن شـمس البقـاء ، فمـن أيـن ظـهـر الصبـح الصـادق والصبح الكاذب ؟!

– وإذا كان الناظر مكتحلا من كحل واحد ، فمن أي شئ تتأتى الرؤية الصحيحة والحول ؟!

١٦١٥– وإذا كان سلطان دار السكة هو الله ، فلماذا يكون بعض النقد صحيحا والآخر زائفا ؟

– وإذا كان الله قد أمر بأن الطريق طريقه ، فمن أي شئ يكون هذا خفيراً " في الطريق " وذاك قاطعاً للطريق ؟!

– وكيف يولد من بطن واحدة العاقل والسفيه ، مادام قد تيقن أن الولد سر أبيه ؟

– فمن الذي رأى وحدة واحدة مع عدة آلاف " من الصور " ، ومئات الآلاف من أنواع الحركة من مستقر واحد ؟!

جواب ذلك القاضي على الصوفي

– قال القاضي : أيها الصوفي ، لا تتحير ، واستمع إلى مثالٍ في هذا الأمر .

١٦٢٠– [1] كما أن اضطراب العشاق ، قد حدث من اطمئنان المعشوق وثباته ؛

– فهو – أي المعشوق – ثابت في الدلال كالجبل ، والعشاق كأنهم الأوراق مرتعدون .

– وضحكه قد أثار " فيهم " البكاء ، وعزه وكرامته اراقت ماء الوجوه .

– وكل هذه التساؤلات عن سبب هذا الأمر وكيفيته كالزبد ، تتموج على سطح البحر الذي لا كيفية له .

– فلا ضد ولا ند له في الذات والعلم ، ومن هنا تكسى الموجودات بالحلل .

---

(1) ج : ١٣/ ٥٦١ :

– انظر إلى هذا واعلم حال ذاك جيدا ، وإن لم تر الحال ، فاقرأ جيدا

١٦٢٥- ومتى يعطى الضد ضده الوجود والقوام ، بل إنه يهرب منه ويقفز نافرا!!

- وماذا يكون الند ؟! إنه مثل ، مثل في الخير أو الشر ، ومتى يجعل المثل مثيلا له ؟!

- فإذا كانا مثيلين أيها المتقى ، فكيف يكون هذا أولى من ذاك بالخلق !!

- وهناك أضداد وأنداد بعدد أوراق البستان ، كلها كالزبد على سطح البحر الذي لا ضد له ولا ند .

- فانظر إلى مد البحر وجزره على أساس أنه بلا كيفية ، وكيف تستوعب الكيفية في ذات البحر ؟!

١٦٣٠- وإن أقل لعبة من لعبه هي روحك ، ومتى صحت كيفية الروح وأحوالها؟!

- إذن ، فمثل ذلك البحر الذي في كل قطرة منه ، يصير العقل والروح أكثر بدائية من البدن .

- متى يستوعب في مضيق الكم والكيف ، والعقل الكل فيه ممن " لا يعلمون "!!

- ويقول العقل للجسد ، أيها الجماد ، ألم تشم رائحة قط من بحر المعاد ذلك ؟!

- فيرد الجسم ، إنني يقينا ظل لك ، ومن الذي يبحث عن العون من ظل يا روح عمك !!

١٦٣٥- فيقول العقل : ليس لهذه الحيرة نهاية ، فإن المستحق يكون أكثر جرأة من غير المستحق .

- فالشمس الأكثر بهاء هنا ، تقوم بخدمة الذرة وكأنها التابع !!

والأسد هنا يطأطئ رأسه أمام الغزال ، والبازي هنا يخفض الجناح أمام طائر

السلوى !!

– أتراك لا تصدق إذن أن المصطفى ﷺ كان يطلب من المساكين الدعاء .

– فإن قلت : إنه من أجل التعليم ، فعلى أى وجه يكون عين التجهيل تفهيماً ؟!

١٦٤٠– بل إنه كان يعلم أن الكنز الملكى ، يضعه في الخرابات ذلك المليك .

– إن سوء الظن " في الأولياء " نـاتجٌ مـن فعلـه المعكـوس هـذا ، وإلا فـإن كـل جزء منه منبىءٌ عنه .

– بل إن الحقيقة غارقة في الحقيقة ، ومن هنا صار " النـاس " سـبعين فرقـة بـل مائة فرقة .

– وسوف أقول لك وأحدثك عما تشاء ، فانتبـه أيهـا الصوفـى وافتـح أذن الـروح عن آخرها .

– ألست من كل بلاء ينزل عليك من السماء ، تنتظر خلعة تأتيك من بعده ؟!

١٦٤٥– لقد ذقت صفعة القفا فانظر بعدها إلى الصفاء ، " إن القصاب " يبيـع مـا حول الفخذ مع ما حول الرقبة

– فهو ليس ذلك المليك الـذي يصفعـك ثـم لا يهبـك التـاج والعـرش الـذي تركـن إليه!!

– ولدنيا كاملة ثمنٌ هو جناح بعوضة ، ولصفعة عطاءٌ لا ينتهى .

– فاسحب عنقك بمهـارة مـن هـذا الطـوق الذهبـى للدنيـا ، وتلـق الصفعـات مـن الحق!!

– تلك الصفعات التى تلقاها الأنبياء ، ومن ذلك البلاء رفعوا الرؤوس .

١٦٥٠– لكـن ، كـن حـاضرا فـي ذاتـك أيهـا الفتـى ، حتـى يجدك حـاضراً فـي المنزل!!

– وإلا حمل الخلعة واستردها قائلاً : لم أجد أحدا في الدار .

سؤال الصوفى ذلك القاضى ثانية

– قال الصوفى : ماذا كان يحدث لو أن " وجه " هذه الدنيا تهلل بالرحمة على الدوام ؟!

– ولو لم تقدم فتنة في كل لحظة ، ولو لم تجلب الوخز من تلوينها .

– ولو لم يسرق الليل مصباح النهار ، ولو لم يسلب الشتاء " رونق " البستان الذي يغرى باللهو .

١٦٥٥– ولو لم يحطم حجر الحمى كأس الصحة ، ولو لم يجلب الخوف الكرب للأمن ؟!

– ما الذي كان ينقص من جوده ورحمته ، إن لم يكن هناك غصة خلال نعمته؟! (١)

جواب القاضى على سؤال الصوفى وضربه المثل بقصة التركى والخياط

– قال القاضى : يا لك من صفيق وجه أيها الصوفى ، وخال من الفطنة كالكاف في الخط الكوفى .

– ألم تسمع أن ذلك المليئ الشفة بالشهد ، كان يتحدث عن غدر الخياطين بليل .

– وكان يروى للخلق الحكايات السالفة عن غدر تلك الطائفة .

١٦٦٠– كان يروى الحكايات مع هذا وذاك ، عن سرقة قطع القماش عند تفصيلها .

---

(١) ج: ٣١ ظ٥٣٦ :

– لكان الحال طيبا وسعيدا على الجميع ، ولقل كدر أرواح الأنس والجن .

– ولكان حضور اللذةالحلوة دائما ، ولكان الشوق الدائم في الروح حلوا .

- وعندم وجد المستمع من بين أولئك الناس ، صار كل عضو منه " قاصا " للحكاية .

قال النبي ﷺ : { إن الله تعالى يلقن الحكمة على لسان الواعظين بقدر همم المستمعين }

- إنه جذب الاستماع ، إن كانت للمرء طلاوة في الشفة ، وإن حماس المعلم وجده من التلميذ .

- وعازف الصنج الذي يعزف " المقامات " العشرين والأربع ، عندما لا يجد مستمعاً ، يكون الصنج حملاً عليه !!

١٦٦٥- فلا ألحان يذكرها ولا غزل ، ولا تتحرك أصابعه العشرة عند العمل !!

- وإن لم تكن هناك آذان متلقية للغيب ، لما جاء الوحى من الفلك ببشرى واحدة.

- وإن لم تكن هناك أبصار ناظرة إلى الصنع ، لما دار الفلك ولما ضحكت الأرض .

- إن هذا النفَس القائل " لولاك " يعنى أن العلم من أجل العين الحادة ومن أجل النظارة " إليه " .

- والعامى من عشقه للضجيعة والطعام ، متى يكون مهتما بعشق صنع الحق .

١٦٧٠- وإنك لا تصب ماء النخالة في الطبق ، إن لم يكن هناك عدد من الكلاب آكلة له !!

- فامض ، وكن كلب كهفه الإلهى ، حتى يخلصك اصطفاؤه من هذا الطبق .

- وعندما تحدث عن هذه السرقات القاسية ، التى يقوم بها هؤلاء الخياطون في الخفاء .

– كان في هذا الجمع تركى من الخطا ، غضب أشد الغضب لاكتشافه هذه الأمور

– لقد كان " ذلك الراوى " يقوم ليلا بكشف هذه الأسرار وكأنها نهار القيامة من أجل أولى النهى !!

١٦٧٥– وحيثما تقترب من معركة ما ، وترى عدوين ، كلاهما يجاهد في كشف أسرار الآخر .

– فاعلم أن تلك اللحظة هى المحشر المذكور ، واعلم أن ذلك الحلق الناطق بالأسرار هو الصور .

– وأن الله تعالى قد هيأ أسباب الغضب ، بحيث تنشر تلك الفضائح في الطريق

– ومن كثرة ما تحدث " الراوى " عن خيانة الخياطين ، أحس التركى بالغبن وتألم وغضب .

– فقال : يا أيها الراوى ، من أمهر الناس في مدينتكم في هذا المكر والاحتيال؟!

إدعاء التركي ومراهنته على أن الترزي لا يستطيع أن يسرق منه شئياً

١٦٨٠– قال : إنه خياط يدعى بورشش ، إنه في خفة اليد هذه عند السرقة قاتلٌ للخلق .

– قال " التركى " : إننى متأكد إنه مهما فعل من ضوضاء ، لن يستطيع أن يسرق منى خيطا واحداً .

– فقالوا له : إن من هو أكثر مهارة منك قد هزم منه ، فلا تبالغ في الادعاء .

– فامض ولا تغتر بعقلك هذا ، فإنك سوف تحار في حيله .

– فازداد التركى حماسا وراهن على أنه لن يستطيع أن يسرق منه قديما أو جديداً .

١٦٨٥– فزاد المطمعون في حماسه سريعا ، فقدم المراهنة وفتح الرهان قائلاً :

– إن الرهان هو جوادى العربى هذا ، سوف أعطيه لكم إن سرق منى قماشا باحتياله .

– وإن لم يستطع السرقة ، آخذ منكم جوادا في مقابل رهانى الذي بدأت به .

– ولم يزر النوم التركى تلك الليلة من قلقه ، وذلك أنه كان يتقاتل مع خيال اللص .

– وفي الصباح الباكر وضع تحت ابطه قماشا من الأطلس ، ومضى إلى السوق ، قاصدا حانوت ذلك المحتال .

١٦٩٠– وألقى عليه السلام بحرارة ، وهب " الأستاذ " من مكانه مرحبا به .

– وسأله بحرارة مما يزيد على عادة الترك ، حتى ألقى في قلبه بمحبته .

– وعندما سمع منه " التركى " هذا التغريد البلبلى ، ألقى أمامه بالأطلس الاستانبولى .

– قائلاً له : فصل لى هذا القماش قباءً ليوم القتال ، واسعا تحت سرتى ضيقا من أعلى .

– ضيق من أعلى ليكون زينة للعين ، وواسع من أسفل حتى لا يعوق القدم .

١٦٩٥– فقال : سمعا وطاعة يا ذو الوداد ، ووضع يده على عينه علامة القبول.

– ثم قاسه ، ونظر إلى ظاهر الأمر ، وانطلق بعدها في " النخع " .

– عن حكايات الأمراء الآخرين ، وعن جود أولئك النفر وعطائهم .

– وعن البخلاء وطفيليتهم ، وقدم العلامات والامارات وذلك لكى يثير الضحك.

– وكالنار أخرج مقصا وأخذ يقص ، وشفته مليئة بالحكايات والمُلَح .

قول الخياط للفكاهات ، وإغماض التركى لعينيه من

شدة الضحك واهتبال الخياط للفرصة

١٧٠٠– أخذ التركى في الضحك من الحكايات ، واغمضت عيناه الضيقتان في تلك اللحظة .

– فسرق قطعة من القماش وأخفاها تحت فخذه خفية عن كل الأحياء ولم يره إلا الله .

– كان الحق يرى ذلك ، لكنه الستار ، وهو أيضاً الفضاح إذ زاد الأمر عن حده

– ومن لذة الحكايات وحلاوتها ، ذهبت عن قلب التركى كل ادعاءاته السابقة .

– فما الأطلس ؟! وما الإدعاء ؟! وما الرهان ؟! إن التركى ثمل الرأس من هذا الأخ الكبير .

١٧٠٥– وتضرع إليه التركى قائلاً : بالله ، داوم على هذرك وفكاهاتك فإنها صارت غذاءً لى .

– فقال طرفة مضحكة ذلك المحتال ، بحيث استلقى التركى على قفاه من القهقهة

– فوضع قطعة من الأطلس سريعا تحت تكة السروال ، والتركى الغافل لايزال يستمرئ الحكايات اللطيفة .

– وهكذا وللمرة الثالثة قال التركى الخطائى ، قل فكاهة بالله .

– فقال فكاهة أكثر إضحاكاً من الأولين ، صاد بها ذلك التركى بكليته .

١٧١٠- وثمل التركى المدعى من القهقهة ، وصار مغلق العين طائر اللب مولها

- ثم سرق من القباء قطعة ثالثة ، فمن قهقهته وجد الميدان متسعاً .

- وعندما طلب ذلك التركى الخطائى فكاهة رابعة من ذلك " الأسطى " .

- أشفق عليه ذلك الأستاذ ، ومن أن يقوم فيما تبقى بالاحتيال والظلم .

- وقال " في نفسه " ، لقد صار هذا المفتون مولعا بهذا الأمر ، وهو غافل عن غبنه وخسارته في هذا الأمر!

١٧١٥- فقبل التركى الأسطى قائلا : ارو لى ملحة أخرى بالله .

- فيا من صرت أحدوثة وممحوا من الوجود ، حتام تريد تجربة الخرافة والهباء؟

- وليست هناك خرافة أكثر إضحاكا منك ، فقف على حافة لحدك الخرب !

- ويا من سقطت في قبر الجهل والشك ، حتام تبحث عن قصص الفلك وفكاهاته؟

- وحتام تتجرع إغراء هذه الدنيا ، فلا عقلك بقى على نسقه ولا روحك .

١٧٢٠- إن هزل هذا الفلك النديم التافه ، أراق ماء وجه الآلاف من أمثالك !!

- إنه يفصل ويخيط هذا الخياط العام ، ثياب الأطفال السذج الذين يبلغون من العمر مائة عام .

- وبالرغم من أن مزاحه أعطى العطايا للبساتين ، إلا أنه عندما حل الشتاء ذرى عطاياه أدراج الرياح .

- وقد جلس الشيوخ الأطفال أمامه متكدين ، حتى يمزحون " متحدثين " عن سعده ونحسه !!

قول الخياط للتركي : انتبه واصمت فلو قلت فكاهة أخرى لضاق قباؤك

– قال الخياط : أيها الخصى دعك من هذا ، فالويل لك لو قلت لك فكاهة أخرى!

١٧٢٥– إذن لضاق قباؤك تماما ، ولا يفعل بنفسه هذا أحد قط !!

– أى ضحك هذا ؟! إنك لو عرفت السر ، لبكيت بدلا من الضحك دماً[١] .

بيان أن العاطلين وطالبى المزاح مثل ذلك التركى ، والدنيا الغرورة الغادرة مثل ذلك الخياط والشهوات والنساء هى مزاح هذه الدنيا ، والعمر مثل ذلك الأطلس أمام ذلك الخياط من أجل صنع قباء البكاء ولباس التقوى

– إن خياط الدهور قد مزق أطلس عمرك قطعة قطعة بمقراض الشهور !!

– وأنت لا زلت تتمنى أن يمازحك الفلك على الدوام ، ويكون سعدا عليك إلى الأبد .

– وتهلع كثيرا من تربيعاته ، ومن دلاله وبغضه وآفاته .

١٧٣٠– وتتألم كثيرا من صمته ومن نحوسه وقبضه وسعيه في الانتقام .

---

[١] ج : ١٣ : ٥٨١ :

– فاترك الضحك أيها التركى الثمل ، ذلك أن عمرك قد نفد وسوف تنقلب.

– وعندما ترك الخياط القباء من يده ، كان ذلك التركى الثمل قد أضاع الجواد.

– واستمع إلى خلاصتها : إنك ذلك التركى المخدوع ، والدنيا الغادرة هى الغول .

– والأطلس الذى كان ينبغى أن تخيطه للتقوى والصلاح انفقته على المزاح .

– والعمر هو إطلسك والمزاح هو الشهرة . والنهار والليل هما القراض والضحك هو الغفلة .

– والجواد هو الإيمان ، والشيطان كامن لك ، فانتبه واقلع عن هذا المزاح .

- قائلا : لماذا لا تكون زُهرة الطرب مستمرة في الرقص ، لا تتوقف أنت على سعودها ورقص سعدها .

- فيقول لك الفلك : إنني لو زدت في مزاحك لجعلتك شديد الغبن .

- فلا تنظر إلى زيف تلك الكواكب ، وانظر إلى عشقك مبذولا للزيف أيها المهان !!

مثـــل

- كان أحدهم يمضي في الطريق صوب حانوته ، فرأى الطريق أمامه غاصا بالنساء .

١٧٣٥- كانت قدمه تحترق من عجلته ، والطريق مسدود بجماعات من النسوة كأنهن الأقمار.

- فاتجه إلى امرأة وقال : أيتها الضعيفة ، كم أنتن كثيرات أيتها الصبايا .

- فالتفتت إليه تلك المرأة وقالت : أيها الأمين لا تنظر إلى كثرتنا بإنكار .

- وانظر أنه على كثرتنا على وجه الأديم ، فإن مجال التمتع قد ضاق بكم .

- فتسقطون في اللواط من قلة النسوة ، والفاعل والمفعول هما فضيحة الزمن !!

١٧٤٠- فلا تنظر إلى حوادث الدهر ، إذ أنها تتحول من الفلك هنا إلى نوائب .

- ولا تنظر إلى ضيق الرزق والمعاش ، ولا تنظر إلى هذا القحط والخوف والارتعاد .

- بل انظر أنه مع كل مراراته ، إنكم موتى عشقا فيه وفي عدم اهتمامه بكم .

- فاعلم أن الامتحان المر من قبيل الرحمة ، واعلم أن مُلك بلخ ومرو نقمة .

- فلم يهرب إبراهيم ذاك من التلف وصمد فيه ، وهرب إبراهيم هذا من العز وانطلق .

١٧٤٥- وذلك لا يحترق وهذا يحترق ويا للعجب ، إن الأمور معكوسة في طريق الطلب !!

تكرار الصوفي للسؤال

- قال الصوفي : إن ذلك المستعان قادر على أن يجعل تجارتنا بلا خسارة .
- وذلك الذي يجعل النار ورد وشجرا ، قادر أيضاً على أن يجعل هذه " النار " بلا ضرر .
- وذلك الذي يخرج الورد من نفس الشوك ، يستطيع أن يجعل الشتاء ربيعاً .
- وذلك الذي يجعل كل شجرة سرو ممشوقة القوام ، قادر على تحويل الحزن إلى سرور .

١٧٥٠- وذلك الذي صار كل عدم موجودا منه ، ماذا ينقص " من ملكه " إذا تركه باقياً ؟!

- وذلك الذي يعطى الجسد روحا من أجله أن يحيا ، إن لم يمته ما الذي يحيق به من ضرر ؟!
- وماذا يكون لو يهب ذلك الجواد العبد مقصوده دون أي اجتهاد .
- ويبعد عن الضعفاء مكر النفس وفتنة الشيطان اللعين التى تترصدهم[١] .

جواب القاضي على الصوفي

- قال القاضي : إن لم يوجد الأمر المر ، وإن لم يكن الجميل والقبيح والحجر والدر !!

---

(١) ج : ١٣ : ٥٨٦ :

- ويجعل وقت الطالب قليل التفرقة ، ويجعل مرآة القلب مثل كأس جمشيد

١٧٥٥- وإن لم توجد النفس والشيطان والهوى ، وإن لم يحدث الطغيان والخصومة والوغى .

- فبأى اسم إذن كان المليك يلقب عبيده أيها المتهتك ؟!

- وكيف كان يقول أيها الصبور وأيها الحليم ، وكيف كان يقول أيها الشجاع وأيها الحكيم !!

- وكيف كان الصابرون والصادقون والمنفقون يوجدون دون وجود لقاطع طريق وشيطان لعين .

- ولاستوى من " في شجاعة " رستم وحمزه والمخنث ، ولبطل العلم " واختفت " الحكمة وهدما !!

١٧٦٠- فالعلم والحكمة " من أجل التفرقة " بين الطريق واللاطريق ، وعندما يكون " الوجود كله " طريقا ، فتلك الحكمة لا جدوى منها .

- ومن أجل حانوت الطبع هذا الذي يشبه الماء المالح هل تجيز أن يكون العالمان خرابا ؟!

- إننى أعلم انك طاهر ولست بالساذج ، وسؤالك هذا من أجل العوام .

- إن جور الزمان وكل أمل يكون ، أسهل من الغفلة والبعد عن الحق .

- ذلك أنها أمور تمر ، لكن هذا الأمر لا يمر ، وإنما يكون مقبلا ذا دولة من يكون ذا روح واعية .

حكاية في بيان أن الصبر على الشدة أيسر من الصبر على فراق المحبوب

١٧٦٥- قالت امرأة لزوجها ، انتبه يا من طويت طريق المروءة دفعة واحدة .

– إنك لا تقوم برعايتى أبداً فلماذا ؟! وحتام ابقى على هذه المذلة ؟

– قال الزوج : إننى احتال على النفقة ، وبالرغم من أننى خالى الوفاض ، إلا أننى أسعى بيدى وقدمى .

– إن النفقة والكسوة واجبتان على أيتها الحسناء ، وهما لك منى بلا زيادة أو نقصان .

– فأبدت المرأة كم ثوبها ، وكان الثوب شديد الخشونة مليئا بالقذارة .

١٧٧٠– وقالت : إنه يخز جسدى من خشونته ، فهل يكسو أحدٌ أحداً على هذا النمط ؟!

– فقال : أيتها المرأة لأسألك سؤالا ، إننى رجل فقير ، وهذا هو قصارى جهدى

– إنه – حقيقة – خشن وغليظ وغير مقبول ، لكن فكرى أيتها المرأة الذكية .

– أهوأكثر خشونة وقبحا أو الطلاق ؟! هل تكرهينه اكثر أو تكرهين الفراق ؟

– وكذلك أيها السيد الذي تقوم بالتشنيع على البلاء والفقر والآلام والمحن .

١٧٧٥– ولاشك أن ترك الهوى يصيب بالمرارة ، لكنه افضل من مرارة البعد عن الحق .

– وإذا كان الجهاد والصيام صعبين قاسيين ، لكنهما أفضل من أن يمتحن المرء بالبعد .

– ومتى يبقى الألم في تلك اللحظة التى يقول لك فيها ذو المنن كيف أنت يا مريضى ؟

– وإن لم يتحدث إليك ، لأنك لا تملك ذلك الفهم والقدرة ، لكن لذتك – حين المرض – هى هذا السؤال .

– وأولئك الحسان ، أى أطباء القلوب ، يميلون على المرضى سائلين إياهم .

١٧٨٠- وإذا توخوا الحذر توقيا للشهرة ، فإنهم يحتالون ويرسلون الرسائل ؛

– وإلا فإن في قلوبهم ذلك الذي يفكرون فيه ، فلا معشوق قط غافل عن عاشقه!

– فيا باحثاً عن نوادر الحكايات ، اقرأ أيضاً أسطورة المقامرين بالعشق !

– ولطالما غليت في هذا العهد المديد ، ولم تصبح حتى مغليا على طريقة الترك ، أيها القديد !!

– ولقد شاهدت عمرا العدل والحكم ، ولازلت أكثر فجاجة ممن لم يشاهده .

١٧٨٥- إن كل من اتخذته تلميذا قد صار أستاذا ، وأنت قد سرت القهقرى أيها الأعمى العنيد .

– وإن م يكن لديك من والديك اختبار ، ألم يكن لك اعتبار من الليل والنهار .؟

مثل

– سأل أحد العارفين ذلك القسيس الشيخ ، أأنت اسن أيها السيد أو لحيتك ؟!

– قال لا لقد ولدت قبلها ، وعشت كثيرا دون لحية ،

– قال لقد ابيضت لحيتك وتغير حالها ، لكن طويتك القبيحة لم تطب .

١٧٩٠-- لقد ولدت بعدك لكنها سبقتك ، وأنت جاف هكذا من شهوة الثريد .

– وأنت على نفس اللون الذي ولدت به ، ولم تتقدم بعده خطوة واحدة.

– وأنت كالدوغ حامض من أصله ، ولم تقم باستخلاص الزيت منه .

– وأنت خمير خمرت طينته ، بالرغم من أنك قضيت عمرا في موقد نار .

– وكعنبة جذورها في طين على تل ، بالرغم من أنها ميالة الرأس من رياح الهوس .

١٧٩٥- ومثل قوم موسى في حر التيه ، بقيت في مكانك أربعين سنة .

– إنك تمشي مهرولا كل يوم حتى الليل ، لكنك ترى نفسك في أول مرحلة .

- ولن تعبر بُعدك هذا الذي استمر ثلاثمائة سنة ، مادمت عاشقا لذلك العجل .

- فمادام خيال العجل لم يغادر قلوبهم ، كان التيه عليهم كالدوامة الفظيعة .

- ولرأيت غير ذلك العجل الذي وجدته منه ، لطفا ونعمة لا نهاية لهما !!

١٨٠٠- فيا بقرى الطبع ، إن هذه النعم الجزيلة ، قد ذهبت عن قلبك في عشق هذا العجل .

- فاسأل مرة كل عضو من أعضائك ، فإن هذه الأعضاء الخرساء ذات مائة لسان .

- واذكر نعم رزاق الدنيا ، التى اختفت بين طيات اللسان .

- انك جلدٌ ليل نهار في طلب الخرافات ، وأعضاؤك عضوا عضوا متحدثة عن كونك خرافة .

- وحتى نبتت أعضاؤك عضوا عضوا من العدم ، شاهدت كثيرا من ألوان السرور وكثيرا من الأحزان .

١٨٠٥- ذلك أنه بلا لذة لا ينمو عضو قط ، بل إن كل عضو يصير نحيلا من أى ضغط أو التواء .

- لقد بقى العضو ، وذهبت تلك اللذة من الذاكرة ، لا ، إنها لم تمض بل اختفت عن " الحواس " الخمسة و " الأفلاك " السبعة !!

- مثل الصيف الذي " نتج " فيه محصول القطن ، وبقى القطن ، وذهب الصيف من الذاكرة .

- أو كالثلج الذي ينتج في الشتاء ، واختفى الشتاء ، بينما بقى ذلك الثلج أمامنا .

– فالثلج تذكار عن قسوته تلك ، وتذكار الصيف عندما يحل الشتاء[1] هو تلك الثمار .

١٨١٠– وهكذا كل أعضائك عضوا عضوا أيها الفتى ، منبئة عن نعمة ما في جسدك .

– كامرأة لها عشرون ابنا ، كل واحد منهم حاك عن حال لذة .

– فالحمل لا يكون دون نشوة ومداعبة ، ومتى تكون الحديقة منتجة دون ربيع؟!

– فالحوامل واولاء الذين يحملن أطفالهن ، صرن دليلا على ممارسة الحب في الربيع .

– وكل شجرة في رضاع للأطفال ، كمريم حامل من َملك في السر .

١٨١٥– وبالرغم من أن ناراً قد اختفت في الماء ، فإن مئات الآلاف من الحباب متموجة عليه .

– وبالرغم من أن النار تقوم بعملها في السر ، فإن الزبد يشير إليها بوضوح تام!! [2]

– مثل ذلك أعضاء المنتشين بالوصال ، حامل لصور الحال والمقال .

– وفي جمال الحال عجزت الأفواه ، وذهلت الأبصار عن صور الدنيا .

– وتلك المواليد ليست من رحم هذه " العناصر " الأربعة ، فلا جرم أن هذه الأبصار لا تشاهدها .

---

(١) حرفيا : في شهر دئ .

(٢) حر : بإصابعه العشرة .

١٨٢٠- لقد ولدت هذه المواليد من التجلي ، فلا جرم أنها مستورة بحجاب لطيف .

- لقد قلت " مولودا " والحقيقة أنه لا ولادة هناك ، وليست هذه العبارة إلا من أجل الإرشاد .

- هيا ، واصمت ، حتى يتحدث مليك المقال ، ولا تعرض طباع البلبل على هذا الصنف من الورود .

- إن هذا الورد ناطق ممتلئ وجدا وهياما ، فهيا أيها البلبل اترك اللسان ، وتحول إلى أذن !!

- وكلا هذين الصنفين تمثال طاهر المثال ، وهما شاهدا عدل على سر الوصال.

١٨٢٥- وكلا هذين الصنفين من الحسن اللطيف المرتضى ، شاهدان على أنواع الحمل والحشر فيما مضى!!

- مثل الثلج الموجود في تموز الذى حل ، يتحدث فى كل لحظة عن أسطورة الشتاء .

- ويذكر تلك الرياح الباردة والزمهرير ، في تلك الأزمان والأيام العسيرة .

- ومثل تلك الفاكهة فى وقت الشتاء ، تتحدث عن حكاية اللطف الإلهى .

- وعن قصة أوان بسمات الشمس ، وملامستها ومجامعتها لتلك العرائس فى الرياض .

١٨٣٠- لقد ذهب الحال وبقى العضو منك تذكارا ، فقم بسؤاله أو تذكر أنت بنفسك .

- وعندما يهدأ حزنك إن كنت ماهراً ، فإنك تنجو من تلك اللحظة المؤيسة .

- ولقلت له : أيها الحزن الذى تنكر الآن رواتب الانعام من ذاك الكمال .

– فإن لم يكن لك فى كل لحظة ربيع ونضرة ، فمخزن ماذا جسدك ؟! وكأنه الورد المتراكم .

– إن الجسد ورد متراكم وفكرك هو ماء الورد ، فهل ينكر ماءُ الورد الوردَ ، إن هذا لشئ عجاب .

١٨٣٥– إن من فيهم طبع قردة الكفران حرام عليهم التبن ، وعلى من لهم وجوه كالأنبياء نثار الشمس والسحاب .

– وعناد الكفر هذا هو قانون القردة ، وذلك الحمد والشكر هو منهاج النبى .

– فماذا فعل التهتك مع من فيهم طباع القردة ؟! وماذا فعل التنسك مع من لهم وجوه الأنبياء ؟!

– ففى العمران توجد الكلاب العقور ، وفي الخرابات كنوز العز والنور !!

– وإن لم يكن هذا البزوغ " مطويا " في الخسوف ، لما ضل العديد من الفلاسفة طريقهم !!

١٨٤٠– والأذكياء العقلاء وجدوا من الضلال، وسم البله على الخرطوم .

بقية قصة الفقير طالب الرزق دون واسطة الكسب

– كان أحدهم مسكينا ومفلسا ، تجرع من الإملاق آلاف السموم .

– ومن ثمه دأب على الضراعة فى الصلاة وفى الدعاء ، قائلاً : يا الله ، يا حارسا للرعاء !!

– لقد خلقتنى معدوم الجهد فارزقنى بلا احتيال منى فى هذه الدار .

– لقد أعطيتنى جواهر خمسة فى درج الرأس ، وخمسة حواس أخرى مستترة .

١٨٤٥– وهذا العطاء لا يعد ولا يحصى منك ، وأنا كليل فى بيانه خجل الوجه .

- ولما كنت فردا في خلقى ، فاجعل أنت أمر رزقى مستويا .
- وكثر منه هذا الدعاء لسنوات عديدة ، وفي النهاية فعلت ضراعته فعلها .
- مثل ذلك الشخص الذي طفق يطلب من الله رزقا حلالا دون كسب أو جهد .
- فأتى له ثور" بالسعادة آخر الأمر ، وذلك في عهد داود الذي كان عدله من لدن " حكيم خبير " .

١٨٥٠- وهذا المتيم أبدى أيضاً ضراعاته ، واختطف هو بدوره كرة الاستجابة من الميدان .

- أحيانا كان يسئ الظن في الدعاء ، وذلك من أجل تأخر المكافأة وتأخر الجزاء.
- ثم كان إرجاء الإله الكريم ، يصير بشيرا في قلبه وزعيما .
- وعندما كان يقنط في الجهد من الكلال ، كان يسمع من جناب الحق نداء : تعال !!
- فإن هذا الخالق خافض ورافع ، وبلا هذين لا يتأتى أى عمل .

١٨٥٥- فانظر إلى خفض الأرض وإلى رفع السماء ، فلا دوران " للكون " بلا هذين يا فلان .

- وخفض هذه الأرض ورفعها من نوع آخر ، فهى نصف العام بور ونصفه الآخر خضراء نضرة !!
- وخفض الأيام ذات الكرب ورفعها من نوع آخر ، إذ أن نصفها نهار ونصفها ليل .
- وخفض هذا المزاج الممتزج ورفعه ، حينا بالصحة وحينا بالمرض الذي يسبب الاستغاثة .

– وهكذا فاعلم كل أحوال الدنيا ، قحط وخصوبة وحرب وسلم من أجل الابتلاء.

١٨٦٠– وهذه الدنيا " محلقة " في الأثير بهذين الجناحين ، والأرواح منهما مواطن للخوف والرجاء .

– حتى تصبح الدنيا مرتعدة كأنها ورقة شجرة ، في " رياح " الشمال وفي سموم البعث والموت .

– وحتى يصبح الدن ذو اللون العبسانا ، يروى بقيمه الدنان التى تحتوى مائة لون .

– فإن تلك الدنيا كأنها أرض ملح ، كل من ذهب إليها ، نجا من التلوين .

– فانظر إلى التراب ، إنه يجعل الخلق ذوى الألوان المتعددة على لون واحد في القبور .

١٨٦٥– وهذه هى أرض ملح الجسوم ، أما أرض ملح المعانى فهى مختلفة .

– وأرض ملح المعانى معنوية ، وهى في تجدد من الأزل إلى الأبد .

– وهذه الجده هنا ضدها القدم ، أما تلك الجدة فهى بلا ضد ولا ند ولا عدد !!

– كما أنه من جلاء نور المصطفى ، تحولت مئات الآلاف من الظلم إلي ضياء.

– فاليهودى والمشرك والمسيحى والمجوسى ، صاروا جميعا في لون واحد ، من " تأثير " ذلك العظيم .

١٨٧٠– ومئات الآلاف من الظلال القصيرة والممتدة ، صارت واحدة فى نور شمس السر تلك !!

– فلا طول بقى ، ولا قصر ، ولا عرض ، فان تنوع الظلال رهن بالشمس .

– لكن اتحاد اللون الذي يوجد في الحشر ، مكشوف وظاهر للصالح والطالح .

– فإن المعاني ، تتحول في ذلك العلم إلى صور ، وكل صورنا تصير جديرة بخصله من الخصال .

– ويصبح الفكر آنذاك صورا على الكتب ، وتصير هذه البطانة على ظاهر الثوب .

١٨٧٥– والبواطن في هذا الزمان كأنها الثور الأبلق ، ومغزل النطق عند الأمم غازل بمائة لون .

– فالدور هو دور مائة لون ومائة قنب ، فمتى يتجلى عالم اللون الواحد !!

– والدور دور الزنجي ، واختفى الرومي ، هذا هو الليل والشمس رهن موضع آخر .

– الدور دور الذئب ويوسف في البئر ، نوبة آل فرعون ، وفرعون هو المليك . .

– حتى تكون لهذه الكلاب بضعة أيام من الرزق الذي لا ينقطع ويضحك مستهزئا !!

١٨٨٠– والأسد مترصد داخل الغابة ، وذلك حتى يصدر الأمر بـ " تعالوا " !!

– ثم تخرج تلك الأسود من المروج ، ويبدى الحق بلا حجاب السر والعلن .

– ويستولى جوهر الإنسان على البر والبحر ، وتذبح الثيران البلقاء يوم النحر .

– ويوم النحر هو يوم البعث المهول ، هو عيد للمؤمنين وهلاك للثيران .

– وكل الطيور المائية في يوم النحر ذاك ، طافية كأنها السفن على سطح البحر .

١٨٨٥– حتى يهلك من هلك عن بينة ، وحتى ينجو من نجا واستيقنه[1] .

– وحتى تذهب البزاة نحو السلطان ، وتمضى الغربان نحو القبور .

---

(١) بالعربية في المتن .

– فالعظام وأجزاء البعر ، كأنها الخبز ، قوت شهي للغربان في الدنيا .
– فأين سكر الحكمة من الغراب ، وأين دودة البعر من البستان .
– فلا يليق غزو النفس والرجل الغرير ، ولايتفق العود والمسك ومؤخرة الحمار
١٨٩٠– وإذا كان لم يعط النساء آية قدرة على الغزو ، فمتى يعطيهن ذلك " الجهاد " وهو الجهاد الأكبر ؟!
– ولا يحدث إلا نادراً أن يكون " بطل " كرستم ، مخفيا داخل جسد امرأة ، مثلما حدث لمريم .
– مثلما تكون هناك نساء مختفيات بين جوانح بعض الرجال ، فهم إناث من ضعف الجنان .
– وفي ذلك العالم تتصور تلك الأنوثة ، في كل من لم " ير في نفسه " استعدادا للرجولة .
– إنه يوم العدل ، والعدل إعطاء المستحق ، فالنعل للقدم ، والقلنسوة للرأس .
١٨٩٥– وحتى يصل كل طالب إلى مطلوبه ، وحتى يمضى كل غارب إلى غربه .
– فلا مطلوب هناك يمنع عن طالبه ، فالشمس قرينة للحرارة والسحاب قرين للمطر
– والدنيا هي موضع قهر الله ، فذق القهر ما دمت قد اخترت القهر .
– وانظر إلى عظام المقهورين وشعورهم ، وقد عمل سيف القهر في البر والبحر .
– وانظر إلى جناح الطائر وقدمه حول الفخ ، شارحة لقهر الله دون كلام .
١٩٠٠– لقد مضى عن الدنيا ، وعلامته لحد محدوب الظهر ، وذلك الذي مات من زمن لم يبق له حتى هذا اللحد .

– لقد أعطى عدل الحق لكل امرئ قرينه ، فالفيل مـع الفيـل ، والبـق مـن جنـس البق .

– وأنس أحمد في مجلسه كان مع الصحابـة الأربعـة ، ومؤنـس أبـى جهـل كـان عتبه ، وذو الخمار .

– والسدرة هى كعبة جبريل والأرواح ، أما المائدة فهى قبلة عبد بطنه .

– وقبلة العارف هى نور الوصال ، و قبلة عقل المتفلسف ، هو الخيـــــال .

١٩٠٥– وقبلة الزاهد هو البر الرحيم ، وقبلة الطامع كيس الذهب .

– [١] وقبلـة أهل المعنـى الصبر والاحتمـال ، وقبلـة عبـاد الصـورة الصـورة المنقوشة على الحجارة .

– وقبلة المنصرفين إلى بواطنهم ذو المنن ، وقبلة عباد الظاهر وجوه النساء .

– [٢] وهكذا فعدد من قديم وجديد ، وإن كنت قد مللت فانصرف إلى عملك .

– لقد صار العقار رزقا لنا في الكأس الذهبية ، وتلك الكلاب بها ماء النخالة فـي طبق الفخار .

١٩١٠– لقد أرسلنا الرزق مناسبا لما جُبل عليه من طبع وجديرا به .

– [٣] ولقد جعلنا طبع ذاك مجبولا علـى عشـق الخبـز ، وجعلنـا طبـع هـذا ثمـلا بعشق الأحبة !!

---

(١) ج : ١٣ / ٦٠٤ :

– وقبلة رجال الحق الأعمال الطيبة ، وقبل غير المستحق الجهل الحقير .

(٢) ج : ١٣ / ٦٠٤ :

– وقبلة العاشق هو الحق يا بنى ، وقبلة الباطل هو إبليس أيها الأب .

– وقبلة فرعون الدنيا برمتها ، وقبلة الحمار ماذا تكون ؟! مؤخرة الحمار !!

(٣) ج : ١٣/٦٠٥ :

– لقد جعلنا ذلك السيد عاشقاً للخبز ، وجعلنا هذا شبعاً للروح .. لم ؟!

- ومادمت سعيدا وراضيا بطبعك بطبعك لماذا تنفر إذن مما هو جدير بطبعك ؟!

- فإذا كانت الأنوثة قد أعجبتك ؟! خذ الطراحة ، وإذا كانت البطولة قد أعجبتك.. احمل الخنجر .

- [1] إن هذا الكلام لا نهاية له ، وذلك الفقير ، صار صارخا من طعن الفقر .

قصة تلك الخريطة للكنز التى تقول : قف إلى جوار القبة

متجها إلى القبلة وضع سهما في القوس .. وألقه

وحيثما يسقط .... هناك كنز !!

١٩١٥- رأى في النوم ذات ليلة وأين منه النوم ، إن الوقائع تظهر بلا نوم للصوفى الصادق .

- " رأى " هاتفا قال له : يا من عانيت التعب ، أطلب رقعة مما يتمرن فيه الوراقون .

- خفية من ذلك الوراق الذي هو جارك ، مد يدك إلى جذاذات أوراقه .

- فهناك رقعة شكلها كذا ولونها كذا ، فاقرأها في خلوة أيها الحزين .

- وعندما تسرقها من الوراق يا بنى ، أخرج من الزحام والضوضاء والضجيج.

١٩٢٠- ثم اقرأها أنت في خلوة ، انتبه ، ولا تطلب شريكا في قراءتها !!

- وإن انتشر أمرها أيضاً لا تحزن ، فلن يجد سواك منه مثقال ذرة .

- وإن استغرق الأمر طويلا ، انتبه ، وحذار ، " من اليأس " واجعل وردك لحظة بعد لحظة " لا تقنطوا " !!

- قال هذا " الكلام " ووضع ذلك البشير يده على قلبه قائلا له " امض وجاهد " .

---

[3] ج : ١٣ / ٦٠٥ :

- وإذا كنت ميالا للغزو البس الدرع ، وإن كنت ميالا للأبنة فاعرض مؤخرتك .

– وعندما عاد إلى وعيه من غيبته ذلك الشاب ، كانت الدنيا لا تسعه من الفرح.

١٩٢٥– كانت مرارته تكاد تتمزق من القلق ، لو لم يكن هناك رفق الحق به وحفظه ولطفه !!

– كان فرحه إنه من وراء ستمائة حجاب ، سمعت أذنه من الحضرة الجواب .

– [١] وعندما اخترق حس سمعه الحجب ، صار رافع الرأس ، وجاوز الفلك .

– فلعل حس بصره اعتبارا على هذا الأمر ، يكون له نفاذٌ من حجب الغيب .

– وعندما تصبح حواسه نافذة من الحجاب ، تحدث له الرؤية والخطاب بشكل مستمر .

١٩٣٠– [٢] وجاء صوب دكان الوراق ، وأخذ يبحث في أوراق تدريبه من ناحية إلى أخرى .

– ووضعت عينه سريعا على ذلك المكتوب ذى العلامات التى كان الهاتف قد وصفها له .

– فأخفاه تحت إبطه ، وقال " سعدت أيها السيد " سوف أعود بعد لحظة أيها الاستاذ .

– ومضى إلى ركن خال ، وقرأها ، ومن الحيرة بقى مندهشا والها .

---

[١] ج: ١٣ : ٦١٨ :

– كان فرحه أنه قد تخلص من السؤال ، وسوف يحصل على ذلك الكنز الخاص .

[٢] ج : ١٣ ٦١٨ :

– وعندما اختفى الزنجي الأسود من الورى ، والقت الشمس بسيفها وظهرت المخلوقات .

– فرح فرحة أن دعاءه لم يرد ، وأنه قد أستجيب لدعائه في النهاية .

- متسائلاً : كيف أن خريطة كنز لا تقدر بثمن ، قد سقطت هكذا بين نماذج " الوراق " ؟!

١٩٣٥- ثم قفزت تلك الفكرة إلى خاطره ، إن الله تعالى حافظ لكل شئ .

- وكيف يترك الحافظ لكل شئ في كنفه أن يأخذ أحد شيئاً ما اعتباطاً !!

- فإذا كانت الصحراء ممتلئة بالذهب والنقود ، لا يمكن لاحد أن يختطف حبة منها دون رضا الحق .

- وإذا قرأت مائة صفحة دون توقف ، فان نكتة واحدة لا تبقى - دون قدر - في ذاكرتك .

- وإن قمت بالخدمة دون أن تقرأ أي كتاب ، فإنك تجد في حوزتك العلوم النادرة .

١٩٤٠- لقد صارت كف موسى مشعة بالضوء من جيبه ، بحيث فاقت في ضوئها قمر السماء .

- أي أن ذلك الذي كنت تبحث عنه من الفلك المهول ، قد أطل برأسه يا موسى من جيبك !!

- حتى تعلم أن السموات السامية ، هى انعكاسات لمدركات الإنسان .

- أليست يد الله المجيد هى التى خلقت العقل قبل أن " يخلق " العالمان ؟!

- إن هذا الكلام واضح لكنه شديد الخفاء ، فلا تكون الذبابة مأذونة للعنقاء !

١٩٤٥- وعد ثانية إلى القصة يا بنى ، وواصل حكاية الكنز والفقير .

بقية قصة ذلك الفقير

وعلامة مكان ذلك الكنز

- كان مكتوبا في تلك الرقعة ، اعلم أنه في خارج المدينة يوجد كنز مدفون .

– وهناك قبة كذا ويوجد فيها مزار ، ظهره إلى المدينة وبابه إلى الخلاء .

– فاجعل ظهرك إليه ووجهك إلى القبلة ، ثم أطلق سهما من القوس .

– وعندما يسقط السهم من القوس أيها المسعود ، إحفر في ذلك الموضع الذي سقط فيه السهم .

١٩٥٠ – فأحضر الفتى قوسا قويا ، وأطلق السهم في قلب الفضاء .

– وجاء بطبر وفأس سريعاً وهو في غاية السرور ، وحفر ذلك الموضع الذي سقط فيه السهم .

– وخارت قواه وقل الطبر والفأس ، لكنه لم ير أثرا للكنز المختفى .

– وهكذا أخذ كل يوم يطلق سهما ، لكنه لم يكتشف مكان الكنز .

– وما داوم على هذا العمل ، انتشر اللغط في المدينة وبين العوام .

شيوع خبر هذا الكنز

وبلوغه سمع الملك

١٩٥٥ – [1] ثم أخبروا السلطان بهذا الأمر ، تلك الجماعة التي كانت تراقب في السر .

– وعرض الأتباع هذا القول ، " وأسروا إليه " أن غلاما وجد خريطة كنز .

– وعندما سمع ذلك الشخص أن الأمر وصل إلى الملك ، لم يجد بدا من التسليم والرضا .

---

(١) ج : ١٣ / ٦٢٧ :

– وتحدث بهذا الأمر كل إنسان ، فمثل هذه اللعبة لا تبقى في الخفاء .

– وكل شخص يتحدث عن فسادٍ ما ، ومن كل الأطراف نهض حاسد

– وقبل أن يتعرض للعذاب من ذلك الملك ، وضع ذلك الشخص الخريطة أمامه .

– وقال : منذ أن وجدت هذه الرقعة ، عانيت مشقة لا حد لها ولا كنز هناك.

١٩٦٠– ولم تظهر حبة واحدة من الكنز ، لكنى تلويت كثيرا وكأنى ثعبان .

– ولمدة شهر وأنا هكذا خائب المسعى ، بحيث حرم على نفعه وضره !!

– فربما يكشف إقبالك الغطاء عن هذا المنجم ، أيها الملك المظفر في الوغى والفاتح للقلاع .

– ولمدة ستة شهور أو يزيد ، أخذ الملك يطلق السهام ويحفر الآبار .

– وحيثما كان قوس قوى وضع فيه السهم سريعا وأطلقه وبحث عن الكنز في كل موضع .

١٩٦٥– ولم يكن هناك غير الجلبة والحزن والانشغال ، كان الأمر كأمر العنقاء ، الاسم مشهور ، ولا ذات هناك !!

يأس ذلك الملك من العثور على الكنز وملله من طلبه

– وعندما تأخر الأمر طولا وعرضا ، باخ حماس الملك بالنسبة لذلك الكنز ومل الأمر .

– لقد حفر ذلك الملك الصحارى آبارا ذراعا بذراع ، ثم ألقى إليه بالرقعة غاضباً[1] .

– وقال له : خذ هذه الرقعة فلا آثار لها ، وأنت أولى بها اذ لا عمل لها .

– وليس هذا بعمل من لديه عمل ، أن يحرق الورد ويمضى في أثر الشوك .

---

(١) ج : ١٣ / ٦٢٧ :

– لقد حفر ذلك الملك الصحارى آبارا ذراعا بذراع ، ولم يجد من الكنز إلا السخرية .

–ثم طلب ذلك الفقير المتألم ، وألقى إليه بالرقعة غاضبـــا .

– وهذا أمر نادر الحدوث ... وأهل هذه الماليخوليا ينتظرون أن ينبت من الحديد نبات .

– وينبغي لهذا الأمر إنسان مصطبر مثلك ، ولك أنت مثل هذه الروح الثقيلة ، فابحث عن هذا " الكنز" .

– وإن لم تجده ، فلا حزن يحيق بك ، وإن وجدته فقد وهبته لك حلالا .

– فمتى يمضى العقل في طريق اليأس ؟ ينبغى عشق ، حتى يسرع إلى تلك الناحية على رأسه .

– فاللامبالاة للعشق وليست للعقل ، إن العقل يبحث عما يستفيد منه .

١٩٧٥– إنه مهاجم كالتركى ومذيب للجسد ولا يرعوى وهو في البلاء كحجر تحت طاحونة .

– إنه جرئ صفيق الوجه لا ظهر له قط ، وقد قتل الانتفاع داخل نفسه .

– وهو يقامر بطهر ولا يكون باحثا عن الأجر ، ذلك أنه يأخذ بطهر منه هو ؛

– فإن الحق يعطيه الوجود بلا علة ، فإنه يرد عليه بلا علة وهذه هى الفتوة !!

– فالفتوة هى العطاء بلا علة ، واللعب بطهر خارج كل ملة .

١٩٨٠– ذلك أن الملة تبحث عن الفضل أو الخلاص ، واللاعبون بطهر ضحايا مخصوصون.

– فلا هم بالذين يمتحنون ربهم ، ولا هم يقرعون أبواب النفع والخسارة .

رد الملك خريطة الكنز للفقير قائلا : خذها لقد انصرفنا عن هذا الأمر

– عندما سلم الملك خريطة الكنز المليئة بالفتنة لذلك المكروب .

– صار آمنا من الخصوم ومن لمزهم ، فمضى وهو يطوى رغبته العارمة .

– وصادق" هو العشق الذي يفكر في الألم ، ذلك أن الكلب يلعق جراح نفسه .

١٩٨٥– وليس للعشق في التفافه رفيق ، وليس في القرية من هو مسموح له به.

– وليس هناك من هو أكثر جنونا من العاشق ، والعقل من رغبته فيه أعمى وأصم .

– ذلك أن هذه الأمر ليس جنونا عاما ، وليس للطب إرشاد إلى هذه الأحكام .

– فلو أن طبيبا أصيب بهذا النوع من الجنون ، لمحا كتب الطب بالدم .

– فطب جملة العقول من نقشه ، ووجود كل الحسان قناع لوجهه .

١٩٩٠– فاتجه إلى نفسك يا متمذهبا بالعشق ، فليس لك من قريب أيها المفتون سوى نفسك .

– لقد جعل " ذلك الفقير " من القلب قبة ثم أخذ في الدعاء ، إذ ليس للإنسان إلا ما سعى .

– ذلك أنه قبل أن يستمع إلى جواب ، كان قد عكف سنوات على الدعاء .

– كان يعكف على الدعاء بلا اجابة ، وكان يسمع خفية لبيك من الكرم .

– وعندما كان يرقص بلا دف ذلك العليل ، اعتمادا على جود الخلاق الجليل .

١٩٩٥– ولم يتجه إليه هاتفٌ أو رسول ، لكن أذن رجائه كانت مليئة بقول لبيك.

– كان رجاؤه يقول له بلا لسان : تعال ، وكانت تلك الدعوة تطرد من قلبه الملال .

– وتلك الحمامة التى ألفت سطح " منزلك " ، لا تدعها ، وازجرها دائما فجناحها مخيط .

– ويا ضياء الحق يا حسام الدين ، ازجرها ، فقد نمت روحها من ملاقاتك .

– وإنك إن زجرت طائر الروح عبثا ، فإنه يطوف أيضاً حول سطح منزلك .

٢٠٠٠- إن طعامه ونقله دائما فوق سطح منزل ، وهو مرفرف بجناحه على الأوج الثمل لفخك !!

- وإن أنكرت الروح لحظة أداء شكرك خلسة أيها الفتح والفتوح ؛

- فإن شرطة العشق يعاقبها على الدوام ، ويضع طستا مليئا بالنار على صدرها.

- قائلا لها : تعالى صوب القمر ودعك من التراب ، إن مليك عشقك ليستدعيك فعودى سريعاً .

- وحول هذا السطح وبرج الحمام ، لازلت أنا اخفق كالحمامة بجناحى كما يفعل الثمل .

٢٠٠٥- وأنا جبريل العشق وأنت سدرة منتهاى ، وأنا سقيم وأنت لى عيسى بن مريم .

- فاجعل هذا البحر الملئ بالجواهر يغلى ، وسلْ جيدا اليوم عن هذا المريض !!

- فما دمت قد صرت له ، فالبحر له ، بالرغم من أن هذه اللحظة هى أوان بحرانه .

- فهذا الأنين في حد ذاته هو الذي أظهر ما هو خفى ، فالأمان ... يا رب .

- إن لنا كالناى فمين فصيحين ، وهناك فم آخر مختفٍ في شفتيه .

٢٠١٠- ففمٌ يجأر باشكوى تجاهك ، ألقى بصيحات وجده في الهواء .

- لكن كل من عنده نظر يعلم أن الصراخ وإن كان من هذه الناحية هو أيضاً من تلك الناحية.

- وإن أنين هذا الناى هو أيضاً من أنفاسه ، وضجيج الروح من ضجته .

- وإن لم يكن للناى سمر مع شفتيه ، لماملأ الناى بوص الدنيا بالسكر .

– ترى مع من نمت وعلى أى جنب قمت ؟! فأنت ملئ بالجيشان به هكذا كالبحر ؟!

٢٠١٥– أو أنك قرأت " أبيت عند ربى " فسقت النار في قلب البحر .

– ونداء " يا نار كونى برداً " صار عصمة لروحك أيها المقتدى .

– فيا ضياء الحق يا حسام الدين والقلب متى يمكن دهان الشمس بالطين ؟!

– فقد قصدت هذه القطع من الطين إخفاء شمسك .

– وفي قلب الجبل ألوان الياقوت دلالة لك ، والبساتين من ضحكها ملأى بك .

٢٠٢٠– فاين رستم ليكون مسموحا له برجولتك ، حتى أتحدث عن حبة واحدة من بيدرك ؟!

– وعندما أريد أن اطلق آهة واحدة عن سرك ، أطأطئ برأسي في بئر مثل على !!

– ومادام للإخوان قلوب حاقدة ، فأولى بيوسفى " أن يظل " في قاع البئر .

– لقد صرت ثملاً ، فلألق بنفسى بين الغوغاء ، وماذا يكون البئر ؟ لأضرب خيمتى في الخلاء .

– فضع الشراب النارى على كفى ، وانظر آنذاكً إلى كر السكارى وفرهم .

٢٠٢٥– وقل لهذا الفقير أن يظل بلا كنز ، فإننا غارقون هذه اللحظة في عصير " الكرم " .

– وأطلب الملجأ من الله هذه اللحظة أيها الفقير ، ولا تطلب منى أنا الغريق العون .

– فلا اهتمام عندى بهذا الاستاذ ، ولا أنا حتى أذكر شاربى أو لحيتى .

– فمتى تستوعب العنجهية والكرامة في ذلك الشراب الذي لا يسع شعرة واحدة.

– فقدم أيها الساقى رطلا ثقيلا ، وخلص السيد لحظة واحدة من العنجهية والكبرياء .

٢٠٣٠– إن كبرياءه لا يزال يتنفج علينا ، لكنه " في الواقع " يقتلع لحيته حسدا لنا .

– ألا فليخسأ ... وليخسأ ... وليخسأ ... فإننا ندرك تماما تزويره واحتياله .

– وما يتأتى منه ولو بعد مائة عام ، يراه الشيخ عياناً بحذافيره .

– وما الذى يراه العامى فى المرآه ، ولا يراه الشيخ فى مدرة خالصة !!

– وما لايبصره الملتحى فى منزله ، ظاهر بتفصيلاته للأجرد .

٢٠٣٥– قامض إلى بحر ما فأنت وليد حوته ، فكيف سقطت هكذا فى اللحى كأنك القذى !!

– ولست بالقذى ، لا سمح الله ، إنك تزرى بالجواهر ، وأولى بك أن تكون فى البحر وسط الأمواج .

– والبحر هو الوحدانية ، لا زوج فيه ولا شريك ، جوهره وسمكة ليس إلا الموج .

– ومحال ثم محال الإشراك به ، ليكن هذا بعيداً عن ذلك البحر وموجه الطاهر .

– فليس فى البحر شرك والتواء ، لكن ماذا أقول للأحول؟! لاشئ قط .

٢٠٤٠– وما دمنا نعاشر الحول يا عابد الصنم ، ينبغى أن نتحدث كما يتحدث المشركون .

– إن تلك الأحدية من تلك الجهة وصف وحال ، ولا يأتى إلا الاثنينية إلى ميدان المقال .

– فإما أن تتجرع كالأحول هذه الإثنينية ، أو خط فمك واصمت تماماً .

– أو كل بدوره ، حينما صمت وحينا كلام ، داوم على قرع الطبول كما يفعل الأحول ، والسلام .

– وعندما ترى مأذوناً له تحدث عن سر الروح ، وعندما ترى الورد غرد كالبلابل .

٢٠٤٥– وعندما ترى القرية مليئة بالمكر والمجاز ، ضم شفتيك واجعل نفسك دنا .

– إنه عدو للماء فلا تتحرك أمامه ، وإلا كسرت حجارة جهله الدن !!

– واصبر على العقوبات التى ينزلها بك الجاهل ، ودار جيداً بعقل لدنى !!

– والصبر على الخسيس جلاءٌ لمن هم أهل ، والصبر يصفى القلب فى كل موضع .

– ونار النمرود كانت لابراهيم فى صقلها كصفاء المرآة .

٢٠٥٠– وجور كفر قوم نوح وصبر نوح ، صارا لنوح جلاء لمرآة الروح .

حكاية مريد الشيخ أبى الحسن الخرقانى قدس الله سره

– ذهب درويش من مدينة الطالقان ، على صيت أبى الحسن الخرقانى .

– قطع الجبال والأودية الشاسعة ، من أجل رؤية الشيخ ذى الصدق والضراعة .

– وما رآه فى الطريق من جهد وعنت بالرغم من أنه جدير بالذكر إلا أننى اختصره .

– وعندما وصل من الطريق إلى مقصده ذلك الشاب ، بحث عن عنوان منزل ذلك السلطان "للعارفين"

٢٠٥٥– وعندما قرع حلقة باب داره بكل احترام ، أخرجت أمرأة رأسها من "خوخة" الباب .

– قائلة : ماذا تريد ؟ قل ياذا الكرم ، قال : جئت قاصداً الزيارة .

– فضحكت المرأة قائلة : مرحى .. مرحى .. أنظر إلى هذه اللحية .. وانظر إلى هذا الشعر .. وهذه المشقة !!

– فلعل عملاً لا يشغلك في موطنك ذاك ، حتى عزمت على السفر في سبيل لا شيئ !!

– أو لعل اشتهاءً لكى تخدع قد راودك ، أو غلب عليك الملل من وطنك!!

٢٠٦٠– أو أن الشيطان وضع فى فمك خطاما ، ووسوس لك بالسفـــــر .

– وقالت ما لايليق من فحش وسب ، مما لا أستطيع أن أعيده "على مسامعكم"!!

– وساقت من الأمثال الساخرة ما لايدخل في حساب ، فسقط ذلك المريد من الغم في حفرة (من اليأس)!!

سؤال ذلك القادم حرم الشيخ ، أين الشيخ؟
وأين أطلبه ؟ وجواب الزوجة بفاحش القول

– وطفرت الدموع من عينيه وقال ، مع كل هذا ، أين ذلك السلطان حلو الاسم ؟!

– قالت : ذلك المزور المحتال الفارغ ، شبكة الحمقى ، ووهق الضلالة ؟

٢٠٦٥– إن مئات الآلاف من أمثالك من السذج ، قد سقطوا من جرائه في مائة عتو !!

– فلو لم تره وعدت فى أمان الله ، يكون خيرا لك ، ولا تضل وتغوى من جرائه .

– إنه يتفنج بالدين ، لاعق للأطباق آكل بالمجان ، وصيت طبله قد مضى إلى أطراف الديار .

– أهؤلاء القوم من قوم موسى عبدة العجل ، وإلا فلماذا يتحسسون بأيديهم هذا

الثور ؟!

- إنه جيفة الليل وبطال النهار ، كل من اغتر بهذا الشره الأكول !!

٢٠٧٠- لقد ترك هؤلاء القوم مائة علم وكمال ، وتمسكوا بالمكر والتزوير ، فما هذا الحال ؟!

- فأين آل موسى ؟! أسفى عليهم ، حتى يسفكون الآن دماء عبدة العجل !!

- لقد ألقوا بالشرع والتقـــوى وراء ظهورهم ، فأين عمر ؟ وأين الأمر الحازم بالمعروف ؟

- لقد تفشت الإباحية من هذه الجماعة ، وصارت رخصة لكل مفسد محتال !!

- فأين طريق الرسول وصحابته ؟! وأين صلاته وتسبيحه وآدابه ؟!

جواب المريد وزجره لتلك الشتامة عن الكفر وعابث القول

٢٠٧٥- فصاح بها الشاب ، وقال ، كفى ، إننا فـى ضـوء النهار فمن أين جاء العسس ؟!

- إن نور الرجال ملأ طباق الشرق والغرب ، فسجدت السموات له دهشة .

- وشمس الحق سطعت من الحمل ، فتوارت شمس "الفلك" بالحجاب خجلاً .

- ومتى تحولنى ترهات شيطانة مثلك عن تراب هذه الدار ؟!

- فأنا لم آت بريح كأننى سحاب ، حتى أعود من جراء غبار عن هذا الجناب .

٢٠٨٠- إن العجل مع ذلك النـور صـار قبلة للكـرم ، والقبلة بدون ذلك النور صارت كفراً ووثناً .

- إن الاباحة التى جاءت من الهـوى تكون ضـلالاً ، والإباحـة التـى جـاءت من الهدى صارت كمالاً !!

- لقد صار الكفـر إيماناً وأسلـم الشيطان ، فى تلك الناحـية التى سطع فيها النور

الذى بلا حد .

- إنه مظهر العزة والمحبوب بحق ، وحاز على كل الملائكة المقربين قصب السبق .

- والسجود لآدم بيان عن سبقه ، والقشر دائما ما يسجد للب !!

٢٠٨٥- إنك تنفخين فى الشمع الإلهى أيتها العجوز ، وتحترقين أنت وباطنك يا نتنة الفم .

- فمتى يصير البحر نجساً من فم كلب ، ومتى تغيب الشمس من نفخة ؟!

- وحتى أن كنت تحكمين بالظاهر ، أى شيئ أطهرمن ذلك النور ؟! هيا ، قولى

- وكل الظواهر أمام هذا الظهور ، تكون فى غاية النقص ومنتهى القصور

- وكل من ينفخ فى الشمع الإلهى ، متى ينطفئ هذا الشمع ؟ إنه يحرق فمه !!

٢٠٩٠- وهناك خفافيش مثلك ترى كثيراً فى النوم أن الدنيا قد تيتمت من الشمس !!

- والأمواج المتلاطمة لبحار الروح ، هى مائة ضعف لما كان عليه طوفان نوح.

- لكن الشعر كان قد نبت فى عينى كنعان ، فترك نوحاً وسفينته ، وآوى إلى الجبل .

- وجرفت نصف موجة الجبل وكنعان فى تلك اللحظة حتى قاع المهانة .

- إن القمر يبسط نوره والكلاب تنبح ، ومتى يرتع الكلب فى نور القمر ؟!

٢٠٩٥- والسراة يرافقون القمر فى سيرهم ، ومتى يتركون سيرهم من نباح الكلاب ؟!

- والجزء مسرع نحو الكل إسراع السهم ، وحتى يتوقف من أجل عجوز فى

الغابرين ؟!

- والعارف هو روح الشرع وهو روح التقوى ، والمعرفة هى محصول ما سلف من زهد .

- والزهد هو السعى فى الزرع ، والمعرفة هي النمو لذلك الغراس .

- إذن فما دام الجهاد والاعتقاد بمثابة الجسـد ، فـإن روح هـذا الغـراس هـو النمو والحصاد .

٢١٠٠- إنه هو المعروف وهو الأمر بالمعروف ، إنـه كاشـف الأسـرار ، وهـو الأسرار التى تكشف !

- إنه ملكنا اليوم وملكنا غدا ، والقشر عبد للبه العظيم دائمـا .

- وعندمـا قـال الشـيخ : أنـا الحـق ، وفـرض كلامـه ، ضغـط علـى حلـوق كـل العميان .

- وعندما فنيت أنية العبد عن الوجود ، ماالذى يبقى اذن ؟! فكر أيها الجحود .

- وإن كانت لك عين ، افتحها وانظر ، ما الذى يتبقى بعد "لا" آخر الأمر ؟!

٢١٠٥- ألا فلتقطع تلك الشفة والحلق والفم ، التـى تبصـق علـى القمـر أو علـى السماء .

- فإن البصقة تعود إلى وجهها دون شك ، إذ لا تجد البصقة سبيلاً إلى الفلك .

- وحتى القيامة تنهمر عليها البصقات مـن الـرب ، مثـل "تبـت" علـى روح أبـى لهب.

- إن الطبول والرايات هى ملك السلطان ، وكلب ذلك الذى يدعوه شرها أكولاً .

- والسموات عبيد لقمره ، والمشرق والمغرب كلاهما ، متقوت منه .

٢١١٠- ذلك أن " لولاك " مـوجـودة على توقيعـه ، والناس جميعـاً فى انعـامه

وتوزيعه .

– ولو لم يكن موجوداً لما دار الفلك ، ولما وجد النور ، ولما صار موضعاً للملائكة .

– ولو لم يكن موجوداً لما وجدت البحار الهيبة والأسماك والدر الملكى

– ولو لم يوجد لما وجدت الأرض الكنوز فى باطنها ، والياسمين على ظهرها [1]

– فالأرزاق نفسها طاعمة لرزقه ، والثمار ظمأى الشفاه لمطره .

٢١١٥– انتبه فهذه العقدة معكوسة فى أمرها ، إنه معط الصدقة لمن يهبه الصدقة .

– إن لك من الفقير كل هذا الذهب والحرير ، هيا أيها الفقير واعط الزكاة للغنى .

– أيكون عار مثلك زوجاً لمقبول الروح ، مثل تلك الزوجة الكافرة تحت نوح .

– ولو لم تكونى منسوبة إلى هذه الدار ، لمزقتك إرباً فى التو واللحظة .

٢١٢٠– لكنى مع أهل "منزل" سلطان الزمن ، لا يتأتى هذا التعدى منى .

– اذهبى ، وداومى الدعاء ، فأنت كلبة فى هذا الموطن ، وإلا لفعلت الآن ما ينبغى أن يفعل!!

عودة المريد من منزل الشيخ وسؤاله الناس حتى دلوه على أن الشيخ ذهب إلى غابة كذا

– وبعد ذلك صار سائلاً كل إنسان ، وأخذ يبحث عن الشيخ كثيراً فى كل صوب .

– ثم قال أحدهم "إن قطب الديار ، قد ذهب يحتطب فى الجبل .

---

[1] ج ١٤/٥٠ :– ولو لم يكن موجوداً لما وجدت الجبال ، الذهب والياقوت والعقاقير دون سؤال .

– ولو لم يكن موجوداً لما وجدت الدنيا ، دون طلب منها الأرزاق التى لا حد لها .

– فذهب ذلك المريد ماض الفكر كذى الفقار سريعاً نحو الآجام فى هوى الشيخ .

٢١٢٥– إن الشيطان لا يزال يوسوس فى لب المرء حتى يختفى القمر فى الغبار .

– "أخذ يتساءل" لماذا يتخذ شيخ الدين هذا مثل هذه المرأة رفيقاً وجليساً فى الدار ؟!

– ومن أين يكون إئتناس الضد مع الضد ؟! ومن أين يكون النسناس مع إمام الناس ؟!

– ثم أخذ يردد الحولقة سريعاً قائلاً : اعتراضى عليه من قبل الكفر والحقد !!

– فمن أكون أنا مع تصاريف الحق ؟ بحيث تأتى نفسى بالإشكالات والاعتراضات ؟!

– وسريعاً ما كانت نفسه تهاجمه ، فيكون فى قلبه مما عرف كدخان القش .

– قائلة : أية نسبة للشيطان مع جبريل ، بحيث يصير معه صاحباً ورفيقاً فى القيلولة ؟!

– وكيف يستطيع الخليل أن يأتلف مع النار ؟! وكيف يستطيع الدليل أن ينسجم مع قاطع الطريق؟!

بلوغ المريد المراد ولقاؤه مع الشيخ بالقرب من تلك الأجمة

– كان مستغرقاً فى هذه الأفكار عندما ظهر الشيخ الشهير سريعاً وقد امتطى أسداً .

– كان الأسد الهصور يحمل عنه حطبه ، وفوق الحطب ركب ذلك السعيد .

٢١٣٥– ومن شرفه كان سوطه ثعبان ، وقد أمسك به فى يده كالخيزران .

– فاعلم دائماً على سبيل اليقين أن كل شيخ موجود يمتطى الأسد الهائج !!

- فبالرغم من أن الأمر كان محسوساً عند ذاك وليس محسوساً عند هذا ، لكن هذا الأمر لا يلتبس على عين الروح .

- وهناك مئات الآلاف من الأسود تحت أفخاذهم ، ناظرة الى المستقبل عالمة بالغيب حاملة للحطب.

- لكن الله جعل الأمر محسوساً لواحد بعد واحد ، حتى يراه أيضاً من ليس برجل "الطريق"

٢١٤٠- ورآه من على البعد وضحك ذلك العظيم وقال : لا تستمع إليها يامفتوننا بالشيطان .

- لقد علم ضميره أيضاً ذلك الجليل، ومن نور القلب، إنه نعم الدليل !!

- تلا عليه ذو الفضائل ذاك ، ما حدث له بالتفصيل فى الطريق وحتى تلك اللحظة .

- ثم انطلق فى الحديث ذلك المتغنى بطلاوة ،عن مشكلة إنكاره للزوجة .

- وأن هذا التحمل ليس من هوى النفس ، هذا خيال نفسك أنت ، فلا تتوقف عنده .

٢١٤٥- وان لم يكن صبرى يتحمل ثقل امرأة ، فمتى كان الأسد الهصور يكون مسخراً لى ؟!

- إننا جمال ذات سنامين فى سباق ، سكارى مجردون عن الذات تحت أثقال الحق !!

- ولست أنا فيما يتصل بأمر الله وقضائه بنصف ساذج حتى أفكر فى شنعة العوام .

- فأمره هو العام والخاص بالنسبة لنا ، وأرواحنا مسرعة على وجوهها باحثة

عنه [1]

– وانفرادنا واقتراننا ليس من الهوى ، وأرواحنا ككعب النرد فى يد الله

٢١٥٠– إننا نتحمل دلال تلك البلهاء ومائة مثلها ، لا عشقاً للونها ولا هياماً فى رائحتها

– إن هذا القدر فىحد ذاته درس لمريدينا ، فإلى أى مدى يكون كر ملحمتنا وفرها ؟!

– إلى أين ؟! إلى الموضع الذى لا طريق له ، فليس ثم إلا سنا قمر برق الله !!

– انه بعيد عن كل الأوهام والتصورات ، إنه نور فى نور فى نور .

– وان كنت قد نزلت "بمستوى" القول من أجلك ، حتى تأتلف مع الرفيق سيئ الطبع .

٢١٥٥– حتى تحمل ضاحكاً وسعيداً أحمال الحرج ، من أجل "الصبر مفتاح الفرج" !!

– وعندما تأتلف مع خسة هؤلاء الأخساء ، تصبح واصلاً فى نور السنن .

– فكثيراً ما ذاق الأنبياء إيذاء الأخساء ، وكثيراً ما تألموا من أمثال هذه الأفاعى .

– ولما كان مراد الإله الغفور وحكمه فى القدم هو التجلى والظهور !!

– فلا يمكن اظهار الضد دون ضده ، ولم يكن هناك ضد لذلك المليك الذى لا نظير له .

حكمة :

---

(1) ج ٦٨/١٤ :

– إننى بعيد عن استحسان الجميع وتشجيعهم ومفارق تكذيب الجميع وتصديقهم !!

إنى جاعل فى الأرض خليفة

٢١٦٠- ثم إنه جعل خليفة صاحب صدر ، حتى يكون مرآة لملوكيته

- ثم وهبه صفاءً لا حدود له ، وحينذاك جعل له ضدا من الظلمة

- لقد رفع علمين ، أحدهما أبيض والآخر أسود ، أحدهما آدم والآخر ابليس الطريق .

- وبين هذين المعسكرين العظيمين ، نزاع وصراع ، وما جرى قد جرى .

- وكذلك فى النوبة الثانية ظهر هابيل ، ثم ظهر قابيل ضدا لنوره الطاهر .

٢١٦٥- وهكذا علمان من العدل والجور ، حتى حل دور النمرود فى الأدوار .

- صار ضدا لإبراهيم وخصما له ، وصار هناك عسكران متناحران متقاتلان .

- وعندما لم يرض سبحانه عن طول هذه الحرب ، كانت النار هى الفيصل بين هذين .

- فحكم النار وما تأتى من نكر ، حتى تحل مشكلة هذين الشخصين .

- ونوبة بعد نوبة وقرن بعد قرن لهذين الفريقين ، حتى نوبة فرعون مع موسى الشفيق .

٢١٧٠- لقد دارت الحرب بينهما لعدة سنوات ، وعندما جاوزت الحد ، وأخذ الملل يزداد .

- جعل الحق من ماء البحر حكما ، ليرى عن طريقه من يبقى ، ومن يسبق من هذين .

- وهكذا حتى دور المصطفى وطوره مع أبى جهل ، قائد جند الجفاء .

- كما جعل نكراً من أجل قوم ثمود ، الصيحة التى اختطفت أرواحهم .

- كما جعل نكرا من أجل قوم عاد ، الصرصر العاتية أى الريح .

٢١٧٥- كما جعل نّكراً لقارون من حقده ، وأخفى غضبه فى حلم هذه الأرض .

- حتى صار حلم الأرض بأجمعه غضباً ، فحملت قارون وكنزه حتى القاع .

- واللقمة التى هى عماد هذا الجسد ، والخبز الذى هو دفع لسيف الجوع كالمجن ،

- عندما يضع الحق قهراً فى خبزك ، يقف ذلك الخبز فى الحلقة كالخناق .

- وهذا اللباس الذى صار مجيراً من البرد ، يعطيه الحق مزاج الزمهرير .

٢١٨٠- حتى تصير تلك الجبة الثقيلة على جسدك باردة كالثلج واخزة كالبَرَد .

- حتى تهرب من الفراء وأيضاً من الحرير ، وتلجأ "هرباً" منها إلى الزمهرير .

- إنك لست بجرتى ماء ، إنك جرة واحدة ، وأنت غافل عن عذاب الظلة !

- لقد نزل أمر الحق إلى الدور والجدران فى المدن والقرى: لا تمنحوا ظلا !

- لا تكونوا موانع للمطر والشمس ، حتى أهرعت الأمة إلى ذلك الرسول .

٢١٨٥- "صائحين" : لقد هلك أغلبنا ، الأمان ، أيها العظيم ، واقرأ بقيتها من كتب التفاسير .

- وكيف حول العصا إلى أفعى ذلك الماهر اليد ، وإن كان لك عقل تكفيك هذه النقطة .

- إن لك نظراً ، لكن لا إمعان فيه ، عين متجمدة وتوقفت !!

- ومن هنا يقول مصور الفكر ، أمعن النظر أيها العبد !!

- إنه لا يقصد قم بدق الحديد البارد ، لكنه يقصد القول : أيها الفولاذ طف حول داود .

٢١٩٠- فهل مات جسدك ؟! سقه نحو اسرافيل ، وهل تجمد قلبك ؟! سقه نحو شمس الروح !!

– إنك من كثرة ما اكتسيت من خيال ، تصل الآن إلى السوفسطائى سيء الظن !!

– لقد كان هو نفسه معزولاً عن لب العقل ، فصار محروماً من الحس ، معزولاً عن الوجود .

-- هيا ، واهزل فى الكلام ، فهذا أوان الهزل ، وإن تحدثت إلى الخلق ، فهذه فضيحة !!

– فما هو الإمعان ؟! إنه جعل العين تجرى ، وعندما تخرج الروح من البدن تسمى بالفارسية "روان " أى جارية !!

٢١٩٥– وذلك الحكيم الذى نجت روحه من قيد البدن ، وصارت متنزهة فى الرياض ؛

– وضع إسمين لهذين للتفريق بينهما ، ليكن الثناء على روحه .

– وذلك عندما أراد أن يبين أن من يسير "مطيعاً" للأمر ، لو أراد الشوك ورداً ، يكون له .

معجزة هود عليه السلام فى تخليص مؤمنى الأمة عند نزول الريح

– إن المؤمنين فى سطوة الريح العاتية ، جلسوا جميعاً فى دائرة[١] .

– كانت الريح طوفاناً والسفينة لطفه ، فإن له إذن مثل هذه السفينة ومثل هذا الطوفان[٢] .

---

(١) ج : ٤ /١ ٨٧ : – لقد رسم هود خطاً حول المؤمنين ، حتى لا يصيبهم أذى من الريح .

(٢) ج : ٤ /١ ٨٧ : – كانت الريح طوفاناً وهو سفينة الرجاء ، فهناك الكثير من أمثال هذا الطوفان وهذه السفينة !!

٢٢٠٠- إن الله سبحانه وتعالى يجعل من الملك سفينة ، حتى تصطف الجنود بناءً على حرصه .

- وليس قصد الملك أن يكون الخلق آمنين ، بل إن قصده أن يكون الملك راسخاً .

- إن حمار الطاحون يسرع وقصده الخلاص ، وحتى يجد فى تلك اللحظة مهرباً من الضرب .

- وليس قصده أن يسحب الماء ، أو أن يجعل السمسم بذلك "الاسراع"زيتـــا .

- والثور يسرع خوفاً من الضرب الموجع ، وليس من أجل "جر" العربة وحمل المتاع .

٢٢٠٥- لكن الحق وهبها مثل ذلك الخوف من الألم ، حتى تتم المنافع تبعاً لذلك .

- وهكذا كل كاسب فى حانوته ، أنه يسعى من أجل نفسه لا من أجل إصلاح العالم .

- إن كل ملئ بالألم يبحث عن مرهم ما ، ومن هنا قام هذا العالم تبعاً لذلك .

- لقد جعل الله عماد هذا العالم من الخوف ، وانهمك كل واحد فى عمل ما خوفاً على روحه !!

- والحمد لله أنه جعل من الخوف معمارا أو إصلاحاً للأرض على هذا النسق .

٢٢١٠- إن هؤلاء جميعاً خائفون من صالح وطالح ، ولا خائف قط يكون خائفاً من نفسه .

- إذن فهناك حاكم فى الحقيقة على الجميع ، هو قريب وإن لم يكن محسوساً .

- إنه محســوس لا فى مكان ، لكنه ليــس محسوساً بحس هذه الدنيا بل هو حس

آخر .

- ولو كان حس الحيوان يرى هذه الصور ، لكـان الثـور وكـان الحمـار بـا يزيـد العصر والأوان !!

٢٢١٥- وذلك الذى جعل الجسد مظهراً لكل روح ، وجعل السفينة براقاً لنوح ،

- لو يشاء لجعل نفس السفينة وبطبعها طوفاناً لك يا باحثاً عن النور !!

- فلـك فـى كـل لحظـة طوفـان وسـفينة أيهـا المقـل ، جعلهـا متصلـة بحزنـك وسرورك .

- فان لم تر السفينة والبحر أمامك ، فانظر إلى الإرتعاشات فى كل أعضائك !!

- وما دامت العيون لا ترى أصل خوفه ، فانها تخاف من خيال متلون .

٢٢٢٠- لقد لكم جلف ثمل أحد العميان ، ويظن الأعمى أن جملاً رفسه .

- ذلك أنه فـى تلـك اللحظـة كـان يسـمع صـوت بعـير ، فـالاذن مـرآة الأعمـى ، وليست العين .

- ثـم يقـول الأعمـى : لا ، لقـد كـان ذاك حجـراً ، أو ربمـا كـان مـن قبـة مليئـة بالصدى !!

- وما كان الأمر ذاك ولا هذا ولا ذاك ، كلها أمور خلقها من الخوف .

- فـالخوف والرعـدة يكونـان مـن الغير يقينـاً ، ولا يخـاف أحـدٌ مـن نفسـه أيهـا الحزين!!

٢٢٢٥- وذلك الذى يدعو نفسه حكيماً يسمى الخوف وهماً ، لقد فهم هذا الدرس فهماً سقيماً

- ومتى يكون وهم قط دون حقيقة؟! ومتى يصرف زيف قط دون صحيح ؟!

- ومتى تكون للكـذب قيمـة دون صدق ؟! إن كل كـذب فى الدارين ظهـر من

صدق !!

- لقد رأى للصدق رواجاً وضياءً ، وعلى أمل فى " الرواج والضياء " ساق الكذب .

- فيا أيها الكذاب الذى يكون له من الصدق ذلك الزاد ، أشكر النعمة ولا تكن منكرا للصدق .

٢٢٣٠- فهل أتحدث عن المفلسف ونزوته ، أم أتحدث عن سفنه - تعالى - وعن بحاره ؟!

- بل عن سفنه ، فهى موعظة للقلب ، لأتحدث عن الكل ، والجزء داخل فى الكل .

- فاعلم أن كل ولى هو نوح والربان ، واعلم أن صحبة هؤلاء الخلق هى الطوفان .

- فلا تهرب من الأسد ، أو من الأفاعى الضخمة ، لكن كن على حذر من الأقارب والأصدقاء .

- فانهم يضيعون أيامك فى لقائهم ، ويلوكون سيرتك فى غيابك .

٢٢٣٥- وكل واحد منهم كالحمار الظمآن ، يمتصون الفكر كالشراب من إبريق الجسد .

- وخيال أولئك الوشاة قد جفف منك تلك القطرة التى لك من بحر الحياة .

- ان دليل جفاف الماء فى الغصون ، أنها لا تتحرك وتكون فى ركون .

- والعضو الحر غصن نضر ندى تجذبه ، فينجذب إلى كل صوب .

- فإذا أردته سلة تستطيع أن تجعل منه ذلك ، وان أردت منه قوساً استطعت أن تفعل ذلك .

٢٢٤٠- وعندما يصير جافاً ، فمن جفاف جذره ، لا يميل إلى تلك الناحية التى يجذبه إليها الأمر .

- فاقرأ إذن من القرآن ﴿ قاموا كسالى﴾ ، عندما لا يجد الغصن من جذره علاجاً .

- إن هذا الدليل نارى ، فلأقصر فيه ، ولأتحدث عن الفقير وأحواله والكنز !!

- هل رأيت النار التى تحرق كل غصن ؟ أنظر إلى نار الروح فمنها يحترق الخيال!![١]

- فلا للحقيقة ولا للخيال منجاة فى مثل هذه النار التى اندلع لهيبها من الروح .

٢٢٤٥- إنها خصم لكل أسد ولكل ثعلب ، ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾ .

- فأنفق نفسك ، لوجهه ، وانمح ، مثلما تدرج الالف فى كلمة "بسم" .

- وهكذا فكل الحروف أصبحت مذهولة ، عند حذف الحرف من أجل الوصل .

- إنه وصل ، ومنه وجدت الباء والسين الوصل ، ووصل الباء والسين لم يتحمل الألف .

٢٢٥٠- وإذا كان حرف لا يتحمل هذا الوصال ، فمن الواجب أن أقصر فى القول .

- وإذا كان من حرف فراق الباء والسين ، فأهم واجب هنا هو الصمت .

- وعندما صارت الألف من تلقاء نفسها فى كنف الفناء ، فان الباء والسين بدونها ينطقان الألف .

- و ﴿ما رميت إذ رميت﴾ ان قلتها ، دون أن تذكره ، فكأنك قلت ضمنها ، قال الله .

---

(١) ج : ١٤/٨٩ : إن الروح والقلب محترقان فى نار العشق ، ولكن منها الروح والقلب فى أنوار .

- والدواء ما دام قائماً لا عمل له ، فإن فنى ، يدفع العلل .

٢٢٥٥- فلو صارت الغابة أقلاماً والبحر مداداً ، فلا أمل هناك فى إتمام المثنوى !!

- فما دام ضارب الطوب يضع التراب فى القالب ، فإن كتابنا المثنوى يقوم بتقطيع الشعر .

- وان لم يبق تراب ، وجف منه الوجود ، فان بحره يصنع التراب عندما يزبد !!

- وعندما لا تبقى الغابة ، وتتمحى ، فان الغابات تطل من ذات البحر !!

- ومن هنا قال إله الفرج ، " حدثوا عن بحرنا إذ لا حرج" .

٢٢٦٠- فعد عن البحر واتجه إلى البر ، وتحدث عن اللعبة فهذا أفضل للطفل !!

- ومن اللعبة تصبح روحه فى الصبا ، عارفة قليلاً قليلاً ببحر العقل .

- فإن الصبى يجد العقل فى تلك اللعبة ، بالرغم من أنها فى الظاهر تناقض العقل .

- ومتى يلعب الطفل المجنون؟! ينبغى أن يوجد الجزء ، حتى يفئ إلى الكل .

عودة إلى قصة القبة والكنز

- والآن فإن خيال فقيرنا هذا الذى بلا رياء ، أصبح عاجزاً من قوله لى ، تعال ، تعال ، "إلى قصتى" !!

٢٢٦٥- إنك لا تسمع صوته لكنى اسمعه ، ذلك لأننى نجيه فى الأسرار .

- فلا تنظر إليه كطالب كنز بل أنظر إليه ككنز ، ومتى يكون الحبيب فى معناه غير المحبوب ؟!

- إنه يسجد لنفسه فى كل لحظة ، والسجود أمام المرآة يكون من أجل الوجه!!

- ولو رأى من المرآة جزءاً صغيراً دون خيال ، لما بقى منه شئ قط .

- ولفنى هو ولفنيت كل خيالاته ، ولمحيت معرفته فى الجهل .

٢٢٧٠- وهناك معرفة أخرى تطل من جهلنا عياناً قائلة ، إنى "إنى أنا" (الله)!
- لقد كان النداء يجئ دائماً : اسجدوا لآدم ، وأنتم آدم وترونه في أنفسكم لحظة ما .
- لقد أبعد الحول عن عيونهم ، حتى صارت الأرض هي عين الفلك اللازوردى !!
- لقد قال "لااله" وقال "إلا الله" فصارت "لا إله إلا الله" وتفتحت الوحدة .
- وذلك الحبيب وذاك الخليل ذو الرشد ، حان الوقت كى يجرنا من آذاننا .
٢٢٧٥- "آخذا إيانا" نحو العين قائلا : إغسل فمك من هذه الأمور ولا تتحدث بما أخفيناه عن الخلق .
- حتى ولو تحدثت فلن تصير معلنة واضحة ، وتدان أنت وتجرم لأنك نويت الكشف .
- لكننى الآن أطوف حولها "متحدثاً بها" فأنا القائل ، وأنا أيضاً السامع !!
- وتحدث عن صورة الدرويش ، وصورة الكنز ، ان هذه الجماعة تدين بالألم ، فتحدث عن الألم .
- لقد صارت عين الراحة حراماً عليهم ، فهم يشربون من السم القاتل كأساً بعد كأس .
٢٢٨٠- فهم يجرون حجورهم وهى ملأى بالتراب ، حتى يجعلوا تلك العيون سداً جافاً .
- ومتى تصير هذه العين التى تستمد من البحر مطمورة من هذه القبضة من التراب الصالحة أو الطالحة؟!
- لكنها تقول "لقد ارتبطت بكم ، وأنا متصلة به" حتى الأبد بدونكم !!
- والقوم معكوسون فى اشتهائهم ، صاروا آكلين للتراب تاركين للماء .
- وهؤلاء الخلق يناقضون طبع الأنبياء ، وهم يستندون على الأفاعى ، هؤلاء الخلق .
٢٢٨٥- فما دمت قد عرفت أن الختم رباط على العين ، فهل تعلم قط من أى شئ أغمضت عينيك ؟!

– وعلى أى شئ فتحت هذه العيون "واتخذته" بديلاً ، اعلم أنها واحدة بئس البدل لك .

– لكن شمس العناية قد أشرقت ، فأدركت اليائسين من الكرم .

– ولعبت نرداً نادراً جداً من الرحمة ، فجعلت من عين الكفران إنابة!!

– ومن نفس ذلك الشقاء عند الخلق ، فجر ذلك الجواد مائتى عين للوداد !!

٢٢٩٠– ليعطى البرعمة مدداً من الشوك ، ويجعل فى قرن الحية "وسيلة" لجلب المحبة .

– ومن سواد الليل يخرج النهار ، ومن كف المعسر ينبت اليسار .

– ويجعل الرمل طحيناً من أجل الخليل ، ويجعل الجبل أواباً مع داود .

– وذلك الجبل المهول "المتلفع" بحجب الظلم ، يتغنى بصوب الرباب جهيراً وخفيضاً !!

– فانهض يا داود أيها النافر من الخلق ، لقد تركتهم فخذ العوض منا .

إنابة طالب الكنز إلى الحق بعد طلب شديد وعجز واضطرار قائلاً : يا ولى الإظهار اكشف عن هذه الأسرار

٢٢٩٥– قال ذلك الدرويش : يا عالماً بالسر ، لقد سعيت سعياً لا طائل من ورائه فى سبيل هذا الكنز

– وشيطان الحرص والطمع والعجلة ، لا هو باحث عن التأنى ولا عن التؤدة .

– إننى لم أحصل من القدر على لقمة واحدة ، وسودت كفى ، وأحرقت فمى .

– أننى لم أتحدث "عن الكنز" من نفسى ، فأنا غير موقن "بوجوده" ، ولا حل لهذه العقدة إلا من عاقدها .

– وابحث عن تفسير قول الحق من الحق ، وانتبه لا تهزل من ظنك يا صفيق الوجه .

٢٣٠٠– إن الذى عقد هذه العقدة هو الذى يحلها ، ومن ألقى بكعب النرد هو الذى يخطفها .

– ولو بدى لك هذا الكلام سهلاً ، متى تكون الأسرار اللدنية سهلة ؟!

– قال : يارب لقد تبت عن هذه العجلة ، ومادمت قد أغلقت الأبواب ، فقم بفتحها .

– وها أنا قد عدت إلى فرقة "الفقر" مرة أخرى ، ولقد كنت فى الدعاء أيضاً قليل الفضل .
– أين الفضل ؟ وأين أنا ؟! وأين القلب السليم ؟! هذا كله انعكاس لك ، بل هو أنت !!
٢٣٠٥– إن تدبيرى وعلمى كل ليلة فى نوم مثل سفينة تغرق فى الماء .
– فلا أنا أبقى ولا هذا الفضل ، والجسد قد ارتمى فاقد الوعى مثل جيفةٍ .
– وطوال الليل وحتى الفجر ذلك المليك الأعلى ، يتحدث إلىّ قائلاً : ألست وبلى" !!
– فأين القائل بلى ، ان كل شئ قد حمله السيل ، أو أن تمساحاً أكل كل شئ بددا .
– وعند تنفس الصبح ، عندما يشرع سيفه المهند من غلاف ظلمة الليل .
٢٣١٠– وتطوى شمس المشرق الليل ، يقيىء ذلك التمساح كل ما أكله .
–وتنجو – مثل يونس – من بطن ذلك الحوت ، وننتشر فى "عالم" الروائح والألوان.
– ويسبح الخلق كأنهم يونس ، عليه السلام ، فقد كانوا فى تلك الظلمات فى غاية الراحة .
– وكل واحد منهم يقول عند السحر ، عندما يخرج من بطن حوت الليل :
– يا أيها الكريم ، إنك فى ذلك الليل الموحش تضع كنز الرحمة وعديدا من اللذات.
٢٣١٥– فالعين حادة والأذن واعية والجسد خفيف ، من الليل ذى الطرق الذى هو كالتمساح .
– ومن المقامات ذات الوجه الكريـــــه ، من الآن فصاعدا لن نهرب أبدا ، مع وجود مثلك.
– لقد رآها موسى عليه السلام ناراً وكانت نوراً ، ورأينا الليل زنجياً ، وكان من الحور.
– ومن بعد ، لن نطلب بصراً إلا منك ، حتى لا يغطى البحر القذى والغثاء .
– وعندما نجت عيون سحرة "فرعون" من العمى ، كانوا مصفقين بدون هذه الأيدى والأقدام.
٢٣٢٠– فلا كمامة على عيون الخلق إلا الأسباب ، وكل من يرتعد من أجل السبب ليس من الأصحاب.
– لكن الحق – يا أصحابنا – فتح الباب للأصحاب وحملهم إلى صدر القصر .

– ومن كفه ، المستحق وغير المستحق ، عتقاء الرحمة من قيد الرق .
– فمتى كنا مستحقين فى العدم ؟ حتى عثرنا على هذه الروح وعلى هذه المعرفة.[1]
– ويا من جعلت كل الأغيار صحاباً ، ويا من أعطيت الشوك خلعة الورد .
٢٣٢٥– إجعل ترابنا مزرعة ثانية ، ومرة ثانية ، اجعل اللاشئ شيئاً .
– إنك أمرت بهذا الدعاء من البداية ، وإلا فمتى كانت للتراب جرأة عليه ؟! .
– وما دمت قد أمرتنا بالدعاء ، واعجبا من هذا الأمر ، اجعل دعاءنا هذا مجاباً.
– إن سفينة الفهم والحواس كسيرة فى الليل ، فلا أمل بقى ولا خوف ولا يأس .
– وحملنى إلهى فى بحار الرحمة ، حتى يملأنى بكل فن ، ثم يرسلنى .
٢٣٣٠– ولقد جعل أحدهم مليئاً بنور الجلال ، وجعل آخر مليئاً بالوهم والخيال.
– ولو كان عندى أى رأى أو أى فضل ، لكان رأى وتدبيرى فى حكمى .
– ولما ذهب عنى وعيى ليلا دون أمر منى ، وظلت طيورى تحت شباكى .
– ولكنت عالماً بمنازل الروح عند النوم ، وانعدام الوعى ، والامتحان .
– وما دامت كفى فارغة من حله وعقده ، عجباً !! ممن يكون اعجابى هذا بنفسى ؟
٢٣٣٥– لقد تجاهلت كل ما رأيته ، وحملت ثانية زنبيل الدعاء .
– اننى كالألف ، لا أملك شيئاً أيها الكريم ، كالألف ليس لى إلا قلب أضيق من عين الميم .
– وان هذه الألف وهذه الميم هى أم وجودنا ، فميم الأم ضيقة ، والألف منها شحاذ ملحاح .
– وتلك الألف التى لا تملك شيئاً هى الغفلة ، والميم الضيقة فى ذلك الزمان هى العقل .
– وفى زمان انعدام الوعى ، أنا نفسى لا شيئ ، وفى زمان الوعى أنا فى التواء .
٢٣٤٠– فلا تضع شيئاً آخر قط على مثل هذا الهباء ، ولا تسم هذا الالتواء بالدولة .
– فأنا فى حد ذاتى لا أملك شيئاً يجعلنى حسناً ، مادمت أملك من هذا االوهم مائة عناد .

---

[1] ج : ٤ ١/١١٢ : وأى استحقاق كان لنا فى العدم ، حتى ظهر لنا مثل هذا العقل ومثل هذه الروح .

– ففى املاقى هذا إجعلنى مالكاً ، ولقد عانيت الألم ، فزد فى راحتى .
– لقد وقفت عارياً على بابك فى دمع عينى ، إذ لا عين لى .
– فامنح دمع عين الذى لا بصيرة له ، خضرة ونباتاً فى هذا المرعى .
٢٣٤٥– وان لم يبق لى دمع فامنحنى الدمع من العين ، كعينى النبى الهطالتين .
– وعندما طلب – عليه السلام – دمع العين من الحق ، مع مثل ذلك الاقبال والإجلال والسبق.
– فكيف لا أكون أنا قريناً للدمع الدموى نحيلا ، أنا الفارغ اليد القاصر لاعق الاطباق .
– وما دامت مثل تلك العين مفتونة بالدمع ، ينبغى أن يكون دمعى أنا مثل مائة نهر من أمثال جيجون .
– بل أن قطرة منه أفضل من مائتى جيجون ، فالإنس والجن قد نجوا بتلك القطرة .
٢٣٥٠– وما دامت تلك الروضة من رياض الجنة قد بحثت عن المطر ، فكيف لا تطلب الأرض البور القبيحة الماء ؟!
– ويا أخى لا تقلع عن رفع يديك بالدعاء ، فما شأنك أنت باجابته "جل وعلا" أو برده ؟!
– والخبز الذى يكون سداً ومانعاً لهذا الماء ، ينبغى أن تنفض اليد من ذلك الخبز سريعاً .
– فاجعل نفسك متزناً وجلداً وصلباً ومؤتلفاً ، وانضج خبزك من دمع العين .

نداء الهاتف لطالب الكنز وإعلامه بحقيقة أسراره

– وبينما كان "مستغرقا" فى هذا الأمر ، إذ أتاه الالهام ، وكشف له من الهمة عن هذه المشكلات .
٢٣٥٥– لقد قال لك ضع سهماً فى القوس ، ومتى قيل لك : شُدّ وتر القوس .
– إنه لم يقل لك : شد القوس جيداً ، قال لك : ضعه فى القوس ، ولم يقل : أطلقه من القوس .
– ومن فضولك شددت القوس تماماً ، ومارست صنعة القواس .

– فاترك شد القوس وامض ، وقل : ضع السهم فى القوس ، ولا تطلقه .
– وعندما يسقط ، احفر ، واطلب من ذلك المكان ، واترك القوة وابحث عن الذهب بالضراعة.
٢٣٦٠– فما هو حق أقرب إليك من حبل الوريد ، وأنت القيت بسهام الفكر بعيداً بعيداً .
– وانت أعددت القوس والسهام ، والصيد قريب وأنت أطلقته بعيداً[1] .
– وكل من أطلقه أكثر بعداً يكون هو نفسه أكثر بعدا ، ويكون مهجورا أكثر من ذلك الكنز .
– لقد قتل المتفلسف نفسه من الفكر ، فقل لـه أسـرع ، والأعمى ظهره دائمـا إلى الكنز .
– قل له "أسرع" وكلما زادت سرعته ، ازداد بعداً عن مراد القلب .
٢٣٦٥– لقد قال ذلك المليك "جاهدوا فينا" ولم يقل "جاهدوا عنا" أيها القلق .
– مثل كنعان الذى غادر "ما اعتبره" عاراً من نوح، نحو قمة ذلك الجبل المهيب.
– وكلما جاهد أكثر فى الخلاص "سعياً" صوب الجبل ، كان يصير أكثر بعداً عن الملجأ والمناص .
– مثل ذلك الدرويش ، من أجل الذهب ، كان كل صباح يبحث عن قوس أشد .
– وكلما نال قوساً أكثر شدة ، كان يصير أبعد وأكثر حرماناً من الكنز وأماراته .
٢٣٧٠– أن هذا المثل حيوى فى زماننا ، وهو أن التعب رخيص على روح الجاهل .
– ذلك أن الجاهل يشعر بالعار من "محضر" الأستاذ ، فلا جرم أنه ذهب ، واستقل بحانوت .
– وهذا الحانوت الذى يعلو على الأستاذ أيها الجميل (!!) نتن وملئ بالعقارب وملئ بالحيات.
– هيا ، أغلق هذا الحانوت سريعاً وعد ، نحو الحضرة وأيكات الورد ونبع الماء .
– لا مثل كنعان ، الذى من الكبر والجهل ، جعل من الجبل العاصم سفينة فوز .
٢٣٧٥– فكان علمه بالرمى حجاباً عليه ، وكان مراده ذاك حاضرا فى جيبه !!.

---

[1] ج : ١٢٧/١٤ – وكل من هو بعيد بعيد عن وجهه ، انما يجرب قوة ساعده .

- ورب علم وذكاء وفطن ، صارت للسالك كأنها الغول وقاطع الطريق .
- وأكثر أصحاب الجنة هم البله ، ذلك أنهم يتخلصون من شر التفلسف .
- فاجعل نفسك عرياناً من الفضل والفضول ، حتى تنزل عليك الرحمة في كل لحظة .
- واعلم أن التذاكى هو ضد الانكسار والضراعة ، فاترك التذاكى ، وتعود على البله .
٢٣٨٠- فاعلم أن التذاكي هو شبكة الكسب والطمع والعض "بالنواجذ" ، فحتام يطلب المقامر بطهر ، الذكاء.
- لقد قنع الأذكياء بصنعة ما ، أما البلهاء فقد انتقلوا من الصنع إلى الصانع .
- ذلك أن الأم تكون للطفل الصغير نهاراً ، يداً وقدماً وتضعه فى أحضانها !! .

حكاية المسافرين الثلاثة المسلم والمسيحى واليهودي

الذين تلقوا صدقة بأحد المنازل ، وكان المسيحى واليهودي شبعين ، فقالا : لنأكل هذه الصدقة غداً ، وكان المسلم جائعاً فبقي جائعاً ، إذ كان مضطراً !!

- استمع إلى حكاية هنا يا بنى ، حتى لا تصبح فى ادعائك الفضل ممتحنا .
- لقد ترافق يهودى ومؤمن ومسيحى فى سفر.
٢٣٨٥- كان المؤمن رفيقاً فى الطريق لضالين ، مثلما يكون العقل مع النفس ومع الشيطان .
- لقد تصادف أن مروزياً ورازياً ترافقا وتآكلا من جراء السفر .
- وحبس غراب وبومة وبازى فى قفص واحد ، واقترن الطاهر مع النجس فى السجن .
- ونزلوا فى منزل ما ذات ليلة ، أهل الشرق وأهل الغرب وما وراءهما .
- وبقى فى المنزل الصغير والعظيم ، لعدة أيام "محبوسين" من البرد والبَرَد .
- ٢٣٩٠- وعندما انفتح الطريق ، ويسرت الصعاب ، تفرقوا وذهبت كل جماعة إلى مكان .
- وعندما يكسر مليك العقل القفص ، تطير جماعة الطيور ، كل نحو صوب ما .

- ويبسط "كل طائر" الجناح ، وقبل الجناح الشوق والذكرى ، في هوى جنسه صوب المعاد .
- يبسط الجناح كل لحظة مع الدمعة والآهة ، لكن لا وجهة له ولا وجه للطيران .
- وعندما يفتح الطريق يطير كل سرب مثل الريح ، نحو ذلك الذى كان يبسط الجناح على ذكراه .
٢٣٩٥- وتلك الناحية التى كانت دمعه وآهته متوجهة إليها ، تكون طريقه عندما يجد الفرصة.
- فانظر في جسدك إلى أعضاء الجسد ، من أى الأماكن قد تجمعت في البدن .
- فهي مائية وترابية وهوائية ونارية وعرشية وأرضية ورومية وكشية[١] .
- وعلى أمل العودة ، اتخذ منها ركناً في هذا الخان خوفاً من البرد .
- والبرد متنوع ، وجمود كل جماد ، في شتاء البعد عن شمس العطاء تلك .
٢٤٠٠- وعند تسطع حرارة شمس الغضب تلك ، يصير الجبل حينا كالرمل وحيناً كالعهن.
- وتأخذ الجمادات الثقيلة في الذوبان ، مثل ذوبان الجسد عند انتقال الروح .
- وعندم وصل هؤلاء الرفاق الثلاثة إلى منزل ، أحضر لهم جواد هدية من الحلوى.
- حمل محسن الحلوى لهؤلاء الغرباء الثلاثة من المطبخ الالهى القريب .
- جاء لهم بخبز ساخن وطبق من الحلوى بالعسل ، حملها إليهم ذلك الذى كان آملاً في الثواب .
٢٤٠٥- "الكياسة والأدب لأهل المدر ، والضيافة والقرى لأهل الوبر .
- الضيافة للغريب والقرى ، أودع الرحمن في أهل القرى .
- كل يوم في القرى ضيف حديث ، ماله غير الإله من مغيث .
- كل ليل في القرى وفد جديد ، مالهم ثم سوى الله محيد !!"[٢]

---

(١) من كش في تركستان

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

– كان هذان الغريبان متخمين من الطعام ، ولعل ذلك المؤمن كان صائماً ذلك اليوم .

٢٤١٠– وعندما وصلت تلك الحلوى عند صلاة المغرب ، كان المؤمن قد بقى فى جوع شديد.

– وقال هذان الشخصان : إننا ممتلئان من الطعام ، فلندخره الليلة ، ولنأكله فى الغد .

– لنصبر الليلة ، ولنمتنع الليلة عن الطعام ، ولندخر هذا الطعام الطيب للغد .

– قال المؤمن : لنأكل هذا الطعام الليلة ، ولندخر الصبر إلى الغد .

– فقالا له : إن هدفك فى هذه الحكمة هو أن تأكل وحدك .

٢٤١٥– فقال : أيها الرفيقان ، ألسنا ثلاثة ؟! فما دام الخلاف قد وقع بيننا ، لنقتسم .

– ومن أراد أن يأكل نصيبه ليأكله ، ومن أراد أن يدخره إلى الغد ليدخره .

– فقالا له : دعك من القسمة ، واستمع إلى ما جاء فى الخبر من أن القسام فى النار .

– قال : إن القسام هو ذلك الذى قسم نفسه بين الهوى وبين الله .

– فالملك للحق ، وكل شئ له ، وان اعطيت نصيباً لآخر فانت ثنوى .

٢٤٢٠– وكان لهذا الأسد أن يتغلب على الكلاب ، لو لم تكن النوبة ، نوبة هذين الخبيثين .

– كان هدفهما ، أن يتجرع ذلك المسلم الحزن ، وان يمر عليه الليل وهو جائع .

– فكان مغلوباً لهما ، فقال بتسليم ورضا : سمعاً وطاعة أصحابنا .

– فناموا تلك الليلة ، ثم استيقظوا فى الصباح ، واتخذوا زينتهم .

– غسلوا وجوههم وأفواههم ، وكل واحد منهم ، كان له فى ورده طريق ومسلك .

٢٤٢٥– وكل منهم يمم بوجهه فترة ما ، إلى ورده ، طالبا فضل الحق .

– فالمؤمن والمسيحى واليهودى والجبرى والمجوسى ، كلهم متجهون لذلك السلطان العظيم[1]

---

[1] ج : ١٤/١٣٥ : – والمؤمن واليهودى والمسيحى والطيب والشرير ، كلهم متجهون صوب الأحد .

- بل إن الحصى والتراب والجبل والماء ، لها عودة خفية إلى الله .
- وهذا الكلام لا نهاية له ، فهؤلاء الثلاثة التفوا حول بعضهم البعض تلك اللحظة كما يفعل الأصدقاء .
- قال أحدهم : ليقص كل منكم ما رآه ليلة الأمس فى النوم على الآخرين .
٢٤٣٠- وكل من رؤياه أفضل من الآخرين يأخذ هذه الحلوى ، والأفضل يأخذ نصيب كل مفضول .
- وكل من يمضى فى "مدارج" العقل أعلى ، يكون طعام الجميع طعاماً له .
- فان روحه المليئة بالأنوار تفوق الجميع ، وحسب الباقين أن يقوموا برعايته .
- واذا كان البقاء للأبد "نصيباً" للعقلاء ، إذن فهذه الدنيا تكون باقية ، ببقاء المعنى .
- ثم روى اليهودى ما رآه ، وإلى أى مدى تجولت روحه فى الليل .
٢٤٣٥- وقال : "لقد تقدمنى موسى فى الطريق" ، أجل فإن القط يحلم بالشحمة .
- وسرت خلف موسى حتى جبل طور ، وصرنا ثلاثتنا مختفين فى النور .
- وكل هذه الظلال الثلاثة محيت فى الشمس ، وبعد ذلك صار من ذلك النور فتح الباب.
- وبزغ نور آخر من قلب ذلك النور ، وطلب ذلك النور الحائر السمو على الفور .
- وضاع ثلاثتنا ، موسى ، وأنا ، والطور من ذلك الاشراق للنور .
٢٤٤٠- ثم رأيت الجبل قد انشق إلى ثلاثة فروع ، عندما نفخ فيه نور الحق.
- وعندما تجلى عليه بصفة الهيبة ، أخذ يتفسخ عن نفسه ويمضى نحو كل صوب .
- فذهب فرع منه إلى اليم ، فصار الماء المالح كالسم ،حلوا .
- وذلك الفرع الذى غاص فى الأرض ، انبثقت منه عين دواء معينة .
- بحيث صار الماء شفاء لكل المرضى ، من عظمة الوحى المستطاب .
٢٤٤٥- وذلك الفرع الثالث طار سريعاً ، حتى صار إلى جوار الكعبة وأصبح جبل عرفات .

- ثم إننى عندما أفقت من هذه الصعقة ، كان الطور فى موضعه دون زيادة أو نقصان .
- لكنه كان تحت قدم موسى يذوب كالثلج ، لم تبق له أصول أو فروع .
- او أن الجبل من رعبه صار أرضاً مستوية ، أو صار ارتفاعه من الهيبة انخفاضاً .
- ثم اننى عدت إلى وعيى من هذه التفرقة ، فرأيت الطور وموسى مستقرين .
٢٤٥٠- وتلك الصحراء الموجودة فى سفح الجبل ، مليئة بالخلق ، وجوههم تشبه وجه موسى.
- وعصيهم كعصاه وخرقتهم كخرقته ، وجميعهم يسرعون صوب الطور مشمرى الثياب .
- وكلهم رفعوا أكفهم بالدعاء ، وأخذوا جميعاً يتغنون بنغمة "أرنى" .
- ثم اننى عندما أفقت من هذه الغشية سريعاً ، ظهر لى وجه كل منهم على شكل آخر .
- كانوا جميعاً من الأنبياء ، من أهل الود ، وفهمت "معنى" اتحاد الانبياء .
٢٤٥٥- ثم أخذت أرى ملائكة عظام ، كانت صورهم من أجرام البَرَد .
-وفى حلقة أخرى ملائكة آخرون يطلبون العون "من الله" ، وجوههم جميعاً نارية .
- وعلى هذا النسق أخذ ذلك اليهودى يتحدث ، إذن فقد كان يهودياً محمود العاقبة .
- فلا تنظر إلى أى كافر قط باحتقار ، فهناك أمل فى أن يموت مسلماً .
- فان علم لك بختام عمره ، حتى تحول عنه الوجه تماماً .
٢٢٦٠- ثم بدأ المسيحى فى الكلام ، قائلاً ، لقد أبدى لى المسيح وجهه فى المنام .
- ومضيت معه حتى السماء الرابعة ، مركز شمس الدنيا ومثواها .
- وقلاع السموات فى حد ذاتها من العجائب ، ولا نسبة لها بآيات الدنيا .
- وكل انسان يعلم يا فخر البنين ، ان فنون الفلك تزيد عن "فنون" الأرضين .

حكاية الجمل والثور والكبش

الذين وجدوا في الطريق بعض العشب ،

وأخذ كل منهم يقول : أنا آكله

– كان جمل وثور وكبش يسيرون معاً ، ووجدوا فى طريقهم حزمة من العشب .

٢٤٦٥– فقال الكبش ، لو أننا قسمنا هذا يقيناً ، فلن يشبع منه أحد .

– لكن من كان منا أكبر سنا من الآخرين ، فله أن يأكل هذا العشب .

– ذاك أن تقديم الشيوخ ، ورد فى سنن المصطفى عليه السلام .

– بالرغم من أن الشيوخ فى عصر اللئام هذا ، يقدمهم العوام فى موضعين :

– إما فى الطعام الذى يكون ساخنا ، أو على ذلك الجسر الذى يكون مهدما من الخلل .

٢٤٧٠ – فالعامي لا يخدم شيخاً أو عظيماً أو قائداً ، إلا بقرينة فاسدة .

– وهذا خيرهم ، فما بالك بشرهم ، واعلم قبحهم "بالقياس" إلى جمالهم .

مـــثـــل

– كان أحد الملوك يتقدم نحو المسجد ، وكان النقيب والمطرق يضربان الناس .

– كان المطرق يشج رأس أحدهم ، وكان النقيب يمزق ثوب آخر .

– ومن بينهم كان هناك محزون تلقى عشرة ضربات من العصا دون ذنب إلا أن يتنحى عن الطريق .

٢٤٧٥– فاتجه إلى الملك ودمه يسيل قائلاً ، انظر إلى الظلم الظاهر، فما بالك بالخفى ؟

– وهذا خيرك وأنت ماض إلى المسجد أيها الغوى ، فما بالك بشرك ووزرك .

– ولا يسمع شيخ سلاماً من خسيس ، دون أن يلتوى "ألماً" منه فى النهاية .

– وان يظفر الذئب بالولى أفضل له من أن تظفر به النفس الأمارة .

– لأنه مهما كان الذئب ظالماً ، لكن ليس عنده حيلة أو مكر أو كيد .

٢٤٨٠– وإلا متى كان يسقط فى الفخ ، لكن المكر عند الانسان شديد .[1]

– قال الكبش للثور والجمل ، يا رفيقى ، ما دمنا قد اتفقنا على هذا ،

---

[1] ج: ١٤٦/١٤ – ومكره أنه يظن أنه صاحب الكرم يسمع صوت "المتظلم" ويقول أنا الكرم .

– فليذكر كل واحـــد منـا عمـــره ، والأكبر سـنا أولـى "بالعشـب" وعلـى البـاقين الرضا .

– قال الكبش ، إن المرج الذى كنت أرعى فيه في تلـك العهـود كـان نفس مـرج الكبش الذى فدى اسماعيل .

– وقال الثور أنا أسن منك ، فأنا زوج تلك البقرة التى زوجها آدم .

٢٤٨٥– أنا زوج تلك البقرة التى كان آدم جد البشر يحرث بها الأرض .

– وعندما سمع الجمل ذلك من الكبش والثور تعجب ، مد رأسـه إلـى الأرض وحمل العشب .

– ورفع إلى الهواء تلك الحزمة من القصيل ، ذلك الجمل الأصيل سريعاً بلا قـال أو قيل .

– قائلاً : لا حاجة بى إلى التاريخ ، وأنا لى هذا الجسد "العظيم" والرقبة العالية .

– وكل انسان يعلم يا روح أبيكما ، أننى لست بالأصغر منكما .

٢٤٩٠– كما يعلم كل أصحاب النهى ، أن وجودى وأصلى زائد عما لكما .

–والناس جميعاً يعلمون أن هذا الملك العالى ، هو مائة ضعـف قدر هـذا التـراب الذليل .

– فأين فسحة رقاع السماء من أصل بقاع المتربة ؟!

جواب المسلم بما رآه على رفيقيه اليهودي والمسيحى وحسرتهما على الطعام

– ثم قال المسلم : يا رفيقى ، لقد جاء الى المصطفى سلطانى.[1]

– وقال لى : لقد أسرع ذاك الى الطور ومع كليم الحق لعب نرد العشق .

٢٤٩٥– وذلك الآخر حمله عيسى صاحب القران إلى أوج السماء الرابعة .

– فانهض أيها العاجز المضرور ، وكل هذه الحلوى .

– إن هذيـن الفـاضلين الممـــتلئين بـالفضل قـــد انطـــلقا ، وقـرآ كتـاب الإقبـال والمنصب .

---

(١) ج: ١٦٥/١٤ – سيد السادات سلطان الرسل ، مفخر الكونين هادى السبل .

– وأدرك هذان الفاضلان فضليهما ، واشتبكا مع الملائكة فى الفضل .
– فهيا أيها السليم المخدوع المتروك فى المؤخرة ، انهض واجلس الى طبق الحلوى .
٢٥٠٠– فقالا له : إذن وأنت الحريص ، آكلت ويا للعجب تلك الحلوى ؟
– قال : ما دام قد أمر ذلك الملك المطاع ، من أكون أنا حتى امتنع عن تلك "الحلوى" ؟
– فهل تعصى أيها اليهودى أمر موسى إذا دعاك إلى خير أو شر ؟
– وأنت أيها المسيحى اتجرؤ على الإشاحة بوجهك عن أمر المسيح فى خير أو شر ؟
– فكيف أعصى أنا فخر الانبياء ؟ لقد أكلت الحلوى ، وأنا سعيد بهذا الآن .
٢٥٠٥– فقالا له : والله إنها رؤيا صادقة ، التى رأيتها أنت وهى أفضل من مائة رؤيا عندنا .
– إن حلمك يقظة يا صاحب السعادة ، فأثره واضح للعيان عند اليقظة[1] .
– فدعك من الفضل والمهارة والفن ، فان هذا الامر يحتاج الخدمة والوجه الحسن .
– ومن أجل هذا خلقنا الله تعالى ، إذ ﴿ما خلقت الانس الا ليعبدون﴾ .
– فماذا أفاد السامرى ذلك الفضل ، إلا أنه رده عن باب الله .
٢٥١٠– وماذا استفاد قارون من الكيميـــــاء ، أنظر إلـى الأرض وقد ابتلعتـــه في قاعها ؟
– وماذا كسب أبو جهل فى النهـاية من حيلتـه؟ ، ذهب منقلباً من الكفران الى سقر .
– فاعلم أن فضله ذاك هو أنه رأى النار عياناً ، لا "كما دل على النار الدخان" .
– ويا من دليلك اكثر نتنا عند اللبيب ، فى الحقيقة من دليل ذلك الطبيب .

---

(١) ج: ١٤/١٦٥ – ان حلمك يقظة ياحسن الأصل ، فقد وصلت فى منامك إلى المراد
– وحلمك يقظة يا حسن الطوية ، فمن نومك جاءك الأمر بـ "كلوا"
– وحلمك يقظة أيها الرجل الطيب ، فمن حلمك هذا اصفر وجهانا
– وحلمك يقظة يا شبع الروح ، فقد رأيته عياناً بياناً
– وحلمك مثل حلم الانبياء ، صار حقيقة دون تعبير .

- فان لم يكن دليلك سوى هذا يابني ، كل الغائط وداوم النظر الى البول .

٢٥٢٥- ويا من دليلك مثل تلك العصا فى كفك دل على عيب العمى[١]

- فثمة ضجة وقعقعة وهرج ومرج وخذ وقيد ، وأنت قائل ، اننى لا أرى ، فاعذرني .

نداء سيد ملك ترند أن كل من يذهب إلى سمرقند في ثلاثة أو أربعة أيام في مهمة كذا أعطيه خلعة وجواداً وغلاماً وجارية وذهبا كثيرا ،وسماع المهرج خبر هذا المنادي في القرية ومجيئه في خيل البريدإلى الملك قائلاً : أنا لا أستطيع الذهاب

-كان عند سيد ملك ترمذ مهرج على وعى .

- وكان لدى الملك أمر مهم فى سمرقند ، فبحث عن رسول ينجزه .

- فأمر بالنداء بأن كل من يأتينى بخبر من هناك فى خمسة أيام ، أهبه الكنوز .

٢٥٢٠- كان المهرج فى القرية وسمع بذلك ، فركب وأخذ يجد فى السير إلى ترمذ .

- ونفق جوادان فى ذلك الطريق ، من سوق الجياد على ذلك النمط .

- ودخل إلى الديوان مسرعاً بتراب الطريق ، فى وقت غير مناسب واتخذ طريقه الى الملك .

- ووقع اللغط فى كل الديوان ، ووقر القلق فى قلب ذلك السلطان .

- وهلعت قلوب كل الخواص والعوام فى المدينة ، ترى أى اضطراب حدث وأى بلاء نزل .

٢٥٢٥- ترى ، أهجم عدو قاهر علينا ؟! أو هل نزل بنا بلاء مهلك من الغيب ؟!

- بحيث دفع المهرج الى السير الجاد ، بحيث قتل عدة جياد عربية فى الطريق ؟

- واجتمع الخلق على قصر الملك متسائلين ، لماذا جاء ذلك المهرج سريعاً هكذا؟

- فمن سرعته هذه ومبالغته فى الجهد ، وقعت الضجة والاضطراب فى ترمذ .

- فهذا ضارب بيديه على ركبتيه ، وذاك من الخوف صارخ وا ويلاه .

---

(١) ج: ١٦٦/١٤ - إن دليلنا مثل فكرنا ذليل ، وكثرتنا عند العلماء قليلة .

٢٥٣٠- ومن الرعب والفتنة وخوف النكال ، ذهب كل قلب إلى مائة حى من أحياء الخيال .

- وأخذ كل انسان يحدس حدساً من القياس ، ترى أى نار وقعت فى الغطاء ؟!

- طلب المثول ، وأعطاه الملك الإذن على الفور ، وعندما قبل الأرض بين يديه ، سأله : هه ، ماذا حدث ؟

- كان كل من يسأل عن الحال من ذلك العبوس ، كان يضع يده على شفيه بما يعنى : صمتاً .

- فكان الخوف يزداد من وقاره ذاك ، وصار الجميع من القلق محملقين فيه .

٢٥٣٥- وأشار المهرج ، قائلاً : يا مليك الكرم ، أمهلنى لحظة حتى التقط أنفاسى .

- وحتى يعود إلى عقلى لحظة ، فقد سقطت فى عالم عجيب .

- وبعد برهة ، تمرر فيها حلق الملك وفوه من الوهم والظن .

- إذ لم يكن قد رأى المهرج على هذه الحال ، فلم يكن هناك جليس أكثر منه مرحاً .

- كان دائماً ما ينشر المزح والقصص ، كان يجعل الملك ضاحكاً سعيداً .

٢٥٤٠- وكان يجعله ضاحكاً فى مجلسه بحيث يمسك الملك بطنه بكلتا يديه .

- حتى لا يهن جسده من قوة الضحك ، ويسقط على وجهه .

- ثم هو اليوم شاحب عبوس إلى هذا الحد ، يضع يده على شفته بما يعنى صمتاً أيها الملك .

- كان هناك وهم فى وهم وخيال فى خيال ، تطوف بالملك، ترى ماذا يأتى من نكال ؟!

- فقد كان الملك مهموماً خائفاً ، ذلك أن خوارزم شاه كان ممعناً فى سفك الدماء.

٢٥٤٥- وكان قد قتل كثيراً من ملوك تلك الناحية ، إما حيلة ، وإما سطوة ، ذلك العنود .

–و ملك ترمذ كان أيضاً يخشاه ، وزاد وهمه هذا من ألاعيب المهرج .

– فقال ، هيا ، أسرع قل ما حدث ، فمم اضطرا بك وقلقك هذا ؟

– قال : لقد سمعت فى القرية ان الملك ، وضع منادياً على مفترق كل طريق .

– هاتفاً ، أريد شخصاً يسوق لثلاثة أيام حتى سمرقند وأعطيه الكنوز .

٢٥٥٠– أعطيه الكنوز فى المقابل ، عندما يتم الغرض من أداء الرسالة .

– وأنا أسرعت إليك ، من أجل أن أقول لك ، إننى لا أستطيع هذا .

– إن مثل هذه المهارة لا تتأتى من مثلى ، فلا تأمل هذا فىَ .

–قال الملك : اللعنة على سرعتك هذه ، التى أحدثت مائة ضجة فى المدينة .

– أمن أجل هذا القدر أيها الساذج الغفل أضرمت النار فى المرج والعشب ؟!

٢٥٥٥– مثل أولئك السذج ذوى الطبول والأعلام ، يصيحون نحن الرسل المسرعون فى الفقر والعدم .

– لقد القوا بنفاج المشيخة فى العالم ، وجعلوا من أنفسهم أمثال "با يزيد" .

– صار كل منهم سالكاً من ذاته واصلاً فى ذاته ، وأقام محفلاً فى موضع الدعوى.

– مثلما يكون منزل العريس مليئاً بالفتنة والشر ، وقوم "العروس" لا علم لهم بهذا الأمر .

– وثمة ضجة بأن الأمر قد تم نصفه فحسب ، والشروط التى كان ينبغى ان تقوم بها قد تمت .

٢٥٦٠– لقد كنسنا المنازل وزيناها ، ونهضنا سكارى منتشين من هذا الهوس .

– فهل ثم رسالة جاءت من تلك الناحية ؟ ابداً ، وهل جاء طائر إلى هذه الناحية من ذلك السطح ؟! اطلاقاً .

– وعلى هذه الرسائل المتتالية ، هل وصل إليكم جواب من تلك الأنحاء ؟

- لا ، لكن حبيبنا عالم بهذا الأمر ، ذلك لأنه لابد أن يكون هناك طريق من القلب إلى القلب .

- إذن ، لماذا يكون الطريق خالياً من جواب خطاب من ذلك الحبيب الذى هو أملكم ؟!

٢٥٦٥- وهناك مائة دليل فى السر والعلن ، لكن ، أقصر ولا تكشف الستار عن هذا الباب .

-وعد نحو قصة ذلك المهرج الأحمق ، الذى جلب البلاء على نفسه من ذلك الفضول .

- إذ قال وزيره : ياعماد الحق ، استمع من أقل عبادك إلى عبارة واحدة .

- إن المهرج قد أتى من القرية لأمر ما ، إلا أن رأيه قد تغير ، وندم .

- إنه يقوم بتجديد الحيل القديمة ، ويقوم بالخروج من هذا الأمر عن طريق التهريج .

٢٥٧٠- لقد أبدى الغمد وأخفى السيف ، وينبغى تعذيبه بلا توقف .

- فإنك ان لم تكسر الفسدق أو الجوز ، لا هو يبدى لبه ولا هو يعطى الزيت .

- لا تستمع إلى دفاعه وانكاره وذلاقة لسانه ، بل أنظر إلى رعشته ولونه .

- لقد قال الحق "سيماهم فى وجوههم" ، ذلك أن السيماء منبئه ومنمة .

- إن هذا العيان ضد ذلك الخبر ، فإن هذا الانسان قد خلق معجوناً فى الشر .

٢٥٧٥- فقال المهرج صارخاً باكياً ، أيها الصاحب ، لا تسع فى دم هذا المسكين .

-فكثير من الظن والوهم يأتيان فى الضمير ، لا تكون صادقة أو حقيقية أيها الأمير .

- ﴿إن بعض الظن اثم﴾ أيها الوزير ، وليس الظلم بالحق وبخاصة على الفقير .

– إن الملك يعاقب من يضايقه ، فمن أى شئ يعاقب من يضحكه ؟

– لكن قول الوزير أثر فى الملك ، وصار كاشفاً لهذا المكر ولهذا التزوير .

٢٥٨٠ فقال "خذوا " المهرج إلى السجن ، وإياكم أن تغتروا بنفاقة أو احتياله .

– واضربوه كما تضرب الطبول الجوفاء ، حتى يخبرنا "بالأمور" مثلما تخبرنا الطبول .

– إن الطبلة قد تكون مرتخية أو مشدودة مليئة أو فارغة وصوتها ينبؤنا بكل هذه الأمور .

– وحتى يضطر إلى البوح بسره ، بحيث تطمئن هذه القلوب .

– فمادام القول الصادق ذو الضياء طمأنيته ، فإن القلب لا يستريح إلى القول الكاذب .

٢٥٨٥– فالكذب كالقذى والقلب كالفم ، ولا يخفى القذى فى الفم أبداً .

– وما دام فيه يتحرك اللسان حتى يدركه ويخرجه من الفم .

– وخاصة عندما تسقط قشة من الريح في العين ، تأخذ العين في "سكب" الدموع ، والانغلاق والانفتاح .

– إننا نركض الآن في أثر هذه القشة ، حتى يتخلص الفم وتتخلص العين من تلك القشة .

– قال المهرج ، أيها الملك ، تريث ، ولا تخمش وجه الحلم والعفو !!

٢٥٩٠– ما هذا التعجيل في الانتقام إلى هذا الحد ؟! ، إنني لن أطير فأنا في يدك.

– وذلك التأديب الذي يكون من أجل الله ، لا تجوز العجلة فيه .

– وذلك الذي يكون من الطبع ومن الغضب العارض ، يكون الإسراع فيه ،

حتى لا يسترضيه أحد .

– ويخشى أن يأتيه الرضا فيسكن الغضب ، ويفوته الانتقام ولذته منه .

– والشهية الكاذبة تسرع في الطعام ، خوف فوت اللذة ، وهذا في حد ذاته سقم.

٢٥٩٥– وفي الشهية الصادقة يكون التمهل أولى ، حتى يصير "الطعام" مستساغاً دون ضرر .

– إنك تضربني من أجل رفع البلاء ، حتى ترى الفجوة ، وتقوم بسدها .

– حتى لا يخرج البلاء من هذه الفجوة ، وغيرها ، القضاء لديه الكثير .

– ووسيلة دفع البلاء لا تكون الظلم ، بل الوسيلة هي الإحسان والعفو والكرم .

– لقد قال ﷺ : الصدقة مَرَد للبلاء ، وداو مرضاك بالصدقة ، أيها الغني .

٢٦٠٠– وليس من قبيل الصدقة إحراق الفقير ، وإصابة العين التي تفكر في الحلم بالعمى .

– قال الملك : إن الخير طيب وموقعه طيب ، لكن عندما تقوم بالخير في موضعه !!

– إنك إن وضعت الملك في موضع "الرخ" فهذا خراب ، ووضع " الحصان " في مكان "الملك" جهل .

– وفي الشريعة هناك العطاء وهناك أيضاً العقاب ، فللملك الصدر ، وللفرس العتبة .

– فما هو العدل ؟! إنه وضع الشئ في موضعه ، وما هو الظلم ؟! إنه وضع الشئ في غير موضعه !![1]

---

[1] ج : ١٤ / ١٧١ :

– وما هو العدل إنه ري الأشجار ، وما هو الظلم : إنه ري الأشواك .

٢٦٠٥- وليس باطلا كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى ، من غضب ومن حلم ومن نصح ومن كيد .

- ولا يوجد شئ منها خير مطلق ، كما أنه لا يوجد شئ منها شر مطلق .

- ونفع كل منها وضره في موضعه ، والعلم على هذا الوجه واجب ونافع .

- ورب عقّاب يقع على المسكين ، ويكون في ثوابه أفضل من الخبز والحلوى!!

- ذلك أن الحلوى في غير أوانها تسبب الصفراء ، والصفع الذي يقع على "المرء" يخلصه من خبثه .

٢٦١٠- فاصفع المسكين لكن حينما يجب الصفع ، فإنه يخلصه من ضرب العنق.

- إن الضرب في معناه إنما يقع على الطوية السيئة ، والعصا تقع على التراب لا على اللباد .

- فلكل سلطان "مجلس" لهو وسجن ، فاللهو للمخلص والسجن للفج غير الناضج.

- وينبغى أن يشق الجرح لكى تضع عليه المرهم ، وإلا جعلت الصديد متمكناً من الجرح .

- حتى يأكل اللحم من تحته ، ففى "تركة" نصف نفع وخمسون ضرر !!

٢٦١٥- قال المهرج : أنا لا أقول اعفُ ، لكنى اقول : تحر الأمر .

- وانتبه ، ولا تغلق طريق الصبر والتأنى ، واصبر وفكر عدة أيام .

- فإنك بالتأنى تصل إلى اليقين ، وتقوم بعقابى على اليقين .

- فلماذا تحقق في مشيك "قوله تعالى" ﴿ يمشى مكباً ﴾، بينما يجوز لك أن تمشى مستويا مستقياً .

- واستشر جماعة من الصالحين ، واعلم أن الأمر بـ " شاورهم " ، نزل على الرسول .

٢٦٢٠- ومن هنا كانت الآية الكريمة ﴿ أمرهم شورى بينهم ﴾ ، فمن الشورى يقل السهو ويقل الضلال .

- وهذه العقول مثل المصابيح المضيئة ، وعشرون مصباح أكثر نوراً من مصباح واحد !!

- فلعل مصباحاً بينها ، يكون مضيئاً بنور السماء .

- وإن غيرة الحق قد وضعت حجاباً ، ومزجت العلوى والسفلى معاً !!

- فقال "سيروا" وداوموا على الطلب في الدنيا ، واعكفوا على امتحان الحظ والرزق .

٢٦٢٥- وفي المجالس داوم على البحث في العقول ، عن مثل ذلك العقل الذي كان للرسول .

- ذلك أن هذا هو ميراث الرسول فحسب ، إذ يرى الغيوب من قدام ومن وراء.

- واطلب في البصائر هذا البصر ، الذي لا يتحمل شرحه هذا المختصر .

- ومن هنا منع ذلك العظيم الترهب والخلوة في الجبل .

- حتى لا يفوت هذا النوع من اللقاء ، فهو نظرة الإقبال واكسير البقاء .

٢٦٣٠- ومن بين الصالحين هناك من هو أصلح ، وعلى رأس توقيعه تصديق السلطان .

- وقد صار دعاؤه مقرونا بالاجابة ، ولا يكون كفؤا له كبار الإنس والجن .

- وفي مرائه سواء الصالح والطالح ، تكون حجته داحضة .

- فما دمنا قد رفعناه إلى أنفسنا ، قد قضينا على العذر وقضينا على الحجة .

– وما دام الحق قد جعل القبلة عياناً ، إعلم أن التحرى بعدها مردود .

٢٦٣٥– فهيا حول الوجه والرأس عن التحرى ، فقد ظهر المعاد وظهر المستقر .

– فإنك إذا ذهلت لحظة واحدة عن هذه القبلة ، تصير مسخراً لكل قبلة باطلة .

– وعندما تصير جاحداً لمن يهبك التمييز ، فإنما ينفر منك خاطر العارف بالقبلة.

– فان كنت تريد البرِ والبرْ من هذا المخزن ، لا تبتعد لحظة عمن يشاركونك الألم .

– ففى تلك اللحظة التى تفرفيها من المعين ، فانك تبتلى ببئس القرين .

حكاية تعلق الفأر بالضفدعة . وربطها لرجليهما معاً بخيط طويل
واختطاف الغراب للفأر وبقاء الضفدع معلقاً في الفضاء
وعويلها وتدلها على تعلقها بمن هو من غير جنسها ،
وعدم تجانسها مع من هم من جنسها

٢٦٤٠– شاء القضاء أن يتعارف فأر وضفدع على حافة جدول .

– واتفقا على موعد كل صباح ، يلتقيان في ركن ما .

– فكان كل منهما يلعب نرد القلب مع الآخر ، ويصفى كل ما فى صدره من وساوس للآخر .

– كان لقلب كل منهما متسع وفسحة من اللقاء ، كان كل منهما يبوح للآخر ويستمع إليه .

كانا يتحدثان بالأسرار بلسان وغير لسان ، فاعلم اذن تفسير الجماعة رحمة .

٢٦٤٥– وعندما اقترن ذلك الفرح بذلك السعيد لخمس سنوات كان يتعلم قصصه

– وجَيَشَان النطق من القلب هو علامة المحبة ، وفقدان النطق يكون من عدم الألفة .

– والقلب الذي رأى الحبيب متى يبقى عبوساً ، والبلبل الذي رأى الورد متى يبقى صامتاً .

– إن السمكة المشوية عادت إلى الحياة بلمسة من الخضر واتخذت سبيلها إلى البحر .

– وعندما جلس الحبيب مع الحبيب ، صارت مئات الآلاف من ألواح الأسرار معلومة !!

٢٦٥٠– واللوح المحفوظ هو جبهة الحبيب ، يبدى "للحبيب" سر الكونين عياناً .

– والحبيب في قدومه هو هادى الطريق ، ومن هنا قال المصطفى ﷺ أصحابى نجوم .

– والنجم هادى في الصحراء وفي البحر ، فركز بصرك على النجم فهو مقتدى.

– واجعل العين دوما قرينة لوجهه ، ولا تثر الغبار عن طريق الجدل والحديث .

– ذلك أن النجم يصبح مختفيا من هذا الغبار ، فالعين افضل من لسان ذى عثار.

٢٦٥٥– حتى يتحدث ذلك الذي شعاره الوحى ، فهو الذي يهدئ التراب ولا يثير الغبار .

– وعندما صار آدم مظهرا للوحى والوداد ، انطلقت ناطقته مصداقا لـ ﴿ علم آدم الأسماء ﴾ .

– ومن صحيفة القلب جرى على لسانه اسم كل شئ كما هو عليه .

– كان اللسان يتحدث جهارا عند رؤيته بكل خواصه وماهيته .

– ينفس ذلك الاسم الجدير بالشئ ، لا مثلما يطلق على المخنث اسم أسد .

٢٦٦٠- كان نوح "ماضيا" في الطريق السوى لتسعمائة سنة ، وفي كل يوم كـان له تذكير جديد .

- وربما كان ياقوته من ياقوت القلوب ، ولا قرأ الرسالة ولا قوت القلوب .

- ولم يتعلم الوعظ قط من الشروح ، بل من ينبوع الكشوف وشرح الروح .

- من تلك الخمر التى عندما تحتسى ، يفور ماء النطق حتى من الأخرس .

- ويصير الطفل الوليد حبراً فصيحاً ، ويقرأ الحكمة البالغة كأنه المسيح .

٢٦٦٥- ومن الجبل الذي وجد حلاوة الشـفة مـن تلـك الخمـر ، تعلم داود النبـى مائة غزل .

- وتركت كل الطيور شقشقتها ، وصارت متحدثة مع الملك داود ، رفيقة له !!

- وأى عجب أن يصير الطير ثملا به ؟! ما دام الحديد قد سمع نداء يده !!

- وريح الصرصر التى صارت قاتلة لعاد ، كيف صارت حمالة لسليمان .

- وريح أخرى كانت تحمل على رأسها عـرش الملـك كـل صبـاح ومسـاء علـى طريق مسيرته شهر .

٢٦٧٠- صارت حمالة له ، وجاسوسة له ، جاعلة قول الغائب محسوسا له

- كانت الريح عندما تجد همسا تسر به نحو أذن الملك .

- قائلة : إن فلانا قال كذا ، في هذه اللحظة يا سليمان العظيم ، يا صاحب قـران " السعدين" .

تدبير الفأر مع الضفدع وقوله :

إنـنى لا أستطيع أن أجئ إليك في الماء عندما أريدك ، فينبـغى أن تكون بيننا صلة بحيث استطيع عندما أجئ إلى حافة الجدول أن أخبرك بقدومى كما تستطيع أنت أن تخبرنى عندما تجئ إلى فوهة الحجر .....إلى آخره

– وهذا الكلام لا نهاية له : اذ قال الفأر للضفدع ذات يوم ، يا مصباح الوعى .

– هناك أوقات أود فيها أن أفضى إليك بسر ، وأنت آنذاك تجول في الماء جولان التركي .

٢٦٧٥– وأكون على حافة الجدول مناديا إياك ، لكنك لا تستمع في الماء إلى أنين العاشقين .

– وفي هذا الوقت المحدد أيها الهمام ، لا أشبع أنا من الحديث معك .

– إن للصلاة والهداية خمسة أوقات ، والعشاق في صلاتهم دائمون .

– وذلك الخمار الذي في تلك الرؤوس ، لا يهدأ بخمسة أوقات ولا بخمسمائة الف.

– وليست عبارة "زر غبا" من عادة العشاق ، وأرواح الصادقين شديدة الاستسقاء.

٢٦٨٠– وليست زرغبا من عادة الأسماك ، فلا أنس لأرواحها بعيداً عن البحر .

– إن ماء هذا البحر على عظمته وهوله ، هو جرعة واحدة بالنسبة لخمار الأسماك .

– ولحظة واحدة من الهجران بالنسبة للعاشق كأنها عام ، ووصل عام متصل عنده كأنه الخيال .

– إن العشق مستسق يطلب المستسقى ، وكلاهما في أثر الآخر كالليل والنهار .

– فالنهار عاشقٌ لليل منجذب إليه ، وعندما تمعن النظر " تدرك " أن الليل أكثر عشقا له !!

٢٦٨٥- لا يتوقفان لحظة عن البحث والطلب ، ولا يتوقف أحدهما لحظة عن السعي في أثر الآخر .

- هذا آخذ بقدم ذاك وذاك آخذ بأذن هذا ، هذا مدهوش أمام ذاك وذاك غائب الوعي أمام هذا .

- وفي قلب المعشوق العاشق بكليته ، وفي قلب "عذرا" دائما ما يوجد وامق !!

- وليس في قلب العاشق إلا المعشوق ، وليس بينها هاجر أو مهجور .

- إن هذين الجرسين "موجودان" على بعير واحد ، فكيف تصلح بينهما نصيحة "زر غبا" .

٢٦٩٠- فهل زار أحدهم نفسه غباً ؟! وهل أحب أحدهم نفسه بالنوبة ؟!

- إن هذا الاتحاد مما لا يفهمه العقل ، وفهمه متوقف على موت المرء[1] .

- وإذا كان هذا واجبا بالعقل ، فمن أي شئ أوجب قهر النفس ؟!

- ومع مثل تلك الرحمة الموجودة عند مليك اللب ، متى كان يقول دون ضرورة : أقتل نفسك !!

إسراف الفأر في التضرع والعجز وطلب الاتصال بالضفدع المائي

- قال : أيها الحبيب العزيز الحنون ، إنني لا استريح دون وجهك لحظة واحدة!!

٢٦٩٥- فأنت في النهار نوري وكسبي وسعي ، وفي الليل أنت قراري وسلواي ونومي !!

---

(١) ج : ١٤ / ١٨٧ :

- النيم إلا لرجل مات قبل الموت ، وحمل متاع الوجود إلى الحبيب .

– فمن المـروءة أن تجعلنـى سـعيداً ، وتذكرنـى فـي وقـت وفـي غـير وقـت مـن كرمك.

– لقد جعلت اللقاء عند الافطار هو الموعد اليومى يا حسن النوايا !!

– ولست أنا بالقانع بهذه المرة الوحيدة ، فأننى في هواك مخلوق عجيب .

– وهنـاك استسـقاء شديد فـي كبدى ، وكـل استسـقاء يكـون مقرونـا بـالجوع الشديد[1] .

٢٧٠٠– وأنت في غنى عن حزنى أيهـا الأمـير ، فجـد بزكـاة الجـاه وانظـر إلـى الفقير .

– إن هذا الفقير المجرد من الأدب غـير مسـتحق ، لكـن لطفـك العـام أعلـى مـن ذلك.

– ولطفك العام لا يبحث عن سند ، فأنك شمس ، تطل حتى على الحدث .

– وليس لنورها من هـذا ضـرر ، وتلـك القـاذورات "التـى تطـل عليهـا" صـارت حطباً .

– وعندما مضت القمامة إلى المستوقد ووجدت النور ، بعثت اشعاعها في أبواب الحمام وفي جدارته .

٢٧٠٥– كانت نجسا وصارت الآن زينة عندما تلت عليها الشمس رقيتها .

– كما أدفأت الشمس معدة الأرض ، حتى ابتعلت الأرض بقية القمامة .

– وصارت جزءا من التربة ونما فيها النبات ، " هكذا يمحو الإله السيئات "[2] .

– [3] فإذا كانت تفعل هذا بالغائط ، وهو أسوأ شـئ فتجعـل منـه نباتـاً ، ونرجسـا ونسريناً ،

---

[1] حرفيا: في الشطرة الأولى خمسمائة استسقاء وفي الثانية جوع البقر .

[2] ما بين القوسين بالعربية في المتن .

– ترى ماذا يمنحه الحق من الجزاء ومن العطاء لنسرين الطاعات .

٢٧١٠– وإذا كان يمنح الخبيثين هذه الخلعة ، فما بـالك بمـا ينتظـر الطيبيـن مـن عطاياه .

– إن الحق يعطيهم ما لا عين رأت ، وما لا يستوعبه لسان أو بيان .

– وما نحن وهذا ؟! تعال يا حبيبى ، واجعل نهارى مضيئاً بالخلق الحسن .

– فلا تنظر إلى قبحى وإلى أننى مكروه ، وإلى أننى ملئ بالسم كحية الجبل .

– فيا أنا ، إننى قبيح وكل خصالى قبيحة ، فكيـف أصير وردا وقـد خلقنـى اللـه شوكاً .

٢٧١٥– ويا مطلع ربيع الحسن هـب الشـوك ورداً ، ولطفـك فـي نهايـة الفضـل والفن .

– فاعط حاجة الذي هو غاية (القبـح) مـن ذاك الكمـال ، يـا مـن تـزرى بالسـرو الممشوق .

– فعندما أموت سوف يبكى فضلك ، من الكرم ، برغم أنه برئ من الحاجة .

– وسوف يجلس طويلا على قبرى ، وسوف يذرف الدمع من عينه الجميلة .

٢٧٢٠– وسوف ينوح على حرمانى ، وسوف يغمض العيـن "تدمـاً" علـى ظلمـه إياى .

– فقدم قليلا من ألطافك الآن ، واجعل في أذنى حلقة من ذلك الكلام .

– وما سوف تتحدث به مع قبرى ، انثره على إدراكى الحزين[١] .

---

[٣] ج : ١٤ / ١٩١ :

– صار جزءا من التربة وصار مليئا بالنور ، " هكذا يغفر لمن يعطى الغفور " .

– صار جزءا من التربة سعيداً بثماره ، " هكذا يرحم الله العباد "

[١] ج : ١٤ / ١٩٢ :

خذ بيدى في مثل هذه المسكنة ، وأدخل السرور على في هذا الحزن .

تضرع الفأر للضفدع قائلاً : لا تتعلل ولا تؤجل انجاح هذه الحاجة ، ففى التأخير آفات ، والصوفى ابن الوقت والابن لا يكف يده عن طرف ثوب أبيه ، والاب المشفق للصوفى وهو وقته لا يحوجه إلى الانتظار للغد مهما يجعله مستغرقاً في روضته سريعة الحساب ، لا كالعوام ينتظر المستقبل ، إنه نهرى وليس دهريا فلا صباح عنده ولا مساء ولا ماض ولا مستقبل ولا أزل ولا أبد هناك ، لا يكون آدم السابق ولا الدجال المسبوق فهذه الرسوم في خطة العقل الجزئى والروح الحيوانية ، وفي عالم اللازمان واللامكان لا توجد هذه الرسوم إذن فهو ابن الوقت أى لا يفهم منه إلا نفى تفرقة الأزمنة كما نفهم من أن الله واحد نفى الإثنينية لا حقيقة الواحدية

.

– قال أحد السادة الذين يهبون الفضة لأحد الصوفية ، يا من روحى وطاء لقدميك ،

– هل تريد درهما الآن يا سلطانى ، أو أعطيك غدا في الضحى ثلاثة دارهم ؟

٢٧٢٥- قال : إننى أكثر رضا بنصف درهم بالأمس ، عما تريد اعطاءه إياى اليوم ، وعن مائة درهم في الغد .

- إن الصفعة نقدا أفضل من العطاء نسيئة ، وها هو قفاى اقدمه لك ، فاعطنى النقد .

- خاصة تلك الصفعة التى تكون من يدك ، فالصفعة وموضع الصفعة ثملان بك.

- فهيا ، تعال ، يا روحاً للروح ولمائة عالم ، اغتنم سعيداً النقد ، هذه اللحظة .

- ولا تسرق وجه القمر ذاك من السراة ، ولا تعص هذا الجدول أيها الماء الجارى .

٢٧٣٠- حتى يضحك شاطئ الجدول من الماء المعين ، ويطل الياسمين إلى جوار شاطئ الجداول .

- وعندما ترى الخضرة ثملة على شاطئ الجدول ، اعلم من على البعد إذن أن هناك ماءً .

- لقد قال الله ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ ، والمرج ينبئ عن المطر .

- حتى ولو أمطر ليلا ولم يره أى شخص ، عندما تكون كل نفس ونَفَس غارقين في النوم .

- ونضرة كل روضة جميلة ، دليل على المطر الخفى !!

٢٧٣٥- يا أخى ، إننى برى وأنت بحرى ، لكنك مليك الرحمة والعطاء .

- فقدم العطاء والأنصبة إلى ، بحيث أصل إلى محضرك في وقت وفي غير وقت .

- إننى على شاطئ الجدول أناديك بالروح ، لكنى لا أرى تلطفاً بالإجابة .

- فقد أُغلق أمامى "سبيل" النزول إلى الماء ، ذلك أن جسدى شكل من تراب .
- فاجعل مددا من رسول أو من علامة ، حتى يخبرك بندائى .
٢٧٤٠- وتباحثا في هذا الأمر هذان الحبيبان ، ثم استقرا في آخر الأمر ؛
- على أن يحصلا على خيط طويل ، حتى ينكشف السر من جذب الخيط .
- على أن يكون طرفه معقوداً على قدم هذا العبد المنحنى ، وطرفه الآخر "معقودا" على قدمك .
- حتى يلتقى جسدانا بهذه الوسيلة ، ونمتزج امتزاج الروح بالبدن .
- والجسد كأنه الحبل على الروح ، يجذبها إلى الأرض من السماء .
٢٧٤٥- وضفدع الروح في ماء نوم انعدام الوعى ، نجت من فأر الجسد ، وتسعد بهذه النجاة .
- وفأر الجسد يجذبها بذلك الحبل ، وكم من أنواع المرارة تتحملها الروح من هذا الجذب .
- وإن لم يكن جذب الفأر نتن اللب ، لسعد الضفدع أيما سعادة داخل الماء .
- وباقيه ، تسمعه من هبة الشمس للنور عندما يستيقظ من النوم نهاراً .
- لقد عقدت أحد طرفى الخيط على قدمى ، فاعقد ذلك الطرف الآخر على قدمك .
٢٧٥٠- فاستطيع أن أجذبك إلى هذه اليابسة ، فقط ظهر لك طرف الخيط الآن .
- وأحس قلب الضفدع بالمرارة من هذا الحديث ، وقال في نفسه ، إن هذا الخبيث يوقعنى في المشاكل .
- وكل كراهة يحس بها الرجل البهى في قلبه "معناها" أن الأمر لا يخلو من حيلة ما .

– فاعتبر هذه الفراسة وحيا من الحق وليست وهما ، وأن نور القلب قدم "فهم "الأمر" من اللوح الكلى .

– وامتناع "الفيل" عن الهجوم على البيت ، مع جهد هذا الفيال وصياحه به .

٢٧٥٥– لم تكن قدم الفيل تتجه نحو الكعبة ، مع كل الضرب الذي تلقاه ، اذ لم يجد فتيلا قل أو كثر .

– وكأن قدميه قد تيبسا ، أو أن روحه زائدة الصولة قد ماتت[١] .

– وعندما كانوا يوجهونه نحو اليمن ، كان الفيل الهائج يسرع "فى قوة" مائة جواد.

– كان احساس الفيل عالماً بطعنات الغيب ، فما بالك إذن باحساس الولى المتفهم؟

– وأليس يعقوب النبى عليه السلام ذلك الطاهر الطوية ، كان هكذا مع يوسف وكل اخوته .

٢٧٦٠– عندما طلب اخوته الكبار "من أبيهم" أن يأخذه إلى الخلاء برهة من الزمان .

– قالو له جميعا : لا تفكر فى الضرر ، وأمهلنا ، يا أبانا ، يوماً أو يومين .

–قائلين : ﴿ مالك لا تأمنا على يوسف ﴾ ، فى السير والظعن ؟

– حتى نلعب معاً فى المروج ، ونحن فى هذه الدعوة أمناء محسنون .

– قال : إن ما أعلمه أن نقله من جوارى ، يزيد فى قلبى الألم والسقم .

٢٧٦٥– وقلبى هذا لا يكذبنى أبداً ، فإن فيه ضياء من نور العرش .

– كان هذا الدليل هو القاطع على فساد "الإخوة" وشاء القضاء ألا يعتد به .

– وفاتته علامة مثل هذه ، لأن القضاء كان يتفلسف فى ذلك الزمان .

---

[١] ج : ١٤ / ٢٠٠ :

– إن الحق قد أخبر روح الفيل ، وأضل أولئك الأخساء ومكر بهم .

- فليس من العجيب أن يسقط الأعمى فى البر ، لكن العجب العجاب أن يسقط فيه مبصر الطريق .

- ولهذا القضاء تصاريف متنوعة ، وختمه "يفعل الله ما يشاء" .

٢٧٧٠- وسواء علم انقلب بفنه أو لم يعلم به ، فان حديده يصير شمعاً من أجل هذا الختم .

- وهذا يشبه أن يقول انقلب : ما دامت هذه هى ارادته فقل : ليكن ما يكون .

- انه يجعل نفسه أيضاً غافلاً عن هذا الأمر ، وفى عقاله يقيد الروح !! .

- فإذا صار ذاهلاً فى هذا الأمر ذلك العظيم ، فهذا ليس ذهولاً ، إنه ابتلاء .

- إن بلاء واحدا يشتريه فى مائة بلاء ، وهبوط واحد يحمله على المعارج.

٢٧٧٥- والساذج المتجرئ الذى تخلصه الخمر ، من خمار مئات الآلاف من القبحاء السذج .

- صار فى النهاية أستاذ وناضجاً ، ونجا من رق الدنيا وصار حراً .

- وصار ثملاً من الشراب الأزلى ، وصار مميزاً ، ونجا من الخلق .

- ومن اعتقاداتهم الواهنة المليئة بالتقليد ، ومن الخيالات التى تراها عيونهم التى لا تبصر .

- فوا عجباً ، أى فن تقوم به مداركهم ، أمام جزر البحر الذى لا علامة له ومده؟

٢٧٨٠- فمن تلك الصحراء وصلت تلك العمارات ، ووصل الملك والسلطان والوزارة!!

- ومن صحراء العدم تلك ، يصل المشتاقون إلى الشوق إلى عالم الشهادة فوجاً فوجاً .

- ومن هذه البادية تصل قافلة بعد قافلة فى كل مساء وصباح .

– تأتي ، وتبقى رهينة لمنازلنا ، قائلة : لقد وصلنا هذا دورنا ، امض أنت .

– وعندما فتح الإبن عين العقل ، وضع الأب سريعاً متاعه على العربة !! وتهيأ للرحيل .

٢٧٨٥– هي جادة المليك ، سائرون من هذه الناحية ، ثم من تلك الناحية صادرون وواردون .

– انظر جيداً ، إننا نمضي جالسين ، ألست ترى أننا نقصد موضعاً جديداً ؟

– إنك لا تأخذ رأس مال من أجل الحاضر ، ولكن من أجل الأمتعة في المآل .

– إذن فهكذا يكون المسافر يا عابد الطريق ، فإن مسيره وسيره في المستقبل .

– كما أنه من حجاب القلب يصل خيل الخيال لحظة بعد أخرى بلا كلال .

٢٧٩٠– فإن لم تكن تلك التصورات من منبع واحد ، فكيف تصل في أثر بعضها إلى القلب ؟!

– فإن جيوش تصوراتنا تسرع من الظمأ فوجاً فوجاً نحو عين القلب .

– تملأ الجرار ثم تمضي ، تظهر دائماً ثم تختفي.

– فاعتبر الافكار كواكب الفلك ، دائرة في الفلك الآخر للسماء .

– فإن رأيت سعداً ، أشكر وآثر ، وان رأيت نحساً تصدق واستغفر .

٢٧٩٥– ومن نكون نحن وهذا؟ تعال هنا يا مليكي ، واجعل طالعي مقبلاً ، ودر دورة .

– واجعل الروح مضيئة من أنوار القمر ، فمن ضرر الذنب اسودت الروح .

–وحررها ثانية من الخيال والوهم والظن ، وخلصها ثانية من البئر وجور الرسن .

– حتى يجد قلب من مواساتك الطيبة جناحاً ويحلق خارج الماء والطين .

– يا عزيز مصر ، ويا صادق العهد ، إن يوسف المظلوم في سجنك .

٢٨٠٠- فشاهد سريعاً احدى الرؤى لخلاصه، فالله يحب المحسنين .
- فهناك سبع بقرات عجاف شديدة الأذى ، تأكل البقرات السمان السبع .
- والسنبلات السبع المكروهات اليابسات ، ترعى سنبلاته النضرات .
- وقد ظهر القحط فى مصر أيها العزيز ، فهيا ولا تجز هذا أيها المليك .
- فضع يوسفى فى حبسك أيها المليك ، وهيا ، وخلصنى من أيدى النسوة !!
٢٨٠٥- إن شهوة الأم قد ألقت بى من ناحية العرش الذى كنت عاكفاً عليه قائلة : اهبطوا .
- فسقطت من ذلك الكمال التام ، من حيلة امرأة عجوز ، فى سجن الرحم .
- إنها تأتى بالروح من العرش إلى الأرض ، لا جرم فى ذلك فالنساء كيدهن عظيم .
- فأول هبوط لى وآخر هبوط لى من امرأة ، عندما كنت روحاً ، وعندما تحولت إلى بدن!!
- فاستمع إلى نواح يوسف هذا فى عثاره ، أو ارحم يعقوب ذاك مسلوب القلب .
٢٨١٠- فيا ترى أأشكو من الإخوان أو من النسوة ؟! الذين ألقوا بى كآدم من الجنان .
- ومن ذلك فأنا ذابل كأوراق الشتاء ، ذلك أننى أكلت الحنطة من جنة الوصل .
- وعندما رأيت لطفك واكرامك ، وذلك السلام المواسى منك ، ورسالتك .
- اكتشفت بخوراً من أجل عين السوء ، وأصابتنى عين السوء حتى وأنا فى البخور .
- إن دافع عين السوء من قدام ومن وراء ، هى عينك الوسنى فحسب .
٢٨١٥- إن عينك الطيبة أيها المليك ، هى القاضية على عين السوء ، المستأصلة لها ، نعم الدواء .

– بل إن من عينك تصل أنواع الكيمياء ، تجعل عين السوء عيناً للحسن .

– لقد وقعت عين المليك على عين بازى القلب ، فصارت عين بازيه فى منتهى علو الهمة.

– فمن شدة الهمة التى وجدها من هذه النظرة ، لا يصيد بازى المليك إلا الأسود.

– وما الأسد ؟! فإن هذا الصقر الملكى المعنوى ، هو صيد لك وأنت أيضاً صيد له .

٢٨٢٠– وقد صار صفير بازى الروح فى مرج الدين ، صيحات ﴿ لا أحب الآفلين﴾ .

– وبازى القلب الذى طار فى أثرك ، وصلته نظرة من عطائك الذى لا حد له .

– فوجدت الأنف منك الرائحة والأذن السماع ، وصار لكل حس قسمة مشاعة .

– وعندما تعطى كل حس طريقاً إلى الغيب ، لا يكون لهذا الحس فتور الموت والشيب .

– إنك مالك الملك تعطى الحس شيئا ، حتى يقوم ذلك الحس بالملوكية على الحواس(١) .

حكاية لصوص الليل الذين وقع بينهم السلطان محمود ذات ليلة ، وقال لهم : أنا واحد منكم ، واطلاعه على أحوالهم ، إلى آخره

٢٨٢٥– عندما كان السلطان محمود يطوف وحيداً ليلاً ، إلتقى بجماعة من اللصوص .

– فقالوا له : من أنت يا ذا الوفا ؟ ، قال لهم : أنا واحد منكم

– وقال أحدهم : أيتها الجماعة التى تحترف المكر ، فليقل كل واحد منكم موضع فنه .

---

(١) ج : ٢٠٢/١٤ – فجاهد حتى تسمو حواسك ، حتى يسمو أمر الحس من ذلك .

– ليتحدث مع أصدقائه على سبيل السمر ، عما هو موجود فى جبلته من الفن .

– فقال أحدهم أيتها الجماعة التى تتاجر فى الفن والحيل ، إن خاصيتى فى أذنى.

٢٨٣٠– بحيث أعلم ماذا يقوله الكلب من نباحه ، فقال له رفاقه "هذا شيئ هين" كدانقين من دينار .

–فقال آخر : يا جماعة عابدة للذهب ، إن كل خاصيتى فى عينى ،

– وان كل مأراه فى الليل الداجى ، أعرفه فى النهار بلا شك .

– وقال آخر : إن خاصيتى فى ساعدى ، بحيث أحدث النقب بقوة من يدى .

– وقال آخر : إن خاصيتى فى أنفى ، وعملى هو التشمم فى التراب .

٢٨٣٥– لقد أعطتنى سر "الناس معادن" القدرة ، ومن أى شيئ إذن قالها الرسول؟

– أننى أعلم من تراب الجسد كم فيه من نقد ، وكم لديه من ذهب المنجم .

– ففى أحدهم أدرج منجم ذهب بلا حد ، وآخر دخله أقل من نفقاته .

– اننى أشم رائحة التراب كالمجنون ، وأجد تراب ليلى بلا خطأ .

– اننى أشم وأعلم من كل قميص ، أفى داخله يوسف أو شيطان .

٢٨٤٠– مثل أحمد الذى شم رائحة فى اليمن ، ووجدت أنفى نصيباً من تلك "القوة".

– "أعلم" أى تراب يكون مجاوراً للذهب ، وأى تراب يكون صفرا وأبتر .

– قال آخر : إن خاصيتى فى قبضتى ، بحيث أرمى وهقاً فى ارتفاع العلم .

– مثل أحمد الذى ألقت روحه وهقاً ، وحمله ذلك الوهق حتى السماء .

– وقال له الحق ، يا رامى وهق البيت ، إعلم أن ذاك منى ، ﴿ ما رميت إذ رميت ﴾ .

٢٨٤٥– ثم سألوا الملك ، أيها السند ، فى أى شيئ يا ترى تكمن قوتك وخاصيتك؟

- قال إن خاصيتى فى لحيتى ، بحيث أخلص المجرمين من النقم .
- فعندما يسلم المجرمون للجلادين ، وتتحرك لحيتى يطلقون سراحهم .
- وعندما أحرك لحيتى برحمة ، يطوى أمر ذلك القتل والتعذيب .
- فقال القوم : أنت قطبنا ، وأنت خلاصنا فى يوم محنتنا .

٢٨٥٠- ثم خرجوا جميعاً وانطلقوا معاً نحو قصر ذلك الملك الميمون .
- وعندما نبح كلب من الناحية اليمنى ، قال "قائلهم" إنه يقول إن السلطان معكم .
- وحمل ذاك تراباً من ربوة ، "وشمه" فقال : إنه من منزل أرملة .
- ثم ألقى استاذ الوهق بالوهق ، حتى أصبحوا فى الناحية الأخرى من الجدار .
- وعندما شم التراب من مكان آخر ، قال أنه تراب مخزن ملك لا نظير له .

٢٨٥٥- ونقب النقاب فجوة فى المخزن ، وحمل كل منهم متاعاً من المخزن .
- وحمل القوم كثيراً من الذهب والثياب المطرزة بالذهب والجواهر الغالية ، وأخفوها سريعاً .
- وقد رأى الملك مقرهم عياناً ، وشاهد سماتهم وعلم اسماءهم وملجأهم وطرقهم.
- وتسلل من بينهم وعاد ، وفى النهار روى فى الديوان ما حدث .
- فاسرع القواد وهم فى هياج ، وأمسكوا باللصوص ، وقيدوهم .

٢٨٦٠- وأتوا بهم نحو الديوان مقيدين مرتعدين خوفاً على أرواحهم .
- وعندما وقفوا أمام عرش الملك ، "أدركوا" أن صديق الليل هو ذلك الملك الذى كالبدر .
- وذلك الذى كان يعرف بلا شك فى النهار كل من يلقى عليه نظرة فى الليل ؛
- رأى الملك على العرش وقال فى نفسه ، كان هذا معنا ليلة الأمس جوالاً بليل ، وقريناً .

- ذلك الذى عنده خواص عديدة فى لحيته ، إن هذا القبض علينا من سعيه .

٢٨٦٥- كانت عينه عارفة بالملك ، لا جرم ، ومن معرفته أطلق لسانه على الحشم .

- وقال ان هذا الملك تصدق فيه "وهو معكم" ، كان يرى أفعالنا ويسمع أسرارنا.

- لقد طوت عينى الطريق ليلاً وعرفت الملك ، وزاولت العشق طوال الليل مع وجهه القمرى .

- فلأطلب إذن أمنى منه ، فهو لا يشيح بوجهه عن العارف قط .

- فاعلم ان عين العارف أمان فى الكونين ، فمنه وجد كل بطل العون .

٢٨٧٠- ذاك أن محمداً كان شفيعاً لكل جرح ، فإن عينه ما زاغت إلا عما سوى الحق .

- وفى ليل الدنيا حيث يكون النور محجوباً ، كان ناظراً إلى الحق راجياً فيه .

- ومن ﴿ألم نشرح﴾ وجدت عينه الكحل ، ورأى ما لم يتحمل جبريل رؤيته .

- واليتيم الذى يكحله الله ، يصير دراً يتيماً ذا رشد .

- ويصير نوره غالباً على الدرر ، ويصير طالباً لمثل ذلك المطلوب .

٢٨٧٥- كانت عنده وفى نظره مقامات العباد ، فلا جرم أن الله قد سماه شاهدا .

- وعدة الشاهد هى اللسان والعين الحادة ، بحيث لا يهرب منه سر "رآه" فى قيام الليل .

- فلو ظهر آلاف فى المدعين ، تكون أذن القاضى متجهة نحو الشاهد .

- وعند القضاة فى الأحكام هذا الفن ، هو أن الشاهد بالنسبة لهم عينان مبصرتان.

- ومن هنا فقول الشاهد فى حكم البصر ، فقد شاهد السر بعين لا غرض فيها .

٢٨٨٠- والمدعى قد رآه لكن بغرض ، والغرض يكون حجاباً على القلب .

– وان الحق يريد منك أن تكون زاهداً ، حتى تترك الغرض وتصير شاهداً[1] .
– فان الغرض كان حجاباً على العين ، ويكون ملتفاً على النظر كأنه الستار!!
– فلا يرى الأشياء يضجها وضجيجها ، إن "حبك الأشياء يعمى ويصم" .
– وعندما وضعت الشمس نوراً فى قلبه ، لم تبق للفلك عنده قيمة .
٢٨٨٥– فرأى الأسرار بلا حجاب ، ومسيرة أرواح المؤمنين والكفار .
– وفى الحقيقة "لا يوجد" فى الأرض وفى الفلك العالى ما هو أكثر خفاء من روح الإنسان .
– فعد ، لقد طوى الحق الروح عن الرطب واليابس ، وختمها بخاتم ﴿ من أمر ربى ﴾ .
– ثم إن عين العزيز عندما رأت تلك الروح ، لم يبق إذن شيئ مخفياً عنها .
– فتكون شاهداً مطلقاً فى كل نزاع ، ويزيل قوله خمار كل صداع .
٢٨٩٠– واسم الحق هو العدل والشاهد من أجله ، ومن هنا فشاهد العدل هو عين الحبيب .
– والقلب هو موضع تجلى الحق فى الدارين ، فإن المليك ينظر إلى الشاهد "وإلى الحسناء" .
– وعشق الحق وسر ملاعبة الشاهد "والحسان" عنده كانت أساس كل صنعته للحجب .
– ومن هنا ففى ليلة المعراج قال عاشق الحسان الذى لنا : لولاك عند اللقاء .
– وهذا القضاء يكون حاكماً على الخير والشر ، ولا يصير الشاهد حاكماً على القضاء .

---

(1) ج : ١٤/٢١٦ – ويقول لك الحق أترك الغرض ، حتى يكون كلامك مقبولاً عندنا .

٢٨٩٥- لقد صار أمير القضاء أسيراً لذلك القضاء ، فهنيئاً لك يا عين المرتضى الحادة .

- وكثيراً ما طلب العارف من المعروف قائلاً : يا من أنت رقيب علينا فى حلو "الحياة" ومرها .

- ويا مشيرنا فى الخير والشر ، وقلوبنا غافلة عن اشارتك .

- يا من يرانا ولا نراه فى الليل والنهار ، وصارت رؤيتنا للأسباب كمامة على وجوهنا .

- لقد اصطفيت عينى عن الأعين ، حتى شوهدت لى الشمس ليلاً .

٢٩٠٠ - وكان ذلك من لطفك المعروف أيها البهى ، "إذ" ـ "كمال البر فى إتمامه" .

- "يارب اتمم نورنا فى الساهرة ، وانجنا من مفضحات قاهرة"(١)

- ولا تجعل حبيب الليل مهجوراً فى النهار ، ولا تبتل بالبعد الروح التى شاهدت القرب .

- فالبعد عنك موت ذو ألم ونكال ، وبخاصة البعد الذى يكون بعد الوصال .

- ولا تتجاهل ذلك الذى قد رآك ، وارو خضرته النامية السامقة .

٢٩٠٥- اننى لم أظهر لا مبالاة في المسير ، فلا تقدم أنت أيضاً اللامبالاة عند التعذيب والأذى .

- هيا ولا تسقه بعيداً عن وجهك ، ذلك الذى رأى وجهك مرة .

- فان رؤية وجه سواك صارت غلا فى الحلق ، لأن "كل شيئ ما خلا الله باطل" .

- أنها أشياء باطلة وتبدى لى الرشد ، وذلك لأن الباطل يجذب الباطل .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية فى المتن

- وذرة ذرة مما هو موجود فى الأرض والسماء ، "جاذبة" لجنسها ، كل منهـا ، كأنها الكهرمان .

٢٩١٠- والمعدة تجذب الخبز حتى يستقر ، أما حرارة الكبد فتجذب الماء .

- والعين منجذبـة إلى الحسان فـى الطرقـات ، والمخ بـاحث عـن الروائـح فـى الرياض .

- ذلك أن حس العين خلق منجذباً إلى الألوان ، والمخ والأنف تجذبهما الروائح الطيبة.

- ومن هذه الجاذبات ، أيها الإله العالم بالأسرار ، نجنا ، وذلك بجذب لطفك .

- إنك غالب على كل الجاذبين أيها المشترى ، وجدير بك أن تشترى العاجزين.

٢٩١٥- واتجه إلى الملك كما يتجه الظمآن إلى السحاب ، ذلك الذي كان في ليلة القدر صاحبا للبدر .

- ولما كانت روحه ولسانه ملكا له ، كان وقته معه ، فكان جريئا في الحديث .

- فقال : لقد صرنا كـالأرواح فـي أسـر الطيـن ، وأنـت شـمس الـروح في يـوم الدين.

- وقد حان الوقت يا ملكا خفى السير ، أن تحرك من كرمك لحيتك نحو الخير .

- لقد أبدى كل واحد خاصيته ، وتلك "الفضائل" كلها زادت في الشقاء .

٢٩٢٠- لقد قيدت تلك "الفضـائل" رقابنـا ، ومـن تلـك "المنـاصب" نحـن منقلبـون أذلاء .

- إن هذا "الفن" يشبه من "فى جيدها حبل من مسد" ، وليس من هذه الفنـون يـوم الموت مدد .

- اللهم إلا نفس تلك الخاصية لذلك الطيب الحواس ، الذي كانت عينه فـي الليـل عارفة بالسلطان .

– كانت كل تلك "الفضائل" غولا في الطريق ، اللهم إلا العين التى كانت عارفة بالملك .

– لقد استحيى منه الملك يوم البلاط ، لأن عينه كانت ناظرة في الليل إلى الملك!!

٢٩٢٥– وذلك الكلب العارف بملك الوداد ، ينبغى أن يطلق عليه اسم كلب الكهف .

– والخاصية في الأذن تكون أيضاً طيبة ، إذ أنها من نباح الكلب تكون عارفة بالأسد .

– وعندما يكون الكلب ساهرا في الليل كالحارس ، لا يكون غافلا عن قيام الملوك .

– انتبه ، إذ لا ينبغى الشعور بالعار من أصحاب السمعة السيئة ، بل ينبغى أن يتكلف اللب "بتتبع" أسرارهم .

– وكل من صار مرة واحدة سيئ السمعة ، لا ينبغى عليه أن يصير ساذجاً ويبحث عن السمعة !!

٢٩٣٠– وما أكثر الذهب الذي يُسَوّد بالحرارة ، حتى يصير آمنا من السلب والنهب[١] .

قصة ذلك الثور البحري الذي أخرج لؤلؤة شاهانية من قاع البحر ... وكان يضعها ليلا على ساحل البحر ويرعى في ضوئها وإشعاعها ، والتاجر الذي يخرج من مكمنه فيخفى الجوهرة بالطمي الأسود والطين الكدر ويهرب أعلى شجرة ... إلى آخر القصة ، والتقرير

---

(١) ج : ١٤ / ٢١٨ :

– وكل من يخطو خطوة في أسرارنا ، افتح كلتا عينيك وتعال صوبنا .

– أخرج ثور بحرى لؤلؤة من البحر ، ووضعها في مرج وأخذ يرعى حولها .

– وفي شعاع نور الجوهرة ، كان الثور البحرى يرعى السنبل والسوسن مسرعاً.

– ومن هنا فإن فضلات ذلك الثور من العنبر ، لأن غذاءه النرجس والنيلوفر !!

– وكل من يكون قوته نور الجلال ، كيف لا يتولد من شفتيه السحر الحلال ؟ .

٢٩٣٥– وكل من كان له مثل النحل نفلا من الوحى ، كيف لا يكون منزله مليئا بالعسل ؟!

– إنه يرعى في نور الجوهرة ذلك الثور ، ثم يبتعد عن الجوهرة فجأة .

– فيضع أحد التجار الطمى الأسود على اللؤلؤة ، حتى يصير المرج وموضع الخضرة مظلماً .

– ويهرب التاجر فوق شجرة ، والثور باحث عنه بقرنه الحاد الشديد .

– ويطوف ذلك الثور مسرعا عشرين مرة حول المرج ، حتى يطعن ذلك الخصم بقرنه .

٢٩٤٠– وعندما ييأس "من العثور عليه" ذلك الثور ، يعود إلى حيث كان قد وضع الجوهرة !!

– فيرى الطمى فوق الدرة الملكية ، فيهرب من الطين وكأنه إبليس .

– فإبليس ذلك كان أعمى وأصم عما في داخل الطين ، ومتى يعلم الثور أن في الطين جوهرة ؟!

– إن الأمر بـ "اهبطوا" ألقى الروح في الحضيض ، وجعل من تلك الحائض محرومة من الصلاة !!

– فيا أيها الرفاق ... " اتقوا ذاك المقيل وهذا المقال ، فإن الهوى حيض الرجال"[1] .

٢٩٤٥– لقد ألقى الأمر بـ "اهبطوا" بالروح في البدن ، حتى خبئت في الطين الدرة العدنية .

– فالتاجر يعرفها لكن الثور لا يعرفها ، يعرفها أصحاب القلوب وليس كل منقب في الطين .

– وكل طين يكون في داخله جوهر ، يكون جوهره منبئاً عن طين آخر .

– وذلك الطين الذي لم يجد نورا من رش الحق ، لم يتحمل صحبة أنواع الطين المليئة بالدر .

– إن هذا الكلام لا نهاية له وفأرنا ، على شاطئ الجدول ينتظرنا منتبهاً !!

العودة إلى قصة طلب ذلك الفأر لذلك الضفدع على شاطئ الجدول وجر طرف الخيط حتى يعلم الضفدع وهو في الماء أنه يطلبه

٢٩٥٠– إن ذلك المعجون بالعشق يشد الخيط على أمل وصل الضفدع ذي الرشد .

– إنه ينسج حول خيط القلب لحظة بلحظة قائلاً : لقد حصلت على بداية الخيط أى " أول المقصود " !!

– والقلب والروح صارا كالخيط في الشهود ، منذ أن أبدى أول الخيط وجهه لي!!

– فجاء غراب البين فجأة لصيد الفأر وحمله من ذلك المكان .

---

(1) بالعربية في المتن .

– وعندما حلق الغراب بالفأر في طبق الجو ، انسحب الضفدع أيضاً من قاع الماء .

٢٩٥٥– والفأر في منقار الغراب ، والضفدع أيضاً معلق في الهواء قدمه في الخيط .

– وأخذ الناس يقولون : كيف صاد الغراب ضفدعاً مائيا من مكره ومن كيده .

– وكيف غطس في الماء ؟! وكيف اختطفه ؟! ومتى يكون الضفدع المائى صيدا لغراب ؟!

– وأجاب الضفدع : هذا جزاء من يكون قرينا لخسيس مثل من لا كرامة لهم .

– فالغياث من الرفيق من غير الجنس الغيـاث ، فـابحثوا عـن جليـس طيـب أيهـا العظمـاء .

٢٩٦٠– والعقل مستغيث من النفْس كثيرةِ العيوب ، مثل أنـف قبيحـة علـى وجـه جميل.

– فكان العقل يقول للضفدع: إن التجـانس يقينـا عـن طريـق المعنـى وليـس عـن طريق الماء والطين .

– انتبه ولا تصر عابدا للصورة ولا تقل هذا القول ، ولا تبحث في الصورة عن سر التجانس .

– فالصورة شأنها شأن الجماد وشأن الحجر ، وليس لجامد خبر عن التجانس .

– والروح كالنملة والجسد كحبة القمح ، تجذبها من ناحية إلى أخرى كل لحظة.

٢٩٦٥– وتعلم النملة أن هذه الحبة التى تحملهـا ، سـوف تتحلـل وتصبـح مـن جنسها .

- ونملة أخرى التقطت حبة شعير من الطريق ، ونملة ثالثة حملت حبة قمح مسرعة .
- والشعير لا يسرع نحو القمح ، لكن النملة تسرع نحو النملة بلا جدال .
- وذهاب الشعير نحو القمح تابع لهذا "الذهاب" ، فانظر إلى النملة تعود إلى مَنْ من جنسها .
- فلا تقل أنت : لماذا جنحت حبة الشعير نحو حبة القمح ، ضع عينيك على الخصم لا على الرهينة !!

٢٩٧٠- إن النملة السوداء على طريق أسود ، النملة مختفية والحبة ظاهرة ، تتقدم الطريق .

- ويقول العقل للعين انظري جيداً ، متى تسير الحبة قط دون حامل للحبة ؟!
- ومن هنا جاء الكلب نحو أصحاب الكلب "الكهف" ، فالحبوب هي الصور والنملة هي القلب .
- ومن هنا يتجه عيسى ﷺ نحو أطهار القلب ، فالأقفاص مختلفة والأفراخ من جنس واحد .
- إن هذا القفص ظاهر وفرخه خفي ، ومتى يكون القفص سائراً دون حامل للقفص ؟!

٢٩٧٥- وما أسعد تلك العين التي يكون العقل أميراً عليها ، تكون ناظرة للعواقب عالمة مستقرة !!

- فاستنبطوا الفرق بين القبيح والطيب من العقل ، لا من العين التي تحدثت عن الأبيض والأسود .
- لقد خدعت العين بخضراء الدمن ، ويقول العقل : اعرضها على محكنا .

– وآفة الطائر العين التى ترى الشهوة ، ونجاة الطائر من العقل الذي يرى الشبكة .

– وكانت هناك شبكة أخرى لم يدركها العقل ، فانظر إلى وحى الغيب ، من هنا أسرع ذلك الصوب !!

٢٩٨٠– وتستطيع أن تعرف المتجانس من غير المتجانس عن طريق العقل ، ولا ينبغى الهجوم سريعاً نحو الصور !!

– وليس التجانس بالصورة لى أو لك ، خلق عيسى ﷺ بشراً ، لكنه كان من جنس الملائكة !!

– فجذبه إلى ما فوق هذه القلعة الزرقاء ، ذلك الطائر الفلكى ، كما جذب الغراب الضفدع .

قصة عبد الغوث واختطاف الجن له وإقامته سنوات بين الجن ومجيئه إلي بلده وأهله بعد سنين ثم عدم تعجبه من الجان تحكم بحكم التجانس في المعنى واتحاد قلبه معهم

– كان عبد الغوث من جنس الجان ، إذ كان كالجن ، بقى تسع سنوات في طيران خفى .

– لقد أنجبت زوجته من زوج آخر ، وتحدث ورثته في مجالسهم عن موته .

٢٩٨٥– وتساءلوا : ترى هل افترسه ذئب أو قاطع طريق ؟! أتراه سقط في بئر أو في كمين ؟!

– وانشغل أبناؤه بأمورهم ، ولم يكونوا حتى يتحدثون بأنه كان لهم أب .

– وبعد تسع سنوات جاء لكن كالعارية ، ظهر ثم توارى مرة ثانية .

– نزل ضيفا على أولاده لمدة شهر ، وبعد ذلك لم ير له أحد وجهاً !!

– لقد حمله من هم من جنسه من الجان ، مثلما يسلب الروح طعن السنان .

٢٩٩٠– ولما كان من كتبت له الجنة من جنس الجنة ، صار من هذا التجانس عابداً لله .

– ألم يقل الرسول ﷺ : اعلم أن الجود والمحمدة هما غصنان من الجنة نزلا إلى الدنيا ؟!

– فاعلم أن كل ألوان الرحمة هى من جنس الرحمة ، واعلم أن كل أنواع القهر من جنس القهر .

– واللامبالاة تجلب اللامبالاة ، ذلك أنها من جنس واحد بمقياس العقل .

– كان في إدريس ﷺ تجانس مع النجوم ، فظل مصاحبا لزحل ثمانى سنوات .

٢٩٩٥– كان رفيقا له في المشارق والمغارب ، كان نجيه وموضع أسراره .

– وعندما جاء بعد الغيبة ، أخذ على الأرض يلقى الدروس عن النجوم !!

– وكانت النجوم مصطفة صفا حسنا أمامه ، وكانت الكواكب حاضرة في درسه.

– حتى أن الخلق من خواص وعوام ، كانوا يسمعون أسرار النجوم .

– وجذب التجانس جذب النجوم حتى الأرض ، وجعلها أمامه تفصح وتبين .

٣٠٠٠– وكل واحد منها باح له باسمه وأحواله كما يشرح المرصد .

– ما هو التجانس ؟! إنه نوع من النظر ، به يجد كل منهما طريقه إلى الآخر !

– وذلك النظر الذي أخفاه الحق فيه ، عندما يضعه فيك تصير متجانسا معه .

– فما الذي يجذب الجسد نحو كل صوب ؟! إنه النظر ، ومن الذي يجذب الغافل ؟! إنه العالم .

– وعندما يضع في الرجل طبع المرأة ، يصير مخنثاً ، يُنكح !!

٣٠٠٥- وعندما يضع الله في المرأة طبع ذكر ، تصير طالبة للمرأة ، تلك المرأة المساحقة !!

– وعندما يضع فيك صفات جبريل ، تبحث عن الطريق إلى الهواء كفرخ الطير !!

– تركز بصرك على الهواء منتظراً ، تصير غريبا عن الأرض عاشقا للسماء .

– وعندما يضع فيك الصفات الحمارية ، فأنت مكتظ "بالطعام" في الاصطبل ، ولو كان لك مائة جناح .

– إن الفأر لم يحقر من أجل صورته ، لقد صار من خبثه مستضعفاً للهرة !! .

٣٠١٠- إنه باحث عن الطعام اللذيذ وخائن وعابد للظلمة ، وهو ثمل من الجبن والفسدق والدبس .

– وعندما يكون طبع الفأر في البازى الأشهب ، يكون عاراً على الفئران وعاراً على الوحوش .

– وطبع هاروت وماروت يا بنى ، عندما بدل وأعطاهما طبع البشر ؛

– سقطا مما قيل في شأنه ﴿ لنحن الصافون ﴾ ، منكسين مقيدين في بئر بابل .

– وابتعد اللوح المحفوظ عن أنظارهما ، وصار لوحاً لهم الساحر والمسحور !!

٣٠١٥- هذا والجناح لم يتغير والرأس لم يتغير والجسد لم يتغير ، ومع ذلك فموسى ﷺ على العرش وفرعون مهان !!

– فاسع في أثر الطبع وجالس حسن الطبع ، وانظر إلى تقبل زيت الورد للطبع .

– وإن تراب القبر ليجد من المرء الشرف ، حتى يضع القلب على قبره والوجه ، والكف !!

– فإذا كان التراب من جيرة الجسد الطاهر قد شرف وحاز الإقبال !!

– فقل أنت أيضاً : الجار ثم الدار ، فإن كان لك قلب، اذهب وابحث عن صاحب قلب .

٣٠٢٠- إن ترابه ليصبح في نفس سيرة الروح ، ويصير كحلا في أعين الأعزاء .

– ورب ثاو في قبره كأنه التراب ، أفضل من مائة حي في نفعه وانتشاره !!

–لقد انحسر ظله ، وترابه ذو ظلال ، ومئات الآلاف من الأحياء تحت ظله.

قصة ذلك الرجل الذي كان يتقاضى راتبا من محتسب تبريز

واقترض كثيرا على أمل ذلك الراتب دون أن يعلم بوفاته ...

والنتيجة أن ديونه لم يقضها حي قط

ولم تقض إلا من المحتسب المتوفى

كما قيل:

ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء

– جاء أحد الدراويش من أطراف الديار إلى تبريز مدينا .

– كان مدينا بتسعة آلاف دينار ذهبي ، على أمل أن بدر الدين عمر موجود في تبريز .

٣٠٢٥- كان محتسبا قلبه كالبحر ، وكل طرف شعرة منه موضعٌ "لجواد" كحاتم.

– ولو كان حاتم موجوداً لكان قد تسول منه ، ولطأطأ رأسه ولصار ترابا تحت قدمه .

– ولو كان يعطى الظمآن البحر الزلال ، لكان خجلا في كرمه من ذلك النوال! .

– ولو أعطى إحدى الذرات شمسا ، لكان ذلك غير جدير بهمته .

– جاء ذلك الغريب على رجائه ، فقد كان للغرباء قريب ونسيب .

٣٠٣٠– كان ذلك الغريب معتادا على بابه ، وكان قد قضى ديونا لا حد لها من عطائه.

– ولقد استدان أيضاً معتمدا على ذلك الكريم ، فقد كان الرجل واثقا من عطاياه.

– واعتمادا عليه صار لا مباليا مدينا ، على أمل البحر المتطبع بالكرم .

– فالمدينون عبوسون وهو متهلل الوجه ، ضاحك كالورد من ذاك الذي هو روض الكرام .

– ومن صارت له شمس العرب ظهيرا قويا ، أي حزن له من شوارب أبى لهب.

٣٠٣٥– فما دام عنده عهد السحاب وعلى صلة به ، متى يمنع عنه السقاة الماء؟!.

– والسحرة المتفهمون لقدرة الله ، متى يبدون لهذه الأيدى والأقدام اهتماماً ؟!.

– والثعلب الذي يكون له عون من ذلك الأسد ، يكسر جماجم النمور بقبضته.

مجيء جعفر رضي الله عنه للاستيلاء على قلعة وحده

واستشارة ملك تلك القلعة وزيره في دفعه

وقول ذلك الوزير للملك : احذر وسالم ولا تتهور جهلا

فهذا الرجل مؤيد وله من الحق جمع عظيم في روحه ... إلى آخره ...

– عندما ذهب جعفر نحو إحدى القلاع ، والقلعة أمام فمه الظمآن جرعة واحدة.

– وهاجم وهو راكب وحده القلعة كارًا ، حتى أغلقوا أبواب القلعة من الحذر .

٣٠٤٠– ولم تكن لأحد الجرأة على أن يتقدم لمنازلته ، فأين جرأة لراكب السفينة على التمساح ؟!.

– واتجه ذلك الملك إلى الوزير قائلا : ما الحل الآن أيها المشير ؟!

– قال : "الحل" هو أن تترك الكبرياء والحيلة ، وأن تتقدم إليه بالسيف والكفن .

– قال : أليس رجلا واحداً آخر الأمر؟ ، قال "الوزير" لا تنظر باستهانة الى فردية المرء .

– فافتح عينك وانظر جيدا إلى القلعة ، إنها مرتعدة مثل الزئبق أمامه !!.

٣٠٤٥– وهو متربع على سرجه ثابت الجأش ذاك ، وكان الشرق والغرب معه.

– ولقدانطلق عدد من الأشخاص بفدائية مهاجمين إياه وألقوا بأنفسهم عليه .

– فكان يضرب كل واحد منهم بمقمعه ، ويجندله تحت أقدام جواده .

– كان صنع الحق قد أعطاه جماعة ، بحيث كان يهجم وحده على أمة .

– وعندما أبصرت عيني وجه ذلك العظيم ، سقطت كثرة الأعداد من عيني .

٣٠٥٠– وبالرغم من أن النجوم كثيرة والشمس واحدة ، إلا أن بناء النجوم مندك أمامها .

– وإذا أطلت آلاف الفئران من جحورها ، فليس عند القط خوفٌ منها ولا حذر.

– وإن صاحوا أن الفئران تتقدم يا فلان ، فليس هناك جماعة داخل أرواحها .

– بل هي جماعة مجتمعة بالصور ، فاطلب جمع المعنى من الخالق .

– وليست الجماعة من كثرة الأجسام ، فالأجسام قائمة على الرياح كالأسماء .

٣٠٥٥– ولو كانت هناك جماعة في قلوب الفئران ، لاجتمع عددٌ من الفئران حمية ؛

- ولهجمت بحملة فدائية ملقيت بأنفهسا على القط دون إمهال .
- ولاقتلع ذاك عينه بمخلبه ، ولمزق هذا أذنه بنابه .
- ولثقب ذلك جنبه ، ولقل خروجه عليه ، من تجمعهم .
- لكن أرواح الفئران لا جماعة فيها ، فيهرب الوعى من أرواحها عندما يموء القط .

٣٠٦٠- ويتجمد الفأر في مكانه من ذلك القط العيار ولو بلغت الفئران مئات الآلاف عدداً .

- وأى حزن لدى القصاب من القطيع الكبير ، وهل يمكن للوعى الكثير أن يسد طريق النوم ؟ .
- إن مالك الملك يعطى الجماعة للأسد ، بحيث يهجم على جماعة من حمر الوحش .
- فكيف تصير مئات الآلاف من حمرالوحش ذات القرون العشرة عدما أمام صولة الأسد ؟!
- وإن مالك الملك ليعطى ليوسف عليه السلام مُلك الحسن ، حتى يصير مثل ماء المزن .

٣٠٦٥- ويضع في وجه ما ضياء كوكب ، بحيث يصبح أحد الملوك غلاما لفتاة.

- ويهب نوره لوجه آخر ، بحيث يرى في منتصف الليل كل خير وكل شر .
- ولقد استمد يوسف وموسى عليهما السلام النور من الحق ، في الوجه والوجنة وفي ذات الصدور .
- كان وجه موسى عليه السلام يلقى بالضياء ، فعلق حجابا أمام وجهه !!

– كان نور وجهه يعشي بالبصر ، مثلما يفعل الزمرد بقوته بعين الحية .
٣٠٧٠– وطلب من الله حتى يصبح ذلك الحجاب ساترا لذلك النور القوى .
– فقال : أصنع هذا الحجاب من خرقتك ، فهى لباس أمين بالنسبة للعارف .
– فإن ذلك الكساء وجد صبرا على النور ، إذ تألق نور الروح في سداه ولحمته.
– ولن يصبح وجاءًا سوى مثل هذه الخرفة ، ولن يتحمل نورنا سواها .
– ولو أن جبل قاف تقدم ليمنع ذلك النور ، لدكه النور كما دك جبل الطور .
٣٠٧٥– ومن كمال القدرة أن أبدان الرجال ، وجدت الاحتمال للنور الذي لا مثيل له .
– وإن ما لا يتحمل الطور ذرة منه ، تجعل قدرته زجاجة مكانا له[1] .
– صارت المشكاة والزجاجة مكاناً للنور ، الذي يندك من نوره ذاك قاف والطور .
– فاعلم أن أجسادهم هى المشكاة وقلوبهم الزجاجة ، وقد أضاء هذا السراج فوق العرش والأفلاك .
– فكان نورهم حائرا ممحوا في هذا النور ، وفنى فيه كالنجم في هذا الضحى .
٣٠٨٠– ومن هنا روى خاتم المرسلين ، عن ذلك المليك الأزلى الأبدى ؛
– إذ قال : لا يسعنى فلك ولا خلاء ، ولا عقول ولا نفوس عالية ؛
– ويسعنى كالضيف قلب المؤمن ، بلا شكل وبلا كيف وبلا كيفية .
– حتى أنه بوساطة هذا القلب ، يجد الفوق ويجد التحت أنواع الملك والإقبال .
– وبدون مثل هذه المرآة ، لا الزمان ولا المكان يتألقان من حسنى .

---

[1] ج : ١٤ : ٢٤٦ :
– وذلك الذي لا يتحمله الطور ذرة منه أيها العظيم ، اتخذ مكانا له من زجاجة.

٣٠٨٥- ولقد سقنا جواد الرحمة على الكونين ، وصنعنا مرآة شديدة الاتساع .

- وهناك من هذه المرآة في كل لحظة خمسون عرس ، فاستمع إلى المرآة ، لكن لا تسأل عن تفسير " ما تسمع" .

- الخلاصة أن "موسى" صنع حجابا من خرقته ، فقد كان يعلم نفوذ ذلك القمر .

- ولو كان هذا الحجاب من غير لباسه ، لتحطم ، حتى ولو كان الجبل الأشم .

- ولنفذ من الجدران الحديدية ، وماذا كان الحجاب يفعل من فيه مع نور الحق ؟

٣٠٩٠- كان ذلك الحجاب قد صار صاحب نور ، إذ كان عند الوجد خرقة عارف[1] .

- ومن هنا تصير النار منقادة عند المحترق الذي جرب النار من قبل .

- ومن الهوى وعشق نور الرشاد ذاك ، أذهبت " صافورا " كلتا عينيها أدراج الرياح .

- لقد فتحت عينا واحدة في البداية ورأت نور وجهه فضاعت تلك العين .

- ثم لم يبق لها بعدها صبر ، وفتحت العين الأخرى ، وضحت بها من أجل ذلك القمر .

٣٠٩٥- مثل ذلك الرجل المجاهد يهب الخبز ، وعندما يسطع عليه نور الطاعة يبذل الروح .

- فقالت لها امرأة : أمن أجل تلك العين الجميلة التى ضاعت منك تتحسرين ؟!.

- قال إننى أتحسر على أنه لو كانت لى ألف عين لكنت ضحيت بها كلها .

---

[1] ج : ١٤ / ٢٤٧ :

- كان ذلك الحجاب قد صار ساترا للنور ،إذ كان من خرقة صاحب حضور .

– لقد خربت كوة عيني من القمر ، لكن القمر قبع في الخرابات كالكنز .

– فمتى يسمح الكنز أن تذكر خراباتى هذه رواقى ومنزلى !!

٣١٠٠– وكان نور وجه يوسف ﷺ عند سيره ينفذ من نوافذ كل القصور .

– فكانوا يتهامسون داخل الدور قائلين ، ها هو يوسف هنا في جولانه ومروره!!

– ذلك أنهم كانوا يرون على الجدار ذلك الشعاع ، فكانوا يفهمون ، سكان تلك البقاع .

– والمنزل الذي يكون له كوة على تلك الناحية ،يكون له الشرف من طواف يوسف ذاك .

– فانتبه ، وافتح كوة ناحية يوسف ، وابدأ في المشاهدة من فرجتها .

٣١٠٥– وإن مزاولة العشق هى صنع تلك الكوة ، فمن جمال الحبيب يكون الصدر منوراً .

– إذن فانظر إلى وجه المحبوبة دائما ، وهذا في يدك ، فاسمع أيها الأب .

– واجعل طريقا متجها نحو بواطنك ، وأبعد الإدراك الذي يفكر في الغير .

– وعندك كيمياء اجعلها دواءً للقشور ، واجعل الأعداء بهذه الصنعة أصدقاء .

– وعندما تصير جميلا تصل إلى ذلك الجميل الذي يخلص الروح من العزلة والوحدة .

٣١١٠– فإن ظله تربية لبستان الأرواح ، ونَفَسُه إحياء لقتيل الغم .

– أليس هو الذي يهب كل ملك الدنيا الدون ، ويمنح مئات الآلاف من أنواع الملك المختلفة ؟

– وفوق ملك جماله أعطاه الحق ملكة التعبير دون درس أو تمرين !!

– وملك الحسن جره نحو السجن ، أما ملك العلم فقد سما به إلى عطارد .

– صار الملك غلاما لـه لعلمه وفضله ، ذلك أن مُلك العلم محمود عن ملك الحسن !!

عودة إلى حكاية ذلك الشخص المدين

ومجيئه إلى تبريز على أمل عناية ذلك المحتسب

٣١١٥– لقد جد ذلك الغريب الممتحن خوفا من الدين في الطريق نحو دار سلامه .

– ذهب صوب تبريز وحى كلستان ، وقد استرخى أمله فوق محفة من الورد .

– وطرقه نور فوق نور من تبريز دار الملك السنية ، على أمله .

– فضحكت روحه من روضة الرجال ، ومن نسيم يوسف ومصر الوصال .

– قال : " يا حادى أنخ لي ناقتي ، جاء إسعادى وطارت فاقتي ؛

٣١٢٠– ابركي يا ناقتي طاب الأمور ∴ إن تبريز مناخات الصدور

– إسرحي يا ناقتي حول الريـــــاض ، إن تبريزا لنا نعم الوفاض "[1] .

– أيها الجمال ، أنزل الأحمال من فوق الجمال ، فهذه هي مدينة تبريز وهذا هو حى كلستان .

– إن لهذه المزرعة بهاء الفردوس ، ولتبريز هذه نور العرش .

– وفي كل لحظة نور للروح ، مثير للروح ، من فوق العرش ، على أهل تبريز .

٣١٢٥– وعندما طلب منزل المحتسب ذلك الغريب ، قال له الناس لقد توفى ذلك الحبيب .

---

[1] ما بين القوسين بالعربية في المتن .

– لقد انتقل أول أمس من دار الدنيا ، والرجال والنساء في حزن على وفاته .

– لقد مضى ذلك الطاووس العرشى نحو العرش ، عندما وصلته من الهاتفين رائحة العرش .

– وبالرغم من أن ظله كان ملجأ للخلق ، إلا أن الشمس سرعان ما طوته !!.

– لقد ساق سفينته من هذا الساحل أول أمس ، فقد مل هذا السيد من دار الحزن هذه !! .

٣١٣٠– فصاح الرجل وخر مغشيا عليه ، وكأنه هو الأخر قد أسلم الروح في إثره .

– فرشوا وجهه بماء الورد والماء ، وبكى رفاقه على أحواله .

– وظل مغشيا عليه حتى الليل ، ثم عادت روحه من الغيب بين الحياة والموت .

علم ذلك الغريب بوفاة المحتسب

واستغفاره عن الاعتماد على المخلوق

وتعويله على عطاء المخلوق وتذكره للنعم التى أنعم الله بها عليه

وإنابته إلى الحق من جرمه ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾

– وعندما أفاق ، قال : أيها الإله : لقد كنت مجرما إذ كنت آملا في الخلق .

– وبالرغم من أن "السيد" كان قد أبدى من السخاء الكثير ، إلا أن سخاءه ذاك لم يكن قط كفو عطائك .

٣١٣٥– لقد وهب قلنسوة بينما وهبت أنت رأسا مليئة بالعقل ، وهو وهب قباء وأنت وهبت القوام .

– لقد أعطانى الذهب وأعطيتنى أنت اليد التى تعد الذهب ، لقد أعطانى الدابة ، وأعطيتنى أنت العقل الذي يسوسها !!.

– لقد أعطاني السيد شمعا وأنت أعطيتني العين القريرة ، وأعطاني السيد " النُقل" ، وأعطيتني أنت شهية الطعام .

– لقد أعطاني الراتب ، وأنت أعطيتني العمر والحياة ، ووعده بالذهب ، ووعدك أنت بالطيبات .

– لقد أعطاني المنزل ، وأنت أعطيتني الفلك والأرض ، وفي مأواك هو ومائة من العظام أمثاله[1] .

٣١٤٠- والذهب أيضاً منك وهو لم يخلق الذهب ، والخبز ملك لك ، وهو موصل له .

– وذلك السخاء وتلك الرحمة أنت أيضاً وهبتها إياه ، فقد كنت تزيده سروراً من سخائه .

– ثم جعلته هو قبلة لى ، وتركت صانع تلك القبلة في الأصل .

– وأين كنا نحن ، عندما كان ديان الدين يزرع العقل في الماء والطين ؟!

– عندما كان يبدع الفلك من العدم ، وعندما كان يمد هذا البساط الترابى .

٣١٤٥- وعندما كان يضع مصابيح من الكواكب ، وعندما كان يصنع من الطبائع أقفالاً ذات مفاتيح .

– وما أكثر الأبنية الظاهرة والخفية ، التى أدرجها في هذا السقف وفي هذا الفراش .

– وآدم ﷺ هو اصطرلاب أوصاف العلو ، ووصف آدم هو مظهر لآياته .

– وكل ما يبدو فيه انعكاس له ، مثل انعكاس ضوء القمر في ماء النهر .

---

(١) ج : ١٤ : ٢٦٣ :

– كل ما أعطاه أيها الملك أعطاه منك ، إذ خلقت قلبه ويده عظيمين !!

– وعلى اصطرلابه نقوش العنكبوت ، ذات إثبات لأوصاف الأزل .

٣١٥٠– حتى يلقى عنكبوته بالدروس من الشروح ، عن فلك الغيب وعن شمس الروح .

– والعنكبوت وهذا الاصطرلاب للرشاد ، سقطا بلا منجم في أيدى العوام .

– لكنه أعطى الأنبياء حق التنجيم هذا ، إذ ينبغى للغيب عين ترى الغيب .

– وقد سقط "أهل" القرون في بئر الدنيا ، ورأى كل منهم صورته داخل البئر .

– رأوا صورهم في البئر ولم يروها خارجه ، وكالأسد المخدوع انطلقوا داخل البئر .

٣١٥٥– فاعلم أنه من الخارج ذلك الذي ظهر لك في البئر ، وإلا فأنت ذلك الأسد الذي سقط في البئر .

– أضله أرنب عن طريقه قائلا له : يا فلان ، إنه في قاع البئر ذلك الأسد الهصور .

– فامض داخل البئر وانتقم منه ، واقطع رأسه ما دمت أكثر قوة منه .

– إن ذلك المقلد صار مسخرا للأرنب ، وصار شديد الغضب من خياله هو .

– إنه لم يقل ، ليست هذه صورة من عطاء الماء ، وليست إلا غشا من ذلك الغشاش .

٣١٦٠– وأنت أيضا عندما تنتقم من العدو يا عبد "الجهات" الستة ، فأنت شديد الخطأ بالنسبة للجهات الستة .

– إن تلك العداوة فيه انعكاس للحق ، فهى مشتقة من صفات القهر هناك .

– وذلك الذنب فيه من جنس جرمك ، فينبغى أن تغسل هذه الخصلة من طبعك .

– لقد بدى خلقك القبيح فيه ، فقد كان لك مثل صفحة المرآة .

– فما دمت قد رأيت قبحك أيها الجميل (!!) في المرآة ، فلاتهجم على المرآة !!

٣١٦٥- إن نجمة سنية تنعكس على الماء ، وأنت تحثو التراب على انعكاس النجمة ؛

– قائلاً : إن هذه نجمة نحس ظهرت في الماء حتى تجعل سعدنا دنيا .

– وتحثو تراب الغضب على رأسها ، ما دمت تظنها من خطئك نجمة .

– واختفت الصورة وسيقت نحو الغيب ، وأنت تظن أن تلك النجمة لم تبق .

– إن نجمة النحس تلك موجودة في السماء ، وينبغى أن تعالجها من تلك الجهة .

٣١٧٠- بل ينبغى أن يعلق القلب بحيث لا جهة ، إن النحس هنا هو انعكاس النحس الذي لا جهة له .

– فاعلم أن العطية هى عطية الحق وهبته هى انعكاس ذلك العطاء في "الحواس الخمسة وفي "الجهات" الستة !!

– وإذا كانت عطايا الأخساء أكثر عددا من الرمل ، فإنك تموت وتبقى هى ميراثا من بعدك !!

– فحتام يمكن ناظرك في انعكاس "الأمور" ، اشتغل برؤية الأصل يا ضال الرؤية .

– فعندما جاد الحق على أهل الضراعة ؛ وهبهم مع العطاء العمر الطويل .

٣١٧٥- لقد صارت النعمة خالدة والمنعم عليه ، وهو محيى الموتى فاجتازوا إليه .

– إن عطية الحق تمتزج بك كالروح ، بحيث تصير هى أنت وأنت هى .

– ولو لم يبق الاشتهاء للخبز والماء ، فإنه يعطيك بلا هذين القوت المستطاب .

– وإن ذهبت عنك السِّمنة فإن الحق يعطيك في النحـول سـمنة مختفيـة مـن ذلـك الصوب !!

– فما دام يعطى الجنى قوتا من الرائحة ، ويعطى لكل مَلَك قوت الروح .

٣١٨٠– فماذا تكون الروح حتـى تتخـذ منهـا أنـت سـنداً ، إن الحـق يبقيـك حيـا بعشقه.

– فاطلب منه حياة العشق ولا تطلب الروح ، أطلب منه ذلك الرزق ولا تطلـب الخبز .

– واعلم أن الخَلْق كالماء الصافى الزلال ، تتألق فيه صفات ذى الجلال .

– وعلمهم وعدلهم ولطفهم بمثابة "انعكاس" نجمة الفلك في الماء الجارى .

– والملوك هم مظهر لملوكية الحق ، والفضلاء مرآة لمعرفة الحق .

٣١٨٥– لقد مرت القرون ، وهذا قرن جديد ، والقمر هو القمـر لكـن هـذا المـاء ليس ذاك الماء .

– والعدل هو ذلك العدل ، والفضل هو ذلك الفضل ، لكن هذا القرن وهذه الأمـم قد استبدلت .

– وتوالت القرون وراء القرون أيها الهمام ، وهذه المعانى مستقرة ودائمة !!

– لقد تبدل الماء في هذا الجدول عدة مـرات ، وانعكـاس القمـر وانعكـاس النجم دائمان .

– إذن فليس أساسها هو الماء الجارى ، بل على أقطار عرض السموات .

٣١٩٠– وهـذه الصفـات مثـل النجـوم المعنويـة ، اعلـم أنهـا مسـتندة علـى فلـك معنوى.

– والحسن مرآة لحسنه ، وعشقهم صورة لطلبه .

– وهذا الخد والخال يمضيان إلى أصلهما ، فمتى يبقى الخيال في الماء دائما ؟!
– إن كل الصور انعكاس لماء النهر ، وعندما تحك عينك فكل الأشياء هى هو .
– ثم قال له عقله : أترك هذا الحول ، فإن الخل هو الدبس والدبس هو الخل .
٣١٩٥– فكيف قلت أن السيد كغيره من القصور ، اخجل أيها الأحول من الملك الغيور .
– ولا تعتبر ذلك السيد الذي جاوز الأثير من جنس فئران الظلام هذه .
– فانظر إلى السيد الروح ، ولا تنظر إلى الجسد الثقيل ، انظر إليه كَلُب ولا تنظر إليه كعظام .
– ولا تنظر إلى السيد بعين إبليس اللعين ، ولا تنسبه إلى الطين .
– ولا تسم رفيق الشمس خفاشا ، ومن صار مسجودا له لا تعتبره ساجداً .
٣٢٠٠– إن هذا يشبه الصور وليس بصورة ، فليس للحق ظهور على مثال الصورة .
– لقد رأى شمساً ، ولم يبق جامداً ، وزيت الورد لا يشبه زيت السمسم .
– وعندما بدلهم إبدال الحق ، " لم يعودوا " من الخلق فدعك من هذا .
– وكيف تصير قبلة الوحدانية اثنتين ؟! وكيف يصير التراب مسجودا للملائكة ؟
– ولما كان ما رآه المرء في هذا الجدول خيال تفاحة ، وملأت هذه الرؤية حجره بالتفاح ؛
٣٢٠٥– فمتى كان ما رآه في الجدول خيالا ، وقد امتلأت من رؤيته مائة جوال؟![1]

---

[1] ج : ١٤ / ٢٦٦ :
– إن هذا يشبه الصور وليس بصورة . والمعنى في الحقيقة يكون عكس الصورة .

– فلا تنظر إلى الجسد ، ولا تفعل ما فعله أولئك الصم والبكم ، إذ ﴿ كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ !!

– إن "أحمد" هو مصداق ﴿ ما رميت إذ رميت ﴾ ، ومن ثم صارت رؤيته هى رؤية الخالق[1] .

– وخدمته هى خدمة الحق ، ورؤية النهار هى رؤية هذه الكوة .

– وبخاصة تلك الكوة المتألقة من ذاتها ، ليست تلك التى تكون رهنا بالشمس والفرقد .

٣٢١٠– وأيضاً من تلك الشمس التى طرقت الكوة ، لكن ليس عن الطريق والصوب المعهود .

– فبين الشمس وهذه الكوة طريق ، ليس للكوات علم به .

– هذه حتى انه عندما يأتى سحاب ويغطى الفلك ، يكون نورها جياشا في هذه الكوة .

– فهو غير طريق هذا الجو والجهات الستة ، هناك ألفة بين هذه الكوة والشمس.

– إن مدحه وتسبيحه هو تسبيح الحق ، فإن الثمار تنبت من نفس هذا الطبق .

٣٢١٥– فالتفاح ينبت من هذه السلة بوفرة ، وليس عيبا إذا سميتها شجرة ،

– فسم تلك السلة شجرة تفاح ، فبينهما ، امتد طريق في الخفاء .

– وأن ما ينمو من الشجرة المثمرة ، ينمو من تلك السلة نفس ذلك النوع من الثمر .

– فانظر إلى السلة على أنها شجرة الإقبال ، واجلس سعيداً في ظل هذه السلة .

---

[1] ج : ١٤ / ٢٦٦ :

– وقد اصطفاه الحق من بين الإنس والجان ـ ومن هنا سماه رحمة للعالمين !!

– وما دام الخبز قد سبب لك الإسهال ، لا تسمه خبزاً بل سمه عقار المحمودة .

٣٢٢٠– وإذا أضاء تراب الطريق الروح والبصر ، انظر إلى ترابه ككحل وسمه كحلا .

– وما دام الشروق يسطع من فوق هذه الأرض ، لماذا أرفع وجهي إذن إلى العيوق ؟!

– لقد صار فناءً فلا تسمه وجودا أيها الوقح ، ومتى يبقى المدر جافا في مثل هذا النهر ؟

– ومتى يطلع الهلال أمام هذه الشمس ، ومع ذلك البطل[١] ، ماذا تكون قوة العجوز ..

– إن ذلك الإله طالب وغالب ، حتى يدمر هذه الموجودات بأجمعها .

٣٢٢٥– فلا تنطق بالاثنين ، ولا تعتبره اثنين ، ولا تسمه اثنين ، بل اعتبر العبد فانيا في سيده .

– ولقد فنى السيد في نور خالق السيد ، ومات وانتهى ودفن .

– فكيف تعتبر هذا السيد منفصلا عن الحق ، فتفقد المتن والديباجة على السواء؟

– وهيا ، واعبر بالعين والقلب من هذا الطين ، إن هذه قبلة واحدة ، فلا تعتبرها قبلتين .

– فما دمت قد رأيتهما اثنين ، فقد عجزت من كل ناحية ، لقد اندلعت النار في المرخ ، وذهب المرخ .

مثل الأحول مثل ذلك الغريب في مدينة كاشان المسمى بعمر ، ولهذا السبب حولوه من هذا الدكان إلى ذلك الدكان

---

[١] حرفيا : رستم .

ولم يفهم أن كل الحوانيت واحدة في أنها لا تبيع لمن يسمى عمر ،
فقال في نفسه : لأتدارك الأمر في التو واللحظة وأقول : لقد أخطأت ،
ليس اسمى عمر، وعندما أتوب وأتدارك الأمر أمام هذا الحانوت
فإنى أحصل على الخبز من كل حوانيت هذه المدينة ،
وإذا لم أتدارك الأمر وأظل اسمى بعمر ، أمر من هذا الحانوت محروما ،
وأكون أحول إذ اعتبرت كل هذه الحوانيت مختلفة عن بعضها !!

٣٢٣٠- إذا كان اسمك عمر وتكون في مدينة كاشان ، فإن أحداً لن يبيعك فطيرة واحدة ولو بمائة دانق !!

– وعندما تقول أمام حانوت : اسمى عمر ، فبيعوا لعمر هذا الخبز كرماً .

– يقول لك : امض إلى ذلك الحانوت الأخر ، فإن رغيفاً واحدا منه أفضل من خمسين رغيف من هذا الحانوت .

– ولو لم يكن أحول في رؤيته ، لقال : ليس هناك حانوت آخر .

– ولأصاب إشراق عدم الحول قلب الكاشانى ، ولصار عمر علياً .

٣٢٣٥- ومن هنا يقول لذلك الخباز ، بع الخز لعمر هذا أيها الخباز .

– وعندما سمع هو أيضاً اسم عمر سحب الخبز ، ثم أرسلك إلى حانوت بعيد .

– قائلاً : أعط عمر هذا الخبز يا شريكى ، ومعناه افهم السر من صوتى .

– وسوف يحولك هو أيضاً من ناحيته ، صائحاً : انتبهوا لقد جاء عمر ليحصل على الخبز .

– وإذا كنت عمر في حانوت واحد فامض ، وصر محروما من الخبز في كل كاشان .

٣٢٤٠- وإذا قلت أن اسمك "على" في حانوت واحد ، فهيا خذ الخبز من هذا الحانوت ، دون تحويل ، ودون مشقة .

- وما دام الأحول ذو النظرتين قد حرم من الشرب ، فما بالك أنت وأنت ترى الشيء عشرة يا بائع أمك!!

- وفي كاشان الدنيا هذه داوم على الطواف من حولك كعمر ، ما دمت لست عليا .

- فللأحول في هذا الدير الخرب انتقال مستمر من ناحية إلى أخرى ، لعل خيرا يقع .

- ولو كان لك عينان عارفتان بالحق ، فانظر إلى ساحة الدارين مليئة بالحبيب.

٣٢٤٥- ولنجوت من التنقل من مكان إلى آخر ، في كاشان هذه المليئة بالخوف والرجاء .

- وانك إن رأيت في هذا الجدول برعمة أو شجرة ، فلا تتخيل أن كل جدول يشبهه .

- وأن يكون لك من نفس هذه الصور حق حقيقى وبيع للثمار !!

- فالعين من هذا الماء تتحرر من هذا الحول ، فترى الصور ، وتمتلئ السلة .

- ومن ثم يكون هذا بالمعنى بستاناً ليس نهراً ، إذن فلا تخف كبلقيس من الصرح الممرد !!

٣٢٥٠- إن الأحمال متنوعة على ظهور الحمر ، فانتبه ولا تسق كل هذه الحمر بعصا واحدة .

- فعلى ظهر حمار حملٌ من الياقوت والجوهر ، وعلى ظهر حمار آخر حمل من الحجر والمرمر .

– فلا تسق هذه الحكمة على كل الجداول ، وانظر إلى القمر في هـذه الجـداول ، ولا تعتبره صورته .

– إن هذا هو ماء الخضر ليس ماء الوجود والفخاخ ، وكل ما يظهـر فيـه يكـون حقيقة .

– فمن قاع هذا الجدول يقول القمر أنا القمـر ، لسـت صـورة قمـر، أنـا محـادثك ورفيقك

٣٢٥٥– إن ما هو أعلى موجود في هذا الجدول ، فاحصل عليه سـواء مـن عـل أو من الجدول .

– ولا تعتبر هذا الجدول مثل بقيـة الجـداول ، واعتـبره قمـرا ذلـك الشـعاع مـن قمرى الوجه[1] .

– إن هذا الكلام لا نهاية له وذلك الغريب ، بكـى كثـيرا مـن ألمـه علـى السـيد ، وصار كئيباً .

طواف رجل شهم بـكل مدينـة تـبريز
وجمعه لشئ قليل وذهاب ذلك الغريب إلى قبـر المحتسب زائرا
وروايته لقصته على قبره نـائحاً ... إلى آخره

– لقد اشتهرت واقعة ديْنه هذا ، فتألم رجل شهم لألمه .

– ومن أجل جمع المال له طاف بكل المدينة ، كان يروى في كـل مكـان قصتـه طامعاً .

---

[1] ج : ١٤ : ٢٨١ :

– وانظر إلى كل ما تريده في هذا الجدول من نعيم وتاج وإقبال بل ومن دين .

– ففي هذا الجدول كل ما تريده ، انظر إليه ثانية واشكر من أجل الزيادة

– وكل ما يطلبه الخلق في الكونين ، صار موجوداً فيه دون بعد أو بون !!

٣٢٦٠- لكن ذلك العابد للكدية لم يجمع عن طريق الكدية سوى مائة دينار .

- فجاءه الرجل الشهم وأخذ بيده ، وذهب به إلى قبر ذلك الكريم العجيب "في كرمه" .

- وقال : إذا وفق الله العبد إلى النزول على أحد السعداء ؛

- ثم يؤثره بماله ، ويقدم جاه "ضيفه" على جاهه؛

- فإن شكره يكون شكر للإله يقينا ، إذ وفقه إلى أن يكون للإحسان قرينا .

٣٢٦٥- فترك شكره ترك لشكر الحق ، وحقه بلا شك ملحق بحق الحق .

- فداوم على شكر الله تعالى في النعم ، وأيضاً داوم على شكر السيد وذكره .

- ورحمة الأم وأن كانت من الله ، إلا أن خدمتها أيضاً فريضة واجبة .

- ولهذا السبب قال الله تعالى : ﴿ صلوا عليه ﴾ ، ذلك أن محمدا ﷺ تحال إليه "أحوال أمته " .

- ويوم القيامة يقول الله للعبد : هه ... ماذا فعلت بما أعطيتك إياه ؟

٣٢٧٠- يقول : يارب : قمت بشكرك بالروح ، إذ كان منك اصل ذلك الرزق والخبز .

- يقول له الحق : لا ... لم تقم بشكرى ، عندما لم تشكر ذلك الذي ديدنه الكرم.

- لقد ارتكبت الظلم والجور في حق كريم ، ألم تصلك نعمتى من يده ؟!

- وعندما وصل إلى قبر ولى النعم ذاك ، بكى في حرقة وبدأ في الرثاء .

- وقال : يا ظهيرا لكل نبيل وملجأ له ، ويا أيها المرتجى والغوث لأبناء السبيل.

٣٢٧٥- يا من هم أرزاقنا في خاطرك ، ويا من إحسانك وبرك كالرزق العام .

- ويا من أنت للفقراء الوالدان والعشيرة ، في الخراج وفي النفقة وفي إيفاء الدين .

– ويا من أنت كالبحر ، أعطيت الجوهر للقريبين منك ، واتحفت البعيدين بالمطر .

– كانت ظهورنا محمية بك أيتها الشمس ، يا رونقا لكل قصر وكنزا في كل خرابة.

– يا من لم ير أحد على حاجبيك عبوس قط ، ويا من أنت عظيم كميكائيل ، موزع للرزق .

٣٢٨٠– ويا من قلبك متصل ببحر الغيب ، ويا من أنت عنقاء الغيب في قاف المكرمة .

– انك لم تذكر لى قط ولم تسألنى ، ماذا ذهب من مالك ؟! يا من لم ينشق سقف همتك قط .

– ويا من أنا ومائة مثلى صاروا لشهور وسنين عيالا عليك كأنهم من نسلك .

– يا نقدنا ويا متاعنا ويا ثيابنا ، ويا سمعتنا وفخرنا وإقبالنا .

– إنك لم تمت ، بل مات عزنا وإقبالنا ، ومات سرورنا ورزقنا المستوفى[١] .

٣٢٨٥– إنك واحد كالألف في القتال والكرم ، وأنت مائة من أمثال حاتم عند الإيثار بالنعم .

– وإذا كان حاتم يهب ميتا لميت ، فإنه يعطى مجرد جوزات معدودة .

– وانك لتهب في كل نَفَس حياة لا يستوعبها من نفاستها نفس .

– إنك تعطى حياة باقية جداً ، وتعطى الذهب نقدا لا يكسد ولا يعد .

– يا من لا وارث لخصلة من خصالك ، يا من لا يزال الفلك ساجداً في حيك !!

---

(١) ج : ١ : ٢٨٨ :

– كان هذا كله من الحق وأنت الواسطة ، وكنت الرابط بيننا وبين الحق .

٣٢٩٠- إن لطفك هو راعى الخلق "حارسهم" من ذئب الغم ، وأنت مثل كليم الله، أنت راعى حنون[١] .

- لقد هرب كبش من كليم الله ، "ومن أجله" امتلأت قدم موسى بالبثور ، واهترأ نعله .

- وظل في أثره طوال الليل في بحث وتنقيب ، وذلك القطيع غائب عن نظره .

- ووهن الكبش من التخلف " عن القطيع " وعجز ، فنفض كليم الله التراب عن جسده .

- وأخذ يمسح براحة يده على ظهره ورأسه ، وأخذ يدلله حبا كأنه أمه .

٣٢٩٥- ولم تكن عنده ولا نصف ذرة من الحدة والغضب ، فلا شئ عنده إلا الحب والشفقة ودمع العين .

- وقال : لافرض أن إحساسا بالرحمة لم يبدر منى عليك ، فلماذا أبدى طبعك الظلم عليك ؟!

- فقال الله تعالى للملائكة في تلك اللحظة ، إن فلانا جدير بالنبوة .

- وحتى المصطفى نفسه قال : إن كل نبى قام بالرعى في صباه أو في شبابه .

- وبدون الرعى وامتحانه به لم يعطه الحق إمامة الدنيا .

٣٣٠٠- وسأله أحدهم : حتى أنت أيها الهمام ؟! فقال : لقد قمت بالرعى حينا من الدهر .

- وليس هذا إلا لكى يظهر صبرهم ووقارهم ، قد جعلهم الله رعاة قبل نبوتهم .

- وكل أمير يقوم برعاية البشر بالطريقة التى أمر بها.

- ويقوم برعيه بحلم كحلم كموسى ﷺ ، وبتدبير وعقل .

---

[١] في " ج " (٢٩٣/١٤) : عنوان : هروب خروف من كليم الله وشفقته عليه وحدبه به .

– فلا جرم أن الله تعالى يهبه الرعى الروحانى على قمة فلك القمر !!

٣٣٠٥– مثلما سحب الأنبياء من ذلك الرعى ، وأعطاهم رعى الأصفياء

– ولعلك – أيها السيد – قمت في رعيك هذا بما يعمى شانئك .

– فإننى أعلم أن الله كافأك هناك ، ومنحك الرئاسة الأزلية .

– وعلى أمل كفك الذي هو كالبحر ، وجودك الذي لا ينقطع ، وإيفائك ؛

– استدنت تسعة آلاف من الدنانير الذهبية جزافا ، فأين أنت حتى يصير هذا الكدر صافياً .

٣٣١٠– أين أنت ؟! حتى تقول وأنت ضاحك كالرياض ، خذ هذا منى وعشرة أضعافه ،

– أين أنت ؟! حتى تجعلنى ضاحكاً وتجعلنى بلطفك وإحسانك كأرباب "الأموال".

– أين أنت ؟! حتى تحملنى إلى خزانتك وتجعلنى آمنا من الدين والفاقه .

– وأنا أقول لك ، كفى وأنت المتفضل على تقول لى : خذ هذا أيضاً من أجل خاطرى .

– فكيف يسع ما تحت الطين عالماً ؟! وكيف تستوعب سماء في "بطن" الأرض ؟!

٣٣١٥– حاشا لله ، إنك خارج هذا العالم ، سواء حين حياتك ، وسواء الآن .

– إن طائراً يخفق بجناحيه محلقا في هوى الغيب ، لكن ظله "لايزال" منعكسا على الأرض .

– والجسم هو ظل ظل القلب ، ومتى يكون الجسم جديراً برتبة القلب ؟!

– إن الرجل يكون نائما وروحه كالشمس ، متلألئة في الفلك ، والجسد نائم في الرداء .

– والروح مختفية في الخلاء كأنها في سجاف ، والجسد لا يزال يتقلب تحت اللحاف .

٣٣٢٠– والروح ما زالت خفية "مصداقا لقوله أنها" ﴿ من أمر ربى ﴾ ، وكل مثال أقوله ينتقى !!

– فوا عجبا أين ياقوتك الذي كان ينثر السكر ؟! وأين إجاباتك الحلوة وأسرارك ؟!

– وواعجبا ، أين ذلك العقيق القاضم للسكر ، وذلك المفتاح لقفل المشاكل عندنا ؟!

– وواعجبا ، أين ذلك النفس "الماضى" كذى الفقار ، ذلك الذي يجعل العقول بلا قرار ؟!

– وحتام كالفاختة الباحثة عن عشها ، أظل أصيح .... كوكو كوكو ، أين ؟... أين ؟... أين ؟!

٣٣٢٥– أين نفس ذلك الموضع الذي كان يحتوى على صفات الرحمة والقدرة والنزاهة والفطنة ؟!

– أين نفس ذلك الموضع الذي قلبه وفكره ، كانا دائما هناك كالأسد وعرينه ؟

– أين نفس ذلك الموضع الذي كان رجاء الرجال والنساء يمضى إليه وقت الحزن والهم ؟!

– أين نفس ذلك المكان الذي في وقت العلة ، تفر إليه العين على أمل الصحة ؟!

– ذلك المكان الذي كان دائما من أجل دفع القبح ، باحثا عن الريح للزرع والسفينة ؟!

٣٣٣٠- إنه من ذلك الطرف الذي يشير إليه القلب عندما يصيح اللسان : يا هو !!

- إنه مع الله فيما وراء المكان ذلك الذي كنت أقول من أجله " ماكو" كالنساج[١] .

- وأين عقولنا حتى ترى الغرب والشرق ، وتطرق الأرواح مائة نوع من البروق .

- كأن جزره ومده في بحر ذي زبد ، وانتهى الجزر ، وبقي المد !!

- وأنا مدين بتسعة آلاف ولا معين ، وهناك مائة دينار من كل هذا الجمع ... فحسب !!

٣٣٣٥- ولقد سحبك الحق وبقيت أنا في محنة ، وسأمضي قانطا يا حلو المثوى.

- فداوم على إعمال الهمة في شديد الحسرة عليك ، يا ميمون الوجه واليد والهمة .

- فلقد جئت إلى العين وأصل العيون ، فوجدت فيها دما بدلا من الماء .

- والفلك هو الفلك ، لكن ضوء القمر ليس موجوداً ، والجدول هو الجدول وليس ذلك الماء هو الماء .

- والمحسنون موجودون وأين ذلك المستطاب ، والكواكب موجودة وأين تلك الشمس ؟!

٣٣٤٠- لقد صرت إلى الله أيها المحترم ، وعلى أنا أيضاً أن أمضي صوب الحق !!

- فهو مجمع العلم ومأوى القرون ، وهي حق ﴿ كل لدينا محضرون ﴾ .

---

[١] تلاعب لفظي بين " ماكو " أي مكوك النساج ، وكو بمعنى أين .

– فالصور سواءٌ علمت أو لم تعلم ، تكون مختصرة في كف النقاش .
– ولحظة بلحظة تكون في صفحات تفكيرهم ، تثبت وتمحى دون إمارة أو دليل.
– يثبت الغضب فيمحو الرضا ، ويثبت البخل فيمحو السخاء[١] .
٣٣٤٥– ومدركاتي في الغدوالآصال ليست خالية للحظة واحدة من هذا الإثبات والمحو .
– إن الفخاري يكون صانعا للإناء ، ومتى يكون الإناء من نفسه عريضا أو طويلاً ؟!
– والخشب رهن بيد النجار ، وإلا فكيف يصير مقطوعا ومتسقاً ؟
– والثوب يكون في يد الخياط ، وإلا فكيف يخاط أو يفصل من نفسه ؟!
– والقربة تكون في يد السقاء أيها المنتهي ، وإلا فكيف تصير من نفسها ملأى أو فارغة ؟!
٣٣٥٠– وأنت في كل لحظة تمتلئ وتفرغ ، إذن فاعلم انك فى كف صنعه !!
– فمتى تذهب كمامة العين يوماً عن العين ، ومتى يصير الصنع مفتوناً من الصانع ؟!
– إن لك عينا فانظر بعينك ، ولا تنظر بعين سفيه جلف .
– ولك أذن فاسمع بأذنك ، فلماذا تصير مرتهنا بآذان المخدوعين ؟!
– واحترف النظر دون تقليد ، وفكر أيضاً من أجل عقلك[٢] .

---

(١) ج : ١٤ / ٢٩٥ :
– أحياناً يمحو الحقد ويثبت الصفاء ، يحصد العجز ويزرع العطاء
(٢) ج : ١٤ : ٢٩٥ :
– واستمع إلى حكاية مني نظير "هذه الأفكار" ، حتى تبقى خبيرا بسر قولي .

رؤية خوارزمشاه رحمه الله وهو في موكبه
لجواد نادر جداً وتعلق قلب الملك بحسن ذلك الجواد وخفته ،
وتسخيف عماد الملك لذلك الجواد في قلب الملك
واختيار الملك قوله على رؤيته مصداقا لما قاله الحكيم عليه الرحمة
في " الهي نامه ":

عندما يصير لسان الحسد نخاساً * تجد مثيل يوسف بذراع من الكرباس

فمن دلالة إخوة يوسف بحسد خفي ذلك الحسن الشديد

في قلوب المشترين وأخذ القبح في الظهورو مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾

٣٣٥٥- كان لأحد الأمراء جواد أصيل ، لم يكن له قرين في قطيع السلطان .

– وعندما ركب خوارزمشاه في الموكب صباحا ، وقعت أنظاره فجأة على الجواد .

– اختطف لونه وبهاؤه نظر الملك ، وحتى العودة كانت عينه عليه .

– وكل عضو كان يلقى عليه نظرة ، كان يبدو له أجمل من العضو الأخر .

– وغير الخفة والجمال والجاذبية ، كان الحق قد ألقى عليه صفات نادرة .

٣٣٦٠- وقد بحث عقل الملك كثيرا فيهذا الذي يقطع الطريق على العقل .

– "وتساءل" : إن عيني شبعى ومليئة وغنية ، ولها من مائتى شمس الضياء .

– ويا من فيلة الملوك بيدق بالنسبة لى ، هل يختطفنى تصف "حصان" دون حق؟!

– لقد قام بسحر خالق السحر ، إن هذه جذبة وليست خاصية فيه .

– وقرأ الفاتحة وحوقل كثيرا ، وكانت الفاتحة تزيد الألم في صدره .

٣٣٦٥- ذلك أن الفاتحة في حد ذاتها كانت تجذبه ، فإن الفاتحة فريدة "التأثير" في جذب "الخير" ودفع "الشر" .

– فإن يبدُ الغير فمن تمويهه ، وإن يمضى الغير عن النظر فمن تنبيهه !

– فيتيقن أن انجذابه إليه من ذلك الصوب ، وأمر الحق في كل لحظة يأتى بالنوادر.

– والجواد الحجرى والثور الحجرى من الابتلاء ، يصيران من مكر الله معبودين .

– وعند الكافر لا ثانى للصنم ، وليس للصنم بهاء أو روحانية .

٣٣٧٠– فما هو ذلك الجاذب ؟! خفاءٌ في خفاء ، قد سطع على الدنيا من العالم الأخر .

– إن العقل محجوب والروح أيضاً محجوبة عن هذا الكمين ، وأنا لا أراه ، وإن كنت تستطيع ، انظر.

– وعندما عاد خوارزمشاه من موكبه ، باح بالسر لخواص ملكه .

– ثم أمر القواد على الفور أن يأتوا بالجواد من "أصحابه" وهم أسرة من الأمراء.

– فوصلوا وكأنهم النار ، وصار الأمير الذي كالجبل كأنه العهن .

٣٣٧٥– وبلغت روحه من الألم والغبن الحلقوم ، ولم ير من غياث إلا في عماد الملك .

– فقد كان عماد الملك قاعدة العلم ، لكل مظلوم ولكل قتيل للغم .

– ولم يكن هناك رئيس أكثر احترام منه ، كان عند السلطان كنبى !!

– كان خاليا من الطمع أصيلا زاهدا متقيا ، قائما بالليل ذا رياضة و"مثيلا" لحاتم في السخاء .

– كان مبارك الرأى عظيما ذا تدبير ، ورأيه مجرب في كل مراد .

٣٣٨٠– فهو سخى في بذل الروح والمال ، وهو طالب لشمس الغيب كهلال .

– كان في الإمارة غريبا وحبيسا ، ومرتديا للباس الفقر والخلة .
– كان لكل محتاج كالأب ، وكان شفيعا أمام السلطان ودافعا للضرر .
– وكان سترا على الأشرار كالحلم الإلهي ، وكان خلقه على عكس الخلق منفصلا عنهم .
– كان يمضى مرات وحيدا نحو الجبل ، وكان الملك يمنعه بإلحاح شديد.
٣٣٨٥– ولو كان يتشفع في كل لحظة لمائة جرم ، لكانت عين السلطان تستحى منه .
– لقد ذهب "الأمير" إلى عماد الملك العظيم عارى الرأس وسقط على التراب ...
– قائلاً : قل له أن يأخذ جوارىّ ... أن يأخذ كل ما لدى ، بل أن يأمر بكل ما لدى لكل مغير .
– وهذا الجواد ، روحى متعلقة به ، فلو أخذه مت يقيناً يا محباً للخير .
– وإذا سلب هذا الجواد من يدى ، فإننى لن أعيش يقيناً .
٣٣٩٠– ومادام الله قد منحك الصلة به ، فامسح بيدك أيها المسيح على رأسى سريعاً .
– فهناك صبر على نسائى وذهبى وأملاكى ، وليس هذا بالتكلف أو بالتزوير .
– وإن لم تكن تصدقنى في هذا الحماس ، فامتحن ، امتحن قوتى وحماسى !!
– فأسرع عماد الملك باكيا حاكا عينيه مضطرب الحال إلى السلطان .
– وعقد شفتيه ووقف أمام السلطان ، متحدثا بالسر مع الله رب العباد .
٣٣٩٥– وكان يستمع إلى سر السلطان واقفا ، وفي داخله كان فكره يمور .
– قائلاً : يا ألله ، إذا كان ذلك الشاب قد ضل الطريق ، فلا يجوز الالتجاء إلى سواك .

– فعامله بالرحمة ، ولا تعامله بما فيه ، وإن أراد الخلاص عن طريقي ، أنا الأسير "لفضلك " .

– ذلك أن هؤلاء الخلق محتاجون جميعا ، من الشحاذ فصاعداً وحتى السلطان .

– ومع حضور الشمس ذات الكمال ، أثمة بحث عن الهداية من الشمع والفتيل؟!!

٣٤٠٠– ومع حضور الشمس عذبة المساغ ، أبحثُ عن النور من الشمس والمصباح ؟!

– فإن ذلك يكون بلا جدال تركا منا للأدب ، يكون كفرانا بالنعمة وفعلا عن الهوى .

– لكن أغلب الألباب عندما تفكر ، تكون كالخفافيش محبة للظلام .

– وإن أكل الخفاش دودة بليل، فإن الشمس هذه هى التى رتبت روح تلك الدودة!

– وإن ثمل الخفاش من دودة بليل ، فقد صارت الدودة متحركة من الشمس .

٣٤٠٥– ذلك أن الشمس التى ينبثق منها الضياء ، تعطى عدوها نوالها .

– لكن الصقر الملكى الذي ليس بخفاش ، عينيه المفتوحة ناظرة إلى الحقيقة وذات ضياء .

– فإن بحث عن النمو كالخفاش بليل ، فإن الشمس تؤدبه عاركة أذنيه .

– قائلة له : لأفرض أن ذلك الخفاش الضال مصاب بعلة فماذا حدث لك ؟!

– فلأؤدبك بشدة من حزنى "عليك" ، حتى لا تولى وجهك ثانية عن الشمس .

عقاب يوسف الصديق صلوات الله عليه بالحبس بضع سنين بسبب طلبه العون من غير الحق وقوله ﴿ أذكرني عند ربك ﴾ وشرحه

٣٤١٠- مثل يوسف ﷺ الذي طلب العون من سجين بضراعة وخضوع وتذلل ؛

- طلب العون ، وقال : عندما تخرج وتستوى أمورك عند الملك ،
- أذكرنى أمام عرش ذلك العزيز ، حتى يخلصنى أيضاً من هذا السجن.
- ومتى يخلص سجينٌ في الأسر سجينا آخر ؟!!
- وأهل الدنيا برمتهم سجناء ، وهم في انتظار الموت في الدنيا الفانية .

٣٤١٥- اللهم إلا شخص شديد الندرة ، جسده في السجن وروحه في عطارد .

- ومن ثم فعقاباً على انه رأى فيه معينا ، لبث يوسف في السجن بضع سنين .
- لقد محا الشيطان ذكر يوسف من خاطره ، ومحا الشيطان من قلبه هذه الوصية .
- ومن ذلك الذنب الذى بدر من حسن الخصال ذاك ، بقى في السجن - بحكم الله - بضع سنين .
- كان الأمر يعنى : أي تقصير بدر من شمس العدل ، حتى تسقط كالخفاش في الظلمة ؟

٣٤٢٠- انتبه ، أي تقصير بدر من البحر والسحاب ، حتى تطلب العون من الرمل والسراب؟

- فإذا كان العوام في طبع الخفاش ويجوز لهم هذا ، فيا يوسف ، إن لديك في النهاية عينا مبصرة .
- فإذا كان خفاش قد مضى في العمى والظلمة ، فماذا حدث لبصيرة بازى السلطان ؟!
- ومن ثم أدبه الأستاذ لهذا الجرم ، قائلاً له : لا تجعل لك عمادا من خشب مهترئ .

– لكنه شغل يوسف بنفسه، حتى يحس بألم في قلبه من ذلك الحبس .

٣٤٢٥– فأعطاه الحق الأنس "به" والسكر ، بحيث لا السجن بقى أمامه ولا الظلام .

– فليس هناك سجن أشد وحشة من سجن الرحم ، فهو سيء ومظلم وملئ بالدم، ووخم !!

– وعندما فتح لك الحق فيه كوة إليه ، يزيد جسدك كل لحظة في الرحم .

– وفي ذلك السجن من اللذة لا حد لها ، تفتحت الحواس سعيدة من غراس جسدك .

– ومن هنا كان الخروج من الرحم صعباً عليك ، فأنت هاربٌ من رحمها نحو الظهر .

٣٤٣٠– فاعلم أن طريق اللذة من الداخل لا من الخارج ، واعلم انه من البلاهة البحث عن القصور والحصون !!

– فاحدهم في زاوية المسجد في نشوة وسعادة ، وذاك في البستان عبوس ومكتئب .

– فالقصر ليس شيئا ، فدمر البدن ، فالكنز في الخرائب يا أميرى .

– ألست ترى انه في مجلس الشراب ، يسعد الثمل عندما يتهدم تماماً ؟!

– فبالرغم من أن الدار مليئة بالرسوم فاهدمها ، وابحث عن الكنز ثم عمرها بهذا الكنز .

٣٤٣٥– فالدار المليئة بنقوش التصوير والخيال ، تكون صورها ونقوشها كالحجاب على كنز الوصال !!

– إن شعاع الكنز وبريق الذهب ، هى التى تجعل الصور تغلى في هذا الصدر!!

– وأيضاً من اللطف وصورة الماء ذى الشرف ، صارت أجزاء الزبد حجابا على وجه الماء !.

– وأيضاً من لطف الروح القيمة وجيشانها ، صار شخص الجسد حجابا على وجه الروح .

– فاستمع إذن إلى مثل تتداوله الأفواه ، هو : إن ما حاق بنا أيها الأخ ... منّا .

٣٤٤٠– ومن هذا الحجاب فإن هؤلاء الظامئين عبدة الزبد ، وقعوا بعيدا عن الماء الصافى .

– أيتها الشمس مع مثلك قبلة وإماما ، نقوم بعبادة الليل ، وطبع الخفاش .

– فاجعلى إلى نفسك طيرانا لهذه الخفافيش ، واشتريهم من طبعهم الخفاشى ، يا مجيرة "الحيارى" .

– إن هذا الشاب ضال من هذا الجرم ومعتد إذ جاء إلى أنا ، لكن لا تأخذه بذنبه.

– كانت هذه الأفكار تغلى في عماد الملك كأنها الأسد في الآجـــام .

٣٤٤٥– كان ظاهره واقفا أمام السلطان ، وكانت روحه محلقة في رياض الغيب.

– كان كالملائكة في إقليم "ألست" ، يثمل كل لحظة بشراب جديد .

– ولما كان باطنه في محفل وظاهره مليئا بالحزن ، وفي جسدٍ كأنه اللحد عالم عظيم .

– كان في هذه الحيرة وهذا الانتظار ، منتظراً ماذا يتأتى من الغيب والأسرار .

– وجاء القواد في تلك اللحظة جارين الجواد أمام خوارزمشاه .

٣٤٥٠– والحق أنه تحت هذا الفلك الأزرق ، لم يكن هناك مهر في قده ، وخطوه .

- كان لونه يخطف كل بصر، مرحبا بهذا الذي ولد من البرق والقمر !!
- كان كالقمر وكعطارد حاد السير ، لم يكن طعامه من الشعير بل من الرياح الصرصر !!
- فهو قمر يقطع مساحة السماء في ليلة ، في مسيره وذهابه .
- وإذا كان القمر قد قطع الأبراج في ليلة واحدة ، فمن أي شئ تصير منكرا للمعراج ؟!!
٣٤٥٥- إنه كمائة قمر ذلك الدر اليتيم العجيب ، فبإشارة واحدة منه انشق القمر.
- وذلك العجب الذي أبداه في شق القمر ، كان بقدر ضعف حس الخلق .
- إن أعمال الأنبياء والمرسلين وشئونهم خارجة عن الأفلاك والكواكب .
- وأنت أيضاً أخرج عن الأفلاك ودورانها ، ثم انظر آنذاك إلى هذه الأعمال والشئون .
- ذلك وأنت داخل البيضة كالأفراخ ، لا تستمع إلى تسبيح طيور الهواء .
٣٤٦٠- إن المعجزات لن تصير مشروحة هنا ، فتحدث عن الجواد وخوارزمشاه ، وقصتهما .
- إن شمس لطف الحق في كل ما سطعت عليه من كلب أو جواد قد وجد مجد الكهف .
- فلا تعتبر إشراق لطفها ، على نسق واحد ، لقد أعطى أمارة "لنا" الحجر والياقوت .
- فللياقوت منها كنز مقتبس ، وللحجر الحرارة والدفء فحسب !!
- وأن تشرق الشمس على جدار ، لا يكون مثلما تشرق على الماء وتحدث الاضطراب .
٣٤٦٥- عندما تحير منه لحظة ذلك الملك الفريد ، التفت نحو عماد الملك قائلاً :
- أيها الأخ ... أليس هذا جوادا في غاية العظمة ، أيكون من الجنة وليس من الأرض ؟!
- فقال له عماد الملك : أيها السيد : إن الشيطان من ميلك ينقلب إلى ملاك .

- إن كل ما يقع عليه خطـرك يصير جميلاً ، وهـذه المطيـة جميلـة جداً وفاتنـة لكن ؛
- لكن تلك الرأس موضع نقص في قوامه ، فإنك تخال رأسه هذه رأس ثور .
٣٤٧٠- وأثر ذلك القول في قلب خوارزمشاه ، وحقر الجواد في نظر الملك .
- وعندما صار الغرض دلالا وواصفاً ، تجد يوسف بقيمة مجرد ثلاثة أذرع من الكرباس .
- وعندما يصير الشيطان دلال درُ الإيمان ، عند فراق الروح ؛
- يبيع الأبله الإيمان سريعا في تلك الشدة بإبريق ماء .
- ويكون ذاك خيالا وليس إبريقا ، ولا يكون قصد ذلك الدلال إلا الشعوذة .
٣٤٧٥- وفي ذلك الزمان الذى تكون فيه صحيحا سمينا ، تهب الصدق في مقابل خيال .
- وتبيع في كل لحظة در المنجم ، وكطفل تأخذ في مقابله حبات الجوز .
- إذن ففى كرب يوم الأجل ، ليس بالمستبعد أن يكون هذا عملك .
- إن صورة ما تغلى في خيالك ، لكنها مهترئة كجوزة عند دقها .
- إن ذلك الخيال في البداية مثل البدر ، لكنه في النهاية يصير مثل الهلال .
٣٤٨٠- فإذا نظرت إلـى أولـه كمـا تنظـر إلـى آخـره ، فـإنك تفـرغ مـن خداعـه السخيف .
- إن الجوز المتحلل هو الدنيا أيها الأمين ، فامتحنها قليلاً وانظر إليها عن بعد .
- لقد رأى الملك ذلك الجواد بعين الحال ، بينما رآه عماد الملك بعين المآل !!
- كانت عين الملك ترى ذراعين من اللغز ، وعيـن ذلـك النـاظر إلـى العواقـب "ترى" خمسين ذراعاً !!
- فأى كحل هذا ؟! إنه هو الذي يضعه الله ، بحيث ترى الروح الرشد من خلف مائة حجاب .
٣٤٨٥- ولما كانت عين السيد مقترنة بالعاقبة ، سمى بهذه الرؤية الدنيا جيفة .

– ومن ذلك الذم الوحيد الذي سمعه الملك فحسب ، برد في قلبه حب الجواد.

– لقد ترك عينه هو واختار عين الوزير ، وترك وعيه هو ، وسمع قول الوزير .

– كانت هذه مجرد ذريعة ، وذلك الديان الفرد من الضراعة ، برده في قلب الملك .

– لقد أغلق باباً على حسنه أمام البصر ، وذلك الكلام كان موجوداً كصرير الباب .

٣٤٩٠ – ووضعت تلك النقطة حجابا أمام عين الملك ، بحيث يبدو القمر أسود من ذلك الحجاب .

– فتقدس من بنّاء يقيم الحصون في عالم الغيب من القول والرقى .

– اعلم أن القول هو صوت الباب من قصر السر ، فهل هو صوت فتح يا ترى أو إنغلاق ؟

– إن صوت الباب محسوس والباب خارج عن الحس ، إنكم تسمعون هذا الصوت ولا ترون الباب !!

– ولما كان صنج الحكمة حسن الصوت ، فأى باب قد فتح من روض الجنان.

٣٤٩٥ – وصوت قول الشر ... عندما ينفتح بابه ، فأى باب ينفتح من سقر على أثره ؟!!

– فاستمع إلى صوت الباب ما دمت بعيداً عن بابه ، وما أسعده ذاك الذي تفتح له شُرفه !

– وما دمت ترى أنك تفعل الخير ، فأنت تطرق على الحياة وعلى الراحة !!

– وعندما يحدث تقصير أو فساد ، تختفي تلك الحياة ، وتزول تلك اللذة .

– فلا تترك نظرك من أجل نظر الأخساء ، فإن هذه النسور تجذبك نحو جيفة .

٣٥٠٠ – فيغمض عيناً كأنها النرجس قائلاً : ماذا حدث ... هيا ... اعطنى آخذا باليد ، فأنا أعمى أيها الأخ !!

– وذلك الآخذ باليد الذي اخترته في السفر ، ترى أنت نفسك أنه أكثر عمى منك!!

– فاستمسك بيدك بحبل الله كما يفعل العميان ، ولا تطف إلا حول الأمر والنهى الإلهيين .

– فما هو حبل الله ؟! إنه ترك الهوى ، فإنه هذا الهوى صار صرصرا من أجل عاد .

– والخلق قد قبعوا في السجن من الهوى ، وقيدت أجنحة الطيور من الهوى .

٣٥٠٥– والسمكة في لهيب المقلاة من الهوى ، والحياء قد انتفى عن المحصنات من الهوى .

– وغضب الشرطى شعلة نار من الهوى ، والصليب وهول المشنقة من الهوى .

– لقد رأيت شرطة الأجساد على الأرض ، فانظر أيضاً إلى شرطة أحكام الروح .

– وللروح في الغيب أنواع من التعذيب ، لكن ما لم تهرب ، فالتعذيب في الخفاء.

– وعندما تنجو ، ترى التعذيب والدمار ، ذلك أن الضد يظهر من ضده .

٣٥١٠– وذلك الذي ولد في جب وفي ماء أسود ، أي علم له بالفرق بين لطف الوادى وألم الجب ؟!

– وعندما تتخلص من الهوى خوفا من الحق ، تصل إليك كأس من تسنيم الحق.

– " لا تطرق في هواك .... سل سبيلا من جناب الله نحو السلسبيل .

– " لا تكن طوع الهوى مثل الحشيش ، إن ظل العرش أولى من عريش "[١] .

– قال السلطان : ردوا الجواد سريعاً ، واشتروني ثانية من هذه المظلمة .

---

[١] ما بين القوسين بالعربية في المتن .

٣٥١٥- ولم يحدث الملك قلبه قائلاً : لا تخدعوا الأسد برأس البقر .

- إنك تدخل قدم الثور فيما بيننا إدعاءً ، فامض، لا يضع الحق على جواد قرن ثور !!

- فهل تراها صنعة مناسبة تماما لهذا الأستاذ العظيم، أن يضع على جسد جواد عضوا من ثور ؟!

- ذلك أن الأستاذ قد صنع الأبدان متناسبة ، وبنى قصورا متحركة !!

- وبين القصور تخريجات وصهاريج من هذه الناحية إلى تلك الناحية .

٣٥٢٠- ومن داخلها عالم بلا انتهاء ، ومن بين خيام المعسكر فضاءٌ واسع .

- وأحياناً يبدى القمر وكأنه الكابوس ، وأحياناً يبدى قعر الجب كالروضة !!

- وقبض عين القلب وبسطها من ذى الجلال ، ما دام يقوم في كل لحظة بالسحر الحلال.

- لهذا السبب طلب المصطفى ﷺ من الحق قائلاً : أرنى القبيح قبيحاً والحق حقاً !!

- حتى لا أسقط من الندم والقلق عندما تتغير الأمور في النهاية .

٣٥٢٥- وذلك المكر الذي قام به عماد الملك الفريد ، أرشده إليه مالك الملك .

- إن مكر الحق هو منبع ألوان المكر هذه ، والقلب بين إصبعى الكبرياء .

- إن من يضع في قلبك المكر والقياس ، يستطيع أن يضرم النار في الغطاء .

العودة إلى قصة ذلك الرجل الشهم

وذلك الغريب المدين وعودتهما من قبر السيد

ورؤية الرجل الشهم للسيد في النوم .... إلى آخره

- لقد بقيت هذه القصة اللطيفة بلا نهاية ، وعندما عاد الغريب من قبر السيد ؛

- اصطحبه الرجل الشهم إلى منزله ، وأودعه مائة دينار مختومة .

٣٥٣٠- أحضر له لذيذ الطعام وسامره ، بحيث تفتحت في قلبه من الأمل مائة وردة .

- كان قد رأى يسراً من بعد العسر ، وتحدث مع الغيب عن قصة هذا الأمر .

- ومر منتصف الليل ، عندما حمل النوم المتسامرين إلى مرعى الروح .

- رأى الرجل الشهم ذلك السيد الميمون في المنام تلك الليلة "واقفا" في صدر القصر.

- وقال له السيد : أيها الرجل الشهم المليح ، لقد سمعت كل ما قلته بتفصيلاته .

٣٥٣٥- لكن لم يكن عندى الأمر بالجواب ، وأنا لا أجرؤ على فتح فمى دون أن يصدر إلى أمر بذلك .

- ذلك أننا ما دمنا قد صرنا واقفين على الكم والكيف ، فقد وضعت أختام على شفاهنا .

- حتى لا تنتشر أسرار الغيب ، وحتى لا ينهدم العيش والمعاش .

- وحتى لا تتمزق حجب الغفلة تماماً ، وحتى لا يبقى قدر المحنة فجا نصف مطبوخ[1] .

- فنحن كلنا آذان وإن ذهبت صورة الأذن ، ونحن كلنا نطق وإن صمتت الشفاه[2] .

---

(1) ج : ١٤ : ٣٣٥ :

- حتى لا يقع عن الطبق غطاء الغيب ، ولا ترى عين الريب ما ينبغى أن يُرى.

(2) ج : ١٤ / ٣٣٥ :

- ونحن كلنا عيون وإن ذهبت صورة العين ، نعم كلنا عيون لا سحاب أمامها ولا غين

- ونحن غرق في البحر وإن كنا قطرة ، وكلنا في عبوس وإن كنا ذرة

- ونحن كلنا في صفاء دون حجاب الطين ، وقد صرنا معافين في دار الخلود

٣٥٤٠- وكل ما أعطيناه رأيناه هذه اللحظة ، هذه الدنيا حجاب ، والآخرة هى العين .

- إن يوم الغراس هو يوم الإخفاء ، وهو يوم بذار البذور في التراب .

- أما الحصاد ، فهو وقت استخدام المناجل ، وهو يوم الجزاء والظهور .

قول السيد في النوم لذلك الرجل الشهم

من أي موضع تقضى ديون ذلك الصديق

ودلالته لمكان دفن ذلك المال ورسالة إلى ورثته قائلاً :

لا تنظروا إليه على أنه كثير إطلاقا، ولا تمنعوا منه شيئاً

وحتى إن لم يقبله أو يقبل بعضه دعوه في مكانه يأخذه من يريده

إذ نذرت لله ألا تعود حبة من هذه الفضة إليّ أو إلى ورثتى

- انظر الآن إلى عطية الضيف الجديد ، كنت أرى انه سوف يصل.

- لقد سمعت خبراً عن دينه ، فادخرت من أجله جوهرتين أو ثلاثة .

٣٥٤٥-بحيث تكون وفاءً لدينه أو تزيد ، حتى لا يعود ضيفى وفي صدره جرح.

- إن عليه دينا تسعة آلاف دينار ذهبى ، فقل له اقض دينك من بعض هذه "الجواهر" .

- وسوف يتبقى من ثمنها الكثير فانفقه ، واذكرنى من دعائك .

- لقد أردت أن أسلمها لك بيدى ، وقد أدرجت في دفتر كذا كيفية توزيعها .

- لكن الأجل لم يمهلنى ، حتى أسلمه خفية هذه الدرر العدنية .

٣٥٥٠- فهناك عقيق وياقوت موجود في جرة عليها اسمه من أجل قضاء دينه .

- وقد دفنتها في طاق كذا ، ذلك أن هم هذا الصديق القديم أهمنى .

- ولا يعرف قيمتها سوى الملوك ، "فاجتهد بالبيع ألا يخدعوك " .

– وفي البيوع ، خوفا من الخداع افعل كما علمك الرسول ، ثلاثة أيام من الاختيار !!

– ولا تخشى كسادها ، ولا تقع 'فى الخسارة' فإن رواجها لن يضيع أبداً .

٣٥٥٥- وأبلغ ورثتى منى السلام ، وانقل إليهم هذه الوصية بحذافيرها .

– حتى لا يتهيبوا من كثرة ذلك الذهب ، ويسلموه بلا تباطؤا لهذا الضيف .

– وإن قال هو : لا أحتاج إلى هذا القدر ، فقل له خذه وأعطه لمن تشاء .

– فإنني لن استرد نقيراً مما أعطيت ، فلا يعود لبن قط إلى الثدى .

– فإن مسترد النحلة في قول لرسولﷺ كأنه الكلب يأكل ما تقيأه .

٣٥٦٠- وحتى إن أغلق الباب كيلا يأخذ الذهب ، عليهم أن يصبوا ذلك العطاء على الباب .

– بحيث يأخذ كل من يمر من هذا الذهب ، فإن هدية المخلصين لا ترد .

– لقد ادخرتها من أجله منذ عامين ، ونذرت النذور لله تعالى .

– ولو أنهم سمحوا لأنفسهم بأن يأخذوا منها شيئاً فإن الخسارة سوف تحيق بهم ، عشرين ضعفاً !!

– ولو أنهم أصابوا روحى بالذبول، فسريعاً ما ستفتح أمامهم مائة باب من المحنة .

٣٥٦٥- إننى أدعو الله بكل "لسان" لبق ، أن يوصل الحق سريعاً للمستحق .

– ثم تحدث عن مسألتين أخريين ، لن أتطرق إليهما أنا بالحديث .

– حتى تبقى القضيتان سرا مكتوما ، ولا يطول المثنوى بذكرهما !.

– فقفز من النوم مطرقعاً بأصابعه ، حيناً متغنياً بالغزل وحينا نائحاً .

– قال الضيف ، ترى ما حل بك من ماليخوليا أيها الرجل الشهم بحيث نهضت ثملاً سعيداً .

٣٧٥٠- وماذا رأيت في النوم ليلة الأمس يا أبا العلاء، بحيث لا تسعك مدينة أو فلاة ؟!

- هل رأى فيلك الهند في النوم ؟! بحيث ابتعدت عن حلقة الأصدقاء ؟! .

- قال : لقد رأيت رؤيا شديدة النفع ، وفي قلبي رأت شمساً .

- لقد رأيت السيد اليقظ في النوم ، ذلك الذي اسلم الروح من أجل رؤية " الحبيب " .

- لقد رأيت في النوم السيد الذي يعطي المنى ، " وواحد كالألف إن أمر عنى "[1].

٣٧٥٧- وظل يعدد "الأوصاف" ثملا فاقد الوعي على هذا المنوال حتى سلب السكر عقله ولبه .

- وسقط ممدداً في صحن الدار ، وتجمع حوله خلق كثار .

- وعاد إلى وعيه فقال : يا بحر السرور ، يا من وضعت الألباب في انعدام الألباب .

- ووضعت اليقظة في النوم ، ووضعت العزاء في استلاب القلب !!

- فإنك تخفي الغنى في ذل الفقر ، وعقدت طوق الدولة في غل الفقر .

٣٥٨٠- إن الضد مندرج خفية في الضد ، فالنار مندرجة في الماء المغلي .

- والروضة مضمرة في نار النمرود ، والدخول نامية من النفقات والبذل .

- حتى قال المصطفى ﷺ ملك النجاح : " السماح يا أولي النعمى رباح ".

- ما نقص مال من الصدقات قط ، إنما الخيرات نعم المرتبط "[2] .

- إن زيادة الذهب ورباه في الزكاة ، والعصمة من الفحشاء والمنكر في الصلاة.

---

[1] ما بين القوسين بالعربية في المتن.

[2] ما بين القوسين بالعربية في المتن

٣٥٨٥- إن زكاتك هذه حارسة على كيسك ، وصلاتك هذه راعيتك من الذئب .
- والفاكهة الحلوة مخفية بين الغصون والأوراق ، والحياة الخالدة تحت الموت .
- لقد صارت القمامة قوة للتراب من العطاء ، ومن التغذى عليها أنتجت الأرض الثمر .
- والوجود خبئ في العدم ، وفي طينة الساجد ، مسجود له .
- والحديد والحجر مظلمان من الخارج ، وفي الداخل نور وشمع للعالم .
٣٥٩٠- وآلاف من أنواع الأمن مضمرة في الخوف ، وفي سواد العين نور كثير .
- وداخل نور الجسد يوجد أمير ، وهناك كنز مخفى في خرابة .
- بحيث يهرب حمار عجوز من ذلك النفيس ، ويراه ثوراً وليس ملكاً ، وأعنى " بالحمار " إبليس !!

حكاية ذلك الملك ووصيته لأولاده الثلاثة قائلاً :

في سفركم هذا إلى ممالكي ،

رتبوا مكان كذا على هذا النسق

ومكان كذا نصبوا النواب على هذا النسق ،

لكن بالله عليكم لا تذهبوا إلى قلعة كذا ولا تحوموا حولها

- كان هناك ملك وكان له ثلاثة أبناء ، كلهم من أصحاب الفطنة ومن أصحاب النظر .
- كان كل واحد منهم خليقا بالمدح أكثر من الأخر ، في السخاء وفي الوغى وفي الكر والفر .

٣٥٩٥- ووقف هؤلاء الأمراء مجتمعين أمام الملك ، فهم قرة العين للملك كـأنهم الشموع .

– فعن طريق خفى يستمد نخيل ذلك الأب ماءً من عينى ابنه .

– وماء هذه العين يسرع من الابن جاريا نحو رياض الأم والأب .

– فتتجدد رياض الوالدين ، وتجرى عيناهما من هاتين العينين .

– وعندما تصير العين عليلة من المرض ، تجف أوراق ذلك النخيل وفروعه .

٣٦٠٠- وتتحدث بيبوسة النخل إلى العين قائلة : إن ذلـك الشـجر يـأخذ طلـه مـن الابن .

– وما أكثر القنوات الخفية على هذا النسق ، والمتصلة بأرواحكم أيها الغافلين .

– ويا من جذبت المواد من السماء والأرض حتى صار جسدك سميناً .

– لقد سرقت الجسد من أجزاء العالم ، اقتطعتها جزءاً جزءاً من هذا وذاك .

– ومن الأرض والشمس والسماء ، خطت الرقع على الجسد والروح.

٣٦٠٥- فلعلك تظن أنك أخذتها بالمجان ، ولن يستردها منك هذا وذاك ؟!

– إن البضاعة المسروقة لا تستمر على حـال ، لكنهـا تـأتى بـاللص حتـى أسـفل المشنقة .

– إن هذه كلها عارية ينبغى ألا تتمسك بها ، فإن عليك أن تؤدى ما أخذت .

– اللهم إلا " النفخة " التى أنـت مـن الوهـاب ، فكـن لـلروح ، فمـا عداهـا بـاطل وعبث .

– أقول أنها باطل وعبث بالنسبة للروح ، لكن ليس بالنسبة إلى صنعه المحكم .

بيان استمداد العارف من نبع الحياة الأبدية
واستغنائه عن الاستمداد والجذب من عيون الماء

التي لا وفاء لها. وأن أمارة ذلك التجافي عن دار الغرور
إذ أن الإنسان عندما يعتمد على إمدادات تلك العيون
يهن في قلب العين الباقية الدائمة :

ينبغي أن يكون العمل من داخل روحك بحيث لا يفتح أمامك باب على سبيل العارية
فان نبعا واحداً من الماء في داخل الدار أفضل من ذلك النهر الذي يأتي من الخارج

٣٦١٠- حبذا القناة التي هى أصل الأشياء ، إنها تجعلك فارغاً من هذه القنوات .
- إنك تجذب شرابك من مائة نبع ، وإن قل من هذه المائة نبع واحد ، قلت سعادتك.
- وعندما تفور من الداخل عين سنية ، تصير غنياً عن اختلاس الينابيع.
- وعندما تكون قرة عينك من الماء والطين ، يكون راتب هذه القرة من ألم القلب .
- وعندما يأتى الماء للقلعة من الخارج ، يكون فى ازدياد فى أوقات السلم .
٣٦١٥- لكن العدو عندما يحيط بها ويحاصرها ، وذلك حتى يغرق "أهلها" فى دمهم .
- يقطع ذلك الجيش الماء من الخارج ، حتى لا يكون للقلعة ملجأ منهم .
- وفى ذلك الوقت يكون بئر مالح من الداخل ، أفضل من مائة بئر حلو كجيحون من الخارج.
- إن قاطع الأسباب وجيوش الموت ، تأتى مثل الشتاء قاطعة للفروع والأوراق .
- ولا يكون لها مدد فى الدنيا من الربيع ، اللهم إلا إذا كان فى الروح ربيع وجه الحبيب.

٣٦٢٠- ومن هنا لقبت الأرض بدار الغرور ، فإنها تجذب القدم إلى الوراء يوم العبور.

- ومن قبل كانت تسرع حولك ذات اليمين وذات اليسار قائلة : لأزل عنك الألم ، ولم تزل شيئا .

- وكانت تحدثك قائلة عند الأحزان ، ليبتعد عنك الألم وليكن بينك وبينه عشرة جبال .

- وعندما هجم جيش الألم ، لم تنبس، حتى ولا تقول لك "لقد رأتك من قبل" .

- وقد ضرب الحق مثلاً بالشيطان على هذا النسق ، إنه يأتي بك إلى القتال بحيلة[١] .

٣٦٢٥- ويقول لك : سأقدم لك العون ، أنا معك ، وفى الأخطار سوف أسرع أمامك .

- أكون لك درعاً عند إطلاق السهام ، وسأكون منقذاً لك عند الضيق .

- وسوف أضحى فى سبيلك بروحى منعشاً إياك ، فيا رستم ، أيها الأسد ، كن كما يكون الرجال .

- وبهذه الإغراءات أتى به إلى الكفر ، ذلك الجوال فى الخداع والمكر والدهاء .

- وعندما خطا خطوة واحدة سقط فى الخندق ، ففتح ذاك فمه ضاحكاً مقهقهاً .

٣٦٣٠- فيناديه ، تعال ، إنى أنتظر منك الكثير ، فيقول له : امض امض أنا ضائق بك .

- إنك لم تخف من عدل الإله ، لكنى أخاف ، فامض عنى .

---

(١) ج : ١٤/٣٥٣ : - إنه يقول لك أنا ظهير لك ، فى البلاء والجفاء والعناد.

– قال الحق ، انه نفسه قد فصل بالرغم من "سابق" خيره ، ومتى تنجو أنت بهذا التزوير ؟

– والفاعل والمفعول عند الحساب مفتضحان ومعرضان للرجم .

– وقاطع الطريق ، ومن قطع عليه الطريق فى الحكم والعدل ، فى بئر البعد وفى بئس المهاد .

٣٦٣٥– والمخدوع ، والغول الذى خدعه ، مما يدعو إلى العجب إن فازا وان نجيا .

– والحمار وآخذ الحمار كلاهما هنا فى الطين ، هما هنا غافلان وهناك آفلان .

– اللهم إلا أولئك الذين يتوبون عن ذلك ، وينتقلون من الخريف إلى ربيع الفضل.

– يتوبون ، والله يقبل التوب ، يتلقون أوامره ، وهو نعم الأمير .

– وعندما يئنون ندمـــــــا ، فان العرش يهتز من أنين المذنبين .

٣٦٤٠– تهتز مثلما تهتز الأم من أجل وليدها ، يأخذ بأيديهم ، ويرفعهم إلى أعلى[1] .

– ويقول لهم : يا من اشتراكم الله من الغرور ، هذه هى رياض الفضل وهذا هو الرب الغفور .

– ومن بعد هذا يكون لكم الزاد والرزق الخالد ، من هوى الحق ، لا من القناة .

– وعندما يبدى البحر غيرته على الوسائط ، يكون الظامئ كالسمكة ، تترك القربة .

سير الأمراء فى الممالك بعد توديعهم للملك

---

(١) ج : ٣٥٤/١٤ : – فقدم قصة الأمراء ، فان هذا الحديث يزيد عن حد الامكان .

وإعادة الملك لوصيته عند الوداع

– لقد عزم هؤلاء الأبناء الثلاثة على الطريق ، نحو أملاك أبيهم برسم السفر .

– "قائمين" بالطواف حول مدنه وقلاعه ، من أجل تدبير الديوان و "أمور" المعاش[1] .

– وقبلوا يد الملك وودعوه ، فقال لهم ذلك الملك المطاع :

– حيثما تجذبكم قلوبكم امضوا في أمان الله ، وسيروا خفافاً .

– إلا ، إلى تلك القلعة المسماة "هُش رُبا : سالبة اللب" ، فإنها تضيق القباء على لابسي التيجان .

– ناشدتكم الله من تلك القلعة ذات الصور ، ابتعدوا عنها ، وخفوا من الخطر .

٣٦٥٠– فان واجهات أبراجها وظهورها وسقفها وأرضها كلها تماثيل ورسوم وصور.

– مثل تلك الحجرة التي كانت لزليخا ، كانت مليئة بالصور ، حتى تضطر يوسف إلى النظر إليها.

– ولما كان يوسف عليه السلام لا ينظر نحوها ، جعلت منزلها مليئاً بصورها من الكيد .

– حتى يجد ذلك الحسن العذار وجهها حيثما ينظر ، برغم أنفه .

– إن الإله الفرد جعل الجهات الستة مظهراً للآيات ، من أجل ذوي الأبصار المستنيرة .

٣٦٥٥– وحتى يرعى أولئك الناس من رياض الحسن الرباني ، عندما ينظرون إلى كل حي ونبات !! .

---

[1] ج : ٤ ، ٣٦١٠ : – طلبوا من الملك الاذن عند العزم ، فسمح لهم عندما رأى نيتهم صادقة.

– ومن هنا خاطب هذا الجمع قائلاً : حيث وليتم فثم وجهه .

– وإن كنتم من العطش تشربون الماء من القدح ، فأنتم ناظرون إلى الحق داخل الماء .

– ومن ليس عاشقاً يرى صورته هو في الماء يا صاحب النظر .

– وعندما تفنى صورة العاشق فيه ، قل لى من يرى آنذاك في الماء ؟! .

٣٦٦٠– إنه يرى حسن الحق في وجوه الحور ، مثل القمر في الماء ، من صنع الغيور .

– وأن غيرته تكون على العاشق والصادق ، وليست غيرته على الشيطان وعلى الدابة .

– وحتى إن صار الشيطان عاشقاً ، يكون قد اختطف "كرة" السبق ، يصبح مثل جبريل ، وتموت فيه الشيطانية .

– ومن هنا نفسر "أسلم شيطانى" وبحيث يصير من هو كيزيد في فضل أبى اليزيد .

– وهذا الحديث لا نهاية له أيها الجمع ، انتبهوا وقوا وجوهكم من تلك القلعة .

٣٦٦٥– وحذار أن يقطع عليكم هوسكم الطريق ، بحيث تسقطون في الشقاء إلى الأبد .

– إن التوقى من الخطر فرض ، فاسمعوا مني حديثا بلا غرض .

– من الأفضل أن يكون للعقل رأس حادة في البحث عن الفرج ، والابتعاد عن مكمن البلاء أفضل !!

– ولو لم يكن الأب قد قال هذا الكلام ، ولو لم يكن قد أمر بتجنب تلك القلعة ؛

– لما ذهبت خيولهم أصلا إلى تلك القلعة ، ولما مالوا إلى الذهاب إلى تلك الناحية .

٣٦٧٠– فلم تكن معروفة ، بل كانت مهجورة تماماً ، وكانت بعيدة عن القلاع والمسالك .

– وعندما منعهم عنها ، من مقاله ذاك ، سقطت قلوبهم في الهوس وفي حى الخيال .

– لقد نبتت الرغبة من هذا المنع في قلوبهم ، وأنه ينبغى التفحص عن سرها .

– فمن الذي يمتنع عن الممنوع !! لأن " الإنسان حريص على ما مُنع " .

– إن النهى لأهل التقى صار تبغيضاً ، والنهى لأهل الهوى صار تحريضاً .

٣٦٧٥– ومن هنا فانه "يغوى به قوما كثيراً " ومن هنا " يهدى به قلبا خبيراً"[1] .

– فمتى يهرب من هذا البوص الحمام الأليف ، بل يجفل من ذلك البوص حمام الهواء .

– ثم قالوا له ، لك ألف احترام ، ونحن ملتزمون بالسمع والطاعة .

– ولن نحول وجوهنا عن أمرك ، فمن الكفر الغفلة عن إحسانك .

– لكن الاستثناء وتسبيح الله ، كان بعيدا عنهم من ثقتهم في أنفسهم .

٣٦٨٠– ولقد تحدثنا عن الاستثناء والحزم الملتوى في بداية المثنوى .

– وإذا كان هناك مائة كتاب فهى ليست سوى باب واحد ، وإذا كان هناك قصد لمائة جهة فليس ثم إلا محراب واحد .

– وهذه الطرق تفضى جميعا إلى منزل واحد ، وهذه الآلاف من السنابل من حبة واحدة .

---

(١) ما بين الأقواس بالعربية في المتن .

- وأنواع المآكل تبلغ مئات الآلاف ، ولكنها كلها تعتبر شيئا واحداً .
- وعندما تشبع من أحدها تماما ، يبوخ في قلبك خمسون نوع من الطعام .
٣٦٨٥- وعندما تكون جائعاً تكون أحول البصر ، بحيث ترى الصنف الواحد آلاف الأصناف .
- كنا قد تحدثنا عن مرض تلك الجارية ، وعن الأطباء وعن قصور فهمهم .
-كان أولئك الأطباء كالخيول مفلوتة الزمام ، غافلة غير مستفيدة من الفارس.
- كانت أفواههم مليئة بالجراح من قرع اللجام ، وكانت حوافرها جريحة من تحويل الخطى !.
- ولم تفهم أنه إنما يقف على ظهرها الأن سائس ماهر مظهر للأستاذية.
٣٦٩٠- وأن حيرتها ليست من هذا الزمان ، وليست إلا من تصاريف الفارس المحب !.
- وأنها كانت تمضي من أجل الورد نحو البساتين ، وأنه أبدى الورد وكان شوكاً !.
- ولم تكن لها قط أن تقول بتأثير العقل ، ترى من الذي يقوم بركلنا في حلوقنا ؟!
-إن أولئك الأطباء كانوا عبيدًا للسبب بحيث احتجبوا عن مكر الله.
- وإذا كنت قد ربطت ثورا في اصطبل ، ثم وجدت حمارا في مكان الثور.
٣٦٩٥- فمن الحمارية أن تتجاهل الأمر كالنائم ولا تبحث متى تم هذا العمل خفية !!
-ولا تتساءل قط من يكون هذا المبدل ؟ إنه ليس ظاهراً فلعله من الأفلاك !!
-لقد أطلقت سهما ناحية اليمين ، فذهب سهمك صوب اليسار ، هل رأيت ؟!

- وهاجمت صوب غزال من أجل أن تصيده ، فجعلت نفسك صيداً لخنزير .

- وأسرعت في أثر صفقة من اجل الكسب ، ثم رأيت نفسك واقعا في سجن !

٣٧٠٠- وحفرت الآبار من أجل الآخرين ، ثم رأيت نفسك ساقطا فيها

- ولما ردك الله خائبا برغم أخذك بالأسباب ، فلماذا لا تسئ الظن بالأسباب ؟

- وكثيرٌ من الناس صاروا سادة عظاما من مصدر كسب ما ، ومن نفس المصدر ، صار آخر عرياناً .

- وكثير من الناس من زيجة ما صاروا في غنى قارون ، وكثيرٌ من الناس من زيجتهم صاروا مدينين !!

- ومن هنا فما دامت الأسباب في تحولها مثل ذيل الحمار ، فمن الأفضل أن تقلل اعتمادك عليها .

٣٧٠٥- وإن أخذت بالسبب ، لا تأخذ به هكذا بجرأة ، فإن كثيراً من الآفات مخفية وراءه !!

- وسر الاستثناء هو الحزم والحذر ، ذلك أن القدر يبدى الحمار ماعزاً[1] .

- وذلك الذي أغمض عينيه وإن كان ماهرا ، فمن حوله يكون الحمار ماعزا في عينيه.،

- ولما كان الحق هو مقلب الأبصار ، فهو أيضاً يقلب القلوب والأفكار .

- فترى البئر منزلا لطيفا ، وترى الفخ حبة ظريفة .

٣٧١٠- وهذه ليست سفسطة ، إنها تقليب الله ، هو يبدى أين تكون الحقائق .

---

[1] ج : ١٤ : ٣٦٣ :

- قد أبدى المشركين في أعين أهل بدر قلة ... حتى لا يعطوهم أي وزن !!

- وذلك الذي ينكر الحقائق ، يطوف بأجمعه حول خيالات ؛

- لا يقول إن تصور الخيال يكون لك أيضاً خيال ، فحك عينيك !!

ذهاب أبناء السلطان بحكم أن الإنسان حريص على ما منع نحو تلك القلعة الملعونة :

لقد أبدينا عبوديتنا .. لكن طبعك السئ لم يعرف شراء العبيد لقد أهملوا كل وصايا والدهم ونصائحه حتى سقطوا في بئر البلاء وأخذت النفوس اللوامة تقول لهم ﴿ألم يأتكم نذير﴾ ، فأخذوا يقولون باكين دامعين : ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾!!

-إن هذا الكلام لا نهاية له ، وهذه الجماعة ، اتخذت طريقها نحو هذه القلعة !

-لقد وقعوا على شجرة الحنطة المنهى عنها ، فخرجوا من حظيرة المخلصين .

٣٧١٥- وعندما صاروا أكثر حماساً من منعه ونهيه ، اتجهوا نحو تلك القلعة

- وخلافا لقول الملك المجتبى ، اتجهوا إلى القلعة محرقة الصبر سالبة اللب .

-وبرغم العقل الناصح ، جاءوا إلى الليل المظلم ، وانقلبوا عن النهار .

-وفي تلك القلعة الجميلة ذات الصور ، هناك خمسة أبواب على البحر وخمسة أخرى إلى البر .

-خمسة منها كالحواس" الظاهرة " عاكفة على اللون والرائحة ، وخمسة منها كالحواس الباطنة باحثة عن السر .

٣٧٢٠- وبين تلك الآلاف من الصور والنقوش والزخارف ، أخذوا يتنقلون من جهة إلى أخرى ، بلا قرار .

-فقلل السكر من أقداح الصور هذه ، حتى لا تصير ناحتا للأصنام عابداً لها .

–ودع عنك أقداح الصور ولا تتوقف عندها ، فالخمر في الكأس ، وليست من الكأس .

– وافتح فمك عن آخره نحو واهب الخمر ، فعندما تصل الخمر لا يعز الكأس[1] .

–ويا أيها الإنسان ابحث عن معناى الثابت في القلب ، واترك قشر القمح وصورته .

– ٣٧٢٥– وما دام الرمل قد صار طحيناً من أجل الخليل ، اعلم أن القمح معزول أيها الجليل .

– والصورة تأتي إلى الوجود من اللاصورة ، كما أن الدخان قد تولد من النار.

–وأقل عيوب الشئ المصور وخصاله ، أنك عندما تراه باستمرار يأتيك الملال.

–وانعدام الصورة يأتيك بالحيرة المحضة ، ومئات الأنواع من الآلات تولدت من انعدام الآلة !!

–وبانعدام الأيدى ، تقوم الأيدى دائما بالتسبيح ، والإنسان يصور روح الروح!!

٣٧٣٠– كما تنسج خيالات متنوعة في القلب من تأثير الهجر والوصال .

–فهل يشبه هذا المؤثر الأثر أبداً ؟! وهل يشبه الصراخ والعويل الضرر ؟!

–فللنواح صورة والضرر بلا صورة ، "والناس" تعض بنان الندم من الضرر الذي لا يد له .

–وهذا المثل لا يليق بطالب الدليل ، وهو جهد المقل احتيالا على الإفهام !!

–إن الصنع الذي بلا صورة يزرع صورة ، وينمو جسد منها ذو حواس وآلة .

٣٧٣٥– ومثلما تكون الصورة ، يأتي وفقا لها بالجسد إلى الخير وإلى الشر .

---

[1] ج : ١٤ / ٣٧٠ :

– وعندما تصل الخمر لا يعز الكأس ، وما دام لك أذن يأتيك الصوت باستمرار .

- فعندما تكون صورة نعمة يكون شاكراً ، وعندما تكون صورة مهلة يكون صابراً .

- وعندما تكون صورة الرحمة يصير ناميا ، وعندما تكون صورة الجرح يصير شاكياً .

- وعندما تكون صورة الحَضَر تأخذ في السفر ، وعندما تكون صورة السهم يأخذ المجن .

- وعندما تكون صورة الحسان ، يلهو ، وعندما تكون صورة الغيب ، يقوم بالخلوة[1] .

٣٧٤٠- وعندما تكون صورة الحاجة يأتي به نحو الكسب ، وعندما تكون صورة قوة الساعد يأتي بالغضب !!

- وهذا خارج عن الحد وعن الحصر ، داعى الفعل من تنوع الخيال .

- والمذاهب والحرف بلا نهاية ، وكلها ظلال لصورة الأفكار .

- والقوم قد وقفوا على سطح ما سعداء ، فانظر إلى ظل كل واحد منهم على الأرض .

- إن صورة الفكر على السطح المشيد ، وذلك العمل كالظل ظاهر على الأركان.

٣٧٤٥- والفعل على الأركان والفكرة مكتومة ، ولكنهما يكونان معا عند التأثير والاتصال .

- وتلك الصور في مجلس اللهو التى تكون من كأس السرور ، فائدتها الانسلاخ عن الذات وفقدان الوعى .

---

[1] ج : ١٤ / ٣٧٠ :

- وعندما تكون صورة الخير يتدلل ، وعندما تكون صورة الصنج يأتى بالالحان !!

– وصـورة الرجـل والمـرأة والملاعبـة والجمـاع ، فائدتهـا فقـدان الوعـي عنـد المواقعة !

– وصورة الخبز والملح وهما نعمة ، فائدتها القوة التى لا صورة لها .

– وفي الحرب تكون تلك الصورة للسيف والدرع ذات فائدة لصورة هى الظفر!!

٣٧٥٠– والمدرسة وخط التعليق وصورهما ، عندمـا اتصلت بالمعرفـة صـارت مطوية .

– وإذا كانت هذه الصور عبيدا لما لا صورة له ، لمـاذا هـى إذن تتكـر صـاحب النعمة .

– إن هـذه الصـور ذات وجـود ممـا لا صـورة لـه ، فـأى جحـود هـذا تقدمـه لموجدها؟!

– إنها نفسها تجد منه إبداء هذا الإنكار ، وهذا ليس إلا عمل معكوس !!

– فاعلم أن صورة الجدار والسقف في كل مكان هى ظل فكر المعمار .

٣٧٥٥– وبالرغم من انه في محل الفكر في حـد ذاتـه ، لا حجـر ولا خشـب ولا طوب ظاهر .

– والفاعل المطلق يقينا بلا صورة ، والصورة في يده كأنها الآلة .

– وذلك الذي لا صورة له يبدى أحيانا الصور من كتم العدم كرما منه .

– حتى تجد كل صورة المدد منه ، من الكمال والجمال والقدرة .

– ثم إن من لا صورة له عندما أخفى وجهه ، جاء من أجـل الكديـة إلـى اللـون والرائحة .

٣٧٦٠– وإذا بحثت صـورة مـن صـورة أخـرى عـن الكمـال ، فهـذا هـو عيـن الضلال .

– إذن فأى عرض لك يا عديم الأصل لاحتياجك على محتاج آخر ؟!
– فما دامت الصور عبيداً ، لا تقل إنها إله ، ولا تظن أنه صورة ولا تبحث عن تشبيه له .
– وابحث عنه في التضرع وفي إفناء نفسك ، فمن الفكر لا تأتى أمامك إلا الصور !!
– وإن لم يكن يأتينك البهاء إلا من الصور ، فإن الصورة التى تتولد فيك بدونك تكون أفضل لك !!

٣٧٦٥– إن صورة المدينة التى تمضى إليها ، تجرك إلى لذة لا صورة لها أيها السالك .
– فأنت إذن تمضى في المعنى إلى اللامكان ، فإن اللذة غير المكان والزمان .
– وصورة الرفيق الذي تمضى إليه ، أنك تمضى إليه من أجل أنسه .
– فأنت بالمعنى مضيت إلى ما لاصورة له ، مهما كنت غافلا عن هذا القصد .
– والحقيقة إذن أن الحق هو المعبود الكلى ، ففى سبيل اللذة يكون السير في السبل .

٣٧٧٠– لكن بعضهم اتجهوا إلى الذيل ، وبالرغم من أن الرأس هى الأصل ، فقد فقدوا الرأس .
– لكن تلك الرأس أمام أولئك الضالين ، سوف تقتص لحق الرأس عن طريق الذيل !!
– فذاك يجد الجزاء من الرأس وذاك من الذيل ، وقوم آخرون فقدوا القدم والرأس .
– وعندما فنوا بكليتهم ، وجدوا كليةً ، ومن القلة أسرعوا نحو الكل .

رؤيتهم في هذه القلعة ذات الصور صورة وجه

بنت ملك الصين وفقدان الثلاثة للوعي

وافتتانهم وبحثهم عن صورة من هذه !!

– إن هذا الكلام لا نتيجة له ، لقد رأت تلك الجماعة صورة ذات حسن وبهاء .

٣٧٧٥– كانت هذه الجماعة قد رأت أجمل منها بكثير ، لكنهم جميعاً غاصوا في بحر عميق.

– لك أن مخدرهم وصل من هذه الكأس ، إن الكئوس محسوسة والمخدر خفي.

– لقد فعلت فعلها قلعة " هش ربا " – سالبة العقل – وأوقعت ثلاثتهم في بئر البلاء .

– لقد أصمى سهم النظرة القلب بلا قوس ، فالامان الأمان يا من لا يطلب الأمان من أحد .

– لقد أحرقت صورة حجرية أهل القرون ، وأضرمت نارا في دينهم وقلوبهم .

٣٧٨٠– وأن تكون روحانية فماذا تكون فتنتها ، لابد أنها تكون على شكل في كل لحظة .

– وعندما أخذ عشق الصورة يطعن قلوب الأمراء كالسنان .

– أخذ كل منهم يذرف الدمع كالسحاب ويعض بنان الندم ويقول : واآسفاه !!

– لقد رأينا الآن مما رآه الملك في البداية ، لقد أخذ علينا كثيرا من المواثيق ذلك الذي لا ند له .

– وللأنبياء حق علينا كثير ، ذلك أنهم أخبرونا عن نهاياتنا .

٣٧٨٥– وأن ما تزرعه لا ينبت إلا الشوك ، وطيرانك في هذا الطرف لن يجد مجالا .

– فخذ البذر منى حتى يعطى الريع ، وحلق بجناحى فإن السهم ينطلـق مـن تلـك الناحية .

– وأنت لا تعرف وجوب هذا ولا وجوده ، ثم تقول في النهاية : لقد كان ذاك واجبا(١) .

– إنه أنت ، وكلنه ليس هذه الأنت بل تلك الأنت التى تكون واقفة على الخروج في النهاية !!

– ومن ثم فهذه الأنية الأخيرة جاءت صوب أنيتك الأولى من أجل العقاب والعطاء !!

٣٧٩٠– وأنيتك دفنت في أنية أخرى ، وأنا غلام لرجل ترى نفسه على هذا النسق .

– وذلك الذي يراه الشاب في المرأة ، يراه الشيخ في لبنة من قبله .

– لقد خرجنا عن أمر ملكنا ، وعصينا عنايات أبينا .

– وتساهلنا في أمر الملك ، وتلك العنايات التى لا أشباه لها .

– والآن منه سقطنا جميعا في خندق ، صرنا قتلى البلاء وجرحاه دون قتال .

٣٧٩٥– كان اعتمادنا على عقلنا وعلى فضلنا ، حتى حاق بنا هذا البلاء .

– لقد رأينا أنفسنا خلوا من المرض ومتحررين " من الموت " ، مثلما يرى مريض السل نفسه .

---

(١) ج : ١٤ / ٣٨٣ :

– إنه أنت ، لكن لست هذه الأنت التى هى الجسد ، إنها تلك الأنت الأعلى من نحن وأنا .

– إن هذه الأنية الطاهرة التى تظن أنها أنت ، هى في جهة ، وأنت من اللامكان

– فلماذا أنت مرتعد من أجل صدفة أيها الجوهر ، اعتبر ذاتك سكرا لا بوصا

– إن هذه الأنية الموجودة معك أنية غريبة ، فاعثر على أنيتك ودعك من الإثنينية !!

– وقد صارت العلة الخفية ظاهرة الآن ، بعد أن سقطنا أسارى وفرائس .

– إن ظل المرشد أفضل من ذكر الحق ، وقليل من القناعة أفضل من مائة دسم وطبق .

– والعين المبصرة أفضل من ثلاثمائة عصا ، العين التى تميز بين الجوهرة والحصى .

٣٨٠٠– فأخذوا في التساؤل وهم في هم عظيم ، صورة من هذا عجباً ، أهى في الدنيا ؟!

– وبعد كثير من التفحص في جولاتهم ، كشف ذلك السر شيخ بصير .

– لا عن طريق الأذن ، بل عن طريق وحى اللب ، فإن الأسرار تكون أمامه دون قناع .

– وقال : إن هذه الصورة التى تزرى بالثريا ، هى صورة بنت ملك الصين .

– إنها مختفية كالروح والجنين ، وهى مخفية في الحجب ، ودونها الإيوان !!

٣٨٠٥– فلا طريق إليها لرجل أو لامرأة ، فقد أخفاها الملك من الفتن .

– إن الملك غيور على سمعته ، بحيث لا يحلق – حتى الطائر – فوق سقفه .

– فويل لذلك القلب الذي تطرقه الرغبة في هذا الأمر ، ولا ابتلى أحد بمثل هذه الشهوة .

– وهذا هو جزاء الذي زرع بذور الجهل ، وحقر تلك النصيحة واستهان بها .

– واعتمد على تدبيره قائلاً ، سوف اجعل عملى في تقدم اعتماداً على عقلى .

٣٨١٠– ونصف ذرة من تلك العناية ، افضل من ثلاثمائة مرصد من تدبير العقل .

– فاترك مكر نفسك أيها الأمير ، وجر قدميك نحو العناية ومت سعيداً .

– إن هذا ليس معدوداً بقدر الحيلة ، فلا نفع في هذه الحيل ما لم تمت[1] .

حكاية صدر جهان بخارى

الذي كان يحرم كل سائل يسأل بلسانه

من صدقته العامة التي لا تنقطع ، وذلك العالم الفقير

الذي سأل بلسانه في الموكب لنسيانه من فرط حرصه وعجلته ،

فأشاح عنه صدر جهان بوجهه ، وكان كل يوم يقوم بحيلة ،

فحينا يجعل نفسه امرأة تحت الملاءة ، وحينا يتظاهر بالعمى

ويخفي عينه ووجهه فكان يعرفه بفراسته .. إلى آخره

– كانت خصلة سيدنا الأجل في بخارى حسن الفعال مع الطالبين .
– وكانت الهبة الكثيرة والعطاء الذي لا حصر له ، فكان حتى الليل واهبا للذهب.
٣٨١٥– وكان يلف الذهب في قطع الورق ، وكان يبذل الجود ما كان موجوداً .
– كان كالشمس والقمر لاعبا بطهر ، ما يأخذاه من ضياء يبذلانه ثانية .
– ومن الذي يهب الأرض الذهب ؟ إنها الشمس ، إن الذهب منها في المنجم والكنز في الخراب !!
– كان لكل جماعة راتبٌ كل صباح منه ، حتى لا ترد جماعة خائبة " من نواله" .
– فكان يعطى المبتلين في يوم ، وفي يوم آخر يسخو على الأرامل .
٣٨٢٠– وفي يوم آخر للعلويين الفقراء مع الفقهاء الفقراء العاملين .
– وفي اليوم الثالث للمعوزين من العوام ، وفي اليوم الرابع لأسارى الدين[2] .

---

(١) ج : ١٤ / ٣٨٤ :

– فما لم تمت لن تحصل على نفع ، فاذهب ومت وخذ نصيبك من الوجود .

(٢) ج : ١٤ / ٣٩٠ :

– وفي يوم رابع لليتامى الصغار ، وفي خامس للضعفاء الأسارى .

– وفي السادس لأبناء السبيل ، وفي السابع كان كفيلا للمكاتبين .

– وكان شرطه ألا يطلب أحد المال بلسانه ، ولا يفتح فاه على أي وجه .
– بل أن يقف المفلسون حول طريقه صاميتن كأنهم الجدران .
– وكل من يسأل بلسانه فجأة ، لم يكن يأخذ حبة من المال بسبب هذا الذنب .
٣٨٢٥– كان قانونه : من صمت منكم نجا ، كان كيسه وكأسه للصامتين .
– ونادرا ما حدث ذلك الذى حدث من شيخ قال له ذات يوم ، أعطنى من الزكاة فأنا شديد الجوع .
– فمنع الشيخ ، وألح الشيخ في الطلب، وتعجب الخلق من إلحاحه .
– فقال له : إنك شيخ وقح جدا أيها الأب ، فقال الشيخ : إنك أشد وقاحة منى !
– فقد حزت على هذه الدنيا ، وتريد من طمعك أن تجمع بين الدنيا والآخرة .
٣٨٣٠– فضحك وأعطى المال لذلك الشيخ.، ونال الشيخ وحده ذلك الإكرام .
– وغير ذلك الشيخ لم ير منه سائلٌ قط نصف حبة من الذهب أو جزءا من الدانق .
– وذات يوم من أيام نوبة الفقهاء ، صرخ فقيه فجأة من الحرص .
– وناح كثيراً ، لكن ذلك لم يجد فتيلا ، وتحدث بما شاء له الحديث ولم يجده نفعا .
– وفي اليوم التالى لف ساقه بضمادة " وجلس " منكس الرأس في صف المبتلين.
٣٨٣٥– وضع الساق في الجبائر من يمين ومن يسار ، حتى يظن انه مكسور القدم .
– فرآه وعرفه ولم يعطه شيئا ، وفي اليوم التالى غطى وجهه باللباد .

– فعرفه أيضا ، ولم يعطه ذلك العزيز شيئاً قط من ذنب السؤال ومن جرمه .
– وعندما فشل برغم مائة حيلة قدمها ، وضع طراحة على رأسه كالنساء .
– وذهب فجلس وسط الأرامل ، وطأطأ رأسه وأخفى يده .
٣٨٤٠– فعرفه أيضا ولم يعطه صدقة ، فأصابته حرقة في قلبه من الحرمان .
– فذهب إلى أحد طلاب " التبرع " بالأكفان ، وقال له : لفنى في اللباد وضعني أمام طريقه .
– ولا تفتح فمك ، اجلس ، وانظر فحسب حتى يمر صدر جهان من هنا .
– فلعله يراني ، ويظنني ميتا ، وعلى ظنه هذا ، يلقى بالمال من أجل شراء الكفن .
– وسوف أعطيك نصف ما يعطيه ، وكذلك فعل ذلك الفقير طالب العطية .
٣٨٤٥– فلفه في اللباد ووضعه على الطريق ، وتصادف أن مر صدر جهان من ذلك المكان .
– فألقى بالذهب على اللباد ، فأخرج ذلك الفقيه يده من عجلته .
– حتى لا يأخذ طالب الأكفان تلك العطية ، وحتى لا يخفى منها شيئاً ذلك للشره.
– مد " الميت " يده من تحت اللباد ، وأطل برأسه من بعد يده من تحت الغطاء .
– وقال لصدر جهان : " أنظر " كيف آخذه ، يا من أغلقت أمامي أبواب الكرم؟!
٣٨٥٠– قال له : لكن لو لم تمت أيها العنود ، لما حملت من جنابي أي جود .
– وهذا هو سر[موتوا قبل الموت]، فمن بعد الموت ، تصل الغنائم .
– وغير الموت ، لا فن آخر قط ، يؤثر في الله أيها المحتال .
– إن عناية واحدة أفضل من مائة نوع من الإجتهاد ، فالخوف على الجهد من مائة نوع من الفساد .
– وتلك العناية ، متوقفة على الممات ، ولقد جرب هذا الطريق الثقات .

٣٨٥٥- بل إن موته ليس بلا عناية أيضاً ، انتبه ، ولا تقف في مكان ما دون عناية .

- فهي الزمرد بالنسبة للأفعى العجوز ، ومتى تقلع عين الأفعى دون أن يوجد زمرد ؟!

حكاية أخوين أحدهما أجرد والآخر أمرد ،

ناما في منزل للعزاب ذات ليلة ، وكدس الأمرد طوب اللبن على مقعده ،

لكن رجلاً دب عليه ، وحمل من فوقه تلك اللبنات بالحيلة والخفة ،

فاستيقظ الولد وتشاجر ، وقال : أين تلك اللبنات ؟! وإلى أين حملتها ؟!

ولماذا أخذتها ؟! فقال له : وأنت لماذا وضعت هذه اللبنات ؟! إلى آخره ...

- حضر أمرد وأجرد حفلا ، وكان هناك جمع في ذلك المكـــــــان .

- وانشغل هؤلاء القوم المختارون ، حتى انقضى النهار وذهب من الليل ثلثاه .

- فلم يذهبا عن منزل العزاب ذاك ، وناما في ذلك المكان ، خوفا من العسس .

٣٨٦٠- كان للأجرد على ذقنه شعيرات أربعة ، لكن وجهه كان كالبدر .

- لكن الولد الأمرد كان قبيح الوجه ، فوضع خلف مقعده عشرين لبنة .

- فدب عليه لوطى بليل في الزحام ، ونقل اللبنات ذلك الذي تمكلته الشهوة .

- وعندما مد عليه يده ، قفز من مكانه ... وقال ... هه ، من أنت يا عابد الكلب؟!

- فقال له : كيف جمعت هذه اللبنات الثلاثين ؟! فأجاب : وكيف أخذتها إذن تلك اللبنات الثلاثين؟![١]

---

[١] ج : ١٤ / ٣٩٥ :

- وقال أيها الدب الجهنمي التافه ، يا أيها الأبله فاقد الخاصية كالرمل .

٣٨٦٥- إننى ولد مريض ومن ضعفى ، وضعتها احتياطاً ، ومن أجل أن أستند إليها .

- فقال : إذا كنت تتقى المرض ، لماذا لم تذهب إلى دار الشفاء ؟!

- أو إلى منزل طبيب مشفق ، حتى يشفيك من سقامك هذا .

- فقال : من أين أعلم إذن .. أننى حينما أذهب أصير ممتحنا ؟!

- وأن زنديقا نجسا مثلك ، سوف يطل برأسه أمامى كالوحش ؟!

٣٨٧٠- والتكية التى هى أفضل مكان ، لم أر الأمان فيها لحظة واحدة .

- فإن شرذمة من أكلة الجرجير ، يلتفتون إلىّ ، عيونهم مليئة بالشهوة ، وأيديهم تحك خصيهم !!

- والشريف منهم يسترق النظر إلى ، وهو يحك في ذكره[1] .

- فإذا كانت الخانقاه على هذا الحال ، فكيف يكون السوق العام ، قطيع من الحمر ، ومجمع للأجلاف .

- فأين الحمار من الشرف والتقوى ، وأى معرفة للحمار بالخشية والخوف والرجاء ؟!

٣٨٧٥- وعندما يكون عقل يكون باحثاً عن الأمن والعدل ، سواء على الرجل أو على المرأة ، لكن أين العقل؟!

- وإذا هربت ومضيت صوب النساء ، فإننى أسقط في الفتنة كيوسف عليه السلام !!

---

(١) ج : ١٤ : ٣٩٥ :

- إن صديقنا الشريف ليس له إلا النظر ، لكن الدين على خطر شديد من هذا النظر.

– لقد لقي يوسف عليه السلام من المرأة السجن والعذاب ، أما أنا فسوف أوزع على خمسين مشنقة .

– فإن أولئك النسوة من جهلهن يتجمعن على ، أما أولياؤهن فيهمون بقتلى !!

– فلا حيلة لدى سواء من الرجال أو من النساء ، وماذا أفعل ولست من هؤلاء أو أولئك ؟!

٣٨٨٠– ثم نظر ذلك الولد إلى الأجرد وقال : لقد نجا من الحزن بشعرتين .

– إنه فارغ من اللبنات وسخرة اللبنات ، ومن ابن زنا قبيح عملاق مثلك .

– أن ثلاث أو أربع شعرات على الذقن كنموذج ، أفضل من ثلاثين لبنة حول المقعد .

– وذرة من ظل العناية ، أفضل من آلاف الجهود من عابد للطاعة .

– ذلك أن الشيطان يقتلع لبنات الطاعة ، وإن كان هناك مائتا لبنة يجد طريقا[1] .

٣٨٨٥– واللبن وإن كان كثيرا فهو من وضعك أنت ، وتلك الشعرتان أو الشعرات الثلاثة من عطاء تلك الجهة .

– والحقيقة أن كل شعرة منها بمثابة الجبل ، فإن صك الأمان هذا عطاءٌ ملكى!!

– إنك إن وضعت مائة قفل على باب ، يقوم ظالم باقتلاعها جميعاً .

– ولو وضع شرطي ختما من الشمع ، فإن قلوب الأبطال تهلع منه .

– إن هذين الخيطين أو الخيوط الثلاثة من العناية صارت سدا كالجبل ، مثل بهاء السيماء في الوجوه .

---

[1] ج : ١٤ / ٣٩٦ :

– فإنه لا يجرؤ على عنايته ، حتى يجعل لنفسه نصيبا منها .

٣٨٩٠- فلا تترك اللبنات يا حسن الخلقة ، لكن لا تنم آمنا أيضاً من الشيطان القبيح .

- وامض ، واحصل على شعرتين من ذلك الكرم ، وحينذاك فنم آمنا ولا تهتم .

- فنوم العالم افضل من العبادة ، لكن ذلك العلم الذي يكون موقظاً !!

- وذلك السكون للسباح في عومه ، افضل من جهد الجاهل بيده وقدمه(١) .

- لقد جاء الجاهل بيده وقدمه وغرق ، بينما يمضى السباح ساكنا كالعمد .

٣٨٩٥- والعلم بحر بلا حد ولا شاطئ ، وطالب العلم غواص في البحار .

- وإذا كان عمره آلاف السنين ، فإنه لا يشبع من البحث والتحقيق .

- فإن رسول الحق قال في بيانه إنهما منهومان لا يشبعان .

في تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ إذ قال :

منهومان لا يشبعان طالب الدنيا وطالب العلم ،

وأن هذا العلم ينبغي أن يكون غير علم الدنيا حتى يكونا قسمين ، لأن علم الدنيا دنيا ... وإذا كان هو المقصود لكان الأمر تكرارا طالب الدنيا وطالب الدنيا ولما كان تقسيما .... مع بيانه

- " طالب الدنيا وتوفيراتها ، طالب العلم وتدبيراته "(٢) .

- إذن فإنك عندما تمعن النظر في هذا التقسيم ، فإن هذا العلم يكون غير الدنيا ، أيها الأب .

---

(١) ج : ١٤ / ٣٩٦ :

- إن السباح في الماء ساكن اليد والقدم ، يمضى افضل من الجاهل الذي يتخبط.

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

٣٩٠٠- وماذا يكون غير الدنيا ؟! إنها الآخـرة ، التـي تقتلعـك مـن هنـا وتصـير مرشدا لك[١] .

تباحث هؤلاء الأمراء الثلاثة في تدبير تلك الواقعة

- التفت هؤلاء الثلاثة المفتنون إلى بعضهم ، فهم الثلاثة في تعب واحد وألم واحد وحزن واحد !!

- وثلاثتهم يفكرون في شئ واحد ، ويشاركون في شهوة واحدة ، وثلاثتهم مرضى من علة واحدة وألم واحد .

- وفي الصمت يكون خاطر الثلاثة واحداً ، وعند الكلام حجة الثلاثة واحدة .

٣٩٠٥- فحينا يكونون جميعا ذارفين للدمع ، نازفين للدم ، على مائدة المصيبة .

- وحينا يكون هؤلاء الثلاثة من تأثير نار القلب متنفسين بحرقة كأنهم المجمر .

مقال الأخ الأكبر

- قال ذلك الأخ الأكبر : يا إخوان الخير ، ألم نكن شجعان في نصح الغير ؟!!

- وكل من كان يشكو إلينا من الحشم ، من البلاء والفقر والخوف والزلزلة .

- كنا نقول له : قلل من التفجع عند الحرج ، واصبر فالصبر مفتاح الفرج .

- فماذا حدث لمفتاح الصبر الأن ، ووا عجبا هل نسخ هذا القانون ؟! وماذا حدث ؟!

٣٩١٠- ألم نكن نقول في الملمات : اضحكوا سعداء في النار كأنكم الذهب .

- ألم نقل للجيش إبان إحتدام المعركة ، انتبهوا لا تشحبن وجوهكم ؟

- وفي ذلك الزمان الذي كانت فيه الجياد تطأ الرؤوس المقطوعة تحت أقدامها ؛

---

(١) ج : ١٤ : ٣٨٩ :

- وغير الدنيا تكون الأخرة يقينا ، تحملك من هذا المكان إلى هناك أيها الأمين .

– كنا نشجع جندنا قائلين ، هيا ... هيا ... تقدموا قاهرين كالسنان !!

– لقد أبدى العالم كله بالصبر ، ذلك أن الصبر هو مصباح الصدر ونوره .

٣٩١٥– وحل دورنا ، فلماذا دارت رؤوسنا ؟! ولبسنا الطراحات كالنساء القبيحات .

– ويا أيها القلب الذي قمت بتشجيع الجميع ، شجع نفسك واخجل من نفسك .

– ويا أيها اللسان الذي كنت ناصحاً للجميع ، جاءت نوبتك ، فلماذا صمتت ؟!

– ويا أيها العقل ، أين نصائحك الحلوة ، الدور دورك الأن فأين صارت تنبيهاتك ؟!

– ويا من شفيت القلوب من مائة اضطراب ، لقد حل دورك فحرك لحيتك !!

٣٩٢٠– فإذا كنت لا تحرك اللحية الأن من أبنتك ، فقد كنت تسخر قبل الآن من لحيتك .

– فأنت في وقت نصح الأخرين عالى الصوت ، وفي غم حاق بك صارخ كالنسوة .

– وكيف كنت دواء لألام الآخرين ، ثم حل بك الألم ضيفا فصمتت ؟!

– كان الصياح بالمعسكر لحنا لك ، هيا صح فما الذي حبس صوتك ؟!

– إن ما نسجته خمسين سنة بلبك ، أليس من نسيجك هذا فقطان حرب ؟ إلبسه..

٣٩٢٥– كانت آذان الأصدقاء سعيدة من صوتك ، فأخرج يدك الأن ، واسحب أذنك .

– كنت رأسا دائماً ، فلا تجعل نفسك ذيلا، ولا تفقد يدك وقدمك ولحيتك وشاربك!!

– إن اللعبة هى لك الآن على وجه البساط ، فكن على طبيعتك ونشط نفسك[1] .

ذكر ذلك الملك الذي أتى بذلك العالم إلى مجلسة بالإكراه وأجلسه ، وعرض الساقي الشراب على العالم ووضع الكأس أمامه فاعرض بوجهه وبدأ في العبوس والحدة ، فقال الملك للساقي : هيا ... اجعله على طبيعته فضربه الساقى بضع لكمات على رأسه وجرعه الشراب ... إلى آخره

– كان أحد الملوك ثملا في مجلسه ، وكان يمر على بابه أحد الفقهاء .

– فأمر بأن يجروه إلى المجلس ، وأن يسقوه من الشراب الياقوتى .

٣٩٣٠– فجروه إلى الملك بالرغم منه ، فجلس في المجلس عبوسا كأنه السم والأفعى .

– وعرضوا عليه الخمر فأبى بغضب ، وأشاح بعينه عن الملك وعن الساقى .

– وقال : إننى لم أتناول الشراب طوال عمرى ، وأفضل عندى مساغاً من الشراب السم الزعاف .

– هيا ... أعطونى سما بدلا من الخمر حتى تخلصونى من نفسى وتخلصوا أنفسكم منى ..

– وبدأ في العربدة دون أن يشرب خمرا ، فصار ثقيلاً في المجلس كالموت والألم .

٣٩٣٥– مثل أهل النفس وأهل الجسد ، جالسوا أصحاب القلوب في الدنيا .

– والحق لا يخفى خاصته ، فهم لا يشربون إلا من خمر الأحرار .

---

[1] ج : ١٤ / ٣٩٩ :

– واستمع إلى هذه الحكاية أيها العاقل ، حتى تعلم سنداً في هذا المعنى .

- إنهم يعرضون الكأس على المحجوب ، ولا يجد الحس منها غير الكلام .
- فيعرض عن إرشادهم ،إذ لا يرى عطيتهم بالبصيرة .
- ولو كان هناك طريق من أذنه حتى حلقه ، لدخل سر نصحهم في باطنه .

٣٩٤٠- ولأنه كله نار ، ليست روحه نوراً ، ومن الذي يلقى في النار المحرقة إلا القشور ؟

- لقد بقى اللب خارجا وتشرب قشر الكلام ، ومتى تصير المعدة من القشر شبعى نشطة ؟!
- وليس من حطب لنار جهنم إلا القشر ، وليس للنار عمل قط مع اللب .
- وإذا كان لنار ما لهيب على لب ، فاعلم أن هذا من أجل الإنضاج لا من أجل الإحراق .
- وما دام الحق الحكيم موجوداً ، فاعلم أن هذه القاعدة مستمرة ، فيما مضى وفيما لم يأت بعد .

٣٩٤٥- فالألباب الذكية والقشور كلها مغفور لها منه ، فكيف يحرق اللب إذن ؟! تعالى عن ذلك .

- فإذا كان يدقه على رأسه من العناية ، فذلك من أجل أن يشتهى الشراب الأحمر .
- وإن لم يدقه ، لبقى مغلق الفم "محروماً " كالفقيه، من شراب هؤلاء الملوك ومن مجلسهم .
- قال الملك لساقية : يا حسن الخطى ، لماذا أنت صامت ؟ هيا واجعله سريعا على طبيعته .
- فهناك حاكم خفى على كل عقل ، يفصل كل من يرد - بفنه - عن رأسه .

٣٩٥٠- وشمس المشرق وقيامها ببث النور ، مقيدة في أغلاله كالأسرى .

- إنه يجعل الفلك يدور في لحظة واحدة ، عندما يقرأ على رأسه نصف " رقية " من فنه .

- إن العقل هو من سخر عقلا آخر له ، إنه أستاذ في النرد يلقى الزهر سريعاً .

- فضربه بضع لكماتَ على رأسه قائلاً : خذ ، فتجرع خوف الصفع ذلك الشراب المر.

- فثمل وصار فرحا ضاحكا كالبستان ، وانطلق في المنادمة والضحك وقول الفكاهات .

٣٩٥٥- صار جريئا سعيدا وطرقع بأصابعه ، ومضى نحو المرحاض كي يبول.

- وكانت في المرحاض جارية كالقمر ، جميلة جداً ، من محظيات الملك .

- وعندما رآها ، بقى فمه مفتوحاً ، وغاب العقل ، وبدأ " دور " الجسد الذي يزاول الظلم .

- كان قد عاش عمرا وهو أعزب مشتاق ، فتشبث في الجارية في التو واللحظة بكلتا يديه .

- وقاومت تلك الجارية كثيرا وصرخت ، لكن ذلك لم يؤثر فيه ولم يجد فتيلا .

٣٩٦٠- فإن المرأة في يد الرجل عند اللقاء ، تكون كالعجين في يد الخباز .

- يعجنه حينا لينا وحينا غليظا ، ويجعله يطلق أصواتا تحت قبضته .

- أحياناً يبسطه عريضا فوق اللوح ، وأحيانا يجمعه كله في قطعة واحدة .

- حينا يصب فيه الماء وحينا الملح ، ويجعل له المحك من تنوره وناره .

– وهكذا يلتف كل على بعضه ، المطلوب والطالب ، في هذه اللعبة، المغلوب والغالب .

٣٩٦٥– وليس هذا اللعب قاصرا على الزوج والزوجة ، بل هذا الفن لكل معشوق وعاشق .

– ومن القديم والحادث والعين والعرض ، التفاف مفترض مثل " ويس ورامين".

– لكن لعب كل واحد ذو لون مختلف ، والتفاف كل " على الآخر " من فن مختلف .

– ولقد ذكر الزوج والزوجة على سبيل المثال ، بما يعني : أيها الزوج ، لا تسئ معاملة الزوجة .

– ففي ليلة الزفاف ، ألم تضع الكنة يدها في يدك كأمانة طيبة !!

٣٩٧٠– قائلة : إن ما تفعله معها أيها المعتمد ، يفعله معك الله من خير وشر

– الخلاصة : أن هذا الفقيه من فقدانه لنفسه ، لا بقيت عنده عفة ولا زهد .

– لقد وقع ذلك الفقيه على تلك الحورية ، وأضرمت ناره في ذلك القطن .

– التقت الروح والتقت الأجساد ، وأخذا يتقلبان كطائرين ذبيحين .

– فما السقاية ؟ وما الملك؟ وما الأسد ؟! وما الحياء ، وما الدين ، وأين الخوف والخشية على الروح ؟!

٣٩٧٥– واستدارت حدقتاهما ، وجحظتا ، فلا حسن ظاهر هنا ولا حسين .

– وطال الأمر... وأين طريق العودة ؟ وطال انتظار الملك عن الحد .

– وجاء الملك ليرى الواقعة ، فرأى هناك زلزلة القارعة .

– ونهض ذلك الفقيه خوفا ومضى صوب المجلس ، واختطف الكأس سريعاً .
– والملك كالجحيم ملئ بالشرار والنكال ، صار ظامئاً لدم هذين الشريرين .
٣٩٨٠– وعندما رأى الفقيه وجهه شديد الغضب والقهروقد صار عبوساً دمويا مثل كأس السم .
– صاح بساقيه : يا أيها المضياف ، لم جلست حائرا ؟ إجعله على طبيعته .
– فضحك الملك وقال : أيها العظيم ، لقد صرت على طبيعتى ، وهذا الفتاة لك .
– إننى ملك وعملى هو العدل والإنصاف ، وآكل مما أعطاه جودى للصديق .
– وذلك الذي لا أشربه كالشهد ، كيف أطعمه للرفيق والقريب والصفى ؟!
٣٩٨٥– ومن هنا فإننى أطعم غلمانى ، مما آكله أنا على مائدتى الخاصة .
– ومن هنا فأنا أطعم عبيدى من الطعام الذي آكله سواء كان ناضجا أو نيئاً .
– ولأنى ألبس من الخز وألبس من الأطلس ، فإننى من هنا لا أكسى الحشم بالخرق .
– إننى استحيى من النبى صاحب الأفضال الذي قال : { ألبسوهم مما تلبسون}.
– ولقد أوصى النبى أبناءه في " الدعوة " قائلاً : { أطعموا الأذناب مما تأكلون}[1] [2] .
٣٩٩٠– ولقد جعلت الكثيرين على طبيعتهم ، وجعلتهم في الصبر خفافا راغبين.
– فاجعل نفسك على طبيعتك برجولة ، وأجعل العقل المفكر في الصبر دليلا .

---

[1] ما بين الأقواس بالعربية في المتن .
[2] ج : ١٤ / ٤٠٤ :
– وتصرف الفقيه وحمل معه زوجة طيبة من العطاء الخاص لكشاف الكروب .

– وعندما يكون مرشد الصبر جناحا لك ، فإن الروح تحلق إلى أوج العرش والكرسى .

– وانظر إلى المصطفى ﷺ الذي صار صبره براقا ، جذبه إلى أعلى الطباق[١].

مضى الأمراء بعد تمام المناقشة وما جرى صوب الصين

حيث المعشوق والمقصود حتى يكونوا بقدر الإمكان

أقرب إلى المقصود فإذا كان طريق الوصل مسدودا

فالقرب بقدر الإمكان محمود ... إلى آخره

– [٢] لقد قالوا هذا وبدأوا في السير سريعاً ، وكل ما كان يا رفيقى كان في تلك اللحظة .

٣٩٩٥– اختاروا الصبر وصاروا من الصديقين ، ثم اتجهوا إلى بلاد الصين .

– وتركوا الوالدين والملك ، وسلكوا طريق المعشوق .

– مثل إبراهيم بن أدهم ، جعلهم عشقهم من سرير الملك فقراء ، لا يعرفون لأنفسهم رأسا من قدم .

– أو كإبراهيم المرسل ﷺ ، ألقى بنشوة رأسه في النار .

– أو كإسماعيل الصبار المجيد ﷺ ، مد حلقه أمام العشق وخنجره !!

---

(١) ج : ١٤ / ٤٠٤ – ٤٠٥ :

– وعندما احترف أيوب العظيم الصبر ، فتح له من البلاء باباً من الرحمة

– فالصبر هو الصدر على أي حال يكون ، فلا تفرط في الصبر من يدك ما استطعت

– ألم تسمع الصبر مفتاح الفرج ، بحيث عكفت على هذه العجلة ؟!

– إن الصبر يأتي للعشاق برغبة القلب ، ولمسلوبي القلوب يكون الصبر راحة لها

– ولا حد لهذا الكلام فاقصر فيه ، وتحدث عن حديث العاشقين .

(٢) ج : ١٤ / ٤١٧ :

– عد أيها العاشق وسق سريعا ، فأولئك الأمراء في انتظارك

– فالأمراء الثلاثة مثل القاعدين عن العمل ، عذبهم العشق في حد ذاته.

حكاية امرئ القيس الذي كان ملكا على العرب وكان على قدر كبير من الجمال في خلقته ، وكان نسوة العرب كزليخا قتيلات هواه كما كان شاعرا موهوبا نظم : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . وإذا كن النسوة يبحثن عنه بأرواحهن فعجبا مما كان غزله وتوجعه ؟! تراه علم أنهن كلهن تماثيل مصورة نقشت على لوح التراب ؟! وفي النهاية وجد امرئ القيس هذا حالا بحيث هرب في منتصف الليل من ملكه وهجر ولده وأخفى نفسه في خرقة درويش وتنقل من ذلك الإقليم إلى إقليم آخر في طلب ذلك الذي يكون منزها عن الإقليم ﴿ يختص برحمته من يشاء ﴾ إلى آخره

٤٠٠٠- إن امرئ القيس قد جذبه هو الآخر العشق من بلاد العرب ومن الممالك متيبس الشفة[١] .

- حتى جاء وأخذ يقوم بصناعة الطوب اللبن في تبوك ، فقيل للملك إن ملكاً من الملوك ؛

- اسمه امرؤ القيس جاء هنا للكد ، وهو في صيد العشق يقوم بصنع الطوب .

- فنهض ذلك الملك وسار إليه بليل ، وقال له : أيها الملك الجميل ؛

- إنك يوسف الأوان وكمل لك الملكان ، وأطاعتك البلاد ودان لك الجمال .

---

[١] ج : ١٤ / ٤١٩ :

- كان رقيق الطبع وكان صاحب جمال ، وكان شاعراً وصاحب أصول الكمال

- وعندما طرق العشق الحقيقي قلبه ، برد لديه ملكه وأهله ومنزله

- فلبس خرقة في منتصف الليل ومضى ، وهرب من ملكه سريعاً .

٤٠٠٥- صار الرجال عبيداً لك بسيفك ، وأولئك النسوة ملك لقمرك الذي بلا سحاب .

- وأن تكون عندنا فهذا من إقبالنا ، وروحنا من وصلك تصير مائة روح .

- فأنا وملكى كلانا مملوكان لك ، يا من تركت أعمالك بهمتك .

- أخذ يتحدث إليه كثيرا بالفلسفة وهو صامت ، وفجأة كشف له القناع عن السر .

- وما إن همس في أذنه عن العشق والألم ، حتى جعله مثله في الحال شريداً.

٤٠١٠- فأخذ بيده وصار رفيقا له ، إذ صار هو أيضاً ضائقا من العرش ومن الحزام .

- وذهبا معا هذان الملكان إلى بلاد بعيدة ، والعشق لم يقم بهذا الذنب مرة واحدة.

- إنه شهد عند الكبار ولبن عند الأطفال ، وهو في كل سفينة يكون المن الأخير[١] .

- وغير هذين الاثنين هناك ملوك بلا حصر ولا عدد ، اختطفهم العشق من الملك والآل .

- وأرواح هؤلاء الأمراء الثلاثة حول الصين ، صارت كالطيور تلتقط الحب من كل صوب .

---

[١] ج : ١٤ / ٤١٩ :

- الذي عندما يوضع في سفينة يغرقها ، ويجعلها في القاع بأجمعها

- وقصة كيخسرو ملك الزمان ، مشهورة بين الإنس والجان .

٤٠١٥- فلا جرأة لديهم لكى يفصحوا عما في الضمير ، ذلك انه كان سرا شديد الخطورة .

- ومئات الآلاف من الرؤوس بقطعة واحدة من النقود في تلك اللحظة ، شد من أجلهم العشق الغاضب وتر القوس .

- والعشق حتى في وقت السعادة ودون غضب ، لديه خصلة ، وهو أنه يقتل خبط عشواء لحظة بلحظة .

- وهكذا يكون في تلك اللحظة التى يكون فيها راضياً ، فماذا أقول عنه عندما يكون غاضباً ؟!

- لكن مرج الروح فداء لأسده ، ذلك الذي يقتله هذا العشق بسيفه !!

٤٠٢٠- فهو قتل أفضل من آلاف من أنواع الحياة ، إن أنواع الملوكية قتيلة من أجل هذه العبودية .

- أخذوا يتحدثون إلى بعضهم البعض كناية بالأسرار ، وأخذوا يتهامسون بمائة خوف وحذر .

- فليس على السر من مطلع إلا الله ، وليس من نجى للآهة إلا السماء .

- كانوا قد اصطلحوا فيما بينهم على بعض المصطلحات من أجل إيراد الخبر .

- فلو تعلم العوام من لسان الطير هذا ، لألقوا بالرئاسة والفيهقة بعيداً .

٤٠٢٥- إن ذلك الكلام هو صورة أصوات الطير ، أما الرجل الساذج فهو غافل عن حال الطير !!

- فأين سليمان ﷺ الذي يعلم منطق الطير ؟! فالشيطان وإن استولى على الملك ، فهو غير " سليمان " .

– لقد وقف الشيطان على شبيه سليمان ، كان لديه علم المكر ، ولم يكن لديه مصداق ﴿ عُلمنا ﴾ .

– وعندما كانت بشاشة سليمان ﷺ من الإله ، كان لديه منطق الطير ، ومصداق علمنا .

– وافهم أنت هذا من ذلك الطائر الهوائى ، إذ انك لم تر الطيور التى من لدن " الله " !!

٤٠٣٠– إن موضع العنقاوات يكون الجهة الأخرى من قاف ، وليس لكل خيال يد ناسجة .

– اللهم إلا ذلك الخيال الذي رآه اتفاقا ، ثم وقع له بعد العيان الفراق .

– ليس الفراق النهائى ، بل فراق المصلحة ، فإن تلك المنقبة آمنة من كل فراق.

– ومن أجل استبقاء تلك الروح في ذلك الجسد ، تسحب الشمس لحظة نفسها من الثلوج ..

– ومن أجل روحك اطلب الصلاح منهم ، وانتبه ولا تسرق منهم مصطلحاتهم .

٤٠٣٥– لقد سمت زليخا كل الأشياء من الحرمل حتى العود باسم يوسف ﷺ .

– وأخفت اسمه في الأسماء ، لكنها أخبرت خلصاءها بسر ذلك .

– فعندما كانت تقول أن الشمع قد لان من النار ، فإنها تعنى : أن ذلك الحبيب كان رفيقا بنا .

– وإذا قالت " انظروا قد طلع القمر " أو قالت " إخضر غصن الصفصاف ".

– أو قالت إن الأوراق تهتز سعادة ، أو قالت " إن البخور تحترق جيداً ".

٤٠٤٠– أو قالت باح البلبل بالسر للوردة ، أو قالت : باح الملك بسر الأميرة .

– أو قالت " أى حظ ميمون " أو قالت " ابسطن المتاع " .

– أو قالت " جاء السقاء بالماء " أو قالت " ارتفعت الشمس " .

– أو قالت " بالأمس طبخوا قدرا " من الطعام " أو أنهم جعلوا المواد كلها من الإنضاج قطعة واحدة !!

– أو قالت : إن أرغفة الخبز بلا ملح أو قالت : إن الفلك يسير مقلوبا .

٤٠٤٥– أو قالت " رأسي تصدعني " أو قالت " لقد خف ألم صداعي "[١] .

– فإن قالت ما فيه مدح ، فهذا يعني قربه ، وإن قالت ذما فهذا يعني فراقه .

– وإن كانت تختلط مئات الأسماء ببعضها ، فإنها كانت تقصد يوسف وتعنيه !!

– ولو كانت جائعة وذكرت اسمه ، كانت تشبع وتثمل بكأسه .

– كان ظمؤها يرتوى من اسمه ، كان اسم يوسف يصير لها شراباً باطنياً .

٤٠٥٠– وعندما كانت تشكو ألما فمن ذلك الاسم السامي ، كان العلاج الناجع لألمها في الحال .

– كان بالنسبة لها الفراء في وقت البرد ، وهذا ما يفعله عند العشق اسم الحبيب

– والعوام يقرأون في كل لحظة الإسم الطاهر ، لكنه بلا تأثير ، لأن ذاكره ليس عاشقاً .

– وما فعله عيسى ﷺ باسم الله ، كان يتحقق لها " أي زليخا " عند ذكر اسمه " أي يوسف " .

– وعندما صارت الروح متصلة بالحق ، فذكره ذكرها ، وذكرها ذكره .

٤٠٥٥– تكون خالية من نفسها مليئة بعشق الحبيب ، وكل إناء ينضح بما فيه .

---

[١] ج : ١٤ / ٤٢١ :

– وكان الخلصاء يعرفون أخبارها من قولها ، وعما إذا كان قد حدث لها ما يوافق أو ما يخالف!!

– إن الضحكة تفوح بعبير الوصل ، بينما يفوح البكاء بمرارة البعاد[1] .

– وكل امرئ له مائة مراد في قلبه ، وهذا لا يكون في مذهب العشق والوداد .

– إن شمس العشق في النهار هى وجه المحبوب ، وتكون الشمس لوجهه كأنها النقاب .

– وذلك الذي لايعرف النقاب من وجه الحبيب ، هو عابد للشمس، اخلع اليد منه!!

٤٠٦٠– فهو النهار وهو أيضاً رزق العاشق ، هو القلب ، وهو حرقة القلب عند العاشق .

– لقد صار متاحا للأسماك من نفس الماء ، الخبز والشراب والكساء والدواء والنوم .

– مثل الطفل راضع اللبن من الثدى ، لا يعرف من العالمين سوى اللبن .

– سواء عرف الطفل اللبن أو لم يعرفه ، فلا طريق للتدبير إلى هذه الناحية .

– لقد أصاب هذا الكتاب المستدير الروح بالذهول وذلك حتى تجد الفاتح والمفتوح .

٤٠٦٥– فلا تكون ذاهلة في المسير بل هى فيه ، ذلك أن البحر هو الذي يحملها لا السيل ولا الجدول .

– وحين يجدها من يجدها يضيع ، ويصير كالسيل غريقا في البحر .

– إن البذرة ضاعت وآنذاك صارت شجرة تين ، وهذا هو معنى ما لم تمت لا أهب الذهب .

---

[1] حرفيا : بزعفران الوداد وبرائحة البصل .

بعد مكثهم متوارين في بلاد الصين

في حاضرة الملك وبعد طول الصبر ، ونفاد صبر الأخ الأكبر وقوله :

إني ذاهب أعرض نفسي على الملك فوداعاً :

" إما قدمي تنيلني مقصودي   أو ألقي رأسي كفؤادي ثمة

إما توصلني قدمي إلى المقصود والمراد   أو أفقد رأسي هناك كما فقدت قلبي

وعدم جدوى نصيحة أخويه له :

يا عاذل العاشقين دع فئة   أضلها الله كيف ترشدها

– قال الأكبر : يا أخوى ، لقد بلغت روحى الحلقوم من الانتظار .

– لقد صرت لا مبالياً ولم يبق لى صبر ، وهذا الصبر يلقى بى في النار .

٤٠٧٠ – لقد فلت طاقتى من هذا الصبر ، وصارت واقعتى هذه عبرة للعشاق .

– ولقد مللت الروح في الفراق ، والحياة في الفراق من النفاق .

– فحتام يقتلنى ألم فراقها ؟! فلأقطع الرأس حتى يهبنى العشق رأساً .

– إن دينى هو الحياة من العشق ، والحياة " المستمدة " من هذه الرأس وهذا الجسد عارٌ علىّ .

– والسيف هو نافض الغبار عن روح العاشق ، ذلك أن السيف هو محاء الذنوب.

٤٠٧٥ – وعندما انتفى غبار الجسد فقد تألق قمرى ، ووجد قمر روحى الهواء الصافى .

– ولأعمار على طبل عشقك أيتها الحسناء ، أدق " لحن " إن في موتى حياتى .

– ولقد ادعت الروح أنها من الطيور المائية ، فمتى تصرخ من طوفان البلاء ؟!

– وأى حزن للبط من غرق السفينة ، وتكفيه قدمه سفينة على الماء .

– وروحي وجسدى يعيشان على هذه الدعوى ، فكيف أكف إذن عن هذا الادعاء ؟!

٤٠٨٠– إنني أرى الأحلام لكنى لست بنائم ، وأنا مدع ، لكنى لست بالكذاب .

– وإن أنت ضربت عنقى مائة مرة ، أكون كالشمع ، أنشر الضياء .

– والنار إن أضرمت في البيدر من قدام ومن وراء ، تكفى السراة هالة ذلك القمر .

– لكن حيلة الأخوة جعلت يوسف عليه السلام مخفيا عن يعقوب النبى عليه السلام .

– لقد أخفوه باصطناعهم الحيلة ، لكن القميص دل عليه آخر الأمر .

٤٠٨٥– وقد نصحه " أخواه " عند حديثه ، وقالا له : لا تكن غافلا عن الأخطار المحدقة بك .

– انتبه ، ولا تنثر الملح على جراحنا ، وحذار لا تشرب هذا السم " إعتمادا " على التجلد والشك .

– وكيف تمضى إلا بتدبير شيخ خبير ، وكيف لا يكون لك قلب بصير ؟!

– فويل لذلك الطائر الذي لم ينبت له جناح ، يطير إلى الأوج ويسقط في الخطر .

– والعقل يكون للمرء بمثابة الجناح والقوادم ، وعندما لا يكون لديه عقل ، " فليأخذ " عقل مرشد ما .

٤٠٩٠– فكن مظفراً أو باحثا عن مظفر ، وكن ذا نظر أو باحثا عن ذى نظر .

– وبلا مفتاح العقل يكون هذا القرع على الباب ، من الهوى ، وبعيدا عن وجه الصواب .

– فانظر إلى عالمٍ قد سقط في الفخ من الهوى ، ومن الجراح التى تشبه الدواء .

- لقد وقفت الحية على صدرها كأنها الموت ، وفي فمها ورقة شجرة من أجل الصيد .

- إنها واقفة بين الأعشاب كعشبة ، ويظنها الطائر غصن نبات !! .

٤٠٩٥- وعندما يقف من أجل الطعام على ورقة الشجرة ، يسقط في فم الحية والموت .

- لقد فتح تمساح فمه عن آخره ، وحول أسنانه ديدان طويلة .

- ومن بقية الطعام التى بقيت في أسنانه ، نمت الديدان ، ووقفت على الأسنان .

- وترى الطيور الدود والقوت ، وتظنه مرجاً ذلك التابوت .

- وعندما يمتلئ الفم بالطيور ، يبتلعها فجأة ، ويغلق فمه !!.

٤١٠٠- فاعتبر هذه الدنيا المليئة بالخبز والبقل مثل الفم المفتوح لذلك التمساح!!.

- فلا تأمن يا مختلق الرزق للديدان والفرائس من حيل تمساح الدهر .

- والثعلب يسقط ممددا تحت التراب ، وفوق التراب حبوب ماكرة .

- حتى يأتى الزاغ غافلا نحوها ، فيمسك بقدمه بمكره ذلك الماكر .

- وإذا كانت هناك آلاف من أنواع المكر عند الحيوان ، فكيف يكون مكر الإنسان وهو سيدها ؟!.

٤١٠٥- يكون في كفه مصحف كزين العابدين ﷺ، وفي كمه خنجر شديد القهر.

- يقول لك ضاحكاً " يا مولاى " وفي قلبه بابلى شديد السحر والحيلة .

- يكون سما قاتلا وصورته شهد ولبن ، فحذار ، ولا تمضِ دون صحبة شيخ خبير .

- إن كل لذائذ الهوى مكر وحيلة ، هى حرقة وظلمة حول نور البرق .

- والبرق نوره قصير وكذب ومجاز ، وحوله ظلمات ، وطريقك طويل .

٤١١٠- فلا أنت تستطيع أن تقرأ كتابا في نوره ، ولا أنت تستطيع أن تسوق الجواد إلى المنزل .

- لكن جزاءك عندما تصبح رهين البرق ، أن تخفى وجهها عندك أنوار الشرق[١] .

- ويحملك مكر البرق بلا دليل ، في مفازة الليل المظلمة ميلا بميل .

- حينا تسقط على جبل ، وحينا في جدول ، حينا تمضى إلى هذه الناحية وحينا إلى تلك الناحية .

- إنك لا ترى دليلا في الأصل يا باحثا عن الجاه ، وإن رأيته ، تشيح بالوجه عنه !!.

٤١١٥- قائلاً : لقد سافرت في هذا الطريق ستين ميلا ، ولعل هذا الدليل يضلنى بقوله !!.

- ولو أسلمت أذنى إلى " قوله " هذا العجيب ، ينبغى علىّ إذن أن أبدأ الطريق من جديد .

- لقد أفنيت عمرى رهن هذا الطريق ، وليكن ما يكون ، فامض عنى أيها السيد!!.

- لقد قطعت الطريق ، لكن على ظن كالبرق ، فسر عشر هذا الطريق في أثر الوحى كالشرق .

- لقد قرأت ﴿ إن الظن لا يغنى عن الحق ﴾ ، ومن مثل ذلك البرق ، عجزت " عن الوصول " إلى الشرق !

---

[١] ج : ١٤ / ٤٣١ :

- وتغضب عليك تلك الشمس ، إذا أنت طلبت النور من عطارد .

٤١٢٠- هيا واركب سفينتنا أيها الضال ، أو اربط تلك السفينة بهذه السفينة .

- فيقول " كيف اترك هذه المعمعة ؟! وكيف امضى كالأعمى طفيليا لك؟! "

- ومن الأفضل للأعمى أن يكون مع المرشد من أن يكون وحيداً ، فمن هذا عار واحد ، لكن من ذاك " السلوك" مائة عار .

- أتهرب من بعوضـــــة إلى عقرب ؟! ، وتفر من قطـــــرة إلى اليـــم؟! .

- أتهرب من أنواع شدة الأب ، "لتعيش" بين الشواذ والفتنة والشر ؟!

٤١٢٥- تهرب مثل يوسف من هم واحد ، حتى تقع من ﴿ ترتع وتلعب ﴾ في بئر .

- ومن هذه النزهة تسقط في البئر مثله ، لكن أين لك من هذه العناية رفيقا ؟! .

- ولو لم يكن هذا الأمر قد تم بأمر من أبيه ، لما رفع رأسه من البئر حتى يوم الحشر .

- لقد أعطاه الأب ذلك الإذن من " رغبة " قلبه ، قائلاً : ما دامت هذه هى رغبتك ، لتكن خيراً .

- وكل ضرير يعصى من له معجزات المسيح ، فإنه يعجز كاليهود عن الوصول إلى الرشد .

٤١٣٠- لقد كان قابلا للضياء بالرغم من انه كان أعمى ، فصار من هذا الإعراض أعمى تماما .

- يقول له عيسى ﷺ استمسك بى بكلتا يديك ، أيها الأعمى ، إن معى الكحل العزيزى .

– فإنك تجد منى الضياء بالرغم من أنك أعمى ، فتحسس قميص يوسف الروح!!

– فإن الأبهة والعظمة التى تصل إليك من بعد الانكسار ، فيها الإقبال والمنهاج والطريق .

– والعظمة التى تكون دون رأس أو قدم ، اتركها وانتبه أيها الحمار العجوز ، واشتر شيخا !! .

٤١٣٥– فلا كان غير الشيخ أستاذا وقائدا ، ليس شيخ الفلك لكنه شيخ الإرشاد .

– ففى لحظة ما دام قد صار تابعا لشيخ ، رأى النور ذلك العابد للظلمة .

– والشرط هو التسليم ، وليس العلم المضنى ، ولا نفع للمهاجم على الضلالة ، هجوم التركى .

– إننى لا أبحث من الان فصاعداً عن طريق الأثير ، بل ابحث عن الشيخ ... أجل ... الشيخ ... الشيخ !!

– فالشيخ يكون سلما إلى السماء ، فمم يكون السهم منطلقاً ؟! من القوس !! .

٤١٤٠– أليس النمرود الغليظ قد قام بسفر مع النسور إلى السموات بتأثير " صحبة إبراهيم " ؟! .

– لقد حلق كثيرا في الهواء ، لكن النسر لا يطير فوق الفلك !! .

– فقال له إبراهيم ﷺ : يا رجل السفر ، لأكون النسر بالنسبة لك ، وهذا أفضل لك !! .

– وعندما تجعل منى سلما إلى أعلى ، فإنك تمضى إلى السماء دون طيران .

– مثلما يمضى القلب إلى الغرب والشرق دون زاد أو راحلة مثل البرق !! .

٤١٤٥– مثلما تعود أحاسيس الناس من الغربة إلى مواطنها عند النوم .

– مثلما يمضى العارف وهو جالس سعيداً في مكانه ، من طريق خفى إلى مائة عالم !! .

– وإن لم يكن قد حدث له مثل هذا السير ، فمن أين له هذه الأخبار عن الولايات " البعيدة " ؟!

– هذه الأخبار وهذه الروايات الحقيقية ، والتى اتفق عليها مئات الآلاف من المشايخ .

– ولا خلاف واحد بين هؤلاء العيون " من المشايخ " مثلما تكون " الخلافات " موجودة في علم الظنون .

٤١٥٠– فذلك " العلم " هو التحرى في الليل الداجى ، وهذا " العلم " هو حضور الكعبة وسط النهار !! .

– فانهض أيها النمرود واطلب الجناح من الرجال ، فلا يأتيك سلم من هذه النسور .

– فالعقل الجزئى هو النسر أيها المقل ، وجناحه قائم على أكل الجيف .

– وعقل الأبدال مثل جناح جبريل ، يطير حتى ظل السدرة ميلا بميل .

– إننى بازى السلطان ، جميل مبارك القدم ، إننى فارغ من الجيف ولست نسراً.

٤١٥٥– فاترك النسر ، وأكون أنا رجلك ، وجناح واحد منى أفضل من مائة نسر .

– فحتام تسوق الجواد على العمياء ؟! ينبغى أن يكون هناك أستاذ من أجل الحرفة ومن أجل الكسب .

– ولا تجعل نفسك مفتضحا في بلاد الصين ، وابحث عن عاقل ، ولا تبتعد عنه

– وما يقوله أفلاطون العصر ذاك ، امض وفقا له ، وحذار، اترك الهوى .

– وجميعهم فى الصين يقولون جادين عن ملكهم أنه لم يلد .

٤١٦٠– يقولون : إن مليكنا لم يلد قط ، بل لم يترك لامرأة طريقا إليه .

– ومن قال غير ذلك من الملوك ، قطع عنقه بالسيف البتار .

– وقال له : ما دمت قد قلت هذا المقال ، إما أن تثبت أن لى أولادا ؛

– وأن لى ابنة ، فإن أثبت هذا ، وجدت الأمان من سيفى البتار ؛

– وإلا فإنى بلا شك أذبحك ، وأخلع خرقتك عن صوفى الروح .

٤١٦٥– إنك لن تنجو برأسك من السيف أبدا ، يا من جدفت بهذا الكذب والخلط.

– فانظر يا من نطقت جهلا بالباطل ، إلى خندق ملئ بالرؤوس المقطوعة .

– خندق من قاعة وحتى حافته ، ملئ بالرؤوس المقطوعة بسبب هذا الغلو .

– لقد انغمس جمع من الناس في هذا الادعاء ، فضربوا رقابهم .

– فحذار ، وانظر إلى هذا بعين الاعتبار ، ولا تفكر في هذه الدعوى ، ولا تـأت بها .

٤١٧٠– إنك سوف تمرر علينا عمرنا ، فما الذي يدعوك إلى هذا أيها الأخ ؟! .

– فمن لا علم له ، إن سار على العمياء مائة عام ، فليس هذا من حساب الطريق .

– ولا تمض بلا سلاح إلى المعركة ، ولا تلق بنفسك كالمتهورين إلى التهلكة .

– لقد تحدثنا بهذا كله إليه ، لكنه قال نافذ الصبر : إنما يأتينى من أقوالكما هذه النفور .

– قلى صدر ملئ بالنار وكأنه الموقد ، لقد تم نضج الزرع ، والوقت وقت المنجـــل .

٤١٧٥- كان في الصدر صبر لم يبق الآن ، لقد أضرم العشق النار في مقام الصبر .

- لقد مات صبرى في تلك الليلة التى ولد فيها العشق ، مات ، وللحاضرين العمر .

- ويا أيها المحدث عن الخطاب وعن الخطوب ، لقد تجاوزت هذا الأمر فلا تدق الحديد البارد .

- إننى منكس ، انتبه ، دع قدمى ، فأين الفهم في كل أعضاء " بدنى " .

- إننى بعيرٌ أحمل ما أستطيع حمله ، وما دمت قد سقطت عاجزاً ، فإنى سعيدٌ بالذبح .

٤١٨٠- فلو أن هناك مائة خندق مليئة بالرؤوس المقطوعة ، فإنها كلها أمام ما أحس به من أمل مجرد مزاح

- ومن الخوف والهلع ، لن أقرع ثانية طبل الهوى هذا تحت الكليم .

- إننى سوف أرفع العلم علنا الآن ، إما التضحية بالرأس ، وإما رؤية المحبوب.

- وإن لم يكن الحلق جديرا بذلك الشراب ، من الأفضل أن يكون مذبوحاً بالسيف والحراب .

- والعين التى لا تكون من وصلة في بهاء ، افضل لهذه العين أن تبيض وتعمى.

٤١٨٥- والأذن التى لا تكون خليقة بسره ، اقتلعها ، فأولى بها ألا تكون على رأس .

- وتلك اليد التى تكون خالية من هذه العطية ، من الأفضل بترها بساطور القصاب .

– ومثل تلك القدم .. التى من سيرها ، لا تتصل الروح ببستان نرجسه ؛

– أولى بهذه القدم أن توضع في الحديد ، فإن العاقبة أن تلك القدم تسبب الصداع للرأس .

بيان المجاهد الذي لا يكف عن المجاهدة بالرغم من أنه يعلم أن بسطة عطاء الحق وهى المقصود تصل إليه من جهة أخرى وبسبب نوع آخر من العمل ربما ليس في حسبانه، وكل همه ورجائه ربما يكون معقوداً على طريق معين ، فهو يدق حلقة نفس الباب وربما يوصل إليه الحق ذلك الرزق من باب آخر ربما لم يكن قد دبر له ويرزقه من حيث لا يحتسب ، العبد يدبر والله يقدر ، وربما يكون عند العبد وهم العبودية فيقول : أنه يصلنى من غير هذا الباب بالرغم من أننى أدق هذا الباب ، فيوصل إليه الحق تعالى الرزق من نفس هذا الباب والخلاصة أنها كلها أبواب لدار واحدة ... مع تقريره

– فإما أن أنال مقصودى من هذا الطريق ، أو " أناله " عندما أعود من هذا الطريق صوب الوطن .

٤١٩٠– ربما يكون مقصودى موقوفا على السفر ، وما دمت قد سافرت أجده في الحضر .

– أبحث عن الحبيب بجد وجلد ، حتى أعلم أنه لم يكن على أن أبحث عنه .

– فمتى تمضى هذه المعية في أذنى ؟! ما لم أطف حول دوران الزمن .

– ومتى أفهم من المعية السر ؟ اللهم إلا بعد أسفار طويلــــــة .

– لقد تحدث الحق عن المعيـة وختـم القلب ، حتـى يحـدث الإنعكـاس علـى أذن القلب ، لا الطرد .

٤١٩٥– وعندما قام بالأسفار وأعطى الطريق حقه ، فتـح الختم مـن بعدهـا عـن قلبه .

– ولما كان ذلك الحساب يحتوى على خطأين ، فقـد جعلـه واضحـاً محلـولاً بعـد الخطأين .

– فيقول بعد ذلك ، لو كنت عالما بهذه المعية ، متى كنت أبحث عنه ؟!

– كانت معرفة ذلك موقوفة على السفر ، ولا تتأتى هذه المعرفة بحدة الفكر .

– مثلما كان أداء دين الشيخ موقوفا على بكاء ذلك المخلوق ومرتبطاً به .

٤٢٠٠– لقد بكى طفل بائع الحلوى بكاءً شديدا ، فأدى دين ذلك الشيخ الكبير .

– لقد ذكرت تلك القصة المعنوية من قبل في كتاب المثنوى .

– إنه يلقى الخوف في قلبـك مـن موضـع مـا ، مـا دام لا يكـون لـك فـي غيره مطمع .

– ويضع في الطمع فائدة أخرى ، ويعطيك مرادك من إنســــــان آخر .

– فيا من عقدت الطمع بشدة في مكان ما ، وتقول : إن الفاكهـة تـأتيني مـن تلـك الشجرة العالية .

٤٢٠٥– إن ذلك الطمع لن يوفى من ذلك المكان ، بل يأتي ذلك العطاء من مكان آخر .

– فلماذا وضع ذلك الطمع إذن فيك ، مـا دام لـم يـرد أن يعطيـك شـئياً مـن تلـك الناحية ؟!

– من أصل حكمه وصنعة ، وأيضاً حتى يظل قلبك في حيرة .

– حتى يظل قلبك حائراً يا طالب الفائدة ، وتظل تتساءل من أين يصلنى مرادى ... يا ترى ؟!!

– وحتى تعرف عجزك وجهلك ، وحتى تزداد يقينا في الغيب .

٤٢١٠– وأيضاً ليكون قلبك حائرا في المنتجع ، ويتساءل ترى ماذا يريد المصرف من هذا الطمع ؟!.

– إنك تطمع في الرزق عن طريق الحياكة ، وأن تنال الذهب من الحياكة وتعيش .

– فيأتى لك الرزق من عمل الصياغة ، وقد كان هذا المكسب بعيدا عن وهمك .

– إذن فمن أي شئ كان الطمع في الحياكة ، ما دام لم يرد أن يفتح أمامك أبواب الرزق منها ؟!

– من أجل حكمة نادرة في علم الحق ، فقد كتب ذلك الحكم في سابق علمه .

٤٢١٥– وأيضاً لكى يكون فكرك حائرا ، وحتى يكون كل عملك هو التحير .

– ترى أيصلنى وصال الحبيب من سعيى هذا ، أو من طريق خارج عن سعى الجسد .

– إننى لا أقول أن المراد يتأتى من هذا الطريق ، إننى أتقلب إلى أن أعرف من أين سيأتى الفرج .

– إن الطائر الذبيح يقع في كل ناحية ، فمن يدرى في أية ناحية ستنجو الروح من الجسد ؟!

– فهل يأتينى مرادى من هذا الخروج ، أو من برج آخر من ذات البروج ؟! .

حكاية ذلك الشخص الذي رأى في النوم هاتفا يقول له :

إن ما تطلبه من يسار موجود في مصر

فهناك كنز في محلة كذا ... و منزل كذا ...

وعندما جاء إلى مصر قال له أحدهم لقد رأيت في النوم

أن هناك كنزا في بغداد في محلة كذا في منزل كذا

وذكر اسم محلة ذلك الشخص ومنزله وفهم ذلك الشخص

أن المراد بذكر أن الكنز موجود في مصر حتى أتيقن أنه لا محل للبحث

في غير منزلى لكن هذا الكنز لن يتحقق لك يقينا إلا في مصر

٤٢٢٠- كان هناك أحد الوارثين لمال وعقار ، فانفقه كله وبقى مسكينا عاريا .

– إن المال الموروث لا وفاء فيه ، ذلك أنه انفصل عن المتوفي برغم أنفه .

– " والوارث " أيضاً لا يعرف قدره، فقد حصل عليه بسهولة ، فلم يسع ولم يكد ولم يتعب من أجل كسبه !!

– ومن هنا فإنك لا تعرف قدر الروح يا فلان ، إذ أن الحق وهبها لك بالمجان .

– لقد ذهب النقد وذهب المتاع وتلك الدرر ، وبقى كالبوم وسط الخرائب .

٤٢٢٥- فقال : يارب لقد أعطيت الزاد وذهب الزاد ، فإما أن تهبى زادا أو ترسل إلى الموت .

– عندما صار فارغا بدأ في ذكر الحق ، وجعل من " يا رب " و " يارب أجرنى " لحنا له !! .

– لأن الرسول ﷺ قال : إن المؤمن كالعود ، هو عندما يكون خاليا يصبح أناناً .

– وعندما يمتلئ يضعه المطرب من يده ، فلا تمتلئ ، فإن لمس يده حلو .

– وكن فارغاً سعيداً بين الإصبعين ، فمن خمر اللامكان ثمل المكان .

٤٢٣٠- لقد جرى طوفان الدمع وسال من عينيه ، وروى دمعه زرع الدين[١] .

في سبب تأخير دعاء المؤمن

- رب مخلص يئن في دعائه ، حتى يرتفع دخان إخلاصه إلى السماء .

- وحتى تمضى إلى حانوت هذا السقف العالى ، رائحة الجمر من أنين المذنبين.

- فيتضرع الملائكة إلى الله شاكين قائلين: يا مجيبا لكل دعاء ، ويا من يستجير " الناس " به .

- إن العبد المؤمن آخذٌ في التضرع ، وهو لا يعرف سواك موئلا وملاذا .

٤٢٣٥- إنك تهب العطايا للغرباء ، ومنك ينال كل مشته مشتهاه .

- فيقول الحق : ليس من هوانه على ، إن تأخير العطاء في حد ذاته عون له .

- إن الحاجة قد أتت به من ناحية الغفلة إلى ناحيتى ، هى التى جذبته من ناصيته إلى حيى .

- فلو أجبته إلى حاجته فإنه يمضى عنى ، ويستغرق في تلك اللعبة .

- فبالرغم من أنه يئن بروحه قائلا أيها المستجار وهو كسير القلب ، جريح الصدر ... قل له ، واصل الأنين .

- ٤٢٤٠-فإن صوته هذا يطربنى ، ونداءه ... يا الله ... وضراعته تلك .

- وأنه في ضراعته وفي كل ما يقوم به ، إنما يقوم بخداعى بكل سبيل .

- إنهم يحبسون الببغاوات والبلابل في الأقفاص من جمال أصواتها ومن حبهم لها .

- ومتى يحبسون البوم والغربان في الأقفاص ، إن هذا لم يرد حتى في القصص.

---

[١] ج : ١٤ / ٤٦٢ :

- واستمسك بكلتا يديه بالدعاء والضراعة ، وطلب الذهب بلا توقف ذلك العابد للذهب .

– وإن جاء أمام عاشق للجمال اثنتان إحداهما عجوز شمطاء والأخرى حسناء الوجه .

٤٢٤٥– كلتاهما تطلب خبزا ، فإنه يأتى للعجوز سريعاً بالفطير قائلاً لها ...خذى .

– ومتى يعطى حسناء القد والخد الخبز ؟ أنه يؤخـــرها !!

– ويقول لها : اجلسى قليلا ، لا داعى للعجلة ، إن الخبز الطازج يخبز في الدار .

– وعندما يصل الخبز الساخن ، بعد جهد ، يقول لها أجلسى فالحلوى في الطريق .

– وبهذه المهارة يبقيها ، ومن طريق خفى يصيدها .

٤٢٥٠– ويقول لها : لى معك أمر ما للحظة واحدة ، فانتظرى قليلا يا حسناء الدنيا[1] .

– وعدم وصول المؤمنين إلى المراد من خير ومن شر ، اعلم يقينا انه من أجل هذا الأمر .

عودة إلى قصة ذلك الشخص الذي دلوه على كنز في مصر وبيان تضرعه من الفقر في حضرة الحق

– عندما انفق الوارث " ميراثه " وصار فقيراً ، بدأ في الدعاء والبكاء والعويل .

– ومن في حد ذاته يدق هذا الباب الذى يهب الرحمة ولا يجد في الإجابة مائة ربيع ؟ .

---

(1) ج : ١٤ / ٤٦٣ :

– حتى يخدعها بهذه الحيلة ، حتى يجعلها مطيعة هادئة

– فاعلم أن الغرباء على مثال تلك الشمطاء ، والمؤمنين على مثال هذه الحسناء .

– رأى في النوم هاتفا سمعه يقول : إن غناك سوف يتحقق فى مصر .

٤٢٥٥– فاذهب إلى مصر وهناك يستقيم أمرك ، لقد قبل ابتهالك فهو المرتجى .

– ففى موضع كذا كنز عظيم ، وينبغى عليك الذهاب إلى مصر في أثره .

– فهيا ... امض عن بغداد دون إمهال أيها المسكين ، امض إلى مصر مصدر السكر .

– وعندما جاء من بغداد إلى مصر ، قوى صلبه عندما أبصرها .

– على أمل ما وعده به الهاتف أن في مصر كنزا ، سوف يجده في مصر ، ينهى متاعبه .

٤٢٦٠– وإن في حى كذا وموضع كذا كنزا دفينا نادرا جداً ، منتقى بعناية .

– ولم يكن قد بقى ما ينفقه " قليل أو كثير " ، فأراد أن يتكفف عوام الناس .

– لكن خجله وهمته منعاه من ذلك ، وأخذ يلزم نفسه الصبر قسراً .

– لكن نفسه تقلبت من الجوع ، فلم يجد بدا من الحركة والطلب .

– وقال في نفسه : لأخرج في الليل خفيا ، حتى لا أخجل من التكدى في الظلام.

٤٢٦٥– ومثل المتكدى بليل ، أقوم ليلا بالذكر والصياح ، حتى تلقى إلى من فوق السطوح أنصاف الدوانيق .

– فخرج إلى الشارع وهو يفكر في هذا الأمر ، وعلى هذه النية أخذ يمضى من صوب إلى صوب .

– فكان أصله وخجله يمنعانه حينا ، ثم يقول له الجوع : أسال " الناس " .

– فأخذ يقدم رجلا ويؤخر أخرى حتى منتصف الليل ، وهو يقول : هل أتكفف الناس أو أنام متيبس الشفة ؟!

وصول ذلك الشخص إلى مصر وخروجه ليلاً إلى الحي من أجل التكدي وإمساك العسس به ووصوله من العسس إلى المراد بعد ضربه كثيراً ، ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾وقوله تعالى ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ وقوله تعالى : ﴿إن مع العسر يسرا﴾ ، وقوله ﷺ : {اشتدي أزمة تنفرجي}

وجميع القرآن والكتب المنزلة في تقرير هذا

– وفجأة أمسك به العسس ، فانهالوا عليه باللكمات والعصى ليشفى الغليل غير مخفي الغضب .

٤٢٧٠– ذلك أنه أتفق أنه في تلك الليالى المظلمة ، كان الناس قد أوذوا كثيرا من لصوص الليل .

– كانت ليالى مخيفة ونحسات ، ومن هنا كان العسس يبحثون عن اللصوص بجد .

– حتى أمرهم الخليفة بأن يقطعوا يد كل من يتجول بليل ، حتى وإن كان من أهله .

– كما كان الملك قد هدد العسس وخوفهم قائلاً : لماذا أنتم متساهلون مع اللصوص ؟!

– ولماذا تصدقون ألاعيبهم ، أو تراكم تتلقون منهم رشاوى الذهب ؟!!

٤٢٧٥– إن الرحمة على اللصوص وكل مشئوم اليد ، هي قسوة على الضعفاء وضربة لهم .

– هيا ، ولا تتوقف عن القصاص من أجل أحد الخواص ، ولا تنظر إلى ألم يحيق به ، بل انظر إلى ألم عامة الناس .

– واقطع الإصبع الملدوغ لدفع الشر ، وانظر إلى تعديه وإلى هلاك الجسد منه .

– واتفق أن اللصوص كانوا قد ازدادوا في تلك الأيام ، من ناضج وساذج .

– ورآه " الدركي" في مثل ذلك الوقت، وأوسعه ضربا بالعصى ضربات بلا عدد.

٤٢٨٠– فارتفع صراخ ذلك الفقير واستغاثته ، وقال له : كفاك ضربا ، وسأصدقك القول .

– قال : الأن أمهلك فقل ، لماذا بقيت في الشارع خارج دارك إلى هذا الوقت من الليل ؟!

– أنك لست من هذا المكان بل أنت غريب عنه ينكرك " أهله " قل الصدق ، في أى مكر تفكر !!

– لقد سخر أهل الديوان من العسس ، وقالوا لماذا اكثر اللصوص الآن ؟!

– فهناك الكثيرون منك ومن أمثالك ، فدلنى على رفاقك الأشرار أولاً .

٤٢٨٥– وإلا سوف انتقم منهم جميعا في شخصك ، حتى يصير آمنا مال كل ثرى .

– فقال له من بعد الإيمان المغلظة ، لست هجاماً على الدور ولست نشالاً .

– ولست رجل السرقة والظلم ، إننى من بغداد وغريب عن مصر .

بيان هذا الخبر ، الكذب ريبة والصدق طمأنينة

– فروى قصة ذلك الحلم وكنز الذهب ، فرق له قلب ذلك الشخص من صدقه .

– كانت رائحة الصدق تفوح من أيمانه ، وظهرت حرقته ، كما فاح دخان عوده.

٤٢٩٠– إن القلب ليستريح إلى القول الصواب ، مثلما يستريح الظمآن عند شرب الماء .

– اللهم إلا قلب المحجوب الذي به علة ، وليس عنده تمييز بين النبى والغبى .

– وإلا فإن هذه الرسالة التى تكون من موضعها ، تطرق القمر فينشق .

– وينشق القمر ، ولا ينشق قلب المحجوب ، ذلك أنه مردود وليس بالمحبوب .

– إن عين الشرطى صارت نبعا من الدمع ، ليس من الكلام المؤثر بل من رائحة القلب .

٤٢٩٥– فإن كلمة واحدة تأتى من الجحيم صوب الشفة ، وكلمة واحدة تأتى من مدينة الروح في حى الشفة .

– وهناك البحر الذي يزيد الروح وهناك بحر الحرج ، ومرج الشفة موجود بين البحرين[١] .

– مثل قافلة موجودة بين المدن ، تأتيها المنافع من جميع الأنحاء .

– وبضاعة النشال المزيفة المعيوبة ، وبضاعة كثيرة الربح شريفة كأنها الدر .

– وفي هذه القافلة ، كل من هو أكثر مهارة في التجارة، يكون أكثر فهما بالنسبة للخالص والمزيف .

٤٣٠٠– صارت القافلة له موطنا للربح ، وصارت لآخر من عماه دارا للذنوب.

---

(١) ج : ١٤ / ٤٧٠ :

– بحر مزيد للروح وبحر منقص" للعمر ، وكلاهما ذو طريق يمر على الشفة .

– وكل جزء من أجزاء العالم ، واحدٌ بعد الأخر ، قيدٌ على الغبى وفتح للأستاذ .

– سُكر لأحدهم ، وسم لآخر ، لطف لأحدهم ، وقهر لآخر[1] .

– وكل جماد يتحدث بالحكايات مع النبى ، والكعبة شاهدة على الحاج وناطقة من أجله .

– والمسجد أيضاً شاهد على المصلى قائلاً : لقد جاء إلى من طريق بعيد .

---

(1) ج : ١٤ / ٤٧٠ – ٤٧١ :

شيطان لأحدهم حور لآخر   نار أحدهم نور لآخر

كنز لأحدهم حية لآخر   ورد لأحدهم شوك لآخر

حلو لأحدهم مر لآخر   بهتٌ لأحدهم وعى لآخر

خفى لأحدهم معلن لآخر   نفع لأحدهم وضر لآخر

سد لأحدهم فتح لآخر   قيد لأحدهم مراد لآخر

شهد لأحدهم وخز لآخر   غريب لأحدهم قريب لآخر

نهار لأحدهم وليل لآخر   سرور لأحدهم تعب لآخر

محبوب لأحدهم عدو لآخر   راح لأحدهم قرعة لآخر

ماء لأحدهم دم لآخر   إعجاز لأحدهم أسطورة لآخر

حلوى لأحدهم سم لآخر   حجر لأحدهم حسناء لآخر

جسم لأحدهم روح لآخر   حبس لأحدهم فتوح لآخر

سهم لأحدهم قوس لآخر   خبز لأحدهم سنان لآخر

نقص لأحدهم كمال لآخر   هجر لأحدهم وصال لآخر

٤٣٠٥- والنار مع الخليل ﷺ زهر وريحان وورد ، وهى لاتباع النمرود موت وألم .

- ولقد ذكرنا هذه الفكرة مرات يا حسن ، ولن أمل من بيانها أبداً .

- ولقد أكلت الخبز مرات لدفع الجوع ، وهذا هو نفس الخبز فلماذا لا تمل ؟!.

- فإنما يصلك جوع جديد من الاعتلال ، بحيث تحترق منه التخمة والملال .

- وكل من صار له ألم الجوع حاضرا ، انعقد التجدد لأعضائه عضوا عضواً .

٤٣١٠- فاللذة من الجوع لا من النقل الجديد ، ومع الجوع يكون خبز الشعير ألذ من السكر .

- إذن فتلك الملالة من عدم الجوع ومن التخمة الكاملة ، وليست من تكرار الكلام .

- وكيف لا يأتيك الملال من الدكان والمساومة والقيل والقال في خداع الناس ؟!

- وكيف من الغيبة وأكل لحوم الناس مدة سنين لما لم تشبع منها ؟!

- لقد قلت كثيرا من حلو الكلام في صيد فرج ، وسقت كثيرا من الملق والخداع.

٤٣١٥- وفي المرة الأخيرة تتحدث إليها بحرقة وذلاقة لسان ، أكثر حرارة من المرة الأولى .

- إن الألم يجدد العلاج القديم ، والألم يقضب كل غصن من أغصان الملل .

- فالآلام كيمياء مجددة ، وأين الملل في ذلك الطرف الذي ارتفع فيه الألم ؟!

- فانتبه ، ولا تتأوه بحزن من الألم ، بل ابحث عن الألم ، ابحث عنه ، ابحث عن الألم !!

– وإن الأدوية العشوائية خادعة للألم ، هى قاطعة طريق وآخذة للأمـوال برسم الإتاوة .

٤٣٢٠– والماء المالح ليس علاجا للعطش ، حتـى وإن بـدى عنـد الشـرب باردا عذباً .

– لكنه صار خادعاً ، ومانعاً عن البحث على الماء الحلو ، التى نبتت منـه مائـة خضرة .

– مثلما يكون كل ذهب مزيف مانعا عن معرفة الذهب الخالص حيثما يكون .

– لقد قطع جناحك وقوامك بخداعه ، قائلا لك : أنا مرادك ، فخذنى أيها المريد.

– قال لك : سوف امحو ألمك ، وهو نفسـه كـان ألمـا ، كـان خسـارة وهزيمـة ، بالرغم من أنه كان كسبا في الظاهر .

٤٣٢٥– فامض ، وأهرب دائما من الأدوية الكاذبة ، حتي يصير الألم صوابا لك ، وناثرا للمسك !!

– قال " الدركي " : لست لصا ولست فاسقاً ، أنت رجل طيب لكنك ساذج أحمق

– أتسافر كل هذه المسافة على خيال وحلم ، أليس لعقلك ذرة من الضياء[١] ؟!

– لقد رأيت بنفسى هذا الحلم مرات ، إنه يوجد في بغداد كنز مستتر .

– وأنه مدفون في ناحية كذا وفي حى كذا ، وكان اسم الحى هـو اسـم حـى ذلـك الحزين .

٤٣٣٠– إنه في منزل فلان فاذهب وابحث عنه ، وذكر منزله واسمه ذلك العدو.

– لقد رأيت بنفسى هذا الحلم مرات ، إنه في بغداد ، يوجد كنز ، إنه في الوطن.

---

(١) ج : ١٤ / ٤٧٥ :

– أتسافر كل هذه المسافة الطويلة على خيال من جهلك ومن طمعك ؟! .

- لكنى لم أتحرك من مكانى لهذا الخيال ، وأنت بحلم واحد تأتى بلا إمهال !! .
- إن رؤيا الأحمق جديرة بعقله ، إنها مثله ، لا قيمة لها ولا تساوى شيئاً .
- واعتبر أن رؤيا المرأة أقل من رؤيا الرجل ، وذلك من أجل نقصان عقلها وضعف روحها .

٤٣٣٥- ورؤيا ناقص العقل والساذج باطلة ، وماذا يكون الحلم لمن لا عقل له؟! هباء !!.

- قال لنفسه : إن الكنز في منزلى ، فأى فقر لى وحزن هنا ؟!
- لقد مت من الكدية وأنا على رأس كنز ، ذلك أننى كنت في غفلة وكنت في حجاب .
- وثمل من هذه البشرى ، وانمحى عنه الألم ، وقرأ " الحمد " مئات الآلاف من المرات دون شفة .
- وقال : لقد كان دسمي موقوفا على هذه الصفعة ، وكان ماء الحيوان موجودا في حانوتى .

٤٣٤٠- امض ، فلقد وقعت على دسم عظيم ، برغم هذا الوهم بأنى كنت مفلسا.

- فسواء اعتبرتنى أحمق أو اعتبرتنى وضيعاً ، لقد صار لى " هذا الكنز " فقل ما شئت .
- ولقد رأيت مرادى وحصلت عليه بلا شك ، فقل ما شئت لى ، أيها الشتام .
- وقل عنى أنى شديد الألم أيها المحتشم ، فأنا بالنسبة لك شديد الألم ، وبينى وبين نفسى سعيد .
- فويلاه لو كان هذا الهبوط مقلوباً ، لكان بالنسبة لك روضة وبالنسبة لى فجيعة.

مــثـــل

٤٣٤٥- قال أحد الأخساء ذات يوم لدرويش إن أحدا لا يعرفك هنا .

- قال له : إن لم يعرفنى العامى ، فأنا أعرف جيداً من أكون !.

- فويلاه إذا كان الألم والجرح معكوسين ، وكان هو ناظرا إلى وأنا أعمى عن نفسى .

- فاعتبرنى أحمق أيها الشرطى ، فأنا أحمق يا حسن الحظ ، والحظ أفضل من اللجاج والوجه الصفيق .

- إن هذا الكلام ينطلق وفقا لظنك ، وإلا فإن الحظ أعطانى أيضاً عطية عقلى .

عـودة ذلك الشخص فرحا موفقا شاكرا للـه

سـاجدا له وحائرا في غرائب إشارات الحـــق

وظهور تأويلاتها على وجه لا يصل إليه عقل وفهم أبداً

٤٣٥٠- عاد من مصر إلى بغداد، ساجدا وراكعا حامدا وشاكراً .

- وطوال الطريق وهو حائر وثمل من هذا العجب ، من انعكاس الرزق وطريق الطلب .

- متسائلاً : من أى الأماكن كان قد جعلنى أملاً ؟! ومن أيها نثر على الفضة والنفع ؟!

- وأية حكمة كانت في أن قبلة المراد ، أخرجنى من منزلى ضالا وفرحا ؟!

- حتى أمضى مسرعا في الضلالة ، وفي كل لحظة كنت أصير أكثر بعدا عن المطلوب .

٤٣٥٥- ثم إن الحق جعل بجوده عين الضلالة وسيلة إلى الرشد والنفع .

– إنـه يجعـل الضـلالـة منهاجـا للإيمــان ، ويجعــل الاعوجـاج موضـــع حصـــاد للإحسان.

– حتى لا يكون محسن قط خاليا من الخوف ، وحتى لا يكون خائن قط قانطـا " من رحمة الله " !!

– لقد جعل ترياق ذلك السم مخفيا فيه ، حتى يقال أنه ذو اللطف الخفى .

– وليست تلك المكرمة مخفية في الصلاة ، بل إن تلك المغفرة تضع الخلعة على الذنب .

٤٣٦٠– إن قصد المنكرين إذلال الثقات ، جعل ذلهم عزا وظهورا للمعجزات .

– كان قصدهم من الإنكار إذلال الدين ، وعين الذل صار عزا للمرسلين .

– وإن لم يكن الإنكار قد صـدر مـن كـل شـرير ، فلمـاذا ظهـرت إذن الـبراهين والمعجزات ؟!

– وما لم ينكر الخصم ويكون طالبا للمصداق ، متى يقوم القاضى بطلب الشـاهد ؟!

– والمعجزة بمثابة الشاهد الزكى ، من أجل صـدق المدعـى ، ومـن أجـل انتقـاء الشك .

٤٣٦٥– ولمـا كـان الطعن يتـأتى مـن كـل مـن هـو جـاهل ، كـان الحـق يعطـــى المعجزات ، وكان يكرم !!.

– كان مكر فرعون أضعـاف أضعـاف المكـر العـادى ، وصـار بأجمعـه ذلاً لـه وقمعاً .

– لقد أحضر السحرة من صالحين وطالحين ، حتى يقوموا بجرح معجزة موسى عليه السلام .

- حتى يجعل العصا باطلة ومفتضحة ، ويقتلع اعتبارها من القلوب .

- ونفس ذلك المكر يصير آية لموسى عليه السلام ، ويرتفع اعتبار تلك العصا واحترامها .

٤٣٧٠- ثم يحضر العسكر من الفجر حول البحر[١] ، حتى يقطع السبيل على موسى عليه السلام وقومه .

- فيصير أمنا لأمة موسى ، ويمضي هو إلى باطن الأرض والصحراء .

- ولو كان قد بقى في مصر ولم يأت ، فمتى كان الوهم يصير زائلا عن بني إسرائيل ؟!

- لقد جاء ، وألقى بالسبطى في ذوبان " الخوف " ، قائلا له : اعلم أن الأمر سر من أسرار الخوف .

- وذلك هو اللطف الخفى ، أن الصمد يبدى النار ، فتكون النار نوراً .

٤٣٧٥- إن إعطاء الأجر في التقى ليس مخفيا ، لكن انظر إلى أجر السحرة من بعد الخطأ .

- والوصل لا يخفى في الرعاية ، لكنه أعطى السحرة الوصل في القطع .

- ولا يخفى السير بالقدم التى تمضى ، فانظر إلى سير السحرة في قطع القدم .

- والعارفون لذلك دوما آمنون ، ذلك أنهم عبروا بحار الدم .

- لقد ظهر أمنهم من عين الخوف ، فلا جرم أنهم كل لحظة في زيادة .

٤٣٨٠- فهل رأيت أمنا قد اختفى في الخوف ؟! فانظر إلى الخوف قد كمن في الرجاء أيها الصفى .

---

[١] في المتن : حول النيل ، ولا يستقيم .

– وذلك الأمير يطوف حول عيسى ﷺ بمكره ، وعيسى ﷺ في داره يخفى وجهه .

– ويدخل ، حتى يصير متوجا ، يجعل المشنقة تاجا له ، لأنه هو نفسه شبيه عيسى ﷺ .

– " إنه يصيح " انتبهوا ... لا تشنقوني ، لست عيسى ، إنني أمير على اليهود ومقبل الخطى .

– فيجاب ، بل أسرعوا بشنقه فهو عيسى ، ومن قوتنا عليه يموه علينا !!

٤٣٨٥– وكثيرا ما يمضي الجندى على المعمعمة ، ثم يصير زاده فينا وينقلب على رأسه .

– ويمضى التاجر طويلا على رائحة الكسب ، ويظن الوقت عيدا فيحترق كالعود .

– وكثيرا ما حدث الأمر على عكسه في العالم ، يظن أحدهم الشئ سما ويكون عسلا .

– وكثيرا ما حدث أن استسلم جيش لموته ، فتقدمت فيه الأنوار ، وتقدم إليه الظفر .

– وأبرهة جاء مع فيه من أجل ذل البيت ، وحتى يجندل الأحياء ، ويجعلهم أمواتا .

٤٣٩٠– وحتى يخرب حرم الكعبة ، ويجعل الناس جميعا منفضين عنها .

– وحتى يلتف حول كل الزوار ، ويجعل الجميع كعبته هو قبلة .

– وينتقم من العرب انتقاما بشعاً ، متسائلا : لماذا يضرمون النار في كعبتي ؟!

– ونفس سعيه هذا صار عزا للكعبة ، وصار سبباً في إعزاز ذلك البيت .

– كان لأهل مكة عز واحد ، فصار مائة عز ، وامتد عزهم إلى يوم القيامة .

٤٣٩٥- وصار هو وكعبته أكثر خسوفاً ، ومم كل هذا ؟! من عنايات القدر.

– ومن عناد ابرهة الذي كان كالوحش ، اغتنى فقراء العرب .

– وكان يظن انه عندما ساق جيشه على سكان البيت ، أنه سوف يستولى على الذهب .

– وفي فسخ العزائم هذا وفي هذه الهمم ، كل قدم متفرجة في الطريق .

– لقد جاء ذلك " البغدادى " إلى منزله فوجد الكنز ، ووجد أمره النظام من اللطف الإلهى(١) .

تكرار الأخوين النصيحة للأخ الأكبر وعدم تحمله لتلك النصيحة وفراره منها ، وذهابه مفتونا مسلوب النفس والقائه بنفسه في بلاط الملك دون طلب للإذن بالمثول ، لكن من فرط العشق وليس من الوقاحة أو اللامبالاة ... إلى آخره

٤٤٠٠- قالا له : إن في أرواحنا إجابات ، " واضحة " كأنها النجم في السماء .

– وإن لم تخبرك بها ، لما استقام النرد ، وأن أخبرناك بها تألم قلبك .

– إننا كالضفادع تحت الماء إن تحدثت فألم ، وإن سكتت فالاختناق والسقم .

– فإن لم نقل ، فلا نور هناك للسلم ، وإن قلناه ، فلا إذن لنا بقوله .

– فنهض في التو واللحظة قائلا : أيها الأهل الوداع ، ﴿ إنما الدنيا وما فيها متاع ﴾ .

---

(١) ج : ١٤ / ٤٨٠ :

– حتى تعلم حكمة القرد القديم ، وأنه يضع الأمن في الخوف والرعب.

– لقد تذكرت قصة الأمراء ، فأعرني سمع لبك واستمع إلى البيان .

٤٤٠٥- وانطلق خارجا كما ينطلق السهم من القوس ، فقد كان المجال ضيقا بالنسبة للكلام آنذاك .

- ودخل ثملا على ملك الصين ، وقبل الأرض " بين يديه " سريعا وبسكر .

- كانت أحوالهم مكشوفة بتفصيلاتها للملك ، أولها وآخرها ، وحزنهم وتزلزلهم.

- إن الشاة تكون مشغولة في مرعاها ، لكن الراعى يكون عالما بحالها .

- " كلكم راع " ، إنه يعلم من القطيع من ترعى ومن تكون في صراع .

٤٤١٠- وبالرغم من أنه بصورته يكون بعيداً عن ذلك الصف ، لكنه يكون وسط الحفل كما يكون الدف !!

- إنه واقف على حرقة تلك الوفود ولهيبها ، لكنه كان قد صمت من المصلحة .

- وإن ذلك السامى كان موجودا وسط أرواحهم ، لكنه تجاهل الأمر عامداً .

- إن صورة النار تكون تحت القدر ، لكن معنى النار يكون داخل القدر .

- إن صورتها خارجية ومعناها داخلى ، ومعنى معشوق الروح كالدم في العروق .

٤٤١٥- لقد ركع الأمير أمام الملك ، وأخذ يشرح أحواله كعشرة من المعرفين .

- بالرغم من أن الملك كان يعرف كل أحواله من قبل ، إلا أنه أخذ يقوم بشرحها .

- إن ذرة من نور العرفان في الداخل ، أفضل من مائة معرف أيها الصفى .

- وإن تسليم الأذن للمعرف ، آية على الحجب والحدس والظن .

- ومن صارت له عين القلب رقيباً ، سوف ترى عينه العيان بذاته .

٤٤٢٠- ولا تقنع روحه بالتواتر ، بل يصله اليقين من عين القلب .

- لقد انطلق المعرف أمام الملك المنتجب في الحديث معرفا بأحواله .

– قال : " أيها الملك إنه صيد إحسانك ، فاهتم به اهتماما ملكيا إذ لا مفر له منه.

– لقد تعلق بيده بأهداب سرج هذه الدولة ، فامسح بيدك على رأسه الثملة .

– قال الملك : إن كل منصب وإمارة يريدها هذا الفتى فإنه يجدها .

٤٤٢٥– وأهبه هنا ملكا – يبلغ عشرين ضعف الملك ، الذي خرج منه ، ونحن أيضاً على رأسه .

– قال : منذ أن غرست فيه ملوكيتك العشق ، متى ترك لهوى السبيل إلى نفسه إلا إلى هواك ؟!

– إنه جدير بالعبودية لك ، بحيث فترت الملوكية فى قلبه .

– لقد قامر بالملك والإمارة ، واعتاد على الغربة من أجلك .

– إنه صوفى ، ألقى بخرقته وجدا ، حتى يمضى فى أثر خرقة أخرى .

٤٤٣٠– فهل يبدى الميل إلى خرقته ثانية والندم عليها ، بحيث يقول : إننى صرت مغبوناً .

– هيا ، أعد الخرقة إلى هذا الصوب ، أيها القرين ، فإن ذلك الذى "يعوضها" لا يساويها ! .

– وبعيد عن العاشق أن يفكر هكذا ، وإن فكر هكذا ليكن التراب على رأسه .

– إن العشق يساوى مائة كخرقة الجسد ، فإن فيه حياة وحساً وعقلاً .

– وبخاصة خرقة ملك الدنيا فهى بتراء ، والسكر "الذى يدفع فيه" خمسة دوانق منه يسبب الخمار!

٤٤٣٥– إن ملك الدنيا حلال على عباد الجسد ، ونحن غلمان للعشق الذى لا زوال له .

– انه عاملٌ على العشق ، فلا تعزله ، ولا تجعله مشغولاً إلا بعشقه .

– إن المنصب الذى يجعلنى محجوباً عن وجهك ، هو عين العزل ، وفقد المنصب .

– وإن سبب التأخير في المجيء إلى هنا ، كان فقد الاستعداد ، وضعف الفضل .

– فإنك إن مضيت بلا استعداد إلى منجم ما ، فلن تحصل منه على حبة واحدة .

٤٤٤٠– مثل عنين يشترى بكراً ، مهما كانت فضية الصدر ، أى نفع له منها ؟!

– مثل مصباح لا زيت فيه ولا فتيل ، لا كثير فيه من الشمع ولا قليل .

– أو أن يدخل أخشم إلى روضة ، متى يصير أنفه سعيداً من الريحان ؟!.

– مثل حسناء فاتنة فى محضر عنين ، وصوت الرباب والعود أمام أصم .

– وكالطائر البرى يدخل إلى البحار ، ماذا يجد منها إلا الهلاك والخسار ؟!

٤٤٤٥– ومثل الذهاب إلى طاحون بدون قمح ، فلا يكون منها عطاء إلا تبييض اللحية والشعر .

– إن طاحون الفلك تهب من لا قمح لهم ، شعراً أشيب وخاصرة ضعيفة .

– لكن هذه الطاحون تهب من يملكون القمح الملك وتعطيهم الشأن والسلطان .

– فينبغى أن يكون لديك فى البداية الاستعداد للجنة ، حتى تتولد لك الحياة من الجنة .

– وأية حلاوة للطفل الرضيع من الشراب والشواء أو من القصور والقباب ؟!

٤٤٥٠– إن هذا المثل لا حد له فكفاك طلباً للكلام ، فاذهب وقم بتحصيل الاستعداد .

– لقد قعد الأمير حتى الآن من أجل الاستعداد ، وجاوز الشوق الحد ولم يحصل عليه .

– فقال : إن الاستعداد يصل أيضاً من المليك ، وبدون الروح متى يصير الجسد مستعداً ؟

- لقد طوت ألطاف المليك أحزانه ، لقد مضى ليصيد المليك ، فصار هو صيدا .

- إن كل من سعى من أجل صيد مثلك ، قيد دون أن يقوم بتقييد الصيد .

٤٤٥٥- وكل من صار باحثاً عن الإمارة ، سقط فى الأسر دون أن يحصل عليها .

- فاعلم أن صورة ديباجة الدنيا معكوسة ، واسم كل عبد للدنيا سيد الدنيا .

- ويا أيها الجسد المعوج الفكر امض بشكل معكوس ، فقد جعلت مائة ألف حر عبيداً لك .

- واترك هذا المكر فترة من الزمن ، وعش حراً قبل الأجل بضع لحظات .

- وان لم يكن لك فى الحرية طريق كالحمار ، ولم يكن لك سير" إلا فى البئر كالدلو .

٤٤٦٠- امض فترة من الزمن ، واترك روحى ، امض وابحث عن رفيق سواى.

- لقد انتهى دورى ، فحررنى واجعل غيرى لك صهراً .

- ويا أيها الجسد المشغول بمائة عمل اتركنى ، لقد سلبت عمرى فابحث عن شخص آخر .

افتتان القاضي بامرأة جحا وبقاؤه في صندوق
وشراء نائب القاضي للصندوق ، ثم مجيء زوجة جحا في السنة التالية
للقيام بنفس اللعبة السابقة وقول القاضي لها ، لا ،
اتركيني وابحثي عن آخر..... إلى آخر القصة

- كان جحا كل عام بتأثير الفقر يلتفت إلى امرأته بذكاء قائلاً : أيتها المرأة الفاتنة ؛

- ما دام السلاح معك ، اذهبى وصيدى صيداً ، حتى نحلب من صيدك اللبن .

٤٤٦٥- فمن أى شئ وهبك الله إذن قوس الحاجب وسهام اللواحظ وشبكة الكيد إلا من أجل الصيد ؟!

- إمضى وضعى شباكك لطير سمين ، أظهرى الحب ، لكن إياك أن تجعليه يأكله .

- أظهرى منك الرغبة ، ثم رديه خائباً ، فمتى يلتقط الحب ما دام قد صار أسير الشبكة ؟!

- ومضت المرأة نحو القاضى شاكية ، قائلة : لقد ضاق صدرى من زوج شديد التلون .

- فاختصر القصة ، فإن القاضى قد صار صيداً من مقال تلك الحسناء ومن جمالها .

٤٤٧٠- فقال لها : إن المحكمة مليئة بالصخب ، ولا أستطيع فهم هذه الشكوى .

- فلو تأتينى فى خلوة أيتها السروة الممشوقة ، وتشرحين لى ظلم الزوج لك[١] .

- قالت : إن منزلك كثير المترددين من كل صالح وطالح من أجل الشكوى .

- وعندما يكون منزل الرأس مليئاً بالرغائب ، يكون الصدر مليئاً بالوساوس والضجيج .

- ولقد استراحت بقية الأعضاء من الفكر ، وتلك الصدور قد اهترأت من الأفكار التى ترد إليها[٢]

---

(١) ج : ١٤ / ٤٩٦ :

- فأقيم هذا الأمر جيداً وأعطيه جزاءه ، بما يقتضيه الحق فلا تحزنى من ذلك

- ويصير حالك معلوماً لى ، وأجعل زوجك أليفاً لاعتو لديه .

(٢) ج : ١٤ / ٤٩٦ :

- مثل الغصن من الثمار والأوراق القديمة ، يصير خالياً حتى يعمل أمر "كن"

- ومن خلف هذا القدم تصل أوراق وثمار من الغيب دون أدنى ريب .

٤٤٧٥- فاهرب فى الخريف وفى ريح خوف الحق ، ودعك من تلك الشقائق التى كانت بالأمس .

- فإن هذه الشقائق مانعة للبراعم الطالعة ، التى تنمو شجرة القلب من أجلها .

- وأهرب بالنوم من هذه الأفكار ، وارفع رأسك من النوم لتجد نفسك فى يقظة .

- ومثل أصحاب الكهف أيها السيد ، امض سريعاً إلى أيقاظ تحسبهم رقود .

- فقال "القاضى" أيتها الحسناء ما هو المعتاد ؟ قالت : إن منزل صاحبتك خال تماماً .

٤٤٨٠- لقد ذهب الخصم إلى القرية ، والحارس أيضاً غير موجود ، وهو مسكن حسن جداً من أجل الخلوة.

- فتعال الليلة - إن أمكن - إلى ذلك المكان ، فان عمل الليل لا سمعة فيه ولا رياء .

- وكل الجواسيس يكونون سكارى فى خمر النوم ، وزنجى الليل قد ضرب أعناق الجميع .

- وتلت على القاضى تعاويذ عجيبة ، من تلك الشفة الحلوة وناهيك بها من شفة .

- لقد وسوس إبليس لآدم كثيراً ، وعندما قالت له حواء : كل ، أكل .

٤٤٨٥- وأول دم "أريق" فى دنيا الظلم والعدل ، وقع من يد قابيل من أجل امرأة.

- وعندما كان نوح يصنع شواء على مقلاه ، كانت "واهلة" زوجة تلقى بالحجر على المقلاة .

- وكان مكر المرأة يتغلب على عمله ، فكانت تكدر ماء وعظة الصافى .

– فكان ينقل إلى قومه رسالة في السر ، قائلاً : احفظوا الدين من أولئك الضالات[1] .

ذهاب القاضي إلى منزل امرأة جحا

ودق جحا الباب بغضب

وهروب القاضي إلى داخل الصندوق...... إلى آخره

– إن مكر المرأة لا نهاية له ، لقد ذهب القاضي الأريب إلى المرأة من أجل الدّب.

٤٤٩٠– واعدت المرأة المجلس بشمعتين وبالنقل ، فقال : نحن سكارى دون أن نشرب[2]

– وفي هذه اللحظة جاء جحا ، وبحث القاضي عن مهرب يختفي فيه ؛

– فلم ير خالياً إلا صندوق ، فذهب ذلك الفتى من خوفه داخل الصندوق .

– ودخل جحا وقال أيتها الرفيقة ، يا وبالاً على في الربيع وفي الخريف .

– ماذا أملكه وليس فدى لك بحيث تشتكين مني في كل لحظة[3] ؟!

٤٤٩٥– فأطلقت لسانك على إملاقي ، حيناً تسميننى بالمفلس وحيناً بالديوث .

---

(١) ج : ١٤ / ٤٩٧ :

– وكان للوط امرأة كافرة ، ولا شك أنك قرأت قصة تلك الفاجرة

– ويوسف من كيد زليخا الشابة بقي في السجن ممتحنا

– وكل بلاء تراه عيانا في الدنيا يكون من شؤم امرأة في كل مكان .

(٢) ج : ١٤ / ٥٠٢ :

– وعندما جلسا معاً ساعة من الزمن ، حتى يستريحا في الخلوة

– وعندما جلس إلى جوار المرأة ليبلغ مراده ، صارت روحه الحزينة فرحة,

(٣) ج : ١٤ / ٥٠٢ :

– لقد قال أحدهم أنك ذهبت إلى القاضي ، وقلت في حقي ما لا يقال .

- فإذا كانتا فى هاتان العلتان يا روحى ، فالأولى منك والثانية من الله .
- فماذا املكه غير هذا الصندوق ليكون أساساً للاتهام وأساساً للظن .
- فالخلق يظنون أننى أخفى فيه ذهباً ، ويحبسون عطاياهم عنى من هذه الظنون.
- إن شكل الصندوق جميل جداً ، لكنه خال تماماً من المتاع ومن الفضة والذهب.

٤٥٠٠- مثل جسد المشعوذ جميل ذو وقار ، لكنك لا تجد فى تلك السلة التى معه إلا الثعابين .

- وعلىّ أن أحمل الصندوق غداً إلى الحى ، وأحرقه وسط الميدان .
- حتى يرى المؤمن والمجوس واليهودى ، أنه لا يوجد فى هذا الصندوق سوى اللعنة .
- فقالت المرأة ، هه ، دعك من هذا أيها الرجل ، فأقسم بالأيمان المغلظة أنه لن يفعل سوى هذا[١] .
- وفى الفجر أحضر حمالاً وكأنه الريح ، ووضع ذلك الصندوق سريعاً على ظهره .

٤٥٠٥- والقاضى داخل الصندوق يصيح من النكال : أيها الحمال...... أيها الحمال .

- ونظر الحمال ذات اليمين وذات اليسار ، متسائلاً : ترى من أين يأتى الصوت والنداء ؟
- أهذا الذى يدعونى هاتف ؟ يا للعجب ، أو تراه جنى يطلبنى فى الخفاء ؟!
- وعندما استمر ذلك الصوت وزاد ، قال : إنه ليس هاتفاً وعاد إلى وعيه .
- ثم علم فى النهاية أن هذا الصوت والصراخ ، كان من الصندوق، وأن شخصاً اختفى فى داخله .

---

[١] ج : ١٤ / ٥٠٢ : وشد وثاق الصندوق بحبل على الفور ، وتظاهر بأنه سكران تماما.

٤٥١٠- والعاشق الذى مضى فى حزن معشوقه ، بالرغم من أنه خارج الصندوق ، إلا أنه داخله .

- لقد قضى العمر فى صندوق من الأحزان ، ولم ير من الدنيا كلها سوى صندوق .

- وتلك الرأس التى لا تكون فوق السماء هوساً ، اعتبرها موجودة فى صندوق !!

- وعندما يخرج من صندوق البدن ، يخرج من العمى ويمضى صوب قبـــــر .

- وهذا الكلام لا نهاية له ، قال له القاضى : أيها الحمال ، يا حامل الصندوق !

٤٥١٥- أخبر نائبى الآن بأحوالى كلها سريعاً ، وهو داخل المحكمة !

- حتى يشترى هذا الصندوق بالذهب من هذا المجنون ، ويحمله إلى منزلى وهو مغلق كما هو .

- فيا الله هيئ لنا قوماً من ذوى الأرواح ، يشروننا ثانية من صندوق البدن .

- ومن يشرى الخلق من قيد صندوق الوساوس إلا الأنبياء والمرسلون .

- ومن بين الآلاف هناك واحد حسن النظر ، يعلم ما هو موجود داخل الصندوق[1] .

٤٥٢٠- يكون قد رأى الدنيا من قبل الآن ، حتى يصير له برؤية هذا الضد ، ضدها عياناً .

- ولهذا السبب فان العلم ضالة المؤمن ، والعارف ضالة نفسه فهو موقن .

- وذلك الذى لم ير قط يوماً بهيا ، متى يصاب بالقلق من هذا الإدبار ؟

-فإما انه وقع فى الأسر منذ طفولته ، أو أنه ولد من أمه عبداً .

- لم تذق روحه لذة الحرية ، فصندوق الصور هو ميدانه .

---

(١) ج : ١٤ / ٥٠٣ :

- فاعلم أمارات ذلك الذى يعلم ، وهو أنه يهلع دائماً من روح هذه الدنيا .

٤٥٢٥- دائماً ما يكون عقله محبوساً فى الصور ، فهو يمر من قفص إلى قفص.

- ولا منفذ له من القفص صوب العلا ، فهو يمضى فى الأقفاص من مكان إلى مكان .

- وفى القرآن ﴿إن استطعتم فانفذوا﴾ ، لقد خوطب الإنس والجن بهذا الكلام منه هو .

- قال : لا منفذ لكم من الأفلاك ، إلا بسلطان وبوحى من السماء .

- فإذا كان يمضى من صندوق إلى صندوق ، فهو ليس سماويا، لكنه منسوب إلى الصندوق .

٤٥٣٠- ومشاهدة الصندوق أولا بأول تصيب بالسكر ، ولا يدرك شيئاً ذلك الموجود داخل الصندوق .

- فان لم يكن مغرورا بهذه الصناديق ، يكون كالقاضى يرغب فى الإفراج والنجاة .

- والذى يعلم هذا اعلم إن أمارته ، أنه لا يكون مقلعاً عن الصراخ وعن إبداء الرعب .

- ويكون كالقاضى فى رعدة دائماً ، ومتى تأتى لروحه لحظة من السرور[1] ؟!

مجئ نائب القاضى وسط السوق
وشراء الصندوق من جحا ، إلى آخره

- جاء النائب وسأل : بكم الصندوق ؟! فقال : أنه يثمن بما يزيد عن تسعمائة دينار ذهبى .

---

(١) ج : ١٤ / ٥٠٤ :

- قال الحمال فرحاً لعابر سبيل ، اذهب لمحكمة القاضى كالريح

- واخبر نائبه ان ثمة واقعة ، وان القاضى على رأسه القارعة

- أترك العمل وتعال هنا سريعاً ، واشتر منه الصندوق مغلقاً

- وعندما مضى الرسول وأدى الرسالة ، كل من سمع منه هذا تحير

- الخلاصة أنه نقل خبر حامل الصندوق ، لنائب القاضى حسن وعن حزنه .

٤٥٩٥- وأنا لن أتزل عن الألف ، فإذا كنت مشترياً ، افتح كيسك ، وادفع .
- قال له اخجل يا قصير اللباد ، إن قيمة الصندوق فى حد ذاته واضحة تماماً .
- قال : إن الشراء دون معاينة فاسدٌ فى حد ذاته ، ولا يصح أن يكون بيعنا فى الخفاء .

- فافتحه ، وان كان لا يساوى لا تشتره، حتى لا تغبن أيها الأب .

- قال : يا ستار ، لا تفضح السر ، سأشتريه مغلقاً، فتفاهم معى .

٤٥٤٠- واستر حتى يستر الله عليك ، وما لم تر أمنا ، لا تضحك على أحد .

- إن كثيراً من أمثالك بقوا داخل هذا الصندوق ، ووضعوا أنفسهم فى البلاء .

- إن ما يكون طلبه مقبولاً لديك من تعب وأذى ، افعله مع الآخرين[١]

- ذلك أن الحق بالمرصاد فهو مترصد ، وهو يعطى الجزاء قبل يوم الدين .

- وعظيم العرش ، عرشه محيط ، وعرش عدله مبسوط على كل الأرواح .

٤٥٤٥- وإن زاوية عرشه متصلة بك ، فحذار لا تحرك اليد إلا بالدين والعدل .

- وكن مراقباً لأحوالك وانظر إلى الشهد فى العدل وإلى الوخز فى الظلم[٢] .

- قال ، نعم ، إن ما أفعله ظلم ، لكن أعلم أيضاً أن البادى أظلم .

- قال النائب ، إننا البادئون واحداً واحداً ، ونحن فى سرور مع سواد وجوهنا.

- مثل الزنجى الذى يكون متهللاً وسعيداً ، فهو لا يرى وجهه لكن غيره يراه .

٤٥٥٠- لقد طال الأمر فى الفصال والمساومة ، فأعطاه مائة دينار وأخذه منه .

---

(١) ج : ١٤ / ٥١٢:

- وما تجيزه لنفسك من خير ومن شر افعله دائما مع الآخرين

- وما لا تقبله لنفسك من نفع وضر لا تقبله على أحد آخر يا عديم الفضل .

(٢) ج : ١٤ / ٥١٢ :

- إذن فهنا يكون جزاء الخير والشر يصل إلى كل إنسان عندما ينظر جيداً

- وذلك الجزاء الذى يصل يوم الدين ، لا يشبه هذا ، فانظر جيداً

- يكون الجزاء هناك بلا حد ولا عد ، وتكون النار وجهنم مكاناً لغير الجدير

– وأنت كل لحظة فى الصندوق يا راضياً بالشر ، ويشتريك الهاتفون وأهل الغيب[1] .

فى تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ إذ قال : { من كنت مولاه فعلى مولاه }

فاعترض المنافقون وقالوا : لم يكفه أن نصير له تبعاً مطيعين

ويأمرنا أيضاً بأن نتبع طفلاً ملوثاً بالمخاط ..... إلى آخره

– ولهذا السبب سمى الرسول ﷺ ذو الاجتهاد نفسه وعليا باسم المولى .

– قال : كل من أكون له مولى وحبيباً ، فابن عمى على مولاه أيضا .

– فمن هو المولى ؟ انه هو الذى يحررك ، وهو الذى يضع الأغلال عن قدمك .

٤٥٥٥– وما دامت النبوة هادية إلى الحرية ، فالحرية تكون للمؤمنين من الأنبياء.

– فاسعدوا يا جماعة المؤمنين ، وتحرروا كالسرو والسوسن .

– لكن داوموا فى كل لحظة على شكر الماء بلا لسان كالروضة جميلة الألوان .

– فبلا لسان تردد أشجار السرو والمروج شكر الماء وشكر عدل الربيع فى أوله !!

– فهى مرتدية الحلل ، باسطة أذيالها ، ثملة ، راقصة ، سعيدة ، ناثرة للعنبر.

٤٥٦٠– فأعضاؤها عضوا عضواً حاملٌ من ملك الربيع ، وأجسادها كالأدراج مليئة بدر الثمار .

---

(١) ج : ١٤ / ٥١٣ :

– واعلم يقيناً انك أسير وعبد ، ذلك أنك بقيت فى صندوق الأحزان

– وكل ما صرت عبداً له من خير أو شر ، كل منها صار عليك كصندوق

– وما لم تتحرر منها كلها ، متى يصير قلبك فرحاً أيها الحبيب ؟

– إنها على مثال مريم حامل فى المسيح دون بعل ، صامتــة لا تنبس بهـذر ، أو كلام فصيح.

– إن ثمرنا قد سطع سعيداً دون نطق ، وكل لسان وجد النطق من بهائنا .

– ونطق عيسى عليه السلام يكون من بهاء مريم ، ونطق آدم عليه السلام شعاع لذلك النفس .

– وحتى يزداد الشكر أيها الثقات ، هناك اذن نبات آخر فى نبات .

٤٥٦٥– وانعكاسه هنا : ذل من قنع ، وفى ذلك الطور عز من طمع .

– فلا تمضى فى جوال نفسك كثيراً ، ولا تكن غافلاً عن الذى يشرونك[١] .

عودة امرأة جحا إلى محكمة القاضى فى السنـة التاليـة
على أمل الظفر بـمبلـغ السنـة السابـقة
وتـعرف القاضى عليـها ..... إلى آخره

– وبعد سنة التفت جحا ثانية فى تأثير المحن إلى زوجته وقال لهـا: أيتهـا المـرأة الماهرة ؛

– هيا وجددى راتب السنة الماضية ، وهيا وتحدثى إلى القاضى شاكية إياى .

– ودخلت الزوجة إلى القاضى مع النسوة ، وجعلت امرأة أخرى تتحدث عنها .

٤٥٧٠– حتى لا يعرفها القاضى من صوتها ، ولا يتذكر ما وقع به من بلاء فــى الماضى .

– إن لحاظ المرأة ذات المعنى فتنة ، لكن ما يحدث من صـوت المـرأة أضعـاف أضعافها .

– ولما لم تكن تستطيع رفع صوتها ، فان نظرة المرأة وحدها لم تجد نفعاً .

– قال القاضى : امضى واحضرى خصمك ، حتى أصلح ما بينكما .

---

(١) ج : ٥١٩/١٤ – حتى لا تبقى مضطرب الحال منها ، هكذا أمر بذلك يا صاحب القلب .

– وجاء جحا ، ولم يعرفه القاضى سريعاً ، لأنه عند اللقاء به كان فى الصندوق.

٤٥٧٥– كان قد سمع صوته من خارج "الصندوق" ، عند الصفقة ، وعند الفصال.

– سأله : لماذا لا تعطى المرأة نفقتها بالتمام ؟! أجاب : إننى غلام بروحى لما تأمر به الشريفة .

– لكنى لو مت لا أجد الكفن ، وأنا مفلس فى هذه اللعبة ، بل وكل ما آتى به فيها خمسة "نقاط" أو ستة !!

– فلعل القاضى عرفه عندما تحدث ، فتذكر ذلك المكر ، وذلك التلاعب به .

– قال : لقد لعبت هذه الخمسة وهذه الستة معى فى السنة الماضية ، وحبستنى فى "الخانات" الستة .

٤٥٨٠– ولقد ذهب دورى ، فالعب هذا العام ذلك القمار مع شخص آخر ، وارفع يدك عنى .

– لقد صار العارف منفصلاً عن الخمسة و الستة ، واحترزمن اللعب بالنرد خمسته وستته .

– لقد نجا هو من الحواس الخمسة والجهات الستة ، وجعلك عارفاً بما وراء هذا كله .

– وصارت إشاراته هى إشارات الأزل ، "جاوز الأوهام طر واعتزل" .

– فإذا لم يكن خارج هذا البئر ذى الجهات الستة ، فكيف يخرج "يوسف" من داخله ؟

٤٥٨٥– فهو وارد فى أعلى الفلك الذى بلا عمد ، وجسمه كالدلو محتال فى البئر .

– لقد تشبث أمثال يوسف بدلوه فنجوا من البئر ، وصاروا ملوكاً على مصر .

- إن الدلاء الأخرى باحثة عن البئر عن المياه ، ودلوه فارغ من الماء ، باحث عن الصحاب .

- والدلاء تغوص فى المياه من أجل القوت ، ودلوه قوت لروح الحوت وحياة له .

- والدلاء متصلة بالفلك العالى ، ودلوه بين إصبعين قويين .

٤٥٩٠- فما الدلو ؟ وما الحبل ! وما الفلك ؟! ، إن هذا المثال ركيك جداً أيها الأخ .

- وكيف أضرب مثلاً خالياً من الركاكة وكفوه لم يكن ولا يكون .

- فمئات الآلاف من الرجال مضمرون فى رجل واحد ، ومائة قوس وسهم مدرجون فى سن واحد .

- وما رميت إذ رميت من قبيل الفتنة ، ومئات الآلاف من البيادر فى حفنة واحدة .

- وشمس مختفية فى ذرة واحدة ، وفجأة تفتح تلك الذرة فاها .

٤٥٩٥- وتصبح الأفلاك والأرض ذرة ذرة ، أمام تلك الشمس عندما تظهر من مكمنها !! .

- ومثل هذه الروح متى تصير جديرة بالجسد ؟! هيا وانفض أيها الجسد كلتا يديك من هذه الروح .

- ويا آلاف من أمثال جبريل "موجودون" فى بشر ، ويا أمثال المسيح ، مختفون فى قطيع من الحمر[1]

---

[1] ج : ١٤/٥٤٠ :

- ويا كليم الله مختفياً فى لباد ، واقف من الخوف وناج من القيد والسوء .

- ويا حبيب الله مختفياً فى غار البدن ، وكنز ربانى مختف فى جسد حية .

– ويا آلاف من أمثال الكعبة مختفية فى بيعة ، ويا ملق للشيطان والإبليس فى الخطأ .

٤٦٠٠– أموضع لسجود اللا مكان فى المكان ، أليس لأمثال إبليس منك بضاعة كاسدة ؟

– حين قال : كيف أحترم هذا الطين ؟! وكيف أعطى لصورة لقب الدين ؟!

– إنه ليس صورة فحك عينيك جيداً ، حتى ترى أضواء نور الجلال .

عودة إلى تفصيلات قصة الأمير
وملازمته لحضرة الملك

– إن الأمير حائر أمام الملك فى أنه رأى الأفلاك السبعة فى قبضة من الطين !!.

– لم يكن من الممكن قط التفوه بمقال ، لكن الروح مع الروح لم تكن صامتة لحظة واحدة .

٤٦٠٥– وعن لخاطره أن هذا الأمر خفى جداً ، إن هذا كله معنى فمن أين الصورة ؟!.

– إنها صورة تجعلك ضائقا من الصورة ، إنه نائم لكنه يوقظ كل نائم!! .

– إن كلامه هذا يحررك من الكلام ، وذلك السقام يشفيك من السقام .

– إذن فسقام العشق هو روح الصحة ، وآلامه تزرى بكل راحة .

– أيها الجسد ، الآن انفض يدك من الروح ، وان لم تفعل فابحث عن روح غير هذه الروح !!.

٤٦١٠– والخلاصة أن هذا الملك كان يزيد فى إكرامه ، وكان هو كالقمر يذوب من تلك الشمس .

– انه ذوبان العاشقين ، وهو نمو ، مثل القمر يكون فى ذوبانه متجدد الطلعة .

– وكل المرضى يأملون الدواء ، وهذا المريض يئن قائلاً : زيدونى .

– إننى لم أشرب ألذ من هذا السم ، ولا صحة هناك أطيب من هذا المرض .

– ولا طاعة هناك أفضل فى هذا الذنب ، والسنون بالنسبة لهذه اللحظة برهة من الزمن .

٤٦١٥– وظل مدة عند الملك على هذا النسق ، القلب شواء والروح موضوعة على الطبق .

– وقال أن الملك قطع من كل "من أعدمه" رأساً واحدة ، وأنا من الملك فى كل لحظة ضحية جديدة .

– وأنا فقير من الذهب ، لكنى غنى فى الرؤوس ، لأن رأسى التى قطعت عوضت بمئات الآلاف من الرؤوس.

– ولا يمكن الهجوم فى العشق بقدمين ، ولا يمكن المغامرة فى سبيل العشق برأس واحدة .

– ولكل إنسان قدمان ورأس واحدة ، ولا يوجد جسد بآلاف الأقدام والرؤوس .

٤٦٢٠– ولهذا السبب فكل المجالس صارت كلها هدراً ، وهذا المجلس فى كل لحظة أكثر دفئاً وحرارة .

– ومعدن الحرارة موجود فى اللامكان ، والنيران السبعة بالنسبة له شرر واحد .

فى بيان أن النار التى توجد قنطرة الصراط فوقها

تقول : أيها المؤمن ، أعبر الصراط ، عجل حتى لا تطفئ

عظمة نورك نارنا ، جز يا مؤمن فان نورك أطفأ نارى

– ومن هنا ، فمن نار العشق أيها الصفي ، تصير جهنم ضعيفة ومنطفئة .

- تقول له : جز سريعاً أيها المحتشم ، وإلا فإن من نيرانك انطفأت نارى .

- والكفر الذى هو كبريت جهنم فحسب ، انظر كيف يجعله ذابلاً هذا النفَس .

٤٦٢٥- فاضرم سريعاً كبريتك فى تلك الشهوة ، حتى لا تهاجمك جهنم أو يهاجمك شررها .

- وتقول له الجنة مر كأنك الريح ، وإلا لصار كل ما لدى كاسداً .

- فأنت صاحب بيدر وأنا جامعة للسنابل ، وأنا صنم وأنت ولايات الصين .

- فهى مرتعدة منه سواء الجحيم والجنان ، فلا أمان لهذه أو لتلك منه .

- لقد مضى عمره ، ولم يجد فرصة للعلاج ، كان الصبر شديد الإحراق لم تتحمله الروح .

٤٦٣٠- وظل فترة يعانى برغم أنفه ، وبلغ عمره آخره وهو لم ينضج بعد.

- لقد اختفت عنه صورة المعشوق ، فذهب وعانق معنى المعشوق .

- وقال : وإن كانت ملابسه من الشعر والخز الششترى ، فان عناقه بلا حجاب أفضل .

- لقد صرت عارياً من الجسد وهو فى الخيال ، وها أنا أتبختر فى نهايات الوصال .

- إن هذه الموضوعات قابلة للبوح إلى هذا الحد ، وكل ما يأتى من بعد جدير بالإخفاء .

٤٦٣٥- وان قلت أو جاهدت مائة ألف نوع من الجهاد ، لكانت كلها بلا نتيجة ، فلن تصير معلنة .

- فحتى البحر ، يكون سير الجواد والسرج ، ثم يكون لك من بعد المركب الخشبى .

- والمركب الخشبي في اليابسة عاجز ، خاصة عندما يكون هناك دليلٌ لهؤلاء المبحرين .

- إن هذا الصمت هو المركب الخشبي ، والصمت لراكبي البحر يكون تلقينا .

- وكل صمت يصيبك بالملل ، فانه يثير صيحات العشق في تلك الناحية .

٤٦٤٠- وأنت تقول : عجباً لماذا هو صامت ؟ وهو يقول : عجباً أين أذنه ؟! .

- لقد صرت أصم من الصياح وهو غافل ، وأصحاب الآذان الحادة بهم صمم عن هذا السمر !!

- فهذا يصيح في النوم ويقوم بمئات الآلاف من المباحث والتلقينات .

- وهذا جالس إلى جواره بلا خبر ، فهو في حد ذاته نائم وأصم عن تلك الضجة والفتنة .

- وذلك الذي انكسر مركبه الخشبي وغرق في الماء هو في الحقيقة سمكة !! .

٤٦٤٥- فلا هو صامت ولا هو متكلم ، أمر نادر ، وليس لحاله اسم في العبارات .

- فهو ليس من هذين ، وهو هذان ، وهذا عجب ، وشرح هذا الكلام خارج عن الأدب

- إن هذا المثال جاء شديد الركاكة غير معبر تماماً ، لكن لا يوجد فيما يُحس ما هو أفضل منه[١] .

---

[١] ج : ٥٥٤/١٤ :

- الخلاصة أن ذلك الأمير غادر الدنيا ، روحه مليئة بالنار وكبده بالحرقة .

وفاة الأكبر من الأمراء ومجيء الأخ الأوسط إلى جنازة أخيه ، لأن الأصغر كان طريح الفراش لمرضه ، وإكرام الملك للأوسط حتى صار هو أيضاً أسير الإحسان ، فبقي عند الملك ، ووصله الملك بمائة ألف من الغنائم الغيبية والعينية من دولة ذلك الملك ونظره ، مع تقرير بعضه

– كان الأصغر مريضاً وجاء ذلك الأوسط فحسب إلى جنازة أخيه .

– ورآه الملك فقال قاصداً من يكون هذا ؟! إنه من نفس ذلك البحر وهو أيضاً سمكة !

٤٦٥٠– قال المعرف : انه ابن ذلك الأب ، وهذا الأخ اصغر من ذاك الأخ .

– فلاطفه الملك قائلاً : إنك تذكار ، وصاده أيضاً بهذا السؤال .

– ومن تلطف الملك ، فإن ذلك الملتاع المحترق المشوى ، رأى في جسده روحاً غير الروح[1] .

– ورأى في قلبه ضجة عالية ، لا يجدها الصوفي في مائة أربعينية .

– فالساحة والجدار والجبل المفتول في الصخر ، أخذت تتفتح أمامه ضاحكة كأنها النار .

٤٦٥٥– وذرة بذرة أمامه كأنها القباب ، أخذت لحظة بلحظة تقوم بمائة نوع من فتح الباب !! .

– وكان الباب يصير حيناً كوة وحيناً شعاعاً ، وحيناً كان التراب يصير قمحاً وحيناً صاعاً .

---

(١) ج : ٥٦٠/١٤ :

– وجد في قلبه عالماً عالياً ، لا يجده أحد بعد مائة خلوة .

- والفلك الذى هو أمام الأنظار قديم جداً ومتيبس ، أمام عينه فى كل لحظة خلق جديد .

- والروح الحسناء عندما تنجو من الجسد ، يقضى لها بأن تصل مثل هذه المناظر إلى بصرها .

- وتصير مئات الآلاف من الغيوب ظاهرة أمامها ، وترى ما تراه أعين المأذون لهم .

٤٦٦٠- وما كان قد قرأه من الكتب ، فتح عينه على صورته .

- ومن غبار مطية ذلك الملك الفحل ، وجد هو الكحل العزيزى فى البصر .

- أخذ يجرجر أذيال ثوبه على مثل هذه الروضة ، وأعضاؤه كلها تصيح عضواً عضواً : هل من مزيد ؟ .

- فالروضة التى تنبت من البذر تدوم لحظة واحدة ، والروضة التى تنمو من العقل دائمة النضرة .

- والروضة التى تنمو من الطين تصبح صعيداً زلقاً ، والروضة التى تنمو من القلب ، وافرحتاه بها.

٤٦٦٥- وان العلوم ذات الطعم التى نعرفها ، إعلم أنها باقة أو باقتان أو ثلاث من تلك الروضة .

- فنحن ضعاف أمام هذه الباقات ، ذلك لأننا أغلقنا باب الروضة أمام أنفسنا .

- ومثل تلك المفاتيح تشغل كل لحظة فى الخبز ، فو آسفاه على البنان ، أيتها الروح !! .

- ولو جعلوك فارغاً لحظة من "هم" الخبز ، فإنك تطوف حول النقاب أى حول النساء .

- ثم إن الاستسقاء الذى أصبت به عندما صار متلاطم الأمواج ، يلزمك ملك مدينة مليئة بالخبز والنساء .

٤٦٧٠- كنت حية ، فلعلك صرت تنيناً ، كانت لك رأس واحدة فأصبحت لك سبعة رؤوس .

- والتنين ذو الرؤوس السبعة هو جهنم ، وحرصك حبة وجهنم هى الفخ .

- فمزق الشبكة ، واحرق الحبة ، وافتح لهذه الدار أبواباً جديدة .

- ولأنك لست بالعاشق ، أيها الشحاذ الملحاح ، فأنت كالجبل يرن منك الصدى ، وأنت غافل .

- فمتى يكون للجبل كلام من ذاته ، إن هذا الصوت انعكاس للغير أيها المعتمد .

٤٦٧٥- وقولك على هذا النسق لأنه انعكاس لآخر ، وليست كل أحوالك إلا انعكاسات! .

- وغضبك ورضاك كلاهما انعكاس للآخرين ، سرور القوادة ، وغضب الشرطى .

- فماذا فعل ذلك الضعيف لذلك الشرطى آخر الأمر ، حتى يزجره هكذا بحقد وألم .

- فحتام تكون عاكساً للخيالات المبهرة ؟! جاهد حتى تصير لك هذه الوقائع .

- وحتى يكون حديثك عن أحوالك ، ويكون تجولك بجناحك وقوادمك .

٤٦٨٠- إن السهم يأخذ الصيد بجناح الغير ، فلا جرم أنه بلا نصيب من لحم الطير .

- والبازى يأتى بالصيد من الجبل ، فلا جرم أن المليك يطعمه القطا والزرزور .

– والمنطق الذى لايكون من الوحى يكون من الهوى ، مثل غبار فى الهواء والهباء .

– وإذا كان هذا النفَس يبدو للسيد خطأ ، فاقرأ من أول والنجم بضع آيات .

– إذ ما ينطق محمد ﷺ عن هوى ،﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ .

٤٦٨٥– ويا أحمد ، ما دام ليس لك من الوحى يأس ، فاعط أرباب الجسم التحرى والقياس .

– فعند الضرورة تكون الميتة حلالاً ، ولا تحرى هناك فى كعبة الوصال .

– وبدون تحرى واجتهادات الهدى ، فان كل بدعة تأخذ من الهوى حرقة .

– تحمله ريح كعاد وتقتله ، لا كسليمان عليه السلام الذى تحمل عرشه .

– فالريح لعاد حمال خذول ، مثل حمل فى كف رجل أكول .

٤٦٩٠– يضعه تحت إبطه كأنه ولده ، ثم يحمله ليذبحه كالقصاب .

– كانت تلك الريح لعاد من الاستكبار ، ظنـــوها رفيقاً لهم وهى من الأغيار .

– وعندما قلبت الفراء فجأة ، حطمتهم تماماً ، وبئس القرين .

– فحطم الهوى ، فالهوى شديد الفتنة ، قبل أن يحطمك هو كما حطم عاد .

– كان هود يعظ قائلاً : أيتها الجماعة المليئة بالكبر ، إن هذه الريح ستقتلع من أيديكم الذيول (التى تتمسك بها)

٤٦٩٥– إن الريح هى جند الحق ، ومن النفـــاق عانقتكم بضعة أيام .

– وهى فى السر مستقيمة مع خالقها ، وعندما يحين الأجل تبدى الريح يدها .

– فانظر إلى الريح ذات ممر من الفم ، وكل نفَس آت وذاهب فى كر وفر .

– والحلق والأسنان منها فى أمان ، وعندما يأمرها الحق تقع فى الأسنان .

– وتصير ذرة من الريح جبلاً ثقيلاً ، وألم الأسنان ، يجعله مسكيناً عليلاً .

٤٧٠٠- وهذه هى نفس هذه الريح التى كانت تمر رخـــاءً ، كانت روح الزرع ، وصارت موتاً للزرع .

- وذلك الشخص الذى قبل يدك ، تنقلب يده عند الغضب إلى مقمع "لك" .

- إنه يدعو الله فى أعماق روحه قائلاً : يارب ، يارب ، اقطع هذه الريح أيها المستعان .

- أيها الفم كنت غافلاً عن هذه الريح فامض ، وداوم على الاستغفار خاضعاً .

- إن عينه القاسية تذرف الدمع كالمطر ، والألم يجعل المنكرين متغنين بلفظ الجلالة .

٤٧٠٥- فما دمت لم تقبل أنفاس الرجال من رجل ، فهيا كن قابلاً لوحى الحق من الألم .

- فتقول الريح : إننى رسول من مليك البشر ، أحياناً آتى بالبشرى وأحياناً بالفتنة والشر.

- ذلك أننى مأمورة ، ولا أملك أمر نفسى ، ومتى أكون غافلة مثلك عن مليكى؟!

- ولو كان حالك كحال سليمانﷺ ، لصرت حاملة لك كما كنت لسليمان .

- ولصرت أنا العارية ملكاً لكفك ، وجعلتك واقفاً على سرى .

٤٧١٠- لكن ما دمت عاصياً ، أكون أنا مستعارة ، أخدمك ثلاثة أيام أو أربعة .

- ثم أنقلب عليك كثيراً كما فعلت بعاد ، وأثب عليك بعصيان من بين جندك .

- حتى يصبح إيمانك بالغيب قوياً ، فى تلك اللحظة التى يصير فيها إيمانك مسبباً للحزن .

- وفى تلك اللحظة يصير الجميع مؤمنين ، وفى تلك اللحظة ، حتى العصاة يمشون على رؤوسهم .

– وفى ذلك الزمان يقومون بالضراعة والافتقار ، مثل اللصوص وقطاع الطريق عندما يكونون أسفل المشنقة.

٤٧١٥– لكنك إن صرت مستوياً فى الغيب ، لصرت مالك الداريـن وشرطياً لنفسك .

– ملوكية وشرطية مقيمة ، ليست موجودة لمدة يومين وسقيمة .

– تنجو من السحرة وتقوم بأمر نفسك ، فأنت الملك ، وأنت الذى تدق طبل نفسك.

– إن الدنيا تضيق علينا وكأنها الحلق ، فليت الحلق والفم قد أكلا التراب !

– وذلك الفم فى حد ذاته قد خلق آكلاً للتراب ، لكنه ذلك التراب الذى صار ملوناً.

٤٧٢٠– وهذا الشواء وهذا الشراب وهذا السكر ، هو تراب ملون ومزخرف ، يابنى .

– وما دمت قد أكلتها وصارت لحماً وجلداً ، فقد أعطاها لون اللحم ، وهو أيضاً تراب طريق .

– إنه أيضاً من التراب يرتق الطين ، ثم يجعل الجميع تراباً مرة ثانية .

– فالهندى والقفجاقي والرومى والحبشى كلهم متوحدو اللون فى القبور .

– حتى تعلم أن كل هذه الصور والرسوم ، كلها مستعارة ، ومكر وقناع .

٤٧٢٥– واللون الباقى ، هو صبغة الله فحسب ، وغير ذلك معلق كالجرس .

– ولون الصدق ولون التقوى واليقين ، تكون باقية حتى الأبد على العابدين .

– ولون الشك ولون الكفر والنفاق ، تبقى إلى الأبد على روح العاق .

– مثل سواد وجه فرعون المحتال ، بقى لونه ، وفنى جسده .

– وضياء وجوه الصادقين الحسنة وبهاؤها ، تبقى حتى يوم الدين وبعد فناء أجسادهم .

٤٧٣٠– والقبيح هو ذلك القبيح والطيب هو ذلك الطيب فحسب ، هذا ضاحك دائماً وذاك فى عبوس .

– إنه يعطى التراب اللون والفضل والوزن ، ويعطى لمن هم فى طبع الأطفال الاقتتال عليه .

– انهم يصورون من العجين جمالاً وأسوداً ، والأطفال يعضون أكفهم حرصاً عليها .

– ويصير الجمل والأسد خبزاً فى الأفواه ، ولا يؤثر هذا الكلام فى الأطفال[1] .

– فالطفل فى جهل وظن وشك ،والشكر للبارى ، أن قوته قليلة[2] .

٤٧٣٥– وعند الطفل عنادٌ ومائة آفة ، والشكر لله أنه بلا فن وبلا قوة .

– فويلاه من أولئك الأطفال المشايخ عديمى الأدب ، الذين صاروا من قوتهم بلاءً على كل رقيب .

– وعندما يجتمع السلاح والجهل معاً ، صار فرعون "منهما" محرقاً للعالم .

– فاشكر الله – أيها الفقير – من القصور ، فقد نجوت من الفرعونية ومن الكفران .

– والشكر لله أنك مظلوم ولست ظالماً ، آمن من الفرعونية ومن كل فتنة .

٤٧٤٠– والبطن الخالية لم تدع الألوهية ، فليس لنارها من الحطب مدد .

---

(١) ج: ١٤ / ٥٦٣ :

– وحجورنا مليئة بالتراب كالأطفال ، وذهبت عن رؤوسنا مساعى الأسباب والدكان .

(٢) ج : ١٤ / ٥٦٣

– ويل لأولئك الأطفال الذين يقومون بالمشيخة ، هم نمال عرجاء وتزاول الإمارة .

– والبطن الخالية تكون سجناً للشيطان ، فإن هم الخبز يمنعها من المكر والاحتيال !.

– واعلم أن البطن المحشوة بالدسم هى سوق الشيطان ، ولتجار الشيطان ضجة فيها .

– التجار السحرة الذين لا يبيعون شيئاً ، جعلوا العقول مظلمة من صياحهم .

– لقد جعلوا الدن من سحرهم يسير كالفرس ، وصوروا ضوء القمر فى الظلمة كأنه الكرباس .

٤٧٤٥– إنهم ينسجون التراب وكأنه الحرير ، ويحثون عين كل من يميز بالتراب .

– ويعطون الصندل رائحة العود ، ويحسدوننا على مدر أعطونا إياه .

– فتقدس ذلك الذى يعطى التراب لوناً ، ويجعلنا كالأطفال نتقاتل عليه .

– إننا كالأطفال نملأ جحورنا بالتراب ، وفى نظرنا أن التراب هو ذهب المنجم !.

– ولا مجال للطفل مع البالغين ، ومتى يجلس الحق الطفل مع الرجال ؟!

٤٧٥٠– والفاكهة وإن قدمت ما دامت فجة وليست ناضجة يطلقون عليها أسم الحصرم .

– وذلك الساذج الفج وإن بلغ مائة عام ، فهو طفل وحصرم فى نظر كل ذكى .

– وحتى لو كان شعره ولحيته قد شابا ، فهو لا يزال فى طفولة الخوف والرجاء .

– إنه يتساءل : هل أنا ناضجٌ أو لم أنضج بعد ، فوا عجباه ، هل يجعلنى كرْماً ذلك الكرم ؟!

– وبرغم عدم استعدادى وبُعدى ، هل يمنح حصرمى هذا صفات العنب .

٤٧٥٥– إننى لست راجياً من أى صوب ، وذلك الكرم يقول لا تيأسوا .

– إن سلطاننا دائماً ما أولم لنا ، وسحبنا من آذاننا قائلاً : لا تقنطوا .

– وبالرغم أننا نكون من هذا اليأس فى حفرة ، عندما نادى بالعطاء ، علينا أن نمضى راقصين .

– راقصين كخيل شديدة النشاط ، عندما تسرع إلى المرعى الأنيس .

– نسرع الخطو ولا خطو هناك ، نحمل الكأس ولا كأس هناك .

٤٧٦٠– ذلك أن كل الأشياء هناك روحانية ، إنها معنى فى معنى فى معنى .

– إن الصورة ظل والمعنى هو الشمس ، والنور بلا ظل يكون فى الخراب .

– وعندما لا تبقى فيها لبنة فوق لبنة ، لا يبقى لنور القمر ظل قبيح .

– واللبنة وان كانت ذهبية فهى جديرة بالاقتلاع ، ما دام ثمن اللبنة هو الوحى والنور.

– والجبل مندك من أجل دفع الظل ، والتمزق إرباً قليلٌ من أجل هذا النور .

٤٧٦٥– وعندما سطع نور الصمد على ظاهر الجبل اندك ، فما بالك لو سطع على داخله ! .

– والجائع عندما وقع على كفه رغيفٌ من الخبز ، تتفتح من الهوش عيناه وفمه !.

– إن هذا يساوى التمزق إلى مئات الآلاف من القطع ، فانهضي من بين الفلك أيتها الأرض !

– حتى يصبح نور الفلك محرقاً للظل ، إن الليل من ظلك يا متمردا على النهار .

– وهذه الأرض مثل مهاد الأطفال ، تضيق بالبالغين .

٤٧٧٠– ولقد سمى الحق الأرض مهداً للأطفال ، وفى المهد يهب الأطفال اللبن.

– ولقد ضاقت هذه الدار بالمهاد ، فاجعل الأطفال بالغين سريعاً أيها الملك[1] .

ويا أيها المليك ، لا تجعل الدار ضيقة ، حتى يستطيع البالغ الحركة!

الوسوسة التي حدثت لدى الأمير بسبب الاستغناء

والكشف الذي كان قد وصل لقلبه من الملك ، وانتوائه الجحود والعصيان ،

ومعرفة الملك نواياه عن طريق الإلهام والسر وتألم قلبه ،

وإصابه الأمير بضربة بحيث لا يكون عنده خبر عن صورة الملك .. إلى آخره

– وعندما صار مسلماً له دون بيع أو شراء ، أن يكون قوت لروحه من باطن الملك .

– أخذ يتقوت من نور روح المليك ، قمرُ روحه ، كما يتقوت القمر من الشمس .

٤٧٧٥– وأخذ الراتب الروحي يصل لحظة بلحظة من المليك الذي لا ند له إلى روحه الثملة .

– ليس مما يأكله المسيحي أو المشرك ، بل من ذلك الغذاء الذي تأكله الملائكة .

– لقد رأى الاستغناء داخل نفسه ، فصار الطغيان تابعاً من الاستغناء .

– وتساءل : ألست أنا ملكاً أو أميراً ، فكيف أسلمت قيادي إلى هذا الملك ؟!

– وما دام عندي قمر ذو ضياء ، فكيف أكون تبعاً لغبار ؟!

٤٧٨٠– والماء في جدولي ، والوقت وقت الدلال ، فلماذا احتمل دلالاً من الغير دون حاجة إليه ؟

– ولماذا أربط رأسي ما دمت لا أعاني الصداع ، ومادام وقت الوجه الشاحب والعين الدامعة لم يبق .

---

(1) ج : ١٤ / ٥٦٥ :

– ويا أيها المهد لا تجعل الدار ضيقة ، حتى يستطيع البالغ السير دون تعطيل !

– وما دمت قد صرت حلو الشفة وخدى كالقمر ، ينبغى على إذن أن أفتح حانوتاً آخر[1] .

– ومن هذه الأنية ، عندما أخذت النفس فى التولد ، أخذ يتفوه بمئات الآلاف من أنواع الهراء .

– إن مائة صحراء من هذا الصوب ، للحرص والحسد ، لكن عين السوء تصل إلى ذلك المكان أيضاً .

٤٧٨٥– وبحر الملك الذى هو موئل لكل ماء ، كيف لا يدرى ما هو فى السيل وما هو فى الجدول؟!!

– لقد تألم قلب الملك من مكره ، ومن جحود عطائه البكر .

– قال : آخر الأمر أيها الخسيس واهى الأدب ، أهذا جزاء عطيتى ؟! يا للعجب!! .

– فماذا أعطيتك أنا من هذا الكنز النفيس ، وماذا فعلت أنت معى من الطبع الخسيس ؟!

– لقد وضعت فى جوانحك قمراً لا غروب له إلى يوم الحساب .

٤٧٩٠– وفى مقابل هذا العطاء الطاهر ، ألقيت فى عينى التراب والشوك .

– ولقد صرت سلماً لك إلى الفلك ، وصرت أنت فى قتالى سهماً وقوساً .

– لقد ظهر ألم الغيرة عند المليك ، وانعكس ذلك الألم فيه ووصل إليه .

– وخفق طائر الدولة عتاباً له ، وتمزق حجاب تلك الناحية المدبرة .

– وعندما رأى باطنه ذلك الفتى الطيب ، وفيه من سوء عمله غبار وأثر .

---

(١) ج : ١٤ / ٥٨٤ :

– لى قد كالسرو ووجه كالقمر ، فأين يوجد أمير" مثلى الآن ؟!

٤٧٩٥- وذلك الراتب من اللطف والإنعام قد قل ، امتلأً منزل سروره بالأحزان.
- عاد إلى وعيه من سكر العقار ، ومن ذنبه ذاك صار رأسه موضعاً للخمار[١] .

- لقد أكل القمح ، وعرى عن ثيابه ، وصار الخلد عليه بادية ومهمه .

- لقد رأى أن تلك الشربة قد أمرضته ، وأن سم هذه "الأنيات" قد فعل مفعوله .

- والروح التي هي كالطاووس في روضة الدلال ، صارت كالبومة في خرابة المجاز .

٤٨٠٠- ومثل آدم ، ابتعد عن الجنة ، وأخذ يسوق بقرة على الأرض من أجل الحراث .

---

(١) ج : ١٤ / ٥٨٧ :

- إن كل من رأى نفسه في طريق الحبيب ؛ ترك اللب كلية ورأى القشر
- فلا كان عدوى في الدنيا ناظراً لنفسه ، فمن الناظر لنفسه لا يأتي إلا الفساد
- وقد حرمت الخمر في الدنيا ، لأنك إن شربتها صرت ناظراً لنفسك على الفور
- ومن الأفضل ألا يأتيك تصور لنفسك ، وكل هذا متولد من النفس المغرورة
- ان من يشرب مع نفسه الخمر وتكون حاضرة ، يكون مثل هذا الشارب ذيلاً مرتداً
- ومن يشرب معه فخمره حلال ، لأنه من يتنفس بدونه نفسه وبال
- ولأن أشرب معه من كأس "هو" ، أفتح عيني فأرى وجهه
- وبعدها أنقطع عن نفسي تماماً ، وهذا هو ما آخذه من شرب الخمر
- ويا من تريد أن تنقطع عن نفسك ، حتام أنت في قيد هذه الروح والقلب
- أسلم روحك للأحبة يا حبيبي ، حتى ترى الحبيب الذي يؤلم قلبي
- اعط القلب للحبيب وكن حراً ، وكن متجرعاً لأحزانه سعيداً به
- ولا تجعل نفسك منتصرة عليك ، فافطمها سريعاً عن اللبن
- وكل ما هو موجود في هذا اكثر يقينا ، سواء كان لبناً أو خمراً أو عسلاً
- لقد كان سكر القمح ذاك أيها الانسان ، هو الذي جعل الانسان ذلك الجهول .

– أخذ يذرف الدمع ويقول قائلاً : أيها الهندى القوى ، لقد جعلت الأسد أسيراً لذيل بقرة .

– وقمت أيتها النفس بفعل سيئ سمج ، أتكونين جحوده مع الملك المغيث ؟!

– لقد اخترت الفخ من حرصك على القمح ، فصارت كل حبة قمح عقرباً لك .

– وحط هوى الأنية فى رأسك ، فانظرى القيد على قدمك يزن خمسين منّاً .

٤٨٠٥– أخذ ينوح على هذا النمط على روحه قائلاً : لماذا انقلبت على مليكى ؟

– وعاد إلى وعيه واستغفر ، واستعان مع الإنابة بشىء آخر .

– فارحم الألم الذى يكون من خوف الإيمان ، فذلك الألم لا علاج له .

– فلا كان للإنسان رداء صحيح ، فهو عندما نجا من الصبر بحث فى الحال عن الصدر

– ولا كان للإنسان قبضة أو أظافر ، فهو حينذاك لا يفكر فى دين أو فى سداد .

٤٨١٠– وأولى بالإنسان أن يكون قتيل البلاء ، فالنفس كافرة بالنعمة وضالة[1] .

خطاب الحق لعزرائيل : أى الناس الذين قبضت أرواحهم ، أشفقت عليهم أكثر؟ وجواب عزرائيل على الحضرة الإلهية

– قال الحق لعزرائيل : أيها النقيب ، على من أشفقت من كل حزين كئيب ؟

– قال : إن قلبى يشفق عليهم جميعاً بألم ، لكنى أخاف من إهمال الأمر .

– حتى لأقول : ليت الله تعالى قد جعلنى فداءً عوضاً للفتى .

---

(١) ج : ١٤ / ٥٨٨ :

– والنفس الكافرة لا تعطى الأمان ، لقد طغت عندما فرغت من هم الخبز

– وأفضل للإنسان أن يكون مبتلى ، لأنه آنذاك يكون مسكيناً عاجزاً مضطراً .

- قال : على من أشفقت أكثر ، على من صار قلبك أكثر شفقة واحتراقاً ؟

٤٨١٥- قال: ذاتِ يوم أغرقت سفينة بالموج العالى بأمرك حتى تحطمت إرباً .

- ثم قلت لى : إقبض أرواح الجميع ، اللهم إلا امرأة وطفل من هذا الجمع .

- وبقى كلاهما على لوح من الخشب ، أخذت الأمواج تتلاعب به[١] .

- ثم قلت : اقبض روح الأم ، واترك الطفل وحيداً بالأمر الإلهى .

- وعندما فرقت بين الطفل والأم ، أنت نفسك - يا إلهى - تعلم أية مرارة أحسست بها .

٤٨٢٠- لقد رأيت دخان مآتم عظيمة ، لكن المرارة على ذلك الطفل لم تذهب عنى .

- قال الحق : لقد أمرت الأمواج ، وقلت لها : ألق بهذا الطفل على غابة .

- غابة مليئة بالريحان والسوسن والورود ، ومليئة بالأشجار المثمرة ذات الأكل.

- وعيون الماء الزلال ، وربيت الطفل بمئة عزٍّ ودلال .

- ومئات الآلاف من الطيور المغردة حسنة الأصوات ، ألقت فى تلك الروضة بمئات الألحان .

٤٨٢٥- جعلت فراشه من أوراق العليق ، وجعلته آمناً من صدمات الفتن .

- قلت للشمس لا تخزيه، وقلت للريح: هبى عليه الهوينى .

- وقلت للسحاب لا تمطر عليه ، وقلت للبرق ، لا تبرق عليه بحدة .

- ولا تحمل أيها الشتاء الاعتدال عن هذه الروضة ، ولا تتحسس أيها الصقيع هذه الروضة بيدك .

---

(١) ج : ١٤ / ٥٩٤ :

- لأن الريح عندما تلقى هذا اللوح على الساحل ، سوف يفرح القلب لنجاتهما معاً .

كرامات الشيخ شيبان الراعى

قدس الله روحه العزيز

- مثل شيبان الراعى ، عندما كان يذهب لصلاة الجمعة ، كان يخط دائرة حوله قطيعه ، تحفظه من الذئب .

٤٨٣٠- حتى لا يخرج خروف من ذلك الخط ، ولايدخله ذئبٌ أو لص مؤذ .

- وذلك على مثال دائرة تعويذة هود ، كانت أماناً فى داخلها لأهله من الريح الصرصر .

- وقال لهم : توقفوا داخل هذه الدائرة ثمانية أيام ، وشاهدوا المثلة التى تدور خارجها .

- كانت تحمل "الشخص" فى الهواء وتلقى به على الحجر ، حتى تمزق العظم واللحم وتفصلهما عن بعضهما.

- وكانت تخلط الجماعة ببعضها فى الهواء ، حتى تتساقط عظامهم كالخشخاش .

٤٨٣٥- إن ذلك العقاب الذى ترتعد منه السماء ، لا يتسع المثنوى لشرحه .

- فان كنت تقومين بهذا على أساس الطبيعة أيتها الريح الباردة ، فحومى حول خط هود ودائرته[1] .

- ويا مؤمناً بالطبيعة ، أنظر إلى هذا الملك الإلهى على أنه فوق الطبيعة ، وإلا فتعال وامح هذا من المصحف .

- وامنع المقرئين من قراءتها وسد أفواههم ، أو عاقب من يعلمه وارمه بسهم .

---

(١) ج : ١٤ / ٥٩٧ :

- وإذا كان الذئب يفعل هذا من حرصه ، فقل له تعال مارس إيذاء فيما وراء خط الراعى .

- إنك عاجز ، وحائر ترى من أين هذا العجـز ، وعجـزك انعكـاس لعجـزك فـى يوم الجزاء .

٤٨٤٠- وكان لك فيما سبق أنواع من العجز أيها العنيد ، وقد حـان الآن وقـت خروج ما قد خفى.

- وسعيد ذلك الذى يكون العجز والحيرة قوتاً له ، فهو نائم فى الداريـن فـى ظـل الحبيب .

- لقد رأى العجز ، سواء فى هذا الإصطبل ، أو فى الدار الآخرة ، وصار ميتاً ، واختار دين العجائز .

- مثل زليخـا ، عنـد سطع عليهـا "نـور" يوسفها ، وجدت الطريـق وهــى فــى الشيخوخة إلى الشباب .

- إن الحياة فى الموت وفى المحنة ، وماء الحيوان فى باطن الظلمة [1]

عودة إلى قصة تربية الحق تعالى للنمرود

فى طفولته دون أم أو حاضنة

٤٨٤٥- والخلاصة ، أن هذه الروضة كانت كبستان العارفين ، آمنـة مـن ريـاح السموم والريح الصرصر .

- وكان لنمرة جراء وليدة ، فقال لها أرضعيه ، وأطاعت الأمر .

- فأرضعته وقامت على خدمته ، حتى صار بالغاً عظيماً ورجلاً ضخماً .

- وعندما بلغ الفطام، أمرتُ الجن حتى يعلموه النطق والحكمة !

- ورببته أنا فى تلك الروضة ، فمن قال أن فضلى يستوعبه كلام ؟

---

(١) ج : ١٤ / ٥٩٧ :

- وكذلك فإن النمرود ، وضع تلك الألطاف تحت قدميه ، من جهله وعماه .

٤٨٥٠- لقد أعطيت أيوب ﷺ حنان الأب من أجل أن يستضيف الدود دون أن يلحق به الضرر .

- ووهبت الدود عليه حنان الولد على أبيه ، هاك قدرتى ، وهاك يدى .

- ولقد علمت الأمهات السهر "على أولادهن" فكيف يكون اللطف الذى أشعله أنا؟

- لقد قمت بمائة عناية ومائة صلة ، حتى يرى لطفى دون واسطة!

- وحتى لايكون فى صراع من أجل السبب ، وحتى تكون كل استعانة له منى .

٤٨٥٥- وإلا ، فلم يكن لديه العذر قط ، ولم تكن لديه شكوى من كل صديق سوء .

- لقد رأى هذه الحضانة بمائة صلة ، وربيته أنا دون واسطة .

- والشكر الذى أداه لى أيها الجليل ، أنه صار النمرود محرق الخليل .

- مثلما قام هذا الأمير بشكر الملك بالاستكبار واستكثار الجاه .

- متسائلاً : لماذا أصبح تابعاً لغيرى ، ما دمت صاحب ملك وإقبال جديد . ؟

٤٨٦٠- ومن تجبره خفيت على قلبه مثل الألطاف التى حباه بها الملك وسبق ذكرها .

- مثل النمرود ، الذى وضع تلك الألطاف تحت قدميه من جهله وعماه .

- وصار فى هذا الزمان كافراً يقطع الطريق ، وتكبر وادعى الألوهية .

- وانطلق صوب السماء ذات الجلال ، مع ثلاثة من النسور ، لكى يقاتلنى .

- وقتل مئات الآلاف من الأطفال دون ذنب ، بحثاً عن إبراهيم من بينهم .

٤٨٦٥- إذ قال له المنجم إن فى أحكام العام أن يولد طفل سوف يقوم بقتالك .

- فهيا ، احتط لدفع هذا الخصم ، فكان يقتل كل من يولد تخبطاً .

- وبرغم أنفه ، نما الطفل المتلقى للوحى ، وبقيت دماء الآخرين فى عنقه .

- فهل ورث ذلك عن أبيه ، ويا للعجب ، حتى أعطاه غروره ظلمات النسب ؟!

- فإذا كان الأب والأم قد صارا حجاباً بالنسبة للآخرين ، فقد وجد منا ايضاً الجواهر فى جيبه.

٤٨٧٠- إن النفس السيئة ذئب مفترس يقيناً ، فأية حجة تلصقها بكل قرين؟

- إنها فى الضلالة قلنسوة لمائة أقرع ، النفس القبيحة شديدة السفه، الكفور .

- ومن هنا أقول لك أيها العبد الفقير ، لا ترفع القيد عن عنق الكلب .

- ولو درب هذا الكلب ، فهو أيضاً كلب ، ولتكن نفسه ذليلة ، فهو سيئ الأصل .

- وانك تقوم بالفرض كما ينبغى إن كنت طائفاً حول سهيل ، كالأديم الطائفى .

٤٨٧٥- حتى يشريك السهيل من شر الجلد ، وحتى تصبح كالخف قريناً لقدم الحبيب .

- والقرآن كله شرح لخبث النفوس ، وانظر إلى المصحف، فأين عينك تلك ؟!

- ذكر النفوس التى تشبه نفوس قوم عاد ، التى وجدت الأداة ، فأخذت تبذل كل ذكائها فى قتال الأنبياء.

- وقرناً بقرن من شؤم النفس عديمة الأدب ، كان أهلوها يضرمون النار فى الدنيا .

عودة إلى تلك القصة حيث تلقى الأمير ضربة خفية من خاطر الملك فغادر الدنيا قبل استكمال الفضائل

- أقصر القصة ، فان غيرة ذلك الغيور ، حملته بعد سنة واحدة إلى القبر .

٤٨٨٠- وعندما صار المليك من المحو نحو الوجود ، كان عينه المريخية قد شكلت ذلك الدم .

- وعندما نظر إلى جعبته ذلك الذى لا نظـير لـه ، رأى أن سـهماً قـد نقـص مـن جعبته .

- فقال : أين ذلك السهم ؟ وسأل الحق ، فقال له : إن ما فى حلقه من سهمك .

- وعفا عنه ذلك الملك الذى قلبه كالبحر ، لكن السهم كان قد أصاب منه مقتلاً .

- وقتل ، فأخذ ينوح عليه ، انه هما معا ، القاتل وولى "الدم".

٤٨٨٥- وان لم يكن هو كليهما ، فهـو ليـس كليـا ، هـو قـاتل الخلـق وهـو القـائم عليهم بالحداد .

- وأخذ ذلك الشهيد شاحب الوجه يردد الشكر ، أنه أصمـى الجسـد، ولـم يصــم المعنى .

- والجسم الظاهر ذاهبٌ فى النهاية ، لكن المعنى سوف يعيش سعيداً إلى الأبد .

- إن ذلك العقاب وإن جرى فقد جرى على الجلد ، وذهب الحبيب بـلا أذى نحـو الحبيب .

- وإذا كان هو قد تمسك بأهداب سرج الملك ، فانه فى النهاية اتخذ الطريـق مـن عين الكمال .

٤٨٩٠- وذلك الثالث الذى كـان أكـثرهم كسـلاً ، قـد اختطـف الصـورة والمعنـى بالتمام[١] .

---

(١) ج : ١٤ / ٦٠٧ :

- فأخذ القناة والملك والخلافة ، وهو جدير بها ان لم تبق فى عجب

- لقد صرت ملولاً من طول القصة ، أنا غريقٌ فى بحر المعنى وأنت عجول

- وذلك الأصغر من الذلة والعجز والضراعة ، وجد المقصود من الكريم مصرف الأمور.

وصية ذلك الشخص الذي قال إنه بعد وفاتي

يؤول مالي إلى أكثر أولادي الثلاثة كسلاً

- كان أحدهم وهو يعانى النزع ، قد قال موصياً قبل "أن تحضره الوفاة" .

- كان له ثلاثة من الأبناء كالسرو الممشوق ، وكان قد أوقف عليهم روحه ونفسه .

- قال : إن كل ما فى يدى من مال ومتاع ، يأخذها من بعدى أكثر أولادى الثلاثة كسلاً .

- تحدث بهذا إلى القاضى ونصح كثيراً ، ثم شرب كأس الحمام .

٤٨٩٥- قال الأبناء للقاضى: أيها الكريم ، إننا لن نتجاوز حكمه ، نحن ورثته الثلاثة .

- إننا مثل إسماعيل عليه السلام ، لن نعصى إبراهيم الخاص بنا حتى ولو أراد ذبحنا .

- قال القاضى : إن كل واحد منكم عليه أن يستحضر عقله ، ثم يروى لنا حكاية عن كسله .

- حتى أرى كسل كل واحد ، واعرف حاله دون شك.

- أن العارفين هم أكسل من فى الدارين ، ذلك أنهم يحصلون على البيدر دون حراثة .

- وإن أمر الله لا يراه العوام ، ومن ثم لا يستريحون من الكد ليل نهار(١) .

---

(١) ج : ١٤ / ٦١٢ :

- انهم بالنسبة لأمور الدنيا أكسل الجميع ، وفى طريق العقبى يخطفون الكرة من القمر

- وهذا يختاره كل من كان رشيداً ، انتبه فقد ذهبت الدنيا وبقيت العقبى

- فقال القاضى للأكبر هيا قص عن الكسل يا طالباً للمال .

– هيا حدثونى عن حد الكسل ، حتى أعلم حده عندكم من كشف أسراركم[١] .

– فلا شك إن كل لسان حجاب على القلب ، وعندما يتحرك الحجاب تصل الأسرار .

٤٩٠٥– والحجاب الصغير الذى يشبه شريحة من الشواء ، لا يغطى صورة مائة شمس .

– وإذ كان بيان النطق كاذباً أيضاً ، فإن الرائحة تنبئ عن صدقه وكذبه .

– وذلك النسيم الذى يأتى فى الرياض ، ظاهر ومتميز عن سموم مستودع القمامة .

– ورائحة الصدق ، ورائحة الكذب الذى يأخذ بالمخدوع ، واضحتان– فى النفَس كالمسك والثوم[٢] .

– وان لم تكن تعرف الصديق من تلونه ، فاشك إذن من مشامك الفاسدة[٣] .

٤٩١٠– وأصوات المخنثين والشجعان الأبطال ، ظاهرة كأنها فنون الثعالب والأسود[٤]

–أو أن اللسان هو مثل غطاء القدر ، عندما يتحرك ، تعلم أى طعام قد طبخ .

– ومن بخاره يعرف المخ الذكى ، قدر الحلوى من قدر السكباجية الحامضة .

---

(١) ج : ١٤ / ٦١٢ :
– هيا فصل الكلام عن حد الكسل ، حتى أعلم إلى أى حد أنت كسول .

(٢) ج : ١٤ / ٦١٣:
– ورائحة الإخلاص والنفاق الذى لا طعم له ، ظاهران كالعود والصمغ .

(٣) ج : ١٤ / ٦١٣ :
– وان لم تعلم العجوز من الحسناء ، فلا شك أن عينك فسدت
– وان لم تعرف السكر من الصبر ، فلا شك ان حس ذوقك قد خدر
– وإذا تساوى عندك صوت البلبل من الغراب ، فلا شك ان حس السمع منك قد خرب
– ولو تساوى السمور مع القنفد ، فلا شك ان حس اللمس قد غادرك

(٤) ج : ١٤ / ٦١٣ :
– فاحتل بحواسك وعلمها ، ثم اطلب الطريق وتقدم فيه .

- وعندما دق الفتى بيده على القدر الجديد عن شرائه وجده مكسورا .
- قال : إننى اعلم المرء فى الحال من فمه ، وان لم يتحدث اعرفه خلال ثلاثة أيام .
٤٩١٥- وقال ثان : إذا تحدث أعرفه ، وان لم يتحدث ، أستدرجه فى الحديث .
- قال : انه إذا كان قد سمع عن هذا المكر ، فإنه يضم شفتيه ، ويستمر فى الصمت[١]

مثـــــــــل

- مثلما قالت تلك الأم لطفلها ، لو أن خيالاً اقترب منك بليل ؛
- أو رأيت فى الجبانة أو فى أى مكان مخيف ، شبحاً أسود شديد الحقد ؛
- فكن شجاعاً واهجم عليه ، فان يتحول عنك سريعاً .
٤٩٢٠- ذلك أن كل من مضى صوبه بلا خوف ، هرب منه ذلك الخيال الذى يشبه الشيطان سريعاً .
- قال الطفل : وماذا يكون الحال لو أن أم ذلك الشبح الذى يشبه الشيطان قالت له مثل هذا القول ؟
- وأحمل عليه ، فيقع هو فى خناقى ، بأمر من أمه ، فماذا على أن أفعل آنذاك ؟
- إنك تعلميننى أن أصمد فى الوقوف ، ولذلك الشبح القبيح أيضاً أم .
- والملقن للشيطان والناس هو ذلك الواحد ، وبه يصير غالباً ان كان خصمه أقل .

---

(١) ج : ١٤ / ٦١٣ :
- قال : قل له امض إلى الأرض السابعة ، وليكن هذا الحال مخفياً على إلى الأبد
- وان لم أعلم حال انسان واحد أى ضير ، وأى نقصان يكون لدينى منه ؟

٤٩٢٥- فإلى أية ناحية يمضي ذلك الحليم ، امض بالله وكن على تلك الناحية .

- قال ذلك الشخص : أنه إن لم يتحدث من مكره ، وكان عارفاً بحيلتي ذلك الهمام .

- فكيف تعرف سره ؟! أصدقني القول ، قال : أجلس أنا أيضاً صامتاً أمامه .

- وأجعل الصمت سلماً لى نحو الدرج ، حتى أصعد ، فالصبر مفتاح الفرج[١] .

- وأن يفور من حضوره من قلبى ، منطق خارج عن سرور أو حزن .

٤٩٣٠- أعلم أنه أرسله إلي ، من ضميره الذى هو كسهيل اليمانى!!

- وأن ذلك الكلام فى قلبى من تلك الميمنة ، ذلك أنه من القلب إلى القلب كوة[٢] .

- وعندما وصل الكتاب إلى هذا الموضع بفضل الله ، ختم والله أعلم بالصواب[٣] .

تمت ترجمة الكتاب السادس والأخير من مثنوى مولانا جلال الدين

---

(١) ج : ١٤ / ٦١٣ :

- فإن لكل صبر ظفر فى النهار ، وهناك يوم يكون فيه الشهد من بعد المرارة .

(٢) ج : ١٤ / ٦١٨ :

- ويتبقى شرح هذا الكلام ، لكنه حبس فى الباطن لا يخرج أبداً

- وانني أطأطيء العنق لعظمته ، وامتن على جسدى وعلى قلبى

- وعندما سقطت الشمس من كوة القلب ، ختم المثنوى ، والله أعلم بالصواب .

(٣) البيت مضاف من نسخة يوسف بن أحمد المولوى "المنهج القوى لطلاب المثنوى" الكتاب السادس ص ٦٤٩ . (القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ١٢٨٩ هـ)

شروح وهوامش

المقدمة :

- البينات : هى الدلائل ، ، وهى البراهين ، فالمثنوى من هذه الناحية هو المعنى لحقائق العالم .

- على نور مصباح المثنوى يمكن الاهتداء إلى الحقائق المعنوية (آية ٣٥ ، سورة النور)

- الحس الحيوانى : المقصود الحواس الخمسة الظاهرة التى تعمل في العالم المادى ، ولا سبيل لها إلى درك العالم الروحاني ، وأسفل سافلين تعبير مأخوذ من سورة التين والمقصود به أدنى مراتب سير الروح الإنسانية وينزل الإنسان إليها إذا كنت الدنيا كل همه ومبلغ علمه .(انظر الكتاب الخامس ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ٩٦١ - ٩٧٤ وشروحها)

- عمارة الصورة السفلى ، أى عمارة الدنيا وكل ما يتعلق بها .

- لكل نجم قدراً ... إلى آخره : قال تعالى : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (يس / ٣٨) . قال نجم الدين: " وشمس نور الله تجرى لمستقر لها وهو القلب ذلك المستقر تقدير العزيز الذي لا يهتدى إليه أحد إلا به العلم الذي يعمل حيث يجعل رسالة ، ويشير بالقمر إلى القلب أيضاً فالقلب كالقمر ، فمن استقامة النور من شمس الروح أولا ومن شمس شهود الحق تعالى وله ثمانية وعشرون منزلاعلى حسب حروف القرآن كما أن للقلب ثمانية وعشرين منزلا ، فالقلب ينزل كل حين منها المنزل وهذه أسماؤها : الألفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذل والرافة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والصبر والطلب والظمأ والعشق والغيرة والفتوة والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية

والهداية واليقين ، فإذا صار إلى آخر منازله فقد تخلق بخلق القرآن واعتصم بحبل الله وله أوان أن يعتصم بالله ولهذا قال لنبيه ﷺ في قطع منازل العبودية ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ . ويقال للمؤمن في الجنة اقرأ وارق ، يعني اقرأ القرآن وارتق مقامات القرب وبقوله حتى عاد كالعرجون القديم يشير إلى سير قمر القلب في منازله فإذا أنف الحق في أول منزلة ثم سر بالإيمان والعمل الصالح ثم تاب توجه إلى الحضرة، ثم إن ثبت على ذلك التوجه حصل له الجميعة مع الله فيستنير قمر قلبه بنور ربه حتى يصير بدراً كاملا، ثم يتناقص بدنوه من شمس شهود الحق قليلا قليلا كلما ازداد نوره من الشمس ازداد في نفسه نقصاناً إلى أن يتلاشى ويختفي ولا يرى له أثر، وهذا هو مقام الفقر الحقيقي وبقوله " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر " يشير إلى أن القمر عند تلاشي وجوده وفقره عن الوجود وإن كانت الشمس تفنيه بوجودها وتنوره بنورها لا تدرك القمر لتصير القمر بتوجهه إلى شمس شهود الحق تعالى ينور بنورها ، ولكن لا يصير الرب عبدا ولا العبد ربا ، وكل في فلك يسبحون ، فالرب يسبح في فلك الربوبية والعبد في فلك العبودية ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً (مولوى ٦ / ٤) وأساس الكون هو النظام والانتظام .

– عصمنا الله من حبسه ... إلى آخره : أي عصمنا الله من حبسة الحواس الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة في مرتبة الحيوانية ومن الشهوانية ، حتى لا تحبس عن مشاهدة حقائق الكون والحجاب هو كل ما وقف دون الحقيقة .

(١-٩) : بالنسبة لحسن حسام الدين انظر الترجمة العربية للكتاب الأول ،مقدمة المترجم. والقسم السادس هو هذا الكتاب السادس والأخير من المثنوى المعنوى ، ولأن المثنوى هو اقتراح حسن حسام الدين وقد أملى عليه . فهو الذي يجذبه ، وهو الذي يوحى به ، وهو الذي لا يفتأ يطالب مولانا جلال الدين بان يتمه (عن الجذب وقيمة المستمع بالنسبة لقول

الأستاذ . انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٦٠٤-٤٣١٤ وشروحها) . وحسامى نامه اسم من أسماء المثنوى لم ينتشر كثيراً ، ولعل مولانا يشير بانه من الأجدر أن يسمى المثنوى حسامى نامه مثلما يسمى الديوان الكبير " ديوان شمس تبريز " على اسم شمس الدين التبريزى ، وعن أن هذا الكتاب السادس هو تمام المثنوى بنص مولانا جلال الدين صراحة، وبعد انتهاء مولانا من نظم هذا الكتاب السادس (سنة ٦٦٨ هـ) ظل السنوات الأربعة الأخيرة من حياته لا ينظم شيئاً (توفى سنة ٦٧٢ هـ) ومن ثم فإن ما دار حول ظهور جزء سابع ، ونسبه لمولانا ، أمر غير ثابت ، بل إن هناك من يرى أن الأبيات الأخيرة من الكتاب الخامس كانت تشير إلى أن مولانا كان ينوى أن يختم المثنوى عند الكتاب الخامس، وانه قدم الكتاب السادس هدية لحسام الدين (عبد الحسين زرين كوب : سرنى ، جلد ١ ، ص ٣١ ، تهران جـ ٣ ، سنة ١٣٦٨ هـ.ش) ومع ذلك ففى البيتين رقم ٦ و رقم ٧ يعد مولانا بانه إذا وصل الأمر ، سوف يفيض علينا ببيان أقرب من بيان المثنوى ، وهو ما لم يقدمه مولانا والمقدمة هنا وما سيرد في متن الكتاب يشير إلى أن الكتاب السادس هو الكتاب الأخير بالفعل ، هذا وإن كانت الكتب الخمسة السابقة قد لقيت ما لقيت من معارضة ، ولقيت آذانا بها وقر فإن هذا لا يعنيه في شئ ، فهذه الصحف الستة في مقابل الجهات الستة ، أو التى تملأ جهات العالم الستة موجودة ، وميسرة لقرائها ومن الممكن أن "يطوف بها" ككعبة لروحه في كل آن وزمان ومكان من لم يطف بها من قبل ، وعلى الداعية أن يدعو فحسب ، وليس له شأن بقبول الناس أوردهم .

(١٠-٢٢) : ورد مثال نوح عليه السلام في المثنوى أكثر من مرة ، بحيث استخدم مولانا تعبير الدعوة النوحية إشارة إلى الدعوة المستمرة والتى لا شأن لها بقبول الناس أوردهم ومثال : الكلاب تنبح والقمر في سيره ، أو الكلاب تنبح والقافلة تسير ورد من قبل في الكتاب الرابع (انظر الأبيات ١٤٦٥ وما بعده) . والمثال هو " لا يضر السحاب نباح

الـكـلاب " (معجم الأمثال العربيــة ، رياض عبد الحميد ، ج ٤ ، ص ٥٣ ، نشر جامعة محمد بن سعــود سنة ١٩٨٦) . عن نوح عليه السلام ورد فـي القرآن الـكريم ﴿ ولقــد أرسـلنا نوحـا إلـــى قومه فلبث فـيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظـالمون ﴾ (العنكبـوت / ٤) روى ابن عبـاس : إن قوم نوح كانوا يضربونه حتى يسقط ويظنوه انه قد مــات فـيخرج فــي اليوم الثاني ويدعــو قومه ، وفـي البيت ١٥ إن كـل إنسان ميسر لما خلق لـه ، وإن هـذه هــى الخدمـة التى عليه أن يقوم بها ، وهذا هو واجب المرشد ، فالشيخ فـي قومه كالنبى فـي أمته، وعليه أن يثبت على دعــوته مهما واجه فيها من عنت . هذا هو قـدره وهذه هى مسئوليته ، بل كـلما زاد الناس فـي الإعراض (الخل) عليه هو أن يزيد فـي مجهـود الـدعـــوة (السـكر) ، ألم ينتصر نوح فـي النهايــة ؟! وكيف لا ينتصر من يثبت علــى دعـــوته ، ومـن يكـون الحـق تعالى ظـهيره ؟!

(٢٣-٢٨) : يترك مولانا ضـرب المثـال بسيدنا نـوح ، وينتقـل إلـــى الأوليـاء ، ومـا للأنبيـاء للأولياء . إن الواحد منهم بمثابة ألف يستطيع أن يصمد للإنكار والاستهزاء والسخريـــة دون أن يحيـد عـن طريقـه ، وتعبير واحـدٌ كـالألف . ورد فـي مــقصورة ابـن دريـد وفــي شـعر للبحترى ، كما وردت فـي حديث نبوى ، ففى الحديث النبـوى : { ليس شـئ خـيرا مـن ألـف مثلـه إلا الإنسان المؤمن } . وقال البحترى :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا	لــدى المجد حتى عد ألف بواحد

وفـي مــقصورة ابن دريد :

والناس ألف منهم كواحد	وواحد كالألف إن أمر عنى

(بديع الزمان فروزانفر : أحـاديث مثـــنوى ، ط ٥ ، تهران ١٣٧٠ ، ص ١٨٤) . إنـه عبـد الله ، جسده بمثابة الـدن ، لـكـن روحه متصلة بـالبحر الأعظم دائما ما يأتيه منه المـدد ، أي بحر ؟! إن البحار إذا شاهدت هذا البحر تـوارت خجـلا وحيـاءً ، إن هـو إلا تقريـب للمعنـى ،

وإلا ، فما الصلة أصلا بين عالمنا هذا والعالم الآخر الباقى ؟! إن هى إلا عبارات نستخدمها نحن ، وإلا فإذا كان يمكن التعبير عن المعانى التى نحتاج إليها فـي عالمنا هذا بنعيب الغربان ، فذاك العالم في حاجة إلى تغريد البلابل نفس المشكلة التى يعود إليها مولانا جلال الدين (انظر تفصيلاتها في شروح الأبيات ٤٧٢٢-٤٧٣٦ من الترجمة العربية للكتاب الثالث من المثنوى لكاتب هذه السطور) .

(٢٩ – ٣٥) : لا ينفى مولانا عالم الوجود ، إن لكل منا دوره ومكانه ، وفي " هذا السوق " طبقا للمشيئة الإلهية ، وكل خلق لفائدة، ولم يخلق الله سبحانه وتعالى شيئا عبثا، بل من وجود هذه المتضادات تظهر القدرة الحقيقية لله سبحانه وتعالى ، فالشوك للنار ، والورد للمنتشي والخبث للخنزير ، والماء للتطهير ، والثعابين في الجبل والنحل أيضاً ، وإذا كان من يحسون بالمرارة يملئون العالم بالمرارة ، فالعالم أيضاً ملئ بشهد المشايخ والأولياء والمرشدين ، فإذا كان السم موجودا فالترياق أيضاً موجود ، والقيمة الحقيقية في وجود هذه المتضادات و "الاختيار" بينها (انظر فكرة لكل نبات حوضه الخاص في البستان في الكتاب الرابع من المثنوى ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ١٠٨٣-١٠٩٢ وشروحها ، وفكرة أهمية وجود مغريات لكى يحقق الإنسان ذاته بمصارعتها في الكتاب الخامس ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ٥٧٥-٥٨١ وشروحها) .

(٣٦-٤٣) : إن هذا التضاد هو الذي يقوم عليه هذا العالم ، هذا الصراع القائم بين متضادات العالم ، هذا الاختلاف وهذا التنافر هو أساس هذا العالم وهو قدره ، وهذه الحرب بين كل ذرة من ذرات هذا العالم والذرة الأخرى هى قوام هذا العالم (قريب منها فكرة أن هذا العالم كله آكل ومأكول الواردة في مقدمة الكتاب الثالث ، انظر الترجمة العربية ، الأبيات ٣٠-٤٩ وشروحها) . وفكرة العظام الواردة في نهاية الأبيات هى نفس فكرة انتهاء الحرب بفناء الذرات في الشمس ، تماما كما أن الحرب بين الإيمان والكفر واجبة . أو هكذا من

المفروض ، حتى الانتصار النهائى للإيمان . والانتصار النهائى لإيمان المؤمن هو في الفناء في حقيقة الوجود وأصله والبحر الذي فاضت عنه ينابيعه، كل الينابيع تعود إلى الجدول وهذا هو المعنى الحقيقى ،لقوله تعالى ﴿ إنا إليه راجعون ﴾ (البقرة / ١٥٦) ، الغرض إذ من هذا المثنوى أن يساعدك في العودة إلى أصولك ، تصبح وليدا لها من جديد ، تكف نفسك عن لبن الدنيا وترضع لبن الأصول (عن الفناء بالتفصيل انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث لكاتب هذه السطور تحت عنوان فلسفة البقاء في الفناء عند جلال الدين صص ١٣-٢٥) تترك هذا الماء المالح وتشرب من الماء الزلال ، وتأخذ أسرار الغيب من مصدرها .

(٤٤-٥٠) : الغول في مصطلح مولانا جلال الدين أي شئ يبعد العبد عن طريق الله سبحانه وتعالى ، والغول في الصحراء يضل القوافل ويجعلها تترك الجادة وتمضى إلى الطرق الفرعية ، وكثيرون هم الذين يمضون بعيداً عن جادة الدين وتتفرع بهم السبل والطرق ، إنهم يظنون انهم يبحثون في "الأصول" الشرعية بينما هم في الحقيقة قد سقطوا بعيدا عن أصل الأصول التى ينبغى أن ينصرفوا إليها ، أما الأولياء والواصلون فإن حربهم وسعيهم وجهدهم مبذول للوصول إلى " عين الوجود " لا " صورة الوجود " . يقول السبزوارى (٦/٤١٢) إنه لا يصح أن يقال في عين أو في نور العين ففى ليست موجودة والخطاب يا نور العين. ليست حروب أوليائنا- وأحسبه صحيحاً - مثل حروب هذه الدنيا ، وذلك لأن قلوبهم موجودة بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء (انظر للحديث البيت ٧٧٩ من الترجمة العربية ، للكتاب الثالث وشروحه) وعين الوجود ناظرة في كل أمر من أمورها إلى فعل الحق ، وهذا هو أساس الحرب الحقيقية التى يقوم بها الولى يهدف بها إلى الوصول إلى أصل الأصول، وهى غير تلك الحرب التى تقوم في هذا العالم . وفي داخل كل إنسان . ذلك أن العالم والإنسان كليهما قائم على عناصر أربعة متضادة ومتنافرة

ومتقابلة ، ترى المرء هادئا في الظاهر وفي داخله ضجة وغوغاء بحيث يصرخ صرخة حافظ الشيرازى :

لن أدرى من يوجد في داخلى أنا صامت وهو في ضجة وصخب

أحوالك كإنسان وكبشر قائمة على عناصر متضادة هى التى تتقاتل فيما بينها ، ولا تنتهى هذه الحرب إلا بنهاية هذا البناء القائم على العناصر ، وذلك الذي يكون وجوده قائما على الحرب داخله ، كيف يتواءم مع الآخرين ، ومن هنا فالحرب قائمة بين البشر ولا حرب بين الأولياء فهم كنفس واحدة .

(٥٠-٦٦) : وانظر إلى أحوالك ، أنت منجذب بين ملاك وشيطان ، بين داعى الخير وداعى الشر ، تتوالى عليك ، وأنت ممزق على رؤوس الطرق ، تجذبك حينا الطاعة ، وحينا المعصية ، فهل تستطيع وأنت موزع هكذا ، أن تقوم بقتال الآخرين (العناصر؟) لكن هذا الصراع هو ديدن البشر ، وهو طبيعة الحياة البشرية ، حياة الألوان المختلفة المتنافرة ، ولا سلام حقيقى إلا عندما يشريك الحق ويخلصك من دار الحرب هذه ، وتمضى إلى دار السلام ﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾ (الأنعام / ١٣٧) حيث لا أضداد ، ولا ألوان ، ولا فناء بل بقاء سرمدى خالد ، وإن كنت لا تصدق فاقرأ ﴿ لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ﴾ (الإنسان/١٣) فنفى عنها الضدين هناك حيث تتصالح الأضداد ، وحيث عالم اللالون أي إنتقاء ظوَاهر هذا العالم وصفاته (استعلامى ٦/٢٢٧ وانظر الأبيات ١١٢٧-١١٣٥ من الكتاب الأول) ، وإن أصل كل لون موجود في هذه الدنيا موجود في العالم الآخر ، وإن الآلام تجد مفهومها عندما تظهر أضدادها في العالم الآخر ، والعاشق يعلم طعم الفراق ، وكيف كان مرا عندما يغادر دنيا الفراق إلى دنيا الوصال ، وعالم الأحزان إلى عالم السرور الباقى ، وأن حروب العالم إنما تقوم على ابتعاد خلق هذا العالم عن الفطرة فكأن الصلح والسلام هو الأصل ، والحروب هي الفروع ، والحروب والتناقضات من صراع العناصر ، لكن لما كانت

الروح من الكبرياء أي من الأوصاف الإلهية ، أو من النفخة الإلهية (انظر الكتاب الرابع البيت ٢٦٧٧ وشروحه) . هناك حروب أخرى إياك أن تعتبرها من قبيل حروب الدنيا ، وهى حروب الأنبياء ، أو الحروب التى قام بها رسول الله ﷺ ، المغازى ، فالمقصود بها الرحمة للعالمين ، أن يدخل الناس – ولو برغم أنوفهم – في رحمة الله سبحانه وتعالى ، فالرسول ﷺ مصداقا للحديث { ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شئ } " أحاديث مثنوى ، ص ١٨٥ " كانت حروبه سوقا للناس إلى الجنة (أنظر الكتاب الثالث الترجمة العربية ، الأبيات ٤٥٥٠-٤٥٦٣ وشروحها) وفي البيت رقم ٦٦ : يقدم صورة أخرى للعبارة المشهورة " ما لا يدرك كله لا يترك كله " (انظر الأبيات ١٧-٢٠ من الكتاب الخامس وشروحها) .

(٦٧-٧١) : وإذا كنت غير قادر على البحار المعنوية لأنها ليست في متناول يدك، فهاك أحد البحار المعنوية ، بل هو بمثابة الجزيرة وسط هذه البحار ، تنزه فيها ، وهذا لن يتيسر لك إلا عندما تنظر إلى هذا الجدول المعنوى بعد أن تفصل عن سطحه ما علق به من شوائب وأدران . فاعلم أن جسدك حزمة من التبن تحتها بحر الروح ، وإن كنت في الظاهر ذرة فأنت مائة شمس في الباطن (كليات ديوان شمس ، غزل ١٧٨٧ ، ص ٦٧٢) . حينذاك تسفر لك المعانى عن وجودها ، مرجانا وثمارا ، وهكذا المعانى دائما عندما تتجرد عن لباس اللفظ .

(٧٢-٨١) : في هذه الحالة ، هاك طريقة قراءة المثنوى إن كنت تريد أن تفهم منه شيئاً ، إن جردته من الحكايات والصور والألفاظ ، يصبح المتحدث " الشاعر " والسامع " القارئ " والكلام " الشعر " كيانا واحداً ، وإذا كنت لا تستطيع أن تدرك هذا فقارن بالطعام المادى بالخبز ، ألا يصير الأكل والآكل شيئا واحدا ويتحول هذا الخبز إلى معنى وروح ؟! (انظر لتفصيل هذه الفكرة الكتاب الثالث : الترجمة العربية ، الأبيات ٤١٨٥-٤١٩٢ وشروحها) ،

حتى تعلم أن المعانى هى الثابتة ، وإن كان ثم مقامات ثلاث للصورة (الآخذ والعاطى والشئ نفسه) فإنها كلها تتوحد في المعنى ، والصور كلها تتحول إلى تراب ، لكن إياك أن تصدق أن المعنى أيضاً يمضى ، فالأعيان الثابتة مقيمة في عالم الروح ، وفي عالم الغيب وبامر الله قد تكون في صور وقد لا تكون ، والكلام هنا عن فلسفة جلال الكبرى في وحدة الوجود ، فالوجود الحقيقي وجود واحد نرى تجليه في هذا العالم (انظر الأبيات ٤٤٠-٤٥٢ وشروحها من الكتاب الرابع الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) ، واقرأ في القرآن الكريم ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ (الأعراف / ٥٤) فالخلق هو الصورة ، والأمر هو المعنى والروح . التى هى من أمر الله ، فالأمر " الروح " هى الراكب ، والخلق " الصورة ، الجسد " هى المركوب والجسد في هذا العالم " العتبة " والأمر في البلاط " عالم الغيب " وهذا هو التواصل المستمر بين العالمين (عن الراكب والمركوب ، انظر الكتاب الأول : الأبيات ١٩٧٧-١٩٧٩ وشروحها) . وهكذا فالجسد مجرد قدر ، إطار فارغ ، لكن عندما يريد له الحق الامتلاء ، يأمر الروح بامتطاء الجسد ، وهكذا عندما يستدعيها يأمرها بالنزول والعودة إلى المطلق (استعلامى ٦/٢٢٨) .

(٨٢-٩٠) : كعادة مولانا عندما يرى أن سياق الكلام سوف يجره إلى ما لا يقال ، أو ما لا يمكن التعبير عنه ، أو ما يكون فوق فهم الحاضرين ، وعادة ما يتحدث مولانا عن حسرته على قلة الفهم الصحيح ، " مت حسرة على الفهم الصحيح " (أنظر الأبيات ٦٩٤ من الكتاب الأول و ٣٧٣٧ من الكتاب الثانى و ٢١٠٠ من الكتاب الثالث و ٩٠٤ من الكتاب الرابع) ويعبر عنها الأفهام القاصرة هنا بانها القدور الصغيرة التى تغلى سريعاً ، وأولئك الذين لم يجدوا من بستان الغيب إلا النذر اليسير ، أو إلا الكلمات التى يخفى سبحانه وتعالى المعانى فيها ، لكن حتى هذه الرائحة ، إذا وصلت إلى مشامك تتبعها بوعيك ، فمن الرائحة تصل إلى أصلها وهى التى تحرك ، فحاذر أن نفقد الوسيلة إلى هذه الرائحة ، وأن تتوقف أنفك

المزكومة على الروائح الأخرى ، روائح الدنيا وأهواء النفس ، أو أن يفسد عليك عامى من العوام غير المأذون لهم الأمور ، هؤلاء متيبسون كالقديد على حبال الدنيا ، لم تشرق عليهم شمس المعرفة فتحولوا إلى جبال من ثلج ، حتى كلماتهم متجمدة باردة لا تدل على شئ .

(٩١- ١٠١) : وعندما يزداد الثلج في الأرض ، فليس أمامك إلا أمثال " حسام الدين " ليزيح سيفه المعنوى وحماسه للطريق وشوقه إلى إكمال هذا المثنوى ، ليزيح هذا الثلج من فوق الأرض ، إن هذه الشمس المعنوية كفيلة بان تزيل كل ثلوج الأرض ، وهى شمس لا شرقية ولا غربية ، فهى كلها نور على نور (النور / ٣٥) والله يهدى لنوره من يشاء ، إن أمثال هذه الشموس المعنوية تكون قذى لكل منجم ، فكيف يعرفها ومطالعها ليست المطالع التى يعرفها ومسارها ليس المسار الذي يعرفه ، ومدارها ليس المدار الذي يتشدق به، ولذلك فهو يحول بينك وبين هذه الشمس المعنوية ، فقل له كما قال إبراهيم الخليلﷺ ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ (الانعام/٧٦) . وهكذا فمن جاهليتك ظننت القمر إلها ، وقوس قزح حزامه ، أتراك أصبحت غافلا عن أن القمر قد انشق ؟! (القمر /١) وهل ينشق الإله ؟! وألم تقرأ أيضاً ﴿ إذ الشمس كورت ﴾ (الشمس /١) أو لم تمر بك آية ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ (النجم/١) كلها هذه الكواكب والنجوم لا أثر لها في مصير حياتك ، إلا بمقدار ما يؤثر الخبز دون أن تضع في الحسبان إرادة صانع الخبز ، وألا يسبب الخبز نفسه الموت في بعض الأحيان (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٧٩٥-٤٧٩٧ وشروحها) وكذلك الزهرة تأثيرها عليك لا يزيد عن تأثير الماء ، ألا يغص حلقك بالماء أحياناً ؟! إن حبك لهذه النجوم والكواكب يجعل كل نصيحة أقدمها لك تذهب أدراج الرياح . إن الكلام موجه في هذه الأبيات إلى علماء الدنيا أولئك الذين يربطون الأمور ببعض الظواهر والأسباب غافلين عن المسبب.

(١٠٢-١١٢) : وهذا هو بالضبط موقفك من المثنوى ، الذي يعبر عنه مولانا هنا بأنه مجرد نصيحة ، إنه نجم الكتب وقمر المعانى ، بل إنه يسمو على شمس الدنيا ويزيد عليها ، لقد خضعت له الأفلاك والكواكب ولا خضوع لك ، وأنت لا تخضع له ولا تعترف به إلا إذا فتح الله عليك بمفتاح خاص ، يفتح أختام قلبك ، ويجعلك باحثا عن الوحى ، فيناديك قائلاً : يا من استوعبك مكان تعال إلى اللا مكان ، فما عكوفك على علم التنجيم وعلى ما يقوله لك المنجم . في حين أن هذه الكواكب والأنجم تلقن ذلك المنجم الذي هجر الروح وعكف على الألوان والصور . إنه لا يزال يرصد وينجم وهو غافل عن مقاليد السموات . قال رسول الله ﷺ لما سئل عن المقاليد ، فأجاب : { لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير } (مولوى ٢٢/٦) .

(١١٣- ١٢٨) : لا تزال النجوم في جدلها مع المنجم منتصرة للمثنوى على اهتمامات المنجم، إذا كان المطلوب هو أن تهرع إلى الروح فإن هذا الكتاب هو روح الروح ، وهو لب الفكر ، إن كنت طالبا للفكر ، وعلى كل فإن ما نسميه فكرا ، هو النور ، ولفظ الفكر يستخدم من أجل تقريب المعانى ليس أكثر ، إنها كلها أمور تقريبية ، وإلا فإن نجمنا هذا لا يستوعبه برج في الأعالى ، وما تحدثت عن النجوم والأفلاك إلا من أجل تقريب المعانى عند ذوى العقول التى تجمدت عند مقولات بعينها تظل تلوكها ، وهى لا تزال تنادى العقل وهى لا تدرى أن هذا العقل عقال وأنها عقول الدنيا ، لا تستطيع أن تفكر إلا في الدنيا ، إن الأمر كله ليس مثلا لكنه مجرد مثال (عن الفرق بين المثل والمثال انظر البيت ٣٤٠٩ من الكتاب الثالث و ٤٦٢ من الكتاب الرابع وشروحها) ومهما كان العقل حاداً إلا أنه واهى القدم ، أى أن منطقة جولانه محدودة (أو بتعبير آخر لمولانا جلال الدين ، له قدم لكنها

قدم خشبية ، انظر الكتاب الأول البيت ٢١٣٨) وعن العقول وتصنيفها انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٩٦٠-١٩٦٨ وشروحها ، والأبيات ١٩٨٥-١٩٩١ وشروحها) . إن هؤلاء العلماء المفكرين دائما ما هم في هوى أنفسهم ، كل مهمتهم أن يضخموا في ذواتهم ، لكن هناك أملا في أن يرتفع هذا الصنف من العلماء عن ذواتهم ، ألا يصبح المنى بشرا عندما يتصل بالروح !! إذن على هؤلاء أيضاً أن ينظروا إلى مرحلة ما بعد وجودهم ، لأن كل مخلوق ناظر إلى المرحلة التالية على مرحلة وجوده ، فالجماد يتجه إلى النباتية ، والنبات يتجه إلى الحيوانية والحيوان يتجه نحو الإنسانية فلماذا لا تتجه الروح نحو الأحبة ، وتستقر في الخلود (عن تفصيل المراحل ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٩٠٣ - ٣٩٠٩ وشروحها) وبهذا البيت يختم مولانا جلال الدين المقدمة الشعرية للكتاب السادس والأخير من كتب المثنوى ، تحدث فيها عن حسن حسام الدين الملهم والجاذب الذي يمثل مجموعة المريدين اللازمين للشيخ ، فلا شيخ بلا مريد ولا أستاذ بلا تلميذ ، ثم تحدث عن نظرية قيام هذا العالم ما دام باقيا على الحرب ، ولا تتوقف الحرب إلا بالفناء في الله . ثم تحدث عن فئة من العلماء والعقلاء والمنجمين يقفون عن الأسباب ولا ينظرون إلى المسبب ومن ثم فهم ينظرون إلى المثنوى بعين الاستخفاف والشك ، وفي النهاية لم يخف أمله من أن يرتقي هؤلاء العلماء بعقولهم حتى يصب عليهم النور صبا ويصبحوا من المدركين للحكمة العليا .

(١٢٩ - ١٣٣) : الفكاهة التى تبدأ بهذا البيت قال استعلامى (٢٣١/٦) نقلا عن فروزانفر (مآخذ /١٩٧) أنها مستوحاة من بيت لسنائى ورد في الحديقة وهو " الطائر الذي يكون ذيله صوب المدينة ورأسه صوب القرية ، يكون ذيله أفضل من رأسه (لم أتوصل إلى ترتيب البيت وموضعه في الحديقة) وهمة الطائر مبذولة هنا إلى المدينة (العقل ... والطريق) وليس إلى القرية (الجهل والنفس) (لتفصيلات حول هذا المعنى انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٥١٧-٥٢٣ وشروحها) .

(١٣٤ - ١٣٧) : وهكذا الإنسان ، يكون بقدر همته وبقدر اهتماماته ، فهمته هى الجناح الذي يطير به ، فمن كانت همته الدنيا فقيمته أيضاً تكون بقدر همته، ومن كانت همته العشق سما به مهما تعرض في طريقه إليه من خير وشر ، والبازى حتى وإن كان أبيض وكان همه صيد الفئران ، فقد سقط من اعتبار الملك ولا يشفع له شكله ، والبومة وإن كانت ساكنة الخرائب وكان ميلها إلى الملك ، فهى بمثابة مائة بازى ، ليس الأمر بالصورة أو بالإدعاء ، لكن بالعمل (انظر عن الادعاء ١٤٣٩ وما بعده من الكتاب الثالث). وثمة حديث رواه الأنقروى (٦-١/٤٤٥) [إن الله يحب معالى الهمم ويبغض سفاسفها] . وتوحى توصية جلال الدين بالهمة العالية والقوة والتسامى إلى سبقه الفلسفات المعاصرة (عند نيتشه وفيخته مثلا) في هذا المجال (جعفرى ١٤/١٠٠) .

(١٣٨ - ١٤٧) : والإنسان كرم على المخلوقات ورزق في البر والبحر ليس لخلقته، بل لأنه جدير بأسرار الغيب وإدراكها ، طموح على الدوام إلى الخروج عن وضعه ، تواق إلى الارتفاع عن جسده وعن إمكانات هذا الجسد ، لا تسعه الأرض على اتساعها ، فيجتاز طباق الجو ويمضى إلى أعماق البحار ، يستطيع أن يسمو على شهواته ونزواته ويصل إلى مرتبة الملائكية يميل دائما إلى من يشاركه في هذا النفس ، حتى ولو كانت عجوزا في الغابرين. إن الذي يجعلك تميل إلى عجوز ولا تميل إلى صورة هو أن في العجوز روحاً، هذه الروح هى التى تزاوج روحك وتمتزج بها ومن هنا يحدث الميل ، ولو نفثت الروح في صورة الحمام لملت إليها ولهجرت العجوز (انظر الكتاب الثانى ، الأبيات ٧٠٣ - ٧٠٨ وشروحها) .

(١٤٨-١٥٩) : الحديث عن الروح ، ويعرض مولانا مراتب الروح فالروح عند مولانا ليست سوى الوعي والإدراك والمعرفة ، وكلما زادت معرفة الروح في إنسان ما بما هو خارج نطاق الاهتمامات المادية كان الجانب الروحى أقوى فيه ، الروح روح بقدر ما هى متصلة

بعالم الغيب وهذا هو ما يعبر عنّه بالوعى والمعرفة أو بمعنى أصح العرفان ، وإن لم تزدن الروح بهذه المعرفة وهذا الوعى لكانت قيمتها اقل من جماد ، فهى ليست روحا إلهية ، والروح الأولى هى الروح التى انبثقت منها الحياة كلها ، هى الروح المسموح لها بالحظيرة القدسية ، أما روح الروح فهى الوجود المطلق للخالق . وفي رأى سبزوارى (ص ٤١٥) أنها النفس الكلية الإلهية ، وينقل البيت " لا أحد يدلك على نفسك كما هى إلا قلبى المسكين المغتم " . والروح تسمو دائما إلى الاتصال بها ، وليس وراء ذلك مطمح ، أما الروح الجديدة فهى روح آدم التى نفخها الله تعالى فيه وهى قادرة على إدراك الغيب ، والملائكة بالنسبة لها كأنهم الجسد ، ولم تكن هذه الروح موجودة عند إبليس ، ومن ثم لم يستطع الاتصال بالوجود المطلق ، كان عضو ميتاً مبتور اليد ، عاجزا ، فلم يدرك سر أمر الله له بالسجود ، كان الخيط الذي يربط بينه وبين الله مقطوعا (الروح المشتركة) ومن ثم عصى ولم يفهم ، لكن هذا العصيان لم يكن لينقص شيئاً من عالم الروح، فهى تزاول نشاطها دون تدخل من إبليس ، وهذا العضو المبتور المطرود من رحمة الله سبحانه وتعالى ، لا يصيب فعلها بأى خلل طالما كانت صلتها بالخالق وبروح الروح مستمرة .

(١٦٠ – ١٦٤) : بعد أن تحدث مولانا عن سر عصيان إبليس يريد أن يتحدث عن سر آخر ، لكن هذا السر الآخر ليس مبذولا لكل أذن ، فهو يريد أذنا أخرى ، أذنا باطنية غير هذه الأذن الظاهرة ، وخواص الببغاوات : أي أهل المعرفة والسكر ، هو النور ، أما درويش الصورة ، فهو ذلك الدرويش الذي توقف تصوفه على الشكل والظاهر والخرقة ولا يطمح إلىعالم المعرفة ، والزكاة هنا هى النصيب الخاص المبذول للخواص لا للعوام ، ولأن هذه الزكاة معنى من المعانى وليست شكلا (بيتا من الشعر) فإن درويش الصورة والظاهر يظل بلا نصيب منها ، وحمار عيسى هو الجسد الذي يحمل الروح (عيسى) وهو أيضاً المطالب النفسانية عند الناس . وهو أيضاً الدرويش الذي لا يترقى مهما حمل من علم كالحمار الذي

حمل نبيا وظل حمارا كما هو (انظر لتفصيل هذا المعنى الكتاب الثانى ، الأبيات ١٨٥١-١٨٥٧ وشروحها) والمعنى أن النفس لو كانت تعلم حقائق الغيب لما بخل الله عليها ولأمدها بما تريد منها (استعلامى ١٣٣/٦) .

(١٦٥ - ١٨٤) : وهذا هو معنى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ (يس / ٦٥) . فالختم هو الحرمان ، وعدم التذوق لعدم الجدارة والاستحقاق . وهذه الأختام التى وضعها الله على الأفواه ، إنما فتحت وحلت ورفعت بالدين الإسلامى، فبالدين الإسلامى واتباع محمد ﷺ يمكن أن تحل هذه الأختام ويفتح طريق المعرفة التى هى حرام على الكافر حلال للمؤمن ، إن معنى ﴿ إنا فتحنا لك فتحنا مبيناً ﴾ (الفتح / ١) ليس خاصا بالرسول ﷺ بل هو خاص بالمؤمنين جميعا (انظر البيت ٤٣٠٦ من الكتاب الثالث) وفي البيت ١٧- إشارة إلى حديث نبوى { إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر } (انظر أحاديث مثنوى / ١٨٦ - استعلامى ٢٣٤/٦) و { اهد قومى إنهم لا يعلمون } دعاء للرسول ﷺ قاله عندما ألقى بحجر في أحد . والجود العام هو الهداية ، وهو سيد الصنعة ، في هذا المجال ، مجال الهداية الممنوحة دون انتظار جزاء أو عوض ، والأبناء المذكورون في البيت ١٧٧ ، ليس المقصود بهم الأبناء الجسمانيين ، بل كل من تبعه باحسان ﷺ وينص على هذا في البيت ١٧٨ خشية أن يفهم من حديث انه يقصر الولاية على آل البيت رضوان الله عليهم، فيقول أن هذه النبوة حاصلة دون امتزاج الأجساد ، ويطلب مولانا من الله سبحانه وتعالى أن يسدل حجب ستره على هذه المعانى حتى لا تسقط في يد كل وضيع ومنكر وباحث عن العيب (انظر في نفس هذا المعنى البيت ٤١١ من الكتاب الرابع و ٢٨٩٢ من الكتاب الخامس) المقصود بتلك الشمس : الحقيقة المحمدية التى لا يقوى مفكر على النظر إليها وكل خفاش لا يرى ضوء الشمس من عماه فينكره

(انظر ٨٥٧ من الرابع) وفي البيتين إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ (الأعراف / ١٩٨) .

(١٨٥ - ١٩٣) : العنوان السابق على هذا البيت ، يذم مولانا الأفكار المسبقة ويصفها بالبالية والعتيقة ، إن هذا أشبه بمخنث يخاف من عض الخراف ، في حين أن الخراف كلها خلقت للذبح ، وهناك مخنث يسأل قبل أن يمضى في الطريق (الجديد الذي لا يعرفه) وآخر يعود عن الطريق لمجرد رؤيته الخراف ، والخراف هنا رمز لكل فكرة بالية سقيمة تقف في الطريق وتخيف المخنثين (الذين لا يقوون على الطرق الجديدة ويخافون منها) ويفسر يوسف بن أحمد (٣٦/٦) " وأراد بالمخنث الأول الذين يحضرون مجالس الأولياء ولا يقدمون على سؤال شئ منهم إلا بعد شدة الاضطرار لعدم اعتقادهم . وبالمخنث الثانى الذين يرون جماعة المشايخ لكن لا يقدرون على الذهاب إلى حضورهم من شدة إنكارهم وعداوتهم لهم " . والمقصود بالطريق الجديد هنا المثنوى نفسه ، فهذا هو الكلام الذي ينكره بعضهم ، وما إنكارهم له إلا لأنه جديد عليهم ، ولذا فهو يطلب من حسن حسام الدين الذي يصفه بانه صقال الأرواح " صقال مرايا القلوب لتتقبل المعانى " . هيا وجل المثنوى في أروع صورة ، وجرده من لباس الحروف لكى تتجلى معانيه ، وتقود نحو عالم الغيب ، ما دامت هذه المعانى بشيمتك وجذبك أيضاً قد نزلت من عالم الأرواح وعالم الغيب وسجنت في لباس الحروف ، فأنت الذي تستطيع كما يستطيع الخضر وإلياس (وهما نبيان لا يموتان إلى يوم القيامة) أن تقوم بالهداية فتنقلب الأرض من طهرها إلى سماء . ولكنى يا حسام الدين لا أستطيع أن أوفيك حقك ، من حسد أولئك الحاسدين الذين تضيق عقولهم عن فهم مثل هذه العلاقة السامية بين الشيخ والمريد (انظر لتفصيل هذا المعنى الكتاب الثالث الترجمة العربية ، الأبيات ٢١١٢-٢١١٧ وشروحها) وشرح حال الأحبة على سبيل الرمز

عند ذكر الآخرين ورد في الكتاب الثالث في الأبيات المذكورة كما ورد في الكتاب الأول (خير لنا أن يجئ سر الأحبة في حديث الآخرين ، البيت١٣٦) .

(١٩٤ – ٢٠١) : إنغراس أقدام القلب في الطين كناية عن الانصراف عن مدح الصانع إلى مدح المصنوع ، فكل مدح غير مدح الحق لا يليق ، حتى ولو كان ذلك خوفا من الناس ، لأن الحديث عن عشق الحق لا يليق أن يطرح أمام كل إنسان ، لكن هذا الخوف مجرد عثرة في الطريق ، الست ترى أن تفكير أبى طالب في تشنيع العرب عليه على أنه تبع ولده ، (والقضية فيها خلاف كبير بين السنة والشيعة ، فإجماع السنة على أن أبا طالب رفض النطق بالشهادتين وهو على فراش الموت خوفا من أن يعير بها ، ثم نطقها جزعا من الموت ، وإن العباس ﷺ قال : إنه سمعه يهمس بها ، لكن الرسول ﷺ أنكر أنه سمعها ، سيرة ابن هشام ، جـ ١ ، ص ١٨٤ ، طبعة البابى الحلبى سنة ١٩٥٥ . ويرفض الشيعة رفضا تاما فكرة أن أبا طالب مات دون أن ينطق بالشهادتين ، وينقل جعفرى (١٣/١٣١–١٣٦) روايات شيعية عن ابن بابويه وجعفر الصادق ﷺ تشكك في روايات عدم إيمان أبى طالب . وواضح أن مولانا جلال الدين يقبل الرواية السائدة ولا يشكك فيها ، ويرى أنه لو كان الله سبحانه وتعالى قد كتب الإيمان لأبى طالب في سابق علمه ، لآمن ، فضلا عن أن أبا طالب كان ذا بصيرة ، لكن هذه البصيرة ليست منفتحة على عالم الغيب .

(٢٠٢– ٢١١) : (عن التردد وكيف أنه تفسير تكريم الإنسان بالاختيار ، انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس ، الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية ، لكاتب هذه السطور)، وفي تفسير نجم الدين كبرى للأمانة " وهى التى عبر عنها بالفوز العظيم وقد فسرنا الفوز العظيم بالفناء في الله والبقاء بالله وهو عبارة عن قبول الفيض الإلهى بلا واسطة وقد اختص الإنسان بقبول هذا الفيض وحمله من بين سائر المخلوقات لاختصاصه باصابة رش النور الإلهى لقوله ﷺ { إن الله خلق الخلق في ظلمة ورش عليهم من نوره } فكل روح أصابه نور الله صار مستعداً لقبول الفيض الإلهى بلا وساطة فكان

عرض الفيض عاماً على المخلوقات وحمل الفيض خاصا بالإنسان، وحمله مخصوص بالقلب بلا واسطة، ثم من القلب بواسطة العروق (مولوى ٦/٤٠) .

(٢١٢ – ٢٢١) : لا يزال مولانا في مناجاته التي يطلب فيها من الله تعإلى النجاة من " فتنة الإختيار " فتنة المسئولية ، فتنة أن يكون المرء مسئولاً عن أعماله، وينطلق مولانا في عنوان الأبيات إلى الاختيار على مستوى الأمم وهو هنا يمكن أن يترجم إلى السيطرة ، تكون كل الأسباب مجموعة في يد إحدى الأمم ، تغوص إلى أعماق المحيطات ، وتنطلق بين الكواكب والأقمار ، فإذا لم تكن ثم قوة روح إلى جوار هذه السيطرة ، كانت النتيجة وبالاً ، ويأتي قهر الحق لكي تفيق هذه الأمم من غلوائها وتعترف أن هناك إلها ، وأن التقدم العلمي المذهل إن لم تسنده حضارة روحية قوية وإيمان قوى ، تكون نتيجته معروفة ، وإن لم تصدق فانظر إلى مصائر الأمم ، يتحدث القرآن الكريم دائما أنهم كانوا أشد قوة وأكثر جمعاً ، وعمروا الأرض أكثر مما عمرها من يخاطبهم القرآن الكريم ، ومع ذلك بادوا ، وتلك مساكنهم تدل عليهم، ويضرب المثل بفرعون على القوة التي لم يبلغها بشر ، أليس هو القائل " أنا ربكم الأعلى " إذن فاعلم أن فرعون موجودٌ ، في كل جبلة ، موجود في كل نفس ، (أنظر الكتاب الثالث ، ١٠٥٦ – ١٠٥٩ و ١٢٥٥ – ١٢٥٨ وشروحها وانظر أيضا مقدمة الكتاب الذى بين أيدينا) . إن هذا البلاء يحول أبطال الطريق إلى مجرد إناث ، (انظر ١٩٩٥ من الكتاب الخامس و ١٥ من الكتاب الذي بين أيدينا) إن الإنسان الذي يسير على طريق واحد ومذهب واحد إنسان متوازن ، لكن الإنسان الذي يكون كبعير تحمل حملين غير متوازنين (رأيين ومذهبين ودينين وأحياناً أكثر !!) يفقد توازنه يصاب بالجنون ، إن مولانا يطلب أن يكون دائما بين أصابع الحق يقلب قلبه كيف يشاء ، يكون كأصحاب الكهف ﴿ تحسبهم أيقاظا وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ (الكهف /١٨) أي لأني دائما يا الله نائم عن قدرتي واختيارى مستيقظ بين يدى مشيئتك ، ويقول نجم

الـدين : أي التقليب بين الإفناء والإبقاء والترقى من مـقام إلى مـقام ومن حال إلـى حال إلـى أن بلغناهم مبلغ الرجال البـالغين ووصلوا إلـى درجات المـقربين (مولوى ٦/٤٢) .

(٢٢٢ - ٢٢٩) : الطيران هنا هـو السياحة فـي ما وراء هـذا العـالم المـادى ، والتفكـر فـي مراحل خلق الإنسان ومراحل وجوده ، ومرحلة وجود الإنسـان كـذرة فـي هـذا الـكون دائـرة فـيه دون هدف ودون قصد ، وقبل أن يتمثل إنسانا ذا جسد ، وروح ، وقت أن كان خاليا من كـل مسئوليـة ، ذرة من الـهبـاء تحملـها الريح حيث تـشاء ، وذلـك الوقت إن كـان الآن قـد صارمنسيـا ويصور لي غرورى الإنسانى ، أنى هكذا كنت منـذ الأزل ، فـإن وجـودى فـي حال النوم ، حيث أسلب كل فكر وذكر وأبهـة وعظمـة ، وأتحـول مـرة ثانيـة إلـى هبـاء ، ينبؤنـى عمـا كنـت ، عندمـا أنجـو مـن العنـاصر الأربعة (انظـر ٢١١٢ مـن الـكتاب الثـالث) والطبـائع الأربعة ، وهى أساس هذا العالم المادى ، حينذاك أرتع فـي عالم الروح متحرراً مـن الجهات ومن الطبـائع ومن أصول الحياة الماديـة ، هذا هـو رضـاع الحياة الماضيـة أيام لـم تبتل الروح بهذه الحياة الماديـة وبهذا الماء والطين . وانظر إلـى الناس بـأيـة وسيلة يهربـون من هذه المسئوليـة الملقـاة علـى عـواتقهم مسئوليـة الاختيـار ، إنهـم يهربـون فـي عشـرات المـشاغل والملاهى وبعضهم يهرب إلى الخمر وإلـى اللـهو ، واللـه تعالـى هـو الـذي يعطـى الخمر والمخدرات هذه الخاصيـة ، ولـديه مئات الآلاف مما يسلط على الإدراك . (لتفصيلات على أن الإنسان يهرب بوسائلـه الخاصة من ذاته ومن نفسه انظـر الأبيـات ٢٦٨٣ - ٢٦٩٧ من الترجمـة العربيـة للـكـتاب الرابـع ، لـكاتب هـذه السـطور وشـروحها) ويعـود مولانـا فـيقول : إن هذه الحياة فخ ، والناس جميعا يسعـون بطريقة أو بـاخرى إلـى الخلاص من هـذا الفخ ، أو إيهام أنفسهم بـانهم تخلصوا من هذا الفخ بشكـل أو بـآخر ، وكلـها ، ما عدا الفـرار إلـى اللـه تعالـى وسائل معدومـة القيمـة ، تأثيرها خادع ووقتى .

(٢٣٠ – ٢٣٥) : ثم إنك يا الله تعيد النفس مرة ثانية من هذا العدم (النوم) إلى سلطانها ، وإلى تسلطها ، فلا سلطان لها إلى الخروج من حبس هذا الزمن ، إلا بسلطان إلهى ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ (الرحمن / ٣٣) ، إن الشرط هنا هو الفناء، ترك النفس ، الخروج عنها ، كيف تكون وجوداً ثم تريد أن تمضى إلى عالم العدم الذي هو أساس هذا الوجود ومعدنه ؟! تخلص أولا من ذاتك وأنيتك ووجودك ، ثم عُدْ إلى مصدرك ، ومن هنا فليس للعشاق دين ، فما حاجة العدم إلى الدين؟! (عن العدم كأصل للوجود ومصنع له ، انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات ١٩٦٠ – ١٩٧٣ وشروحها) .

(٢٣٦ – ٢٤٤) : الإشارة في الأبيات إلى السترة الجلدية والحذاء الريفى وإياز تنظر تفصيلاتها بداية من البيت ١٨٥٩ من الترجمة العربية للكتاب الخامس وهى أطول حكايات الكتاب الخامس وتشير إلى نظر الإنسان إلى نفسه ومعرفته مم خلق ، وقيمته أمام السلطان الأكبر ، كما يراجع البيت ٣٥٩ وما بعده من نفس الكتاب الذي بين أيدينا) ، والأمر كله فتح لباب العدم حتى تعرف قيمة الوجود ، لقد صار نديم السلطان بعد أن كان مجرد راع ، إن إياز لم يفعل ذلك لأنه كان يخشى الكبرياء ، لا ، لقد كان واصلا كاملا (عن الواصل الكامل انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٤١٠ – ٢٤١٢وشروحها) بل كان يقوم بكل هذه الأمور يريد أن يفتح قبرا للأنية يهب منه نسيم الحياة الأبدية ، البقاء الذي لا يهبه سوى الفناء الكامل (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) .

(٢٤٥ – ٢٥٠) : الحديث عن الروح التى تبتلى بهذه الحياة الدنيا وهى في الأصل خفيفة الحمل خفيفة السير ، وهذه المتع الدنيوية بالنسبة لها كأنها السلاسل التى تقيد حركتها حتى وإن كانت سلاسل ذهبية ، فهى تلقى بها في جب دار الغرور محرومة من أرض الروح التى تستطيع أن تتجول في كل مكان ، وهذه الدنيا وإن بدت جنة إلا أنها جحيم ،و مثلما

يكون الجحيم برداً وسلاما بالنسبة للمؤمن ﴿ قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ [ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما تكون على إبراهيم] (أحاديث مثنوى / ١٨١) والحسناء التى تتحول إلى جحيم عند الصحبة أو المعاشرة هى الدنيا

(٢٥١ - ٢٥٦) : تجاهل فروزانفر أصل الحكاية التى تبدأ بهذه الأبيات ، وتبدو من المأثور الشعبى الذي كان شائعا قبل مولانا جلال الدين ، وقد البس مولانا شخوص الحكاية رموزا شديدة الوضوح ، ويترك مولانا سياق الحكاية من البيت ٢٦١ ويتحدث عن المعجب بتقواه كأنه إبليس الذي كان قبل العصيان طاووس الملائكة ، لكن علمه كان محدودا فلم يدرك معنى تكريم آدم ومعنى السجود له فعصى ، وهكذا علماء الظاهر وعلماء الكتب وعلماء المدارس أو كما عبر عنه مولانا بعلم أهل الحس (الكتاب الأول، بيت١٠٢٠) وبهذا العلم لا يمكن أن تدرك حقائق العشق وحقائق العالم الآخر ، فلا تغتر بهذا العلم مهما كانت عمامة صاحبه كبيرة (انظر حكاية الفقيه ذى العمامة الضخمة في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٥٧٨-١٦٩٠ وشروحها) إنها كلها أدوات تعريف ، سواء العمامة أو اللحية ، إنه يريد أن يقول أنه عالم ، أما العارف فيعرف بنوره البازغ .

(٢٨٣) : بالرغم من أن الغلام الهندى بمثابة الإبن ، إلا أن النظام السائد في المجتمع لا يعطيه الحق في أن تكون ابنة سيده مطمحا له ، هذا مفهوم ، أما ما يحدث في سياق القصة فيذكر بتلك القصة الأخرى المشهورة في الكتاب الأول ، قصة الجارية التى أخذت تذوى، وعالجها الطبيب فعرف أن مرضها لمفارقة حبيبها الصائغ السمرقندى ، وعندما يستدعى الصائغ السمرقندى يعطى دواءً لكى يذوب أمامها ، وتنجو من حبه ، والواقع أن إخضاع هذا القبيل من الحكايات لأى منطق لا يصل بها إلى نتيجة، حتى ولو قيل في قتل الصائغ السمرقندى أنه من قبيل قتل الخضر عليه السلام للغلام (انظر الحكاية وتعليقاتها في الكتاب الأول

الأبيات ٣٥-٢٤٦ وشروحها) . والحكاية التى بين أيدينا أيضاً من هذا القبيل ، لقد جعل السيد من عاطفة عبده تجاه ابنته مادة للسخرية والضحك، والقى بالعبد بين براثن مارد يلوط به ، أكان البيان عن سخرية الدنيا بعشاقها ، إذ تبدو كالعروس وهى مدمرة في الحقيقة تحتاج إلى إعادة صياغة هذه الصورة الشعبية البشعة ؟! أجل فعندما يكون الحديث عن الخروج عن إطار المنطق والمعقول ، لا يهم مستوى التعبير !!

(٣١٨ – ٣٢٢) : المراد من الحكاية أن كل نعيم للدنيا هو في ظاهره كهذه العروس وفي باطنه كهذا العتل الذي لاط بفرج العبد الهندى، ونعيم الدنيا كالسراب يبدو من بعيد ماءً ، وهى عجوز نتنة مصداقا للحديث النبوى الشريف { يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية لا يراها أحد إلا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم : أتعرفون هذه فيقولون : نعوذ بالله من معرفتها ، فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها } (مولوى ٥٤/٦ ، أحاديث مثنوى ١٨٧ ، انقروى ٦-٨٥/١) وتشبيه الدنيا بالعجوز التى تزوجت ألف زوج تشبيه شائع جدا في الأدب الفارسى وفي بيت شهير لحافظ الشيرازى ، وقد نقل الأنقروى بيتاً لم يذكر قائله : إن الدنيا عروس جميلة الصورة لكن كل من اتصل بها أعطاها عمره صداقا لها .

(٣٢٦ – ٣٣٤) : إن العظماء في الدنيا بمثابة الموتى المحمولين على كواهل الخلق ، قال ﷺ { إياكم ومجالسة الموتى ، قالوا ، وما الموتى يا رسول الله ﷺ ، قال ﷺ : الأغنياء } وفي رواية أخرى ، أهل الدنيا ، إنهم محمولون على كواهل الخلق و " ملعون من ألقى كله على الناس " (جعفرى ١٦٩/١٣) حياتهم من عرقهم وأعمالهم غرامة عليهم ، فلا تكن حملا على أحد ، لكن كن كالجواد المسرع تمشى على الأرض ، ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ (الفرقان /٦٣) وإن المؤمن هو الذي يقوم بكل أعماله بنفسه لا يكلف بها أحد ولا يعتمد فيها على أحد ، أما هذا الكفور ، فيظل محمولا على كواهل

الخلق ، يصبح كالميت ، يحملونه إلى قبره ، ويشير في الأبيات التالية إلى ما أشار إليه ابن سيرين في منتخب الكلام في تفسير الأحلام ، أن من يُشاهد ميتا محمولا في النوم ، فهذا يدل على أنه سوف يصل إلى الرفعة والمنصب والجاه ، (عن استعلامى ٢٤٢/٦) فكأن مولانا يزاوج بين أولئك الذين يعيشون عالة على الخلق محمولين على أعناقهم وبين الموتى بالفعل . إياك أن تعيش متكاسلا لا تقوم بعمل ، فإن جزاء هذا أن تصاب بالنقرس في قدميك ، سوف يأتي يوم تضيق هذا المركب ، تعجز وتصاب بالملل ، وتحس بعالمك من حولك قد تحول إلى خراب ، فلم تعد لك صولتك ولم يعد الخلق يتحملونك ، اعترض على هذا المركب الصعب الآن مهما بلغت مغرياته وفكر في ذلك اليوم الآتى لا محالة .

(٣٣٥ - ٣٣٩) : الأبيات هنا قائمة على رواية لثوبان ، روى عنه ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ من يضمن لى شيئا أضمن له الجنة ، قال ثوبان فقلت أنا يا رسول الله ، فقال ﷺ لا تسأل الناس شيئاً أضمن لك الجنة ، فكان ثوبان لا يسأل الناس شيئاً حتى سقط يوما سوطه فنزل وأخذه ولم يأمر أحد أن يناوله إياه (مولوى ٥٦/٦) ولذا قال ابن عطاء الله السكندرى ، " ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بعلمه ومشيئته فكيف لا يستحى أن يرفعها إلى خلقه " وفي بيت لحافظ :

يا حافظ لا ترق ماء وجهك أمام باب كل سافل ولنحمل حاجتنا إلى قاضى الحاجات

كما قال ابن عطاء في الحكم " لا ترفعن إلى غير حاجة فكيف يرفع حاجتك عنك من لا يستطيع أن يرفع حاجته عن نفسه " (انقروى ٦-٨٩/١) . وعن أبى عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعى قال : كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله ، وكنا حديثى عهد ببيعته فقلنا ، قد بايعناك يا رسول الله فقال ، قال : ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك .؟! قال : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً والصلوات الخمس ، وتطيعوا، وأسر كلمة خفيفة ولا

تسألوا الناس ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحد يناوله ﴾ (جعفرى ١٣/١٧٠) . كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى . (جامع ١١٧/٢) .

(٣٤٠ - ٣٤٥) : لكن الله إن أمر فاصدع بما أمر الله سبحانه وتعالى ، فالله في بعض الأحيان قد أمر النبى ﷺ بان يأخذ من أموال الأغنياء ، فقال ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ ، وهناك بعض الأوامر الإلهية تبدو لك سيئة ، كقتل الخضر للغلام ، وخرقه للسفينة ، وهناك كثير من الناس ظهروا كعلماء جهابذة لكنهم مردودون من الله مثل بلعم بن بعوراء الذي نزلت فيه كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، إن الأمر الإلهي في بعض الأحيان يكون في الظاهر صعبا مؤلم التنفيذ ، لكن هذا في ظاهر الذي يبدو كالصدف ، لكنه ملئ الدر فى الباطن ، دعك من هذا الكلام إذن ، وعد إلى تلك المناجم التى تحتوى على الذهب الخالص ، والتى لا تناقض فيها بين قسوة الظاهر ولطف الباطن .

(٣٤٦ - ٣٥٧) : إن عابد الصورة عندما يعطى للصورة طريقاً إلى قلبه يندم فى النهاية ، ويعبر عن ندمه هذا بحركة يديه ، أنظر إلى اللص عندما يحمل إلى إقامة الحد إنه إنما يستخدم يديه فى التشنيع والتفجع والتضجر كما تفعل النساء ، والحزين المذكور فى البيت التالى إشارة إلى الغلام الهندى ، وهكذا فنحن جميعاً نعلن عن نفورنا من فعل السوء ونشنع عليه ، لكن بعد فوات الأوان ، فتوبتنا هى توبة الفراشة (لتوبة الفراشة انظر الكتاب الرابع ٢٢٨٧ - ٢٢٩٤ وشروحها) إن هذا يشبه ما ورد فى الآية الكريمة ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه وانهم لكاذبون﴾ وأوهن الله كيد الكائدين مستوحاة من الآية الكريمة إن الله موهن كيد الكاذبين (الأنفال ١٨) والكلام كله مصداق "توبة الكذابين على أطراف لسانهم" (أنقروى ٦-١ / ٩٣).

(٣٥٨ - ٣٦١) : الآيــة الـكريمـة ﴿كـلما أوقـدوا نـاراً للحـرب أطفأهـا اللـه﴾ (المـائدة ٦٤) والنسيان من انعدام العزم ﴿ولقد عهدنا إلـى آدم مـن قبل فنسى ولـم نـجد لـه عزمـا﴾ (طـه ١١٥) فالتوفيق فى طريق الحق شرطه حسن النيــة، وإلا فإن الحق لا يوفق العبد فيما يزعـم أنه مزمع علية ، فالصدق هو الروح الربـانيــة (البيت ٣٠٣ من الكتاب الرابع).

(٣٦٢ - ٣٨٢) : الحكايــة الواردة هنا من الحكايات التى تجاهل فروزانفر البحث عن مصـدر نـها ، وتبدو من حكايات المعانى التى يلبسها مولانا شخوصاً لـكى يوضـح معانيهـا ، فـالرجل صاحب الـدار فى عماه (الظاهرى والبـاطنى) لا يرى من يطفئ الشمع وهو أمامه ، مثل ذلـك الـكافر الذى يكيد فى قلبه فيوهن اللـه كيده وهو لا يعلـم مـن عمـى قلبـه مـن الـذى يوهـن هـذا الكيد (عـن وقـوف اللـه لـكيد الـكافرين بـالمرصاد أنظـر الـكتاب الثـالث الأبيـات ١٠٩٤ - ١٠٩٨ وشروحها) حتى على سبيل العقل إن لم يكن لـك قلب ، كيـف تدعـى أن لـك عقـلاً ثـم تـنكر وجود الخالق ، ألا يقول لـك عقلـك أن الشيء المتحـول يلزمـه محـولاً ؟! أهنـاك تعـاقب ليل ونـهار دون أن يكون هناك رب ؟! أثمـة منزل دون بناء ؟! وخط دون خطاط وشـمع دون مـشعل لـهذا الشمع ، وإذا كانت هذه الصنعـة حسـنة أفـلا يلزمهـا صـانع قـدير ؟! دعـك مـن هذا ، إنك نفسك تـنوى التى ولا تستطيع أن تـنفذ نيتك هـذه ؟! ألا يدلـك هـذا القهـر الدائـم لـك ولنواياك على وجود قاهر لك ؟ ألم تعرف اللـه حتى بفسخ عزائمك ، لقـد أعـددت للأمـر كلـه عدته ، رسمته وقدرته وعملت حسابـاته ومع ذلـك لم يتم ، فكيف لم تفهم؟ (عـن معرفـة اللـه بفسخ العزائم أنظر الأبيات ٤٤٦٥ - ٤٤٧٥ من الـكتاب الثالث وشـروحها) لقـد عرفـت إذن أنه قاهرك ، فهيا ، قم بحربه وافعل كما فعل النمرود ، هيا وتعلق بعدد من النسور يحملونـك إلـى السماء لـكى تقوم بـقتالـه ، وتطلق سهامك عليه (انظر ٤١٤٠ و ٤٨٦٣ من الـكتاب الذى بين أيدينا) ، أتراك وأنت فى العدم نجيت منه ، أليست كفه التى صورتك وجـوداً مـن العـدم ،

فكيف تستطيع إذن أن تنجو من كفه وأنت وجود ، إنك مجرد مصنوع مخلوق ، وهو الصانع والخالق ، تريد أن تفر كى تفارقك التقوى إلى الأبد ، فإنك قد سفكت دماءها بهذا .

(٣٨٣ - ٣٨٩) : إن شهواتنا هى التى تسمر أقدامنا فى هذا العالم المادى وتبعدنا عن طريق الله ، فدعك منها، واتجه إلى الله سبحانه وتعالى فإنك ترى الفتوحات تتوالى عليك من مجرد اتجاهك "فمن تقرب منه باعاً تقرب منه هو ذراعاً ، ومن سعى إليه مشياً سعى إليه هو هرولة" وإن كنت لا تصدق ، فاستفت قلبك ، فإن كان قلبك مضيئاً بذكره فسوف يدلك على الطريق ، استفت قلبك ولو أفتاك المفتون (أحاديث مثنوى / ١٨٦) وما أكثر المفتين الذين يبعدونك عن طريق القلب ، سل تسلم ، وكن بين يديه كالميت بين يدى الغسال ، لا رغبة ولا نية ولا خطة ولا فعل ، حينذاك تنزل عليك الرحمة الإلهية ، وما دمت لا تستطيع الهرب فجرب الخدمة ، هذه يد لن تستطيع أن تقطعها فقبلها ، سوف ينقلك من قهره إلى لطفه ، وفى الحقيقة أنت لا تملك سوى هذا إن قدرت عليك ، وهب أنك سوف تتجاهل هذه الحقيقة، فهل توارت الشمس بالحجاب لأن أعمى أغلق عينيه حتى لا يراها ؟

(٣٩٠) : إياز هو مثال العبد الصالح والعارف الكامل الواصل (انظر الأبيات ٢١٥١ ، ٣٢٥٣ ؛ ٣٢٨٧ من الكتاب الخامس) وفى الكتاب الخامس ذكرت قصة اياز وسترته الجلدية وحذائه الريفى بكل تفصيلاتها ، كما ذكرت قصة أخرى عن طاعته للملك دون سؤال فى حكاية عطية الجوهرة (الأبيات ٤٠٣٧-٤١٢٠ من الكتاب الخامس) لكن الحكاية الواردة هنا لم يعن أحد بالبحث عن مصدر لها .

(٤٠٦-٤١٢) : يحتج الأمراء الثلاثون على مهارة اياز وفهمه لأسئلة السلطان ولما يريده السلطان دون أن يسأل وإحاطته وحبه بما كان يسأل عنه الأمراء الثلاثون ، بان الأمر عطاء من الله سبحانه وتعالى ، هذه هى الحجة الجبرية المذكورة فى العنوان ، ويرد السلطان بأن الأمر ليس عطاءً فحسب بل هو أيضاً جهد ، وينتهز مولانا جلال الدين الفرصة فيسوق

أمثلة وشروحاً حول رأيه فى حريـة الإنسان وكونه مختاراً وليس مجـبراً ، وهـذا يشبه تمامـاً حجة إبليس الذى قال لله تعالـى "بما أغويتـنى" بينما قال آدم وحـواء "ربنا ظلمنا أنفسنا" ، ويوفق مولانا فالقضاء حق والجهد حق وهو أشبه هنا بالكسب الذى يكون للعبد وقت الفعل الذى يقول به المعتزلة ، وعلى كل حال نوقشت هذه القضيـة بشكل مفصل فى مقدمـة الترجمة العربيـة للكتاب الخامس .

(٤١٣ - ٤٢٤) : الخلاصة فى هذه الأبيات أن قراراتنا وترددنا وإقدامنا على أمر ونفورنا من أمر آخر كلها دلائل على مسئوليتنا عن أفعالنا، وما دمنا مسئولين فنحن مختارون ، فكيف تكون المسئوليـة على مجبر ؟ ثم أن القدرة على الاختيار بين عملين لا يمكن أن يكون فيهما جبر ما دمت تستطيع أن تقوم بكلا العملين على نفس المستوى الجيد، وإن كان عليك أن تختار بين عمل تستطيع القيام به وعمل لا تستطيع القيام به ، فسوف تقوم بالتأكيد بالعمل الذى تستطيع القيام به ، ثم إذا لم تكن مسئولاً لماذا يقتص منك ؟ لماذا يقام عليك الحد ، أتشك إذن فى عدالة أحكم الحاكمين ؟! .

(٤٢٥ - ٤٣٩) : لكل عمل صورة ظاهرة ومرئيـة وصورة غيبيـة، ليس من اللازم أن تكون شبيهة بالصورة الظاهرة للعمل ، أو تكون مشابهة له على أى وجه من الوجوه (أنظر لعدم تشابه الأفعال مع نتائجها أو على عقابها أو ثوابها الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٤٥ - ٣٤٥٥ وشروحها) ، والقضاء المذكور هو القضاء الإلـهى ، والكلب الكسول كنايـة عن النفس ، والمعنى مأخوذ هنا من حديقة سنائى " الكلب المرابط فـى الحظيرة وإن كان سميناً ليس كالعربى يحسن فى الصيد" (البيت ٣١٣ ص ٧٨ من حديقة الحقيقة ، انظر الترجمـة العربيـة المشروحة لكاتب هذه السطور) والرجولة كل الرجولة أن يتحمل المرء نتيجة أعماله ، وأن يكون موقناً أن ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره﴾ (الزلزلة ٧-٨) وإياك ووساوس النفس ، إنها من قبيل الذرات أمام شمس الحقيقة ولا

تستطيع أن تخفيها ، وهذه الذرات (الهباء) موجودة أمام شمس الدنيا فهل تستطيع أن تخفيها ، مثلها كل ما يدور في ذهنك من وساوس وأفكار ظاهرة أمام شمس الحقائق ، وتكون مسئولاً عنها ، مثابا أو معاقبا بها .

(٤٤٠ - ٤٥٠) : إن نور الحق دائماً ما يجلى ما يدور فى بواطننا من أفكار للوهلة الأولى ولكن ثمة أموراً أخرى من ذواتنا ومن ظروفنا تدفعنا إلى تجرع الخديعة والانصراف عن الإلهام الأول الذى يكون حقيقياً فى الغالب ، ومن أهم الظروف التى تدفعنا إلى ذلك الحاجة والحرص والفقر بدرجاته ، ويروى مولانا الحديث النبوى [كاد الفقر أن يكون كفراً] (أحاديث مثنوى / ٤٥ - كنوز الحقائق ٢ / ٩٣) والقصة هنا فى مغزاها تشبه إلى حد كبير قصة الثعلب الذى جر الحمار إلى الأسد الواردة فى الكتاب الخامس (ابتداء من البيت ٢٣٢٨ ويقطعها مولانا كعادته ثم يعود إليها خلال الكتاب الخامس فلا تنتهى إلا فى البيت ٢٨٨٠). والقصة التى بين أيدينا قصة الصياد الذى يتظاهر بالزهد ويصيد الفريسة بشبكة الدين من القصص التقليدى فى الآداب الشرقية عموماً ورد فى أصلها فى أكثر من مصدر فى العقد الفريد وفى ربيع الأبرار وإرشاد الأديب وكتاب الأذكياء ولم يلتفت فروزانفر إلى أن سنائى نظم حكاية تشبهها فى بعض أجزائها وفى هدفها (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة لكاتب هذه السطور الأبيات ١١٦٦٠ - ١١٦٦٩ وشروحها) (مآخذ /١٩٧) والطائر الذكى فى الحكاية كناية عن الإنسان الذى يمتلك خبرة ناقصة وعلماً ناقصاً ومع ذلك يغتر به فيورده موارد الهلاك ، وربط الذقن أو الفك كناية عن فعل ذلك عند أول موت المرء .

(٤٥١ - ٤٥٦) : يخرج مولانا عن سياق القصة ويتحدث عن هذه الحياة التى تمر بها الروح فى سيرها التطورى بضعة أيام ، فهل تركن إلى العناصر التى هى أصل الجسد وتنسى أنها من طريقة أخرى فى النفوس والعقول ؟ إن هذا هو عدم وفاء منها أن تنسى أصلها وألا تحن إليه دائماً ، فالحنين والشوق هو مطيتها إلى العودة إلى الروح المطلق .

(٤٥٧ – ٤٦٢) : إن اغترار الروح برفاق الدنيا ، ونسيانها لأصلها من هذا الغرور يجعلها تشبه طفلاً يترك داره ، ويجذبه الرفاق فيستغرق معهم في اللعب ، ويأتي اللص فيسرق ثيابه وهو منهمك في اللعب فإن حل الليل ، وآن أوان العودة إلى المنزل ولم يعد للعب طعم، التفت فلم يجد ملابسه، فلا هو يستطيع أن يداوم اللعب ولا هو يستطيع أن يعود إلى المنزل ، أتستهين بهذا المثل ، أقرأ إذن في القرآن ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ (محمد ٣٦).

(٤٦٤ – ٤٧١) : الكلام على لسان الصياد ، إن الخلق يسرقون ثيابك ، "الستر ، الحفظ ، الشخصية ، الوقت" فاحتفظ بها ، إياك أن تفقدها، وقبل أن يحل عليك ليل الأجل عد عن هذا اللعب واقلع عنه ، وإن كنت قد فقدتها لا تجزع، فهناك مركب يجعلك تلحق بهذا اللص الذي سرق ثيابك (نفسك)، إنه مركب التوبة ، ولا تظن أن الوقت قد ضاع ، فإن مركب التوبة يوصلك إلى الأعالي ، المهم أن تظل مستعداً دائماً بمركب التوبة ، وحذار أن يختم على قلبك فتفقد مركب التوبة أيضاً ، ويغلق أمامك باب التوبة الذي يظل مفتوحاً حتى تطلع الشمس من مغربها (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٢٥٠٣-٢٥٠٨ وشروحها).

(٤٧٢ – ٤٨٢) : القصة الواردة هنا لها شبيه في جوامع الحكايات لمحمد عوفي ، وتكاد تطابق أيضاً نادرة في النوادر التي تنسب لجحا ، وهي أقرب إلى التراث الشعبي والدعوة هنا إلى الحزم عند المصيبة ، وعدم الطمع وإلا زادت الخسائر وتوالت ولم تقتصر على الخسارة الأولى .

(٤٨٣ – ٤٨٨) : عودة إلى حكاية الطائر والصياد . فها هو الطائر ينصح الصياد بعدم الخلوة ، فلا رهبانية في الإسلام ورهبانية أمتي الجهاد (حديثان نبويان) والإسلام دين الجماعة والجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة عبداً مملوكاً أو امرأة أو صبياً أو مريضاً (انقروي ٦ – ١ / ١١٩) كما أن "خير الناس أنفعهم للناس" والمرء بشر في

النهايـة ينبغى أن يعيش بين البشر وليس حجراً ليعيش بين المدر ، فعش بين الأمـة التـى قـال عنها إمامها ونبيها { أمتى هذه أمة مرحومـة } للحديث روايتان (أمتى هذه أمـة مرحومـة ليس عليها عذاب فـى الآخـرة أمـا عذابهـا فـى الـدنيا الفتـنة والـزلازل والقتـل والبـلاء) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى موسى و [أمتـى أمـة مرحومـة مغفـور لـها متـاب عليهـا] رواه الحاكم فى الـكنى عن أنس (انقروى ٦ - ١ / ١٢٠) .

(٤٨٩ - ٤٩٤) : يجيب الصياد الذى يتظاهر بـأنه زاهد بأن هذا الـكلام ليس مطلقاً ، فليس كـل عقل يتصف بـالرسوخ والثبـات، وهـذه العقـول التـى لا تتصـف بـالرسوخ والثبـات هـى بمثابة الحجر والمدر ، وأغلب الناس عقولـهم مـن هـذا القبيـل ، وهـم جميعـاً كـالحمر أقصـى أمانيهم قوتهم وهمهم بطونهم ، وكـل بـاحث عن الميتة يكون ميتاً، والرهبـانيـة هـى مصاحبـة أمثال هؤلاء الناس ، بل إن مصاحبة الحجر والمدر (أى الخلوة فـى الجبـل) أفضـل ، لأنـه لـم يسمع أحد أن الحجر والمدر قد قاموا بإيذاء أحد ، وحدث ولا تسل عن إيذاء الناس للناس .

(٤٩٥ - ٤٩٩) : ويقول الطائر : وكيف يبدى المرء شجاعة إن لـم يتصـد للشـر ؟ تقـول أن الناس أصبح ديدنهم الأذى ، فلماذا لا تقوم بمـقاومـة هذا الأذى ، أليس جهاد الظلمـة فـرض ؟ أليس رسول الأمـة هو نبى السيف وهو القائل { بعثت بين يـدى السـاعة بـالسيف حتـى يعبـد اللـه تعالـى وحده لا شريك لـه وجعل رزقى تحت رمحـى وجعل الذل والصغار على من خالـف أمرى } (٣١٥ / ١٢٥) وقال كعب :

إن الرسول لسيف يستضاء به * مهنـــــــــــد من سيوف اللـه مسلول .

(٥٠٠ – ٥١٣) : يقول الصياد : إن الجهاد واجب إن وجدت عليه قدرة وقوة . فإن لم توجد فقد شرع الرسول الفرار (!!) مصداقا للحديث النبوى { الفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء } (أحاديث مثنوى / ١٨٩) ويرد الطائر : إن الذى يعشق الوحدة هو ذلك الذى لا يعامل الخلان بصدق ، إنما يجعلهم ينفضون من حوله، فإن عاملهم بصدق التفوا حوله وكانوا له قوة ومكنة ، ولا تترك جوار يعقوب ، أى لا تترك أولياء الله والشيطان بالنسبة للمؤمن بمثابة الذئب بالنسبة للقطيع وروى عن الرسول ﷺ أنه قال { الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والشاذة } (أحاديث مثنوى / ١٩١) ، وأن ذلك الذى يحيد عن سنة الرسول ﷺ وينبت عن الجماعة إنما تسفك دمه ذئاب الأهواء وذئاب المذاهب وغيلان الصحراء الذين يتظاهرون بأنهم مرشدون وناصحون ، فالسنة هى الطريق والجماعة هى الرفيق وما سوى هذا بعدٌ عن الجادة وضياع فى مهامه الأهواء ، ولكن إياك اعتبار الغافلين قادة ومرشدين والمهتدين بالصورة مشايخ وأدلاء ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ ، إنه صديق مزور مزيف يصادقك ويصاحبك وكل همه أن يسلب مالديك ، فهو يتحين الفرص من أجل ذلك ، يجدك فى شدة ، وبدلاً من أن يعينك ، يأخذ ما لديك ، وربما تكون عينه عليه من البداية ، فهو يعرفك من أجل أن ينتفع منك ، ثم إياك ومصادقة الجبان ، فإنه عندما يحتاج الأمر إليه ، يخوفك ، ويلقى بالدروس والمواعظ من أجل العودة عن الطريق ، والطريق هو امتحانه الأكبر ، ففى كل دغل آفة ، وفى كل منحنى كمين ، وطريق الدين لا يزال الشيطان يقف لك فيه بالمرصاد ، يخوفك ويأمرك بالفحشاء ، ويلقى إليك كل لحظة بفتنة، ولذلك فطريق الدين فى حاجة إلى رجال ، وليس فى حاجة إلى مخنثين ، ومعلوم أن الرجل هو ذلك الذى يثبت فى الطريق ويصمد ، إنه كالغربال أى الطريق يميز الدقيق من النخالة .

(٥١٥ – ٥٢٨) : الطريق بين ولانح، سار فيه الكثيرون ووصفوه فهو مليئ بآثار الأقدام ، إن هؤلاء الواصلين بمثابة السلم الذى تترقى عن طريقه إلى الدرجات العلا (وصف سنائى الطريق فى الحديقة بأنه سلم :حديقة الحقيقة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ٢١٨-٢٢٥ وشروحها) ، إنك حتى إن عشت بعيداً عن الجماعة ولم يمزقك الذئب فلن تذوق طعم السرور ، إن السرور مع الجماعة ، حتى الحيوان ، حتى الحمار إن سار فى جماعة كان سيره أفضل وتعرضه للضرب أقل ، فما بالك بالبشر ، حتى الأنبياء ومع مالهم من تمكن وتأييد إلهى ، يبحثون عن الصحاب ومن أجل ذلك يبدون المعجزات ، و الطبيعة فى الجماعة وليست فى الانفراد ، كتجمع الجدران فتصير منازل ومخازن ، يتجمع القلم والمحبرة فيصير كتاب ، يتجمع رجل وامرأة فتصير جماعة ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾(الذاريات ٤٩) .

(٥٢٩ – ٥٣٨) لقد طال الجدل بين الصياد والطائر ، والجدل غالباً ما يطول (كما طال فى الكتب السابقة بين المتجادلين حول الكسب والتوكل فى الكتاب الخامس وحول الجبر والاختيار فى الكتاب الخامس أيضاً وحول لزوم الأنبياء فى الكتاب الثالث وحول لزوم الدين والأنبياء فى الكتاب الرابع وفى هذه المجادلات يبسط مولانا حجج المتجادلين حتى وإن لم يكن فى صف بعضهم ، لكنه يترك النقاش فجأة لأنه يبعده عن خدمته الحقيقية وهى العشق والفقر، ولأنه يطيل فى المثنوى وهو يريده خفيفاً هيناً. إن الطائر الجائع الضعيف هش الروح (مثل الحمار فى الكتاب الخامس) يكون إقتناعه بآرائه هشاً ويمضى خلف الإغراء، فالطائر بعد أن جادل رأى الحب" فنسى جدله وانصرف إليه، ورغم أن الصياد حاول أن يصرفه عنه (فى الظاهر مثل كثير من رعاة العصر الذين يصدون المريدين بشتى الذرائع ليزيدوهم إصراراً) فيزداد الطائر إصراراً ، ويأكل الحب لأنه مضطر ، ولا اثم على المضطر ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه﴾ (البقرة

١٧٣) لقد صاد الصياد الطائر وهو يعظه ويصده، لقد وضع الحب من أجل أن يأكله الطائر ، ومع ذلك كان يصد الطائر عن أكله ، لأنه يعلم أن "الإنسان حريص على ما منع" .

(٥٣٩ - ٥٤٦) يوجه مولانا الحديث إلى كل من يندم بعد العصيان أن الدعاء لازم قبل السقوط ، لكن ما فائدة الاستغاثة بعده ؟ وماذا يفيد الندم بعد خراب البصرة ؟ وماذا يفيد ترياق الحياة بعد موت سهراب ؟ كان ذلك واجباً قبل المصيبة لا بعدها. ما فائدة نواحك بعد موتى ؟:

لا أحسبنك بعد الموت تندبنى وفى حياتك ما زودتنى زادى

(انظر الكتاب الخامس الأبيات ٤٧٨ - ٤٨٥ وشروحها) توسل بالقرآن وبسوره يس عند وسوسة الشيطان ، ودق العصى ببعضها قبل أن يتمكن اللصوص من القافلة لا بعد أن يكون اللصوص قد أتوا عليها .

(٥٤٧ - ٥٦١) : الحكاية هنا ليست حكاية بالمعنى المفهوم لكن مولانا يلبس البيت الأخير أسلوب الحكاية ، ومن هنا تجاهل الشراح البحث عن أصل لها على أساس أنها من مبتكرات مولانا ، إنه يقدم صوره للحارس الذى يصرخ بعد ضياع كل شىء ، يصرخ حين لا يجب الصراخ، يقوم بعمله فى غير موضعه وبعد فوات وقته ، يكون سخرية للساخرين وهكذا ، عندما يعيش المرء عمره كله تحت سيطرة شيطان الفضيحة ، فماذا عسى المعوذتان والفاتحة والقرآن كله تنفعها بعد ضياع عمره ؟ بدلاً من الندم ، اتجه إلى الله سبحانه وتعالى ، وتب فهو القائل ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (الحديد ٢٣٠) ، فسواء قمنا بما ينبغى علينا فى أوانه أو فى غير أوانه فمن قال أن مغفرتك ورحمتك - جل شأنك - تحتاج إلى أوان ؟ .

(٥٦٢ – ٥٦٤) : كـالعـادة ، يحاول الطائر(الإنـسان المخدوع) أن يضع ذنب سقـــوطه علـى الصياد (الشيطان) ﴿ وقـال الشيطان لما قضى الأمـر إن اللـــه وعدكم وعد الحـق ووعدتكم فأخلفتكم وما كـان لى عليكم من سلطان إلا أن دعـوتكم فاستجـبتم لى فـلا تلومونـى ولومـوا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، إنى أخاف اللـه رب العـالمين ﴾ (إبراهيم ٢٢) بل قـال الصياد الذى صمم على أن يلعب دوره للنهايـة ، بـل أنـت المخطـئ أنـت الـذى أكلـت أموال اليتامى ، وليس أنا ، وهـذا جـزاء مـن يـأكل أمـوال اليتـامى ظلمـا ﴿ إن الذيـن يـأكلون أموال اليتامى ظلما إنـما يأكلون فى بطونهم ناراً وسـيصلون سعيــراً ﴾ (النــساء ١٠) وهكـذا المفتـــون المضلـون فـى كـل زمـان ومكـــان يزيـنـون الســـوء ، ثـم يطيلـون ألسـنتهم بـالوعظ والنصح والفتـوى على المسيئيـن .

(٥٦٥ – ٥٧٤) : من هنا لا يدور الحـديث على لسان الطيـر الذى سقط فى الفخ بـالطبع بـل على لسان كل مذنب يود أن يعـــود إلـى الحضـرة الإلـــهية ، مـا يجـرى داخـل الإنــسان مـن متناقضات تجتاح حياته كلـــها وتضيع هذه الحياة كلــها باللامنطقية وبالعبث ، تناقضـات الـــقلب وتأرجحه بـين تسام إلى ما لا يبلغـه الملائكـة ، وانحـدار إلـى مـا لا يصـل إليـه الشياطيــن ، تكـون قـــاصمة للظهـر ، فيقـــال أيهـا الحبـيب انظـر إلـى نظـرة عطـف واربـت بـيدك علـى رأسى ، فإن نهاية كل هذا التردد والتناقض تكون منك أنت ، وتكون عند اللـقـــاء بك ، وأنـا مشوق إلى هذا اللـقــاء ، يجافي النوم عينـى ، ومن ذا الذى يقـول أن اللاشيئ لا ينـبغى عليـه أن يطمح إلى اللانهائى؟ حتى ولو لم نكـن جديـرين ، فـأنت المـاحى لأحزاننـا ، وأنـت الـذى تـبدل سيئاتنا إلى حسنات ، وأنت الذى أتيت بنا من العدم إلى الوجود ، فأى استحقـاق للوجود كــان عندنا ونحن المخلوقـون من تراب حقيـر حتى تمنحنا الوجـود ، تهبنـا جواهـر عشـرة ، هى الحواس الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنــة (عن الحواس الباطنــة انظر البـيتين ٣٧١٨ ، ٣٧١٩ من الـكتاب الذى بـين أيدينا) ، وكنــه منـك ، والتـوبة أيضـاً عطـاء منـك يـا ربنـا .

(انظر الـكتاب الأول البيت ٢٢١٦ عن التـوبة والـكتاب الثانى الأبيات ١٦٥٥-١٦٥٧عن أن قبح الأعمال يغلـق طريق التـوبة) واقتلاع شوارب التـوبة كـناية عن السخرية من تـوبة الـهازل غيـر الصادق فى تـوبته .

(٥٧٥ - ٥٨٠) : لقـد تهدم حانوت جسدى ومـنزل عقلـى مـن هذه المتناقضـات التى أسقط فيها ، ومن حقى أن أصرخ عندما يعتصر قلبى ، فهو كل مـا تـبقى لـى ، ولا يعتصـر قلبـى سـوى الشوق لـك والحنين إلى لقـائك ، فهل ترانى أهرب منك ، وأنت سبب خيارى وأصل وجودى ، وما الروح وأنت أهل الروح ، وماذا يكون العبد إن لم تكـن ألوهيتك ، لقـد مللت روحى لأننى أحيا بدونك، فاقبض هذه الـروح وخلصنـى مـن الوحـدة التـى أحيا فـيها ، فـأى فضل وأى علم وأى ذكـاء لا يـوصل إليك !! الجنـون والانجـذاب همـا الطريـق إليك ، إذن فلأكـن مجنوناً مجذوباً ، وكفانى اختـفاءً وحياءً ، لأقفز من تحت هذا الغطاء الذى أغطـى بـه كل ما أحس به، ذلـك الغطاء المتمثل فى ما تعـارف عليه الناس من تصبر وتظـاهر بالوقـار ورعاية لما يتطلبه المركز الاجتماعي والجاه الدنيـوى ، لأقفز دفعـة واحـدة ، فكلمـا فكـرت أحجمت ، الأمر فى حاجة إلى تصرف .

(٥٨١ - ٥٩٧) : وها هو الحبيب يسد أمامنا الطريق ، أى طريق؟ بل أن كل الطـرق تنتهـى بـه ، ومـن نكـون نحـن حتـى تحـاول أن تتجاوز الطريـق الـذى يسـده علينـا ، وبـأى شـئ ؟ بعرجنا ؟ بعقـولنا التى تعـرج أو أوهامنا الـكسيحة ؟ ما أشبهنا عندمـا نفكـر فـي أن نتصـدى لـه بغزلان تتصدى لأسد، فماذا أمامنا سـوى التسليم والرضـا ، نحـن أسـارى الأكـل والنـوم لـكـن ﴿ لا تأخـذه سنــة ولا نوم ﴾ (البقرة ٢٥٥) ، و ﴿هو يطعم ولا يطعم﴾ (الأنعـام ١٤) إنه ينادينا ، يصيح بنا ، تخلقـوا بأخلاقى ، ولا بد أنه يتجلى لنا وإلا أترانا نكون مفتـونيـن هكذا بحبيب لا نراه ؟ بل نراه ويتجلى لنا "فى كل معنى رقيق رائق بهج" ، بل أن هذا التجلـى هو الذى يجعلـك وأنت مجرد قبضة من تـراب طموحـاً إلـى درجـة الطمـع فـى الخلـود ، إلـى

معرفة سر الأحياء ، وإذا لم يكن يهبك القوت (قوت العلم والذوق والعشق والفيض والفكر والفن والإبداع والاختراع) من حيث لا تدرى ، إنك تتوجه إليه لأنك تعرف أن كل ما يهبط عليك من خير إنما يهبط عليك منه ، لست أقل من قط انظر ، هذا قط يقف على جحر ، لقد صاد منه فأراً ، وقط ثان يطوف بالسطوح، لقد صاد منها مرة طيراً ، والناس أهواء ومذاهب وأعمال وحرف ، وهناك من يأخذ قوته من أبواب أصحاب القلوب (انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية الأبيات ٣٠٧-٣١٢ وشروحها) ، وفوق كل هؤلاء ذلك الذى عكف على باب الله ، ذلك لأنه يعلم أنه كل ما يجده إنما يجده من الله فانصرف عن الأسباب إلى المسبب وعن الوسائط الى معطيها ، وهذا هو عمل الرجال الحقيقيين وغيرهم مجرد أطفال يلعبون فى تراب هذه الدنيا بضعة أيام حتى يحين أوان الرحيل (انظر شروح الأبيات ٤٣٤٨-٤٣٦٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ، إن ذلك الذى يستيقظ من نوم غفلة الدنيا إن لم يتجه إلى هذا الباب فلا سبيل له إلا الشيطان ، إنه يستيقظ قليلاً ، ثم يوسوس له الشيطان فيظل نائماً ، لكن العاشق المشتاق ، يناديه صوت الماء ، فيرى المحبوب فيمضى إليه ، كما يمضى الظمآن إلى الماء مستهدياً بخريره (انظر التفصيلات ومعانى أخرى مشتقة من هذه الفكرة الترجمة العربية الكتاب الثالث الأبيات ٤٤٠٣ - ٤٤٠٥ وشروحها والترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٧٤٥-٧٥٣ وشروحها) .

(٥٩٨ - ٦٠٩) : الحكاية المذكورة فى هذه الأبيات ، ترمز إلى أحوال الغافلين عن الحق وهو حاضر بين أيديهم ، أو من يبحث عن المحبوب ، فإذا جاء الوصال لم يكن له نصيب فيه ونام ، والمهم كما يقول مولانا أن يكون الوصال نصيبك ، وألا تكون من المقطوعين المبعدين مهما كان جهدك ، فالتوفيق هو الأساس لا الجهد (انظر فى هذا المعنى الكتاب الثالث الأبيات ٨٣٩-٨٤١ وشروحها) وقد ورد أصل القصة فى أسرار التوحيد فى

مقامات أبي سعيد لمحمد بن المنور (ص ٦٧-٦٨ من الأصل الفارسي وانظر الترجمة العربية للدكتورة إسعاد قنديل ص ٧٩-٨٠ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ب.ت.) كما وردت فى منطق الطير للعطار وفى معارف بهاء والد (والد مولانا جلال الدين) ، وللكاتب المصرى المعاصر نجيب محفوظ قصة رمزية تحت عنوان زعبلاوى عن إنسان يبحث عمن يسمي زعبلاوى ، ويسكر وعندما يفيق من السكر يخبروه أن زعبلاوى كان طوال فترة سكره يتحدث معه. وطبخ اللوبياء المذكورة فى البيت كناية عن التمتع بصحبة المعشوق ، ومولانا متفائل دائماً بالنسبة للمعشوق الذى يجد فى الطلب ، فقد يوافيه الحبيب وقد يجد هو الحبيب على حين غفلة (انظر حكاية عاشق طويل الهجران آخر الكتاب الثالث وأول الكتاب الرابع) ، ولعب النرد كناية عن الاستغراق فى لعب الدنيا ولهوها ، وفى البيت رقم ٦١٠ ما أصابنا فهو منا ، من بيت شعر لناصر خسرو أصبح مثلاً سائراً . (انظر ديوان ناصر خسرو ص ٤٩٩ ، طبعة طهران ، وداستانهاى أمثال الأمير قلى أميني ص ٣٤ ، أصفهان ١٣٥١).

(٦١٠ - ٦١٧) : يترك مولانا الحكاية ليتحدث عن العشاق الحقيقيين أولئك الذين لا يروحون فى نوم الدنيا ، بل يتميزون بقلوب مستيقظة متنبهة مراقبة لا تغيب (عنه) طرفة عين ، لم يعد هناك جوز (أقل متعة من متع الدنيا) يلهيهم ، ويا أيها العاذل الذى تدعونا دائماً إلى متع هذا العالم وتريد أن نحيد عن هذا الطريق ، طريق العشق ، فمن ذا الذى ينصح من راحوا فى صحارى جنونه وافتتنوا بجماله ، أتأمرنا بالهجران ؟! أتُرانا بعد أن ذقنا قطرة من هذا المحيط نستطيع أن نحيد عنه ، ألم يكفك الهجران الذى عشنا فيه ، والفراق الذى أمضنا ، تدعوننا بالمجانين؟ إن الجنون الحقيقى هو الغربة عن هذا الطريق ، وهذا هو الحق ، إنهم يرمون المجنون بالحجارة لأنه يقول الحق بلا رياء (غزليات شمس تبريزى ، ص ٩-١٠ ، ١٣٣٥ هـ.ش) هات قيودك كلها ، فسوف أحطمها ، فلا قيد

هناك يستطيع أن يمنعنى إلا قيد الـهوية الإلـهية المقيد به الأنبياء والأولياء، إن سلسلة هؤلاء القـوم هى جديلة الحبيب الفواحة بالمسك العـارى عن الأسماء والصفات" (مولوى ٦/٩٣) (انظر أيضاً الـكتاب الثالث ٣٨٥٢) فإن العشق ومراعـاة ما درج عليه الناس لا يجتمعـان .

(٦١٨ – ٦٣١) : العرى هنا هو تعرية الروح من رداء البدن ، والملابس فى لغة مولانا كناية عن الحجب وكناية أيضاً عن الجسد الذى يحجب الروح، وأن هذا الأمر لا يستطيع أن يتحدث به إلا ذلك الذى خلع كل ما تعارف عليه الناس من حياء وخجل ومراعاة لما تعارف عليه الناس ، ولم يعد يهتم بما سوى الله ،فالعاشق هو الذىلا يبالى بحياء أو فكر ، ثم يخاطب المعشوق : لقد حرمت الروح النوم من سحرك الحلال ، أنت مستغن عنا فى هذا العالم ، فهيا جرب صبرنا ، وهب أن للصبر حلقا داوم الضغط عليه، فبهذا يسعد قلب العاشق ، أليس العاشق يسعد بابتلاء معشوقه لـه وكلما زاد هذا الابتلاء كان دليلاً على أن المعشوق يفكر فى العاشق للحظة، ولحاظ المعشوق رحمة مهما كان التعبير عنها، الموت منه حياة والسم شهد والشوك ورد ، ومن لم يحترق فى نار الحبيب لم يذق جنته، إن القلب داره ومنزلـه فماذا يحدث إن أحرقه ، إن إحراقه للدار يجعلها أكثر عمراناً وألقاً، إنه يعوضها بألف دار ، لا بل يعوضها بالجنان الخالدة ، إن الشمع لا يتألق إلا إذا احترق وهذا الأسد الـهصور (مولانا فى حالة سكر) لا يفعل شيئاً جزافاً والعمران فى الخراب ، ويواصل مولانا يخاطب المعشوق الحق "بالأب" ربما ليبرر لنفسه أن يطلب عدم النوم من الذى لا ينام وذلك كى يرى أحوال الساهرين فى عشقه والذين جنوا وجداً به ، وأصبح العشق مبتلعا إياهم وكأنه أفعى ضخمة تبتلع كل شىء ، إنهم كالفراش والعشق كالنار ، وصل ثم احتراق .ويرى بعض المفسرين أن مضمون البيتين ٦٣٠ و ٦٣١ يشير إلى توبة العطار الشاعر المعروف وإراقته نجعبه في النهر، وقد ناقش استعلامى هذا الأمر (٦/٢٥٤) في حين أن الحكاية التى تروى عن توبة العطار الشاعر تختلف عن هذه الحكاية المذكورة

تماماً ، والعطار هنا لا يخرج عن أي كاسب في هذه الدنيا، واراقة الجعب في النهر كناية عن نبذ الأسباب والخروج عن كل ما في الدنيا في سبيل العشق الأزلي الأبدى الحقيقي . والرمى بها في النهر أي الإلقاء بها في تيار العشق الذي يتجه إلى وجهة واحدة عليا ولا يعود كل ما ألقى فيه .

(٦٣٢ - ٦٣٥) : المزور المخاطب هنا هو ذلك الذي يدعى العشق وليس عنده من العشق شئ ، أو ذلك الذي يتجه بعشقه إلى غير المعشوق الخالد، ولا يدرك العشق الحقيقي، وينظر إلى العشاق الحقيقتين بعين الشك والارتياب ، إنه يقيس الأمور بعلمه يقول اعلم كذا ولا اعلم كذا ، إنه احتيال سار كالوباء بين الناس ،أخرج منه إلى عالم الحى الذي لا يموت والقيوم على كل سعى تقوم به ، حينذاك تكون جديرا بان تمنح الرؤية والمعرفة ، ولا تقل أنك في سكر، إنك سكران من المخيض ولست سكرانا من العشق الإلهي ، وهناك أنواع من اليقظة تزرى بأنواع من سكر السكارى (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٦٨٥ - ٧٢٠ وشروحها) دعك من هذا السكر الذي تدعيه حتى تكون أنت نفسك موصلا السكر للمريدين واهبا إياهم هذا السكر، ودعك من هموم الدنيا المتفرعة العديدة وكن مهتما بالعالم الذي لا تقلب فيه ولا تغير بل استواءٌ واستقامة، وكفاك فخراً بهذا السكر الذي يشاركك فيه الكثيرون ولست منغمسا وحدك فيه .

(٦٣٧ - ٦٤٧) : الحديث عن السكارى الحقيقيين سكارى خمر الحب الأزلية ، سكارى الحبيب ، إنهم حقا كثيرون لكنهم كنفس واحدة فهم جميعا وجود واحد ذائب في وجود الحبيب و " المؤمنون كنفس واحدة " ، وكل كثير رخيص إلا هذه الكثرة ، فهل الشمس المنتشرة ذليلة رخيصة ؟! إن العلو الحقيقي والسمو الحقيقي والكبرياء الحقيقي موجود مع هذه الجماعة، فكن معها حينذاك تكون في أرض الله الواسعة أي القلب (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٧٦٠-١٧٦٤ وشروحها) إن هذا السكر نادر ندرة وجود البازى

الأشهب (عن البزاة البيض في مقابل الغربان ، انظر الكتاب الرابع ، البيت ١٧٠٠ وشروحه) في هذه الأرض المقدسة أرض القلب هناك ما هو أسمى من هذا البازى الأشهب ، سئل السيد برهان الدين هل للطريق إلى الله نهاية ، فقال الطريق له نهاية والمنزل لا نهاية له (مولوى ٩٦/٦) إن إسرافيل هو المختص بنفخ صور الأحياء ، وبصوره يتبدل موتى الجسد إلى أحياء الروح، ومن ثم فهو متميز ، فكن أنت أيضاً مثله آخذا بأيدى الموتى إلى الحياة الخالدة ، يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى فإن أولئك الذين يقولون لا أعلم كذا ولا أعلم كذا إنما يمزحون في الحقيقة ، إنه يكررها ونفى النفى إثبات ، فدعك مما لا يعلم ومن النفى، وادخل فيما تعلم أي الإثبات ، كن معبراً عن الواقع ، ترانى شققت عليك بهذا الحديث ؟! دعنى أفسره لك بهذه اللطيفة عن ذلك الأمير التركى الثمل ، فما بالك تستفيض في النفى ، وأصل هذا الوجود .

(٦٤٨) : الحديث المذكور في العنوان " إن لله شرابا أعده لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طابوا وإذا طابوا طاشوا وإذا طاشوا طاروا وإذا طاروا بلغوا وإذا بلغوا وصلوا وإذا وصلوا اتصلوا وإذا اتصلوا انفصلوا وإذا انفصلوا فنوا وإذا فنوا بقوا وإذا بقوا صاروا ملوكا في مقعد صدق عند مليك مقتدر " وفي رواية " إذا طابوا طربوا " (مولوى ٩٧/٦) أما الأبيات المذكورة في العنوان ، أما البيت الأول فهو شطرة من رباعية ليست لمولانا أو للعطار أو سنائى ولم أتوصل إلى قائلها ، أما البيت الثانى فهو لفريد الدين العطار (ديوان فريد الدين عطار نيشابورى ، البيت رقم ٩٨٢٤ ، ص ٥١٨ من الديوان ، ط ٣ ، طهران ١٣٣٩ هـ.ش) والبيت الذي يليه لسنائى (حديقة الحقيقة ، الترجمة العربية ، لكاتب هذه السطور ، البيت ٦٦١) ويبدو أن أصل القصة من الروايات الشعبية التى كانت سائدة في الأناضول في عهد مولانا إبان حكم السلاجقة الترك للأناضول .

(٦٤٩ – ٦٥٣) : يترك مولانا قصة الأمير التركي الذي انتبه من سكره فلا يعود إليها إلا في البيت ٧٠٨ ، والمطرب المذكور في البيت التالى كناية عن المرشد الذي يأخذ بيد المريد في حالة سكره فلا يشذ ولا يضل ولا يشطح ، وهو الذي ييسر له عالم الصفاء الروحانى والصفاء الربانى وشأنه شأن مطرب الجسد يمحو عنه غبار الأحزان المتراكمة (مولوى ٦/٩٨) فهذا المطرب الروحانى هو الذي يجر مريديه نحو السكر الإلهى بخمره الإلهية وفتوحاته الربانية ، ومن "نفس" هذا المطرب تحدث القوة من بعد الضعف والصحو من بعد السكر ، ولمطرب الجسد خمره ولمطرب الروح خمره، والشطرة الثانية تقرأ عند بعض المفسرين مُطرب بفتح الميم وهو المضيق، والدنيا عند بعض العارفين بمثابة المضيق لابد للمريد فيها من الشيخ يأخذ بيده ويعبر به ، وكلاهما مطرب، أي مطرب الجسد ومطرب الروح، وشتان ما بينهما وإن تشابها في الحروف، والفرق بينهما كالفرق بين أبى الحسن الوزير الجواد وأبى الحسن الآخر الوزير سلاخ الفقراء (انظر الكتاب الرابع ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ١١٧٠–١٢٤٠ وشروحها) وبالرغم من أن كلمتى آسمان (السماء) وريسمان (الحبل) متشابهتان في الفارسية، ولكن شتان بينهما فيما يتعلق بالمعنى، ويضرب المثل في الفارسية على التشابه في المظهر بين شيئين بينهما في المعنى بون شاسع.

(٦٥٤ – ٦٦١) : ينطلق مولانا إلى الحديث عن المظاهر أو الألفاظ وكيف توقع في الظن والخطأ ، واللفظ بمثابة الجسد ، فأى فرق تراه بين المجوسى والمسلم فيما يتصل بالجسد ، ألم يقل الكفار للرسل ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ (إبراهيم /٩٤) . وما هذا الجسد بالنسبة للروح إلا كإطار ، كوعاء تماما، كجرة ، وقيمة الجرة بما فيها ، فجسد العارف ملئ بالعلم والفيض ، وجرة الفاسق والكافر ملئية بالسم الزعاف ، فانظر دائما إلى ما تحتويه القدور لتكون ملكا، وإلا إذا وقفت على النظر إلى

الظاهر تضل ، وهكذا الألفاظ والمعانى فالألفاظ بمثابة الأجساد وبمثابة القدور والمعانى بمثابة الأرواح وبمثابة المحتوى، وليس كل إنسان بقادر على التمييز ، فهناك عين للجسد لا تستطيع النظر إلا إلى الأجساد مهما كانت ذات فنون وقدرات على رؤية الظاهر ، ولكن أين فنون الجسد من فنون الروح ،وأين قدرات الجسد من قدرات الروح ؟! وهكذا أيضاً هذا الكتاب الذي بين يديك قد يكون مشتملا على هزل وقد ترد فيه حكايات خارجة ، هى هكذا لمن ينظر إلى ظاهرها وصورتها، لكنها بالنسبة لمن يدرك المعانى هادية للسبل، وألم يقل الله سبحانه وتعالى في شأن القرآن العظيم ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ﴾ (البقرة /٢٦) فالكفار والجهال من الحيرة في إدارك حقائق الأمثال يقولون ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ فبجهلهم زاد إنكارهم على الإنكار فتاهوا في أودية الضلال بقدم الجهالة، فيضل به كثيرا ممن أخطأهم رشاش النور في بدء الخليقة، فمن أصابه النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل ، فمن أخطأه ذلك النور في عالم الأرواح فقد أخطأه نور الإيمان هنا، ومن أخطأ نور الإيمان فقد أخطأ نور القرآن ، فكان القرآن لقوم شفاء ورحمة ولقوم شقاء ونقمة (عن تفسير نجم الدين كبرى ، نقلا عن يوسف بن أحمد المولوى ٦/١٠٠) .

(٦٦٢ – ٦٦٨) : وهكذا فعندما ينطق العارف كلمة الخمر، متى يقصد الخمر المعلومة لديك وكل شئ في نظره فان ، فلا ينظر إلا إلى معانى الأشياء ، إنما تفهم أنت ما يستطيع فهمك أن يصل إليه ، إن ما يصل إليه فهمك هو ظاهر الألفاظ هو هذه الخمر الدنيوية خمر الشيطان وأم الخبائث ، وهكذا تظن خمر العارف وهى من كل هذا براء ، ولكل شراب مطربه الذي يستدعيه ، فإن وجد المطرب لابد وأن يوجد الشراب وإن وجد الشراب لابد وأن يوجد المطرب . وشراب الدنيا في حاجة إلى مطرب الدنيا ، أما شراب الروح ففى حاجة إلى المرشد والشيخ وهو مطرب الروح ، حلقات متصلة شرب يؤدى إلى خمار وخمار يؤدى إلى شرب وإلى ذهاب إلى الحان (فى الجسد والمعنى) هما معا كميدان له بداية ونهاية،

البداية تؤدى دائما إلى النهاية ، والقلب (موضع العشق) كأنه الكرة في صولجان (المشيئة)، وكما أن الأذن توجد حيث يوجد الرأس (انظر الكتاب الثالث ، البيت ٢٧٧٤ وشرحه) وإن كان في هذه الرأس هيام ما فإن الأذن تتبعه لأنها مجرد تابع ، ثم يندمجان معا التابع والمتبوع والمطرب والمخمور. وفي تفسير آخر للشطرة الثانية من البيت السابق ، عندما يكون باطن الإنسان فارغاً من نور الإيمان ويكون قلقا من الصفراء التى تجتاحه، فإن هذه الصفراء تجره إلى السوداء والماليخوليا وخيال الباطل فتبعد المرء عن الحقيقة .

(٦٦٩ – ٦٧٤) : يحاول مولانا العودة إلى حكاية الأمير التركى والمطرب لكن المعانى تجرفه مرة ثانية ، وتصالح السرور والألم أي وصول العاشق إلى مرتبة يكون فيها ألم الفراق عليه وسرور الوصال سيين لديه، فيكون فانيا في المحبوب ممحوا فيه ،لا يرى لنفسه رغبة أو إرادة. وهكذا أيقظ أميرنا إياه المطربين ، أي طلب من يقوده من عالم السكر إلى عالم الصحو، والبيتان الأخيران من الأبيات العربية مشروحان في قصة من قصص الكتاب الأول . وفي تعليق للأنقروى (٦-١/١٥٩) أن الأبيات توحى بقول المجنون

فلاحت فلا والله ما ثم مانع　　　　سوى أن طرفى كان عن حسنها أعمى

توهمت قدما أن ليلى تبرقعت　　　　وإن لنا ما بيننا ما يمنع اللثما

(انظر الترجمة العربية للكتاب الأول ٣٠٦٣ وما بعده وشروحها، والبيت الأخير ، انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ١٣٤٥ – ١٣٥٤ وشروحها) . ولابن الفارض :

وقد رفعت تاء التخاطب بيننا　　　　وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتى

(انقروى ٦-١/١٦٠)

كما يذكر السبزوارى (ص ٤٢١) البيتين :

ولا تسمح بوصلك لى فإنى　　　أغار عليك منك فكيفى منى

ويذكر للحلاج :

بينى وبينك إنى ينازعنى　　　فارفع بلطفك إنيى من البين

ولابن الفارض :

فلم تهونى ما لم تكن في فانيا　　　ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتى

(٦٧٥ – ٦٨٠) : مصدر الحكاية التى تبدأ هنا يقول فروزانفر (مآخذ ، ص ٢٠١) عن نبهان مولى أم سلمة رضى الله عنها ، أنه حدث أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت : بينما نحن عنده إذا أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أن أمر بالحجاب ، فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه ، فقلنا يا رسول الله ﷺ أليس هو الأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ، فقال رسول الله ﷺ أفعمياوان أنتما ؟!! ألستما تبصرانه ؟!! ورواية مولانا أقرب إلى رواية أخرى لهذا الحديث وردت في تفسير أبى الفتوح الرازى (مآخذ / ٢٠٢) . والغيرة المذكورة فيما بعد إشارة إلى حديث نبوى { إن سعدا لغيور وأنا أغير منه والله أغير منا ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن } (انظر الترجمة العربية للكتاب الأول ، البيتان ١٧٢٣ – ١٧٢٤ وشروحهما) والبيت رقم ٦٨٠ مختلف التفسير عند استعلامى فهو يرى أن المعنى أن العجائز يحقرن أزواجهن ، وهو تفسير بعيد بل أولى التفاسير ما جاء في ظاهر البيت: إذا كانت الغيرة تصدر عن الجمال لأن الجميل هو الذي يغار من أن ينظر إلى غيره لأنه طعن في جماله ، وهو أعز ما يتدلل به وتجاهل له وهو المعتاد على لفت الأنظار (وعن قيمة الحجاب بالنسبة للمرأة ولعفافها وإن لم يرها رجل ، انظر الكتاب الثالث ، الترجمة العربية ، الأبيات ٣٧٠٥ – ٣٧٠٩ وشروحها) .

(٦٨١ – ٦٩٠) : الحديث عن الجمال المحمدى ، جمال باطنى ومعنوى لا مثيل له في الكونين أي الدارين ، وذلك لأنه يستمد جماله من الجمال المطلق ، ومن الغيرة التى

تصاب بها فلك الأقمار والشموس المتلألئة على هذا الفلك ، فإن هذا الجمال يغيب ﴿ تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ هي غيبة عن الأبصار لا عن الحقيقة والليل هو ليل الاستتار (في مقابل نهار التجلى) ، وعند غيبة الجمال يتبجح القبح فتطير الخفافيش (أى الأنفس التى لا طاقة لها على مواجهة نور شمس الجمال المطلق) ولا تنتظر الطواويس أى أهل الكبرياء والتنفج وأولئك الذين زينوا ظواهرهم ، دون بواطنهم إلى أقدامهم أي نفوسهم وهي موطن القبح فيهم والتى تدلهم على حقيقة قبحهم ونقصهم، كما كان الحذاء الريفى والسترة الجلدية لإياز مملوك محمود الغزنوى يذكره دائما بأصله ، (انظر لتفصيلات الكتاب الخامس ، الأبيات ١٨٥٩ وما بعده و ٢٠٥١ وما بعده و ٣٢٥٣ وما بعده والبيت ٣٩٠ من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحها) . ثم إن الرسول ﷺ يتجلى بجماله لكي يحس كل قبيح بقبحه ويحاول أن يستمد من هذا الجمال ، ثم يخلص مولانا إلى أن الحديث عن الجمال المحمدى لا يستوعبه مقال ولا يستطيع مقال أن يعبر عنه ، والله تعالى أمرنا بالقصد في كل شئ ، وفي الحديث والكلام بالطبع .

(٦٩٣ - ٧٠٠) : في البيتين ٦٩١ - ٦٩٢ يعود مولانا إلى حكايته ، لكنه لا يلبث أن يتركها ليعاود افاضاته عن الجمال المحمدى وهو الجمال المطلق السارى عن الجمال الكلى في كل الكون، فهو الجمال الذي يحسده العقل الطالب للكمال والباحث عن المعرفة (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٢٥٢٨ - ٢٥٣٨ وشروحها) وهو يعبر عن هذه الغيرة بكثير من التشبيهات والأمثال ، " أراد أن الولى الكامل عقله كمحمد وروحه كعائشة فكما غار رسول الله ﷺ على حسن عائشة ، وعلمت عائشة فأشارت بيدها لتخفى صورتها، فغيرة العقل على حسن الروح من هذا القبيل، إذا أرادت التكلم فلعلمها بغيرة العقل من عمى القلوب، لئلا يعلموا صوتها، بل مثلت وأشارت وكنت فيفهم العارف . وهذا المثنوى ناثر لمئات الألوف من أسرار خفية ورموزات علية رحمانية ولو كان مشتملا على بيان حسن

وعز المعشوق الحقيقى جل وعلا لكن على وجه التمثيل والكناية لأن العقل الغيور لا يرضى بالتصريح فيطلع على أسرار العشق المحارم (من أذن لهم) لا غير (مولوى ٦/١٠٥) . ولا حاجة بالعقل إلى هذه الغيرة ما دامت الروح خفية هذا الخفاء ، أتراه من فرط المحبة التى يكنها العقل للروح؟ ومن هو أهل لها يراها مهما أخفيتها ومن هو غير أهل لها لا يراها مهما كانت واضحة ظاهرة . وكيف تخفيها أيها العقل الغيور والشمس في كبد السماء لا تجد أثرا منها ما لم يسمح لها ، وكيف تضع النقاب على وجهها ونورها يشع من وراء هذا النقاب ؟! والجواب : إننى من فرط الغيرة التى أحس بها تجاه هذا المحبوب أريد أن أخفيه حتى عن نفسى ، أغار عليه من عينى أن تراه ومن أذنى أن تسمعه ، إذن فلماذا تتحدث ؟! ألست تخاف أن تفصح عما لا يجب الإفصاح عنه أمام من ليس بأهل له ؟! فهيا أيتها الروح وهيا أيها القلب اصمتا تماماً .

(٧٠١ – ٧٠٧) : يحاور مولانا قلبه وروحه ويسمع الرد منم هذا القلب والروح : إن الصمت عند أهل المعنى حديث (انظر الكتاب الثالث عن آفة الحال إدراك المقال ، وعن غسل الدم بالدم وعن الصمت المحال والنار في صوف وقطن ، الترجمة العربية ، الأبيات ٤٧٢٥ – ٤٧٣٩ وشروحها) لكن الأمر هنا ليس على شاكلة النار في صوف وقطن بل هو على شاكلة الشمس التى تحاول أن تداريها فتمزق الحجب ، إن هذا الحديث ضرورى ومهم ولا مندوحة عنه ولا محيص عنه ولا مهرب ، إن بحر المعانى تجيش غواربه فيتحول جيشانه هذا إلى زبد على وجهه ، أليست الحقيقة العليا هى القائلة : كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى " ، اعرف نفسك إذن أيها المخلوق ، أنت زبد البحر الكلى ، ومن ثم فإن الكلام حجاب واخفاء الكلام هو عين إظهاره ، إنك لا تتحدث بل تشير وتومىء فيزداد الكلام من هذه الإيماءات والإشارات ، هذا يفسره وهذا يزيد منه ، وهذا يؤوله . فتحدث أنت إذن حتى ينشغل الناس بكلامك عما تعبر عنه، فأنت تراهم

ينظرون إلى هذا البلبل الذي يغرد حينا ما بجمال الروضة فينصرفون عن هذا الجمال ، ويتوهون في البحث عن الدليل وينصرفون عن عبير الحقيقة !!

(٧٠٨ - ٧٢٤) : المطلع الموجود في العنوان من غزل لم أعرف قائله وإن كان أقرب ما روى إليه غزل لفخر الدين العراقى مطلعه:

أأنت قلبٌ أم فاتنة أو روح أو أحبة ... لست أدرى

أنت كل الوجود .. والخلاصة أننى لست أدرى هذا أو ذاك

والشطرة الثانية من البيت وردت بمعناها من نفس هذه الغزلية لفخر الدين العراقى ، في البيت السادس والسابع : ماذا تريدين من هذا المسكين الحائر ، لست أدرى....

(ديوان فخر الدين العراقى ، ط ٦ ، تهران ، ١٣٧٠ ، صص ١٨٢ - ١٨٣)

ويعود مولانا إلى قصة ذلك الأمير التركى ومطربه ، والمقصود بالطبع أن على المرء أن يتحدث عما يدريه وإلا فعليه أن يصمت وإلا باخ الحديث وباخت المعانى ، فما هذا النفى وما هذا السلب ، إنك تسأل سؤالاً مباشراً فأجب عنه بجواب مباشر .

(٧٢٥-٧٢٧) : لقد وصف التركى من قبل بأنه أعجمى لا يفهم ، وها هو التفسير يأتيه على لسان المطرب (المرشد) : إن المقصود بكل هذا النفى هو الوصول إلى الإثبات ، فما لم يصل المرء إلى مرحلة الفناء فإنه لا يصل إلى مرحلة البقاء (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث البقاء فى الفناء) ، ألست تعتبر الموت نفياً للذات؟ إن الأسرار كلها تتكشف لك بهذا الموت ، ويتحول نفيك إلى إثبات .

(٧٢٨ - ٧٣٥) : الحديث المذكور فى العنوان يتكرر كثيراً عن الصوفية ومر شرحه فى الكتاب الرابع (أنظر البيت رقم ١٣٧٢ وشروحه من الكتاب الرابع والأبيات ٣٦٧٢-٣٦٧٨ وشروحها من الكتاب الثالث) والبيت المذكور لسنائى من ديوانه (ص ٥٢) فالفناء ينبغى أن يكون كاملاً حتى يمكن إدراك الحياة الآخرة ، فإياك أن تقف عند درجة وتظن أنك

بها قـد أدركت الفناء ، ينبغي ألا تنقص درجة واحدة من درجات الوصـول إلـى اللـه تعـالى مهما أطلت فيها ومهما بدى لـك أنك وصلت "فمن ظن أنه قـد وصل فـقـد انفصـل" ، وإنـك لن تصل إلى مرحلة غرق السفينة والذى فيه نجاتها من ملـك (نفس) يأخذ كل سفينة غصبا إلا إذا وضعت فيها الحمل الأخير والحمل الأخير هو آخر وساوس النفس ومغريات الهوى إن هذا بمثابة النجم الطارق الشارق فى ليل الضلالة الداجي لمطـاردة شيطان النفس ، أى أن سفيـنة الوعـى أى الحياة المادية ، تتجلـى عليهـا شـمس الـروح ،فإن لـم تمـت هـذا المـوت الإختيارى، فقد طال عليك نزع الروح، وطـالت عليك سكرات الموت ، لأنك تكـون متعلـقاً بالدنيا متشبثاً بها. فيا أيها المحبوب ، يا شمعة جميلة حسناء من شموع مديـنة طـراز ، بـادر بالموت الاختيارى ، ولن تتجلى لـك شمس الحقيقة ما لم تمت أنجم الذات وذهب ليل الجهالة .

(٧٣٦ – ٧٤٠) : الحـديث من المطرب (المرشد) إلى الأمير التركى (النفس الدنيـة الجهـول) الذى سحب هراوته ليضرب المطرب يقـول له : اضرب نفسك بهذه الهراوة فإن عيـن جسدك التى هى بمثابة قطنـة فـى أذنـك تسد طريـق وعيك ، إنـك لا تضربنـى بـل تضـرب انعكـاس وجودك الدنيـوى فىّ ، لـقـد ضايقك منى قـولى لست أدرى لست أدرى ، ولـم تنتظـر حتى أتم، بل أحسست أننى أقصدك أنت لأنك لا تدرى شيئاً ، وهذا هو ما أغضبك (انظر لانعكـاس شعـور الآخريـن فى الطرف المقابل البيت ٣٢٥٢ من الـكتاب الثـالث) والإشـارة فـى البـيت ٧٤٠ إلى ما ورد فى الـكتاب الأول الأبيات ١٣٠٤ وما بعده قصة الأرنب والأسد وتكـررت فى أكثر من موضع من كتـب المثنوى الستة) .

(٧٤١ – ٧٤٧) : هذه الفكرة أيضاً من الأفكار التى تكررت فى المثنـوى كثيراً : إن الأشـياء تتكشف بأضدادها ، وفى هذه النشأة الأولى لا تتميز الأشياء إلا بأ ضدادها ومـن ثـم لا إثبـات إلا بنفى ، فلا لحظـه توجد فـيها إلا وفـى داخلهـا مـن فخـاخ الشـهوات الـكثير ، وذا اللبـاب خطاب من المطرب للأمير التركى وهـو للسخرية لأن الأمـير فـى حالـة سكره فاقـد للعقل

بالفعل ، إن الحق إذا أردته فهو لا يكون بلا حجاب طالما أنت فى حالة الحجب وإن كنت تريده بلا حجاب فاختر الموت ، ليس موت الدفن فى التراب بل هو موت الخصال الذميمة والميلاد الثانى فى الخصال الحميدة المرغوبة ، مثل موت الطفولة والميلاد فى حالة الرجولة ، ومن وصل إليه فقد محيت عنه الألوان وتجلى فى النور وصار حزنه سروراً ، وهو ما يعبر عنه مولانا فى ديوان شمس :

كنت ميتاً فأصبحت حياً كنت باكياً فأصبحت ضاحكاً

لقد حلت دولة العشق وللعشق دولة خالدة

فلى عين شبعى ولى روح شجاعة

ولى جرأة الأسد وصرت متألقاً ككوكب الزهرة

(غزل ١٩٩٣ ص ٥٣٩)

(٧٤٨ - ٧٥٤) : إن لم تكن تصدق أن هناك حيًا مات فى الله وفنى فيه وولد الميلاد الثانى فى هذه الدنيا فاستمع إلى حديث الرسول ﷺ بشأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه {من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبن أبي قحافة} كما ورد {من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبد الله} (أحاديث المثنوى ص ١٩٤) إن روحه فانية فى عالم الغيب وإن كان جسده ﷺ لا يزال يدب على الأرض ، ومن ثم فإن الموت بالنسبة لأبى بكر لا يعنى انتقال روحه ، فقد انتقلت ، ولن يفهم أحد هذا إذا قاسه بعقله ، فليس الانتقال هنا انتقالاً بالقدم كما هو مفهوم عند أولئك العوام الذين لا يفهمون المصطلحات الصوفية ، لأنها ذوق ، ومن ذاق عرف ، فلن يكون الأمر مفهوماً ، (ورد مضمون هذا المعنى أيضاً فى الكتاب الثالث : انظر الترجمة العربية ، الأبيات ٣٤٣١-٣٤٣٧ وشروحها) أنه ليس كسفر المرء من بلد إلى بلد بل كسفر النطفة إلى النهى، وكسفر البوص إلى مرحلة أن يصبح سكراً (انظر الكتاب الرابع ٥٥٣-

٥٥٦ وشروحها) ، أن أبا بكر هو من هذ أمير المحشرين – المحشر الأول إفناء الذات في هذه الدنيا والمحشر الثاني هو محشر الآخرة ، فإن كنت لا تؤمن بالحشر أنظر إلى أبي بكر كي تكتسب هذا الإيمان .

(٧٥٥ – ٧٦٥) : إذا كان هذا هو حال أبي بكر الصديق لقربه من محمد ﷺ فما بالك بمرتبة محمد ﷺ والخلفاء الأربعة نقاط أربعة من عرقه "إن الله تعالى نظر إلى روح رسول الله ﷺ قبل إيجاد العالم فظهر منها ستة قطرات من العرق النوراني فخلف من الأربع قطرات أرواح الخلفاء الأربعة وخلق من قطرة الأرز ومن قطرة الورد الأحمر" (مولوى : ٦/١١٤) ، فإذا كان أبو بكر أميرا في القيامة فمحمد هو القيامة نفسها إنه القيامة لأنه دائماً ممحو في صلاته ناظر إلى الرفيق الأعلى من الجنة ، فهو الحشر وكان كلما سئل عن القيامة قال : بعثت أنا والساعة كهاتين ويعقد ما بين إصبعيه (أحاديث المثنوى/١١٨) إنه من عظمته ومهابته قيامة حاضرة (انظر الأبيات ١٤٨٠ – ١٤٨٢ من الكتاب الرابع وشروحها) وإن سئل ﷺ عن القيامة فإن هذا يعني أن السائل لم يدرك بعد عظمة الرسول وأنه كان قيامة على الكفر وعلى الترفة والاستعباد والطغيان والانتهاز ، ومحمد هو الذى ولد مرة ثانية في هذه الدنيا ، أنه هو الذى ولد مرتين مرة بالجسد ، ومرة بإفناء الصفات وفي عالم الروح، ومن هنا قال الرسول ﷺ : موتوا قبل أن تموتوا ، ذلك لأنه هو الذى جرب الموت قبل الموت وعرف ما فيه من الفوائد الرحمانية والعطايا الإلهية ، لقد تحدث الرسول ﷺ إلى أتباعه عن تجربة فقد مات قبل الموت ، ومن هذه الميتة الأولى كان صيته وكان صوته ، فإن أردت أيها السالك أن تفهم وأن تعرف، فشرط المعرفة هنا هي الذوق ، كن مثله وسر على منواله حتى تفهمه ، فليس ما تريد أن تفهم سواءً كان نور أو ظلاماً ، إن سرت على طريق العقل تيسر لك كل ما يمكن للعقل أن ييسره ، وإن سرت على طريق العشق أدركت قبساته ، ويكفيك هذا القدر من الدلائل والبراهين على وجود الموت الاختياري التبديلي ،

فهذا على قدر فهمك وهمتك ، فقد قلت مراراً أننى مت حسرة على الفهم الصحيح (البيت ٢١٠٠ من الكتاب الثالث) وحيثما وجد غذاء يوجد آكلة ولا فائدة من معنى يطرح أمام من لا يدركه .

(٧٦٦ – ٧٨١) : إذن فهذا العالم كله فى نزع وفى موت ، تموت خلايا وتتجدد بدلاً منها خلايا أخرى ، وليس الماء الذى يجرى فى الجدول هذه اللحظة هو نفس الماء الذى كان يجرى فى اللحظة السابقة ، (انظر الكتاب الأول : البيت ١١٥٠ فى كل لحظة لك موت ورجعة) وما دام الناس كل لحظة فى نزع وموت فإن كل ما يتشدقون به من ألفاظ يكون من قبيل الوصايا التى يوصى بها المحتضرون أولادهم ، فانظر إلى كل شيء على أنه غارب ومنته ومنقض حتى لا تفاجأ بالنهاية فـ :

لو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسبيه لم يسبه (بيت لأبي العلاء المعرى) .

ولا تظنن أن النهاية بعيدة فكل آت آت ، وكل آت بعد حين فهو آت ، المهم أن تبعد عن عينيك الأغراض الدنيوية وألا يكون اهتمامك بها فحسب ، وإن عجزت عن ذلك فلا تستسلم لهذا العجز ولا تقف عليه ، فمع عجزك يكون الله معك "ويفعل بالضعيف حتى يتعجب القوى"، وذوو الأقدام المحطمة الذين سلموا هم أول من وصل إلى المقصد ، هذا العجز قيد ، فانظر إليه – وتضرع إلى الإله الواحد الذى يستطيع أن يحل عن قدمك هذا العجز ، فالإنسان فى خسر ﴿ إن الإنسان لفى خسر ﴾ (العصر /٢) . وهذا هو الحكم العام ولا يستطيع أن ينجيه من هذا الخسر إلا الإله ، وراجع نفسك ما الذى قيد قدمك ، أتراه الشر الذى سعيت فيه وأثقلت به هذا القدم ، أو الصمم الذى أصاب أذنك ، أم الادعاء الذى تدعيه من أنك كسرت أصنام الأهواء فى حين أنك كنت تنحتها وتقيمها وتزيد فيها ، أكنت منصرفاً إلى صنمك ترى ذكره واجباً ولا ترى ذكر الموت واجباً ، أجل ، الموت أمامك في كل لحظة رأيته وجربته في فقدك الأحباب يذوون أمامك وينتهون أمامك ، وتتسرب منهم الحياة ، لكنك

لا تحس إلا إذا داهمك الموت وأخذ بحلقك، ومن شدة ضربه لجسدك المنفوخ كالطبل يرتفع صياحك ، وهكذا أنت ضيعت عمرك فى كسب العلوم الدنيوية قائلاً إنك محيط بدقائق الأمور ، وغفلت عن سر الموت الذى لم تدركه إلا لحظة وقوعه فحسب .

(٧٨٢) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت فى رأى لاستعلامى أنها لم ترد قبل مولانا فى مصدر ما وإن وردت بعده فى مصادر عديدة . وإن كانت توحى بان احتفالات الشيعة الباكية بعاشوراء تعود إلى ما قبل العصر الصفوى فى القرن العاشر الهجرى وإن كان الصفويون قد بلوروها وأضافوا إليها كثيراً من المظاهر والشعائر (انظر مقال الهوية الشيعية واحتفالات عاشوراء فى مجلة الهلال عدد يونيه ١٩٩٢ لكاتب هذه السطور) .

(٧٨٤) : المقصود شمر بن ذى الجوش قاتل الحسين ﷺ فى كربلاء وقد صار علماً على الشر فى المأثور الشيعى المعاصر ويزيد هو يزيد بن معاوية .

(٧٩٦) : المقصود كما أن لمحمد بن عبد الله ﷺ وزنه وقيمته فللحسين ﷺ وشهداء كربلاء قيمتهم ، وإذا كانت الأذن عزيزه يكون القرط عزيزاً أى كل ما يتعلق بالعزيز عزيز وهو مثل فارسى سائر .

(٨٠٢ – ٨١٠) : إذا كانت روح هذا السلطان من سلاطين الدين قد فرت من سجن الدنيا فلم التأسف والبكاء ؟ ولماذا التحسر على أنه قد انطلق من قيود الدنيا إلى عالم لا قيود فيه ؟ إن يوم أن تخلصوا من هذه الحياة الوضرة هو يوم العيد ويوم الحرية ولا ينبغى الاحتفال بالبكاء بل بالفرح والسرور ، بل لتبك جهلك الذى جعلك تنوح هكذا ، إنك تنوح لأنه غادر الدنيا ، فأنت لا ترى سوى الدنيا ، ولو رأيت الآخرة لضحيت بهذه الدنيا ولصرت شجاعاً مقداماً ، وإذا اتصلت ببحر الغيب لصرت سخى الكف ، فمن رأى الجدول لا يبخل بالماء (انظر لأفكار أخرى فى هذا المعنى الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٢١– ٣٤٢٨ وشروحها والكتاب الخامس الأبيات ٣٧٨٢ – ٣٧٨٧ وشروحها) .

(٨١١ – ٨٢٥) : يضرب مولانا مثالاً للإنسان الذى يقف عند الدنيا وعند ما يراه من زينتها وزخرفها بالنملة (تكرر مثال النملة وإدراكها المحدود فى المثنوى انظر على سبيل المثال لا الحصر : الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٣٧٢١– ٣٧٢٦ وشروحها) والحبة هى هذا العالم المحدود الذى نعيش فيه إذا قيس بالبيادر (الأكوان والدار الآخرة) ، والإنسان ذرة بالقياس إلى عطارد ونملة عرجاء بالقياس إلى سليمان (المرشد الكامل والنبى الذى دانت له المخلوقات كلها) (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع البيت ١٢٨٧ والأبيات التى تليه مع شروحها) وهكذا يقدم مولانا المضادات كلها (وبضدها تتميز الأشياء) والإنسان بقدر ما يراه ، وقيمة المرء ما قد كان يدركه (وفى رواية يعلمه) ثم يدق مولانا على معنى سبق أن قدمه فى الكتاب الأول (انظر الكتاب الأول – البيت ١٤١٦ ولتفصيل الفكرة راجع الأبيات ١٤٠٦ – ١٤١٧ وانظر أيضاً الكتاب الخامس الأبيات ٣٦٧٦-٣٦٩٥ وشروحها) والدن هو الروح الكاملة وهو رجل الحق وهو البصيرة النفاذة والإدراك ، وإذا كان هذا الإدراك متصلاً بعالم الغيب ، فإنه يكون بحراً من المعارف والعلوم والبصائر يزرى بنهر جيحون ، أما الأقوال التى ينطقها فإنها تكون درا لأنه يكون ناطقا بالله معبراً عنه ، يكون نطقه أحمدياً ، ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ ، إنه يستمد من البحر مباشرة ، فكلامه كله در بحر ، وكل من تخلق بخلقه وسار على هديه يكون له نصيب من البحر ، أليس للسمكة في نهاية الأمر نصيب من البحر وهذا النصيب مهما كان ضئيلا فإنه يدل على البحر كله ، (انظر افتتاحية المثنوى ، مل هذا الماء من ليس بحوته البيت رقم ١٧ من الكتاب الأول) ويعود مولانا : إن العين قاصرة ترى في محمد ﷺ وسيلة إلى البحر وقمرا إليه بينما هو في الحقيقة هدف ومستقر في حد ذاته ، وهكذا العين الحولاء ترى الدن غير البحر والبحر غير الدن بينما فى الحقيقة أنهما واحد لا يتجزأ لا حدود ولا فواصل بين الأول والآخر فالأول هو عين الآخر والآخر هو عين الأول. قال

نجم الدين : هو الأول فى عالم لاهوته والآخر فى عالم ملكوته والظاهر فى عالم ناسوته والباطن فى عالم جبروته وهو إشارة إلى وحدانية ذاته المحيط بالكل ولأجل هذا يبتدأ به ويختم عليه، وفى قوله وهو بكل شىء عليم من الحقائق اللاهوتية والحقائق الجبروتية والدقائق الملكوتية والشقائق الناسوتية وهذا يفيد أن الله عار من التغير والتبدل والتحيز والتحول باق على وصف واحد (مولوى : ٦/ ١٢٤) .

(٨٢٦ – ٨٢٩) : إن هذا الأمر يبدو غامضاً لكن إدراكه لا يكون إلا عن طريق البعث ، أى أن تختار الإرادة الإلهية العبد وتجذبه وتصل به إلى مراتب عليا من مراتب الإدراك ، وهذا يكون بالسير والسلوك ولا يكون عن طريق الجدل وشرطه الأول الفناء ، والناس جميعا قد أخطأوا إذ يخافون من العدم ويخشونه والعدم هو الملجأ والملاذ وهو أصل الوجود ومخزنه (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٧٧٢ – ٣٧٧٣ وشرحهما والكتاب الخامس الأبيات ٤١٨٢–٤١٨٦ وشروحها) ومن ثم فإن إدراك العلم الباطنى لا يكون إلا بترك العلم الدنيوى (الصبر وانتظار العطايا وعدم التعالم ، كذاك تستطيع أن تصل إلى الوئام والسلام مع الله إذا حاربنا فى الدنيا (وليست النظرية الحربية القائلة أن السلام يفرض عادة بالحروب إلا ترجمة دنيوية لهذه الفكرة) وهكذا فالوجود الحقيقى تصل إليه عندما تبدأ الوجود العددى والشطرة الثانية تعبير عن مثل فارسى : أن التفاح لم له تصيب فيه وليس لمن طالت يده ، والتفاح بالطبع من نعم الدنيا (وهنا نعم الدار الآخرة أيضاً عند مولانا) فالأمر بالتوفيق لا بالجهد ونعوذ بالله من جهد بلا توفيق (انظر فى الكتاب الثالث قصة فرعون مصر وموسى التى تبدأ من البيت ٨٤٠) .

(٨٣٠ – ٨٣٥) : إنك أنت أيها الإله الذى تمنح هذه البصيرة الناظرة إلى الوجود الصورى قوة النظر إلى الوجود الحقيقى أى العدم. ولماذا لا تكون البصيرة ناظرة إلى العدم وهى التى جاءت أصلاً من العدم (كل شىء يحن إلى أصله من الأفكار الرئيسية فى المثنوى وفى

الافتتاحية كل من ظل بعيداً عن أصوله ، ظل منجذباً لآنات وصوله البيت رقم ٤ من الكتاب الأول) فإن هذه البصيرة التى تنظر إلى أصلها ترى الوجود كله معدوماً (من عدم إلى وجود ومن وجود إلى عدم في دورة متتالية) وترى هذا العالم محشراً (هى أقرب إلى فكرة الآكل والمأكول الواردة فى صدر الكتاب الثالث) لكن هذه الحقائق تظل دوماً محجوبة وناقصة فى عيون أولئك الذين لم ينضجوا ، إن هذه الحقائق من قبيل نعم الجنان المحرمة على من كتب عليهم الجحيم ، وإن كان الحق سخياً يهب دنياه للكافر والمؤمن ، وهكذا هذه النعمة التى بين يديك ، تكون مرة فى فمك ، لأن الشهد الخالص يكون مرّاً فى فم من لم يكن نصيباً له ، فالخبيثات للخبيثين ، إن ذلك الذى حرم من شهد الجنان هو ذلك الذى لم يكن وفياً للعهد الذى أخذ عليه فى يوم العهد والميثاق ، لقد رجع فى الصفقة ومن رجع فى صفقته لابد وأن يخسر كل شىء .

(٨٣٦ – ٨٥٠) : تعالوا نتحدث معا بالمنطق الذى تفهمونه : إن إدراك عالم الغيب والبعث إنما يشمل به الله من يكون مشترياً جديراً بهذا السوق وهل تتحرك اليد فى التجارة إن لم يكن هناك مشتر (إن لم يكن ثم طالب فلا عطاء) إن الأحمق يطوف فى السوق وكل همه أن يشاهد البضائع (أولئك الذين يقفون فى الدنيا موقف المتفرجين فلا هم باعة ولا هم مشترون همهم المشاهدة فحسب) لكن نظرة من يريد أن يشترى تختلف في أنه يميز ويقارن . يكون بأجمعه منتبهاً إلى ما فى السوق من بضائع ، أما المتفرج فهو يمضى الوقت (يحيا حياته ويمضى عنها دون أن يحس بها) إنه لا يملك ما يشترى به ، فلماذا يجادل فى الثمن إلا من أجل السخرية والاستهزاء ، انه يقيس الربح ، انه لا يتاجر فلا رأس مال له ، وليس لديه أى استعداد لأن يكون ممن تنطبق عليهم الآية الكريمة ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة ﴾ فإن لم تدفع الثمن وقنعت فى هذا العالم بدور المتفرج خسرت كل شىء ، والأمر جد لا هزل فيه ، وهكذا فرأس مال الدنيا معلوم ، ورأس مال

الآخرة هو العشق المفنى ، وهو العينان الدامعتان اللتان تعدلان كل ما فى الدنيا من نعيم ، فهيا أطلب واسع واجتهد وداوم على الخدمة ، فما لم تسع لن يجود هذا المنجم بالياقوت ، وأطلق بازيك فى صيد حديث الأرواح ودعك من النتيجة ، وتوخ أسلوب نوح أى قم بالدعوة دون اهتمام بقول الناس وردهم (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٥٨٤-٣٥٨٧ وشروحها) ويروى الأنقروى (٦-١/٢٠٢) "مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله" .

(٨٥١ - ٨٦٥) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت فى مقالات شمس الدين التبريزى (انظر مقالات شمس تبريزى تصحيح محمد على موحد ١/١٢٤) والذى يدق للسحور هنا كناية عن الداعى إلى الله وفى منزل خال كناية عن الذى يدعو من لا يستجيب ، وهو يدعو أيضاً فى غير أوان ، لكن متى كان على الداعى أن ينتظر أواناً لدعوته ثم انه يدق فى صبح الطرب أى صبح إنكشاف الأسرار ولا شأن له بحزن الدنيا أو سرورها ومن الأبيات ٨٦٠-٨٦٥ يتحدث عن معجزات الأنبياء مع الجمادات التى تبدو أمام العوام جثة جامدة وهى مليئة بالحياة بالنسبة للأنبياء (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٠٠٨ - ١٠٢١ وشروحها والكتاب الرابع ٢٤١٠ - ٢٤٢١ وشروحها) وعن ماء النيل كماء بالنسبة لقوم موسى ودم بالنسبة لقوم فرعون انظر الكتاب الثالث البيت ٣٠٣٠ والكتاب الرابع البيت ٣٤٢٢) .

(٨٦٦ - ٨٧٦) : يواصل الموقظ للسحور حديثه والحديث هنا لمولانا جلال الدين بالطبع: أنظر إلى ما يفعله الناس من أجل الحق : إنهم ينفقون الأموال ، يتجشمون المشاق ويتعرضون للأهوال ساعين إلى بيت الله صائحين لبيك اللهم لبيك ، فهل تراهم قالوا ما لهذا البيت خال ، لا، إنهم يدركون أنه موجود ، لكن ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك

الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ إنه مختبئ كالروح ، انه يرى قلبه مملوءاً بمحبة اللـه تعـالى وهناك الـكثير من الدور العـامرة بالناس ، لـكن أصحاب الأنظار النفاذة يرونها خالية :

إنى لأفتح عينى حين أفتحها على الوجود ولـكن لا أرى أحداً

إنها مليئة بأولئك الذين لا يعدون أن يكونوا صوراً فانية ، من الذين يعيشون فى الدنيا وهى كل همهم ومبلغ علمهم ، وإذا علمت وأدركت أن الـكعبة هى بيت اللـه فـإنك إن طلبتـه تجده أمامك ، فهل تخلو صورة خصها الله بنورة من حضور الله؟ وهل يخلو ولى من أولياء اللـه من قبس من النور الإلهى ؟ ألا يكون الله تعالى موجوداً فى قلبه حاضراً لديه ، إن الولى دائم الحضور والناس فى حاجة إليه ، ألم تسأل نفسك لماذا لا يتساءل الحجيج ما لنا لا نـسمع أحداً ينادينا ومع ذلـك نقـول "لبيك"؟ بل إنهـم يسمعـون النـداء ، بـل أن لبـيك هـى عيـن النداء (انظر الـكتاب الثالث الأبيات ١٨٩ – ١٩٩ وشروحها) فيها يتولد كل لحظة نداء من الأحد، وكل ما تريده ابحث عنه فى الـكعبة يـوم عـرفة يـوم الحجيج ، الوجود كله أم الـقرى وحكم المـكين إلى المكان سرى (سـبزوار / ٤٢٤) وفـى المثل الفارسـى "الحـاج بالحـاج يلتقـى فـى مكة" . (٨٧٧ – ٨٨٣) : يـواصل الداق للسحور إجابته : إنهم يعلمـون بفراستهم (وهـى مـن نور الله) أن هذا الـقصر الخالى من الممكن أن يـوصله بالله، وهو بمثابة الــكيمياء الـقـديمة التى تحول النحاس إلى ذهب ، وما هذا الدق إلا وسيلة لتحميس الجذب وهو ما يعبر عنه بـأن وترى الجهر والخفيض (الموسيقى – السماع) هـى التـى من الممكن أن تجعـل هـذه البحـور للعرفة تجيش بالعطاء ، وماذا فى هذا ، والنـاس يضحـون بـأرواحهم جهـاداً فـى سبـيل الحـق عندمـا يقـاتلون فـى سبــيله ، ومنهـم مـن يصـبر علـى البـلاء صبر أيــوب(عليه السلام) وصـبر يعقـوب(عليه السلام) على فراق يـوسف(عليه السلام) ومن صبره هذا بكى حتى على فـقـد بصـره ، إن كـل إنسان يبحث عن وسيلة للتقرب إلى الله تعـالى، فمنهـم مـن يتقـرب إليـه بـالصبر علـى فـقـد المحبـوب، وهنـاك طـرق إلـى اللـه تعـالى بعـدد أنفـاس بنـى آدم ، وأنـا– والجـواب لمـن يـدق

للسحور – أتقرب إليه بدقى للسحور فى هذا المكان الخالى (انظر فى الكتاب الأول حكاية الشيخ العازف للصنج بداية من البيت ٢٠٨٣) .

(٨٨٤ – ٨٩٢) : إن هذه هى التجارة الرابحة ، وإن كنت تريد مشترياً يجعلك رابحاً فى تجارتك فاجعل عبادتك خالصة لله تعالى وقدم إليه بضاعتك واقرأ قوله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة ١١١) إنك تقدم إليه مالاً ملوثاً بأدران الدنيا ، يهبك فى مقابله نوراً طاهراً مقتبساً من نوره ، نوراً يقتبس العلوم والمعارف ، وتهبه هذا الجسد الفانى شهيداً فيعطيك الخلود الباقى والملك الذى لا يبلى ، وتدمع فى مناجاتك دمعا مالحاً يعطيك فى مقابله الكوثر الذى لا يعد الشهد إلى جواره شيئاً ، وتذكره فتتأوه آهة حرى ، يرفعك بها درجات ودرجات من جاه الآخرة الذى لا يعد جاه الدنيا إلى جواره شيئاً ، أليست الآهة الحرى هى التى فتحت الطريق لإبراهيم عليه السلام إلى أعلى الدرجات ، وسماه الحق تعالى أواهاً فقال ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (التوبة ١١٥– يونس ٧٥) إنها هى التى تمنح القرب ، وهل فوق القرب من جاه ، إنك فى هذا السوق تعطى علائق الدنيا وتأخذ الملك الحاضر ، وتعلم هذه التجارة من الأنبياء، هم الوحيدون الذين يستطيعون القيام لك بالدلالة فى هذا السوق ، فإن بضاعتهم دائماً فى ازدياد وأرباحهم فى علو بحيث لا يستطيع الجبل أن يتحملها ، وكل هذا من عطايا الملك .

(٨٩٣) : العنوان السابق لهذا البيت يتناول جزءاً من سيرة بلال بن رباح ﷺ صحابى الرسول ﷺ ومؤذنه وأحد السابقين فى الإسلام المتعرضين للآلام والتعذيب فى سبيله ، ولم يكن سيد بلال يهوديا بل هو أمية بن خلف من رؤوس الكفر فى قريش ، لكن مولانا يذكر الكفر كملة واحدة ، وبالنسبة لسحرة فرعون انظر الأبيات ١٧٢٣ وما بعده من الكتاب الثالث وشروحها والأبيات ٤١٢٣ وما بعده من الكتاب الخامس ، وبالنسبة لجرجيس وهو أحد الأنبياء أن الكفار كانوا يقتلونه ثم يعود حياً بالعشق الإلهى (انظر ١٢٤٤ من الكتاب

الخامس) وفى الفارسية مثل يقوله من يتعرض دائماً للعذاب والآلام بأن نبيه جرجيس . وقد مر في الكتب الأخرى للمثنوى بعض جوانب أخرى من سيرة بلال ﷺ (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٥١٩ وما بعده وشروحها) وسيرة بلال ﷺ متعددة المصادر منها سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وأهم من تناول السيرة من السابقين على مولانا فريد الدين العطار في منظومة منطق الطير .

(٨٩٧ - ٩١٤) : كان أبو بكر الصديق يجد رائحة مألوفة لديه أى يجد فى صيحة بلال أحد أحد طعم الإيمان الحقيقى، ولم أجد فى السيرة وصية من أبى بكر ﷺ لبلال ﷺ بأن يكتم إيمانه عن سيده (انظر ابن هشام القسم الأول ص ٣١٧ من طبعة ١٩٥٥ بتحقيق مصطفى السقا وآخرين) لكن مولانا يصور بلال فى عشقه للأحد ، ذلك العشق الذى يجعله يعود عن نيته فى كتم إيمانه حتى يجعل الله له فرجا ، والمقصود بمحمد عدوالتوبات ذلك العشق لمحمد ﷺ الذى يجعل المؤمنين بدينه يضعونه فى موضع بحيث يكون أحب إليهم من أنفسهم ، ويكون البلاء أهون من كتمه وإنكاره ، فكيف يمكن إنكار عشق فيه حياة الخلود والنجاة من الموت؟ كيف يمكن التوبة عن عشق يملأ العروق والأوردة بحيث لا يترك مكاناً لأى شعور آخر؟ وفى البيت رقم ٩٠٩ إشارة إلى حكاية العبد المؤمن هلال التى سترد فيما بعد (بداية من البيت ١١١٦) ومن الممكن أن تكون أيضاً إشارة إلى ضعف بلال ونحول جسده كالهلال ، وبلال يتحدث عن نفسه وكأنه قمر يستمد نوره من الشمس، وحينا يكون فى اكتمال وحيناً فى نقصان بقدر ذلك النور الذى يأخذه من الشمس (شمس الحقيقة محمد ﷺ) إنه يتبعها كما يتبع الظل الشمس ، وهذا هو قضاء العشق ، العشق يجعل من المرء كقشة فى مهب الريح تتحرك حيثما تحركها الريح ، قيامة تجعل كل مرضعة تذهل عما أرضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، فهل من عزم على أى عمل أو إرادة له والقيامة قائمة ، ويقدم مولانا صورة من الواقع المعاش ، إن العاشق كذلك القط الذى يحمل فى

جوال لينقل إلى مكان آخر ، وهو عـادة لا يحمل بل يجر ، يكون حيـناً فى منخفض وحيـناً فى مرتـفع ، لا يملـك من أمر نفسه شيئاً ، ولا يملـك قراراً ولا راحة .

(٩١٥ – ٩٣٠) : ينطلق مولانا فى الحديث المحبب إلى نفسه : العشق ، وإذا حل العشق فانصتوا ، اصمتوا وانصتوا، ولا حظوا ما تـفعله مشيئة الحق (قضـاء العشـق) ، إن العشـاق كأنهم حجر الطاحون يدورون ليل نهار وينوحون ، إن هذا الدوران شاهدٌ علـى وجـود النهـر الطامي الموجود، وأصلهم المندفع نحو البحر الـكلي ونحو أصل الوجود ، وإذا كنـت لا تـرى هذا الجدول الـكلى ، فانظر إلى ساقية الفلـك ، تدور ، فإن لم يكن ثم نهر كلى كيف يـدور ؟! وإذا كنت تدور ولا يقر لها قرار فكيف تطمع فـي أن يقر لـقلبك قرار ؟! (المعنـى مـن نـاصر خسرو :

أي استقرار تنشده تحت الفلـك   ما دام الفلـك نفسه لا يقر له قرار

(ديـوان ، ص ٩)

إن العشق لـك بالمرصاد ، فلا تنشد فيه الاستقرار ، فهو الذي يحطم كل ما تشبثت به ، وهو يمحو كل ما تتلتـفت إليه سواه ، إن هذه العناصر فـي ترتيبها وفـي جيشـانها وفـي فورانهـا تدلـك على حركة هذا البحر الـكلي، إن كنت لا تـدرى عنـه شيئاً كـل العنـاصر منجذبـة إلـى بعضها بالنـسق فـي حركة دائبة (انظر لتــفصيل الفكـرة الـكتاب الثـالث ، الأبـيات ٤٤٠٢– ٤٤٢٣ وشروحها) أن هذى القذى والغثاء (العناصر الأربعة) تتحرك بهذا البحر الشريف بحر العشق وتشبيه الشمس والـقمر بثورى الطاحون على أساس أنهما يحفظـان دوران الفلــك مـن ناحيـة ومـن ناحيـة أخـرى يمثـلان دليـلا واضحـا علـى دوران لا تخطئـه العيـن علـى إسـراع الـكواكب من منزل لمنزل وتغير تأثيرها من السعد إلى النحس ومن النحس إلى السعد ، وهذا العـالم كله فـي تغير وتـبدل . وعن أن العـالم فـي تغير وتـبدل وأن قانونه الأزلى هو الحركـة دقت الفلسفات والكتـب المقدسة منذ أقـدم العصور ففى الريج ويدا كتـاب الهنـود أن الـقانون الخالد هو قانون الحركة ومنه ظهرت السموات والأرضيين كمـا طـرح أرسطو مبدأ الحركـة

وهيراكليطوس هو القائل نحن لا ننزل نفس النهر مرتين ففى المرة الثانية نتغير سواء نحن أو النهر ، وقد انتقل المبدأ إلى الفلسفة الإسلامية اعتماداً على بعض نصوص القرآن ﴿ يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾ (الرحمن / ٢٩) . ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾ (النمل/٨٨) (جعفرى ٣٥٢/١٣-٣٥٤) .

ويقول السبزوارى (ص ٤٢٣/٤٢٤) : لأن العالم بحسب السلسلة العرضية الزمانية آنا فآنا في حركة وتبدل وبحسب السلسلة الطولية مرتبة فمرتبة في تغير واستكمال ، ففى كل لحظة نزع صورة ناقصة من حيث النقصان وخلع صورة ولبس صورة . وانظر في ذاتك أيها الإنسان إلى الشروق والغروب وإلى النوم واليقظة وانظر في زمانك إلى ربيع وخريف وصيف وشتاء ، وانظر إلى أحوالك هناء وسرور وحزن وشجن وضحك وبكاء ، وكلها بيد المشيئة يقوم بتصريفها كيف تشاء .

(٩٣١ – ٩٤٣) : إذا كانت الكليات (العناصر) خاضعة أمام مشيئته بهذا الشكل منجذبة إليه عاشقة له في يد مشيئته كالكرة في الصولجان يوجهها حيث يشاء ، فكيف تكون يا قلب العاشق وأنت بالنسبة لها كذرة في محيط السكون تظل ساكنا أمام هذه المشيئة ؟! الست تخشى عقابه وهذه الكواكب تتعرض لعقابه إذا حادت عن الطريق مثقال ذرة ، ألا تعاقب الشمس بالكسوف بواسطة الذنب وتسود فتكون كقاع القدر ؟! ألا يعاقب السحاب بالبرق يسوطه بسوط من نار؟ ألا يسبير السحاب ويزجيه كيف يشاء فيمطر على واد ويجدب على آخر بمشئيته هو جل شأنه وبإرادته ؟! وهكذا العقل ينبغى أن يكون تحت حكم المشيئة ، فإذا اعوج كان كسوفه ، وإنك لتؤخذ بقدر جرمك فإن اللـه لا يظلم مثقال ذرة ﴿ وهو اللـه في السموات والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ (الأنعام / ٣) .

(٩٤٤ – ٩٥٨) : دعك من هذا ، وتحدث عن هداية الحق ورعايته لعبيده وألطافه معهم وتجاوزه عن ذنوبهم ، فهذا هو العيد ، والناس تطيب أفواههم بذكر الحق فكأنهم يتجرعون الشهد ، هذه الرعاية هى الإقبال الحقيقى ، وأى توبة عن العشق تنفع إذا حلت هذه الرعاية ،

في هذه اللحظة لا عقل يراعى أو يهادن أو يكتم خوفا من الكفار ، فقد ثمل العاشق بالفيض الإلهى وغلبه السكر ، وهو مستعد لرهن جسده والتخلى عنه ، فقد صار جسده مفعما بخمر الإله الياقوتية ولم يعد يحس بشيء غيره ، فطاب مجلسه وامتلأ بالوجد والسماع ، فهيا أحرق العود دفعا للحسد ، فالعشاق في البلاء يحسدون ، وعربدتهم تقع منى موقعا حسنا ، والعشاق كلهم صاروا رفاقا ، بلال مع هلال ، وجراح بلال كأنها الورد وزهر الرمان والجسد المحطم روضة إقبال ، ألا فليأت هذا اليهودى الكافر وليحطمه فإن كان الجسد في عذاب فالروح في هناء ، واشم عبير الحبيب (الشطرة الثانية من ٩٥٥ من بيت شهير للرودكى) لقد امتلأ بلال بالمصطفى والمصطفى ببلال حتى أنه سمع دبيب قدمه ليلة المعراج " روى انه ﷺ قال : يا بلال حدثنى بأرجى عمل عملته في الإسلام فإنى سمعت دق نعليك بين يدى في الجنة ، (مولوى ١٤١/٦) . وعند جعفرى (٣٤٨/١٣) عن ابن عباس قال : ليلة أسرى نبى الله ﷺ ودخل الجنة فسمع من جانبها وجسا قال : يا جبريل : ما هذا ؟! قال هذا بلال المؤذن ، فقال نبى الله ﷺ لما جاء إلى الناس قد أفلح بلال رأيت كذا وكذا . وهكذا فإن هذه الأقوال جعلت الصديق ﷺ متأكدا من أن بلال لن يسمع نصيحته ويكتم إيمانه .

(٩٥٩ - ٩٧٤) : يصور أبو بكر الصديق ﷺ الرسول ﷺ بأمر بلال ﷺ ولكن بأسلوب مولانا جلال الدين الذي يصور بلالا نسيج وحده متعرضا لتعذيب الكفار ، ويصر مولانا على تسميتهم باليهود ، لا لشئ إلا لاختلاف جنسه عن جنسهم فهو طائر ميمون الجناح والقوادم يطير في فضاء الحقيقة ، وهو بازى السلطان وقع في خرابة البوم (انظر قصة البازى والبوم بداية من البيت ١١٣٥ من الترجمة العربية للكتاب الثانى من المثنوى) ويضرب المثل بغضب اليهود في اللغة الفارسية للحقد المستقر في القلب والذي لا يمضى

ولا يهدأ، ولا ذنب له إلا كونه بازيا مثلما لم يكن ليوسف عليه السلام ذنب عند اخوته إلا حسنه ، وهكذا مثلما يفعل البوم بالبازى ، يقوم الكفار بتعذيب بلال ، ولا ذنب لبلال رضي الله عنه إلا أنه عاشق حلت به القيامة ولا إمكان في توبته ، وهذا أمر محال جداً .

(٩٧٥ - ٩٨٣) : ظاهر الحديث انه حديث أبى بكر الصديق رضي الله عنه لكنه في الحقيقة من إفاضات مولانا جلال الدين عن العشق ، فالعشق من أوصاف الله سبحانه وتعالى ومتوجه إليه ومن ثم فهو خالد وباق، والتوبة وصف الخلق وهى حادثة وفانية،،فالتوبة بمثابة الدودة والعشق بمثابة أفعى ، ولهذا قال الجنيد : " إذا فسرت المحدث بالقديم لم يبق له أثر " (مولوى ١٤٣/٦) والعشق إذن من صفات الله الغنى ولهذا فكل عشق غير عشق الله هو عشق مجازى ، والله تعالى هو الذي يخلق عشقه في قلب عبده ، ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ (المائدة / ٥٤) (انظر ٢١٧٨ الكتاب الخامس) ، وذلك أن الجمال الحقيقى هو جمال الله ، وأى جمال آخر إنما يكون شعاع من انعكاس هذا الجمال ، فإذا ذهب افتضح العشق المجازى ، عاد النور إلى أصل النور وبقى الجسد خاليا منه ، مجرد جدار ذهب عنه ضوء القمر (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٥٥٢ - ٥٥٩ وشروحها) .

(٩٨٤ - ٩٩٣) : المبصرون أي العارفون بأسرار الغيب يكون للوجود المطلق (منجم الذهب) ذلك أنه أصل الجمال و أصل الغنى الذي لا ريب فيه ولا شك ، وكل من ساوى الزيف (الدنيا) بهذا الذهب النضار الحقيقى ، انصرف عنه الذهب الحقيقى ، وانصرف عنه الزيف إلى العدم ، وفنى العاشق للزيف والمعشوق أي الزيف ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ لكن العشق الربانى هو شمس الكمال والروح نوره والأجساد ظله (مولوى ١٤٥/٦) والناس إن حرمت منها ماتت كأسماك حرمت من النبع ، والأمر هو عالم الغيب ، وأمر نوره أي أصل نوره (سبزوارى / ٤٢٧) ، ونحن وكل المخلوقات ظلال له (استعلامى ٢٧٢/٦) ولأن المتحدث وجد مستمعا في مستوى المصطفى صلى الله عليه وسلم في الوصول إلى عوالم الغيب فقد

أفاض بحيث صارت كل شعرة من جسده لساناً ، وهكذا يستفيض المتحدث إن وجد مستمعا من جنسه ، فإن لم يجد نامت قريحته ، وأسير الله في الأرض أى عاشق الحق الذي يعيش بجسده في سجن هذه الدنيا .

(٩٩٤ – ١٠١٢) : يواصل مولانا قصة شراء أبي بكر لبلال ﷺ وعرض الرسول ﷺ أن يكون شريكا في الثمن أو شريكا في هذا الإقبال ، وانطلق أبو بكر متفائلا ، فما أيسر هذه الصفقة فاليهودى لا يعرف قيمة بلال مثلما لا يعرف الأطفال قيمة الجوهر ، أليس الشيطان المضل يشترى عقول البشر بمتاع الغرور ؟! ألا يأتى الساحر ويبيع للناس ضوء القمر على أنه قماش ؟! (انظر الكتاب الثالث ، البيت ١١٦٤) ، (قصة شراء أبى بكر لبلال ﷺ يقصها مولانا طبقا لما ورد في طبقات ابن سعد " ٣/١٦٥") . لكن الأنبياء يعلمون الناس التجارة الحقيقية ، التجارة مع الله ، ومع ذلك فإن الشيطان قبح في أعينهم هذه التجارة ، وهكذا ديدن الشيطان يفرق بسحره بين المرء وزوجه ، وهذا الجوهر – أي بلال – بيع بثمن بخس لأن الشيطان خاط عين بائعه فلم يشعر بقيمة البضاعة الموجودة في يده ، إنه حيوان فكره منصرف إلى الجسد ، وإلى المرعى فمتى يفكر في جواهر الروح ، التى صار بها الإنسان جديرا بأن يوصف بأنه خلق في أحسن تقويم (التين/٤) (وانظر ٩٦٣ من الكتاب الخامس) ولا يمكن أن يعبر عن معنى هذه الآية الكريمة ومفادها ، فإنك تفسر أحسن التقويم بأن الإنسان خلق في تناسب عضوى وليس الأمر كذلك بل المقصود تلك الروح التى هى النفخة الإلهية وهى عالمٌ من العجائب العظيمة ، ولو أفضت في بيان قيمة هذه الروح وعوالمها لما تحملت أنا ، ولما تحمل المستمع ، فالصمت أولى .

(١٠١٧ – ١٠١٩) : الصادق في دينه يحترم الصادق في دينه ولو تسلط عليه، فلو كان هذا اليهودى صادقا في دينه ، لما اضطهد بلالا وعذبه ، لصدقه في دينه ، لكنه لأنه غير صادق في دينه فهو يظن أن باقى الخلق واهون في دينهم يمكن لهم النكوص عنه ، وهناك

مثل فارسي يقـول : " الـكافر يظن الناس جميعا على دينه " .

(١٠٢٠ – ١٠٢٩) : إن كلام أبي بكر ﷺ لم يكن صادرا عنه ، فلإخلاصه في عبادته جرت ينابيع الحكمة من فمه " فمن أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " . وإن الله يقول الحق على لسان عبده (انقروى ٦-١/٢٣٦) . وعند السبزوارى (ص ٤٢٤) : إن روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها . ومن ثم فإن هذه الحكمة التى جرت على لسان أبى بكر لم تكن من قبيل كلام هذا العالم بل من عالم لا جهات فيه ولا زمان ولا مكان، من عالم الغيب (انظر ٣٥١ من الكتاب الخامس) ولماذا تستغرب أن تفيض الحكمة عن لسان أبى بكر والله سبحانه وتعالى بضربة عصا موسى عليه السلام فجر الماء من الصخر ولم يستطع أحد أن يقول من أين انفجر هذا الماء، وإن الأمر هو قدرة الله وما الحجر إلا دريئة ؟! ونور العين هل تراه من شحمة العين ؟! وسمع الأذن هل تراه من عظمة الأذن ؟! إنها كلها عوامل ظاهرة لتخفى القدرة الإلهية التى هى أساس كل شئ ومنبع كل شئ ومصدره، والأذنان من الرأس جزء من حديث نبوى { المضمضة والاستنشاق سنة والأذنان من الرأس } أي الفروع تابعة للأصل . وعند السبزوارى (٤٢٨) وفي رواية الأنفان والأنفان هما الأذنان لأنه في تطبيق العالمين الكبير والصغير الأذنان بمنزلة المشرق والمغرب ، وكلها مراتب نازلة للروح أو كما يقول العطار :

الجسد ليس من الروح بل عضو ينفصل عنها والروح ليست من الكل بل جزء منفصل عنه

(١٠٣٥ – ١٠٣٨) : لقد تحير اليهودى وتوله عند رؤيته للغلام الأبيض البشرة الأسود القلب لأنه كان من جسنه ، وهكذا عباد الصورة لأنهم صور بلا أرواح يميلون إلى الصورة ولو كانت نتنة الباطن، لكن الأصل اليهودى في المماحكة والمفاصلة يغلب فعاد إلى العناد حتى زاده أبو بكر ﷺ نصابا من الفضة .

(١٠٤٦ – ١٠٦٣) : إن بلال من قبيل الذهب النضار سود ظاهره ليخفى عن غير أهله مثلما يسود وجه الذهب ليحفظ من اللصوص (انظر ٢١٧٢ من الكتاب الرابع) وهكذا بصيرة الجسد لا ترى سوى ألوان الجسد لكنها لا تستطيع أن تدرك جمال الروح ، وهكذا فلأنك لم تنظر إلى ما في الصندوق (الجسد) من در (الروح) فرطت فيه سريعا ، فما أسعدك بجهلك سعادة الزنجي بسواد وجهه لأنه لا يراه ، لقد بعت إقبالك فربما كان وجود هذا الأسود في بيتك سببا في نجاتك من الكفر ، فقد وصلك الإقبال في صورة عبد (انظر ٣٥١٠ من الكتاب الثالث) فهيا اهنأ بعبدك الجديد حلو الظاهر سئ الباطن ، فلكم دينكم ولى دين ، وأى دين عند الكافر ، هو الظاهر حتى ولو كان الباطن شديد السوء ، فما أشبه بجواد خشبى عليه سرج من الأطلس ، وكقبور الكفار ظاهرها الزينة والفخامة ، لكن باطنها جهنم (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣٠ – ١٣٧ وشروحها) وكأموال الظلمة والسحابة الخالية ذات الرعد، والوعد الكاذب كأى ظاهر مؤمل ، ولكنه لا يسفر عن باطن ذى قيمة .

(١٠٧١ – ١٠٧٩) : إن عناية الحق تجرى على لسان الرسول ﷺ ومن ثم فمن العسير التعبير عن هذه العناية الإلهية بالألفاظ الأرضية ، لكن من المناسب أن نذكر بعض الأمثلة الصغيرة لهذه العناية التى لا تحدها حدود ، أرأيت عناية الشمس في إنبات النبات ؟! (العارف الكامل في تربية المريدين) وهل شاهدت فعل الماء الزلال في الرياض (الفيض الربانى في نفوس العارفين!) فهكذا فعل الله في كل أجزاء الأرض دون أسباب وعوامل ظاهرة، وكلها من الأمور غير المعهودة لكنها من تأثير القدرة ، وكيف يمكن لك أن تقيس القدرة بالعقل ، لقد اتفق الجميع على أن العقل مقلد في الأصول الشرعية أى أن عليه أن يؤمن بها دون مناقشة ، وهو أيضاً مقلد في الحروف وإذا سألك العقل ، ما الهدف من سير أهل الذوق وأرباب القلوب ما عليك إلا أن تجيب عليه قائلاً : بطريقة لا تعرفها ، والسلام !!

(١٠٨٠ – ١٠٩٩) : يعاتب المصطفى ﷺ أبا بكر ﷺ على أنه لم يجعله شريكا في صفقة شراء بلال ويخاطب أبو بكر ﷺ الرسول ﷺ قائلاً : هو حر لوجهك فإن كنت اشتريته فأنت السبب في عتقه ، وكلانا عبيد لحيك (الإسلام) فاتخذنى عبداً لك ، واتخذنى رفيقاً لك ، لا ينفصل عنك (صديق غار إشارة إلى ثانى اثنين إذا هما في الغار ، وتضرب في الفارسية للصداقة الحميمة) فالعبودية لك هى حرية بالنسبة لى ، لقد أحييت العالم ، وجعلت جمعا من العوام من خاصة خاصة الله ، لقد وجدت بلقائى بك كل أحلامى القديمة التى كنت أظنها ضربا من المحال ونوعا من الاختلال ، وبك صار المحال حالا ، كنت أحلم أن الشمس تسلم على ، وتسحبنى إلى عنان السماء ، وعندما لقيتك صار الأمر واقعا ، بل صارت تلك الشمس التى كنت أراها في النوم حقيرة في ناظرى ، الجنة التى فتحتها أمامى جعلت الرياض حقيرة في ناظرى والنور الذي رايته في وجهك أزرى بالنور الذي كنت أبحث عنه ، وكنت أنشد الجنة ، فوجدتها بقربك ، ووجدتك تحتوى على الجنان ، وفي الأنقروى نقلا عن شرح الحكم (٦–١/٢٤٨) قال بعض العارفين : إن في الدنيا لجنة عاجلة من دخلها لا يشتاق إلى الجنة الآجلة ، قيل ما هى ؟ قال : معرفة الله . ما هذا ؟!أترانى بهذا الكلام أمدحك ، إن أى مدح بالنسبة لك هو قدح وهجاء ، وما أشبهنى بذلك الراعى ، الذي كان يثنى على الله بكلام استهجنه موسى عليه السلام (انظر الكتاب الثانى الترجمة العربية ، البيت ١٧٢٤ وما بعده) ومع ذلك فقد قبله الله سبحانه وتعالى :

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

انقروى ٦–١/٢٥٠

(١١٠٠ – ١١١٥) : تنتهي قصة بلال وعذابه في سبيل الدين بلقائه بمحمد ﷺ ، النعمة المهداة للبشر ، ويجدها مولانا ؛ فرصة للحديث عن هذه الهداية الجديدة ، وهذا الإقبال الذي وصل إلى البشر من العالم القديم الأزلى الباقى الذي من ديدنه أن يوصل إلى هذا العالم

ألطافه وعناياته أولاً بأول ، وهذه العناية المتمثلة في محمد ﷺ هي العلاج لكل مساكين العالم ولكل فاقدى الحيلة " أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين" ، إنه السبيل والطريق إلى العالم الحى الباقى ، فها هو الفرج ، وقد زال الجرح ، ورفعت الأغلال والإصر ، وإن لم تكن تبحث عن المساكين فكيف تذهب شمس بهذه العظمة إلى كوخ هلال (القصة التالية) أو من صنف بلال، وكيف تنادى أرحنا يا بلال بآذانك للصلاة لنفرغ من مشاغل هذا العالم ؟! هيا يا بلال وأعلنها فلقد صرت معي ونجوت من العدو ، هيا فها هى الصلاة بشرى لكل محزون تنفث في روحه قائلة له : هيا أيها المدبر قم ، فها هو طريق الإقبال قد فتح أمامك ، قم من هذا السجن وهذا العفن وهذا القمل ، هيا اتخذ هذا الطريق ، فلقد نجوت ، أخف سرك هذا واصمت ، ولا تتحدث به إلى من ليس أهلا له ، لكن هيهات ، فالعاشق لابد أن يتحدث ، كيف يخفي السر وهو يظل قائلا ها أنا ذا (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٧٣٥ – ٤٧٣٩ وشروحها) إنها طبول عديدة يدقها هذا العشق ليعلن عن نفسه ، لكن من حرم ومن ليس بأهلها لايسمع فلا تأ به به ، ولا تهتم ، فإنه حتى إذا حمل إلى الجنان فلن يحس بالريحان والندى ، وإن أخذت الحور بيده لتحمله إلى الجنان لن يحس إلا بأنها تعتصر يده ولن يحس إلا بالألم ، وسوف يتساءل ويندهش ، ما هذا الشد والجذب ؟! دعني في نوم الغفلة (الدنيا) دعني في أحلامي ، أحلامك ؟! إن هذا هو ما تطلبه في أحلامك ، فافتح عينيك لترى هذا القمر الذي تحلم به ، أترى إلى أي مدى أنت تتألم ، وهكذا يتألم الأعزاء، فهذا الخفاء يكون من دلال المعشوق على العاشقين ، فمهما كنت تطلب فأنت طالبه ، إذ ليس ثمة حق سواه ، وليس ثمة مطلوب سواه ، والأعزاء يفهمون ويصبرون ويسعدون، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، لكن من محيت عن عينه رؤية الحقيقة ، يظل ضائقا بالبلاء ، ومع ذلك فهو يبتليهم لعل وعسى ، ولعله يسمع صراخهم ودعاءهم ، ومن هذا القبيل أيضاً زيارة الرسول ﷺ لهلال نزيل منزل أحد عميان القلوب .

(١١١٦) : تتناول القصة هنا هلال مولى المغيرة بن شعبة وهو في روايات الصوفية من الأولياء المكتومين وبناءً على رواية نقلها فروزانفر (مآخذ/٢٠٣-٢٠٤) عن نوادر الأصول " روى أبو الدرداء قال : كنت مع رسول الله ﷺ فقال يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة

فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة ، فقال أبو الدرداء فخرجت من ذلك الباب فمضيت ، فنظرت هل أرى أحدا فلم أر أحدا ، فدخلت فقعدت إلى الرسول ﷺ فقال أما أنك لست به يا أبا الدرداء ثم جاء رجل حبشي ، فدخل من ذلك الباب وعليه جبة صوف فيها رقاع من ادم رام بطرفه في السماء حتى قام على رسول الله ﷺ فسلم عليه ، فقال : كيف أنت يا هلال ؟! فقال بخير يا رسول الله ، جعلك الله بخير ، فقال ﷺ : ادع لنا يا هلال واستغفر لنا فقال : رضى الله عنك يا رسول الله وغفر لك ، فقال أبو الدرداء ، فقلت استغفر لي يا هلال ، فأعرض عني ثم عاودت الثانية فأقبل على رسول الله ﷺ ثم قال : أراض أنت عنه يا رسول الله ، قال نعم ، قال : رضى الله عنك وغفر لك ، ثم خرج وهو رام بطرفه إلى السماء وما يقلع ، فقال ﷺ : لئن قلت ذاك إن قلبه لمعلق بالعرش أما أنه لن يبقى فيكم أكثر من ثلاثة أيام فأحصيت الأيام ، فلما كان اليوم الثالث ، وصلى رسول الله ﷺ الفجر خرج من المسجد ونحن معه ، فخرج يوم دار المغيرة بن شعبة فلقى المغيرة خارجا من داره ، فقال له : آجرك الله يا مغيرة ، فقال ، يا رسول الله ما مات في دارنا الليلة أحد ، قال : بلى توفى هلال فالتمسه رسول الله ﷺ فوجده في ناحية الدار في اصطبل له خارا على وجهه ساجدا ميتا، فأمر أصحابه فاحتملوه وولى أمره رسول الله بنفسه حتى دفن ثم اقبل على أبي الدرداء ، فقال : يا أبا الدرداء أما أنه أحد السبعة الذين بهم كانت تقوم الأرض وبهم كنت تستقون المطر بل هو خيرهم " وفي العنوان إشارة إلى من وصلوا إلى تحقيق الحقيقة وهم في ثياب العبودية ومنهم لقمان ويوسف عليهما السلام ، ومعنى كان مسلما لكنه كان أعمى ، أي كان مسلما لكنه كان أعمى عن عوامل الباطن فلم يدرك قيمة عبده هلال ، والبيت المذكور لسنائي الغزنوى من حديقة الحقيقة (البيت رقم ٣٨٤) والمعنى أن الغافل يعلم أن الله موجود لكنه لا

يستطيع أن يدرك مدى عظمته ، ولا حل إلا أن يفتح الله بصيرته ليرى بها الغيب ويستطيع أن يدرك جوانب هذه العظمة، والعبارة الموجودة في آخر العنوان ذكرها الأنقروى (٦-١/٢٥٧) على أنها حديث نبوى ومن تعليق للأنقروى على البيت الآخر المذكور في العنوان (في هامش النص ، لأنه ليس موجوداً في كل النسخ) أنه مأخوذ من قول الإمام على رضي الله عنه

حياة القلب علم فاغتنمه   وموت القلب جهل فاجتنبه

(١١١٨ – ١١٢٢) : المثل الذي ساقه مولانا هنا يبدو وأنه كان من الفكاهات التى كانت شائعة في عصره ، ويضرب بها المثل على الإنسان الذي يكون أكثر تقهقرا في سلوكه بحيث يكون يومه شرا من أمسه وغده شرا من يومه فتحل به اللعنة " من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون " .

(١١٢٣ – ١١٢٩) : الحكاية المذكورة هنا تبدو مثلا ، فالنفس المتقهقرة بمثابة ذلك الجواد الحرون الذي يمضى في سيره القهقرى فلا يصل إلى الهدف (يذكر بناقة قيس ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٥٣٥ – ١٥٤٢ وشروحها) فإذا كانت النفس حرونا همها الدنيا ، فاجعل ذيلها نحو الهدف الذي تريده ، اجعل سير النفس القهقرى يكون سير الروح إلى الكمال ، عندما تجعل شهوتها دبر ظهرها ، يكون العقل ، ليس ذلك العقل الذي تعلمه ، بل العقل الشريف العالم بالروح والمتصل بها والذي لا يعارضها .

(١١٣٠ – ١١٣٥) : ما أسعد أولئك الذين يسيرون في طريق الحق قدما لا يتقهقرون ولا يتراجعون، يعرفون أن الطريق مهما طال ومهما كان صعباً فهو مقطوع لا محالة ، وانظر إلى موسى عليه السلام الذي قال : ﴿ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا ﴾ (الكهف / ٦٠) (انظر أيضاً الكتاب الثالث ، الأبيات ١٩٦٩ – ١٩٧١ وشروحها) لقد كانت لديه الإرادة والنور الإلهى والتوفيق الربانى (وهما دائما مع الإرادة التى هى في مصطلح الصوفية الطلب

والإقامة عليه) هذا سير جسده فما بالك بسير روحه (سير العارف في كل لحظة حتى عرش المليك البيت ٢١٨٢ من الكتاب الخامس) هؤلاء هم الفرسان الحقيقيون ، هم ﴿ السابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ (الواقعة / ١٠) .

(١١٣٦ – ١١٣٩) : يضرب مولانا مثالا آخر : ذلك المسافر الذي هده البرد الشديد ، فوصل إلى قرية ، وأراد أن يدخل دار ليستريح ، فهتف به هاتف من داخل الدار ، بل دع متاعك خارج الدار وادخل واسترح " دع نفسك يا بني وتعال " وهكذا فإن أردت تلك الدار ، وإذا أردت أن تستريح منها من وعثاء الطريق وآلام الدنيا ، فدع كل ما أنت متعلق به باذل فيه جهدك صارف إليه قلبك ، تجرد ثم ادخل .

(١١٤٠ – ١١٤٤) : يذكر مولانا هلالاً على أنه كان أستاذاً فى الطريقة نور قلبه بنور الله ، كان سائساً فى اصطبل الأمير ، هذا ظاهره ، لكنه كان سلطان سلاطين الطريق قال عنه الرسول ﷺ {ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء مثل يقين هذا العبد لو أقسم على الله أن يغفر لأهل الأرض جميعاً لفعل} وفى رواية المولوى أن عمراً ﷺ حضر غسله مع الرسول ﷺ والراوى فى الرواية ليس أبا الدرداء لكنه أبو هريرة (مولوى ٦/١٦٤–١٦٥) لكن الأمير والمقصود سيد هلال لم يكن يدرك من أمره شيئاً كان ينظر إليه نظرة إبليس إلى آدم وعلى أنه مجرد ماء وطين ، لم يكن ير داخله تلك الروح العظيمة التى ميزت آدم ، لقد رأى الحواس ولم ير أصل الحواس ، وهذه هى النظرة التى أضلت الكفار عن الأنبياء وقالوا لهم ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ .

(١١٤٥ – ١١٥٤) : المنارة هى الجسد ، والبازى الملكى هو الروح ، وهناك آخر يرى الطائر مجرد طائر إنه مؤمن لكنه ليس عارفاً ، وثالث يكون من العارفين فيرى الإفاضات العلمية والأنوار الروحانية الموجودة عند الطائر ذلك لأنه ينظر بنور الله، فالطير هو العلم، والشعرة هى اليقين. وهكذا فضع عينيك على هذه الشعرة الدقيقة فى فم الطائر حتى تنكشف

تلك الأمور ، إن الأول ركز على الطين المصور المنقوش في الوحل (الجسد) لكن الآخر رأى العلم والعمل وقوله : سواء افترضت أنها ثلاثمائة طائر أو طائران : أي سواء أفترضت هذا العلم وهذه الطاعة قليلة أو كثيرة ، والرجل الأوسط : المؤمن الذى لا يعترف بالباطن (سيد هلال) هو الذى يرى الطائر ، لكنه لا يرى الشعرة وهى النور ، وهو نور مستمر ومتواصل لأنه متصل بالنور الإلهى (كاتصال الدن بالبحر فيكون له ما للبحر ولا ينفد ماؤه) . ليس الأمر عنده مستعاراً لكنه أصلى .

(١١٥٥ - ١١٦٣) : عودة إلى قصة هلال : لقد مرض هلال ، ولم يدر سيده بمرضه ، فهو مجرد عبد لا يفتقد إذا غاب ، لكن فى حين كان سيده لا يدرى عنه شيئاً ، فإن سيد البشر الرحمة المهداة فقد علمه ، لأن علمه واصل إلى كل مكان فهو مستمد من الوحى ، فها هو القمر وفى أثره النجوم { أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم } .

(١١٧٢ - ١١٧٤) : هلال العرش أى ذلك الموجود السماوى المتصل بعرش الله ، إنه متخلق بأخلاق الملائكة ، جاء إلى الدنيا لتفقد أحوال أهلها ، فهو جاسوس على القلوب (عن عبارة لأحمد بن عاصم الأنطاكى : جالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب) (استعلامى ٦/٢٨٠) .

(١١٨٠ - ١١٩١) : إن محبته ﷺ محت عن الاصطبل كل ما فيه من سمات (مثلما محت عن الدنيا كل ما فيها من أدران وأوشاب) لقد شم هلال رائحة الرسول كشذى غير معهود وسط هذا المحيط مثلما شم يعقوب عليه السلام رائحة يوسف عليه السلام من القميص فارتد بصيراً ،إنها رائحة التجانس ، لا يشمها إلا من كان من جنسها (انظر الكتاب الرابع ٢٦٧٠-٢٦٧٥ وشروحها والكتاب الذى بين أيدينا ٢٩٨٠-٢٩٩٠) ولهذا تكون المعجزات : إنها بالنسبة للعدو قهر لكنها بالنسبة للحبيب إبراز" للتجانس وجذب وجلب ، فالحبيب مؤمن سواء رأى المعجزة أو لم يرها ، ومن ثم ألهم الله سبحانه وتعالى أبا بكر الصديق رضي الله عنه عندما رويت له معجزة

المعراج ولم يكن قد قابل الرسول ﷺ بأن قال : إن كان قد روى ذلك فقد صدق ، ولم ينكر حتى وهو على البعد ، وهكذا يبرز هلال محبته وشوقه إلى الرسول ﷺ ولا يسأله حتى أن يدعو له بالشفاء، إن مجرد الرؤية رويت فى هلال أرضاً ظمأى ، وأشرقت بها الشمس فى باطنه .

(١١٩٢ - ١١٩٧) : وهكذا كان هلال آمناً من الغرق فى هذا البحر مثلما كان عيسى عليه السلام آمناً على الماء ، وأضاف الرسول ﷺ لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء ، مثلما كان الهواء مركب الرسول ﷺ ليلة المعراج ، إن مجرد رؤية هلال للرسول منحته إحساساً بالعلو والتسامى وحررته من العبودية والدونية ، وأنقذته من الفقر الجسدى ، ونقلته إلى الغنى الروحانى الذى لافقر بعده .

(١١٩٨ - ١٢٠٧) : ينطلق مولانا جلال الدين فى حالة هلال الخاصة التى تبدلت تماماً بمجرد إشراق شمس الكائنات عليها، إلى الحديث عن أن الإنسان عموماً يستطيع أن يتخلص من كيفيته (حاله ، وضعه الحاضر وواقعه المر المداس المهان) وهذا التخلص من الكيفية يعنى ارتفاع المرء عن ظروفه وتساميه عن واقعه وتعلقه بالعالم المطلق ، هنا ينجو من دنسه وتعلقه بالدنيا وشهواتها ونزواتها وانغماسه فيها وجعلها مبلغ علمه ومنتهى إدراكه واهتمامه ، وهذا التعلق بالعالم المطلق يجعله إنساناً واهبا للأحوال والكيفيات وليس محبوساً في إطار محدود من أطر الدنيا ، فشرط الخلاص من الكيفية هو الطهارة من الحالة التى يجد فيها المرء نفسه في الدنيا ، طهارة الظاهر وطهارة الباطن، فإن الله طهور لا يقبل إلا طهورا. وقال القشيرى : للظواهر طهارة وللسرائر طهارة ، فطهارت الأبدان بماء مطهر وطهارة القلوب بالندم والخجل . (مولوى ١٧٣/٦) . وعند الانقروى أن قول مولانا هو مصداق لهذا البيت :

ما لم تقامر بنفسك كلية   فأنت جنب نجس

أنقروى : ٦-١/٢٧٤

لكن كيف يكون ذلك ؟! كيف لا يقترب الدنس من الماء وطهارته لا تكون إلا بالماء ؟! وإلى من يلجأ المذنب لكى يتوب إذا كان شرط اقترابه أن يكون طاهراً من الذنب ؟! كيف لا أقترب من حوض ماء الطهور ولا يوجد خارج هذا الحوض إلا التراب ؟! وكيف لا أختلط بالطاهرين ما دمت لن أحصل على هذه الطهارة طالما أنا موجود بين المذنبين ؟! إن الماء أى كرم الله تعالى يقبل المذنبين والدنسين ويطهرهم جميعا دون أن يلحق بى أدنى دنس . (لتفصيل هذه الفكرة انظر الكتاب الخامس ، الأبيات ٢٠١ - ٢٣٦ وشروحها) . وما البديل لهذا ، هل يقضى المشتاق في شوقه والمتحسر في حسرته ؟!

(١٢٠٨ - ١٢٢٢) : ما دام الحديث عن الهلال فلابد أن يتداعى الحديث عن البدر ، وما البدر إلا ذلك المريد الكامل الذي قبل نور الشيخ بأجمعه ، وهو بالنسبة لمولانا حسن حسام الدين الذي لقبه مولانا بلقب ضياء الحق ، وهو يحتوى على نور لا يشاهده الدنسون والأشرار (شر الطيور) فالخفاش لا يستطيع أن ينظر إلى الشمس، والناقصون لا يقبلون نور هذا البدر ولا يحسون به لأنه محجوب عنهم بشدة ضوئه ولمعانه وتألقه وارتقائه المستمر في مدارج الطريقة ومراحلها ، وفرق كبير بين نور البدر ونور الهلال ، وما دمنا قدم تحدثنا عن هلال فلنتحدث قليلا عن نور البدر ، ذلك أن هناك اتحاداً بين البدر والهلال (فالأولياء كنفس واحدة) والمغايرة بينهما من حيث الصفات لا من حيث الذات (مولوى ٦/١٧٥) ، لكن هذا ليس المقصود ، فالهلال هو السالك الذي يرتقى في مدارج الطريق مرحلة بعد مرحلة في سماء ليل الحياة المظلمة، وهذا هو الطريق الصحيح بالنسبة للسالكين. فكيف يتم النضج دون تدرج ؟ إن الأمر ليس من قبيل " السلق " بل هو تحمل لنار الطريق قليلا قليلا وبتأن ودون عجلة - لقد خلق الله الدنيا في ستة أيام - وكان يستطيع أن يخلقها بـ "كن فيكون "وكان يستطيع أن يخلق الإنسان بنفس الأمر لكنه خمر طينته أربعين صباحا (أحاديث مثنوى / ١٩٨) وذلك لكى يعلم الإنسان أن الأمور تؤخذ بالتدريج ، فالتأنى من صفة الرحمن والعجلة من الشيطان .

(١٢٢٣ – ١٢٢٧) : إن هذا ليس مثل الساذج الذي يقطع الطريق عدواً كي يصل إلى مرتبة الإرشاد وهو لا يزال طفل الطريق . ما أشبه هذا بقول العطار :

لقد تحملت كثيرا من المشاق عمرا طويلا   حتى فتح لي بـــاب واحد بمائــة مذلــــة

وأنت كيف تصل إلى هذا الباب بهذه السرعة   وكيف تصل إلى السطح من الدرجة الأولى

(سبزوارى / ٤٣٢)

وما أشبهه في تسلقه وارتكانه على غيره بثمرة القرع الواهية تتسلق على شجرة شامخة ، لكن لأن جذورها ليست ممتدة في الأرض لا تلبث أن تصفر وتسقط، بينهما لا تحس الشجرة لا بتسلقها ولا بسقوطها ، وقد لا يرى الناظر وجودها الهزيل بين أغصان الشجرة المتساقطة ، وما أكثر المتسلقين في هذا العالم يقفون على أكتاف الآخرين فإذا سقطت الأكتاف سقطوا وإذا لم تسقط سقطوا أيضاً ، وما اشقى ذلك الذي لا يرتكن على ذاته بل يرتكن على أكتاف الآخرين ، وما أشبهه بذلك الجمال المستعار الذي يأتى من الخضاب يزول بزواله ويحل محله قبح لا يحتمل .

(١٢٢٨) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت مأخوذة من التراث العربى ومن أبيات نسبت في ربيع الأبرار لرحال بن ممدوح الحميرى وفي عيون الأخبار لأحد الأعراب :

عجوز ترجى أن تكون فتية   وقد غارت العينان واحدودب الظهرُ

تدس إلى العطار سلعة أهلها   وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ

أما راوية الزمخشرى :

فما غرنى إلا خضاب بكفـــها   وكحل بعينيها وأثوابها الصفر

أتوني بها قبل المحاق بليلــــة   فكان محاقا كله ذلك الشهر

ألا ليتهـم زفوا إلى مكانــــها   شديد القصيرى ذا عرام من النمر

إذا شد لم ينكل وإن هم لم يهب   جرئ الوقاع لا ينهنه بالزجر

كما أن الأبيات التى نسبها الزمخشرى في ربيع الأبرار لأبى طلق عدى بن حنظلة التميمى تقترب من مضمون الحكاية وهما :

إستعينى بقطرة من جمال هى خير من كل ما تصنعينا

ذاك أدنى للحسن من أن تخفى بخيوط الكتان منك الجبينا

وأشار الشاعر الفارسى خاقانى (القرن السابع اهجرى) إلى هذا المعنى في قوله :

لا تخدعى القلب بألوان الدنيا فليس هذا بالجدير فكيف يجعل الخضاب من العجوز شابة

(عن مآخذ فروزانفر ، صص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(١٢٣٤ - ١٢٤٢) : يترك مولانا الحكاية فلا يعود إليها إلا من البيت ١٢٧٤ ، ويقدم الصورة المقابلة للشاب الذي يريد أن يأخذ مكان الشيخ والمرشد، أولئك الذين شابوا وشاخوا ولم يتركوا التحامق ولم يقلعوا عن إيذاء الخلق ، ولم يقلعوا عن الحرص ، وأولى بالشيخ أن يترك الحرص ، وحتى الكلب عندما يشيخ وتتساقط أسنانه يقلع عن عقر الناس ويكتفى بأكل البعر ، لكن هؤلاء الشيوخ الذين يخفون شيخوختهم بملابسهم الأنيقة الغالية ، ويتصابون ويرتكبون الموبقات ، وليس هناك عند الله أكثر سقوطا من شيخ عاص فاسق هؤلاء هم حطب جهنم ، وملائكة العذاب في انتظار سلخ جلودهم على فحوى " من جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتبوأ مقعده من النار ".(مولوى ١٧٨/٦) ، ومع ذلك يود هؤلاء لو يعمرون ويسعدون أيما سعادة عندما يدعو لهم بطول العمر ، ولعله يريد أن يزيد في رصيد شره وذنوبه ، في حين أنه لو علم أنه لو أخذ سريعا لكان خيراً له وأولى به أن يرد هذا الدعاء على قائله .

(١٢٤٣ - ١٢٤٧) : وما أشبه هذا الدعاء بطول العمر بذلك الشحاذ الذي دعا لذلك الجيلانى بأن يرده الله إلى أهله ، فإذا بالجيلانى يقول له : إذا كنت تقصد هؤلاء الأهل الذين ابتعدت عنهم لشرورهم فردك الله أنت إليهم ، إن الجيلانى رد دعاء السائل الذي دعاه له بنية الخير

وهكذا الأراذل والسفهاء يقتلون المعانى السامية في نفوس قائلها فلا ينطقون بها ، وينزلون بهم إلى مستواهم في الحديث على أساس " إن الله يلقن الحكمة على لسان الواعظين بقدر همم المستمعين " (أحاديث مثنوى ، ص ١٩٨) ، كما ورد على لسان الرسول ﷺ { نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم } (مولوى ١٧٩/٦) .

(١٢٤٨ - ١٢٥٥) : يدل العنوان على أن مولانا سوف يعود إلى حكاية العجوز لكنه لا يعود إليها وإن كان قد قام بوصفها ووصف كل أولئك الذين هم على شاكلتها : أولئك الذين يتوقفون عند شهوة معينة أو هوس معين ثم لا يتحركون وكأنهم هذه العجوز الذي تريد أن تعيش في غير زمنها ، فلا أساس لهم ولا راس مال حتى قابلية القيم انعدمت عندهم ، لا هم يعطون ، ولا معانى لديهم ، ولن تكون لديهم ، لا لسان لهم يتحدثون به ، لا عقل لديهم يفكرون به ، ولاغيبة لديهم ولا صحو ، ولا دلال ولا جمال ، بل عفن فوق عفن ، لا حماس لطريق أو لشئ ، ألا يلتقى المرء بكثيرين على هذا النسق في حياته اليومية ؟!

(١٢٥٦) : اللطيفة التى تبدأ بهذا البيت تجاهل شراح المثنوى الإشارة إلى أصولها وهى تذكر بحكاية واردة في الكتاب الثانى عن حكاية جحا وابنه ، حينما كانا يشهدان جنازة وكان أحدهم ينوح خلف النعش واصفا القبر دون أن يذكره فقال ابن جحا لأبيه : تراهم يأخذونه إلى منزلنا ؟! (الأبيات ٣١٢٧- ٣١٣٨ من الكتاب الثانى) ولا بد لهذه الحكاية من أصل .

(١٢٦٥ - ١٢٧٣) : يقدم مولانا صوراً أخرى لذلك الذي لا يتميز بأى سمات أو صفات فلا هو بالبازى (الشيخ) ولا هو بالطاووس (حسن الظاهر) ولا هو بالببغاء (الفصيح أو الشاعر) ولا هو بالبلبل (المطرب أو المنشد أو القوال) ولا هو بالهدهد (الدليل والقادم بالرسائل) ولا هو باللقلق (الوقور المتسامى) فماذا يكون ؟! وينصح مثل هذا الصنف من الناس : هيا ما دمت حتى الآن لا تتميز بأى ميزة بحيث يشتريك الناس ، فاسم إلى دكان الفضل ، فالله مشتريك مصداقا لقوله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ﴾ (التوبة /١١١) ، وثق

بأنك الرابح لأن الله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسى [إنما خلقت الخلق ليربحوا علىّ ولم أخلقهم لأربح عليهم] (أحاديث مثنوى ، ص ٥٨) .

(١٢٧٤) : لولا بعض الأبيات التى أضافها جعفرى من نسخة مزيدة من المثنوى لكان المعنى غامضا بحيث وقع استعلامى في الخطأ ففسر الذهاب إلى العرس بأنه طلب الزواج أو الرغبة في الزواج والواقع أنها مدعوة في عرس .

(١٢٨٨ – ١٢٩٦) : الكلام هنا موجه إلى العجوز وفي نفس الوقت إلى كل أولئك الذين يعيشون عالة على مواجيد غيرهم وكدهم وسعيهم وأولئك الذين يتشدقون بكلام المشايخ ، وما هذه الأقوال إلا كالخضاب على الوجه القبيح ليس منه في شئ ، ثم يأتى الموت ذلك المحك ، الذي يظهر الزيف من الصحيح ، ولا ينفع مقالٌ في يوم الفعال ، إنه عالم الصمت ، فليتك أيها المدعى تسكت قبل أن تلحق بهذا العالم ، وأجل صدرك من الصدأ الذي ران عليه يتفتح ويصير قابلا للحقائق ، تنقش عليه الصور والعلوم والمعارف، وينزل عليه الفيض، ألم أقل لك من قبل إن كتاب الصوفى ليس من الحروف المكتوبة على الأوراق ، بل إن قلبه دفتر أبيض كالثلج (البيت ١٦٠ من الكتاب الثانى) وألم يقل لك غيرى إن علم العشق ليس موجودا في كتاب ، إنك تستطيع أن تعود شابا جميلا لكن ببركة فيض الشيخ ، كما فاض دعاء يوسف عليه السلام على زليخا فردها جميلة شابة ، وألم تكن نخلة مريم جافة لا تثمر، لكن حرقتها ودعاءها وحاجتها جعلتها تساقط عليها رطبا جنيا (انظر ٣٤٩٨ من الكتاب الرابع) .

(١٢٩٩ – ١٣١٥) : بدأ مولانا إحدى الحكايات هنا ثم تركها بعد بيت واحد ولم يهتم شراح المثنوى بالبحث عن أصل للحكاية عن أساس أنها تبدو من اللطائف الشعبية التى كانت سائدة في زمانه ، وينطلق مولانا من فكرة أن حركة نبض عرق اليد تدل على ما في القلب إلى فكرة أن كل خفى وراءه ما يحركه ويدل عليه (انظر لتفصيل الفكرة الكتاب الرابع ، الترجمة العربية ، الأبيات ١٢٥ – ١٥٥ وشروحها) ، وحين يكون القلب ثملا فإن ذلك يبدو في منظر

العينين ، وهكذا حتى أعلى قيمة في هذه الحياة وهى معرفة الحق ، فقد أرسل الرسل بالمعجزات التى لا تجرى على يد بشر عادى لكى يدل على نفسه ، ومن بعد الرسل هناك الأولياء وكراماتهم وهؤلاء يؤثرون فيمن حولهم ، ويعطونهم مما لديهم ، فتنتقل إليهم السعادة من السعداء مصداقا للقول المأثور " من أراد أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف " (مولوى ٦/١٨٧) وإذا كانت المعجزة قد أثرت على الجماد فحولت الحجر إلى متحدث وانشق القمر وتحولت العصا إلى حية وتحدث الحصى وأن الجزع ، وكلها آثار ليست من هذه الجمادات تخلقها تلك الروح الحلوة التى تجلى تأثيراتها على الجمادات فما بالك بالبشر ، لابد وأنهم سوف يتأثرون إذا لم تكن قلوبهم أقسى من الحجارة ، إنها كمائدة عيسى عليه السلام نزلت من السماء دون انقطاع ، وهى كذلك النخل الذي هزته مريم وكان جافا فتساقط رطبا جنيا ، وهذه المعجزات لابد لها من روح كاملة هى روح المرشد الذي يستطيع أن يجعل المريد يتقبلها ، هذا إذا كان طائر هذا البحر ولم يكن طائر بريا لا يستطيع أن ينزل بحر المعنى والفضل الإلهى " وهكذا الناقص لا يصل إلى الكرامات وكلما رأى كرامة ظنها استدراجاً " لأنه لا إخلاص له ولا استعداد لديه فالكامل في الحقيقة في خصوص الكرامات برئ من النقصان والهلاك، لأنه قادر على التمييز بين الكرامة والاستدراج يعلم محل إظهار الكرامة ومحل إخفائها، فكل ما ظهر منه موافق لإرادته تعالى فإذا أثرت في ضمير التابع قيل لها كرامة ، (مولوى ٦/١٨٩-١٩٠) .

(١٣١٦ – ١٣٢٥) : لا يزال مولانا يتابع الحديث في هذه النقطة : إن الأمور كلها عطايا : فعطية من لم يؤذن له الإنكار والعجز وعدم الفهم ، وعطية النجى الملازم القدرة على الفهم والتقدير والتقبل ، فإن لم تجد في نفسك أثرا للمعجزة والكرامة فتتبع الظاهر لكى تصل إلى الباطن ، فإن الظاهر عنوان الباطن ، فالآثار الظاهرة على الحواس مخبرة عن المؤثر، واللسان ترجمان القلب، ولديك دلائل كثيرة على هذا الأمر . فإنك إن نظرت إلى الدواء لن

تستطيع أن تدرك قوة الشفاء فيه، فإذا انتقلت من القوة إلى الفعل أدركت قيمة هذا الدواء من الشفاء الذي تصل إليه عن طريقه، وفي كل ما تراه ولا تعرف آثاره يكون كل ما تراه قشرا ويكون اللب مختفيا في داخله ، وكلها آثار الحق ، ودلائل وجوده المطلق، وإنك متعلق بالمظهر والأثر والعلامة ، ومنصرف عن واهب الأثر ، وهكذا تعلقك بالخلق: فأنت متعلق بإنسان لجماله أو نجاهه أو لسطوته أو لماله ، لكنك تنصرف عن سلاطين الدين أولئك الذين طبقت شهرتهم وآثارهم الشرق والغرب ، وهذا كلام لا نهاية له أيها العظيم ، لكن متى كانت هناك نهاية لطلب العلم الإلهى ، إننى أدعو الله ألا يصرفنا عنه أبداً !!

(١٣٣٢) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى في النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم إنه بما تعلمون بصير ﴾ (فصلت / ٤٠) . والمقصود هنا أن الكافر لا يقبل علاجا . قال نجم الدين كبرى " أفمن يلقى في النار وهى الطبيعة الإنسانية النفسانية الحيوانية التى هى منشأ دركات جهنم خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ، أي منظور بنظر عنايتنا محفوظ من شر نفسه بفضل رعايتنا وقوله اعملوا ما شئتم إشارة إلى كلاءتهم إلى هوى أنفسهم فإنهم بالطبع يهوون إلى الدرك الأسفل (مولوى ١٩٢/٦) .

(١٣٣٧) : في النص حمزه يرست وفي ترجمة كلمة حمزه اختلاف، فالأنقروى والمولوى واستعلامى ترجموها بحساء البرغل، بينما يرفض فروزانفر هذه التسمية رفضاً تاماً ويترجم حمزه بالجرجير (حواشى معارف بهاء ولد ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ - ١٨٨) ويحتج بمعاجم لغوية وأشعار عربية تراثية ويرد ترجمة يوسف بن احمد المولوى، وتبعه في هذا سعد صادق كوهرين في معجمه " فرهنك لغات وتعبيرات مثنوى " جـ ٤ ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، من طبعة طهران ١٣٤١ انتشارات دانشكاه طهران) .

(١٣٣٩) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة / ١٩٥) .

(١٣٤٣ – ١٣٥١) : يترك مولانا سياق الحكاية ويتحدث عن مرض من الأمراض الشائعة بين الخلق ويشبهه بالسل " من الشائع قديما أن مريض السل يظن نفسه في تحسن وهو يسرع نحو الهاوية " ، هذا المرض هو أن أي إنسان يتعرض لبعض المشاكل يصب غضبه وصفعه على الآخرين وكأن للآخرين دخلا في الأمر ، ويرى مولانا أن الأمر كله من الشيطان وربما يقصد أن هذا الذي أبتلى من الله بدلا من أن يتوجه إلى الله ليرفع عنه البلاء يسول له الشيطان أن ينفس عن نفسه في ظلم الآخرين وإيذائهم فهو يفهم ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ على أساس أنه مطلق اليد في الخلق ، بدلا من أن يعالج المريض نفسه ويلجأ إلى الله تعالى يبحث عن عيوب الخلق وهو إنما يعالج نفسه بالهوى ، ويغفل عن الجزاء ، إن الشيطان الذي سول له ذلك هو الذي وسوس لآدم بأن شجرة القمح هي السبيل إلى الخلود والحياة الدائمة وقال لهما أي لآدم وحواء ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (الأعراف / ٢٠) لكن إياك أن تنسى أن هذه الصفعة ردت لإبليس ، وكان آدم كالجيل فيه السم والترياق (الصورة من حديقة سنائى البيت رقم ٤٢٩ من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، دار الأمين) وما الترياق في وجود آدم إلا الاستعداد للتوبة والاعتراف بالذنب والسير في طريق الحق .

(١٣٥٢ – ١٣٦٠) : التوكل الخليلى إشارة إلى توكل الخليل إبراهيم عليه السلام وهو يذبح إسماعيل عليه السلام اعتمادا على الحق وعلى أنه سوف ينجيه (انظر أيضاً البيت ٤١٧٧ من الكتاب الثالث) والإشارة إلى عبور موسى عليه السلام وقوم موسى للبحر ، وليس النيل ، كما هو موجود في النص، والمقبل هو الذي ينجو من الخطر المحقق ، ويزل ، ثم يعود إلى وعيه ، وكلها من عطايا الحق سبحانه وتعالى ، لكن لم إذا يكن لديك اليقين في أن الله تعالى سوف ينجيك لا تضع نفسك في مواقع الخطر والزلل ، فمن منارة الغرور وعبادة الذات ، كم سقط كثيرون ممن لم يكن لهم هذا الإقبال ، فدقت رؤوسهم ، مثل قوم عاد الذين أهلكت ظواهرهم وبواطنهم بريح

الصرصر ، وإذا كنت لا تستطيع السير على الجبال فسر على الأرض ،وجناحاك من الورق فلا تطر بهما ، وهنا إشارة إلى قصة إسماعيل بن حماد الجوهرى ، مؤلف الصحاح ، الواردة في معجم الأدباء لياقوت (ج ١٥٧/٦) إذ اعترته وسوسة فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور فصعد إلى سطحه وقال : أيها الناس إنى عملت في الدنيا شيئا لم أُسبق إليه فسأعمل للآخرة أمرا لم أسبق إليه وضم إلى جنبيه مصراعى باب وربطهما بحبل وصعد مكانا عاليا من الجامع وزعم أنه يطير فوقع فمات .

(١٣٦١ - ١٣٦٥) : يعود مولانا إلى قصة المريض والصوفى في بيت واحد ثم ينتقل إلى الحديث عن تقدير عواقب الأمور ، ولو أن ذلك الطائر قدر عواقب الأمور لرأى حبل الشراك ولم ير الحبة ، ولو أن كل امرئ نظر إلى عواقب الأمور لحفظ جسده ونفسه من مصائب كثيرة ، وسيدنا محمد ﷺ هو النموذج لتقدير العواقب وهو القائل { ما رأيت في الخير والشر كاليوم ، إنه صورت الجنة والنار حتى رأيتهما ، دون الحائط } (أحاديث مثنوى / ص ١٩٩) .

(١٣٦٦ - ١٣٨٧) : إن النظر إلى العاقبة يستوى مع النظر إلى العدم كأساس للوجود ويشير مولانا إلى أنه تحدث عن هذا الموضوع كثيراً (انظر على سبيل المثال لا الحصر ، الأبيات ٤٩٢ إلى ٤٩٦ والبيت ٢٥٩٥ من الكتاب الأول ، طبعة استعلامى والكتاب الثانى ، البيت ٦٩٠ والكتاب الثالث البيتان ٣٣٧٣ و ٣٣٧٤ والكتاب الخامس الأبيات ١٠٢٧ - ١٠٣٦ ومواضع أخرى عديدة) ويقدم مولانا بعض الأفكار الجديدة حول هذا الموضوع (وان كان بعضها قدم أيضاً) وتدور أيضاً حول فكرة أن الصانع لا يصنع فوق شئ مصنوع ، إن كل صنعة فكرة ، البداية من العدم ، ثم بناء على عدم ، فالوجود قبل أن يكون صورياً يكون فكرة ويكون خيالاً ثم يكون حقيقة وبناء، ومن ثم فإن من سذاجة الإنسان أن يهرب من هذا العدم ولا يطلب منه : فيطلب العلم من المدارس مع أن علم المدارس علم متغير ومتبدل ، ويطلب

الزرع من الأرض ، ويطلب الكسب من الحوانيت ، إن كل بحث أوله العدم ، فكيف يتوقى الإنسان من العدم وكيف يهلع منه ؟ إن العدم هو الوجود غير المرئى وهو الوجود المطلق (انظر أيضاً الأبيات ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٩٢٢ ، ٢٧٧٩ ، ٣٥٧٧ من الكتاب الذى بين أيدينا) إن العدم هو بحر المراد ، فالموت زاد بينما نسميه عدما ورقى بينما تعتبره تنزلا وبداية بينما تعتبره أنت نهاية ، ما هذا الظن السئ ، وكيف تنظر إلى الوجود وهو عدم وتفر من العدم وهو وجود ؟ إنه سر صنعته التى لا تعرف عنها شيئاً وسوف تعرف ذلك غداً (لتفصيل هذه الفكرة انظر الكتاب الخامس الأبيات ٤٢١-٤٥٩ وشروحها) .

(١٣٨٩) : الحكاية الواردة هنا كما أشار مولانا منقولة عن فريد الدين العطار دون تحديد لمنظومة . وهى واردة فى مصيبت نامه للعطار (ص ٢٧٦ من نسخة تحقيق د. نورانى وصال ، تهران ، زوار ، ١٣٣٨ هـ.ش) وواضح أن الطفل هنا نموذج للعبد الذى لا يعرف لطف الحق ويفرمنه، وأم الطفل رمز للطبع والنفس ومحمود رمز لسلطان السلاطين الذى ينظر إلى قهره ولا يدرى أحد لطفه (استعلامى ٦/٢٩٠) .

(١٣٩٢) : يشير إلى مولانا إلى أن القصة موجودة بتفصيلاتها عند العطار ، والحقيقة أنها لا تزيد فى تفصيلاتها عما يرويه مولانا جلال الدين هنا .

(١٤٠٦ - ١٤١٢) : يقدم مولانا المستفاد من الحكاية : فمحمود فى رأى مولانا هو الفقر الذى تخوف منه دائما أم الطبع أو النفس التى يسول لها الشيطان ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ (البقرة ٢٦٨) ولو علم كل إنسان قيمة الفقر وأن المصطفى ﷺ فخر به فقال {الفقر فخرى} ودعا لنفسه به فقال {اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين} لدعا الله أن يجعله فى هذا الطريق المحمود العاقبة (انظر الكتاب الأول البيت ٢٣٥٧ والكتاب الخامس البيت ٦٧٤ والأبيات ٧١٥-٧١٧ وشروحها) وأنها أم الطبع تلك التى تخوفك من الفقر مثلما كانت أم الغلام الهندى تخوفه من السلطان محمود بالرغم من

أنه رأى على يد محمود من الإقبال ما لم يكن يحلم به ، فإذا سلك طريق الفقر فإنك سوف تبكى سروراً مثلما كان الغلام الهندى يبكى فى حضرة محمود. وهكذا يأخذ الجسد طريق روحك ويخدعك بأنه يربيك ويظهر رقة مفسدة، ورقة الأم دائماً ما تكون مفسدة بل يلزم أب العقل، وقسوته أكثر فائدة للطفل من رقة الأم وحنانها ، وهذا الجسد ظلوم ، لأنه يسد عليك طريق الروح ، ويوهمك أن فيه الحماية لك فى حين أنه كهذا الدرع المكون من حلقات متراصة لا يرد حراً ولا يحمى من برد .

(١٤١٣ – ١٤٢٩) : لكن هذا الجسد ، هذا الرفيق السئ لازم للطريق ولا يخلو من فائدة ، فإنه يعلم الصبر ويجعلك دائماً منتبهاً إلى الطريق، ويشرح الصدر لأن صبرك هو طريق الفرج ، ثم هل يتجلى القمر إلا فى ظلمة الليل؟ وهل يتجلى جمال الورد إلا إذا كان محاطاً بالأشواك ؟ (لتفصيل الفكرة انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع والأبيات ٥٧٥ – ٥٨١ من الترجمة العربية للكتاب الخامس وشروحها) ، أنظر إلى الصبر كيف يحول الفرث والدم إلى لبن سائغ للشاربين ؟ أو أقرأ قوله تعالى ﴿ وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً سائغاً للشاربين ﴾ (النحل ٦٦) أو فارجع إلى أول بيت فى الكتاب الثانى (تبغى مهلة كى يصير الدم لبناً سائغاً) ، وألم يكن كل ما ناله الأنبياء من دولة سرمدية خالدة نتيجة صبرهم على المنكرين الكفار وعلى أذاهم ، دعك من كل هذا وانظر إلى الناس: أليس كل من تراه يحيا فى رفاهية إنما يكون ذلك من صبره على كسبه وتحمله ، وبالتالى فأن كل من لم يمارس كسباً بصبر بقى عارياً محروماً ، وهكذا فإنك إن لم تصبر على الأليف الوفى لانقطعت عنه ووقعت بين براثن الآفلين ، علمت إذن من هو الأليف الوفى ، ومع من ينبغى أن يكون أنسك ، مع الذى لا يأفل ، مع من تزداد بالألفة معه علماً وعطاءً كالذهب النضار ، مع ذلك الذى يقدر عملك، يجيزك على الحبة بسبعمائة حبة وقد يضاعف لك ، إنه أعلم بطبعك ، وأعلم بما يرضى هذا الطبع ، تراك تترك هذه الألفة

العظيمة ، ثم تمضى وتكون ألفتك مع الذئاب !! دعك من الذئاب ، ولتكن ألفتك مع تلك الروح الجميلة ، تلك الروح الأليفة التى لا تضيعك ولا تخوفك ولا تبيعك ولا تلقى بك فى بئر الغرور .

(١٤٣٠ - ١٤٣٥) : الحديث عن الجاهل الذى يحذر مولانا من مصاحبته "إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك" (منسوب إلى الإمام على ﷺ) (استعلامى ٢٩٢/٦) (أنظر أيضاً عن عهد الأحمق الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٢٢٨٦-٢٢٩٢ وشروحها) ، دعك من هؤلاء المفتضحين فلا هم برجال أو نساء ، يخفون عضو الذكورة بين النساء ويخفون عضو الأنوثة بين الرجال ، إنه امرأة بين من ليس لهم قوة على الطريق ، رجل بين أولئك الذين يسلكون الطريق، مندس للإغواء والإضلال بين هؤلاء وأولئك وسرعان ما يقوم الله سبحانه وتعالى بفضحهم مثلما فضح الوليد بن المغيرة فتلقى فى بدر طعنة فى أنفه بقيت إلى آخر عمره وصار مظهراً للفضيحة ونزلت فيه الآية الكريمة ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ (القلم ١٦) وليس ذلك إلا لتخليص المؤمنين من إغوائه .

(١٤٣٦ - ١٤٤٢) : يدور الحديث مرة ثانية عن أهل الدنيا الذين لا استعداد لديهم لإدراك الحقيقة (انظر البيتين ٣٧١٣ ، ٣٧١٤ من الكتاب الخامس) انهم السم المعتق سريع المفعول فى الإهلاك ، إنه من زلاقة لسانه يخاطبك كما تخاطب الأم ولدها ، وكثير من الأمهات يفسدن أولادهن بالتدليل ولذلك فالأم على مثال النفس (انظر البيت ١٤١٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) أما الأب فهو العقل ، وانظر ، ألا يفلح الإبن من قسوة الأب وحزمه ويسير فى طريق الفتوح ، بينما تعذل الأم الأب لهذه القسوة وتعتبرها دليلاً على كراهيته لها وإلا لما كره ابنها ، أنظر كيف تبدو الأمور معقدة وأنت لا تعتبرها كذلك ؟!

(١٤٤٣ - ١٤٥٥) : ما دامت الأمور متشابكة إلى هذا الحد لا يدرى المرء التمييز بين تدليل الأم (النفس) المفسد وقسوة الأب (العقل) النافعة وينقل الأنقروى حديثاً نبوياً ٦-٣٣٣/١ "خير

الأبوين فى علمك" ، يتوجه مولانا فى مناجاة لله تعالى : إنها إرادتك أنت التى توجه العبد وتعطى العقل قوة التمييز ، وما لم تكن إرادتك ما استطاع أحدٌ أن يتجه إلى الطريق الصحيح فأنت ﴿ الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ (الحديد ٣) ونحن جميعاً معدومون إلى جوار رغبتك وإرادتك ، أنت الذى تستطيع أن تجعلنا بأجمعنا لك عملنا السجود وأنت الذى تستطيع أن تبعد عنا جبر الكسل والاستسلام (عن الجبر والاختيار انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس) فليكن جبرنا بيدك، تجعل قوادمنا تطير إليك بدلاً من أن نكون كالغربان نطير نحو القبور والموت الكلى. فالجبر للكاملين جناح وللكسالى سجن وقيد مثل ماء النيل كان ماءً لقوم موسى ودماً لآل فرعون وفى مقدمة الكتاب الأول وهو كنيل مصر شراب للصابرين وحسرة على آل فرعون والكافرين وقال ﷺ {إياكم ومجالسة الموتى قال ومن الموتى قال أهل الدنيا} (انقروى ٦-١/٣٣٥) ذلك أن الحياة بدونك - ياربنا - موت كلى ، وما نجاتنا إلا فى الاتجاه إلى العدم فهو الوجود الحقيقى ، (انظر ١٣٦٧-١٣٨٨ من الكتاب الذى بين أيدينا) أما الوجود الذى نحن فيه فهو هباءً فى هباء ، ومن خيالاتنا الواهية نظن أنه هو الوجود الحقيقى وعندما تنعدم هذه الخيالات تعرف أن العدم هو الوجود الحقيقى أما الوجود فهو العدم .

(١٤٥٦ - ١٤٦٦) : "ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت" وقال أحد الصوفية "الموت ولا الفوت" وذكر الحديث بصيغه أخرى فى الكتاب الخامس (انظر الترجمة العربية الأبيات ٦٠٥-٦٠٩ وشروحها وانظر أيضاً أحاديث مثنوى ص ١٥٤) ، حينما ترفع الحجب يصيح من ضيع حياته فى السعى خلف العدم الذى يظنه وجوداً ﴿ يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ﴾ (الزمر ٥٦) يعرف حينذاك أنه ترك البحر (الروح) وعكف على الزبد (الجسد) وحين يلقى بالزبد فى القبور اذهب واسأله : ترى ما الذى ألقى بك فى هذا المضيق ؟ وسوف يرد عليك قائلاً : بل فاذهب وسل البحر ، لقد رأيت الضد فاذهب واسأل ضده ، اسأل الريح عن حركة التراب ، واسأل البحر عن حركة الزبد .

(١٤٦٧ – ١٤٧٢) : ترى ما قيمة الإنسان إذا فقد البصيرة ، إن الإنسان هو مجرد بصيرة ، رؤية ، أما ما تبقى منه فهو عظام وعروق ، ويدق مولانا على هذه الفكرة كثيراً (انظر التفصيلات مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ص ٢٠ – ٢١) وهذا الشحم واللحم اللذان يتبقيان إذا انتفت عنك الرؤية ، لا يصلحان لشئ ، فلا شحمك يصلح شمعاً ولا لحمك يصلح شواء ، وإياك أن تظن أننى أقصد بالنظر مجرد الرؤية بعين الجسد ، فنظرة الجسد مداها ذراعان من الطريق ، ولكن نظرة الروح ، النظرة الجديرة بالإنسان تستطيع أن تستوعب رؤية المليك ، والفرق شاسع بين النظرتين ، فابحث عن محل عين الباطن من إرشاد المرشد وإفاضات الولى ، ولتكن رعاية الله آخذة بيدك فإنه هو العالم بالسرائر .

(١٤٧٣–١٤٨١) : عودة إلى الموضوع المحبب : الوجود والعدم وأن العدم هو أصل الوجود و "مصنع" الخليقة "كان الله ولم يكن معه شئ" وإذا لم تكن تصدق هذا فقس على الصناع من حولك (انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ١٣٦٦–١٣٨٠ وشروحها) والبقاء فى الفناء (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) وهو ما يدركه الدراويش الذين تجردوا من كل شئ (انظر الكتاب الأول الأبيات ٣٢١٤–٣٢١٧) وهناك فرق بين هذا الدرويش وبين السائل ، فالدرويش من فنى لا من سأل ، وإذا كنت تجد فى نفسك ثقلاً فى فهم هذا المعنى ، فاعلم أن الألم والضراعة والمعاناة هى السبيل، فاذهب واذكر الله واطلب منه أن يهبك فهم هذه المعانى .

(١٤٨٢ – ١٤٨٨) : الأصل فى كل شيء هو العطايا ، والعطايا بقدر القابليات والقابليات من الله ، لكن لا يعنى هذا أن تظل أنت ساكناً مستسلماً منتظراً ، فاعمل ، ولا تكن موقوفاً على تلك الجبرية ، فقد تتجه إليك بالعمل ، والجهد منك ومن الله التوفيق ، وينبغى أن تكون عاشقاً فى البداية ، فمن غير العاشق لا يتأتى مثل هذا العمل ، ولا تفكر فى الاستجابة ، فالدعاء هو عين الاستجابة، ولا تفكر فى قول أو فى رد ففى الحديث القدسى {عبدى أطعنى كما أمرتك

ولا تعلمي ما يصلحك} وأيضا "قبل من قبل في الأزل بلا علة ورد من رد في الأزل بلا علة" (أنقروى ٦-١/٣٤٤) ، وحين تأتيك جذبة الحق وكأنها الطائر يطير من عشه عند وصول معرفة الغيب وصبح المعرفة، فدعك من عباداتك وفكرك وذكرك، فهي بمثابة الشمع أمام نور الشمس وإذا طلع الصباح بطل المصباح ، وحينذاك تتفتح منك عين البصيرة فلا تبصر إلا الله ، تراه في كل شئ في اللباب وفي القشور ، تتجلى لك الذرة والهباء عن شمس البقاء ، وتدرك أن القطرة هي دليلك إلى البحر .

(١٥٠١ – ١٥٠٦) : الحديث عن القضاة العدول وتفسير مولانا أن عدل الأرض جزءٌ من عدل السماء ، فإن رأيت قاضياً عادلاً ففكر في عدالة السماء فهي تدل عليها مثلما تدل القطرة على البحر ، ذلك أن الجزء يحمل كل سمات الكل ، ويتحدث مولانا عن الشفق كموضع لقسم الله في القرآن في حين يرى أن الله لم يقسم بالشفق ، بل قال فلا أقسم بالشفق (٦/٢٩٥) (الانشقاق ١٦) في حين يرى بعض المفسرين أن لا هنا زائدة وأن الله سبحانه وتعالى أقسم بالشفق (مولوى ٦/٢١٦) وهو الأصوب ، وهو في رأى مولانا قسم بالتجلي البشري لشخصية المصطفى ﷺ (انظر الكتاب الثاني والضحى نور ضمير المصطفى الأبيات ٢٩٦-٢٩٨) مثال النملة التي تحجبها حبة عن البيدر مر قبل ذلك (انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٨١١ – ٨١٥ وشروحها) والنملة هي مثال لذلك الذي يظن أن الوجود هو نفس هذه الحياة المادية ويغفل عن بيدر الوجود المطلق .

(١٥٠٧ – ١٥١٣) : في البيت ١٥٠٧ يذكرنا مولانا فحسب بأصل الحكاية ثم يعود إلى إفاضاته فيخاطب الظالم الذي يمد له الله في طغيانه ويغفل عن الجزاء ، وهذه غفلة أو نسيان أو حجب أسدلت على عين الباطن فلم تعد تدرى شيئاً ، أو هو في الحقيقة استمراء للظلم وتلذذ به تلذذاً وحشياً لأن المظلوم ساكت صامت مستسلم ولا يرد على الظلم الذي حاق به ، لكن الظالم مع ذلك غير مستريح ، ومن المستحيل أن يتمتع بذلك الصفاء الذي ينشده (لتفصيلات

الفكرة أنظر الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٣٥٥-٣٥٩ وشروحها والأبيات ٤٥٦٤-٤٥٧٤ وشروحها) إنك لا تدرى شيئاً عن حقوق المظلوم عليك لأن هذه الحقوق خافية عليك وأنت محبوس بها وأن هذا من عقوقك للحق فلولا عقوقك للحق ما عققت الناس ، وأن الظالم ليمد فى ظلمه حتى يأخذه العقاب الإلهى (المحتسب) أخذ عزيز مقتدر ، فصف جدول قلبك وكيانك ووجودك من كدره هذا ، ولا يقوى على هذا إلا المجنون .

(١٥١٦) : الجبار : هو الهالك فى الشرع أو الهالك أثناء تنفيذ حكم شرعى وجباراً أى هدراً ولا دية له - عن الأنقروى ٦-١/٣٥٤ (قال صاحب السقاية رجل ضرب امرأته فى أدب فماتت فعليه الدية والكفارة وكذا الأب والوصى فى الولد الصغير عن أبى حنيفة) وإذا ضرب الأب ابنه على تعليم القرآن أو الأدب فمات قال أبو حنيفة عليه الدية ولا يرثه وقال أبو يوسف ومحمد رحمه الله عليهما يرثه ولا شيء عليه .

(١٥٢٠ - ١٥٣٠) : الدية على العاقلة : أى أن الدية على غير البالغ أو السفيه تدفعها عصبته (انظر البيت ٢٤٧٢ من الترجمة العربية لكتاب الثالث وشروحه) ، والآمن هو غير المسئول إن وقع أذى على من يوقع عليه الحد الشرعى ، وهو غير الأب ، فالأب إن ضرب ابنه وهلك فإنما يضربه لأن خدمته واجبة عليه شرعاً ويضربه لأمر يخصه ، أما القاضى فلا دية عليه ولا مسئولية لأنه يضرب من أجل الشرع ، وحكم المعلم كحكم القاضى ، إن المعلم إذا ضرب الصبى فإنما يضربه لتأديبه وتعليمه فإن هلك فلا دية عليه لأنه لم يضربه لشئ فى نفسه أو لغرض فى داخله ، وينتقل مولانا إلى الحديث عن قطع رأس الذات أو النفس بسيف ذى الفقار وذو الفقار اسم لسيف الأمام على ﷺ ، وهو هنا كناية عن سيف الحق وسيف الشرع وسيف الدين (انظر ٣٦٧١ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) فإذا فنيت بهذا السيف فأنت آمن من العقوبة خال من المسئولية إذ ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (الأنفال ١٧) وفى هذه الحالة فإن المسئول (الضامن) هو الله تعالى .

(١٥٣١ – ١٥٣٨) : يمنع مولانا جلال الدين نفسه عن الاسترسال فى هذه القضايا الفقهية لأنها خارج إطار هذا الكتاب وخارج بضاعة هذا الدكان ، وقبل ذلك اعتذر مولانا عن الاسترسال في مناقشة قضية كلامية خشية مضى لذة نقاط العشق منه ، وخشية أن يصير دورة دوراً مختلفا (الترجمة العربية للكتاب الثالث البيتان ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ وشروحهما) ويضرب مولانا الأمثال فلكل حانوت بضاعته التى يلتمس منها ، ومن ثم فإن هذا الكتاب أى المثنوى هو حانوت التوحيد ، وكل ما تراه غير التوحيد صنم فحطمه ، وما هذه الألفاظ التى صبت فيها المعانى ، وما هذه الحكايات التى تراها إلا من قبيل ذكر الأصنام فى سورة النجم ونطق الشيطان أو أحد الكفار بتلك الكلمات التى تلت الآيتين ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ (النجم ١٩–٢٠) ثم صمت الرسول ﷺ فإذا بصوت يصيح "تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهم لترتجى" (جعفرى ١٣/٥٣٩) وقد قال بعض المفسرين إن الكفار كانوا يقاطعون الرسول ﷺ عند قراءته لهذه الآيات فذكر آية الغرانيق كى يسكت الكفار ومن ثم سكتوا وسجدوا (استعلامى ٦/٢٩٧) ، وهذه هى الفتنة التى ما تزال لها ذيول حتى الآن (آيات شيطانية مثلاً للمرتد سلمان رشدى) والحكاية كلها مختلقة من الرواة وإن كان إبن سعد قد أورده فى طبقاته وابن جرير الطبرى فى تاريخه وبعض المفسرين عند تفسيرهم قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ وهى روايات قال فيها ابن كثير "ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة على وجه صحيح" والأمر كما توصل إليه سيد قطب أن الكفار سجدوا عند تلاوة الآيات (دون ذكر للغرانيق) من شدة تأثير القرآن الكريم إن سبب السجود "كامن فى ذلك السلطان العجيب للقرآن ، ولهذه الإيقاعات المزلزلة فى سياق هذه السورة" (سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مجلد ٦ ، ٣٤١٩–٣٤٢٢ من ط١٢ دار الشروق ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م) ولم لا؟ ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى تأثر بها الكفار

بالإسلام والروايات عن تأثر عمر ﷺ قبل إسلامه بآيات من سورة طه ، وشهادة الوليد بن المغيرة للقرآن وغيرهما وغيرهما متواترة ، المهم فى هذا المجال أن الرواية على علاتها كانت تذكر قديماً دون حساسيات أو حرج ، وها هو مولانا يقارن إدخاله بعض الهزل فى المثنوى عن عمد (حتى يجذب العوام) وهو نفس التعليل الذى قدمه سنائى لإدخال الهزل فى الحديقة وهو أن أكثر الناس من العوام (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة لكاتب هذه السطور الأبيات ١١٢٦١-١١٢٦٣ وشروحها) وينصرف مولانا عن هذا الموضوع الشائك بعيد الغور شديد الغموض ، فالآية ليست من السورة والأمر كله فتنة وخير لك من أن تعطى أذنك لسليمان الطريقة (الشيخ الكامل) ولا تهيج الشياطين (الضالين والشكاكين ومشعلى الفتنة) .

(١٥٣٩-١٥٤٩) : عودة إلى حكاية القاضى والصوفى ، وثبت العرش ثم انقش مثال معناه : فصل فى دعواك حتى أحكم فيها ، وينظر إلى المدعى عليه فيستبعد أن يحكم على مثل هذا الميت فالشرع للأحياء والقادرين والأغنياء وليس للموتى (موتى الجسد وموتى العلم وموتى الثقافة وأولئك الذين فرغوا من الداخل وماتت هويتهم) ، ثم ينتقل مولانا إلى فئة فنيت ذواتهم وماتوا قبل أن يموتوا ولا صورة لهم ولا جسد ، ومن ثم فإن الديات قد انهالت عليهم من ذات الحق. وفى الحديث القدسى : من أحبني قتلته ومن قتلته فأنا ديته . _انقروى ٦-١/٣٦٢) وقال الإمام القشيرى "التوبة بقتل النفوس غير منسوخة فى هذه الآية إلا أن بنى إسرائيل كان لهم قتل أنفسهم جهراً وهذه الأمة توبتهم بقتل أنفسهم معنى" (نفس المصدر) (انظر عن البقاء فى الفناء مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث وهناك مضمون مشابه فى الأبيات ٢٩٦٠-٢٩٦٦ من الكتاب الرابع) وجرجيس أخر الأنبياء روى أنه قتل وعاد حياً أكثر من مرة (انظر البيت ٨٩٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) فالسالكون إلى طريق الحق يفنون فى كل خطوة وفى كل فناء خطوة جديدة إلى وجود جديد (انظر الأبيات من ١١٤٥-١١٥٠ من الكتاب الأول) .

(١٥٥٥ – ١٥٧٤) الحي هنا هو رجل الحق بأنفاس الله ، ومن ثم فالموتى هم أهل الدنيا مصداقاً للحديث النبوى الشريف ، وذلك لأن من رده رجل الخلق فقد رده الحق "ألسنة الخلق أقلام الحق" ، ومن رده أهل الدنيا وآذوه ، يكون أذاهم مثل أذى القصاب للذبيحة ، لكن القصاب ينفخ فى الذبيحة فتفنى ، والله ينفخ النفخة الإلهية فى العبد فيظل حياً بها إلى الأبد (عن هذه الصورة انظر أيضاً البيت ٤٦٨٤ من الكتاب الخامس) أنظر إلى الفرق بين فناء الصوفى وفناء أهل الجسد ؟ فناء الصوفى زينة له وفناء أهل الجسد شين لهم ، على كل حال ، كيف أحدثك عن هذه النفخة الإلهية وهى التى لا تتأتى فى كلمات ، ولا تعبر عنها ألفاظ هيا أخرج من قاع الدنيا إلى أعلى صرح الوجود ، تحس بما أقوله من كلمات .

(١٥٧٥): قال ﷺ {لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه} (أحاديث المثنوى/٢٠٠) . ومن وصايا الإمام على ؓ "يا بنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارضه لهم بما ترضاه لهم من نفسك" (عن جعفرى ١٣/٥٤٩)

(١٥٧٦) : إشارة إلى المثل السائر "من حفر بئراً لأخيه وقع فيه" وليس حديثاً كما ذكر مولانا .

(١٥٨٣ – ١٥٨٦) : يتحدث القاضى عن الرضا (انظر البيت ١٥٧٣ من الكتاب الأول وعن القضاء انظر أيضاً الكتاب الأول ١٢٣٦-١٢٤٢ الترجمة العربية ، وانظر أيضاً الترجمة العربية للكتاب الثالث البيت ١٣٦٣) وعلى الإنسان أن يرى جزاء عمله حتى ينفتح بستان قلبه (انظر الأبيات ١٣٥ – ١٤٠ من الكتاب الرابع وشروحها) .

(١٥٨٧ – ١٦٠٩) : المتحدث الحقيقى هنا ليس القاضى لكنه مولانا : والحديث هنا عن قيمة

البكاء والإشارة إلى الآية ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً بما كانوا يكسبون ﴾ (التوبة ٨٢) وبرغم أن الخطاب هنا للكفار فمن الممكن أن يعتبر به المؤمنون على أساس أن كثرة الضحك تميت القلب (مولوى ٦/٣٣٧) والدمع هنا من خشية الله ومن الشوق إليه وليس كل عبوس مضرا ، بل من عبوس الوالدين يكون النفع للولد ، ومقدمة الجنة هو البكاء وألا يبكى المؤمن عند ذكر النار ، إذن فباب الجنة مفتوح أمام الباك الذى يتحرز من النار ويعمل عمل أهل الجنة، فالفرح الحقيقى من الممكن أن يوجد فى هذا البكاء (انظر الأبيات ٢٤٨١-٢٤٨٥ من الكتاب الأول) وإن مع العسر يسرا أى كما قال نجم الدين كبرى "مع عسر المجاهدات يسر المعرفة" (مولوى ٦/٣٣٨) والنعال المعكوسة أى العلامات المعكوسة والتى يدل ظاهرها على غير باطنها والتى تضلل السالك (انظر الكتاب الأول البيت ٢٤٨٨ والكتاب الخامس البيت ٤١٦ والبيت ٢٧٥٣ من ترجمة كاتب هذه السطور) وقد فسر الدكتور كفافى النعال المعكوسة بأنهما نعلان يشير أثرهما إلى اتجاه مضاد لا تجاه الهدف وقد كان بعض المحاربين يعكس اتجاه نعال فرسه ليضل من يقتفون أثره (ص ٣٠٨ من الكتاب الأول ترجمة كفافي) ومن ثم لزم المشير ولزم رفيق الطريق ولزم القائد والمرشد والدليل، فالأمور تبدو معكوسة ولا ينبؤك مثل خبير واقرا في الكتاب ﴿ أمرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى / ٣٨) والزم الصمت ، واسمع وتعلم وخذ العبرة من صلاة الجمعة ، فالرحمة تنزل على الصافين الساكتين المنصتين للإمام ، فكن صامتا لأن من صمت نجا ، ولا تشهر نفسك لكيلا تكون هدفا للسهام ، والرسول ﷺ بالرغم من أنه أتم الدين وأكمل النعمة إلا انه أوصى بالإقتداء بالنجوم أي الصحابة فقال ﷺ : { أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم أهديتم } ومن ثم فالأمر قائم إلى يوم الدين ، فإن كان الصحابة قد مضوا فأنت مطالب باتباع الأولياء والمرشدين ، فالحديث ذو شجون والكلام يجر بعضه بعضاً ، ولا تكون لك سيطرة على الأمر ، فسرعان ما يجرك الهوى ، ويحيد بك عن الطريق ، فالمسموح له بالحديث هو الرسول ﷺ الذي

قيل فيه ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (النجم / ٣-٤) ، فالبلاغة هي الصمت ، وذرة الصدق أفضل من مائة مقال ، وأن تعيش " الحال " أفضل من أن تكون بليغاً (عن المقال والحال انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، البيت ٤٧٣٠ وشروحه) .

(١٦١٠ – ١٦١٨) : برغم سياق الحكاية ينقلب القاضي إلى مرشد والصوفي إلى مريد سائل يسأل القاضي عما يؤرقه من تناقضات في مظاهر الكون وفي قضاء الحق وتجليه في مظاهر مختلفة ، ما لهذا يحصل على الذهب وذاك يحصل على الزيف مع أن المنجم واحد ؟! ولماذا يكون هذا يقظا والآخر ثملاً ، وإذا كانت الجداول (البشر) تجرى بماء واحد ، فلماذا يكون ماء المؤمن صافياً عذباً زلالا ويكون هناك كافر ماؤه ملح أجاج؟ ولماذا التفاوت والاختلاف بين الصبح الصادق والصبح الكاذب ؟ مع أن المصدر هو شمس البقاء الأزلية ، ولماذا يكون عقل أحدهم مضيئاً منيراً وعقل الآخر مظلما كدراً ؟، وطريق الله طريق واحد فكيف يحتوى هذا الطريق على هادى الطريق ودليله ومرشده ويحتوى على غيلان الطريق المضلين ؟، ولماذا تلد البطن الواحدة العاقل والسفيه والصالح والطالح ، ما دام الرسول ﷺ قد قال أن الولد سر أبيه ؟! (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، البيت ٣١١٧ وشروحه) . لماذا هذا التعدد وهذه الكثرة كتجليات للوحدة؟! لماذا تظهر هذه الاختلافات مع أن الله (المصدر) إله واحد ؟!

(١٦١٩ – ١٦٣٠) : يجيب القاضي (المرشد) إن الأمر لا تناقض فيه ، فكيف يقاس المعشوق بالعشاق ؟! ألا ترى أنه بالرغم من أنه لا عاشق بلا معشوق ولا معشوق بلا عاشق هناك كثير من الاختلافات في أحوالهم ؟! فكلما ازداد المعشوق جمالا ازداد العاشق نحولاً ... وكلما زاد المعشوق دلالا وعزة وكرمة ازداد العاشق وجداً وهياما وذلا واضطرابا ، إن هذه الخليقة التى تراها متناقضة إلى هذا الحد كلها زبد على سطح البحر فاضت منه ولكنها ليست هو، والبحر يحتوى على الدر يحتوى على السبه (حجر رخيص) فهل يقال أن هذه المظاهر والآثار هى عين البحر الذي بلا كيفية ، ولا يحيط به أحدٌ علما ؟! والخالق المطلق ليس نداً لمخلوقاته

وليس ضدا لها ، قال الإمام على ﷺ : بتشعيره المشاعر عُرف أن لا مشعر له ومضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ، (عن جعفرى ٥٦٣/١٣) فلا خالق هناك يستطيع أن يخلق ضده ، فالاضداد كثيرة والأنداد كثيرة ، والمثل لا يخلق مثله ، وأسرار الخليقة (مد البحر وجزره) لا كيفية لها وغير قابلة للوصف ، وانظر : إن أقل ظاهرة من ظواهره هى روحك، ومع ذلك فإنك لا تستطيع أن تدرك كنهها ولا يستطيع أحد أن يفسر أبعادها ﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (الإسراء / ٨٥) .

(١٦٣١ – ١٦٤٢) : يواصل القاضى (المرشد) : تراك تريد أن تدرك كنه هذا البحر ، وعقلك بكل ما أوتى من قوة لا يستطيع أن يدرك كنه قطرة واحدة منه ، وتساؤلاتك كلها تبقى محدودة بنطاق الألفاظ وضيقها ، وأين ألفاظك وأين معرفتك المحدودة من العقل الكلى أو ما خلق الله ومنه فاضت الخليقة وهو أيضاً عاجز عن إدراك منهجه ، يستنجد بالجسد ويسأله : أتراك حصلت على النذر اليسير من المعرفة عن بحر المعاد ؟! ويرد الجسد : كيف وأنا دائما مجرد ظل لك كيف أدرك ما لم تستطع إدراكه ؟! ويرد العقل : إنها الحيرة هى التى تقلب كل الموازين : تكون الشمس في خدمة الهباء ويفر الأسد أمام الغزال والبازى أمام السلوى ، يطلب القوى العون من الضعيف (انظر عن الحيرة البيت ٢٤٨٦ من الترجمة العربية للكتاب الأول و ١٣٧٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث و ٩٦٩ من الترجمة العربية للكتاب الرابع) ولم لا ؟ ، ألم يكن الرسول ﷺ مع عظمته وقربه يطلب الدعاء من المساكين ؟! وفي رواية الجامع الصغير " كان يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين (انظر أحاديث مثنوى ، ص ٢٠٠) وكيف تصدق أقوال المفسرين أن هذا كان من أجل التعليم .! أيكون التعليم في إبداء الأمور على غير حقيقتها ؟! لا ... بل كان ﷺ يعلم أن كنوز المعرفة في قلوب الفقراء مصداقا لقوله تعالى في الحديث القدسى [أنا عند المنكسرة قلوبهم] وهذه الأمور المعكوسة

(انظر البيت ١٥٩٤ من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحه) تحير حتى الأولياء ، وإلا فإن كل جزء في الرسول ﷺ منبيء عن الحقيقة الإلهية ، ومن هذا الفعل المعكوس تعددت الفرق والمذاهب وليس ثم إلا حقيقة واحدة ، وكلها اختلافات في النظر (عن اختلافات النظر ، انظر حكاية رسامى الصين والروم من الكتاب الأول وحكاية الفيل في الحجرة المظلمة ، ابتداء من البيت ١٢٦٠ من الكتاب الثالث وانظر أيضاً حكاية سؤال موسى عليه السلام لله تعالى : لم خلقت خلقا فأهلكته ، من الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٣٠٠١ وما بعده وشروحها) .

(١٦٤٣ – ١٦٥١) : يواصل القاضى حديثه إلى الصوفى : إن هذا الكلام ليس بالبسيط وليس بالهين ، ولا تستطيع أذن الجسد أن تستوعبه بل لابد له من اذن الروح ، فكل ما يتأتى للعبد إنما يتأتى له من الله من العطاء والمنع والنعم والبلاء ، وهكذا ديدنه مع كل خلقه بلاءٌ يعقبه نعمة ونعمة يعقبها بلاء ، (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة ، حكاية الذي أراد أن يهب بردة لبهلول ، الأبيات ٥٣٣٩ – ٥٣٤٤ وشروحها) . وما حول الفخذة هو أحسن قطع الذبيحة ما حول الرقبة أسوأها ، والدنيا بأجمعها لا تساوى عند الله جناح بعوضة ولو كانت لما سقى الكافر منها شربة ماء ، بل هى للصالح والطالح على السواء ، لكن رحمته جل شأنه تكون للصالحين من خلقه فحسب الذين يصبرون على الضراء ولا ترتفع عقيراتهم بالصياح أو الشكوى ، والحضور هو حضور القلب والمنزل هو قلب المؤمن : ليكن الله سبحانه وتعالى حاضرا في قلبك ، لكى تصلك خلعه .

(١٦٥٢ – ١٦٥٦) : يذكر سؤال الصوفى هنا بما ورد في الكتاب الخامس قصة ذلك الذي قال : ما كان أحلى الدنيا لو لم يكن موت ، وما كان أحلى ملك الدنيا لو لم يكن له زوال ، وعلى هذه الوتيرة من الترهات (الأبيات ١٧٦٢ – ١٧٧٣ من الترجمة العربية للكتاب الخامس وشروحها) . فالحقيقة غارقة في الحقيقة لأن المجاز لا ينتفى عند أهل الحقيقة لأن مراتب

الوجود تسمى حقيقة بعد حقيقة (سبزوارى / ٤٤١) .

(١٦٥٧) : يضرب القاضى المثل هنا بقصة التركى والخياط التى وردت في كتاب الأذكياء لابن الجوزى (مآخذ / ٢٠٧) .

(١٦٦٣ – ١٦٧١) : يترك مولانا رواية الحكاية كعادته ليتحدث عن أهمية المتلقى بالنسبة للمتحدث فبقدر همة المستمع تكون قوة المتحدث ، مصداقا للحديث النبوى المذكور في العنوان (انظر أيضاً البيت ١٢٤٧ من الكتاب الذي بين أيدينا ، وانظر أيضاً الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٣٦٠٤ – ٣٦١٤ وشروحها) والفكرة العامة أن كل شئ بقدر حاجة الخلق إليه، يبكى الطفل فيفور ثدى الأم باللبن، تهتز الأرض فينزل عليها المطر ، يريد الله سبحانه وتعالى أن ينزل معجزة الأنبياء والخلق أجمعين ، فيخلق الخليقة كلها من أجله لكى يتم الظهور عليها فلا ظهور له إلا بها فهو أول الأنبياء خلقا آخرهم بعثا ، وكان نبيا وآدم بين الماء والطين ، وقال الله تعالى له : " لولاك ما خلقت الأفلاك " ، والأولياء أيضاً، يأتى بالبشائر من عالم الغيب لأن الآذان تهفوا إلى هذه البشائر ، وما دامت عاكفا على الدنيا فأنت والكلب سواء فالدنيا جيفة وطلابها كلاب ، والكلب نفسه ينجو من طبيعته الكلبية عندما يصاحب أهل الكهف (الأولياء) لكن ما العمل والعوام كلهم همهم النساء والطعام .

(١٦٧٥ – ١٦٧٧) : إن هذه الخلافات بين الخلق صورة مصغرة للقيامة وحين يقع شجار بين اثنين يجاهد كل منهما في فضح أسرار الآخر ، وهذا أشبه بالقيامة عند نفخ الصور حيث ينشر كل ما أسره المرء على الملأ .

(١٧١٦ – ١٧٢٣) : يترك مولانا الحكاية (التى هى أيضاً داخل حكاية الصوفى والقاضى) ويخاطب المريد : حتام أنت مولع بالحكايات والأساطير وأنت نفسك مجرد حكاية من

الحكايات تعجز عن الوصول إلى الحقيقة وتبتعد عن إدراك الواقع (انظر البيت ١١٤٧ من الكتاب الثالث حيث تقدم فلسفة الحكاية والبيت ١٦٦٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) وأنت العجب العجاب في ضحكك هذا ، أتراك تضحك والموت في انتظارك وأنت دائما في ضحك (انظر حديقة سنائى ، الأبيات ٦١٣٥ – ٦١٣٧) ، إنك تهزل والفلك يسخر منك ، ولا تنظر فقط إلى عطاياه بل وانظر أيضاً إلى أخذه ، وفكر في العواقب (انظر لتفسير الفساد في الكون الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٥٤٤ – ١٦١٤ وشروحها) وهذا هو الفلك خياط عام يصنع الكساوى لأولئك الذين شاخوا في أعمارهم لكنهم لم يبلغوا عقول الأطفال ، ذلك أنهم يضعون كل شئ على عاتق الفلك، ويتحدثون عن سعده ونحسه ، ويتكدون منه ، بينما لا يملك من أمر نفسه شيئاً .

(١٧٣٤ – ١٧٤٥) : الحكاية هنا ذات أصل عربى ورد في ربيع الأبرار للزمخشرى " زحمت مريأة رجلا فقال : المستعان بالله ما أكثركن ، قالت : يا هذا نحن على هذه الكثرة وأنت تبتغون ما وراء ذلك فليت شعرى لو كان فينا قله ما كنتم تعملون . (عن فروزانفر مآخذ ٢٠٧) . ومعناها أن أهل الدنيا لا يشبعون من لذائذها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يفطن إليها الشراح القدامى أن انغماس المرء في الشهوات حتى ولو كان طبيعيا فإن يجره إذا وصل إلى مرحلة التشبع إلى البحث عن الشذوذ واللجوء إليه ، ثم يواصل مولانا الحديث : وهكذا الإنسان مع الدهر: إن الإنسان يسب في الدهر ويشكو الزمن وأكثر الناس شكوى من الدهر هم أشدهم كلفا به وحرصا عليه ، وتعلقا بشهواته ، فما أن يخسر أدنى خسارة فيه حتى يجأر بالشكوى وتضيق الحياة في وجهه ، وإذا كسب فيه فإن يتجبر ويطغى ويركب على رقاب الخلق ، فلا هو بالشاكر في النعمة ولا هو بالصابر على البلاء ، وكل الناس لا يتأسون بإبراهيم الخليل عليه السلام الذي وفي وصبر على نار النمرود ولا بإبراهيم بن آدهم الذي لم يركن إلى النعمة بل وهرب منها قاصدا الحقيقة : وبينما ألقى إبراهيم الخليل بنفسه في النار فلم

يحترق ، ألقى إبراهيم بن أدهم بنفسه في طريق الطلب واحترق بنار الطريق .

(١٧٤٦ – ١٧٥٣) : لا يزال الصوفى (المريد) يسال القاضى الشيخ ويضرب الأمثال لوجود الخير والشر معا في الدنيا ، مع أن الله تعالى جلت قدرته يستطيع أن يجعل العالم خيرا محضاً .

(١٧٥٤ – ١٧٦٤) : جواب القاضى هنا يشبه حديث مولانا في أكثر من موضع عن لزوم الشر إلى جوار الخير ، وأنه إذا كان العالم خيرا خالصاً لما أمكن التمييز بين الخير والشرير والصالح والطالح ، الموضع الأول في الكتاب الرابع تحت عنوان : بيان أن العمارة في الخراب والجمع في التفرقة ، (الأبيات ٢٣٤١ – ٢٣٥٣) والموضع الثانى في الكتاب الرابع أيضاً تحت عنوان سؤال موسى عليه السلام الخالق سبحانه وتعالى : خلقت خلقا وأهلكتهم (الأبيات ٣٠٠١- ٣٠٢٩) وفي الكتاب الخامس تحت عنوان في بيان قول الرسول ﷺ : لا رهبانية في الإسلام ، الأبيات ٥٧٥ – ٥٨٠) . ويخلص مولانا في الأبيات التى بين أيدينا أن توجيه مثل هذه الأسئلة من قبيل الغفلة ، فمن اقترب من الحق علم أن كل ما يأتى منه خير. وقد عبر سنائى عن هذه الفكرة في حديقة الحقيقة أيضاً (انظر الترجمة العربية ، الأبيات ٤٢٦ – ٤٦١ وشروحها) وقال بعض السادات : أذنبت ذنبا وأنا أبكى عليه منذ ستين سنة ، واجتهدت في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب ، فقيل له ما هو ؟! قال : قلت مرة لشئ ليته كان كذا !! وقال بعض المشايخ : لو قرض جسمى بالمقاريض ، كان أحب إلى أن أقول لشئ قضاه الله ليته لم يقضه . (انقروى ٦-١/٤٢٤) .

(١٧٦٥ – ١٧٧٤): الحكاية الواردة في هذه الأبيات مأخوذة عن رواية وردت في ذيل زهر الآداب للحصرى " وكسا مزيد المدني امرأته قميصا فشكت إليه غلظته وخشونته فقال : أترينه أخشن من الطلاق . (عن فروزانفر ، مآخذ ٢٠٨) .

(١٧٧٥ – ١٧٨٦) : المقصود من الحكاية السابقة هل الفقر والبلاء والآلام والمحن أشد وطأة

على العبد أو البعد عن الله ؟! هل مكافحة الهوى على مرارتها وقسوتها أقل مرارة من البعد عن الحق أو أكثر مرارة؟! هل الصيام والجهاد على قسوتهما أقسى أو أن يمتحن المرء بالبعد عن ربه ؟! من دعاء كميل المشهور عن أمير المؤمنين " فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك " (عن جعفري ٣/٥٩٢) . يكفيك أن تسمع مواساته أثناء ألمك ، وأنت تسأل : كيف اسمع مواساته ؟! ألست تدعو ربك أثناء البلاء وأثناء المحنة ؟ اعلم أن نفسك دعوتك هذه هي إجابته جل شأنه بلبيك ، فالدعاء عين الاستجابة، وإذا كان البلاء يجعلك قريبا من الله تناديه فيستجيب لك فكيف تفر من هذا البلاء؟! وإذا لم يكن لديك ذوق التلقي ، ألست تحس في حالات المرض والبلاء بأنك قريب من الله ؟! تكفيك اذن هذه اللذة ويكفيك هذا القرب ، وعلى هذا النسق العلاقة بين أولئك الحسان (المرشدين والأولياء) ومرضى القلوب (السالكين في طريق الحق ومرضى النفوس) وهم وإن لم يفصحوا إلا أن إشاراتهم (رسائلهم) تغني ، ففي الإشارة غنى عن العبارة ، وإلا فإن من القلب إلى القلب كوة ، ولا يوجد عاشق يفكر في معشوقه دون أن يفكر معشوقه فيه ، (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٣٩٦ - ٤٤١٥ وشروحها) وإذا كنت مغرما بالقصص والحكايات فاقرأ حكايات العشاق ، ففيها الكفاية ، فقط يجب أن تكون ناضجاً بقدر الكفاية ، ولست مغنياً نصف غنية على طريقة الترك في انضاج اللحم (انظر ٣٧٥١ من الكتاب الثالث) ، لكنك أيها السالك الذي لا يدرك عمق هذه المعاني ولا تصادف منك قلباً مفتوحاً قد عشت عمرك وتعلمت ما تعلمت ، لكنك كلما تعلمت ازددت فجاجة على فجاجتك، فعلمك الذي تتعلمه ليس من أجل الحق بل من أجل الخلق ، ذلك أنك سرت في طريق غير طريقه ، فكل من صار تلميذاً للحق صار أستاذاً ، أما الذي يسير في طريق آخر فيتجمد بل يسير القهقرى ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ وهناك من أضله الله على علم فمثله "كالكلب" ولا يصل حتى إلى مستوى البشر ، فلا أنت اتعظت بمهلك والديك ، ولا أنت اعتبرت بما جرى لك من أحداث في حياتك .

(١٧٨٧ – ١٧٩٠) : اللطيفة الموجودة فى هذه الأبيات مما رواه الأفلاكى عن مولانا أنه لقى راهباً فى الطريق فسأله : هل أنت أسن أو لحيتك قال الراهب : أنا أسن من لحيتى بعشرين عاماً ، فقال مولانا : أيها المسكين ما ظهر بعدك نضج وشد وأنت على ما أنت عليه تحضره السواد والفساد والسذاجة ، ويلك !! (فروزانفر ٢٠٨٠ مناقب العارفين للأفلاكى ، جـ ١ ، ص ١٣٩) وشهوة الثريد كناية عن شهوات الدنيا وتربية الجسد .

(١٧٩١ – ١٨٠٠) : الخطاب بالطبع ليس للراهب بل لكل من أضلتهم شهوة الحياة الدنيا من الغافلين العاكفين عليها : إنهم كلبن المخيض الحامض لم يقوموا باستخلاص التجليات الروحانية (الزيت) منه فيبقى على حالته ، وهم أيضاً كالعجين لم تنضجهم نار السلوك، بالرغم من طينتك أنت قد خمرها الحكيم العليم (انظر البيت١٢٢٢ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، وأنت كعشبة فى طين على رأس تل، ليست ثابتة أو ممتدة الجذور ، تهتز وتميل مع كل ريح (هوس) ، ولذلك فأنت مثل قوم موسى فى التيه ، لا وجه ولا طريق ولا هدف ولا أمل فى الوصول ، وما ذلك إلا لاتخاذهم العجل. قال تعالى ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الكافرين ﴾ (المائدة ٢٦) وما ذلك إلا لتمسكهم بالدنيا وقعودهم عن القتال مع موسى عليه السلام وقولهم له ﴿ إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ ، فها أنت مثلهم تهرول ، لكنك لا تصل إلى شئ ، ولن تصل إلى شئ ، ما دمت مثل قوم موسى الذين ﴿أشربوا فى قلوبهم العجل﴾ حتى ولو بقيت ثلاثمائة سنة ، وثلاثمائة سنة بصحبة أهل الكهف كانت كفيلة بتحويل كلب إلى مذكور مع الأولياء فى آية واحدة فى القرآن الكريم (عن العجل وقوم موسى انظر سورة طه آية ٨٨ وانظر البيت ٣٣٢٢ من الترجمة العربية للكتاب الرابع) وسوف تظل مثل قوم موسى إلا أن تطرد هيامك بالعجل من قلبك ، وتتوب إلى بارئك ، وتقوم بقتل نفسك التى بين جنبيك . حينئذ يتحول غضبه جل شأنه إلى لطف ونعمة ، لكن هذا لن يحدث ما دام الطبع

الحيوانى مسيطرا عليك جاعلاً الدنيا منتهى أملك ومبلغ علمك .

(١٨٠١ – ١٨٠٩) : إذا كنت تريد دليلاً على نعم الله عليك فاسأل أعضاءك هذه التى تظن أنها خرساء وهى فى الحقيقة مفصحة عن آلائه جل شأنه متحدثة بألف لسان ، اسألها تحدثك عن حياتها ، وتفصح لك عن نعم الله الذى رباها وأنشأها من العدم وابتلاها بالخير والشر فتنة ، ونمو الأعضاء وامتلاؤها ونضرتها إنما يدل على حال سرور ولذة حين خلقها وحين نموها ، ومن ثم فإنها تضمر وتزداد نحولاً عند الشدة والحزن ، وها هى أعضاؤك ماثلة أمامك ، لكن ذلك الإحساس باللذة والمتعة من هذا الخلق العظيم والذى يستوجب شكر النعمة انتفى عن حواسك الخمسة وعن عالمك المحسوس فبقيت غافلاً عنه ، وكل ما حولك فى الكون دليل على ذلك، والطبيعة تعلمك فأية نعمة زالت بزوال أسبابها الظاهرة ؟ ألا ينضج الصيف محصول القطن ويذهب الصيف ويبقى لك محصول القطن ؟! وألا يأتى الشتاء بالثلج ويمضى الشتاء ويبقى الثلج " الذى تحتفظ به" ؟ فهل القطن نعمة الصيف وهل الثلج من عطاء الشتاء . ؟

(١٨١٠ – ١٨١٦) : وهكذا أعضاؤك : كل عضو من هذه الأعضاء ينبئ عن نعمة كامنة فيه وهبها لك أحسن الخالقين ، والمرأة التى تلد الأبناء إنما نذكرها كل منهم بحالة خاصة من أحوال اللذة ، وتمضى اللذة وتظل آثارها ، ولماذا المرأة بالذات؟ إن كل شجرة تلد الثمار إنما تلدها بقدرة الواهب اللطيف وبأنعامه الإلهية الخافية ، فليس كل حمل برجل وامرأة ، ولديك حمل مريم البتول عليها السلام (انظر الآيات ١٦–١٨ من سورة مريم والأبيات ٣٧٠٢–٣٧٠٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) والنار ألا توضع تحت الماء ومع ذلك يكون من آثارها ذلك الزبد الذى يغلى؟ .

(١٨١٧ – ١٨٢٩) : هذه الأعضاء التى تحسبها جماداً تكون من قبيل آخر عند أولئك السكارى بالوصال الإلهى ، إذ أنها تحمل صور الأحوال التى تمر بها حالاً بعد حال،

والخطاب الإلهى الملئ باللطف يناديها أولاً بأول ويكشف لها الأحوال ، لكنها لا تستطيع أن تعبر عما تدركه الأبصار أو تسمعه الآذان ، فهى "مواليد" لكنها ليست من أركان الدنيا الأربعة ، ويعود مولانا فيقول : أية مواليد ، إن مواليد هنا لفظ تقريبى فحسب من أجل الإرشاد والتعليم ، لكنها فى الحقيقة تجليات ، ومن الأوفق هنا الصمت فآفة الحال المقال ، ودع سلطان المقال ومليكه (الحق) ليتحدث ، ولا تتفاصح فإن هذا الصنف من الناس لن يدرك شيئاً مما تقول ، إنه ممتلئ وجداً وهياماً يسمع حديثاً من غير قبيل حديثك ، فانضم أنت أيضاً إلى السامعين ، وهذان الصنفان : الجسمانى والروحانى من آثار الوصال كلاهما له جماله الخاص به ، وانظر إلى مظاهر الطبيعة من حولك موت وحشر ونشر ثم موت وحشر ونشر ، تتوالى الفصول ، فهذا الصيف المتجدد يذكرك بالشتاء ورياحه الباردة وزمهريره القارس ، وهذه الفاكهة الموجودة فى الشتاء تذكرك باللطف الإلهى الذى أنضجها فى الصيف ، وتذكرك بالشمس عندما تبسمت وأخصبت عرائس الرياض، فأولدتها وردا وريحانا وفاكة وأبا .

(١٨٣١ - ١٨٤٠) : إنك لو كنت ماهراً ذكياً عميق الفكر ، إذا إجتاحك الحزن من هذا التمزق الذى تعايشه بين الأرضى والسماوى ، فإنك تستطيع أن تخاطب هذا الحزن قائلاً : أيها الحزن المنكر للعطايا الإلهية ، إن لم تكن هذه الألطاف الإلهية منصبة عليك ، فلماذا فى كل لحظة يتنضر وجودك ويتجدد دمك ، وتنهمر عليك الأفكار ، وما هذه الأفكار منك إلا عصارة هذه الالطافات، وهى من زهر وجودك المتجدد كماء الورد من الورد ، فهل ينكر ماء الورد (الفكر) الألطاف الإلهية (الورد) ؟ إن الكافر المتخلق بأخلاق القردة تكون أقل نعمة من هذه النعم الروحانية حراماً عليه ، لكن أولئك الذين يتخلقون بأخلاق الأنبياء فلهم النور ولهم الغيث ، والشكر مهما كان البلاء من أخلاق الأنبياء ، أما القردة والخنازير وعبد الطاغوت قديدنهم الجدل مع الخالق والعاطى ، وانظر إلى عاقبة هؤلاء وعاقبة أولئك ، ولا تغرنك المظاهر ، فالعمران ملئ بالكلاب المسعورة والخراب ملئ بالكنوز المدفونة ، وهذه المظاهر

هى التى تضلل عبدة الظاهر من الفلاسفة الذين لا يجاوزون حواسهم، فلا تتذاكى ، فإن أولئك الذين يظنون أنهم يشقون الشعرة من ذكائهم ومهارتهم ، هم أولئك المدموغون بالله (سنسمه على الخرطوم- انظر البيت ١٤٣٤ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(١٨٤١) : كلمة بقية المذكورة فى العنوان لا محل لها إذ لا توجد أجزاء من القصة فى الكتاب الذى بين أيدينا أو فى كتاب آخر من كتب المثنوى . ولعله يشير إلى أن حكاية أخرى فى هذا المجال قد سبقت فى الكتاب الثالث وسوف يشير إلى هذا الأمر فى البيتين ١٨٤٨ ، ١٨٤٩ . ومجال القصة هنا التذاكى والشطط حيث انتقل من الحديث عن الفلاسفة إلى الحكاية ، فهم من تذاكيهم وشططهم يقعون بعيداً عن الحقيقة مثل رامى السهم الذى كلما شد القوس أكثر ليلقى السهم بعيداً ابتعد عن الكنز الذى يقع تحت موطئ قدمه ، والقصة ذات أصل فى مقالات شمس الدين التبريزى (كل من هو أكثر فضلاً أبعد عن المقصود ، كل من هو أكثر غموضاً فى فكره أكثر بعداً ، هذا عمل القلب ليس عمل المخ) (مقالات شمس تبريزى بتصحيح محمد على موحد ٧٥/١) كما يعلق مولانا شمس على الحكاية تعليقاً آخر "كل من ألقى السهم أبعد كان أكثر حرماناً إذ تبقى خطوة واحدة حتى يصل إلى الكنز ، فأية خطوة فى حد ذاتها ، وأية خطوة هذه) (مقالات شمس تبريزى ٧٦/١) وهذا ما عبر عنه أبو اليزيد البسطامى بتعبير آخر "خطوة من جهدنا وخطوة أخرى بأمر الحق" وقد أشار مولانا إلى نفس هذا التعبير فى المثنوى (البيت ١٥٥٠ من الكتاب الرابع) (انظر استعلامى ٣١١/٦) .

(١٨٤٨ - ١٨٤٩) : إشارة إلى حكاية الذى كان يطلب رزقاً حلالاً بلا كسب فى عهد داود النبى الواردة فى الكتاب الثالث من المثنوى الأبيات ٢٣٠٨-٢٥٠٥).

(١٨٥٤ - ١٨٥٩) : الخفض والرفع هنا كناية عن ظهور مظاهر القدرة الإلهية على الخلق بأشكال متفاوتة وكلها خير وبقدر الحاجة ، والمزاج الممتزج هو جريان الحياة الجسدية المبنية على أربعة من الأمزجة قائمة على العناصر الأربعة للوجود فى معتقد القدماء ، القدرة الإلهية

إذن هى التى تحكمها تقيم الوجود على هذه الأضداد ولا حافظ لها إلا اللطف الإلهى ، وكل هذا التضاد فتنة ﴿ يبلوكم بالخير والشر فتنة ﴾ ويرى بعض المفسرين أن الأبيات تعبر عن الحديث النبوى : {إن الله لا ينام ولا ينبغى أن ينام يخفض القسط ويرفعه} (استعلامى ٦/٣١٢) .

(١٨٦٠ – ١٨٧١) : أن الدنيا قائمة على جناحى الخير والشر ، ويؤمن مولانا جلال الدين على خلاف اعتقاد القدماء أن الأرض كرة معلقة فى الفضاء أو الأثير وفى البيت ٤٧٦٧ من الكتاب الذى بين أيدينا يخاطب الأرض مرة أخرى قائلاً "انهضى من بين الفلك أيتها الأرض" ولا يمكن أن يكون هذا التعبير إلا إذا اعتبر الأرض كرة معلقة فى الفضاء وفى موضوع آخر يردد مولانا هذا التعبير على لسان حكماء المدرسة دون أن يبدى اعتراضه أو تأييده (انظر الأبيات ٢٤٩٤-٢٥٠٠ من الكتاب الأول) ، إن من هذا الاختلاف فى أحوال الكون تكون الأرواح فى خوف أو فى رجاء ، ويكون أهل هذه الدنيا بين رياح الشمال ورياح السموم مرتعدين كأوراق الأشجار – ومن هذا الخوف تتولد الاختراعات ومشروعات العمران والتغلب على الطبيعة ، لكن الإنسان المعتمد على ذلك العالم الآخر لا خوف لديه ولا رجاء ولا رعدة ولا هزة لأنه يتحد بالوجود المطلق ولا لون هناك للوجود المطلق ، والوجود المطلق كأنه عالم من الملح يطهر ويمحو كل الألوان ، ومن هذا التعبير الإنجيلى تتداعى المعانى والصور ، فالدن ذو اللون الواحد هو دن عيسى عليه السلام الذى وضع فيه الثياب عندما عمل عند صباغ ومن هذا الدن ذى اللون الواحد كان يخرج كل ثوب مصبوغاً باللون الذى يطلبه صاحبه، وإذا كان الملح الحقيقى يقوم بمحو كل الألوان فما بالك بملح المعانى؟ إنها فى تجدد دائم ، ليس ذلك التجدد الذى هو ضد القديم ولكن ذلك التجدد الذى هو بلا نظير ولا ضد ولا ند ، فكلها مفاهيم مادية وليس هناك فى ذلك العالم موضع للمفاهيم المادية ، ولأضرب لك مثالاً بهذا التجدد ، وهذا اللون الواحد ، ألم يكن المصطفى ﷺ بنوره الإلهى دنا

ذا لون واحد اصطبغ به المجوسي والمسيحي واليهودى الذى أدخل فى دينه ، انه شمس السر ، والعالم ظلال وقد طوت هذه الشمس كل هذه الظلال .

(١٨٧٢ – ١٨٨٨) : لكن هناك اتحاداً في اللون على نسق آخر ، إنه يحدث في يوم الحشر ، حيث تبدو على ظاهر كل إنسان أفعاله وأقواله ، فالناس كما يعيشون يموتون ، وكما يموتون يحشرون ، والناس يبعثون على نياتهم (انظر ص ٣٦٦٤ من الكتاب الرابع و ٢٥٩٣ – ٢٦٠١ من الكتاب الخامس) ويشبه هذا أن تحول أفكارك إلى سطور مكتوبة على كتاب، أو أن تقلب الثوب فتصير بطانته هى وجهه ، تظهر البواطن آنذاك ملونة كأنها الثور الأرقط ، وتبدو الأمم بمئات المذاهب، لكنها تهدف جميعها إلى رؤية الحق، لكن لما كانت بواطنها على مئات الألوان فإن الخيط الذى يغزله ذلك المغزل يخرج على مائة لون ، لكن هذا الدور (وهو الفترة من الزمان التى يتميز بسمات معينة من الممكن أن تفصله عن دور آخر) هو دور تعدد القلوب وتعدد الألوان، هو دور غياب الإيمان: يوسف فى الجب والذئب فى القطيع ، وفرعون على دست الحكم ، وذلك من أجل أن تتمتع هذه الفئة بالرزق فترة من الزمن، ويلهيها الأمل الذى يهزأ منها ، هذا فى حين أن عظماء الرجال من الأولياء والمرشدين تظل داخل غابة الدنيا تنتظر النداء من الحق ، فتخرج من مكانها ، ويبدى اللـه سبحانه وتعالى الحق واضحاً وصريحاً وجلياً لا لبس فيه ، حينذاك يكون المحك والفيصل والمعيار هو جوهر روحه ، أما أولئك الكفار الذين يشبهون الثيران البلقاء لتلونهم وتلون بواطنهم ،فهم حصب جهنم ، وأهل الله يطفون فوق موج هذا الطوفان وكأنهم الطيور المائية ، وتذهب صقور الطريق إلى ساعد السلطان (الصورة وردت أيضاً فى ديوان شمس) أما الديدان فتذهب إلى البعر وإلى القاذورات ، فليس سكر الحكمـــــة جديـرا بالغراب وذلك كله مصداقاً للآية الكريمة ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ﴾ (الأنفال ٤٢) أى أن الله تعالى يبدى لهم حقيقتهم على ظواهرهم ثم يأخذهم بها أخذ عزيز مقتدر .

(١٨٨٩ – ١٨٩٦) : لا يليق كل شئ بكل إنسان ، وكل ميسر لما خلق له ، والمرء بقدر همته وسعيه وإرادته ، فالغرير لا يناسب قهر النفس ، والجهاد ليس من عمل المرأة (لهو ليس مقرر عليها شرعاً) ، وقليلٌ ما هن من بطلات الطريق مثل مريم عليها السلام ، وفي الحديث: الكمل من الرجال كثير ، ولم يكتمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران (أحاديث مثنوى / ٢٠٢) ومن هنا فأولئك الرجال ضعاف الإرادة سوف يبعثون يوم القيامة نساءً ، ذلك أن اليوم هو يوم العدل والجزاء ، حيث ينال كل إنسان ما طلبه ، ويؤوب كل امرئ إلى محل أوبته ، وكل شئ يجرى بشكل طبيعى جريان سنة الله في خلقه مثلما تبث الشمس حرارتها ، وينزل المطر من السحاب .

(١٨٩٧ – ١٩٠٠) : وعالم الدنيا مختلف عن عالم الآخرة تماما ، فإذا كان عالم الآخرة هو اللطف ، فإن عالم الدنيا هو عالم القهر وإذا اخترتها فقد اخترت القهر ، وانظر إلى الدنيا ، لمن دامت ؟! ولمن استمر نعيمها؟! وخفف الوطء فما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد، وانظر إلى فخاخها تأخذ بالطائر المحلق في الأعالي ، وما الذي تبقى من أهل الدنيا ؟! قبر محدوب الظهر لا تلبث أن تذروه الرياح .

(١٩٠١ – ١٩١٤) : مثلما يسر الله لكل إنسان ما خلق له ، يسر له أيضاً قرينه ، وكل من هو من جنسه (من شعر سعدى : كل طائر يطير في سرب من جنسه) وهكذا فالمرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل ، ومن هنا ، كان جلوس الرسول ﷺ وأنسه مع الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم ، بينما كان أبو جهل جليسا لعتبة وذى الخمار (الأسود العنسى) الذي أاعى النبوة في اليمن في أواخر عهد الرسول ﷺ ، وكل مخلوق وهمته ، فجبريل والملائكة ميالون تواقون إلى سدرة المنتهى ، وعبد بطنه تواق إلى المائدة ، أما العارف فيهفو إلى نور الوصال والمتفلسف يجرى وراء الخيالات التى يسوقها ، (انظر البيت ١١٢٨ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وهلم جرا ... فالله تعالى يرزق الإنسان الرزق بما جبل عليه طبعه ، يرزق العارف أنوارا من باطنه ، ويرزق كلاب الدنيا وعبادها برزق قيمته كماء النخالة الذي يوضع أمام

الكلاب ، وإذا كنت مقيما على طبعك راضيا به لا تبغى الانصراف عنه ، فلماذا إذن تنفر من هذا الرزق ؟! ولماذا لا تتصرف عنه إذن ؟! وإذا لم يكن فيك طبع الرجولة ، فعليك بثياب النساء ، وما أقرب إلى هذا إلى قول سنائى الغزنوى :

إنك لا تملك القدرة على الاستغناء فلا تهزل بأحاديث الدراويش

وإذا لم تكن لك وجوه العيارين فلا تقلع روحك كالأخساء عبثا

فاذهب كالنســـاء وتعامـــل مع العطـــور والأصبـــاغ

أو تعال كالرجـــال وألق بالكـــــرة في الميــــدان

(ديوان سنائى ، ص ٤٨٤)

(١٩١٥ – ١٩٢٨) : الحديث عن الكنوز المخبوءة كثير في أعمال الصوفية ، ولعل النظر هنا إلى الحديث القدسى " كنت كنزا مخفيا ، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى " ، (انظر البيت ٢٥٤١ وما بعده من الترجمة العربية للكتاب الرابع) (استعلامى ٣١٦/٦) إن ما رآه الفقير المتوسل لم يره في النوم ، فأين منه النوم وهذه الأحوال تتوالى عليه والواقعة هى التحول الباطنى الذي تنتج عن الأحوال ، وهذا الكنز مقسوم لذلك الذي داوم على الطاعة والضراعة ، ولو فشا أمره فلن ينال أحد منه مقدار حبة ، لكن الأمر قد يطول ، فلا تيأس ، واجعل وردك الدائم ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ (الزمر / ٥٣) . قال المولوى " فأراد بالكنز وبكتاب الكنز مرتبة الوحدة وخزينة الحقيقة ،وأراد بالرقعة الكتاب الذي كتبت فيه المعانى المتعلقة بالحقيقة وأسرارها التى هى كنز الحقيقة، وأراد بالدرويش الذي هو طالب الأرزاق المعنوية بلا تعب وهو إما أن يلاقى مرشداً يرشده وهذا لا يحتاج إلى كتاب كنز الحقيقة فإن المرشد له كتاب كنز الحقيقة، وإما يحتاج إلى كتاب كنز الحقيقة ولا يجد من يرشده إليه فهذا يتوجه إلى قاضى الحاجات لييسر له الأرزاق المعنوية " (مولوى ٢٧٤/٦) . لكن البشير لم يمض عن الدرويش إلا بعد أن أوصاه بأن يجاهد وألا يعتمد كل الاعتماد على هذه البشارات بل عليه أن يمضى ويجاهد .

(١٩٢٤ – ١٩٢٩) : بالرغم من أن الشاب لم يكن نائما ، إلا أن هذه الوقائع لا تظهر إلا في حالة .. ة ، لم يسعه جلده من الفرح ، لا لأنه وجد خريطة كنز بل لأن الله تعالى استجاب لدعائه من وراء الحجب (عن الدعاء والاستجابة وفرح العبد بالاستجابة لا بالعطاء ، انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٢٣٣٣ – ٢٣٣٥ والبيت ٢٣٨٩ وشروحها) بهذا الدليل أن الله سمع الدعاء يرتفع العبد من حضيض التراب إلى أوج الأفلاك ، لقد وجد الدليل على أن أذن الباطن وعين الباطن صارتا نافذتين من وراء الحجب وأن هذا الخطاب وهذه العلاقة سوف تستمر ولن تقتصر على هذه المرة الوحيدة .

(١٩٣٥ – ١٩٤٥) : لا يزال الفقير في حالة تردد : كيف يحفظ الله تعالى مثل هذه الخريطة في مسودات الوراق؟! " كيف يحفظ الأرواح العظيمة أرواح الأولياء والمرشدين في الخلق والخرق ؟! كيف يحفظ الكنوز في الخرابات ؟! وكيف حصل عليها اعتباطاً ، مهما جاهد العبد فإنه لابد وألا يدرك في نفسه أهليته لعطايا الله الممتدة المتواترة التي لا تعد ولا تحصى ؟!! إنها إرادة الخالق الذي يغمر بنور المعرفة قلب المؤمن دون أن يقرأ كتاباً من الكتب ، وانظر إلى موسى عليه السلام، ألم يكن يبحث عن الدليل والبرهان من الله لكي يصدقه فرعون والدليل في جيبه ، الدليل اليد البيضاء ، (انظر آية ٣٢ سورة القصص ، والعبارة ٦ من السفر الرابع ، سفر الخروج من التوراة) ، لكن : لا شئ يستبعد عن الإنسان، بل إن هذه السموات السامية ما هي إلا مجرد انعكاس لمدركات الإنسان (كل ما هو معروف عنها إنما هو من تصور الإنسان لها) . يقول السبزواري (شرح مثنوي ، ص ٤٥٠) :

> " أي أن حقيقة الأمر بخلاف ما يقوله بعض أهل العلم الذين يعتبرون مدركات الإنسان موجوداً ظلياً للأجسام ويعتبرونها انعكاسا لها وأمر الانعكاس على عكس هذا تماما لأن الإدراك والتعقل لا يكونان بأن تترقى صورهما وتحذف بالنفس الناطقة كما يقول بعضهم ، ولا هي تتأتى للعقل بالمشاركة أو عن

طريق نزول النفس على الشكل الباقى والصورى من العقل الفعال أو عالم الذكر الحكيم في الباطن بل إن النفس الناطقة تصعد وتتصل بل وتتحد وتفنى في الأرواح المرجدة وتصير عالمة بعلمها وتلك العلوم قبل الكون ومنشأ الكون وخصوصاً عند أهل الإشراق القديم والمتألهة والإشراقيين الإسلاميين مثل صدر المتألهين الشيرازى صاحب الأسفار إن إدراك الكليات العقلية بمشاهدة العقل ذوات نورية وبالنسبة لعقول الطبقة المكافئة وجود محيط بكل كلى عقلى وذات نورانية ومجردة أزلية وأبدية وباقية ببقاء الحق تعالى "

وبعبارة أخرى : أليست من مدركات عقل الإنسان الذي فاض عن العقل الكلى الذي هو أول خلق الله (أول ما خلق الله العقل) إياك أن تظن أن هذا الكلام واضح ، وإلا فكيف أفشى أسرار العنقاء أمام الذباب ؟! (فى شعر حافظ : ليست العنقاء صيدا لأحد فلملم شبكتك) (عن استعلامى ٣١٧/٦) .

(١٩٧٣ - ١٩٨١) : إن العقل هو الذي ييأس ويحبط ويمضى عن طريق لا فائدة ميسرة منه ، أما العشق ، فهو لا يبالى وصل أو فصل ، فاللذة في الطريق وليست في الوصول ، في مجرد الطلب والرجاء ، في الصبر والمشقة ، فالعقل باحث عن النفع والعشق باحث عن البلاء ، روى عن العطار : " أن رجلين أحدهما عاقل والثانى عاشق قرآ كتابًا بأن في المحل الفلانى خزينة لا تفنى، وعندها محبوب أوصافه لا تشرح وإن لم يوجد هناك، اذهب يا هذا من هذا المقام تجد : الطريق على ثلاثة أحجار، مكتوب على الأول : يا ذاهب الطريق إن ذهبت على هذا الطريق لا تجد خزينة ولا محبوباً لكن قدامك بلدة إن ذهبت إليها تجد كارا (أى عملا)، وعلى الثانى إما لا تجد محبوبك أو لا تجده ، وعلى الثالث : إن ذهبت على هذا الطريق تمحى ، فتشاورا ، فقال العاقل لا أذهب إلى طريق الفناء ، لأن نتيجته غير معلومة ،

فأنا أذهب جانب ذاك الطريق الذي نتيجته بلدة عظيمة ، وقال العاشق : أنا متضجر من نفسى بعلة العشق لأنى لم أجد محبوبى ، فأذهب جانب الفناء والمحو فذهب ووجد محبوبه والكنز " (مولوى ٦/٣٨١) ولأن العاشق هكذا فإن الحق يعطيه بلا سبب ظاهر ولا دليل ولا وسيلة أي خرقا للأسباب والعلل ، ولذلك فالعاشق يقامر بكل وجوده بطهر (لا يبغى عوضا ولا منفعة) وربما يكون المعنى مشتقاً من الحديث القدسى : الفتوة أن ترد نفسك إلى طاهرة كما قبلتها منى طاهرة " . وهذه المقامرة بطهر ينبغى أن تكون خارجة عن أى مذهب (التعصب للمذهب عقبة في الطريق) ، إنه بحث عن الخلاص لا عن المخلص ، كما أن العشاق لا يمتحنون ربهم ، (عن امتحان العبد لله انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٣٥٣ - ٣٨٦ وشروحها) إنهم يضحون فحسب لأنهم يعلمون أن في فنائهم بقاء بالحق (انظر البقاء في الفناء مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) .

(١٩٨٤ - ١٩٩٠) : فرق إذن بين الملك (العاقل) والفقير (العاشق) ، فإن الملك سرعان ما مل برغم انه لم يكن يعمل بنفسه ، الفقير لم يمل ، كان يستعذب الألم ، مثلما يلعق كلب جراحه بلسانه ليقوم بتسكينها ، والعاشق يعكف على آلامه لا يستطيع حتى أن يبوح بها : فمن يا ترى يمكن أن يكون مقدرا لآلام العاشق والوجد لا يدركه إلا من يكابده ؟! وأي دواء يمكن أن يقدمه طبيب لجنون العشق ، والطبيب نفسه إن أصيب بهذا المرض لكفر بكل كتب الطب ولمحاها بدمه ؟! وكيف والطب ناتج عن العقل والعقول كلها من تصوير هذا المعشوق ؟! والحسان كلهم مجرد قناع حسن أمام حسنه (لجرعة الحسن التى تمثل بها البشر وتشر بها كل الحسان ، انظر الكتاب الخامس ، الترجمة العربية ، الأبيات ٣٧٢-٣٧٩ وشروحها) فليس أمامك إذن أيها العاشق إلا أن تشكو حزنك وهمك لنفسك .

(١٩٩١ - ١٩٩٦) : ومن هنا فأن ذلك الفقير قد أخذ في الدعاء ، والدعاء سعى (انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية ، الأبيات ٢٣٢٠ - ٢٣٤٠ وشروحها) وكان

يسمع الاستجابة في قلبه (انظر بيان أن قول المتضرع يا الله هو عين قول الحق لبيك ، الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ١٨٩ – ١٩٩ وشروحها) ، إن الداعى للحق يظل على دعائه مهما لم يستجب له ، إنه تماما مثل الحمامة التى ألفت سطح منزل مهما تزجرها تعود إليه .

(١٩٩٧ – ٢٠٠٤) : الخطاب من مولانا جلال الدين لمريديه وملهمه وخليفته على الطريقة حسن حسام الدين : يا حسام الدين ازجر ذلك المريد الذي ألف صحبتك كما تألف الحمامة سطح منزل من المنازل (يفسر استعلامى ٣٢١/٦ بأن جلال الدين يقصد بالحمامة هنا نفسه ، وهذا ليس معقولا إلا من قبيل التعبير المعكوس الذي يلجأ إليه مولانا أحيانا) ثم يخاطب المستمع عموماً : إن طائر الروح لا يزال يحوم حولك مهما زجرته ما دمت من أهل الروح . إنها لا تستطيع إلا تعكف عليه وإلا كانت مستحقة للعقاب في قانون العشق حتى تعود من عشق التراب (الجسد) إلى عشق القمر ، إلى مليك العشق .

(٢٠٠٥ – ٢١٠٣) : يقول مولانا مخاطباً حسن حسام الدين : أنت منتهى سيرى مثلما كانت السدرة في ليلة المعراج منتهى سير جبريل ﷺ ، فقال للرسول ﷺ : تقدم فلو تقدمت أنا قيد أنملة لاحترقت ، وأنت عيسى الطريق وأنا سقيم وهو هنا يعبر عن حسن حسام الدين الواسطة والوسيلة إلى عالم اللاهوت تجدد فيه الحياة وتحيى موات قلبه، (مثلما كان عيسى ﷺ يحيى الموتى) ، وأنت يا حسن تستطيع بجذبك أن تجعل بحر المعانى يجيش ويغلى في داخلي ويتحول إلى أشعار ، إنني في بحران ، وعندما تكون أنت لى فإن بحر المعانى يكون لى ، إن هذا الأنين يظهر بعض المعانى ، لكن الغياث يا الله من معان لا يستطيع البيان أن يعبر عنها ، عن أبى هريرة ﷺ : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين من العلوم فبثثت أحدهما ولم أبث الآخر ، فلو بثثته لقطع هذا البلعوم منى " (مولوى ٣٨٦/٦) . ولا تستطيع الألفاظ أن تستوعبها ، ونحن كالناى ، له

طرفان ، طرف فـي الفم (افتتاحية المثنوى : بشنو ازنى : استمع إلـى النـاى) وطـرف آخـر هو ما تسمع مـنه هذه الأنغام ، لكن حذار : إنـنى أقصد بالناحيتين الناحية الـتى تكـون فـي فم نافخ الناى ، وناحية أخرى فـي الطرف الآخـر ، فكـل مـا يبثـه النـاى قـادم مـن الطـرف الآخر ، هو مـن أنفاسه ، وإن لم يكن لهذا الناى حديث معه لما فاض مـنه هذه الشهد الزلال. (٢٠١٤ - ٢٠٣١) : يقطع مولانا استرسـاله كالعـادة خشية الانـزلاق إلـى الـتعبـير عمـا لا ينبغى الـتعبـير عـنه ، ما الباعث يا ترى إلـى أن ينفجـر هـذا البحـر مـن المعـانى مـنك ؟! تراك بت بالأمس عـند ربك يطعمك ويـسقـيك مصداقا للحديث النوبى الشريف { أنـا لسـت كأحدكم فـأنى أبيت عـند ربـى يطعمـنى ويـسقـينى " (انظـر البـيت ١٦٤٢ مـن الـكتاب الرابع) وكان مـن نـتيجة ذلك أن سقت بحر عـالم الغيب ، بحـر النـار فـي بحـر المعـانى ، فـانقـلبت كنار إبراهيم عليه السلام بردا وسلاما ؟! إن أحـدا لا يـستطيع أن ينكـرك يـا حسـام الديـن فمثـله كمثـل مـن يخفى الشمس بقبضة مـن الطين، وهل يـستطيع البشر العاديون العـاكفون علـى الطين إخفاء الشمس ؟! ومـن شمسك يتحـول الحجـر فـي الجبـل إلـى يـاقوت ، وإن أبطالا مـن أمثال رستم هم الذيـن يـستطيعون تقديـر بطولـتك حق قدرهـا ، وكيـف أتحـدث بأسرارك إلـى الناس ، وما أحوجنـى إن أردت أن افصـح عـن أسرارك أن ألجـأ إلـى فعـل علـى رضي الله عنه عـندما أراد أن يثبت سرا فطأطأ رأسه فـي بئر وأخفـى بالسـر ، (يقـول استعلامي أن الرواية سقطت إلـى مولانا جلال الديـن مـن العطـار فـي مـنطق الطـير وانظـر البـيت ٢٢٣٣ مـن الـكتاب الرابـع وشـروحه وأضيـف هنـا أن هنـاك إشـارة أخـرى لسـنائى علـى الحادثة وردت فـي الحديقة فـي البيت ٣٣٠٢) أما أنا وقـلبى ينوء بهذه الأسـرار إلا أنـنى أضرب بها بين الغوغاء وما أحوجنى إلـى أن أبثها فـي الخلاء ، فاعطنى شـراب العشـق ثـم انظر إلـى حالـى ، ولا تخرجنى مـن هذا السياق طالبا مـنى أن أكمـل لـك حكايـة الفـقـير والـكنز ، فنحن الأن غارقون فـي الشراب الإلهى ، ويا أيها الفـقـير الذي تود أن تصل عـن

طريق إكمالى الحكاية إلى كنزك ، لتعلم أنى لا أحس بذاتى ، فهذا الشراب الذي أحتسيه لا يستوعب شعرة من حطام الدنيا إلى جواره ، فقدمه أيها الساقى يا حسام الدين ، وأهزأ بأولئك الذين يتفنجون عليك ، إنه يقاوم ما لا سبيل إلى مقاومته ويقتلع لحيته عبثا ، فليخسأ عاذلك ، إن حيله واضحة وتزويره ظاهر للعيان .

(٢٠٣٢ - ٢٠٥٠) : إن ما يتأتى من عالم الغيب بعد مائة عام يراه الشيخ بحذافيره (إشارة إلى قصة تنبؤ أبى يزيد البسطامى بمولد أبى الحسن الخرقانى وصفاته وأماراته وشكله قبل مولده بأكثر من مائة عام ، أنظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٨٠٢ - ١٨٥٠ و ١٩٢٥ - ١٩٣٤ وشروحها) ومن هنا يكرر مولانا جلال الدين أن ما يراه العامى في المرآة يراه الشيخ في قطعة من الطوب اللبن ، والأجرد كناية عن المتجرد عن الدنيا والملتحى المنصرف عنها والبيت مثل سائر (انظر البيت ٣٥٦٦ من الكتاب الثالث) فدعك من كل هذا وامض إلى بحر المعانى ، ألست ابنا لآدم فما بالك تتحدث عن اللحى كثيرا وكأنك قذى اشتبك بشعرها؟! ولست قذى ، فأنت جوهرة عظيمة بل إنك تزرى بالجواهر العظيمة (لقيمة الإنسان انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع) ، إننى أقصد بالبحر بحر الوحدانية ، (افتتاحية المثنوى : ملّ هذا الماء من ليس بحوته ، البيت ١٧) وبما أن بحر الوحدانية لا يقبل الشرك فإن أسماكه ودرره سواء (ما للأنبياء للأولياء) والذي يرى تميزا بين فئة وأخرى هو الأحول ، لكننا مع ذلك نذكرهم كاثنين لفظا لأننا نخاطب مصابين بالحول لا يعرفون لغتنا، والأحدية تبدو لك عندما تتجه إلى منطقة الأحدية ، فإما أن تحدث مرة حديث العامة ، واصمت مرة ، فليس الخواص في حاجة إلى حديث ، أو تحدث حديث الخواص عندما تراهم ، واصمت أمام الجهال ، وكن كالدن المختوم الفوهة ، وإلا حطمتك حجارة جهلهم ، وتعامل مع هؤلاء الجهال بالمداراة ، واستخدم عقلك الموهوب من الله ، واصبر على ما يحيق بك من أذى الجهال

، فالصبر يصفى منك القلب ، ولتعتبر بنوح عليه السلام الذي كلما كان يمر على قومه سخروا منه ، فكان هذا الصبر جلاءً لمرآة قلبه وتجلى فيها النصر الإلهى .

(٢٠٥١) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت قال فروزانفر ونيكلسون (مآخذ / ٢٠٩) أن مصدرها كتاب تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ويرى استعلامى أن ما ورد بعد الحلاج فى تذكرة الأولياء يعد من إضافات النساخ ولا يمكن أن يحتوى على سيرة لأبى الحسن الخرقانى المتوفى سنة ٤٢٥ (٦/٣٢٢-٣٢٣) وهذا غريب ، فما العجب في أن يضمن العطار (المتوفى سنة ٦١٨) سيرة الخرقانى المتوفى سنة ٤٢٥ ؟! وفي رواية العطار يذكر أن الزائر كان أبا على بن سينا ، ولعل من المناسب أن يجعل مولانا الزائر مجرد درويش ، والحكاية تذكر هنا بنماذج عديدة في الأدب العالمى وفي تراث الإنسانية عن عظماء كانت آثارهم تملأ الآفاق وقعيدة المنزل لا ترى فيهم مايراه الآخرون (زوجة سقراط مثلا- ولأندريه جيد رواية عما كتبته زوجتان لأديب عظيم في سيرته بعد وفاته) ويضرب القرآن الكريم مثلا بالمرأة التى لا تدرك عظمة زوجها بامرأة نوح وامرأة لوط ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل أدخلا النار مع الداخلين ﴾ (التحريم /١٠) . كما يذكر جلبنارلى (6/330-333) نماذج أخرى من تاريخ المتصوفين الترك ، كما يذكر أسماء متصوفة آخرين اعتلوا الأسد.

(٢٠٦٨) : انظر الآية رقم ٦٨ من سورة طه ، والبيت ١٧٩٧ من الكتاب الذي بين أيدينا والبيت ٣٣٢٣ من الكتاب الرابع .

(٢٠٧٥ - ٢٠٩٠) : يتحدث الشاب عن قيمة الشيخ ، والعسس هنا كناية عن أولئك الذين يقفون في طريق العاشقين ، أفى وجود ضياء الشيخ يوجد العسس الذين يتجولون في ليل الظلمات ، ولهذا النور تسجد السموات ، إنه نور يفوق نور شمس الفلك فهو نور

شمس الحق وشمس الشمس ، التى تحل في كوكب حمل المعرفة ، فتصبح الدنيا بأجمعها ربيعا نضراً ، فمتى يحولنى الشيطان عن الطريق ؟! إن ما دفعنى إلى رحلتى رؤية الشيخ ليس هباء حتى يحولنى عنه مجرد حديث عابث فارغ (ريح) ، أي عجل؟! وأى سامرى ؟! هذا الذي تسمينه عجلا من جهلك سطعت عليه الأنوار الإلهية فصار قبلة للكرم، إن العجل صار معبودا لا لأنه عجل بل لأن السامرى نثر عليه قبضة من أثر الرسول (انظر البيت ٣٣٣٤ من الكتاب الرابع) وألم تكن القبلة بيتا للأصنام قبل أن يسطع عليها النور المحمدى ؟! وهذا الكلام الذي تقولينه لو أنه جرى على لسان أحد الكمل لما كان كفراً ؟! وألم يسلم الشيطان نفسه طبقاً للحديث النبوى { أسلم شيطانى على يدي } (انظر البيتين ٢٨٩ و ٢٩٠ من الكتاب الخامس) وهذا الذي تتحدثين عنه بهذه الاستهانة هو الخبير بحب الله على الحقيقة ، وهو مظهر للعزة الإلهية ، إنه أسمى من الملائكة المقربين (الإنسان أن تغلب على جانب الطين صار أسمى من الملائكة لأن الملائكة خير محض من الخليقة ولا فضل لهم على عبادتهم) وهكذا لم يكن سجود الملائكة لآدم عبثا بل لهذا السبب " والقشر يسجد للب " أى أن التجليات الصورية وهى بمثابة القشر تسجد خضوعاً للتجليات المعنوية (يكون القشر عادة متعفنا حول اللب وكأنه ساجد) (استعلامى ٣٢٥/٦) روى عن نجم الدين كبرى " قال أبو الحسن الخرقانى : صعدت إلى العرش لأطوف به فطفت عليه ألف طواف ورأيت قوما يطوفون حول العرش فعجبوا من سرعة طواقى وما أعجبنى طوافهم ، فقلت من أنتم وما هذه البرودة في الطواف ؟! قالوا : نحن ملائكة ونحن نور وهذا طبعنا ، فقالوا : ومن أنت وما هذه السرعة ؟! فقلت : أنا آدمي فيّ نار ونور وهذه السرعة من نتائج نار الشوق (مولوى : ٣٩٨/٦) . والبيت ٢٠٨٥ إشارة إلى مضمون الآية ٨ من سورة الصف ، والبحر لا يصير نجسا من فم كلب مثل فارسى سائر ، غريب حقا أن ينكر إنسان هذا النور ، لأنه في حالة الشيخ

أظهر من أن يحتاج إلى عين باطنة أو سير وسلوك ، لكن هذا هو حال الخفاش لا يستطيع أن يخرج في ضوء الشمس، فينكر هذه الشمس مع أن نورها يملأ الآفاق (تكرر المثال كثيرا في المثنوى ، انظر على سبيل المثال لا الحصر الأبيات ١٠٧ و ١٨٤ و ٦٨٦ وشروحها من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(٢٠٩١ – ٢٠٩٩) : يستمر جواب الدرويش على زوجة الشيخ ، وهو في الحقيقة إفاضات مولانا جلال الدين ، إن أرواح رجال الحق هى بمثابة الأمواج العالية التى تبلغ أضعاف أضعاف طوفان نوح، ومع ذلك فقد أنكرها واستهان بها ابن نوح (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٣٣٦١ – ٣٣٦٧) ، " والكلاب تنبح والقافلة تسير " مثل عربى تكرر في المثنوى أكثر من مرة (انظر ١٤٦٥ – ١٤٦٧ من الكتاب الرابع والبيت ١٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، والجزء هو الروح الباحثة عن الله وهى مقام الشيخ الخرقانى ، "وعجوز في الغابرين " ، هى زوجة الشيخ وهنا إيماءة إلى زوج لوط التى لم تؤمن به ، فنجى وقومه إلا إياها ، إن العارف هو روح الشرع وروح التقوى ، أى هو المنتهى والحقيقة للتقوى ، ولم يصل إلى ما وصل إليه إلا بعد عمر من الزهد ، وما وصله إلى الحقيقة إلا حصاد غرس الزهد الذي غرسه .

(٢١٠٠ – ٢١١٠): لا يزال مولانا في الحقيقة هو الذي يتحدث على لسان الدرويش عن مقام الشيخ : إن الشيخ هو الأمر بالمعروف ، بل هو المعروف نفسه ، إنه هو الذي يكشف أسرار الغيب ، بل هو نفسه سر الغيب ، ولعله ناظر إلى الحديث القدسى " الإنسان سر من أسرارى " (استعلامى ٦/٣٢٥) إنه ملك الدنيا وملك الآخرة ، هو اللب وما سواه قشر وغثاء ، إنه المعبر عن الوحدة مع الحق بقوله " أنا الحق " (الحسين بن منصور الحلاج) (انظر لتفصيلات أخرى عن الفكرة الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٢١٠٢ – ٢١٣٤ وشروحها) وماذا يبقى بعد فناء العبد إلا الحق ؟! (انظر مقدمة الترجمة

العربية على الكتاب الثالث ، وانظر عن لا و إلا الكتاب الأول ، البيت ٣٠٦٧ والترجمة العربية للكتاب الخامس البيت ٥٩٠) ، ثم يعود إلى المرأة ، وإلى كل منكر لمقام العارف متطاولا عليه ،فكأنه يبصق على القمر ، فترتد بصقته إلى وجهه ولا يلحق بمقام القمر أدنى أذى ، ومن الإله تنهمر عليه اللعنات وكأنها زوج أبى لهب التي لا يفتأ المؤمنون في ترديد اللعنة عليها حتى يوم الدين كلما قرأوا ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ ، إن علامات العظمة وإمارات النور الإلهى بادية على الولى ، وكل من يعتبره شرها وأكولا ، لا يزيد عن كلب ، وبما أن ما هو للنبى يكون للولى ، فأن الأفلاك إنما تدور من أجله ، بل وخلقت من أجله ، ألم يقل الله لنبيه " لولاك ما خلقت الأفلاك " (انظر ١٦٦٨ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، إنه رحمة العالمين ، وبأمثالهم ترزقون ، فكأن العالم كله يطلب منه القوت ، فكيف يكون متسولا وآكلا بالمجان ؟! (انظر الكتاب الخامس الأبيات ٢٣٤١ - ٢٣٦٢ وشروحها) .

(٢١١١ - ٢١١٨) : إنك ترينه متسولا شحاذا وذلك لأن الأمور معكوسة (انظر لتفصيل الفكرة الولى الشحاذ ، الكتاب الخامس ، الترجمة العربية من ٢٧٠٠ - ٢٧١٠ وشروحها) إنه زبدة الأرواح كما تجد به كل المخلوقات زبدتها وكمالها (تجد البحار الدر والأرض الكنوز والزهور) إن إعطاء الصدقة ليس دليلا على غنى المتصدق وعلى فقر المتصدق عليه ، فالأغنياء في حاجة إلى عناية الدراويش . ولحافظ :

أيها الغنى لا تبد كل هذه العنجهية والكبرياء فالرأس والذهب في كنف همة الدرويش

(عن استعلامى ٣٢٦/٦)

فالزكاة في الحقيقة تزكية للغنى وليست للفقير ، ومن هنا اشتق اسمها .

(٢١٣٦ - ٢١٣٨) : المقصود أن كل رجال الله يتميزون بهذه القدرات الروحانية ، كرامات الأولياء حينا محسوسة ومنظورة وحينا مكتومة وخفية " فالأنبياء مأمورون بإظهار

المعجزة والأولياء مأمورن بإخفاء الكرامة " (أسر التوحيد في مقامات أبى سعيد ، تأليف محمد بن المنور ، عن استعلامى ٦/٣٢٧) .

(٢١٤٤) : أى أن تحمله للمرأة ليس من أجل إشباع الشهوة ، (فى البيت ٢١٥٠ تصريح بالمعنى) وكل ما يتوجه به الشيخ أبى الحسن الخرقانى إلى المريد ، لأن المريد وهو في الطريق إليه داخل الوسواس عن كيفية تحمل الشيخ لمثل هذه المرأة .

(٢١٤٦ - ٢١٥٩): عن سكر الجمل ، انظر الأبيات ٨١٨ - ٨٢٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث وشروحها ، والعوام هنا المقصود بهم زوجة أبى الحسن الخرقانى التى لا تدرك سر عظمة الشيخ بالرغم من أنها تعيش معه تحت سقف واحد ، والولى الحقيقى هو الذي لا يهتم بالعوام أو بالخواص ، بل يكون سره وصحوه وسكره وغيبته وحضوره مع الله ، وهذه العوالم التى يقطعها الشيخ ، ملحمة ذات كر وفر لا نهاية لها ، إلا ذلك المتضوع الذي يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (النور /٤٣) ، فما بالك بوجوده وذاته وهو نور خالص ، وهذا النور لا يقبل الوصف ، بل كل ما تقدمه نحن عند الحديث عنه مجرد أقوال تنزل بمستواها من أجل أن يفهم المريد ، ويتعلم ، ويتحمل أثقال الخلق ، ويصل عن طريقها إلى سنن الأنبياء ، أولئك الذين ذاقوا من بلايا الكفار والأخساء الكثير ، ولولا هذا ما نصروا ، ولولا هذا ما تجلت الحقيقة الإلهية ، لأن الضد يتجلى بالضد وليس للحقيقة الإلهية ضد ، وإنما يظهر ضد عطاياه في البلايا التى يصبها أعداؤه على أصفيائه ، فيكون تجليه في قلوب أصفيائه رد فعل لهذه البلايا من أولئك وصبر هؤلاء (أنظر الأبيات ١٠٠- ١٠٩ وشروحها) .

(٢١٦٠ - ٢١٧٦) : وفيما عدا الحقيقة الإلهية (التى لا ضد لها ولاند) فإن الله سبحانه وتعالى يظهر كل شئ بضده ، هذه هى سنة الله في خلقه ، لقد خلق الإنسان مظهرا لتجليه ، فهو الخليفة ، وهو صاحب الصدر في كل المخلوقات ، نفخ فيه من روحه ،

وهذا هو الصفاء الذي لا حدود له ، لكنه في الوقت نفسه جعل له ضدا من إبليس وظلمه وكدره وعصيانه ، يقف له كل مرصد ويجرى فيه مجرى الدم ، ولذلك حتى يقوم الصراع المستمر الذي يظهر فيه جوهر الإنسان ، وتتجلى فيه قدراته ، وهكذا تستمر الأضداد في كل دورة من دورات الخلق : هابيل وقابيل ، إبراهيم عليه السلام والنمرود ، ثم موسى عليه السلام وفرعون ، ثم محمد المصطفى ﷺ وأبى جهل ، ولكى يفصل الله تعالى في هذه الحروب ، كان لابد وأن ينصر أنبياءه بوسائل غير دنيوية وغير صورية (فالله يتجلى في مقابل جفاء الكفار وغلظتهم وعدتهم وعتادهم) فسلب من النار صفة الإحراق فلم تحرق إبراهيم عليه السلام، وجعل الصيحة نكرا على قوم ثمود ، وأرسل الصرصر على قوم عاد ، والأرض المستوية التى تحفظ ما عليها ساخت بقارون ، إنها كلها تجليات لغضب الله ، وميدانها الإنسان وهذه الحرب المستمرة بين الخير والشر ، هى نفس الفكرة التى أقام عليها الفليسوف المعاصر على شريعتى فلسفة التاريخ عنده على أساس أنه صراع بين التوحيد والشرك أو بين الأنبياء الرعاة والفراعين والملأ والمترفين ، انظر(إسلام شناسى ٤١/١) .

و يقول مولانا جلال الدين أن الولاية بعد النبوة إذن ففى كل دورة ولى قائم (الكتاب الثانى ، البيت ٨١٨)

(٢١٧٧ - ٢١٨٦) : ولا يكون تجلى الحق في هذه الحروب المصيرية فحسب ، بل انظر إلى قهره عندما يحل بسائر البشر ، فيحول الدواء إلى داء ، وما يمد الجسد بالحياة إلى سبب للموت ، فيغص الحلق باللقمة ، ويختنق آكلها ، وتصبح الملابس التى تقى الحر والبرد والبأس ثقلا على الجسد فيتجرد منها لابسها ، وماذا تجديك هذه الأمثال وأنت لم تنضج بعد (لم تصل إلى مستوى جرتى ماء لا تنجس إذا غسل فيها شئ نجس كما يقول الفقهاء ، بل أنت جرة واحدة) ، ولو كنت ممن يعتبرون ويتعظون لاعتبرت بعذاب يوم الظلة الذي حاق بقوم شعيب (انظر ١٨٩ من سورة الشعراء) حيث سطعت عليهم شمس حامية سبعة

أيام ، ثم أظلـتهم سحابة ، فلما احتموا بها أمطرتهم نارا ، فلما لجأوا إلـى بيوتهم لم تمـنحهم الظل الذي كانوا يرجون (مولوى ٦/٣١٠) ، وأهرعوا إلـى شعيب ﷺ ولـكن هيهات ، وإن كنـت تريـد تفصيلات عما حاق بهم فارجع إلـى كتب الـتفاسير ، وإن لم يكن ثم قهر الله ، فمتى كان لعصا أن تلحق بفرعون علـى جبروته كـل هذا العذاب والهوان ، وألا يكفيك هـذا المثال ؟! .

(٢١٨٧ – ٢١٩٧) :إن فعل الله يحدث بشكـل قد لا يـستطيع أن تـدركه ، إنه سريع ولا يصدق ، بحيث أنك لا تستطيع أن تبصره ، إن لـك نظرا وإدراكا باطنا لـكنه صدئ مـن قـلة الاستخدام ، عين آسنة متجمدة فارجع البصـر ، تحـرك ، وارجـع البصـر كرتيـن ، وإلا فـإن استخدامك لهذه العين الآسنة لا يوصلك لشئ ، وإمعـان النظـر يحتـاج إلـى إيمـان بـالغيب ، وبدون هذا تكـون كـل أعمالـك دقـا للحديـد البـارد ، فـاحمل حديـدك إلـى داود الإرشـاد والطريق فـقد ﴿ ألنا له الحديـد ﴾ ، فالمرشد هو النار للحديـد البـارد ، وهـو إسرافـيل نـافخ الصور للأجساد الميتة ، وهو شمس الروح للقـلوب المتجمدة، تذيب ما ران عليها مـن صـدأ الجسد ، لكنك مع كـل ما أقوله لك تترك كـل ذلك ، ومـن الأوهام والخيالات الـتى الـتفت بك وطمست عين إدراكك ، وختمت علـى قـلبك، لـتسرع نحـو ذلـك الـذي تجد عـنده علم المحسـوسات ، مـع أنـه نفسـه أعمـى مثـلـك وقد يكون أكثر ضـلالا مـنك ، فـهيا أيهـا السـوفسطائى ، أو أيها المستنجد به، املأ فمك بالكـلمات الضخمة ، وتفيهق ، واهزل ، لكن لا تتحدث بهذا إلـى الخلق وإلا كان الأمر فضيحة ، ويعود مولانا فـيبين أن النظـر بالحركـة وإمعان النظر أى تحريكه ، فـالروح عـندما تكـون فـي البـدن تسمى (جـان) لـكنها عـندما تخرج مـن البدن تسمى روان (ومـن معانيها فـي الفارسية الجارى والسائل والماشى) ، وهذا هـو الفرق بـين الجمـود والحركـة ، هكـذا قـال الحكيـم ، (قـال استعلامى ٦/٣٣٠ أن بعـض المفسرين ذكـروا أن الحكيـم المقصـود هنـا هـو ابـن سينا الـذي سـمى الـروح (جـان) بـالروح

الحيوانية والروح (روان) بالنفس الناطقة) ويرى مولوى (٦/٣١٢ أن المقصود هو سنائى) ، وذلك أن كل من هو متصل بالأمر فإنما تخرق له الأسباب والعلل ، فلو أراد الورد من الشوك لكان له ، وليس له أن يطلب الأشياء من أسبابها كما يفعل سائر البشر غير الواصلين .

(٢١٩٨ – ٢٢١٠) : إن معجزة هود عليه السلام دليل على قدرة رجال الحق الممنوحة لهم من الله ، فعندما سلطت عليهم الريح الصرصر ، رسم هود دائرة حول المؤمنين ، فلم تكن الريح تصيبهم بأدنى أذى ، وهكذا فاعلم أن سفينة نوح عليه السلام ليست على سبيل النجاة الوحيد، كما أن طوفان نوح ليس الطوفان الوحيد فهناك أنواع عديدة من الطوفانات ولطف الله لاحق بكل شئ ، والملك في الأرض أمان لها ، فالجنود يصطفون بناءً على حرص الملك للفتوح ولتثبيت الملك ، فيكون الأمان للخلق ، ومن قصد الملك رسوخ الملك ، إذ لا رسوخ للملك دون أمان للناس ، وفي خوف حمار الطاحون من الضرب يكون ذلك الماء ؛ ويكون ذلك طحن الحبوب واستخراج الزيت منها ، والخوف هو الذي يحرك الثور لجر المتاع وليس بهدف جر المتاع ، وهكذا من الخوف جعل الله لك المنافع في هذه الدنيا ، هذا الخوف والرجاء هما عماد العالم ، فرجاء التاجر في الكسب هو الذي "يسمره" في حانوته ، وليس إصلاح العالم هدفا له ، إن كل العالم ملئ بالراجين في النفع والخائفين من العقاب ، وإذا قام كل منهم بواجبه لانتظمت أمور هذا العالم تلقائياً ، ولا تظنن أن الطالح فقط هو الذي يخاف فالصالح أيضاً يخاف ، ولولا ذلك ما قال سيد الصالحين { إلا أن يتغمدنى الله برحمته } ، والخوف هو أيضاً عطية من الله تعالى ، وإلا فهل يخاف الإنسان من نفسه ؟!

(٢٢١١ – ٢٢٢٤) : إن ذلك الذي بعث هذا الخوف في نفوسنا لا يدرك بالحواس الظاهرة ، لكنه أقرب إلينا من حبل الوريد ، ولا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو

اللطيف الخبير ، ولو كان الأمر بالبصر الحدسى لكان لكل دابة ما أدركه ولى عظيم مثل أبى اليزيد البسطامى ؛ فذلك الذي جعل هذا الجسد مركبا للروح ، وجعل من السفينة مركبا لنوح ونجاة له ؛ لكن إرادة الله الغالبة قد تجعل من وسيلة النجاة التى تتوسل بها هلاكا لك ، وهكذا فحزنك وسرورك وخوفك ورجاؤك اللذان يتواليان عليك بمثابة الطوفان والسفينة ، وإن جذور هذا الخوف لا تستطيع أن تدركها، فما أشبهك بأعمى لكمه فظ ، وكان في نفس الوقت يسمع صوت بعير فظن أن البعير قد رفسه ، فهذا الأعمى يصف الشئ بقدر إدراكه له ، ولأن هذا الإدارك غير حاسم فإنه يتردد في وصف ما حاق به ، ولأن هذا الخوف – كأى خوف – لابد أن يكون من خارج الإنسان إلا أن الإدراك الباطنى هو الذي يستطيع أن يحدد كنهه ، ويعرف معالمه ، ثم يدرك أن أصله ليس من هذا العالم بل من العالم الباقى .

(٢٢٢٥ – ٢٢٣١) : يقصد بالذى يدعو نفسه حكيما أهل الاستدلال وحكماء المدرسة الذين يعتبرون الخوف من الوهم والخيال ، ويقول مولانا : إنه لا وجود حقيقى للوهم لكنه كل وهم يستمد من حقيقة أو واقع ، فحتى الناس يشترون النقد الزائف أملا في أن يكون حقيقة (انظر ٢٩٣٩ من الكتاب الثانى) الأبله يشترى الزائف على أمل أنه ذهب ، وعلى هذا فحتى الكذاب عندما يختلق ، فإنما يختلق لكى يحمل الناس اختلاقه محمل الجد ، فإذا كان الكذاب يرى للصدق كل هذا الضياء والرواج ، فأولى به أن يكون شاكرا للصدق لا منكرا له ، لكن هل لدى الوقت أيها المتفلسف للرد عليك؟ إن ذلك يصرفنى عن الحديث عن ألطاف الله بعباده ، الذي تندرج تحته كل هذه الأجزاء .

(٢٢٣٢ – ٢٢٥٤) : والولى هو نوح بالنسبة لك ، وصحبته هى السفينة ، فاطلب هذه الصحبة ، وانج من طوفان أهل الدنيا ، واهرب من أهلك وأقاربك وأصدقائك هروبك من الأسد والحية (انظر باب الأقارب في حديقة سنائى وانظر أيضا جلبنارلى 363 /٦.)إنهم

يصرفونك إلــى الدنيا ، ويمتصون زادك المعـنوى ، وإن كانــت لـك قطـرة مــن مـاء الحيـاة والبحر الروحانى امتصوها مـنك ، وتركوك غصنا جافاً لا تصلح لشئ ، فلا يمكن أن يصنـع مـنه سلة ، ولا يمكن أن يصنع مـنه قوس ، فحتى الرجل الذي يصير علـى مثال هذا الغصن الجاف ، لا تتأتى مـنه عبادة بحرارة وخشوع وإلا فما معـنى : ﴿ وإذا قـاموا إلــى الصـلاة قاموا كسالــى ﴾ (النساء /١٤٢) قال نجم الدين كبرى : لأنهم يذكرونه بلسـان الظـاهر القـالبى لا بلسان الباطن القـلبى (مولوى ٣١٩/٦) وإن ما أتحدث عـنه عـن أولياء الله بمثابـة النـار مـن أدركه حق إدراكـه احترق ، وأولــى بـى أن اترك هذه الإفاضـات وأعـود إلــى قصـة الفـقـير والـكنز ، فهذه النار الـتى أتحدث عـنها لا تفـرق بـين غصـن وغصـن ، ولا تفـرق بين واقــع وخـيال ، إنها النار الـتى تندلع مـن الروح ولا تقنع بأقـل مـن الفنـاء الـكامل ، فـ﴿ كـل شئ هالك إلا وجهه﴾ (القصص /٨٨) وما أشبه فناء السالك فـي الحقــيقة الإلهيـة بانمحاء حرف الألف (الوحدة) فـي كـلمة بسم ، إن الحروف الصماء لم تتحمل الوحدة فكيـف تتحملها أنـت ؟ لكن هذه الألف وإن حذفت مـن كــلمة بسم ، لـكى يتم الوصـال بـين البـاء والسين ، متضمـنة فـيها وأولـى بها أن تصمت ولا تنطقها ، فـإنك إن قـلـت " مـا رميت إذ رميت " دون أن تقول : قال الله ، لا بأس فـإنها متضمنـة فـيها ، فكن فـانيا مثـلما يفنـى الدواء ويـدق فـيـدفع العلل (انظر لـتفصيلات الفكـرة الـترجمة العـربيـة للـكتاب الرابـع ، الأبيات ٢٣٤١ - ٢٣٥٢ وشروحها) .

(٢٢٥٥ - ٢٢٦٣) : يقتبس مولانـا الآيـة رقـم ٣٧ مــن سـورة لقمـان ﴿ ولـو أن مـا فـــي الأرض مـن شجرة أقـلام والبحر يمـده مــن بعده سبعــة أبحـر مـا نفدت كـلمات الله ﴾ ، والحديث عـن المثنوى بأنه لا غاية له ولا نهاية مـن ناحية المعـنى ، وإن كانــت لـه نهايـة مــن ناحية الألفاظ ، لأنه شرح لـكلمات الله ولا نهاية لـكـلمات الله ، وهكذا فمـا دام الخـالق يصور القالب الـترابى فـإنه ييسر لـى تقطيع عـروض المثنوى ، وهكذا فحتى عـندما يفنـى

التراب (الصورة الشعرية) فإن بحار المعانى لا تزال تجيش بالزبد ، والخلق دائما في تجديد ، فالغابات تحترق وتتمحى ثم تنمو في مكانها غابات أخرى ، فبحار الخلق لا تنفد ، فكم من الكتب سوف تظهر فتسد النقص وتزيد على ما فات ، ومن هنا قال رسول الله ﷺ [حدثوا عن البحر ولا حرج حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج – حدثوا عنى ولا حرج فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، حدثوا عنى بما تسمعون ولا تقولوا إلا حقا ومن كذب على بنى له بيت في جهنم يرتع فيه.] (أحاديث مثنوى / ٢٠٤) – انقروى (٦-٢/٣٠) . وعند السبزوارى (ص ٤٦٠) : [تكلموا في آلاء الله ما استطعتم، فإن البحر لا ينزف وسر الغيب لا يعرف وكلمة الله لا توصف].
بحر العطاء المستمر الذي لا ينقطع ، ثم يخاطب مولانا نفسه : عد من حديث البحر ، فليس كل الحاضرين ممن يتحملونه ، وعد إلى قصة صاحب خريطة الكنز ، ويرى استعلامى أنه يقصد باللعبة الفقير صاحب الكنز ، (٦/٣٣٣) لكن المقصود هنا حديث المجاز عموما وهو ما يقوى عليه المريدون ، والفكرة مأخوذة من حديقة سنائى على أن البداية تكون من المجاز ، فالطفلة لا تصلح للأمومة ، ومن ثم تشغل بالدمية حتى تصل إلى دور أمومتها ، والطفل يلهو بسيف خشبى لكى يصبح غازيا حين يكبر ويمسك بالسيف الحقيقى ، فالطفولة هى عالم الصورة ، والرجولة وطور النضج هو عالم الروح والمعنى (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة ، الأبيات ٦٩٦٢ – ٦٩٧٠ وشروحها) فكأن مولانا يقول هنا : دعك من عالم المعنى وعد إلى عالم الصورة ، حتى يشغل هؤلاء الأطفال باللعب ومن اللعب يصلون إلى الجد (فالمجاز قنطرة الحقيقة) .
(٢٢٦٤ – ٢٢٧٣) : يتعامل مولانا مع أبطال حكاياته كشخوص حية، فعندما يبتعد عن الحكاية ، يصور لمريديه أن بطل الحكاية لا يزال يناديه ويطلب منه أن يتم قصته ، إن صوته في ضمير مولانا وإن لم يسمعه المريد ، هذا التعاطف وحس المشاركة بين

مولانا جلال الدين وبين شخوصه سمة من أهم السمات التى تمنح حكاياته جانبا من الواقعية ، ولعله سبق في رفع الحائط الوهمى بين الكاتب وبين موضوعاته، ومن المظنون انه إبداع من إبداعات مدارس الكتابة المعاصرة . وقد ترك مولانا هذه الحكاية من البيت ١٩٩٧ ، ويعبر مولانا عن بطل حكايته بأنه صار بخياله شريكا له في أسراره ، إنه مثله ينصرف عن كنوز المادة إلى كنوز المعنى ، إنه – أي الفقير طالب الكنز – كنز في حد ذاته لأنه باحث عن الحبيب ، والباحث عن الحبيب متصل به ، والوجود كله مرآة أمامه وما تجليه المرآة هو جمال الحق ، انظر البيت رقم ٣٤ من الكتاب الأول:

إن مرآتك غامت دنسا	صدأ الطبع عليها طمسا

فإن مدحت ما تراه في المرآة فإنك تمدح الحق ، وإذا نظرت فى المرآة دون خيال أي دون تفكير في وجودك الفردى والصورى ؛ فإنك إن أدركت قبسا من الحقيقة ، لما بقى شئ من وجودك . ويقول الأنقروى : أن هذا أشبه بما قاله ابن الفارض (٦-٢/٣٣) :

سلامى مجازى عليه لإنما	حقيقته منى إلى تحيتى
لها صلواتى بالقيام أقيمها	وأاشهد فيها أنها بى صلت

ولما بقى شئ من معرفتك ، وعندما تصبح جاهلا بعالم الصورة تطل المعرفة الحقيقية ، حيث يسمع الواصل من الله ﴿ إنى أنا الله ﴾ ، ففى عالم الحقيقة لا متحدث في الحقيقة إلا الله ، إن مدح انعكاس الصورة في المرآة هو في الحقيقة مدح لأصلها ، ومن هنا لم يتردد الملائكة في السجود لآدم عندما أمروا بذلك ، لأن الله تعالى محا عن أبصارهم الحول فلم يعتبروا الحق ورجل الحق اثنين بل اعتبروهما واحدا ، والشهادة نفسها لا تطرح وجودا آخر ، ولا إله إلا الله هى كل الوجود الصورى والمعنوى ، (انظر ٢١٠٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(٢٢٧٤ – ٢٢٨٤) : يدرك مولانا أن الحديث سوف يتجه منه إلى وجهة أخرى ، وها هو الحبيب يجرى من آذانى ، ينبهنى ، يأمرنى بأن اكشف عن الأسرار ، فلن تكشف ،

وربما حاق بك الأذى ، مثلما حاق بآخرين كالحلاج مثلا الذي ابتلاه الله بالشنق لأنه وضع الأسرار أمام من لا يستحقونها (استعلامى ٦/٣٣٤) ، لكنى أنا الذي أقول وأنا الذي اسمع، فمن يقول أننى أبوح أمام أحد بالأسرار؟ ، لكن هيا تحدث عن مشقة الطلب ، وعن قسوة الطريق وآلامه ، وعن صاحب الكنز ، فإن همم من يجلسون إليك ، لا تصل إلى ما هو أكثر من هذا ، فهم يتجرعون من سم الدنيا القاتل كأساً بعد كأس ، وحرمت عليهم الراحة ، وهم يزيدون في آلام أنفسهم ، وكل ما يقومون به من عمل إنما يقومون به من أجل ابتعاد أكثر وأكثر عن عين الراحة ، عين الفيض الإلهى والمعانى السامية ، وكل هذه السدود واهية لا تدوم ، فهل تستطيع قبضة من التراب أن تطمس البحر الإلهى ؟! إن هذه العين الفياضة بالمعانى لا تزال تقول : أنا معكم ، متصلة بكم ، ومتصلة به في ذات الوقت . ومائى لا نفاد له ، فماذا حدث لكم ؟! أيأكل المرء التراب ويترك الماء ؟!

(٢٢٨٥ - ٢٢٩٤) : فافتح عينيك إذن ، ما دمت قد عرفت أن أمراض العين تكون من قهر الله ، وأن غشاوة الختم من غضبه تعالى عليك ، وانظر أي شئ اتخذته بدلا ، بئس ما اخترت ، لكن إياك أن تيأس ، فإذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب (جامع ١/٢٢) ، (لتفصيلات انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس ١٨٣٥ - ١٨٥٨ وشروحها) . ولايزال الناس شرهم إليه طالع وعطاؤه إليهم نازل ، يجازى البعاد بالوداد ، ولا يزال يدعو مسئ النهار ليتوب بالليل ومسئ الليل ليتوب بالنهار ، فتتفجر الاشواك بالبراعم والورود ، ويكون قرن الحية تميمة للمحبة (فى معتقد القدماء) (استعلامى ٦/٣٣٥) ويجعل الرمل طحيناً للخليل (انظر الكتاب الثانى - البيت ٣٨٢ و البيت ٢٢٠) ويؤوب الجبل مع داود (انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية ١٤٧١ - ١٤٧٤ وشروحها) ، إن الله سبحانه وتعالى يعطى أولياءه العوض من لدنه عن أذى الخلق ونفورهم .

(٢٢٩٥ - ٢٣٠٦) : ها هو الفقير يجأر إلى الله تعالى بالشكوى وولى الاظهار أى

مبدى الأسرار ، إن ما حدث قد حدث من شيطان العجلة ، لأن " التأنى من الرحمن والعجلة من الشيطان " (انظر البيت ٢٣٩٩ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ، وإحراق الفم للتعجل في أكل اقدر مثل فارسي سائر ، إن حكاية الكنز كلها من إلهام الله ، ولا يستطيع أن يحل هذه العقدة سوى من عقدها أي الله تعالى ، إنه كلام سهل ، لكن معانيه بعيدة الغور ، فمتى تكون المعانى الإلهية سهلة ، إن حقيقة كلام الحق يمكن إدراكها بإلهام الوحى لا بالتفسيرات الصورية ، ويبدى الفقير يأسه : تراه لم يكن مجيدا في الدعاء ومخلصا فيه ، ليس أمامى إلا أن ائتلف مع حياة الفقر ، إن أي ثبات على الدعاء وعلى العبادة إنما يكون منك أنت ، هو انعكاس لمشيئتك (عن الانعكاس انظر البيت ٣٢٥٢ - ٣٢٥٦ وشروحها من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ونفس هذه المشيئة هى التى تسيرنا في النوم ، وحفظ الله يحفظنا ونحن بلا حول ولا قوة ، ونحن نيام وعهدنا مع الله وعهد الله معنا باق ، فلا نحن نرد " ببلى" حين يقال ﴿ ألست بربكم ﴾ (انظر سورة الأعراف / ١٧٢) ومع ذلك فهو بربوبيته يحفظ علينا عبوديتنا.

(٢٣٠٧ - ٢٣١٩) : يستمر كلام الفقير بحسب السياق ، لكن المخاطب في الحقيقة هو مولانا جلال الدين ، والليل ليل الاستتار والنهار نهار التجلى ، والليل كأنه ظلمة باطن الحوت ، تستكين فيه الأجساد والنفوس ، وتهاجر الأرواح وتحلم كما يحلم الفيل بالهند ، (الموطن الأصلى) ، لكن الله سبحانه وتعالى يرد الأرواح إلى الأجساد بمشرق الشمس ، (انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس ، الأبيات ١٧٢٢ - ١٧٤٠) ، ويفنى في ضوء النهار كل ما صنعته تدابيرنا (إذا طلع الصباح بطل المصباح) ونعود إلى حياتنا المادية ، وننطلق في التسبيح مثلما انطلق يونس عليه السلام في التسبيح عندما خرج من بطن الحوت (الأنبياء ٨٧/٨٨) بل كان يونس يسبح وهو في بطن الحوت (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٥١٥ - ٤٥١٩ وشروحها) وتدرك مع ذلك أن الليل

كان رحمة بك ، فأنت في كنفه سبحانه وتعالى دون حول منا أو قوة ، وكنا نظن أنفسنا في ضلال ، مثلما كان موسى ﷺ يظن نار الطور نارا وهى نور ، ونحن يا إلهى نعانى من البحر الذى يحط عليه الغثاء أي البصيرة التى تحط عليها المادة (انظر ٨٠٩ و ٨١٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) بيد أن سحرة فرعون بمجرد إيمانهم أدركوا الحقيقة ، ففرحوا عندما قطعت أيديهم وأرجلهم (لتفصيل الفكرة أنظر الترجمة العربية للكتاب الثالث . من ١٧٢٣ إلى ١٧٣٥ وشروحها والترجمة العربية للكتاب الخامس من ١٣١١ - ١٣١٤ وشروحها) .

(٢٣٢٠ - ٢٣٣٠) : (عن ترك المسبب والتعلق بالسبب أي التشبث بالأسباب الظاهرية للأشياء انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٣١٥٢ - ٣١٦٠ وشروحها) ، لكن هذه القاعدة قاعدة المسبب و الأسباب لا تنطبق على أولياء الله أو من يعبر عنهم مولانا باسم الأصحاب ، لأن الله سبحانه وتعالى يسبغ عليهم لطفه فيكونون في صدر الخليقة دون هذه الأسباب التى يظن الخلق إنها أسباب الرفعة ، ولماذا أولياء الله فحسب ؟! إنما يصل عطاءه إلى المستحق وغير المستحق ، إنهم يهبهم حريتهم (الحرية الحقيقية في العبودية لله وحده)، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى في أعناقهم ، وإلا فإن خلعة الروح موهوبة منه لكل حى ، ومتى كان مستحقا لها في العدم ، (دون أن تصدر منه طاعة أو يزاول عبادة) ثم يوجه مولانا الدعاء لله تعالى : إنك أنت يا إلهى الذي حولت الأعداء إلى أصدقاء ، وأسبغت على الشوك أكمام الورود ، فاجعل يا إلهى من هذا التراب خصبا ذا ثمار من الفكر والعمل ، واجعل مرة ثانية شيئا ممن لم يك شيئا وخلقته ، إن الدعاء منك أيضاً يا لله فأنت القائل : ﴿ أدعونى استجب لكم ﴾ (انظر أيضاً البيت ٢٢١٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) وفي ليل الدنيا ، نحن سفن كسيرة ، تسيرها في بحار رحمتك فتملأها بعطاياك ، (ومن هذا الدخل يكون الإنفاق بالنهار) .

(٢٣٣١ - ٢٣٤٢): لا ينبغى أن تفهم من الأبيات أن مولانا من المؤمنين بالجبر (عن القضية بالتفصيل انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس) ، إن قدرة الحق مسلطة على الكون كله ، وهذا ليس جبرا بل معنى الجبروت " (البيت ٦٢١ من الكتاب الأول) والكلام هنا أيضاً عن الجبروت ، ففى غفلة الخلق ، لا غنى عن رحمة الحق ، ولا قيمة هناك لرأى أو لفن ، ولانجاة إلا بالدعاء ، إننى مجرد كالألف ، وباطنى كحلقة الميم ضيقة من الفراق والشوق ، وإذا كنت ضعيف الروح ، فأية استقامة تأتيتى من الوعى بالبدن ، إنها النفس تطل بمطالبها، والغفلة وانعدام الوعى اشتغال النفس بهذه الدنيا ، أما العقل واليقظة فإشارة إلى اشتغال الروح بعالم المعنى، والسالك بينهما في تأرجح والتواء ، ويوجب البعد من حيث ظن السالك انه قرب ، قادع وأنت تحس بالإملاق ، وليس معنى الإملاق هنا هو الإملاق المادى بل الإملاق والفقر بكل صروفه وألوانه .

(٢٣٤٣ - ٢٣٥٣) : العريان هنا هو من لا يمتلك شيئا ، ولكى تكتمل أيضاً صورة الغرق في الدمع ، ولا عين لى : أي أحس بالحياء أمامك ، إنه يطلب الدعاء الباكى ، فإذا كان الرسول ﷺ قال { اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمراً } (مولوى ٦/٣٣٤) ، إذا كان الرسول ﷺ ما ماله من سبق قد قال هذا ، فما بالك بى - الحقيقة ما بالك بنا - نحن الغارقون في غفلة الدنيا حتى رؤوسنا؟ إن هذا التمنى من الرسول ﷺ من الممكن أن يكون شفاعة لكل أمة وقطرة واحدة من هذا الدمع كافية لنجاة الإنس والجن ، إذا كان الرسول ﷺ وهو روضة من رياض الجنة قد طلب الدمع مع عدم حاجته إليه، فما بالك بك وأنت الأرض البور التى تحتاج بالفعل إلى هذا الدمع ؟ إن حرصك على نعم الدنيا هو الذي يجعلك بعيدا عن هذا المعنى، فأنفض يديك منه ، وداوم على الدعاء فما علاقتك بقبول الحق أو رده ، ألم تسمع قوله تعالى في الحديث القدسى : [عبدى أطعنى على ما

أمرتك ولاتعلمني ما يصلحك] (مولوى ٦/٣٣٥) ، فكر في نعم الآخرة التى لا ينضجها إلا دمع انعين .

(٢٣٦٠ - ٢٣٨٢) : يعلق مولانا على ما حدث للفقير الذي أخذ يشد القوس عند إطلاق السهم بكل قوته مع أن الأمر كان ضع سهما في القوس ثم اتركه يسقط ، ولم ترد كلمة الشد ، هكذا كل من يطلبون الله (الكنز الحقيقى) بطرق ملتوية وبعيدة ، إنه أقرب إليك من حبل الوريد ، وكلما أطلقته بعيداً طاش سهمك وابتعدت عن الحقيقة (انظر تعليقات البيت ١٨٤٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) ويذكر الأنقروى رباعية :

الحبيب أقرب إلى منى والأعجب أنسى بعيد عنه

ماذا أفعل ومع من أستطيع أن أتحدث فهو إلى جوارى وأنا مهجور عنه

(٦-٢/٥٦-٥٧)

ويستشهد جعفرى (١٢٩/١٤) بهذه الأبيات لحافظ الشيرازى :

لسنوات والقلب لا يفتأ يطلب منا كأس جمشيد

إنه يطلب من الغريب ما هو في حوزته .

والجوهرة الخارجة عن صدف الكون والمكان

تطلب من التائهين على ساحل البحر .

ومسلوب القلب الذي يكون معه الله في كل حال

لم يكن يراه وينادى من على البعد يا ألله .

ومن هنا فأن من يطلب الحقيقة عن طريق الفلسفة يكون ظهره دائما إلى الكنز كلما جد في الطلب كلما زاد ابتعاده ، والله تعالى يقول ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ (العنكبوت /٦٩) ولم يقل " جاهدوا عنا " وما أشبههم جميعا بكنعنان بن نوح ، كانت السفينة في متناول يده ، وكان أبوه يدعوه ، وكان هو يسعى نحو الجبل ليكون فيه

هلاكه ، فهل تتعظ جبال "الفكر" و "قمم" الفلسفة ؟ إنه يهلك نفسه ، ويعمل فكره ، ويقضي عمره ولا يصل إلى شئ ، فالتعب رخيص على روح الجاهل ، فالجاهل هو الذي يشعر بالعار من التعلم ومن سؤال المرشد ويستقل بصنعة قبل أن يتعلم دقائق الصنعة (انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس ، الأبيات ١٤٢١ – ١٤٢٩ وشروحها) هذا التذاكى حجاب في الطريق ، فدعك من التذاكى وقدم الانكسار ، فالله تعالى قال في الحديث القدسي : [أنا عند المنكسرة قلوبهم] ، وكل علماء المدرسة هؤلاء غيلان في طريق الحق ، (الغول في المأثور الفارسي مخلوق أسطورى يضلل السائرون في الصحراء ويجعلهم يحيدون عن الطريق) ومن هنا قال ﷺ { أكثر أهل الجنة البله } ، أي أولئك الذين يتركون التذاكى ، ولا يرون لأنفسهم فضلا ولا جهدا (لتفسير معنى البله عند مولانا انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٤١٨ – ١٤٢٤ وشروحها) إن كل التذاكى يكون من أجل المنافع الدنيوية ، أما التسليم والتواضع وإنكار فضل النفس إنما يكون من البله الذين يعتبرون أنفسهم أطفالا رضع أمام الأم (انظر الأبيات ٦٩٩ – ٧٠٣ و ٣١١٢ من الترجمة العربية للكتاب الخامس) . ومن دعاء نقله الانقروى : { اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك } والحديث النبوى : { من انقطع إلى الله كفاه الله سائر مئونته ورزق من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها } (٦–٢/١٣) .

(٢٣٨٣) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت قبل مولانا في مقالات شمس (مآخذ /٢١٠ ومقالات شمس نسخة موحد ٢/ص ٥٤) . والحكاية مليئة بالإيحاءات ، فاليهودى والمسيحى والمسلم الذين ترافقوا في سفر جياع ، وعندما يرزقون رزقا ، فأن أول ما يفكر فيه اليهودى والمسيحى هو أن يتكاتفا معا من أجل أن يحرم المسلم ويظل جائعا ولا ينجو المسلم إلا بالمبادرة، وإلا بأن يفوت الفرصة على اليهودى والمسيحى ويحرمهما معاً ، وهكذا الدنيا مليئة بغير المتجانسين الذين ينبغى عليهم التعايش معا ، مثلما يتعايش العقل مع النفس

والشيطان في الإنسان الواحد وينتصر عليهما ، انتصر المسلم على المسيحى واليهودى ، أو هكذا يجب .

(٢٣٩١ – ٢٤٠١) : بالموت يتفرق الجميع ، وتطير الطيور المحبوسة في سجن الدنيا ، كل يطير مع من هم من جنسه (مثل فارسى) يحركه جناحان : شوقه إلى منبته وأصله أى الجنة ، وذكرى إقامته فيها قبل أن يهبط إلى سجن الدنيا ، وكل يعود إلى حيث كان يشتاق ، " الناس كما يعيشون يموتون وكما يموتون يبعثون " وكل عنصر من عناصر البدن يعود إلى أصله ، ما هو من التراب إلى التراب ، وما هو من رب الأرباب إلى رب الأرباب (انظر لتفصيل الفكرة الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٢٤ – ٤٤٣٩ وشروحها) . وما مكوثنا في الدنيا إلا لتجمدنا من علائقها ونعيمها ، ثم تفتت تلك الأجزاء ، وتذوب الثلوج بسطوع شمس الحقيقة ، وتتحرك الجمادات ويمضى كل إلى أصله .

(٢٤٠٣) : في المتن من مطبخ " إنى قريب " إشارة إلى الآية ١٨٦ من سورة البقرة ﴿ إنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ والمراد أن المهدى سبب والزرق كله من الله سبحانه وتعالى ، والأبيات العربية إشارة إلى حديث نبوى { الضيافة على أهل الوبر وليست على أهل المدر } (أحاديث مثنوى /٢٠٦) .

(٢٤١٧ – ٢٤٢٠) : يحتج اليهودى والمسيحى على المسلم الذي يقترح القسمة بقول مأثور قال بعض المفسرين انه حديث نبوى (!!) وهكذا يحتجان بقول مسلم من أجل خداع المسلم ، ويجيب المسلم بأن المقصود بالقسام الذي يقسم نفسه بين هوى الدنيا والآخرة (فالدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا) وهذا أي قسمة العبد نفسه بين دينه وهواه إشراك ، كان منطق المسلم مستقيماً ، فليأخذ كل نصيبه يأكله أو يدخره للغد فهذا شأنه، لكن النوبة كانت نوبتهما أن كانت القوة والغلبة لهما بحكم انهما اثنان لابد أن ينزل على رأيهما .

(٢٤٢٦) : (لتسبيح الجماد وعبادته ، انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات : ١٠٠٨ - ١٠٢٧ والكتاب الأول الأبيات ٥١٥ - ٥٢٠ و ٨٤٢ - ٢١٢٠ وشروحها) .

(٢٤٣٨) : النور الأخر هو تجلي ذات الحق التي انمحى فيها الطور وموسى عليه السلام وذلك اليهودى (استعلامى ٣٤٢/٦) الحالم .

(٢٤٥٢) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قال رب أرنى انظر إليك ، قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ﴾ (الأعراف / ١٤٣) .

(٢٤٥٧ - ٢٤٥٩) : اليهودى المقيم على دينه الذي يحلم بموسى عليه السلام يهودى محمود العاقبة ، أي قد يدرك إن فهم الديانة الموسوية على حقيقتها حقيقة خاتم الأنبياء ويتبعه ، ومن هنا فمن الواجب ألا تحتقر كافرا ، فمن يدريك بعاقبته ، وإلام سينتهى ؟! { إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعلم أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم عمله بعمل أهل الجنة } (جامع ٧٩/١) .

(٢٤٦٠ - ٢٤٦٣) : يزايد المسيحى على اليهودى ، فينقل رؤياه على الأفلاك حيث الفلك الرابع مثوى عيسى عليه السلام فى المأثور الإسلامى (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة ، الأبيات ٥٧٥٥ - ٥٧٦٧ وشروحها) والمقصود بفنون الفلك قدرته .

(٢٤٦٦) : توحى حكاية اليهودى والمسيحى والمسلم والتسابق في أهمية الرؤيا لمولانا بحكاية أخرى وردت شبيهتها في سندباد نامه ، كما ورد في نثر الدر للآبى " قالوا وجد بعير وأرنب وثعلب جبنة فاصطلحوا على أن تكون لأكبرهم سنا ، فقال الأرنب : إنى ولدت قبل أن خلق الله السموات والأرض ، فقال الثعلب صدق وإنى شهدت ولادته ، فأخذ البعير الجبنة ، وقال : من رآنى يعلم أنى لم أولد البارحة ، (عن مآخذ فروزانفر ، ص ٢١٠) .

(٢٤٦٧) : إشارة إلى الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ " كبروا الكبر " (انظر البيت ٢٠٥٠ من الترجمة العربية ، للكتاب الرابع ، ولمولانا موقف آخر في تعريف

الشيخ انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٢١٦٠ - ٢١٦٨ وشروحها) ، وهناك حديث نبوي آخر [ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا] .

(٢٤٧٢) : لم يهتم أحدٌ من مفسري المثنوي بالبحث عن أصل الحكاية الواردة تحت عنوان " مثل ".

(٢٤٨٩) : هذه قمة في فكر مولانا جلال الدين الواقعي الذي يهديه إلى كل المتشدقين بالتاريخ الذهبي والأمجاد الماضية ، إن الذي يفوز في النهاية هو الأقوى ، فما حاجة الجمل إلى التاريخ أمام البقرة وأمام الكبش ، إنما يحتاج الضعيف إلى التاريخ ليثبت لنفسه حقوقا لا يستطيع أن ينالها .

(٢٥٠٥ - ٢٥٠٦) : لقد نفج اليهودي والمسيحي في الفضل ، وتذاكيا على المسلم ، لكن المسلم كان قد بادر وأكل الحلوى فما حاجته إلى الصعود إلى السماء ، أو رؤيا الجبال التي تذوب وتنشق؟ إنه كن في حاجة إلى الحلوى ، أكلها والسلام ، هذا الدرس العميق يقدمه جلال الدين الذي قدمه الغرب لنا كصوفي غارق في رؤى السموات ، وكأنه كان يوجهه إلى مسلمي اليوم الغارقين في أحلام الماضي ورؤى المجد الذي ضاع ، واليهودي والمسيحي يغيران على أملاكهم وأموالهم وأرضهم وإنتاجهم وهم لا يقفون ولا يبادرون ، وها هو اليهودي والمسيحي يعترفان بأن هذه هي الرؤيا الصادقة حقيقة ، إن حلمه حقيقة وواقع ملموس . .

(٢٥٠٧ - ٢٥١٦) : يعود مولانا جلال الدين إلى الدروس وكأنه يفر من الموضوع إلى ما فجر القصة في الأصل ؛ عيب التذاكي والتظاهر بالمهارة وعرض الفضل ، إنك لست مخلوقا لهذا ، إنك مخلوق للعبادة ولمعرفة الله ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات / ٦٥) ، وإن هذه المهارة وهذا التذاكي لا يعنيان شيئاً في طريق الحق (انظر ١٤٠٣ من الكتاب الرابع) وانظر إلى الأذكياء من قبلك : السامري الذي صنع العجل

الذهبي وأغرى بني إسرائيل بعبادته ، وقارون الذي أتقن صنعة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة ، وأبى جهل الذي وقف أمام دعوة الرسول ﷺ ، وانظر إلى نهاياتهم ، لقد رأى موسى عليه السلام بفضله النار عيانا لم يعرفها عن طريق الاستدلال ، أليس الطبيب يستدل على المرض من البول والبراز فياله من دليل نتن ، إن مجرد استنادك على الدليل يجعلك على عماك مثلما تدل العصا وهي موجودة في يد الأعمى ، وإن صاحب الضجة والجلبة والفتق والرتق وذلك الجاه الدنيوى عندما يصل إلى الحقيقة ، يقول لك : اعذرني فأنا لا أرى ، أتراك تستطيع أن تراها وأنت منغمس في هذا الصخب ؟!

(٢٥١٧) : سيد ملك ترمذ فيما يبدو حاكم مدينة ترمذ في عصر محمد خوارزمشاه ، وما يروى عن سيد ملك ترمذ والمهرج " دلقك " (دلقك بالفارسية تعني مهرج واعتبرها بعضهم إسما) ربما من بقايا ذكريات مولانا جلال الدين منذ عهد طفولته (وقد مرت حكايات عنه في الكتاب الثاني من البيت ٢٣٤١ والكتاب الخامس من البيت ٣٥٠٩) إن لب الحكاية هنا عن موضوع التذاكي والتظاهر بالمهارة مما يوقع المدعى في مشاكل لا حصر لها، فعندما يطلب سيد ملك ترمذ رسولاً مسرعا يأتى المهرج على وجه السرعة ليقول إنه لا يستطيع القيام بالمهمة التى يريدها الملك ، غافلا عن الضجة التى أحدثها ، والبلبلة التى حدثت من رؤية المهرج يجد كل هذا الجد ، ثم الشك في أن للأمر ما وراءه من مخاطر محدقة بالمملكة ، والصورة التى يقدمها مولانا في هذا الصدد شديدة الحيوية كما يشير مولانا (فى البيت ٢٥٤٤) إلى سوء سياسة محمد خوارزمشاه مع ولاته ، وعداوته لهم ، وتجريده الحملات التأديبية عليهم مما كان له أثره فيما بعد في انهيار المملكة بسهولة شديدة على يد الغزو المغولى .

(٢٥٥٥ - ٢٥٦٥) : إن هذه الضجة التى أحدثها المهرج تذكر مولانا بشئ آخر : أولئك الصوفية الذين لا يعرفون من السلوك أو من التصوف شيئا إلا المظهر والاعلام

والبيارق والمواكب والولائم ، ومع ذلك فهم يتشدقون بأنهم ذوو فنون في الطريق ، ويتنفجون بالمشيخة ، وكأن الواحد منهم أبو يزيد البسطامي في زمانه ، ولا أحد منهم لديه ادنى دليل على أنه مقبول في عالم المعنى (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٧٤٠ وما يليها الترجمة العربية للكتاب الخامس من ٢٤٣٦ إلى ٢٤٤١) أولئك الصوفية الذين لم يدركوا أمارة واحدة من أمارات الطريق ، ولم يتلقوا إشارة واحدة من الجانب الآخر بأن عباداتهم مقبولة ، ولم ينفتح أمامهم طريق من القلب إلى القلب ، وله أماراته ، تريد أن أحدثك عن هذه الامارات ؟! لا ... لا تكشف لهم الستار عن هذا الباب ، وإلا وصلت دعاويهم إلى ادعاء معرفة .

(٢٥٦٦ – ٢٥٧٤) : ها هو الوزير يتدخل لكي يبين أنه أكثر حرصاً على الأمير من حرص الأمير على نفسه ، وليوقع المهرج المسكين في شر أعماله (وكم من المهرجين ضيعتهم فكاهة في مجلس أو حديث عابر لا يقصد منه شئ)، في الانقروى : ويلٌ لمن يحدث فيكذب ليضحك به القلب ، ويل له ويل له ، إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها الناس يهوى لها العبد كما بين السماء والأرض وإنه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه . (٦-٢/٩٦) . إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . إن هذا المهرج الداهية لابد أنه يخفي شيئا وأراد أن يبوح به لكنه غير رأيه ، إن وجهه ينبئ عن مصائب جسام ، وهذا مصداقا الآية الكريمة ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ (الفتح /٢٩) ، إن الأمر واضح للعيان، لكن الخبر يكذبه وهذا أدعى إلى الشك والحذر من الشر الكامن في هذا الإنسان.

(٢٥٧٧) : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ (الحجرات /١٢) .

(٢٥٨٢ – ٢٥٨٤) : الطبل هنا رمز على الوجود الملئ بالمتناقضات ، لكن (الصوت) هو

الذي ينبئ عن الطبل ، فارغا كان أو ممتلئا ، مشدودا أو رخوا ، (انظر البيت ٧٣٣ من الكتاب الرابع) وقد يكون الضرب هنا بمثابة الألم الذي يصاب به الإنسان فيجعله يبوح عن مكنون الضمير ، وذلك حتى يطهر المرء . " فالصدق طمأنينة والكذب ريبة ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " ، (مولوى ٦/٣٦١) .

(٢٥٩١): يشير مولانا على لسان المهرج ، إلى قاعدة في تنفيذ الحدود وهى عدم التعجيل في إنزال الحد ، ويفرق بين الغضب على حدود الله ، والغضب من أجل الهوى ، ففى الأول ينبغى أن يتريث السلطان ، وفي الثانى من المفهوم أنه لا يتريث حتى لا يسترضيه أحد .

(٢٥٩٦ - ٢٦٠٠) : هب أن البلاء سوف يأتى من ناحيتى ، وهب أنك بالقضاء على سوف تأمن هذا البلاء ، لكن حذار فالقضاء يدخر كثيرا من البلايا المؤكدة غير هذا البلاء المحتمل الذي سوف يأتى من ناحيتى أنا ، فادفع البلاء عنك بالتصدق على روحى ، ألم تسمع قول المصطفى ﷺ { الصدقة ترد البلاء وتزيد العمر } ، وقوله ﷺ : { داو مرضاكم بالصدقة } (أحاديث مثنوى / ٢٠٨) . وليس من قبيل الصدفة أن تعطل عين الحلم ، فالحلم على من تظنه مذنبا وعدم تعجيل العقوبة له من قبيل الصدقة أيضاً . وعن أبى جعفر ؓ قال : " البر وصدقة السر ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء " . (جعفرى ١٤/١٧٤) .

(٢٦٠٢ - ٢٦٠٤) : الحديث بمصطلحات الشطرنج .

(٢٦٠٥) : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ﴾ (آل عمران / ١٩١) . ولابن الفارض :

فلا عبث والخلق لم يخلقوا سدى   وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة

(عن الانقروى ٢-٦/١٠٤)

(٢٦٠٨ - ٢٦١٤) : إن العقاب الذي تنزله بالفقير والمسكين عندما يكون في موضعه

إنما ينجيه من بلايا كثيرة ، فقد يرده عن فعل ما يستوجب عقابا أشد وأنكى ، والبيت رقم ١٦٦١ تكرار لمعانى وردت في الأبيات ٤٠١٤ - ٤٠٢٠ فارجع إلى الأبيات وشروحها في الترجمة العربية ، وأساسها أن العقاب لا يقع على ذات الشخص بل يقع على الصفة السيئة فيه ، وفكرة شق الجرح لتطهيره من الصديد وردت فيما سبق ضمن أفكار عديدة تعبر عن معنى واحد هو أن من الخراب ما قد يكون عمارة (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٢٣٤١ - ٢٣٥٣ وشروحها) .

(٢٦١٧ - ٢٦٢٩) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم ﴾ (الملك / ٢٢) ، وفي البيتين التاليين يطالب المهرج الملك بان يستشير في أمره ، فمن الشورى يقل الضلال ، والأمر بالشورى تنزل على الرسول ﷺ فقال له ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ومدح المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم (انظر البيت ١٥٩٦ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، واستعانة العقول ببعضها للوصول إلى الحق فكرة تتكرر كثيرا عند مولانا جلال الدين ، وغيرة الحق هى تجلى الحق بالكبرياء والقهر عندما يحول أحد المريدين نظره إلى ما سوى الله والغيرة هنا بمعنىامتزاج التجليات الصورية والمعنوية بحيث تختفى الحقيقة عمن ليسوا بأهل لها ، "وسيروا" إشارة إلى قوله تعالى ﴿ قل سيروا في الأرض فأنظروا كيف بدأ الخلق ﴾ (العنكبوت / ٢٠) . إلا أن الأمر هنا بالسير للبحث عن رجل الحق حيث يوجد الإقبال والرزق ، وعقل الرسول المقصود به العقل الكامل ، والمقصودون ورثة هذا العقل وهم الأولياء الكاملون ، ولا تخلو الأرض منهم ، فكن بين الناس ودعك من الترهب ، وفكرة أن هناك من بين كل فئة من هو على رأسها فكرة دق عليها ناصر خسرو كثيرا من أجل إثبات الإمامة (فالإمام هو رأس الصالحين والمجتبى على كل الخلق) (ديوان ناصر خسرو ص ١٧٣) . لكن مولانا يقصد هنا الولاية (الولاية هى التى حلت محل الإمامة

عـند الصوفـية) ويشتم مـن هذه الأبيات فكرة عـن الإمام الغائب ، وأنه غائب عـن الأنظار لـكنه موجود بـين الخلائق وهو مـن تـأثير الفكـر الشيعى الإثنـى عشـرىويفصح مولانـا أن الرسـول ﷺ قد نهى عـن الرهبانية (انظر أيضاً البـيت ٤٨٣ مـن الـكتاب الذي بـين أيـدينا) وذلـك علـى أساس أن البحث والطلب يكونان بـين الناس ، ودائما اعتبر مولانا الاعتزال نوعا مـن الـتنطع الذي لا يتفـق مع روح الإسلام ، فاللقاء مع الأولياء هو اكسير البقـاء ، (انظـر الـترجمة العـربيـة للـكتاب الرابع الأبـيات ، ٥٩٢ - ٥٩٤ وشـروحها والبـيت ١٠٦٩ مـن الـكتاب الذي بـين أيـدينا) .

(٢٦٣٠ - ٢٦٣٩) : يـدق مولانا علـى فكرة الاجتباء والانـتقاء : فالصالحون كثيرون لـكن مـن بـينهم مـن هو أصلح (طـبق ناصر خسرو الفكرة علـى كـل مـا فـي الـكون ، انظـر الديوان ص ١٧٣) ، وهؤلاء الصلح معترف بهم مـن سلطان البشر ، ومـن ثم فالـتمس مـنهم الدعاء لأن دعاءهم مقرون بالاستجابة ، وهم قبلة البشر ، والـتحرى عـن القبلة مكروه فـي حالة إعلانها ، ومـن ثم فحجة مـن يجادل الأولياء داحضة ، ومـن يولـى وجهه عـن القبلة المعلومة لا شك أنه يتبع قبلة باطلة ، فلماذا تشيح بوجهك عمـن يمـنحك الـتميز وتجلب نفوره مـنك ﴿ والذين يجاهدون فـي الله حجتهم داحضـة عـند ربهم ﴾ (الشورى / ١٦) ، وإنك تجد دائما ما تصبو إليه إذا كنـت بـين عشاق الحق أولئك الذين يشـاركونك الألـم ، وإذا اخـترت أحدا عـنهم كـان لـك بئس القريـن (الزخرف / ٣٨) . وعـند مولانـا فريـد الدين العطار :

لحظة واحدة مـن صحبة رجال الله أفضل مـن مائة سنة مـن الـتقى

وفـي خطاب الرسـول ﷺ :

{ يا علـى إذا تقرب الناس إلـى خالقهم بأنواع البر فتقـرب إلـى الله بـأنواع العقـل تسبقهم درجة وزلفى عـن الله } (انقروى ٦-٢/١٠٩) .

(٢٦٤٠) : يضرب مولانا مثلا عن صداقة عدم المتجانسين وعما تفضى إليه من بلايا بحكاية صداقة الفأر والضفدعة (انظر عن التجانس وعدمه الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٢٦٥٥ – ٢٦٨٠ وشروحها والبيت ٢٩٠٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) والقصة مأخوذة عن خرافات ايسوب(فروزانفر مآخذ نقلا عن نيكلسون ، ص ٢١١) وفي البيت ٢٦٤٤ يشير إلى الحديث " الجماعة رحمة والفرقة عذاب " (جامع ١/١٤٥)ويترك مولانا القصة فلا يعود إليها إلا في البيت ٢٦٣٧ .

(٢٦٤٦ – ٢٦٥٥) : جيشان النطق يعنى انطلاق الكلام ، وفقدان النطق أو انقطاعه يعنى السكون والسكوت ، وحبل الحديث دائما ما يكون متصلا بين الأحبة ، والصمت هو الذي يسود عندما يتجالس الأعداء وهكذا ينشرح القلب عندما يرى الحبيب ، ويغرد البلبل عندما يرى الورود ، وهكذا أيضاً عندما التقى موسى بالخضر ، جاشت المعانى وطلب منه موسى أن يبلغا مجمع البحرين (الكهف / ٦١) أو بتعبير الصوفية نقطة التقاء وجود هذه الدنيا بوجود الحياة الآخرة حيث يكون سر الخلود ، وتعود السمكة المشوية إلى الحياة وتتخذ سبيلها في البحر سربا (انظر البيت ١٩٧٠ من الكتاب الثالث) ، وبتأثير الولى تكون حياة الخلود للمريد ، واللوح هو باطن رجل الحق تدرج فيه أسرار الوجود ، والمريد يقرأ أسرار الكون في جبهة الشيخ ، والحبيب (الولى) هو هادى الطريق ، ومن هنا قال المصطفى ﷺ : { أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم } لكن لا تجادل، سلم نفسك له واستسلم، فالجدل بمثابة الغبار وانظر ، ولا تتحدث فالبصر أولى ، وتوق عثرات اللسان بالصمت ، واستمع إلى أحاديث عالم الغيب .

(٢٦٥٦ –٢٦٧٢) : يواصل مولانا جلال الدين الحديث عن إرشاد رجال الحق بأمثلة من سير الأنبياء صلوات الله عليهم ، بداية من آدم عليه السلام الذي كان مظهرا للوحى والدليل انه عُلم الأسماء على حقيقتها ، لا بعد أن تلاعب بها البشر ، وأهانوها ، بحيث أصبحوا يطلقون

علـى المخنث اسم أسد (قد تكون تورية علـى أسـاس أن اسـم ارسـلان وهـو أسـد بالـتركية كان يطلق علـى العديـد مـن الأمراء فـي زمانـه) ، ومـن بعد آدم كـان نـوح عليه السلام مظهرا لهذا الوحى ، ومكث فـيهم ألفا إلا خمسين ، قـلبه مظهر للوحىَ ، وهذا دون أن يتعلم فلا هـو قرأ الرسالة (القشيرية) ولا قرأ قوت القـلوب (لأبى طـالب المكى) فكـل ما تعلمـه نـوح تعلمه عـن طريق القـلب لا عـن طريق الشروح ولا عـن طريق الـتفاسير ، كان الفـيض الإلهـى هو معلمه ، ذلك الفـيض الذي يجعل حتى الأخرس ينطق ، ومـنه أيضاً ينطـق الطفل ، ولـم لا ؟! ألم يؤتَ عيـسى عليه السلام هـذا العطـاء الـذي جعلـه ينطـق وهـو فـي المهـد ؟! ولـم البشـر فحسب ، الجبل أيضاً حينما ذاق حلاوة هذا الشراب ، أوب مع داود عليه السلام ورجع مـنه الغنـاء والغزل (انظر البـيتين ٢٥٠١ و ٢٨٣٤ مـن الـترجمة العـربيـة للـكتاب الثـالث ، وانظـر سـورة الأنبياء الآية ٧٩) ، وأى عجب أن يؤوب معه الوحش والطير وقد ألنا لـه الحديـد ؟! ناهيك بمعجزات سليمان عليه السلام ، فتلك الريـاح الـتى كانـت رجوما علـى قوم عـاد كانـت حمالة له ، ناقـلة له الأخبار والأنباء .

(٢٦٧٣ – ٢٦٧٦) : لقد كررنا هذا الكـلام كثيرا وهو كـلام بلا نهايـة ، فلنعد إلـى حكايـة الفأر والضفدع ومصباح الوعى أو العقـل هنا أي يا مسبباً لنور الروح (للوعى بمعـنى الروح انظـر البـيت ١٤٥٥ مـن الـكتاب الرابـع والبـيت ٧٣٤ مـن الـكتاب الـذي بـين أيـدينا) ، وتتمدد الصلة بين الفأر والضفدع بأنها علاقة عشق ، وحديث العشاق بأنه أنين .

(٢٦٧٧ – ٢٦٩٣) : إن الصلاة مفروضة علـى عامة المؤمـنين لخمسة أوقـات ، هى لقـاء بين العاشق والمعشوق ، ومـن هنا فالعشاق فـي صلاتهم دائمون ﴿ الذين هم علـى صلاتهم دائمـون ﴾ (المعـارج /٢٣) قـال الـشيـخ الأكبر " وإن كـان بـين الصلاتين أمـور" (مولـوى ٦/٣٧٣) ، فـإن خمـار السكر بـالخمر الإلهيـة الـذي فـي رؤوسـهم لا يهن أو لا يـستقر لا بخمس صلوات ولا بخمسمائة الف صلاة ، والعاشق لا يقنع بالحديث الذي قالـه الرسـول ﷺ

لأبى هريرة : { زر غبا تزدد حبا } (جامع ٢/٢٧) ، إنهم أسماك بحر الحياة ، لا صبر لهم عن الماء لحظة واحدة ، فهل يشبع المصاب بالاستسقاء من الماء ؟! (انظر الكتاب الثالث ، البيت ٣١٩٠ - ٣٩١١) أنظر : إن حركة العالم كلها قائمة على العشق ، العشق هو الذي يجذب تماسك أجزاء العالم ، وأجزاء البدن ، والأضداد ، العشق هو الذي يحفظ الحياة (انظر لتفصيلات الفكرة الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٠٠ - ٤٤٢٣ وشروحها) . إن العاشق منصرف بكليته إلى المعشوق انصراف وامق إلى عذرا ، (وامق وعذرا عاشقان أسطوريان في التراث الفارسى القديم وانتقل إلى التراث الإسلامى ونظمها شعرا الشاعر العنصرى والشاعر فخر الدين اسعد الجرجانى) ، فهل يمكن أن يزور المرء نفسه غباً ؟! العاشق والمعشوق نفس واحدة ، فهل يحب إنسان نفسه على نوبات ؟! إن هذا الأمر لا يمكن إدراكه بالعقل ، بل بالموت والفناء حيث يبقى العاشق ببقاء المعشوق (للبقاء في الفناء انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) وهل من العقل أن تفنى النفس ؟! وكيف يطلب منك قتل هذه النفس وهو الرحيم الودود أن لم يكن في قتلها حياة لك ؟!

(٢٦٩٤ - ٢٧١١) : يعود مولانا إلى ضراعة الفار للضفدع ، أي فأر وأى ضفدع ، إن الفار هنا رمز للسالك ، والضفدع رمز للمرشد الهادى المقيم في بحر الوجود ، والسالك يعبر عن شوقه ، ذلك الشوق الذي يشبه الاستسقاء ، فالمستسقى لا يشبع من الماء ، هو جائع إلى محبوبه ذلك الجوع الذي لا يعرف الشبع ، فجد أيها الغنى بزكاة الجاه ففى الحديث " زكاة الجاه إغاثة اللهفان " (استعلامى ٦/٣٥٢) . وذلك لأن " الموت كفارة لكل مسلم " (انقروى ٢-٦/١٢٦) . فهبني أيها الغنى لست مجدا في الطلب ولا مستقيما في السلوك، فأين لطفك و شمس رحمتك الساطعة على المستحق وغير المستحق ، إن الشمس تشرق على القمامة ، ولا يصيب نورها ضرر من هذه القمامة ، بل إنها بلطفها تحول هذه

القمامة إلى وقود يسطع بالنور في الحمامات ، تحولها من نجس إلى زينة ، تجعل من القمامة سماداً ينبت الورود والرياحين والثمار ، هل فهمت إذن معنى تبديل الله السيئات إلى حسنات ؟! (الفرقان /٧٠) ، وإذا كان هذا فعل رحمته ولطفه بالخبيثين فماذا يفعل بالطيبين وعباداتهم ؟! إنه يعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (انظر البيت ٣٤٠٨ من الكتاب الثالث) .

(٢٧١٢ - ٢٧٢٢) : لا يزال السالك يتضرع ويتساءل : مالنا وهذا الحديث ، وما مقدار جدارتي به ؟ وأين أنا منه ؟ إنك أنت فقط إليها الحبيب الذي تستطيع أن تحول قبحي إلى جمال ، وشوكي إلى ورود وسمي إلى شهد ، لطفك فحسب هو الجدير بمحو هذا القبح ، ربيعك هو فقط الذي يستطيع أن يهب الشوك خلعة الورد والحية خلعة الطاووس ، وكل هذا القبح الذي في لا يؤيستني ، فإنني الجأ إلى منبع الرحمة والعطايا ، " إن شديد القبح يلجأ إلى شديد الجمال " ، ومن فيض لطفك ، سوف تبكي على إذا أنا مت حسرة في سبيل هذا الطلب ، فابك على حاجتي وضعفي وضراعتي وأنا بين الأحياء :

فلا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

(٢٧٢٣) : العنوان هنا حافل بالمعاني الصوفية وكلها تجري حول معنى الوقت ، فالسالك يريد أن يلحق بالوقت الذي هو فيه ففي التأخير آفات ، والوقت بمثابة الوالد له ، وهو بمثابة الابن ، والابن دائما ما هو متعلق بطرف ثوب أبيه ، وإلا ضاع ، والأب لا يعرف ابنه ، ولا يؤجل حاجته ، والصوفي لا ينظر للمستقبل كالعوام ، إنه نهري ، أي كالنهر دائما في جريان وتجدد ، وليس دهريا ، أي لا تجري عليه الأزمنة من صباح ومساء وماض ومستقبل، فكلها أمور رهينة بالعقل ، فهو إبن الوقت أي ليس محدوداً بزمان، فكل هذه المصطلحات لا توجد في عالم اللازمان واللامكان ، وابن الوقت تعني نفي الأزمنة ، فهو يعيش في حاضر خالد ، فوقت الصوفي وارد غيبي ومشيئة الله وفعله ولا

فاعل سوى الحق (استعلامى ٦/٣٥٤) . ونفى الوقت يعنى نفى الزمان مثلما تعنى الله واحد نفى الاثنينية دون أن تدل على حقيقة هذا الواحد .

(٢٧٢٣ - ٢٧٢٧) : يسوق مولانا لطيفة بهذا المعنى لم يبحث لها أحد المفسرين عن أصل : ذلك الصوفى الذي قال له أحد الأسخياء هل تحب أن أعطيك درهما اليوم أو ثلاثة دراهم في الغد ، فقال لو استطعت أن تعطينى نصف درهم بالأمس أفضل من مائة درهم في الغد ، إن الصوفى يريد عطاءه حاضرا ، لكنه في نفس الوقت يعطى الجواد درسا في أن الأزمنة لا تعنى شيئ عنده ، تستطيع أن تهب غدا أو أن تهب اليوم ، لكن هل تستطيع أن تهب بالأمس ، (عطية الله لنا جميعا بالأمس ، في يوم الميثاق ، وفي يوم أن حفظناً نطفا في ظهور أجدادنا يوم الطوفان- انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٣١ - ٣٣٦ وشروحها) والصفعة النقد أفضل من العطاء النسيق مثلٌ فارسى سائر لكن مولانا يضيف : ليست أي صفعة بل الصفعة من يد الحبيب .

(٢٧٢٨ - ٢٧٣٤) : ظاهر الكلام هنا على أن الفأر يتحدث مع الضفدع ، لكن يبدو أن مولانا جلال الدين قد ترك كل ما يتعلق بالحكاية واستمر في إفاضاته عن جوار العاشق (المريد) للمعشوق (المراد) ، وروح الروح تعبير عن الخالق (انظر البيت ١٢٧٥ من الكتاب الثالث) فهيا تعال واغتنم هذه اللحظة (هذا الوقت) ، والقمر هو الحقيقة والسراة هم السالكون ، والماء هو المعرفة ، والجدول هو العبد الذي يجرى فيه ماء المعرفة، والياسمين والخضرة كناية عن تجليات عشق الحق على العبد، فوجود العاشق دليل علىوجودالمعرفةويعبر عنها بالماء المعين ، الحق سبحانه وتعالى قد قال أن سيماء العابدين في وجوههم (الفتح / ٢٩ وانظر البيت ٢٥٧٣ من الكتاب الذي بين أيدينا) (استعلامى ٦/٣٥٤) قال نجم الدين " سيما المحبين في وجوههم من أثر السجود لأنهم لا يسجدون لشئ من الدنيا والعقبى إلا لله مخلصين " (مولوى ٦/٣٨١) والمرج ينبئ عن المطر حتى ولو نزل بليل ، أي أن الألطاف الإلهية بادية في الخليقة حتى ولو لم ير البشر الإله .

(٢٧٣٥ – ٢٧٤٣) : يمزج مولانا بين الفأر والضفدع وبين السالك والمراد فتقرب الكنايات من الواقع ، والبحرى كناية عن الشيخ الواصل الذي يستطيع أن يعيش في بحر المعرفة والبرى هو الذي لا يزال مرتبطا بالبر أو التراب فهو جسد لا يستطيع أن ينزل إلى بحر الروح ، ولا محيص له من أن ينتظر عطاء المقيمين في بحر الروح ، لكن يجب عليه في البداية أن يكون مقيما بالقرب منهم على شاطئ الجدول ، حتى يصل للجسد عطاء الروح .

(٢٧٤٤ – ٢٧٤٨) : في هذه الأبيات يفسر مولانا – كعادته – رموز حكاية : فالجسد يحيط بالروح إحاطة الحبل ، فإما أن يصفو ويجذبها إلى السماء ، وإما أن يعكف على الشهوات ويجذبها على الأرض ، أما الروح فهي كالضفدع نائمة مستريحة مسترضية تحت ماء المعرفة فارغة من أذى الجسد ومن شده ومن جذبه ، وبذلك الحبل يجذبها فأر الجسد ، والروح في مرارة من ارتباطها بهذا الجسد ، تعاني مما يشدها إليه ويسوقها إلى معاناته ، وفي جزء من الحكاية سنرى كيف يؤدى ارتباط الضفدع بالفأر إلى كثير من معاناة الضفدع ، فحال الروح مثل حال هذا الضفدع في تعلقها بالجسد الذي يعد سجنا لها ، فالروح حين نوم الجسد تكون في عالم من السرور والسعادة (عالم ماء المعرفة) وإذا لم يجذبها فأر الجسد من عالمها السعيد هذا لظلت فيه (انظر الكتاب الأول ، الأبيات ٢١٠٠ – ٢١٠٨) والبيت ٢٧٤٨ اختلف فيه المفسرون فقد فسره بعضهم بأن النهار يعني يوم القيامة ، وتستمع إلى بقية تحرر الروح من سجن الجسد يوم القيامة من الله المتعال ، وهناك تفسير بأن مولانا يقصد بأن إفاضاته خارج الحكاية قد طالت ، وعندما يطلع النهار سوف يواصل قص بقيتها ، وكيف سيجرى الله سبحانه وتعالى بقيتها على لسانه ، وهناك تفسير آخر بأنك سوف تفهم بقية ما لا يستطيع مولانا التصريح به عندما تسطع عليك شمس الحقيقة وتصل إلى مرتبة الكمال إلهاماً من الحق (استعلامى ٦/٣٥٥) ويرى مولوى أن باقيه تستمعه عندما تستطع عليك شمس الحقيقة وتستيقظ من نوم الغفلة على فحوى " أن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " (مولوى ٦/٣٨٣) .

(٢٧٥٢ – ٢٧٥٨) : الحديث هنا عن الادراكات القلبية لرجل الحق والتى لا تستند على أدلة ظاهرة ، بل هى فراسة (انظر البيت ٢٧٠٤ من الكتاب الثالث) نور يقذفه الله في قلب عبده من اللوح المحفوظ فالمؤمن ينظر بنور الله ، وهى وحى الحق وليست من كتاب أو مدرسة ، ولك هذا لأن الضفدع (الروح) أحس بأن الفأر (الجسد) يعمل على توقيعه في المشاكل ، ولماذا تستبعد حدوث هذا الوحى ؟! لقد حدث لذلك الفيل الذي ساقه ابرهة لهدم الكعبة (عام ٥٧٠ م) فلم يكن يتجه إلى الكعبة ، ولم يدركه سائق الفيل عندما كان يسوق الفيل تجاه الكعبة بكل ما أوتى من قوة ، بينما كان يسرع في سيره إذا وجهه جهة أخرى ، كان الفيل عالما بقهر الله وهو الحيوان ، وهناك كثير من البشر لا يفهمونه ولا يدركونه .

(٢٧٥٩ – ٢٧٦٧) : يقدم مولانا مثالا آخر على الإدراك الباطنى لرجل الغيب ، كان يعقوب عليه السلام عالما بكل ما سيحدث ليوسف عليه السلام من إخوته ، أمره إلا يقصص رؤياه على اخوته ، فيكيدوا له ، وكان يمانع في خروجه مع إخوته ، ومع ذلك فقد رضخ ، وسمح لهم أن يأخذوه ، كان قلبه دليله القاطع على فساد الإخوة وتآمرهم وتبييتهم للغدر ، ومع ذلك ، " الله غالب على أمره " ، كان القضاء أن يحدث ما حدث ، وألا يعتد يعقوب عليه السلام بدليل قلبه ، لكن القضاء آنذاك كان يفكر بشكل مقلوب كما يفعل الفلاسفة ، وهكذا ديدن القضاء وفعله ، وحين يجئ القضاء يضيق الفضاء . " وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب عن ذوى الحاجة عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاءه وقدره فإذا أمضى أمره رد عليهم عقولهم وفتحت الندامة " (انقروى ٦-٢ /١٣٥-١٣٦) ولتفصيل الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ١٦٤٥ – ١٦٥١ وشروحها والأبيات ٤٦٤ – ٤٧٣ وشروحها و ٣٨٠ – ٣٨٩ وشروحها) .

(٢٧٦٨ – ٢٧٧٩) : القضاء سواءٌ كان حلوا أم مرا ينبغى أن يرضى به المرء لأن رضا الله سبحانه وتعالى لا يكون إلا بهذا ، ومهما كان القلب صلبا فإنه يصبح في يد العناية الإلهية في ليونة الشمع ، يصبح القلب المستنير غافلا ، بل تكون غفلة مقصودة لكى ينفذ قضاء الله

، وهذا الأمر ليس من الذهول ، إنه ابتلاء ، (انظر البيت ١٥ من الكتاب الذي بين أيدينا والبيت ٧٤٣ من الكتاب الثالث) لكن هذا الابتلاء الواحد يخلصه من مائة بلاء. كيف هذا ؟! انظر إلى العامي يشرب الخمر الإلهي فيخلص هذا الخمر من كل القبحاء الذين يحيطون به ، يصبح ناضجاً حراً ، لا يأبه بخيالات الخلق وأوهامهم ، يستطيع بعدها أن يكون عالما ببحر العناية الإلهية وجزره ومده . وعند السبزواري (ص ٤٢٣) المقصود بالصحراء هنا سعة عالم الملكوت وهذا العالم إلى جوار عالم الملكوت كحلقة في فلاة ، فالأرواح الثملة بعشق الأحد تأتي بشكل متواتر من عالم الملكوت إلى عالم الملك والشهادة ثم تعود .

(٢٧٨٠ – ٢٧٨٨) : نحن كلنا مسافرون في هذا الطريق ، طريق الحق ... نأتي منه ، وعن طريقه تكون عودتنا ، كل جاه ونعيم ومنصب يصل من ذلك العالم الذي يبدو عدما ولا وجود ظاهري أو صوري له وهو اصل الوجود ومنبعه (انظر البيت ٣٧٧٢ من الكتاب الثالث والبيت ١٣٦٧ من الكتاب الذي بين أيدينا) وكل ما يبدو في عالمنا هذا إنما جاء من ذلك العالم ، ومن ذلك العالم ، تأتي القوافل كل صباح ومساء (المولودون) إلى عالم الشهادة من عالم الغيب ، وفي المقابل تمضي قافلة أخرى (الموتى) إننا نبدو مقيمين (جلوسا) لكننا في الحقيقة سائرون وماضون ، أليس كل ما نكتبه هنا في الحقيقة هو من أجل المآل ، من أجل ذلك العالم الآخر الذي لاشك أننا عائدون إليه من نفس الطريق ، وهكذا سفر الرجال لا يكون سفرا هنا وسيرا هنا بل يكون سيرا إلى هناك ، إلى تلك الناحية ، إلى عالم المستقبل .

(٢٧٨٩ – ٢٧٩٤) : كيف يكون هذا السفر الذي تحدثت عنه ؟! إنه تماماً كما كان يكون ورود الأفكار والصور والخيالات على القلب . فكرة بعد أخرى ، وصورة بعد أخرى وخيال بعد آخر ، كلها تسرع ظمأى نحو منبع القلب تملأ جرارها وتستمد القوة ثم تعود ، كأنها كواكب الفلك ، تدور عليك بالسعد وبالنحس ، بعضها رحماني وبعضها شيطاني ، فإن كانت سعدا اشرك وآثر بما أعطيت ، وإن كانت نحسا فتصدق واستغفر " إذا اصبحت فتصدق

بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم ، وإذا أمسيت فتصدق بصدقه تذهب عنك نحس تلك الليلة " (أحاديث مثنوى ، ص ٢١١) .

(٢٧٩٥ – ٢٨٠٣) : من نكون نحن لندرك هذه الأمور ؟ أو لنسيطر على هذه الأفكار؟ إني أناجيك يا خالقي ومليكي ، فأنت فوق الأفلاك ، فدر دورة واشملني برعايتك وعنايتك ، وحول سير أفكاري إلى الطهر والنقاء ، وامح عن الروح أدران الذنوب ، واسطع عليها بأنوارك ، أنوار معرفتك . فهذه الروح التي كالقمر أصابها الخسوف عندما صارت في مرحلة الذنب ، وما هذا إلا من الخيال والوهم والظن (عن الخيال انظر البيت ٢٧٧٨ من الكتاب الذي بين أيدينا وعن الظن انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤١١٢ – ٤١٢٣ وشروحها والبيت ٢٣٣٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، خلصها يا إلهي من بئر الدنيا وما يشدنا إليه من حبال إما أن تقذفنا في أعماقها أو تخلصنا منها (انظر الكتاب الأول البيتين ٨٥١ و ٨٥٢ والكتاب الرابع البيت ٦٧٤) ، فمن هذه الرعاية يستطيع القلب أن يجد جناحين يحلق بهما خارج سجن الجسد ، هيا أيها العزيز ، فإن الروح تتعذب في سجن البدن مثلما تعذب يوسف عليه السلام في سجن العزيز ، هيا ، يا صادق العهد في نجاة عبادك الطيبين ، شاهد رؤيا في نجاته (سورة يوسف / ٤٣ – ٥٤) هيا ، فالله يحب المحسنين ، إن البقرات السبع العجاف (أعضاء الجسد) تأكل البقرات السمان السبع (لطائف القلب السبعة) أو بتفسير نقله المولوى " أراد بالبقر العجاف النفس ومشتهياتها المشبه بجهنم من حيث أن كلا منها يأكلن الدين والطاعات وأراد بالسنبلات اليابسات الوساوس والشيطانية ومن السنبلات الخضر الصفات الحميدة (مولوى ٣٩٠/٦) ، فهيا يا إلهي ولا تجز على أن أظل على هذا الحال في التأرجح بين الطين والنفخة الإلهية ، وبين الأرض والسماء .

(٢٨٠٤ – ٢٨١٦) : هيا يا إلهي ، إن يكن ثم حبس أو سجن فليكن يوسف روحي في حبسك أنت وفي سجنك أنت ، وخلصني بهذا السجن من أيدي نساء الشهوة ، وأولئك الذين لا

يتصفون بصفات رجال الطريق ، فقد كان هبوطي إلى هذه الدنيا حقيقة ومجازاً من تلك الشهوة التي سيطرت على أمي ، فأمي الأولى من شهوتها إلى الشجرة المحرمة أنزلت أبي من موطنه وموطني ، وأمي الثانية من شهوتها حبستني في سجن الرحم ثم ألقت بي في سجن الدنيا ، استمع إلى نواح يوسف الروح عليه السلام في سجن البدن هذا ، أو فارحم يعقوب المشيخة الذي ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، أأشكو يا إلهي من إخوان السوء في هذا الزمان ، أو أشكو من كيد النسوة اللائي ألقين بي بعيداً عن حنان وصلك ، فأصبحت ذابلا عبدا رقيقا أسيرا للقوت ولمتطلبات الدنيا ، ثم تبت على آدم واجتبيته ، ولحقني شئ من التوبة التي تبتها عليه . في الانقروي " من لم ينفع لحظه لم ينفع لفظه " (١٤٥/٢٠٦) . فكانت بمثابة البخور من عين السوء ، لكن مشيئتك أنت هي التي تمنع الأذى ، حتى وإن كان ثم بخور ولم تكن مشئيتك ، لأصبح ذلك البخور أذى وليس دواء ، فإن عنايتك أيها الإله هي العلاج من عين السوء ، بها إنها تبذل السيئات إلى حسنات ، وتجعل من عين السوء عينا للحسن، إنها الكيمياء التي تبدل هذا المعدن الخسيس ، الجسد الإنساني ،إلى معدن نفيس للروح باحث عنك ، طالب لك منصرف عن كل هذه الدنيا ومغرياتها (انظر الأبيات ٥٩٢ – ٥٩٤ من الكتاب الرابع) .

(٢٨١٧ – ٢٨٢٤) : تريد أن تفهم هذا التبديل انظر إلى عين المليك تقع على قلب السالك ، فتصبح عين هذا القلب في منتهى علو الهمة، يصبح باحثا عن الحق ، فلا يقنع بهذه العلوم الأرضية ، لا يكون الصيد همه حتى صيد الأسود ، يصبح العاشق والمعشوق والصيد والصياد، لا يهمه أن يصيد أو يصاد (انظر الأبيات ١٠٥٣ – ١٠٥٥ من الكتاب الرابع وشروحها) إن كل شئ ما خلا الله بالنسبة له باطل وآفل ، وهو كإبراهيم الخليل عليه السلام لا يحب الآفلين ، ولا يطلب سوى الله ، وعندما ينظر إليه الله سبحانه وتعالى بعين الرعاية ، يمنحه الرؤية الباطنية التي لا حدود لها ولإدراكها، فتسيطر على كل حواسه ، فينظر بالله ويسمع به ويسعى به ، هذا الحس الباطني هو ملك الحواس وهو لا يفتر ولا تحيق به الشيخوخة ولا

يشيب ، لا يعتريه ما يعترى الأجساد من تغير وتبدل فهو دائم الاستمداد من عين الحياة ، التى لا ينضب معينها ولا يغور ماؤها ولا يكدر ولا يأسن .

(٢٨٢٥) : لم يهتم أحد من الباحثين بإيراد أصل للحكاية التى تبدأ بهذا البيت ، والمراد أن كلا من البشر له خاصيته من الخواص ، لكن الذي يكون مدعاه للنجاة ذلك الذي رأى السلطان ليلا ثم عرفه نهارا، إنه صاحب قبس من نور الغيب وهو في الدنيا .

(٢٨٣٢) : فسر استعلامى (٦/٣٦٠) قيـرْوان بأنها مدينة القيروان وقال أنها فـي ليبيا (!!) وقيروان هنا الليل المظلم الذي يشبه القار .

(٢٨٣٥) : " الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " .

(٢٨٣٦ – ٢٨٤٠) : الكلام هنـا عن العارف الذي يعلم بمجرد مطالعة تراب الجسد قدر الاستعداد الروحى الموجود فيه وهو متفاوت تفاوتا شديداً بين النـاس ، وكـان ليعقوب عليه السلام هذه الخاصية فقد اختص بشم قميص يوسف وهو في كنعان بينما كان حامل القميص لا يعرف عن سره شيئاً ، وكانت أيضاً لمحمد ﷺ الذي شم رائحة اويس القرنى من اليمن ، كما كانت أيضاً للمجنون الذي شم تراب ليلى وبه عرف قبرها وانشد :

أرادوا ليخفــــوا قبرهــــا عن محبــــها *وطيــب تـــراب القبـــر دل على القبــــر.

والبيت لمسلم بن الوليد في الأصل :

أرادوا ليخفــوا قبــــره عن عــــــدوه *فطيـــب تـــراب القبـــر دل على القبــــر.

ولعل الحكاية التى رويت عن المجنون مشتقة منه (مآخذ /٢١٢) .

(٢٨٤٢ – ٢٨٤٤) : يزاوج مولانا جلال الدين بين ذلك اللص الذي تكمن سر قوته في قبضته ، ويرى أنه مهما بلغت قوة قبضته فلن تبلغ القوة الروحانية الموجودة في قبضة المصطفى ﷺ الذي رمى وهذا من الاتصال الربانى حمله إلى أعلى عليين في ليلة المعراج .

(٢٨٦٥ – ٢٨٨٥) : إنه عــذر الانبســاط ، فالذى يعــرف الملك يطـلق لسانه على الحشم ،

تصدق على المستوى الظاهرى وعلى المستوى الصوفى ، واستخدام الآية القرآنية يوحى بغلبة المستوى الثانى ، كما يوحى المعنى بأن للأولياء والأنبياء حق الشفعة في العصاة من الأمة ، ويواصل اللص كلاما لا يعقل إلا على المستوى الصوفى ، قد شاهد اللص الملك في ليل الحياة الدنيوية ، لم يشاهده فحسب بل عشقه ، ويضرب الأنقروى (٦-٢/١٥٥) مثلاهنا هو " أطلب العلة كي أغفر الذلة " . والأبيات التالية تبتعد عن سياق الحكاية وعن جو اللصوصية ابتعاداً تاماً ، ولا يعقل أن يكون الحديث على لسان اللص ، بل هو على لسان سيد المشفعين يوم القيامة ، فلأن محمد ﷺ ما زاغ بصره إلا عن رؤية كل ما سوى الله سبحانه وتعالى ، أصبح شفيعا لكل عاص مرهما لكل جرح ، ففى ليل الدنيا كان مبصرا للحق ، لأن الله سبحانه وتعالى قد شرح صدره ، وكحل عينيه بهذا الشرح بحيث أصبح لهذا اليتيم من در الرؤية وجوهر البصيرة ما لم يكن للملائكة ، ومن جراء هذه الرؤية سماه الله سبحانه وتعالى شاهداً " (الأحزاب /٤٥) ، والشاهد بصيرة نفاذة ، تشاهد في قيام الليل الأسرار ، ولا يفوتها سر منها ومن هنا فإن الحق " القاضى " يعتمد على شهادة هذا الشاهد ، لا على قول المدعى ، فالمدعى غالبا ما هو صاحب غرض ، ومن هنا يطلب الله منك الزهد في كل الأغراض حتى ترتفع من مرتبة المدعى إلى مرتبة الشاهد - ذلك لأن كل صاحب غرض صاحب حجاب على الرؤية ولا يبصر الأمور كما هى - ومن هنا دعا الرسول ﷺ " اللهم أرنا الأشياء كما هى " ، ومن هنا قال الرسول ﷺ أيضاً :" حبك الشيء يعمى ويصم "، نظرتك إلى الأشياء بغير موضوعية وبعين الغرض هى التى تبعدك عن حقيقتها ، ومن هنا عندما سقطت شمس الحقيقة في قلب محمد ﷺ فإن كل الأغراض أصبحت في قلبه بلا قيمة ، وأصبح عالماً بما في قلوب المؤمنين والكفار .

(٢٨٨٦ - ٢٨٩٥) : لكن الأمور دائما ما تكون في خفاء ، وليس أدل على ذلك من ذلك الشئ الواضح الخفى ، روح الإنسان ، لقد أخفاها الله تعالى ، وجعلها من أمره ومن

خصوصياته التى لا يطلع عليها بشر ، فليس هناك إذن لكل عين بالإطلاع على أسرار هذه الروح ، ومن ثم فإن عين النبى وعين الولى ، أو ما يعبر عنه مولانا بعين العزيز أبصرت هذه الروح ، لم يبق شئ خفيا عنها ، فهى الشاهد المطلق وهى الفيصل في كل نزاع وحكمها هو الفصل ، ولأن الحق عدل ومن أسمائه العدل ، فالشاهد العدول يلزمه من أجل الحكم العادل ، كما أن الشاهد العدول هو عين القاضى في الدنيا ، لأنه عالمٌ بالقلب ، " احذروهم هم جواسيس القلوب "والله تعالى لا ينظر إلى الصور بل ينظر إلى القلوب ، وهناك معنى آخر للشاهد في اللغة الفارسية ، فهو يعنى المعشوق ويعنى الحسناء : وملاعبة الحسناء حجاب على وجه الحقيقة أيضا ، فإنك ترى الملاعبة ولا ترى اللاعب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الله تعالى يحفظ محبته لأوليائه (حسانه) في حجبه ، بحيث لا يبصرهم من لا يستحق رؤيتهم " أوليائى تحت قبابى – قبائى – لا يعرفهم سوى أوليائى " ، هذه هى الغيرة الإلهية على من يحبهم ، ولولا هذا الحب لما قال لسيد الأنبياء والأولياء ليلة المعراج ، " لولاك لما خلقت الأفلاك " وينقل الأنقروى (٦-٢/١٦٣) حديثا آخر " إن الله أعطى موسى الكلام وأعطانى الرؤية وفضلنى بالمقام المحمود والحوض المورود " . إنه قضاؤه بالمحبة ، وقضاؤه المسيطر على الخير والشر ، والشاهد يظل شاهدا ، ولا ينقلب إلى قاض ، وإن كان للأولياء نصيب من هذه الرؤية ، ذلك أن كلهم أسرى لهذا القضاء ، فهنيئا لتلك العين الحادة ، عين الولى العزيز المرتضى التى أبصرت الحق ، وأبصرها الحق ، وأصبح لها نصيب منه .

(٢٨٦٩ – ٢٩١٤) : يخاطب العارف المعروف ، إنك أنت الرقيب علينا في حلو الحياة ومرها، وكل ما نفعله إنما نفعله بإشاراتك دون علم منا ، وذلك أنك ترانا ولا نراك ، ذلك أن هذه العين الجسدية لا ترى إلا الأسباب ، وبهما لا يمكن رؤية المسبب (انظر الكتاب الثانى ، البيت٣١٥٦) ، لكن العين التى تصطفيها يا ألله هى العين التى تستطيع أن تبصر شمس الحقيقة في ليل الدنيا المدلهم ، وهذا يا إلهى من لطفك بالعبد وإن لم يكن العبد مستحقا ، وما

الإحسان إلا بالإتمام ، فيا ربنا ﴿ أتمم لنا نورنا ﴾ (التحريم /٨) ، ولا تبتل حبيبك في الدنيا بأن يكون مهجورا في الآخرة ، وكيف تبتليه بالبعد بعد الوصال وهو أشق أنواع البعد والهجر ، لقد زرعت نبتة من حبك في قلبه ، فروها بماء معرفتك ، وجازني يا إلهي على دوامي السير في طريقك بدوام لطفك ، ولاتحرمني من رؤية وجهك بعد أن أبصرته ، فرؤية كل شئ سواه عبودية وغل في القدم يمنع السير ، وما خلاك باطل ، وكل نعيم زائل ، لكنها تجذب الباطلين ، ويظنون أن الكمال والرشد فيها (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٦٥٥ – ٢٦٨٠ وشروحها والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٢٨٥٢ – ٢٨٤١) ، وجاذبية كل شئ لما يشابهه ، من الأمور الطبيعية فالمعدة تجذب الخبز ، والكبد يجذب الماء ، والحسان يجذبون العين ، والرياض تجذب الشم ، لكن جذب لطفك يا إلهي هو الذي ينجينا من كل ألوان الجذب الباطلة والتي تبعدنا عنك ، فاشترنا أنت يا الله من كل هذه الأشياء ، ألست القائل ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة /١١١) .

(٢٩١٥ – ٢٩٢٣) : يعود مولانا لى قصة السلطان محمود واللصوص ، ويوجه اللص صاحب العين البصيرة بالليل الحديث إلى السلطان ، لكنه الحديث مع ذلك يمكن أن يحمل على محمل حديث العارف بالله إلى الله ، لقد اتجه إلى الملك اتجاه الظمآن إلى السحاب ، فقد كان يعرف الملك ، وصاحبه في تلك الليلة التى كانت أشبه بليلة القدر بالنسبة له ، ففيها يستجاب الدعاء ، وهذا الانبساط من مصاحبة المليك هو الذي جعله واعيا لما يقول ، كان " الوقت " وقته، وفي حوزته ،ومن ثم كان جريئا في الحديث منطلقا فيه ، فهذا هو " الحال " الذي أراده فيه ، ولا ينبغى أن يفوته ، ذلك أن " الموت ولا الفوت " . إن خواص الخلق وقدراتهم وفضائلهم كلها تزيد في الشقاء وفي البعد ، ولم تعد إلا خاصيتك أنت في اللطف والرحمة ، فإلى أي شئ أوصلتنا فضائلنا وقدراتنا وقوتنا ؟! إلا أن سقطنا منكبين على أعناقنا ؟! فيها أيها السلطان محمود حرك لحيتك حتى تنجو من سيف الجلاد ، فإن صاحب انظر إليك في ليل

النصوصية والسطو هو الذي عرفك وهو الذي يرجوك .

(٢٩٢٤ - ٢٩٣٠) : وهكذا فإن الملك في يوم العرض استحيا من ذلك الذي أبصره في الليل ، إن الكلب الذي كان عارفا بالمليك لأنه تبع أولئك العارفين به ، قد لحق بهم ، وظل يذكر معهم وصنوا لهم حتى يوم القيامة ، فإن لم تكن ثم عين مبصرة ، فلتكن هناك أذن سميعة ، فبالأذن السميعة تستطيع من نباح هذا الكلب العارف أن تعرف أين توجد أسد الله ؟! هل تتعجب أنني أضرب المثل بكلب ؟!! إن الكلب الساهر هو الذي يعرف قيام الملوك (الأولياء) وحتى إن كان القلب سئ السمعة فمن أدراك بهؤلاء الذين ساءت سمعتهم بين الخلق ، اترك ظواهر أحوالهم ، ودعك عن لومهم ، ووظف عقلك لتتبع أسرارهم ، فرب أشعث أغبر ... ، إن هؤلاء يرون أن من السذاجة أن يبحثوا عن حسن السمعة منك لأنك لا تفهمهم في شئ ، إنهم على مثال الذهب الذي يسود ويغطى بالصدأ حتى تعمى عنه أعين اللصوص (انظر الكتاب الرابع ، البيت ٢١٧٣) .

(٢٩٣١ - ٢٩٤٩) : الحكاية هنا كما يقول فروزانفر (مآخذ /٢١٢ - ٢١٣) مأخوذة من كتاب داراب نامه لأبى طاهر الطرسوسى وفيه بعض القصص الشعبى المتداول حتى القرن السادس الهجرى . وصورة الثور البحرى كما يقدمها مولانا هى صورة شعبية عن ذلك الحيوان الذي يرعى السوسن والسنبل فتكون فضلاته من العنبر . والجوهرة الشاهانية أو الكيانية في المأثور الفارسى ، جوهرة كانت في خزانة الملك الأسطورى الضحاك ، واستولى عليها الكيانيون وكانوا يضعونها على رايتهم ، وهى هنا رمز للروح المضيئة المستنيرة التى يرين عليها طين الجسد فيطفئ نورها ، والثور لا يعرف قيمة الجوهرة المغطاة بالطين مثل إبليس الذي لم يعرف جوهرة آدم (النفخة الإلهية) . ونظر إليه باحتقار كمخلوق من طين ، وهكذا فمنذ أن صدر الأمر للروح بالهبوط " من المحل الأرفع " وهى حبيسة في الطين ، فإياكم والهوى الذي جعل إبليس لا ينظر إلا إلى الطين من الهوى ، فالهوى حيض الرجال ،

والحائض لا تصلى ، واعلموا أن الجوهرة مخبوءة في الطين ، والتاجر يعرف قيمتها وإن كانت مغطاة بالطين، لكن الثور هو الذي لا يعرف قيمتها ، وهناك بعض الناس يعلمون أن هذه الجوهرة لديهم ، وهم أيضاً ينبئون عن آخرين لا يعلمون بوجود هذه الجوهرة عندهم ، لأنهم قد حرموا من رش النور . { إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل } ويشبه الانقروى (٦-٢/١٧٢) ما ورد في الأبيات وبين بيت ابن الفارض :

ومن فضل ما أسأرت شرب معاصرى   ومن كان قبلى فالفضائل فضلتى

وعلى كل حال فمثل هذا الكلام لا نهاية له ، ولا يزال الفأر الذي كنا نتحدث عنه ينتظر الضفدع المعشوق على شاطئ النهر .

(٢٩٥٠ – ٢٩٥٣): عودة إلى قصة الفأر والضفدع ، أو المريد الذي يحتاج إلى هداية الشيخ (انظر ٢٩٦٤ و ٢٧٣٥ من الكتاب الذي بين أيدينا) ويتناوب مولانا الحديث عن ظاهر القصة وعن باطنها ، وأول الخيط هو بداية المقصود وبداية صلة المريد بالشيخ وبداية الطريق ، إن ما بينهما يشبه تماما قلب العارف السالك عندما يجد لذة القرب وبداية الشهود ، إنه يدق وينحل ويصير في نحول الشعرة .

(٢٩٥٨ – ٢٩٧٠) : إن ما حدث للضفدع بعد أن اختطفه الغرب لأنه معلق بالخيط مع الفأر قد حدث له لأنه اقترن مع من هو من غير جنسه ، وهكذا الاقتران بالإخساء ،{ والمرء على دين خليله فلينظر ايكم من يخالل }، وكان مولانا يقول : الله الله الصحبة عزيزة ، لا تصاحبوا غير أبناء الجنس (مناقب العارفين ٢٨٣/١) ، (انقروى /١٩٥٩) . وهكذا العقل عندما يكون عابدا للنفس ، والنفس كأنها الأنف القبيح على الوجه الجميل ، يضيع جمال هذا الوجه ، وقبح النفس يضيع جمال العقل ، إن التجانس مهم وهو التناسب الروحى والتناسب الباطنى والانسجام الفكرى (انظر البيت ٢٩٠٩ من الكتاب الذي بين أيدينا والأبيات من ٢١٠٣ – ٢١٠٦ من الكتاب الثانى) وهكذا كان العقل يقول للضفدع : متى يكون التجانس عن طريق

الجسد أو عن طريق الصور ، والبصر غالبا ما يخطئ في الصور ، ويظن التجانس حيث لا يوجد التجانس ، انظر ، إن نملة ما تجرحبة من الشعير ونملة أخرى تجر حبة من القمح ، وتلتقي النملتان وأنت تظن أن القمح والشعير قد التقيا ، إن الظاهر غالبا ما يتحلل ويضمحل من حس الروح ، لا تنظر إذن إلى ما يحمله الناس ، بل انظر إلى الناس أنفسهم .

(٢٩٧١ - ٢٩٨٢) : وإن لم تنظر جيدا استخدم عقلك ، وفكر : هل تسير حبة القمح أو حبة الشعير ؟! وإذا كان الأمر بالصورة فكيف تبع الكلب أهل الكهف ؟! إنه التجانس الباطنى (القلبى) (انظر ٢٩٥٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) وهكذا عيسى عليه السلام كان في صورة البشر لكنه من جنس الملائكة ومن ثم سكن مع الملائكة في الفلك الرابع ، إن الأقفاص (الأجساد) ظاهرة والأفراخ (الأرواح) خفية ، ولا يوجد قفص يسير وحده دون حامل للقفص (تلك القوة الباطنة التى تجذب الأجساد إلى بعضها) ، إنها عين الباطن التى تكون سعيدة ويكون العقل المدرك للمعرفة الطالب للكمال أميراً عليها (انظر البيت ٣٢٩ من الكتاب الرابع والبيت ١١٢٨ والبيت ٤٤٢٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) إن العين تميز بين الألوان لكن العقل هو الذي يعرف الفرق بين الطيب والخبيث وإلا ما قال الرسول ﷺ {إياكم وخضراء الدمن } أي المرأة الحسناء في المنبت السوء ، والمحك هو العقل ، إن الطائر الذي لا عقل له يرى الحب ولا يرى الشبكة (زينة الدنيا دون خداعها وغرورها) ، حتى هذا العقل المدرك ، هناك شباك بالنسبة له غير مدركة ، إنه وحى الغيب فحسب ، وذلك الذي يملكه المرشدون الكاملون والأولياء فأسرع إليهم ، فإن هناك من ألوان الخداع ما هو أدق من الشعرة ، لا تبدو لك ، فتظن أن التجانس الصورى تجانسا ، وسواء بالنسبة لى أو بالنسبة لك لا يكون التجانس بالصور ، والدليل عيسى عليه السلام ، لقد جذبته الملائكة إلى أعلى ، كما جذب الغراب الضفدع إلى أعلى ، فالضفدع الذي انقاد لفأر ، أصبح من جنسه ، فاختطفه الغراب بالرغم من أنه مائى وبحرى .

(٢٩٨٣- ٢٩٨٩) : لا يزال الحديث عن التجانس ، يضرب مولانا المثل بشخصية

عبد الغوث وهو شخصية أسطورية كانت على صلة بالجن ، وكان من صحابة الرسول ﷺ من يسمى تميم الدارى تقول الروايات أن الجن اختطفته وانه بعد تجارب عجيبة عاد إلى أهله، وفي الروايات الشعبية نجد بعض القصص عن تحول بشر إلى جن ، وعن الزواج بين البشر والجن (استعلامى ٦/٣٧٠) ، وهكذا فإن عبد الغوث لأنه من جنس الجن عندما عاد إلى أهله لم يصبر بينهم أكثر من شهر واحد .

(٢٩٩٠ – ٣٠٠٠) : ومن كُتبت له الجنة يصبح من جنس الجنة - فيلهمه الله القيام بفعل أهل الجنة ، ومن هنا قال الرسول ﷺ { السخاء وحسن الخلق غصنان من شجرة الجنة } ، وقال ﷺ { السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدلية إلى الدنيا فمن أخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدلية في الدنيا ، من أخذ بغصن من أغصانها ، قاده ذلك الغصن إلى النار } (مولوى ٦/٤١٤) (عن أنهار الجنة وأن لها أصولا في الدنيا ، انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس ، الأبيات ١٦٣٠-١٦٤٠ وشروحها ، وعن أن الجنة أو النار المتمثلة من خصال البشر الطيبة أو القبيحة في الدنيا ، انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٣٤٥٠ – ٣٤٨٠ وشروحها) . ثم يضرب مولانا مثلا آخر بإدريس عليه السلام ، لقد كان عنده تجانس مع النجوم ، ومن ثم كان رفيقا لزحل ، متعلما منه ، معلما لبقية النجوم ثم معلما للناس أحوال النجوم ومداراتها وكيف يرصدونها (القصة هنا مختلطة بقصة هرمس انظر : سه حكيم مسلمان ، لسيد حسن نصر) .

٣٠ – ٣٠١٤) : يفسر مولانا جلال الدين التجانس أو انجذاب كل شئ إلى من هو من جنسه بأنه نوع من "النظر" ويفسر استعلامى النظر بأنه الرؤية الباطنية (٦/٣٧١) ويفسرها جعفرى نفس التفسير (١٤/٢٤١) وفسرها جنبنارلى (6/642) بالنظرة ، ولست أظنه إلا أن مولانا جلال الدين يقصد بها التناظر ، شئ ما موجود داخل كل إنسان يؤدى إلى تعارف الأرواح ، وإلى الائتلاف ، وهذا النظر – يفسر مولانا – مخبوء في كل إنسان ، وهذا النظر

عالم يجذب جاهلا (الجسد)، ثم إن الأمثلة التى يقدمها مولانا بعد ذلك تبين أن النظر ما هو إلا الطبع المخفى في الإنسان والذي قد يختلف اختلافا بينا عن الصورة (يكون المرء في صورة رجل لكنه مخنث ، أو في صورة امرأة لكنها مساحقة) ، ويكون إنسانا لكن في طبع الملائكة فهو نزاع إلى السمو ، ليس الأمر إذن بالصورة فالفأر لم يحقر لشكله بل لطبعه ، والطبع قابل للتبديل ، فلو ركب طبع البشر في الملائكة لارتكبوا كل خطايا البشر والدليل هاروت وماروت ، لقد نزلا من مقام ﴿ إنا لنحن الصافون ﴾ (الصافات ، ١٧٥) حيث كانوا في صف العبادة إلى أحط درك في البشرية (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٧٩٦ - ٨٠٦ وشروحها) وبدلا من إلهام الحق ، كان تعليم السحرة ببابل .

(٣٠١٦ - ٣٠٢٢) : النظر هو الطبع ، فاسع في أثر الطبع ، فحتى زيت الورد يتأثر بما يمتزج به ، وقد أورد الأنقروى الأبيات التالية لسعدى الشيرزاى في نفس المعنى :

-تلقيت قطعة طين طيبة الرائحة ذات يوم في حمام .

- فقلت لها : أمسك أنت أم عبير	فقد تملت من رائحتك المحببة .
فأجابت : كنت مدرة لا تذكر	لكنني عاشرت المحبوب فترة .
فأثر فيّ كمال الجليس	وإلا فأنا نفس التراب .

كما أن البيتين التاليين يبينان نفس المعنى :

اصحب أخا كرم تحظى بصحبته	فالطبع مكتسب من كل مصحوب .
فالريح آخذة مما تمر به	نتنا من النتن أو طيبا من الطيب .

(أنقروى ٦-٢/١٩٠ - ١٩١)

والنفس قابلة للطبع ، والمرء على دين خليله ، والجار ثم الدار والرفيق قبل الطريق (أحاديث مثنوى /٢١٢) وانظر : حتى تراب القبر يعامل بقيمة من يودع فيه ، وقد يكون مزارا إذا دفن فيه جسد طاهر :

والناس صنفان موتى في حياتهم وآخرون ببطن الأرض أحياء

كما قال الرسول ﷺ : { من زار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى في حياتى } . وقال ﷺ : { من زار قبرى وجبت له شفاعتى } .

(٣٠٢٣) : البيت المذكور في العنوان لأكثر من شاعر ، وضمنه البحترى في إحدى قصائده (٩٤/١ من طبعة دار المعارف) وفي الهامش ذكر أن البيتين في الغالب لعدى بن الرعلاء وهو شاعر جاهلى أو لصالح بن عبد القدوس المقتول على يدى المهدى بتهمة الزندقة . والحكاية المذكورة ذات سوابق في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد تأليف ابن على محسن بن على التنوخي كما وردت في الجزء الثالث من إحياء علوم الدين للغزالى ، وكيمياى سعادت (الملخص الفارسى لإحياء علوم الدين للغزالى) (عن فروزانفر مآخذ / ٢١٣) وليس بطلها في الروايات السابقة على مولانا هو بدر الدين عمر محتسب تبريز الذي لم تذكر الشروح متى وفي أي عصر كان يعيش وهل هو شخصية حقيقة أو شخصية وهمية .

(٣٠٣٤ - ٣٠٣٧) : شمس العرب هو محمد ﷺ ، والمؤمنون يعتمدون على شفاعته ، ومن كان اعتماده عليه ﷺ أي خوف له من أمثال أبى لهب ، (قرآن كريم / سورة ١١١ ، وانظر البيت ٤٣٢ وما بعده من الكتاب الثانى) والاعتماد على السحاب أي الاعتماد على المبدأ أو الأصل ، وسحرة فرعون متى كانوا يهتمون بقطع أيديهم وأقدامهم(انظر الكتاب الرابع ، البيت ٢١٠٠ وشروحه والكتاب الخامس الأبيات ٤١٢٣ - ٤١٣٩ وشروحها) . والأسد هو الولى الكامل .

(٣٠٣٨ - ٣٠٤٠) : قد يتبادر السؤال: كيف يستطيع فرد أن يكون حماية للجماعة وعونا لها ؟! ويجيب مولانا : عندما يكون هذا الفرد أمة وحدة، فإن روح الجماعة تكون كامنة فيه بحيث لا تستطيع مجموعة من البشر تفتقر إلى روح الجماعة أن تتصدى له ، ويضرب مولانا المثل بجعفر عن أبى طالب وفدائيته في القتال المعتمدة في المقام الأول على روح الجماعة

(عن جعفر ، انظر ٣٥٨٠ من الكتاب الثالث و ٢٠٦٠ من الكتاب الرابع وعن روح الجماعة انظر ٢٠٤٢ و ٣٢٨٨ - ٣٢٩٠ من الكتاب الرابع) وروح الجماعة هى الإيمان السارى في الجماعة والذي يعتبر قوة وحده .

(٣٠٥٠ - ٣٠٦٦) : ظاهر الكلام هو الحديث عن جعفر بن أبى طالب ﷺ ، لكن الحديث هنا عن رجال الحق عموماً ، ويضرب مولانا الأمثال بالنجوم والشمس والفئران والقط ، فمهما كان عدد النجوم فإنها لا تطلع متى طلعت الشمس ، ومهما كان عدد الفئران فإن قطا واحدا يتغلب عليها، مع أنها لو تميزت بروح الجماعة لاستطاعت أن تمزق القط إربا ، إنها الروح ، روح الإيمان ، وروح الجمع وهى ضد التفرقة وتستطيع أن تتغلب عليها مهما كان عددها ، إلا لولا هذه الروح هل كان أسد واحد يستطيع أن يمزق مئات من حمر الوحش ؟! إنها عطية الله ، وليست الشجاعة فقط هى التى تنتصر، بل يمكن أن تكون عطية الجمال الذي يجندل البشر ، بحيث تقطع النسوة أيديهن من جمال يوسف عليه السلام ويصير ملك غلاما لفتاة لجمالها ، ومن نفس هذا النور يكون لإنسان في ليل الدنيا المظلم التفريق بين الخير والشر . ويضيف الأنقروى : قال أبو هريرة ﷺ : " ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجرى في وجهه " . وعن جابر بن سمرة رأيت النبى ﷺ في ليلة فجعلت انظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر وعليه حلة حمراء فإذا هو عندى أحسن من القمر " (٦-٢/٢٠٠) .

(٣٠٦٧ - ٣٠٧٩) : هذا النور الذي كان ليوسف عليه السلام ولموسى عليه السلام وللأولياء جميعاً جعل ظواهرهم نورانية مثل بواطنهم ، ثم يشير إلى نور موسى عليه السلام وكيف كان يشع من وجهه فلا يطيق أحد النظر إليه " مكث موسى بعدما تغشاه نور رب العالمين وانصرف إلى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد إلا مات حتى أنه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدى وجهه لأحد مخافة أن يموت " (قصص الأنبياء للثعلبى ، ص ١٧٤ ، عن فروزانفر ، مآخذ / ٢١٤- سرنى ٣٠٣/١) ووردت في مصيبت نامه للعطار والرسالة القشيرية وأصلها من سفر

الخروج (٣٤/٣٥) . ويلعب مولانا على موضوع البرقع ، ويضيف أن الله أوصاه بأن يتخذ حجاباً من خرقته ، لأن الخرقة مشبعة بالنور ، فلا يؤثر فيها هذا النور ، فلباس العارف من كثرة التصاقه به يصبر على نوره ، في حين أن أي شئ آخر لن يصبر على هذا النور حتى ولو كان جبل قاف (اندك جبل الطور من التجلى) ، هى قدرة الله التى جعلت أبدان أوليائه تتحمل هذا النور الذي لم يتحمله الطور ، وما أجساد رجال الله وقلوبهم إلا على مثل المشكاة والزجاجة التى ضرب الله بها المثل لنوره وأين المثل هنا من الممثول (النور / ٣٥) ؟!!

(٣٠٨٠ – ٣٠٨٦) : ألا تصدق أن قلوب أولياء الله تسع هذا النور الإلهى إذن فاقرأ قول الرسول ﷺ : { ما وسعتني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدى المؤمن } ، وهذا ما لا يصل إليه ملك مقرب ، إنها معرفة تتم فحسب عن طريق القلب الذي هو بمثابة المرآة تنعكس فيها الأنوار الإلهية ، وبأمثال هؤلاء الذي ينعكس النور الإلهى على مرايا قلوبهم تنهمر الرحمة الإلهية ، وكم من القلوب التى وسعت الكونين بل ووسعت ما لا يسعه هذان الكونان ، وأنواع السرور التى تشعر بها هذه القلوب لا تصل إليها أنواع السرور التى تحدث من خمسين عرس ، وأى بيان يستطيع أن يعبر عنها . ويعلق السبزوارى (ص ٤٧٨ – ٤٧٩) لأنها تتحقق بتحقق مراتب الوجود من العوالم العشرة ، تسعة منها علوية فلكية وعالم واحد سفلى عنصرى ومراتب الوجود ستة أحدها الكون الجامع وهو المرآة وبقيتها خمس مراتب مرتبة الأحدية ومرتبة الواحدية وهى حضرة الأسماء والصفات، ومرتبة الجبروت أي الأرواح المجردة المرسلة، ومرتبة الملكوت الأرواح المجردة المضاعفة، ومرتبة الملك أي عالم الشهادة والأجساد الطبيعية وهذه المراتب الخمسة للوجود بتعينات هذه العوالم العشرة بمقتضى النكاح السارى في جميع الذرارى في عرس واحتفال ، والكون الجامع هو الإنسان الكامل هو الواسطة والمرآة .

(٣٠٨٧ – ٣٠٩٩) : عودة إلى رواية نور موسى عليه السلام والحجاب الذي صنعه من خرقته ،

والذي ما كان الحديث حتى يتحمله إذا لم يكن قد صنع من تلك الخرقة التى تشبعت بالنور من وجد موسى عليه السلام وعشقه للخالق سبحانه وتعالى ، لقد ائتلفت هذه الخرقة بالنور مثلما يتحمل المحترق النار ، لم يكن نورا عادياً ، كان نور الرشاد ، كان ذلك النور الذى حرم " صافورا " ابنة شعيب وزوج موسى عليه السلام من تلك العين الناظرة إلى الدنيا ، وفتحت منها عين الباطن فلما رأت اللذة المتأتية من مشاهدة الباطن ، ضحت بعينها الصورية الأخرى ، وتمنت لو كان لها ألف عين لضحت بها من أجل مشاهدة هذا الجمال ، لقد حصلت على الكنز وبعد الحصول عليه في الخرابات أيمكن أن يذكر أحد رواقه ومنزله ؟! إن ذلك النور الباطنى الباطن بمثابة الكنز ، والعين الجسدية بمثابة الخرابة فهل يأسف أحد على ضياع العين الجسدية إذا ظفر بهذا النور ؟! وقال الشاعر :

مالى سوى روحـــى وبـــاذل روحـــه *فـــي حب من يهـــواه ليس بمسرف .

(انقروى ٦-٢/٢٠٥)

(٣١٠٠ - ٣١١٤) : ونور الحق في صورة يوسف عليه السلام ، كان ساطعا بحيث كان ينعكس على نوافذ الدور والقصور عندما يمر في الطرقات فكان الناس يعلمون انه يمر ، كانوا يعرفون نور الحق من مروره، وكان هذا النور ينعكس حتى على الجدران ، فاطلب هذا النور وافتح كوة قلبك تجاه نور وليك ومرشدك ، وابدأ في المشاهدة، فإن هذه المشاهدة هى العشق الحقيقى ، وبه يحل النور في الصدر ، وفي يدك أن تنظر إلى الوجوه المحبوبة ، ووجوه رجال الحق ، وذلك إذا ركزت تفكيرك في أولئك الرجال ، وصحبتهم كمياء تحول المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة ، والقشور إلى لباب ، ويتحول الأعداء إلى أصدقاء ، فكن جميلا ترى الوجود جميلا ، وظلال الرجال هى التى تنمى بساتين الأرواح ، وأنفاسهم تحيى قتلى الغم ، أليس هو سبحانه وتعالى الذي أعطى يوسف عليه السلام ملكة تعبير الرؤيا فوق جماله ، لقد جره الحسن إلى السجن ، بينما رفعه العلم إلى أعلى عليين (التعبير مأخوذ من حديقة سنائي) .

(٣١١٥ – ٣١٢٤) : عودة إلى حكاية المدين الذي جاء على أمل محتسب تبريز الجواد ، وحديث شديد العاطفية ملئ بالوجد لمولانا عن تبريز موطن مرشده وأستاذه ومثار وجده شمس الدين التبريزى (حديثه عنها كحديثه عن بخارى في قصة عاشق صدر جهان في الكتاب الثالث) فهى دار السلام بالنسبة له ، وهو محمول فوق محفة من ورود الآمال ، وتبريز هى روضة الرجال ، ومنها يأتى نسيم المحبوب كما كانت رائحة قميص يوسف تأتى نحو يعقوب عليهما السلام في أرض كنعان ، وكعادة مولانا جلال الدين عندما يشفه الوجد ينطلق بأشعار عربية ، وعلى لسان المريد الذي يخف إلى حلال مشاكله ، يتحدث عن رحلة في صحراء شاسعة على ناقة (رحلة الحج) ، حيث انجنة على الأرض وحيث مناخ الصدور ، وبهاء الفردوس ، فالنور لا يزال ينزل من فوق العرش على أهل تبريز (ربما ببركة شمس الدين التبريزى) فتسعد أرواحهم بهذه الأنوار .

(٣١٣٣ – ٣١٥٢) : بينما يواصل مولانا حكايته لا يزال يتحدث عن عيوب الاعتماد على الدنيا وأهل الدنيا مهما كانوا يتمتعون به من مزايا ، ويفيق ذلك المدين من غشيته الواقعية عندما سمع خبر وفاة المحتسب وغشيته الروحية عندما وضع اعتماده كله على إنسان يفنى ولم يضعه إلى الحى الذي لا يموت ، وعندما انصرف عن المسبب معتمدا على الأسباب ، فمهما كان عطاء السيد (المحتسب) أين هو من عطاء الله الوهاب ؟! الله سبحانه وتعالى يهب الأصول التى بدونها لا تقوم الفروع التى كان يهبها المحتسب : فلا قلنسوة بلا رأس ، ولا ذهب دون يد تعد الذهب ، ولا دابة دون عقل يسوسها ولا شمع دون عين تبصر النور ، ولا راتب دون عمر ينفقه ، ولا منزل إلا بأرض ، بل إن رحمته جزءٌ من تلك الرحمة الكلية الإلهية ، والذهب من خلق الله وليس من خلقه، والرزق من الله وهو مجرد سبب ، إن رحمتك أيها الإله بنا رحمة أزلية ، كانت قبل أن توجد ، كل ما في الكون خلق لنا من قبل أن توجد ، فرحمته وعطاؤه سبقا خلقنا وأعدا لنا ما اشتقت منه طبائعنا وأعاننا على التعايش مع

هـذه الطبيعـة التـى خلقهـا قبلنـا ، وأراد أن يعرفنـا عليـه فجعـل آدم عليـه السـلام دليـلا عليـه ومرصدا يطل علينا منـه ومظهـراً لآياتـه وأوصافـه ، خلـق آدم علـى صورتـه (انظـر الكتـاب الرابع ١١٩٥) إن الوجود الصورى للإنسان بمثابة شبكة الاصطـرلاب ، تثبت صفات الأزل وتبينها ، وهذا الوجود الهش (العنكبوتى) للإنسان وضع فيه من العلوم والفنون ما جعلـه يعلـم بـه أسـرار الغيـب والـروح المطـلق لكافـة المخلوقـات " وعلـم آدم الأسـماء كلهـا " ، لكـن هـذا الاصطرلاب يريد منجما يستخدمه لكى يصل به إلى هذه الأسرار ، وإلا سقط فيها محتقرا بين أيدى العوام يعتبرونه هذا الجسد الذي يشترك فيه مع الدابة ، هؤلاء المنجمون القـادرون علـى استخدام هذا الاصطرلاب هم الأنبياء .

(٣١٥٣ - ٣١٥٩) : لكن بالرغم من وجود الأنبياء فإن أهل الأزمنة المتتالية سقطوا فـي بـئر الغرور ، واغتروا بهذه الدنيا ، وما أشبههم في هذا بالأسد الذي أسقطه أرنب في البئر (انظـر الكتاب الأول ، الأبيات ١٣١٣ - ١٣١٧) ، وكل ما تراه في بئر الغرور هذا صـورة لأصـل موجود في عالم الغيب، فما هجومك على الصورة وتركك للأصل ؟! إن هذا هو سبب هلاكك في هذا البئر ، وذلـك الأسـد لأنـه كـان مقلـدا تجـرع خـداع الأرنـب (انظـر للفـرق بيـن المقلـد والمحقق ، البيت ٣٠٩٥ من الكتاب الثالث والبيت ٢٧٧٨ من الكتـاب الـذي بيـن أيدينـا) ، لقـد خدع من خياله هو ، إن هذه الصورة ليست عطية حقيقيـة لكنهـا مـن عطـاء مـاء البـئر ، إنهـا مجرد غش من ذلك الغشاش .

(٣١٦٠ - ٣١٦٤) : وهكذا أنت أيضاً بالنسبة لعدوك ، محـدود فـي مضيـق هـذه الدنيـا وفـي الجهات الستة وفي رأى في الحواس الستة (الحواس الخمسة والحس المشترك) ، وهـى مـالم تتنور بنـور اللـه لا تخلـو مـن الخطـأ . (مولـوى ٤٣٥/٦) . ويـرى السـبزوارى أنهـا أغـلاط المدارك الستة لأن للإنسان خمس مـدارك ظـاهرة يـدرك بهـا عـالم الشـهادة والصـورة وواحـد لدرك العالم الباطن وهو العقل (ص ٣٩٥) . إن جذور عداوة العدو انعكاس لقهر الله تعـالى ،

فاطلب كشفها من الله تعالى ، ثم إن حقد العدو عليك لابد وأنه نابع من عيب فيك أنت فعالج عينيك أولا وعالج نفسك أولا ، إن عدوك مرآة لك ، انعكس عليها جرمك أنت ، وبدلا من أن تعالج نفسك حتى ترى صورة حسنة في المرآة ، إذا بك تحطمها ، كيف تحطم المرآة والعيب فيك أنت (انظر الكتاب الثانى ، البيت ٢٦٩٨ والفكرة أصلا مأخوذة من حديقة سنائى ، الترجمة العربية ، الأبيات ٤٠٣٥ - ٤٠٤٢) .

(٣١٦٥ - ٣١٦٩) : وهناك مثل آخر على سوء تقدير الإنسان : هل يأتى ذلك الإنسان الذي يؤمن بالنجوم على انعكاس صورة نجمة في الماء ويحثوها بالتراب ويعتبرها نحسا ؟! إنها مجرد صورة وهو يخلط بها وبين النجمة الحقيقية ، وعندما يحثوها بالتراب وتختفى تظن أن النجمة الحقيقية قد اختفت ، إن النجمة في السماء ، مثلما تكون جذور الخير والشر في داخلك أنت وتطلبها وتبحث عنها ، اطلب نجمة النحس من السماء . وقد يكون المقصود بالمرآة هو المؤمن مصداقاً للحديث النبوى : { المؤمن مرآة المؤمن } (انقروى ٦-٢ / ٢٢٠) .

(٣١٧٠ - ٣١٨١) : ما هذا الذي أقوله ؟! بل انظر إلى حيث لا جهة ، إلى من لا تحده الجهات (انظر البيت ١٠٢١ من الكتاب الذي بين أيدينا والبيت ٣٥١ من الكتاب الخامس) ، فلا نحس ولا سعد من النجوم ، وإليه يرجع الأمر كله ، وكل ما تأتيك به الحواس الخمسة والجهات الستة انعكاس للعطية الحقيقية ، فارجع إليه ، واطلب منه ، حتى ولو كانت عطايا الآخرين عدد الرمل ، فإنك لن تستفيد منها شيئا إلا فترة العمر وهو عمر قصير ، أما عطية الحق لرجال الحق فإنها تستمر أبد الدهور ، فارجع إليه وافن فيه (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) ، إنه يعطى قوت الروح من المعرفة ومن الفيض ومن النور (انظر ١٠٦٨ من الكتاب الثانى وغذاء القلب البيت ٧٣٠ من الكتاب الأول وقوت القلوب البيت ١٢٨٦ من الكتاب الثالث وقوت الأرواح البيت ٢١١٣ من الكتاب الثالث) وإن السمنة المختفية هى القدرة الباطنية التى تجعل الإنسان مستغنيا عن السمنة المادية ، إن رجل الله يحيا كما

يحيا الجن بالرائحة (هكذا في معتقد القدماء ، انظر ٣٠٧٢ من الكتاب الثالث) حتى الروح ليست سند الحياة ، لكنه عشق الروح للحق " من عاش بالعشق لم يمت أبداً " ، فاطلب منه العشق ، فبالعشق تحيا الروح ، واطلب منه رزق الروح من المعرفة والنور لا الطعام .

(٣١٨٢ – ٣١٩٣) : إن كل الكائنات تتجلى فيها آثار الوجود الحق (انظر الكتاب الذي بين أيدينا من ٣١٤٧ – ٣١٥٠) مثل انعكاس النجمة في الماء (انظر ٣١٦٥) والحقيقة عبر القرون واحدة ، والحق هو الحق ، لكن تجلياته هى التى تتغير ، مثلما يمر الماء في الجدول ثم يحل محله ماء آخر (إنك لا تنزل نفس الجدول مرتين) ، هذه التجليات ليست تامة ، لكن أساسها ثابت ، وهذه الصفات التى تتجلى فينا معتمدة على صفات أخرى معنوية ، هى نجوم عالم المعنى تشاهد صورتها في وجودنا العابر الفانى ، إن عشق الحسان على سبيل المثال هو مجرد صورة لعشق الجمال الكلى (انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات ٣٧٢ – ٣٧٩ وانظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، ص ١٤) . ينقل الأنقروى (٦–٢/٢٢٥) عن ابن الفارض :

وكل مليح حسنه من جمالها   معار له بل حسن كل مليحة .

ومن ثم عندما يفنى الحسن يعود إلى أصله (عندما يفنى كل شئ في الحقيقة يعود إلى أصله انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٢٤ – ٤٤٤٠ وشروحها) . إن كل الصور انعكاس له ، وعندما تنظر جيدا فليست كل الكائنات إلا إياه ، (أساس فلسفة جلال الدين أن كل الموجودات فاضت عن الله تعالى) .

(٣١٩٤ – ٣٢٠١) : عودة إلى قصة المدين ومحتسب تبريز ، إن مولانا يجعل من محتسب تبريز في مرتبة أكمل الواصلين بحيث يقضى حاجة المدين بعيداً عن موازين هذا العالم ، وفيما سبق كان المدين يتأسف ويبدى ندمه على أنه حمل حاجته إلى المخلوق ولم يحملها إلى الخالق ، لكن عقله المدرك يعود فيقول له : ما هذا الحول ؟! ما هذه الإثنينية ؟! إن الخل هو

الدبس والدبس هو الخل ، أي أن عطاء الحق وعطاء رجل الحق من مصدر واحد ، وإن كان أحدهما شديد الحلاوة كالدبس والآخر كالخل ، إنه من تصور فهمك أن تظن أن السيد المحتسب كغيره من الناس ، وهذا يثير غيرة الحق الذي لابد وأن تثور غيرته ، من أجل أوليائه ، فكيف تعتبر هذا السيد الذي جاوز الأثير بجوده ومآثره مثل بقية الخلق الذين يشبهون الفئران القابعة في جحورها ولا تقوى على الخروج في ضوء الشمس ؟! إنك أن فعلت هذا تكون كإبليس الذي لم ير من آدم إلا الطين ولم يدرك روح الحق التى نفخت فيه وكانت سبب الأمر بالسجود ، وإياك أن تعتبر مدرك شمس الحقيقة مثل أهل الدنيا (الخفافيش) ، إن خلقته وإن كانت مثل الناس بالصورة ، إلا أنه ربانى لأن الله سبحانه وتعالى لا يتجلى على مثال الصورة ، إنه أدرك شمس الحقيقة ، وزال عنه جمود الصورة وجمود الإنسانية ، وفيه رائحة من الحق مثلما يحمل زيت الورد رائحة الورد ويختلف بهذا عن زيت السمسم .

(٣٢٠٢ - ٣٢٢٤) : إن رجال الحق عندما بدلوا ، لم يعودوا من الخلق ، أي لم يعد بينهم وبين الخلق وجه مشاركة (عجنت أجسادهم أيضاً من النور ، الكتاب الثالث البيت ٨) ، فدعك من كل خياراتك هذه وصحح بصرك بالنسبة لهم ، إنهم أرواح فحسب والإنسان روح ، فكيف يأمر الله الملائكة بالسجود لآدم إذا كان يعتبر آدم مجرد جسد من تراب فحسب ؟ لقد كان السجود لآدم لأنه روح ، روح واصلة ومتصلة بالوجود الحقيقى وجزء منه ، لكن هذا الوجود الصورى مجرد جدول ، وتجلى الحقيقة فيه بمثابة تجلى صورة تفاحة من هذا الجدول من شجرة توجد خارجه ، لكن الإنسان من مجرد هذا القبس المتجلى على هذه الصورة يمتلئ بمعارف الغيب (الثمرة دليل على الشجرة وصورة الثمرة دليل على الثمرة) فلا تكن مثل أولئك الذين نزلت فيهم الآية الكريمة ، ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ﴾ (الأنعام /٣٩) ، وما حاق بهم هذا الجزاء إلا لأنهم ﴿ كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ (الأنعام /٥) ، لكنك إن أسلمت أمرك كله لله ، ونشدت الحقيقة ، صارت رؤيتك هى رؤية الحق ، وفعلك فعل الحق ، مثل أحمد المصطفى ﷺ الذي نزلت فيه الآية الكريمة ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن

الله رمى﴾ (الأنفال /١٧) ، إن هذه الكوة التى تتجلى فيها شمس الحقيقة هـى التـى تـدل عليهـا { من رآنى فقد رأى الحق } (انظر البيت ٢٢٥٣ من الكتاب الثـــانى) ، ومن ثم فطاعته هى طاعة الحق ، ﴿ من يطع الرسول فقد أطـاع اللـه ﴾ (النسـاء /٨٠) . إن هـذا النـور ذاتـى فـي محمد المصطفى ﷺ وليس رهنا بنور قادم من الكواكب تغيب بغياب هذه الكواكب، لكنه منور بالنور الذي لا ينقطع (عن الفرق بين النور والضياء ، انظر الترجمة العربية ، للكتاب الرابـع، الأبيات ١٦-٢١ وشروحها) ، إن محمد ﷺ وإن كان مثل كل الأنبياء كوة لنور الحقيقة ، لكـن نور الحقيقة لا تغيب عن هذه الكـوة أبـدا ولا يخفيـه سـحاب (مـن أدران العـالم) ، فهنـاك ألفـة وأنس ومحبة بين هذه الكوة وبين مصدر النـور، ومـن هـذا النـور تنبـت الثمـار المعنويـة إنهـا حاضرة مقطوفة ، تقدم إليك في سلة ، وفي طبق ، دون تعـب منـك ، ومـن ثـم فهـو ﷺ منبـع السعادة والإقبال ، وليس عيبا أن أسميه شجرة ففى ظلاله يستظل الخلق ، ومن ثماره المعنوية يغفر للخلق :

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانـوه في علم وفي كـــرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديـــه عنـد حـــدهم من نقطة العلم أو من شعله الحكم

(من قصيدة البوصيرى عن مولوى / ٤٤٣/٦) ، إنها شجرة الإقبال تكـون منهـا السـعادة لكـل من يستظل بها ، وهذا هو الطعام النورانى الحقيقى الذي به تزيد الروح صحة والجسد بهـاء ، لكن طعام الدنيا الذي يجلب المـرض والاسـهال لا تسمه طعامـاً ، إنـه أشـبه بعقـار المحمـودة (السقمونيا) الذي يجلب الاسهال ، ويسميه مولانا أحياناً طعام الفلك ، ويعلـن عـن عدم رغبتـه فيه أو ميله إليه :

إن خبز هذا الفلك وماءه كالسيل بلا وفاء وأنا تمساح أشتاق إلى المحيط

(كليات ديوان شمس ، غزلية ٤٤١ ، ص ٢٠٣)

وإذا كان هذا الجســد المحمـــدى مظهـرا لكل هذه التجليات الإلهية ومصدرا لكل هذه الأنوار

الروحانية فلماذا تسميه جسداً ، ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق﴾، لا تعتبره ترابا بل اعتبره كحلا للعين وجلاء للبصر ، وكيف تطلب نور النجوم ، وقد سطع عليك النور الإلهى ؟! وكيف تعتبره – من وقاحتك وجهلك – وجودا جسدياً ، وهل يبقى المدر جافا وقد غرق في بحر الفيض الإلهى ؟! وألا يتشرب حتى هذا الجسد بعض هذا الفيض الربانى ؟! إنه قمر وكل من يُلجأ إليهم سواه أهلّه، إنه قمر النور الإلهى ، وهو غالب بطل مثل رستم فهل تصمد أمام رستم امرأةُ عجوز فانية ؟! إن هذا الإله طالب في أثرك وغالبٌ على تدابيرك وذلك حتى لا تجد سبيلاً إلا اللجوء إليه واليأس مما في يد الخلائق والطلب منه (تمهيد للعودة إلى قصة المدين) .

(٣٢٢٥ – ٣٢٢٩) : هكذا يخاطب المدين نفسه ، كيف تعتبر "السيد المحتسب" منفصلاً عن خالقه ؟ إنه وسيلة الخالق فى إجراء أمره ، وإذا كان قد عاد إلى خالقه فقد فنى فيه وعاد إلى أصله ، وكيف يكون العبد منفصلاً عن سيده مفارقاً إياه ؟ إنك إن نظرت إلى العبد والسيد على أنهما إثنان، فقد ارتكبت الشرك وفقدت المعرفة بالنص مادمت لم تفهم ديباجته ، إنها كلها وسائل إلى المعرفة ولن تصل إلى المعرفة مادمت قد فقدت الوسيلة إليها وأخطأت الخطأ الذى لا يزال الناس جميعاً يقعون فيه ، وهى أنك تنظر إلى الطين ، وتعتبر الجسد شيئاً والروح شيئاً عندما تنظر إلى الأولياء ، لا ، أنظر إليهما على أنهما شيئ واحد ، وإلا صار وجودك كنبات المرخ ذاك الذى تحمى به النار يضيع ويصير بددا بمجرد اشتعال النار .

(٣٢٣٠ – ٣٢٤٠) : يترك مولانا قصة المدين ثانية ويدخل فى قصة أخرى مفادها أنك إذا تركت الطريق الأصلى الذى يفضى بك إلى الحقيقة فيستوى بالنسبة لك كل طريق إذا ضللت وسوف تكون النتيجة واحدة مثل ذلك الذى كان يسمى عمر وفشل فى شراء الخبز من جميع حوانيت مدينته مدينة كاشان المشهورة بتشيعها ، والقصة تبدو أنها من المأثور الشعبى الذى كان سائداً فى صراع المذاهب إبان العصر الذى عاش فيه مولانا جلال الدين وما سبقه وما

تلاه من عصور ولم يهتم فروزانفر وبقية شراح الحديقة بالبحث عن أصل لها . والقصة لها شبيه فى الكتاب الخامس (من البيت ٨٤٦) حكاية البحث عمن يسمى أبو بكر فى سبزوار. وما هذا الفشل إلا من الحول الذى يجعل الناس يظنون أن أولياء الله جسد وروح وليسوا روحاً خالصة (عن الحول انظر البيت ٣٢٧ من الكتاب الأول والبيت ٨٢٨ من الكتاب الثانى) ويقص مولانا الحكاية بسخريته المعهودة ومن ضيق أفق الرجل الذى ينتقل بين الحوانيت مصمماً على أن اسمه عمر ، وضيق أفق أصحاب الحوانيت الذين يصممون على عدم إعطائه الخبر ، ولو كان الرجل واسع الأفق لفهم من الحانوت الأول ، ولقال إن اسمه على فما قيمة الأسماء وأولياء الله كلهم نفس واحدة ؟ فلو لم يكن الرجل أحول لما ابتلى بالجوع فى مدينة كاشان . ولم لم يكن الباعة من المصابين بالحول لما أهمهم اسم الرجل فى شئ .

(٣٢٤١ – ٣٢٥٧) : الأحول ذو النظرتين حرم من الشرب لأنه كسر الزجاجة عندما صمم من حوله على أنها زجاجتان وقال له أستاذه اكسر أحديهما فكسرها ولم تكن توجد أخرى بالطبع (الكتاب الأول الأبيات ٣٢٨-٣٣٣) وإذا كان هذا هو مصير الأحول ذى النظرتين فما بالك بمن هو موزع النفس والنظر بين عشرات المهاوس والنزوات والشهوات فى هذه الدنيا: المال والجاه والمنصب والنساء ، وويلك ، ستظل مثل عمر فى كاشان ، ولن تنال شيئاً ، مادمت تنتقل من اتجاه إلى اتجاه ومن مكان إلى آخر، وحيثما يبدو لك النفع الدنيوى ، وتنتقل من مذهب إلى مذهب ومن اتجاه سياسى ومسلك فكرى إلى اتجاه سياسى آخر ومسلك فكرى آخر ، وأنت مستعد لبيع أملك فى سبيل هذا النفع ، وليس ثم فى الدارين إلا حقيقة واحدة هى الحبيب ، وإن عرفته نجوت من التنقل الذى لا طائل من ورائه ولا نفع فيه ، ولو أنك رأيت فى رجل الله ورجل الحق بعض الثمار ، فلا تظن أن كل الأشجار تنبت الثمار ، حتى ولو تساوت الأشجار فى الهيئة والصورة وما أشبهك ببلقيس حين دخلت الصرح فحسبته لجة فكشفت عن ساقيها (النمل ٤٤) فلا تنظر إلى هذا البللور وانظر إليه حقيقة فى وجود رجل

الحق ، إن القيم الروحانية التى يحملها كل إنسان مختلفة فلا تتعامل مع أولياء الحق كما تتعامل مع غيرهم ، فإن لديهم ماء الخضر عليه السلام الذى لا يموت من شربه ، وليس الماء الذى تشرب منه الوحوش والحيوانات ، والقمر فيه حقيقى وليس صورة قمر ، تلك الصورة التى أضلت الأسد وأسقطته فى البئر (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٢٧٤٠ وما بعده وشروحها والأصل من الكتاب الأول البيت رقم ١٠٥٩ وما يليه) .

(٣٢٥٨ – ٣٢٧٢) : عودة إلى قصة المدين : لقد رق له أحدهم وتوسل بالكدية وطاف بكل مدينة بتبرير يجمع له الأموال ، لكن متى كانت الكدية تصلح ؟ متى كان المتكدى يغتنى ؟ إن رجلا كريما واحداً قد يغنى يكون أداة فى يد الله سبحانه وتعالى ييسره للمعروف ، ومن ثم يكون شكر هذا المتفضل من شكر الله لأنه مصداقاً للحديث النبوى {من لم يشكر الناس لم يشكر الله} وفى الجامع الصغير {أشكر الناس لله أشكرهم للناس} وقال أبو الصلت عبد السلام بن صالح بإسناده عن النبى ﷺ {يؤتى بعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر به إلى النار فيقول : أى رب أمرت بى إلى النار وقد قرأت القرآن؟ فيقول الله : أى عبدى إنى أنعمت عليك ولم تشكر نعمتى فيقول : أى رب أنعمت على بكذا شكرتك بكذا وأنعمت على بكذا فشكرتك بكذا فلا يزال يحصى النعم ويعدد الشكر فيقول الله تعالى : صدقت عبدى إلا أنك لم تشكر من أجريت لك نعمتى على يديه وإنى قد آليت على نفسى ألا أقبل شكر عبد لنعمة أنعمتها عليه حتى يشكر من ساقها من خلقى إليه} (جعفرى ١٤/٢٨٨–٢٨٩) (أحاديث مثنوى ٢١٣) حتى حنان الأم، الله سبحانه وتعالى هو الذى يسره فيها لكنه سبحانه وتعالى أمرنا بشكر الأم على أساس أنها هى الوسيلة (لتفصيل الفكرة أنظر الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٣٢٣–٣٣٠ وشروحها) إن حق المنعم من البشر ملحق بحق الحق الذى هو أصل كل النعم ، أما أن الله سبحانه وتعالى قال فى حق خير البشر (ﷺ) ﴿ صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ (الأحزاب ٥٦) لأنه ﷺ مشفع فى أمته وأمورهم كلها تحال

عليه، ﴿ يوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ (النحل ٨٩) .

(٣٢٧٣ – ٣٣٠٧) : يقف المدين على قبر المحتسب ويقدم مرثية فيها كل صفات الجود الواردة في الشعر العربي فهو الظهير والمرتجي والغوث وهو والد الفقراء وعشيرتهم ، وهو البحر ، منه يكون السحاب الذي يمطرحتى على البعيدين عنه ، ويضيف مولانا بعض الصفات الواردة في التراث الصوفي : فهو شمس الحقيقة التي تشد من الأزر ، وهو الروح الموجودة في خرائب الجسد وهو الذي لم يعبس قط في وجه أحد "تراك إذا ما جئته متهللاً ، كأنك تعطيه الذي أنت سائله" و "وما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم "، وهو متصل القلب ببحر الغيب وواهب الفيض ، وهو شبيه بميكائيل في كيل الأرزاق (أنظر الكتاب الخامس الأبيات ١٥٨٩ وما بعده وشروحها) وهو عنقاء جبل الجود والسخاء (أنظر الأبيات ٨٣٩ ، ٣٧١٢ من الكتاب الرابع) وهو أعظم من هباته من حاتم ، فحاتم يهب الرزق الذي ينفد وهو يهب الأسباب التي لا تنفد ، وهو في كل نفس من أنفاسه يهب حياة لموتى الفقر والمعوزين وليس المقصود الغنى المادي كما يقول الأنقروي (٢٤٩/٢٠٦) فالأغنياء هم الموتى مصداقاً للحديث النبوي {إياكم ومجالسة الموتى قالوا ومن الموتى يا رسول الله ، قال ﷺالأغنياء} فالكنوز المذكورة هي كنوز الحكمة كما ورد في ديباجة الكتاب الثالث ويأخذ من كنز الحكمة الأموال العظيمة التي لا تكسر ولا تورث ميراث الأموال وقال الحكيم الترمذي الجود التام بذل العلم فإن متاع الدنيا عرض زائل ينقصه الإنفاق والعلم عكسه فإنه دائم وباق" (انقروي ٦–٢/٢٥٠) . (لعل مولانا يتجه بمدحه إلى الشيخ) ويخلص من المدح إلى أنه الراعي والناس كالقطيع ، وهي صفة من صفات الأنبياء (يري يوسف بن أحمد المولوي أنه وإن كان الخطاب للمحتسب إلا أن المقصود هو النبي ﷺ ٦/٤٥٤) وذلك مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، قيل : وأنت يا رسول الله قال : نعم ، ويسوق

حكاية عن سيدنا موسىٰ عليه السلام ، أرجعها فروزانفر إلى تاريخ البيهقى (مآخذ ٢١٥) وأرجعها استعلامى (٣٨٥/٦) إلى البيهقى ونظام الملك فى سياست نامه ، ومن ثم كان رعى الغنم – فى رأى لمولانا – اختباراً للأنبياء وليرى الله هل هم جديرون برعى الأصفياء والأولياء والناس عموماً أو غير جديرين بها وهكذا كل أمير وكل مسئول {كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته} ، والراعى الذى يجيد الرعاية هو الذى يمنحه الله تعالى رعاية الأرواح ، وهكذا محتسب تبريز المتوفى ، لابد وأن الله سبحانه وتعالى قد منحه الرئاسة فى آخرته ، لأنه أحسن استغلال الرئاسة فى دنياه .

(٣٣١٤ – ٣٣٣٢) : العالم المقصود هنا هو عالم الروح ، وقد يكون المقصود هو المحتسب "عالم يمشى على قدمين" بتعبير سنائى ، لا إنه من المستحيل أن يسع باطن الأرض هذا العالم ، بل إنك طائر محلق نحو عالم الغيب لكن ظلك لا يزال مبسوطاً على عالم الشهادة ، أنت حى بآثارك مثلما تكون الروح حية بآثارها والجسد الذى يحملها نائم أو غافل ، ولا يدرك أحدٌ هذا السير والجولان للروح ، لأن الروح هى من أمر الله ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ والياقوت الناثر للسكر والعقيق القاضم للسكر هو الفم حلو الحديث فى المأثور الأدبى الفارسى ، والقلب هنا مرتبة من مراتب السير الباطنى أو الأطوار ، والنفس مقصود به حديث المعرفة وذو الفقار سيف الرسول ﷺ أهداه إلى على رضى الله عنه، ومثال الفاختة التى تهتف كوكو أين أين مر ذكره فى الكتاب الثالث (أنظر فى الأبيات ١٢٩٩ – ١٣٠٥ وشروحها) ويضيف إليها مثلاً ثانياً من الواقع المعاش ، ويتلاعب بين لفظى ماكو أى مكوك النساج ولفظ كو أى أين فكأنه أصبح نساجاً يتحدث دائماً قائلاً "ماكو ، ماكو" ويرى الأنقروى (٦-٢/٢٥٧) أن الخطاب هنا قد يكون من مولانا لشمس الدين التبريزى ، كما يرى أن المحتسب قد ضاقت به الأرض لأن كل شئ يحن إلى أصله وفى المجلد الأول كل من يبقى بعيداً عن أصوله ظل منجذباً لآنات وصوله .

(٣٣٣٢ – ٣٣٣٥) : مائة نوع من البروق كناية عن تجليات الحق المختلفة وهى التى لا تشرق من شرق أو من غرب لكنها تشرق على الشرق والغرب (استعلامى ٣٨٦/٦) ، كان عقل المحتسب في جزرومد ، والجزر كناية عن الاقتراب من الأمور الدنيوية، والمد كناية عن الميل إلى العالم الآخر وقد غاب عن الدنيا (الجزر) وتعلق بالمد (العالم الآخر) ، والواضح أن الخطاب هنا اختلط فيه خطاب المدين للمحتسب بخطاب مولانا جلال الدين لشيخه وإن لم يحدده .

(٣٣٤٠ – ٣٣٥٤) : يعود المدين فيخاطب المحتسب على قبره : لقد رجعت إلى الله ، وعلىّ أيضاً أن أرجع إليه ، فمأوى الجميع إليه وما الآية الكريمة ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ (يس ٣٢) إلا دليل على هذا ، إنها كلها صور عند النقاش يحضرها أنى شاء ويرسمها ويمحوها أنى شاء ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ (الرعد ٣٩) ، وهكذا يفعل الله أيضاً مع كل مدركات الإنسان ، ويقدم مولانا جلال الدين عدة صور لما يطرأ على الخليقة من تغير فهى المتغيرة المتبدلة وهو سبحانه وتعالى الخالد الذى لا يفنى والثابت الذى لا يتغير ، والخلق فى يد خلقه كالمادة فى يد الصانع يصور منها ما يشاء من صور وأشكال وأدوات. فإلى متى تظل الكمامة على عينيك ، ولو رفعت هذه الكمامة لافتتن المصنوع بالصانع هياماً ووجداً ، وليست كل عين جديرة بأن ترفع عنها هذه الكمامة، ولا تكن كالسفهاء الأجلاف ولا تنظر بعيونهم ، وكن مستقلاً فى نظرتك وفى سمعك، كن صاحب رأى ودعك من آراء الآخرين ، وكن صاحب عقل ودعك من التقليد .

(٣٣٥٥ – ٣٣٧٢) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت لم يهتم أحد من مفسرى المثنوى بأن يبحث عن مصدر لها ، ويرى استعلامى (٣٨٨/٦) أن كل الحكايات التى يرويها مولانا عن الخوارزمشاهيه من وضعه ، وخوارزمشاه هنا هو علاء الدين محمد خوارزمشاه آخر الأسرة الخوارزمشاهية التى انتهت بالغزو المغولى ، وليس من المهم أن يكون عماد الملك وزيراً

له ، وإن كان زرين كوب يرجح أنه عماد الملك ساوه الذى كان صاحب حظوة عند خوارزمشاه فى أخريات أيامه وكان في يده الحل والعقد (سرنى ٣٠٩/١) ، فعماد الملك هنا رمز للمرشد وخوارزمشاه رمز للمريد الذى لديه جانب من الذوق وفى حاجة إلى المرشد وصرف قلبه عن مغريات الدنيا (الجواد فى هذه الحكاية) والبيت المذكور من إلهى نامه "حديقة الحقيقة" لسنائى الغزنوى هو البيت ١١١٨٠ منها (انظر الترجمة العربية لكاتب هذه السطور البيت وشروحه) والإنسان الحقيقى هو هيكل التوحيد كما قال الإمام على عندما سئل عن الحقيقة فقال : نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره (سبزوارى ص ٤٨٣) ، ويرى مولانا جلال الدين أن الشىء الذى يجذب النظر لايهم أن يكون المرء محروماً منه ، بل لأن الحق يضفى عليه صفات خاصة تجعله مقبولاً ، وهذه هى جدلية مهمة ، تبين رأى مولانا جلال الدين الدائم فى وجود قوة خاصة للأشياء المغرية ، إن خوارزمشاه معجب بالجواد لكنه يعرف أنه ليس من حقه ، ويستغفر ، ويحوقل ، لكنه يزداد تعلقاً به (ليس الوسيلة الوحيدة للانصراف عن الشهوات هو كبتها) ، ويفسر مولانا هنا بأن خوارزمشاه كلما قرأ الفاتحة كلما زاد هوساً ، الأمر إذن ابتلاء ، و "المزين فى الحقيقة هو الله" و "ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه" (انقروى ٢-٢٧٧/٦) . إنه لا يزال - سبحانه وتعالى - يبتلينا بالأغيار (كل ما هو غير الحق) ، فان ابتلانا فهذا تمويه علينا ، وإن صرف عنا البلاء فهذا امتحان لنا ، وإلا فان خوارزمشاه كان مفتوناً بجواد حى ، فما بالك بالكفار المنجذبين إلى عبادة أصنام حجرية على هيئة الجياد والثيران ، إن الكافر يرى أن الصنم بلا مثيل فى بهائه وجماله ، إنها الجاذبية ، الجذبة ، ولا تسأل عن هذه الجاذبية فهى خافية جداً ، فلا تسألنى عنها ، فلا العقل يستطيع أن يدركها ولا الروح نفسها تستطيع أن تدركها ، فحاول أنت أن تدرك سرها إن كنت تستطيع .

(٣٣٨٠) : فسر استعلامى البيت (٣٨٩/٦) بأنه كالهلال فى طلب النور من الشمس ، وكذلك

فسره المولوى (٦/٤٦٧) ، والشمس المذكورة هنا شمس الحقيقة ومن ثم قد يكون المقصود أنه كان صوفياً واجداً لها مثل هلال الصحابى الشهير الذى ذكرت حكاية عنه (انظر الكتاب الذى بين أيدينا ١١٥٥ – ١٢٢٥ وشروحها) .

(٣٣٩٥ – ٣٤٠٩) : الأبيات هنا مناجاة فى السر يقوم بها عماد الملك "المرشد" أمام الله طالباً الصفح لمن طلب منه الوساطة لدى الملك ولم يطلب العون من الله مباشرة ، ومن يكون هو أمام القدرة الإلهية ؟ إنه يكون كالشمع والذبالة أمام الشمس الساطعة ، وهذا يكون من قبيل الكفران بالنعمة ، فالعطاء كله من الله ، والشكر يوجه لغيره وما أشبه البشر بخفافيش الظلام تلك التى تغمض عينها عن الشمس وتأكل دودة ربتها الشمس بليل ، ولا تذكر الشمس بل تنكرها ، وأين هى من ذلك الصقر الملكى الساكن ساعد السلطان الملازم له حاد البصر الناظر إلى الحقيقة ؟ وهؤلاء من كفرانهم بالنعمة معرضون دائماً للعقاب الإلهى ، وما هذا العقاب الإلهى الذى ينزل بهؤلاء الجاحدين إلا من أجل أن يثوبوا إلى رشدهم ويتجهوا إلى خالقهم .

(٣٤١٠ – ٣٤٢٤) : وهذا هو ما حدث ليوسف عليه السلام عندما نسى الله فى السجن وطلب من صاحب السجن أن يذكره عند الملك قال تعالى ﴿ وقال للذى ظن أنه ناج منهما أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ﴾ (يوسف ٤٢) قال يوسف النبى عليه السلام الذى كان يحاضر السجناء فى التوحيد ، عندما غلبت عليه النفس وتذكر ما فيه من أسر أراد أن يتوسل بغير الله ، وبمن ؟! بمن سجنه (!!) وبسجين مثله فى أسر الشهوات وأسر الدنيا لا يخلصه منها إلا الموت ، ولا ينجو من هذا المصير إلا من كان جسده فى هذه الدنيا ، لكن روحه دائماً فى أعلى عليين القرب ، وبالرغم من أن يوسف عليه السلام كان نبياً ، لكن الشيطان وجد سبيله إليه ، وأنساه فكان العقاب ، قائلا له : انتبه يا هذا ، ممن تطلب العون ؟! وهل لجأت إلينا وخذلناك ، وكيف وأنت النبى تتصرف كالعوام ، كيف وأنت البازى تتصرف كالخفافيش ، وكيف وأنت العماد العظيم ترتكن على خشب مهترئ !!

(٣٤٢٥ – ٣٤٤٢) : لكن يوسف ﷺ عندما ذكر ذنبه وثاب إلى رشده واستغفر ربه منحه الله الأنس به ، والسكر بصحبته ، فلا بقى السجن سجنا ولا بقى الظلام ظلاما وهذا ديدن الله سبحانه وتعالى في خلقه ، فكلنا خرجنا من سجن الرحم ، وحتى ونحن في سجن الرحم كنا من عطايا الله مؤتنسين به نظن انه هو العالم الوحيد ، وكنا هاربين نحو ظهر الأم نخشى الخروج ، (لتعبير آخر عن الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٥٠-٦٠ وشروحها) كنت سعيداً حتى وأنت في الرحم ، وهذا يثبت لك أن اللذة والمتعة تنبتان من داخلك أنت ، لا مما يحيط بك من قصور أو حصون أو بروج ، ألست ترى المرء يكون سعيدا في المسجد لقربه من ينبوع السعادة والبهجة ، وآخر تراه في البستان مكتئباً وحزيناً ؟! هذا القصر هو بدنك ، فدمر هذا البدن ، فالكنوز في الخرائب ، ألا يصل السكير إلى السعادة عندما يصبح ثملا مهدما ، دمر هذا الدار المليئة بالصور والنقوش فإن تحتها كنزا وعمرها بهذا الكنز (لتفصيل هذه الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٢٥٤٠ – ٢٥٦٨ وشروحها) وهكذا فكل هذا ابتلاء ، أنت مبتلى بالصور مأخوذ ببريق الذهب وماء معرفتك مغطى بالزبد ، وروحك الوالهة ذلك العالم من العجائب محجوب عليها بحجاب الجسد، إذن فكما يقول المثل الفارسي : إن ما حاق بنا هو منّا ، والمثل ورد أول ما ورد في شعر ناصر خسرو (استعلامى ٦/٣٩٢) . نحن الذي نستطيع أن نكون ماء أو نكون زبداً ، أن نكون جسداً أو نكون روحا ، أن يكون اتجاهنا إلى شمس الحقيقة والنور والفيض أو نكون كالخفافيش نتجه إلى الليل ولا منجاة لنا إلا بهدى الله إنه يهدى من يشاء .

(٣٤٤٦ – ٣٤٤٨) : إقليم " ألست " هو الجنة يوم عقد الميثاق أو أخذ العهد من ظهور بنى آدم على العبودية للإله الواحد (الأعراف / ١٧٢) والشراب الجديد هو الفيض الربانى الذي ينهمر من هذه الصلة المستمرة ، واللحد هو الجسد ، والعالم العظيم هو عالم الروح الملئ بالعجائب ، والسرار هو عالم الباطن وعالم الغيب .

(٣٤٥٢) : عطارد حاد السير لأنه يقطع الفلك في مدة ٨٨ يوم فقط ويدور حول الشمس في أقل من ثلاثة شهور .

(٣٤٥٣ - ٣٤٦٤) : ينتقل مولانا خارج الحكاية إلى عوالمه الخاصة متحدثا عن حدة السير وسرعته : إذ كان القمر يقطع الأفلاك كلها في ليلة واحدة فكيف تنكر على من انشق القمر بإشارة منه أن يكون معراجه في ليلة واحدة ؟! كيف تنكر هذا على ذلك الدر الفريد اليتيم المصطفى ﷺ ؟! إنك تنكر هذا لأنك تقيسه بمقياس حواسك أنت وبمقياس إدراكك أنت فكيف وأنت لا تزال كالفرخ داخل بيضة الحواس وبيضة الدنيا فكيف تدرك أحوال الأولياء الذين يسيرون خارج عالمك الضيق المحدود ويتحدثون مع الحق ؟! دعك من الحديث عن المعجزات وعن عالم الأولياء والأنبياء فلن يفهمها أحد ، عد إلى الحديث عن ذلك الجواد ، وحتى الحديث عن ذلك الجواد لن تفهمه ما لم ندرك أن الجمال كل الجمال هو هبة من الحق . وينقل الأنقروى هنا (٦-٢/٢٨٣) حديثا نبويا : { لما أراد الله أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب إني خالق منك خلقا أجعله عزا لأوليائي ومذلة لأعدائي وجمالا لأهل طاعتي ، فقالت الريح اخلق يا رب فقبض منها قبضة فخلق منها خلقا فرسا } . وهو يخرج المخلوقات عن طبعها ويجعل من كلب قرينا لأهل الكهف مذكورا معهم إلى يوم القيامة ، وهذا اللطف الإلهي لا يجرى على نسق واحد فعطاياه مبذولة لكل الخلق ، لكنها مرتبطة أيضاً بجدارة كل مخلوق ، فنصيب الجدار من إشراق الشمس غير نصيب الماء ونصيب الحجر من الشمس غير نصيب الياقوت ، إن النور لا ينعكس من الجدار لكنه ينعكس من الماء (الجدار لا ينم على النور والماء ينم عليه) .

(٣٤٧١ - ٣٤٨٢) : الدلال هو السمسار ، وعندما يكون مغرضا يكون مثيل يوسف عليه السلام في الجمال مساويا لثلاثة أذرع من الكرباس وهو نوع من القماش الرخيص إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وشروه بثمن بخس دارهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ (يوسف / ٢٠) والبيت لسنائي (انظر شرح البيت ٣٣٥٥ من الكتاب الذي بين أيدينا) وهكذا الشيطان يقوم

بالسمسرة والبضاعة إيمانك ، يأتيك في حمى الموت ، ويريد أن يقايض على إيمانك بشربة ماء ، وفي الأبيات إشارة إلى حكاية وردت في مقالات شمس الدين التبريزى (جـ ١ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ من نسخة محمد على موحد) وفحواها انه - أي شمس الدين - قرأ في طفولته حكاية في كتاب أن إبليس ظهر لشيخ عن النزع وقد تحلق حوله مريدون يطلبون منه أن ينطق بالشهادة وهو يحول وجهه عنهم ويقول : لا أنطق ، ومهما ألحوا عليه لم ينطق بها وعندما ارتفع صراخهم وضجيجهم وتساءلوا فيما بينهم إذا كان هذا هو حال الشيخ فماذا ستكون عليه أحوالنا ، ، أفاق الشيخ : قال ماذا حدث ، فقصوا عليه ما حدث ، فقال : لا علم لى بما كنتم تقولون ، لكن الشيطان كان قد زارنى وأخذ يحرك قدحا من الماء المثلج أمامي ويقول : أظمآن أنت ؟! وأقول له نعم ، فقال : قل أن لله شريكاً وأعطيك إياه وكنت أحول وجهى عنه، وأقوله له : لا أقول هذا ، وهكذا أنت أيضاً كالطفل تبيع الغالى بالرخيص ، وهناك أمانى وآمال وصور في خيالك لكنك لا تدرى أن هذا كله خداع وأن هذه الصور الضخمة الفخمة أمامك سوى يكون مآلها إلى الانمحاق مثلما يمحق البدر هلالاً .

(٣٤٨٢ - ٣٤٨٩) : العاقل هو من تدبر العواقب ونظر إلى عواقب الأمور ، فالدنيا بمثابة الجوز المتعفن وكل شئ فيها مآله إلى زوال (لتفصيل الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ١٥٤٣ - ١٦١٧ وشروحها) والفرق هنا أن خوارزمشاه كان ناظر إلى " حال " الجواد ، لكن عماد الملك كان ناظر إلى " مآله " " وكل نعيم لا محالة زائل " ولولا أن الرسول ﷺ كان قد نظر إلى مآل الدنيا وعاقبتها ، أتراه كان يسميها جيفة ويسمى طلابها كلاباً ؟! لقد أصاب " قول " عماد الملك الملك في الصميم لأن القول لم يكن صادرا عنه ، وترك عينه واختار عين الوزير لأن عين الوزير كانت أحد بصرا ، لكن كل هذه أسباب وذرائع ، لكى يبرد حب الجواد في قلب الملك ، ويغلق الباب على حسنه ، ولم يكن كلام الوزير إلا مجرد صرير لهذا الباب ، فالأبواب الإلهية تفتح وتغلق ، ونحن لا ندرك إلا صريرها .

(٣٤٩١ - ٣٥٠٢) : يترك مولانا القصة وينطلق في تحميد الخالق ذى الآثار العظيمة على

بواطن العباد ، يغيرها ويبدلها كيف يشاء ، يقيم من المواقع والعقبات أمام أفكارهم وتدابيرهم، ويحولهم عن طريق " فسخ العزائم " إلى طرق أخرى (عن فسخ العزائم انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٦٥ - ٤٤٧٥ وشروحها) وما حديث القلب (القول والرقى) إلا من فعله تعالى ، وهي كلها مثل باب قصر السر ، وهذه الوساوس والرقى والأقاويل من قبيل صرير الباب وكل قول وكل حديث نفس ينبئ عما يجرى في الباطن ، وهل يفتح باب الحق أو يغلق ، فانظر في باطنك أتوجد أصوات الفتح أو أصوات الغلق ، فإذا كان الصوت في باطنك صور باب الحكمة الإلهية ، هو داعى الخير ، فإن بابا قد فتح لك من رياض الجنان ، وفي الحديث هذه الأصوات يظهر دليلها في أفعالك ، لكنك قد تكون لغيرك مكشوفة وكأنه يطل من " شرفة " ، ألست تحس بالراحة من فعلك الخير ، وتختفى هذه الراحة عندما ترتكب شراً ، أنت معيار نفسك ، فانظر إلى باطنك ، فأنت أدرى به من غيرك ، فلعلك تعلم أنه من الحمق والبله أن تترك نظرك أنت فيما يتعلق بك أنت ، وتسلم نفسك إلى أنظار الأخساء الذين يجذبونك نحو جيفة الدنيا وكأنهم النسور الجارحة ، ولك عين واسعة كأنها زهرة النرجس ، ومع ذلك تصبح كالأعمى تريد من يأخذ بيدك ، وتكتشف فيما بعد انك من استعنت به للأخذ بيدك هو أكثر عمى منك ، فهل يكون غيرك أكثر دراية منك بأحوال نفسك (٣٥٠٣ - ٣٥١٣) : لكنك لازلت تقول أنك لا تستطيع وتريد من يأخذ بيدك ، حسنا ، إليك من يأخذ بيدك ، إنه حبل الله المتين ، الذي أمرك الله سبحانه وتعالى بأن تعتصم به (آل عمران / ١٠٣) وهو ليس عند أحد ، لكنه في حوزتك أنت ، إنك إن فعلت ما أمرك الله به ، وانتهيت عما يأمرك الهوى به، فقد استمسكت بحبل الله فكل ما حاق بالقوم إنما حاق بهم من الهوى ، لقد انقلب الهوى على قوم عاد ريحا صرصرا (الحاقة / ٦ وانظر البيت ١٣٥٧ من هذا الكتاب). وكل ما يحيق بالناس يحيق بهم من هوى النفس وشهواتها ووساوسها ، السمكة

توقعها شهوتها إلى الطعم في المقلاة ، والمحصنة تترك حياءها من الهوى ، والعقاب الذي يوقعه الشرطى إنما يكون من جراء الهوى (لأفكار وتعبيرات مشابهة انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٦٩٥ – ١٦٩٩ وشروحها) ، كل هذا يحيق بأتباع الهوى على الأرض فما بالك بشرطة الأرواح وأحكامها ، تلك التى تعذب هنا من الداخل ، ويوم القيامة يكون العذاب على الملأ ، وذلك عندما تنجو من جسدك ، وإنك لن تدرك هذه المعانى ما دمت غارقا في جب الإثم والفساد، فهل تراك تتخيل أو تستطيع أن تتخيل أن هناك خارج هذا الجب رياضا وجنانا ، لك أن تعلم الأضداد من أضدادها فبضدها تتميز الأشياء ، فإن تركت الهوى شربت من نهر التسنيم في الجنة ، وكن ثابتا كالدوحة الباسقة لا تكن مثل العشب يميل عند أي هواء (هوى) وسل الله سبحانه وتعالى أن يهبك سلسبيل الجنة ودعك من هذه المساكن الواهية ، فظل الله هو الباق .

(٣٥١٤ – ٣٥٢٧) : نهاية قصة خوارزمشاه وطمعه في جواد الغير ، إن الله عندما يريد يجعل لكلام رجل الحق تأثيرا يغلب على رأى صاحب البصر وعلى هواه ، إن الرجل العظيم خوارزمشاه لم يسأل نفسه ، كيف يضع الله رأس ثور على جسد جواد ؟! كيف يفعل ذلك وهو الذي أتقن كل شئ صنعاً ؟! إنه هو الذي خلق الأبدان متناسبة ، وجعل الأعضاء مناسبة للأبدان ، انظر إلى هذه الأجساد المتحركة وخفيتها كأنها القصور الشامخة العظيمة ، وجعل لها مخارج ذات اليمين وذات اليسار ومن فوق ومن تحت ، وجعل فيها صهاريج ، وضع في البدن بعضه حالات هى محل للفيض الروحانى صهاريجها الحواس ومياهها متغيرة وهناك أيضاً حواس باطنة ، وفي جوف هذه الخلقة عالم لا متناه ، وبين خيام الشعر فضاء زائد واسع كالصحارى والبرارى (مولوى ٤٨٢/٦ – ٤٨٣) " أتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر " ، (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الإنسان ذلك العالم الكبير) ثم انظر إلى صنعة الله كيف يبديها لعباده ، يجعل أحيانا من القمر – وهو في الخسوف – كأنه

الكابوس (فى خسوف القمر أثبت العلم الحديث أن كثيرا من الكوابيس تبدو للخلق) ، وألم يجعل قاع الجب روضة علي يوسف عليه السلام ؟! كان راضيا وكان الله قد أبدى له أن الجب هو بداية العرش والملوكية، أحياناً يكون القلب في قبض ، وأحياناً في بسط (إصبعى اللطف والقهر والجمال والجلال اللذين فسر بهما الصوفية حديث المصطفى ﷺ { قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء } ، وإذا لم يكن الأمر كذلك وأن الأمور قد تكون عكس ما تبدو عليه ، لماذا طلب المصطفى ﷺ من الله سبحانه وتعالى قائلاً : { اللهم أرنا الأشياء كما هى } إن ما قام به عماد الملك لم يكن إلا مكرا ، لكن الله سبحانه وتعالى هو الذي أرشده إلى هذا المكر ﴿ والله خير الماكرين ﴾ (آل عمران /٥٤) (ومن هنا فالقلب بين إصبعيه) (انظر لتفسير مولانا عن الإصبعين الكتاب الثالث ، البيت ٢٧٧٩) ، حتى مكرك وقياسك وجدلك وتفلسفك وفيهقتك الله تعالى هو الذي يضعها في قلبك ، يستطيع أيضا أن يمحو هذه الأشياء كلها ويضرم فيها نار الغيرة الإلهية ، ويشير الانقروى (٦-٢ / ٣٠٥) إلى حديث نبوى هنا : { من ضيع أيام حراثه ندم في وقت حصاده } .

(٣٥٣٦ - ٣٥٤٢) : في ثنايا الحكاية يتحدث مولانا جلال الدين على لسان الواصلين ، فهم يكتمون الأسرار حتى يبقى نظام الدنيا على ما هو عليه . ويشير الانقروى (٦-٢/٣٠٣-٣٠٤) إلى حديث الرسول ﷺ { لو تعلمون ما أنتم ملاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شرابا على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتا تستظلون ولرقيتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم } . (انظر الكتاب الأول البيت ٢٠٧٧)عماد الدنيا قائم على هذه الغفلة ،(لتفصيل نفس الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٣٢٤ - ١٣٥٣ وشروحها) ومعنى أن قدر المحنة يصبح نصف ناضج أي أن المريد الذي لم يصل إلى الحقيقة بعد قد يكون سماع الأسرار مضرا به (استعلامى ٣٩٧/٦) ، إن ما يتركه الواصلون عند مغادرتهم الدنيا هو الصورة : هو الأذن والشفاة الظاهرة فلا سمع ولا نطق بها

ويعوضون عنها بشفاه المعنى التى تنطق بما لا يفهمه البشر وتلك الأذان التى تسمع ما لا يسمعه البشر ، إن كل العطايا التى كانت معنوية في عالم الجسد أصبحت محسوسة واضحة في عالم الروح. ألست تخفى البذرة التراب ، وإن صارت نباتاً ظهر على وجه الأرض ؟!

(٣٥٤٧) : إشارة إلى الحديث الدال على الخير كفاعله (انقروى ، ٣٠٦/٢٦) .

(٣٥٥٢) : والإشارة هنا إلى الملوك " تحت الأطمار " (انقروى ٦-٣٠٨/٢) .

(٣٥٥٣) : إشارة إلى الحديث النبوى الشريف : { إذا بايعت فقل لا خلابة ولى الإختيار ثلاثة أيام } (انظر البيت ٣٤٩٨ من الترجمة العربية للكتاب الثالث وشروحه) .

(٣٥٥٩) : من حديث نبوى ورواه ابن ماجة عن ابن عباس ﷺ في الجامع الصغير : { العائد في هبته كالعائد في قيئه } (جامع / ٢-٦٧) ، وفي رواية { العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه } (مولوى ٤٨٨/٦-جامع).

(٣٥٧٢) : رؤية الفيل للهند فى النوم كناية عن الحنين إلى الموطن (حنين الإنسان أيضاً إلى موطنه الأصلى) (انظر الكتاب الثانى الترجمة العربية البيت ٢٢٣٩ وانظر الترجمة العربية للكتاب الثالث البيتين ٤٢٠٤ ، ٤٢٠٥ وشرحهما والترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٣٠٦٨-٣٠٧٣ وشروحها) .

(٣٥٧٥ - ٣٥٩٢) : فى نهاية قصة المدين ومحتسب تبريز يسوق مولانا فيض معرفته فى موضوع من الموضوعات المحببة إليه وهو أن فى عمل الحق علل وأسباب لا تتطابق مع موازين الحياة المادية المحسوسة ، وبحر السرور يعنى الوجود المطلق وبحر عالم الغيب (انظر الأبيات ٨٠٩ ، ١٣٨٢ ، ٣٢٨٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) واليقظة فى النوم والألباب فى إنعدام الألباب تعنى أنه قد ينفتح فى النوم عالم من السرور قد لا ينفتح فى اليقظة ، وأن العقل فى ترك العقل والتدابير فى انمحاء التدابير ، وهكذا ، ففى ذل الفقر يكون الغنى الروحانى والدولة السرمدية ؛ إن الأضداد دائماً ما هى مختفية داخل بعضها (انظر الكتاب

الأول البيت ١١٤٠ والبيتين ٧٤١ ، ٣٥٠٩ من الكتاب الذى بين أيدينا) ألست ترى الماء المغلى ، إن النار قد امتزجت بالماء ، ونار النمرود صارت على إبراهيم عليه السلام روضة زهور نضرة ، والمال يربو من الزكاة والصدقات أى الإنفاق ولذلك قال ﷺ {السماح رباح والعسر شؤم} (أحاديث مثنوى ص ٢١٧) و {ما نقص مال من الصدقات قط} إشارة إلى الحديث النبوى الشريف {ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه} (الجامع الصغير ١٥٣/٢) وفي الحديث النبوى : { مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فما يبقى ذلك من الدنس شيئاً } (انقروى ٦-٣١٧/٢) وعن الوجود المخبأ فى العدم والأشياء التى تبدو بعكس ظواهرها (أنظر الكتاب الخامس الأبيات ١٠١٠-١٠٥١ وشروحها وتأويل : لقد أخلص آدم فى السجود لله فجعله مسجوداً للملائكة).

(٣٥٩٣ - ٣٦٠٩) : فى هذه الأبيات نبدأ آخر حكاية طويلة من حكايات المثنوى وبنهايتها ينتهى الكتاب السادس من المثنوى . وتسمى هذه القصة بقصة قلعة ذات الصور أو القلعة التى تسلب اللب ، ومعظم مفسرى المثنوى يعتبرون هذه القصة ناقصة وبالتالى يعتبر المثنوى ناقصاً . وهذه النظرة نشأت من معرفة أصول الحكاية ثم صمت مولانا عن إكمالها وفى الواقع - والكلام لاستعلامى - أن القصة ليست ناقصة وبالتالى ليس المثنوى ناقصاً . لماذا؟ فى بداية المثنوى تمثل الروح العارفة بعالم الغيب بالناى الذى يشكو من أنه أجتث من منبته ، وقيد فى عالم التراب ، والناس جميعاً يضجون من أنينه وشكواه ويبحثون عن أوان وصلهم ، هذه الشكوى الموجهة من الناى منبثة من كل المثنوى ، وفى الواقع فإن الأبيات الثمانية عشرة الأولى من المثنوى هى خلاصة خلاصته ، وفى الحكايات الأخرى الواردة فى كل أجزاء المثنوى هناك شخصيات باحثة كما كان الناى يبحث ، هؤلاء الباحثون عن المبدأ العشاق للحق أحياناً يسرعون ويتعجلون ويسقطون ، وأحياناً يسقطون ضحايا للأنانية والنرجسية فيتعرضون

لغضب الحق ، وأحياناً يواصلون رحيلهم الروحى بصبر وصمت فتكشف لهم أسـرار الغيـب . وفى الحكاية التى بين أيدينا يمثل كل ابن من الأبناء نمطاً من أنمـاط السلوك ، ويعتبر بعض شراح المثنوى الملك هنا بمثابة المرشد والأبناء الثلاثة بمثابـة النفس والعقل والـروح الباحثـة عن المعرفـة ، ويعتبرونهـا مراحـل ثلاثـة لكمـال المريـد ، وهـذا التفسير ليـس صحيحـاً لأن الصفات التى يقدمها مولانا للأبناء الثلاثة لا تجعلهم مختلفين إلـى هذا الحد بحيث يمثل كل واحد منهم مرحلة من هذه المراحل الثلاثة ، فالثلاثة عشاق لمعشوق واحد غير مرئـى ، وكل واحد يدل الآخر – دون وجود روح المنافسـة – علـى طريـق الوصـول إلـى محبوبـه ، فنحـن بالفعل أمام ثلاثة أنماط من السالكين إلى طريق الحق ، وكأن مولانـا كـان يقـول لمريديـه قبل نهاية المثنوى أن السير فى طريق الحق يتمثل فى هذه الأساليب الثلاثة . والأمير هو الإنسـان عموماً وتكرر المعنى كثيراً فى المثنوى (وهو أشد وضوحاً فى الحديقة) ، ووالدهـم هـو عـالم التراب هذا ، هؤلاء الأبناء يتركون والدهم طلباً للرحيل فى الآفاق والأنفس، ويريد والدهـم أن يردهم إلى عالمهم ويحذرهم من الرحيل إلى قلعة ذات الصور ففيها صور قد تجرهم إلى عـالم آخر، وليست هذه الصور إلا تجليات عالم الغيب فى عالم الشهادة . وفيهـا توجد صـورة ابنـة ملك الصين تسلب لب الأبناء الثلاثة ، بحيث ينسون العودة إلى والدهم، هذه الصورة هى كأس خمر تهب الأبناء الثلاثة خمر الروح ، ووأهب الخمر ملك الصين رمز للخـالق يصفـه مولانـا بأوصاف الحق ، فهو عالم ببواطن هؤلاء السالكين ، يهبهم أضعاف أضعاف ما فقدوه فى عالم التراب . هذه الحكاية هى فى الواقع حكاية السلوك الصوفى يبدأ مـن بـلاط ملـك العـالم وبعد قطع الفيـافي والوهاد والجبال يحوزون وصـال ملـك الصيـن أى الوجـود المطلـق ، فـى هـذا السلوك نرى ثلاثة من السالكين ، "كـل منهـم ممـدوح عـن الآخـر" لكـن أسلوب السـلوك ليس واحداً ، فالأكبر من رؤيتة للصورة يرى أنه ينبغى على مـن هـذا التجلـى الصـورى أن يبحث عن بنت ملك الصين ، لكنه متسرع يلقى بنفسه فـى بـلاط ملـك الصيـن دون أن يتـأكد أن هـذا

البلاط سوف يقبله أو لا يقبله ، ويتطلف معه الملك ، لكن تسرعه يرد بـه وينتهـي عمـره دون أن ينضج ويرى النور ، ويحضر الإبن الثانى على جثة أخيه فى حضور ملك الصين ويشمله الملك برعايته ، لكنه لا يملك الاستحقاق ، ويعتبر عناية الملك به للكمال فيه ، ويطغي ويتمـرد قائلاً أنا أيضاً ملك وابن ملك، فيصميـه سهم الملك ، لكن الابن الأصغر لا يبدى أى فضل أو ادعاء أو تسرع ، فلا هو متسرع كالأول ولا هو مغرور كالثانى ، بل ولا يذهب إلى بـلاط ملك الصين لأنه فان فى العشق قبل كل هذه المنازل ، والإبنـان الآخـران يعدان نفسيهما مـن محبوبي الملك دون أن يقطعوا كل مراحل الكمال ، وعندما يرمـى الملـك الإبـن الثـانى بسـهم ويصميه يبكى على جثته .

والحكاية (أو بعضها وملخص شديد لهـا) موجود فـى مقـالات شـمس الديـن التبريزى ، وفـى تفصيل مصير الابن الثالث الذى لم يرد فى المثنوى يقص شمس الدين أنه بعد مصـرع أخويـه يثبت على حب الأميرة، وبنصيحة مربية الأميرة التـى تعجب بصدقـه وثباتـه تهب لمساعديه وتضع ثورا ذهبياً تضعه داخله وتحمله إلى مخدع الأميرة ، فيسرق نقابها ويعرضـه دليلاً على وصالها ثم يصمت شمس الديـن فـلا يكمل الحكاية بـدوره (انظـر استعلامى ٣٩٩/٦ - ٤٠١ ومقالات شمس الديـن التبريزى ، تحقيق موحد ٢٤٦/١-٢٤٧ وباختصار ص ٢٦٩-٢٧٠) لكن مولانا تحدث عن مصير الابن الثالث في حكاية تالية تبدو منفصلة ، لقد كان أكثر كسلا من أخويه فاختطف الصورة والمعنى ، إن صمت الابن الثالث وعـدم محاولتـه يبين أنـه وصل إلى تمام المعرفة ، وهذا يكفـي - في رأى استعلامى (٤٠١/٦) - لكـي تكون للقصة نهاية .

وتفسير استعلامى يبدو معقولا : إلا في نهاية القصة ، فالنهاية جديرة ومتسقة بالفعل مع نسـق التفكير الصوفى لكن من ناحية أخرى ، فالوصول لا يستوعبه حديث ، ونهاية التجربة لا يعبر عنها بالكلام ، ومن ظن انه قد وصل فقد فصل، والعارف دائما ما هـو معـرض للاستدراج،

وقد يكون ظن الوصول من قبيل الاستدراج فيغتر العارف، وفي غروره يكون موته المعنوى وإنزال رتبته، ثم إن الحكاية كلها حكاية عشق ، ومن قال أن للعشق نهاية ؟! كل حكايات العشق في كتب المثنوى الستة لانهاية لها تشبه النهايات التى توضع عادة للقصص ، فالمراد بها في الأصل بيان الأحوال التى تتوالى على العاشق، ولا يُدرى لها نهاية، فلماذا نريد نهاية للحكاية؟! ويقدم مولانا صورة بشعور الأب تجاه أولاده وكيف انه يستمد منهم أسباب وجوده ومادة حياته نظرة إليهم تروى أوراق عمره الذابلة ، إنها عوامل روحانية ، وقنوات يصنعها الله تعالى لكي يجعل للحياة معنى ، إن كل وجودك قد صنع من أجزاء العالم ، أخذت جزءاً فيه من الأرض ، وجزءا من السموات ، وجزءا من العناصر ، أتظن أنها لن تسترد منك ؟! كلها سوف تسترد منك اللهم إلا النفخة الإلهية ، الروح ، إننى أقول لك إن وجودك الجسدى عبث ، لكن هذا أمر نسبى ، إنه عبث بالنسبة للروح لكنه ليس كذلك بالنسبة لصنعة المحكم ، فالحكيم لم يخلق شيئا عبثا (عن فكرة أن الأجزاء الأرضية من جسد الإنسان تعود إلى أصولها والروح تعود إلى أصلها ، انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٢٤ – ٤٤٤٤ وشروحها) . وهناك تفسيران آخران للحكاية جديران هنا بالذكر : الأول قدمه ملا هادى السبزوارى (شرح مثنوى –صـ ٤٩٣وما بعدها) ويرى أن المقصود بالملك واولاده الثلاثة ، العقل الكلي وأولاده النفس الناطقة القدسية والعقل النظرى والعقل العملي ، والرحلة هي قطع العوالم القدسية : الملكوت والجبروت واللاهوت ، ومجيء الأمراء إلى قلعة ذات الصور هبوط من عالم العقول الكلية إلى العالم الصورى الجسماني ، ومملكة الصين إشارة إلى نفس عالم الصورة العنصرى والنفوس الهيولانية ، وقلعة ذات الصور المراد بها عالم البرزخ المثالي والصورة المثالية من الصور والنفوس الطبيعية التي شاهدتها النفس العلوية قبل هبوطها إلى العالم الجسماني في نشأة الأرواح المثالية ، وما تراه في عالم المحسوسات الجسماني هو شعاع من نفس تلك الصور المثالية ، والمقصود من بنت ملك

الصين البدن العنصـــــرى الذى تتدرج وتنطوى فيه كـل الصــــــور ، وشدة تعلق النفس الملكوتية بصورة البدن العنصـــرى الطبيعي ألقى بها في بئر البـلاء ، لأن مشـاغلها الحسية الطبيعية قد منعتها عن السير في الأصقـــاع الربوبية ، وقد عبر عنه بـالبنت بسبب أنوثـة العالم الجسماني وانفعال مادته ، إذن فقلعة ذات الصور هي نفس هذا الهيكل الجسماني والبـدن الطبيعي العنصـــرى ، وكون أن له خمسة أبواب إلى البحر وخمسة أبـواب إلـى البر كناية عن الحواس الظاهرة والحواس الباطنة ، ولأن الأكـبر يعـبر عـن النفـس الناطقــــة لأنـه لما كانت مدة هبوطــــه قد انتهت ، وتوفي بالأجل الطبيعي ، فقد أنهى مـا تبقى مـن سيــــرة الكمال ، بالرغم من أنه لم يتوصــــل إلى وصال صاحبة تلك الصورة التي رآها في القصر ، يعنى أنه كان قد خرج ناقصا من الدنيـــا لأن النفس الناطقة متجهة إلى ذات الحق ، وفي كل وقت تتجه إلـى الكمـــــال ، وعندما رفضت الجســـد بـالموت الطبيعي ، وتخلصت من شواغل الحس المادى ، تجد حالة تجردها الأصلى وتصـــل إلى الكمال اللائـق بهـا ﴿وكشفنا عنك غطاءك فبصـــرك اليوم حديـــد ﴾، وسبب المـوت الطبيعـي هـو هـذا لا كمـا يقـول الحكماء الطبيعيــون . وهناك أسباب عديدة للموت لكنها ليست واقعيــــة ، فـالروح العلويـة بذاتها متجهة إلى العالم العلوى ، وفي سبيلها إلى الكمال المطلق ، ولا يتم ذلك إلا بترك البـدن ، ومن هنا يستقبل العارفون الموت بحب . أما الإبن الأوسط فهـو العقـل النظـرى ، والأغلـب أنه لما كان العقل النظرى لا يسبب الكمال البشرى ، وإصابته بطعنة من باطن ملك الصيـن ، وعين الكمـــــال عنده لنفس هـذا القصـور الذاتـي استكمال ، وأيضـــا لأن النفس المسـولة واللوامة والأمارة تتلقى من الجراح وتهلك قبل أن تصــــل إلى الكمـال المـترقب ، أمـا الإبـن الأصغر فهو العقل العملي الذى يتملك إبنة البدن ، ويدبر معاشهـــا ومعادها ، ويصـــل إلى وصال الصـــــورة والمعنى .

أما التفسيـــر الثاني فهو تفسيـــر جـلال الدين همـائي (تفسـير مثنـوى مولوى – داستان

قلعهء ذات الصور يا دز هوش ربا – انتشارات دانشكاه تهران – تهران ١٣٤٩ هـ . ش. صص ٢٦–٣٢) ويرى هماثي أن هجرة الأمراء من موطنهم إشارة إلى ذلك الصنف من السالكين لطريق الرشد الذين لا يقنعون بافكار الموروثة ، ويقومون بأنفسهم وهمهم التحرى عن الحق والحقيقة ، وأكبر خطر يواجه هذه الجماعة هو نفس هذا الفناء والخسران الأبدىالذى نصحهم أبوهم بتجنبه ، ويمثل أبوهم العقل الناظر إلى المصلحة الذى يدبر أمور الدنيا ، ومن ثم ينصحهم بعدم الذهاب إلى القلعة التى تخدع العقل وتوقع في العشق والفتنة وتسبب اضطراب الكسب والمعاش وتحصيل الجاه ، وذلك لأن هذه الجماعة تفرط في رفاهيتها الموجودة في موطنها ، وهذا ناتج عن الغفلة .فسفر الأمراء من الملك الموروث إلى ديار الصين وتجوالهم مثال على أحوال تلك الطبقة من المحققين الذين يغتربون عن أوطانهم ، ويلقون بأنفسهم كريشة في مهب ريح غير معلومة لديهم ، وهم في الواقع طلاب للمجهول ، بحيث يفتنون بصورة دون أن يعلموا صورة من هذه ، وما هو الطريق إلى وصالها .

وقلعة ذات الصور هي الدنيا ، كل صورة منها خادعة للعقل واللب في طريق البشر : فصورة منها للمال والثروة ، وصورة أخرى للدولة والحكم ، وصورة ثالثة للإسم والجاه ، وكل منهم قطعت عليه صورة من هذه الصور الخادعة طريق العقل واللب ، لكن تلك الصورة التي كانت في القلعة هي صورة الجمال الذى يخلق العشق ، وخواص البشر إن لم نقل أكثرهم مبتلون بهذا الفخ وهذه المحنة ، فإذا كان العشق المجازى منحته السعادة الأبدية التي يطلبها العارفون والمصطفون ، فإن نتيجته الشقاء الأبدى الذى حذر الوالد الأمراء الثلاثة منه .

ومملكة الصين كناية عن بداية منزل الغرائب والعجائب الروحانية التى يصل إليها السالكون في أودية السلوك الصوفي ، وتحدد مصيرهم النهائي الأبدى ، وهو صورتهم الفعلية الأخيرة في ذلك العالم . والشيخ الذى يقابل الأمراء في أيام الحيرة والاضطراب ويكشف لهم سر الصورة ، هو شيخ الإرشاد المعين الذى أرسل من قبل قطب الوقت وولي العصر لهداية

الطلاب والسالكين ، وملك الصين هو القطب والغوث الأعظم أو ولـي العصـر ، وكمـال كـل سالك موقوف على عنايته واهتمامـــه الباطني ، والأمراء الثلاثة مثالٌ على أنـواع السـالكين الطـالبين الظـامئين فـي وادى الطلـب لـزلال التحقيـق ، والذيـن يقسـمون طبقـــا لأوضـاعهم وأحوالهم الداخلية والخارجيـــة وقربهم وبعدهم وحرمانهم وتوفيقهم في الوصـول إلـى منـزل المراد ،يقسمون بشكل عام إلى ثلاث طبقات ، وكل واحد منهم نمـوذج لطبقتـــه ، وأسـاس هذا التقسيم مبني على درجة معرفة الطالب وقربه أو بعده عن المطلـوب مـع مراعـاة مطابقـة أصـــل الجهد والسعي مع العناية ، والطبقـات الثـلاث هـي : الأكـبر نمـوذج لأولئـك الذيـن يرون أن الحصول على المقصود متوقف على جدهم وجهدهم وتنتهي أحوالهـم دفعـة واحـدة . لقد ظل عشق الصورة في قلبه ، ومن ثم رأى أن كماله الروحاني موقوف على انتهاء حياته . والأوسط نموذج لأولئك الذين لا يقومون بأنفسهم بالجد والطلب لكن لقاءهم بالمشـايخ وأربـاب الحال يعطيهم الموهبـــة التي لا يعرفون قدرهـــا فيفقدون هذه النعمة دون أن يحســوا ، كان وصول الإبن الأوسط أثناء جنازة أخيـــه مصادفة ، وحدث له فجأة ما حدث لأخيـــه ، ولم ينج من مصير أخيـــه ، والإبن الأصغـــر يمثل أولئك الذين لا يسعون بـل ينتظـرون التوفيـق والعنايـة الربانيـة ، وعندمـا يهـب عليهـم نسيم العنايـــة ، يصلـــون إلـى مقاصدهـــم .

(٣٦١٠ - ٣٦٢٣) : أساس حديث مولانا هنا أن كل القنوات التى تمد في العمر من الخـارج لا دوام لها ، والرباعية المذكورة في العنوان لمولانا جلال الدين الرومى (كليات ديوان شـمس ، ص ١٣٨٢ ، الرباعية رقم ٧٧٨ مع اختلاف الشـطرة الثانيـة إلـى ومـن سماع القصـص لا تحل هذه العقدة) ، والتجافى عن دار الغرور مذكورة في حديث نبوى (انظر البيت ٣٠٨٣ من الكتاب الرابع) ، القناة التى تستمدها من باطنك تغنيك عن كل القنوات التى تأتى من الخارج ، فإن تدفق الماء يستمر فيها ما دام متصلا بالبحر (الفيض ، المعرفة) ، وقرة العين لا ينبغى أن

تكون من الماء والطين فهى معرضة للموت والفناء (والفشل والجحود والنكران) وقد تكون مصدر ظمأ وليست مصدر إرواء ، وما أشبه ذلك الأمر بقلعة يأيتها الماء من الخارج ، فهى مرتوية ريانة ما دام السلم موجودا فإن قامت الحرب قطع عنها الماء وغرقت في بحر من الدم ، ولا يسد ظمأها إلا نهر عين من الداخل حتى وإن كان ماؤها ملحا أجاجا ، وهكذا يقطع عليك الموت تلك الأنهار التى تستعيض بها عن النهر الحقيقى ، ألا تقطع جيوش الموت وجيوش الخريف والشتاء الأوراق والفروع عن الأشجار الباسقة ، بل أن ربيعها لا يكون ربيعا إلا إذا اقترن بوجه الحبيب ، ألست ترى أن الدنيا قد لقبت بدار الغرور ومن ثم فإن علامة وصول النور إلى قلب المؤمن " التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حضوره " ... لقد خدعتك ، قالت : سوف ازيل عنك الألم ، كانت تخاطبك بحلو الحديث قائلة : ليبتعد الألم عنك ، لكنها عندما أحدقت بك الأخطار ، تركتك وانصرفت إلى سواك، وما أشبهها في هذا الأمر بالشيطان الذي ورد ذكره في سورة الأنفال ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى ما لا ترون ﴾ (الأنفال /٤٨) (انظر لتفصيلات حول الأفكار الواردة في الأبيات الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٠٣٩ – ٤٠٥٥ وشروحها) .

(٣٦٣٣ – ٣٦٤٣) : لا تظنن انك غير مسئول ، وانك سوف تأتى يوم القيامة وسوف تقول يا إلهى : كنت مخدوعا ، فالاختيار في يدك ، (عن الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية انظر : مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس من المثنوى) . وهكذا فكلاهما : اللوطى والملوط به ، والمخدوع والخادع ، ومن قطع عليه الطريق إلى الله وقاطع الطريق عليه (الحمار وآخذ الحمار) ، كلاهما سوف يتعرضان للعقاب، ذلك إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات (أنظر الكتاب الخامس ، الأبيات ٢٢٢٠ – ٢٢٢٩ وشروحها ، حيث

شبه التوبة بالربيع الذي يقضي على خريف الذنوب) . فالعرش يهتز من أنين المذنبين وإعلانهم التوبة (اهتزاز العرش عند سعدى الشيرازى من بكاء اليتيم) ، مثل ذلك الإنسان الذي يتوب الله عليه ، ويقبل توبته ، يسعد في رياض الفضل والعطاء ، فالله سبحانه وتعالى على عبده التائب الآئب أكثر رحمة وحنانا من الأم بولدها ، يعلم المذنب آنذاك أنه كان يطرق باب هذا وباب ذاك ، يسلك هذه القناة وتلك القناة تاركا البحر الذي منه تستمد كل هذه القنوات ، وعندما يبدى الحق غيرته ، يسد أمامه طرق القنوات والوسائط ، فيصبح كالسمكة لا حياة لها بعيدا عن البحر ، ولا عوض لها عنه من القرب .

(٣٦٥١ – ٣٦٦٤) : يشبه مولانا قلعة ذات الصور ، بأنها حجرة زليخا التى ملأتها زليخا بصورها بحيث أن يراها يوسف عليه السلام حيثما نظر عندما كان يحول بصره عنها وهذا كيدها ، والله تعالى جعل الدنيا مظهرا لآياته ، " وفي كل شئ له آية .... تدل على أنه الواحد " ، وذلك من أجل ذوى الأبصار المستنيرة ، الذين يرون الله في كل شئ " أراه في كل معنى رقيق رائق بهج " ، ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ ، وينقل الأنقروى (٦-٢/٣٣٣) بيت ابن الفارض :

وكل شخص بدا لى أنه قدحى   وكل لحظٍ أراه فهو لى ساقى.

يبديهما لشيطان ؟! بل إن الشيطان إن وجد هذه الجرعة وصار عاشقاً لا نقلب إلى ملاك ومن هنا قال ﷺ (ما منكم من أحد إلا وله شيطان إلا أن شيطانى أعاننى الله عليه فأسلم) ، ومن هنا يصير الإنسان الذى يبلغ من الشر مبلغ يزيد بن معاوية (قاتل أبناء الرسول)خيرا خالصا وفى فضل صوفى عارف بلغ شأواً بعيداً فى مدارج الروح مثل أبى اليزيد البسطامى ، ويفضل الملائكة (عن أبى يزيد انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات ٣٣٩٦-٣٣٩٧ وشروحها) .

(٣٦٣٨-٣٦٧٦) : يذكر حديث الأب هنا بنهى الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام عن

الأكل من الشجرة المحرمة ، فلو لم يكن الأب قد نهى أولاده عن الذهاب إلى القلعة لما فكروا أصلاً فى الذهاب إليها ، وهكذا فالإنسان حريص على ما منع (انظر البيت ٨٥٤ من الكتاب الثالث) ، وأكثر الخلق لا يرون تجليات الحق بالجمال فى هذا العالم ، وانظر إلى مولانا يفرق بين تلقى فئتين عن النهى : أهل التقى الذين ينهون النفس عن الهوى ، إن مجرد النهى يبغضهم فى ما نهى عنه ، لكن أهل الهوى يقعون فى ما نهوا عنه لمجرد أنه منهى عنه ، ألم يرد فى شأن القرآن الكريم ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ (البقرة ٢٦) والمعيار : الإنسان نفسه إذا كان لديه الاستعداد للهدى أو الاستعداد للضلال ، والحمام الأليف المخلد إلى الأرض هو غالباً الذى يقع بين البوص "حبائل الدنيا ومغرياتها"، لكن الحمام المحلق فى سماء العرفان نادراً ما يقع فى هذه المغريات .

(٣٦٧٩ – ٣٦٨٩) : يعود مولانا إلى فكرة دق عليها فى بداية المثنوى وهى الإنسان من فرط ثقته بنفسه وغروره بقدراته ، أحياناً يعتمد على حوله وطوله ، ويبدأ فى عمل ما دون أن يستثنى أى دون يقول "إن شاء الله" ويعود مولانا – وهو فى ختام الرحلة ونهاية المطاف – فيذكر بما سبق أن مر فى حكاية مرض الجارية ومحاولة الأطباء علاجها دون جدوى (الكتاب الأول الأبيات ٢٥ – ٢٤٧) كان كل منهم واثقاً فى نفسه– الأطباء والأبناء – عارفاً بفنه ، مقتنعاً بقدرته ، معتمداً على العلوم التى حصلها والأسباب التى أخذ بها ، والنتيجة ؟! الفشل الذريع لأن كل هذه أمور لا تنفع إذا كان الله لا يريد (عن الاستثناء انظر ٤٨–٥٠ من الكتاب الأول و ١٦٤٠ من الكتاب الثالث) ، إن الأشياء التى لا يريدها الله أن تتم لا تتم ، هذا هو لب الأمر ، قلتها ، وسأظل أقولها وإن كان هناك مائة كتاب فهى ليست سوى معنى واحد "لا وجود إلا لله ولا إرادة حقيقية إلا لله" ، والطرق كثيرة ، والمذاهب كثيرة بعدد أنفاس بنى آدم ، لكنها تفضى إلى منزل واحد ، المبدأ والمعاد ، حتى فى وجودك الجسدى أيها الإنسان إن شبعت (وصلت إلى الحقيقة) فإن كل المآكل تستوى أمامك لكن عند الجوع (الحيرة عدم

الوصول إلى المعرفة) لا تبالى أى شيء تأكل، تكون المآكل أمامك عديدة ، تحار أيها تأكل ، مهلاً إن الأصناف العديدة كلها بالنسبة للجائع صنف واحد ، ويعود مولانا إلى حكاية الجارية المريضة : كان كل هؤلاء الأطباء كالخيول الجامحة لا تدرى إلى أين تنطلق لا تدرى وجهتها، فعندما يفقد المرء الوجهة ، يفقد كل شيء ، إن هذه الخيول لم تدرك أن ثمة فارس يركبها ، وأن الزمام ليس مفلوتاً ، لكن الفارس لا يأبه بها ولا يوجهها .

(٣٦٩١ - ٣٧١٢) : أيتها الخيول الجامحة ، إن كل ما تعانون منه إنما هو من مكر هذا الفارس ، إنكم لا تدرون شيئاً لأنكم تركتم الإيمان به ومن ثم فأنتم تساقون نحو الأشواك وتحسبونها وروداً (انظر الكتاب الثالث مكر ذلك الفارس أنه أثار الغبار فانطلقنا فى أثره ، الأبيات ٣٨٣-٣٨٩ وشروحها) ، إن كل أولئك الذين يعتمدون على أنفسهم يقولون : لقد أخذنا بالأسباب ، أترى الأخذ بالأسباب فحسب يوصل إلى نتائج؟ انظر إلى من أخذوا بنفس الأسباب ومع ذلك لم يصلوا إلى نتائج ؟؟ وإذا كنت قد أخذت بالأسباب (ربطت ثوراً) ثم وجدت النتيجة مختلفة (وجدت حماراً) ، فهذا أمر لا يتجاهل ولابد أن نتساءل عن من بدل الأمور هكذا ، وتذكر قول الأمام على رضى الله عنه "عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم" (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٤٤٥٨-٤٤٧٣) ، انظر : أنت تمضى فى أثر تجارة ما آملاً الكسب ولا كسب ، خسارة ثم دين ثم إفلاس ثم سجن ، أتظن أن التجارة هى أساس الكسب ؟، فلم يفلح تاجر ويخسر تاجر آخر؟ ، تحضر البئر لأخيك فتقع فيه أنت، تتزوج غنية لتغتنى فتأتى هى على ما لديك بالفعل ، وتستدين ، كيف حدث هذا ؟ لقد رأيت فلاناً تاجر وكسب ، ورأيت آخر تزوج غنية فصار غنياً، لكنها المقادير تضع غشاوة على العيون ، إن الله سبحانه وتعالى هو مقلب القلوب والأبصار ، إنه يبدى الماعز (الذكى الخفيف الحاد) حماراً (فى غبائه وعناده) (انظر لتقليب الرب الكتاب الذى بين أيدينا البيت رقم ٢٢١ والمبدل البيت رقم٣٦٩٦) ، إن الأمر ليس سفسطة ، بل إن الله تعالى يتم ما قدره فى

علمه وسابق أزله ؛ لكنك اعتمدت على الطريق وعلى الأسباب ، وعلى خيالك ، ومنكر الحقائق لو فكر أن التفكير فى خياله هو مجرد خيال، لوصل إلى بداية طريق الحقيقة .

(٣٧١٣ - ٣٧٢٠) : البيت المذكور فى العنوان من غزلية لسنائى الغزنوى (ديوان سنائى - بسعى واهتمام مدرس رضوى ط٣ تهران ١٣٦٢ هـ.ش ، ص ٩٧٠) ، وتعبير النفس اللوامة مأخوذ من القرآن الكريم (سورة القيامة ٢) ، وقد ذكر نجم الدين الرازى فى مرصاد العباد ثلاث مراتب لتكامل النفس : النفس الأمارة بالسوء والنفس الملهمة والنفس المطمئنة والنفس اللوامة التى يوجهها الظالم إلى نفسه لأن لديه الاستعداد للطريق القويم لكنه يسلك طريق الضلال فيلوم نفسه (مرصاد العباد ص ٣٤٣ وانظر عن النفس المطمئنة البيت ٥٧٢ من الكتاب الأول و ٣٤١٩ من الكتاب الرابع و ٥٥٨ من الكتاب الخامس) والآية المذكورة فى العنوان من سورة الملك (انظر أيضاً تعليق آخر عليها فى الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات ٢٨٧٣ وما بعده وشروحها) ، ثم يشير مولانا إلى الأكل من الشجرة المحرمة المنهى عنها ، لقد تركا كل فاكهة الجنة واتجها مباشرة إلى تلك الشجرة المنهى عنها ، وهكذا فعل الأبناء اتجهوا مباشرة إلى القلعة المنهى عنها ، إنها قلعة توصف بوصف يذكر بوصف الجسد لها خمسة أبواب إلى البر (الدنيا ، الحواس الخمسة الظاهرة) ، أى أنه من الممكن حتى عن طريق قلعة ذات الصور الوصول إلى الحقيقة ، المهم أن تغلق أبواب البر وتفتح أبواب البحر وتصرف بصرك عن تلك الصور .

(٣٧٢١ - ٣٧٣٣) : يترك مولانا القلعة ويتحدث عن الدنيا (ذات الصور) إن زينتها لا تجلب السكر ، إنها كالأقداح البلورية لا تؤدى فى حد ذاتها إلى السكر ،وهكذا يضيع عمر الإنسان فى البحث عن الأدوات لا البحث عن معنى للحياة ، التضحية بالمعانى فى سبيل المادة ، التضحية بالخمر فى سبيل الكأس ، وهى ليست واهبة الخمر (الفيض ، العطاء) ، فافتح فمك نحو واهب الخمر ، فهيا أيها الإنسان : دعك من صورة القمح "الحياة المادية" وانظر : ألم

يتحول الرمل للخليل عليه السلام إلى قمح ؟ (انظر ٣٨٢ من الكتاب الثانى) ، وما كل عكوفك على الصورة ألست ترى الصور تأتى جميعها من العدم ؟! (انظر ٢٧٨١ والبيت ٣٥٨٨ من الكتاب الذى بين أيدينا وشروحها) ألست ترى الأيدى هى التى تنسج ، فانظر إلى فاقد الأيدى عندما ينسج (إشارة إلى حكاية وردت فى الكتاب الثالث انظر الترجمة العربية الأبيات ١٧٠٧ – ١٧٢٠ وشروحها) والقلب أليست تتقاطر على الخيالات والأفكار من جراء الهجر والوصال ؟ ما الفرق بينها إذن وبين هذا العالم الصورى ؟! أليست كلها خيالات ولا وجود لها فى الحقيقة ؟ ويلاه ، والأمثلة التى أضربها قاصرة عن التعبير لك ، فلا دليل لها يكون محسوساً لديك ، وانظر إلى عدم التشابه بين المؤثرات والآثار؟! هل الضرر الذى حاق بك يشبه النواح الذى تقوم به ؟ النواح صورة والضرر محسوس ، إنه جهد المقل حتى فى التعبير ، وطالما قلت لك أن آفة الحال إدراك المقال (الكتاب الثالث البيت ٤٧٣٠ وشروحه) .

(٣٧٣٤ – ٣٧٥٠) : إن قدرة الله على الخلق تجعله يصور عند الإنسان خيالات وأفكار ثم لا يلبث أن يلبسها لباس الحواس (ألم يكن هذا الكتاب صورة فى ذهن المؤلف ثم فى ذهن المترجم والشارح ثم تولد كتاباً ؟!) لقد كان الإنسان نفسه صورة عند الخالق ، ثم ألبسه لباس الجسد والحواس ، وكل ما يطرأ على هذا الوجود هو مجرد صور ، يترتب عليها خير أو شر (سلوك محسوس) فعندما تكون ثم نعمة يكون المرء شاكراً ، وعندما يتأخر عليه الخير يكون صابراً ، وإن كانت ثم رحمة فهو مستبشر نام ، وإن كان ثم جرح وعذاب فهو شاك باك ، والإنسان فى كل ما يقوم به ، إنما يقوم به بناءً على أفكار هى مجرد صور تتم طبقاً لها سلوكيات معينة محسوسة ، إن تولدت فى قلبه صورة الخضر يهاجر عن موطنه ، وإن تاق إلى مشاهدة عوالم الغيب انفصل عن الدنيا واختلى بنفسه ، هل لإحساس القوة صورة ؟! ومع ذلك فهو الذى يدعو إلى التعدى والظلم ، الفكر (فى مصطلح مولانا الخيال) هو داعى الفعل، وما هذه المشاغل والحرف والمعتقدات إلا من نتاج الأفكار التى تطورت إلى أفعال ، وكأنها

جماعة واقفة على سطح منزل تنعكس ظلال أجسادها على الأرض ، ونفس الصور تؤدى إلى أحاسيس ومدركات : كأس السرور فى مجلس الشيخ يؤدى إلى الانسلاخ عن الذات وفقدان الوعى، الملاعبة والجماع يؤديان إلى النشوة و فقدان الوعى ، الخبز والطعام يؤديان إلى القوة ، الظفر والنصر من السيف والدرع ، الصور تؤدى إلى ما لا صورة له ، وما لاصورة له يؤدى إلى ما له صورة ، العلم المكتوب صورة ، يؤدى إلى العلم الموجود فى الصدور (لا صورة) ، وطلب العلم (لا صورة) يؤدى إلى اللجوء إلى الكتب والدرس والأستاذ (صور) .

(٣٧٥١ – ٣٧٧٣) : إذا كانت كل هذه الصور (الخليقة) عباداً لمن لا صورة له (الوجود المطلق) ، فما بالك تنكر صاحب هذه النعم ذلك الذي صورها لك أحسن تصوير ، إنها كلها منه ، فما هذا الإنكار وما هذا الجحود ؟! إن الإنكار في حد ذاته إثبات في ذهن المنكر . إنه عمل معكوس يبدى غير ما هو واضح وحقيقى (عن العمل المعكوس ، انظر الأبيات ١٥٩٤ – ١٦٤١ و ١٧٤٥ من الكتاب الذي بين أيدينا و ٤٢٦ من الكتاب الخامس وشروحها) . فهل ينكر أحد ما لا وجود له ؟! لكنى مع ذلك أستطيع أن أضرب لك مثالا محسوساً ، إن البناء الذي تراه هو صورة في فكر المهندس ، فهل رأيت طوبا وخشبا في فكر هذا المهندس ، فإذا كان هذا فاعلا محدوداً ، فلماذا تريد أن يكون الفاعل المطلق ذا صورة ؟! إنه من كرمه يبدى لنا الصور (المحسوسات) أحيانا من كتم العدم ويتحلى فيها ، إن هذا الجمال والقدرة التى تراها عند المخلوقات وهى قبس من تجليه بجماله وقدرته ، لكن هذا التجلى عندما يخفى عن من لا بصيرة لهم ، ينصرفون إلى هذا العالم المادى يلدون منه ، وهذا هو عين الضلال ، فكيف تلجأ الصورة إلى الصورة ، وكيف يلجأ محتاج إلى محتاج ؟! وكيف تكون الصور وهى عبيد آلهة ؟! إن هذا هو عين التشبيه، ضراعتك، فحسب هى السبل إليه وفناء ذاتك وأنيتك ، وعدم التفكر في ذات الحق (وعن هذا التشبيه يقول الأنقروى نقلا عن شرحه لفصوص الحكم : إن المراد بخلق آدم على صورة الله ، ليس الصورة كما تفهم فليس لله صورة بل المقصود

الصفات ، (٦-٢/٣٥٤) . " انظر وتفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله ، البيت ٣٧٠١ من الكتاب الرابع) وإن لم تستطع الوصول ، فدع صورة تتولد فيك دون أنيتك ، إنك بمقاييسك الأرضية الذي تفسد كل شئ (انظر الصورة التى لا نهاية لها ، والصورة التى لا صورة فيها في البيتين ٣٤٩٩- ٣٥٠٠ من الكتاب الأول) إن لذة تصور جمال المدينة التى تمضى إليها هى التى تدفعك - أيها السالك - إلى السفر وإلى الحركة ، إذن فمن الممكن عن طريق الباطن السفر إلى اللامكان وإلى عالم الغيب ، فاللذة التى تسوقنا هى غير المكان وغير الزمان ، إن الدافع إلى هذا السير والسلوك عاملٌ لا صورة له ، تراك حتى إن قصدت المحسوسات تقصد شيئا آخر غير المعنويات : تمضى إلى صديقك وهو محسوس قاصدا الأنس به وهو معنى ، فإن حركة الإنسان دائما هى نحو المعنى ، فالطرق كلها تؤدى إلى اللذة الخالصة ، لكن الناس تنظر إلى الذيل ، إلى الدنيا ، ويبتعدون عن الرأس (انظر الحكاية الأولى في الكتاب الذي بين أيدينا ، البيت ١٢٩) أي عن عالم الغيب الذي هو مبدأ كل حركة ومع ذلك فإن هذه الرأس ليست مختفية عن عيون أولئك الضالين، إنها تتجلى في عالمهم المادى ، إنهم يجدون العطاء أيضاً في هذا العالم المادى (انظر ليس المقلد أيضاً محروما من الثواب ، البيت ٤٩٩ من الكتاب الثانى) لكن آخرين خسروا الدنيا والآخرة ، فلا هم تدبروا آلاء الخالق في الدنيا ولا هم ساروا إليه ، لكن الذين يجدون الجزاء كله هم الذين يفنون بالكلية، ومن الفناء يصلون إلى البقاء .

(٣٧٧٤- ٣٧٨٠) : عودة إلى حكاية قلعة ذات الصور : وها هم الأمراء الثلاثة يرون الصورة، صورة الأميرة التى تبدو-كما سنعلم- تجليا لوجود لا يرى (انظر ٣٨٠١ وما يليه)، لم يكن الأمر أمر جمال- فقد رأو من قبل أجمل منها ، لكنها كانت الكأس الذي وصل إليهم الجمال الحقيقى عن طريقه (مثلما كان خمر قيس عن طريق ليلى وخمر يعقوب عن طريق يوسف الذي كان سما لاخوته)؛(انظر لتفصيل أن الصورة هى الكأس والحسن هو الخمر

والله يعطى كل كأس ما فيها من شراب ، الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات(٣٢٩٠ – ٣٣٠٩ وشروحها) ، إن سهام النظرات التى صوبتها الصورة إلى قلوبهم سهام لا قوس لها أي إنها سهام روحانية ، ولا أمان منها ولا حذر (انظر البيت ٩٠٦ من الكتاب الذي بين أيدينا : العشق قهار) ، إن أهل القرون قد هلكوا من عشقهم لأحجار وأصنام ، فما بالك إن كان المعشوق روحانيا (انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٧٩٥ و ٣١٣٥ و ٣١٨٥ وشروحها) . إن هذه الفتنة الروحانية تتشكل في كل لحظة، إن هذه الصورة ، لم تكن صورة، كانت تجليا روحانيا طاغيا ، يثير العشق والجنون .

(٣٧٨٤ – ٣٧٩٩) : لقد بدأ هؤلاء الأمراء الثلاثة يرون ويذوقون كل ما كان والدهم قد أحس به من البداية ، وهكذا الأنبياء والأولياء والمرشدون ، فالأنبياء قد أخبرونا بالعاقبة والمآل وإن كل ما نزرعه هنا نحصد منه شوكا ، وأن الجهات التى تذهب إليها طائرا لن تجديك نفعاً ، ويوم تعلم ، تعض بنان الندم ، وأنت نفس الشخص ، لكنك ألست أنت الذي كنت تفعل الإثم وتعطى الأنبياء أذنا بها وقر؟ ، ومن ثم يسلط الله عليك نفسك اللوامة تشتد فى لومك وعقابك وإيذائك ، لقد كانت أنيتك الحقيقية النزاعة إلى الحق مختفية خلف أنية الهوى ، وليتك علمت من البداية أن ما تراه واضحاً شديد الوضوح أمامك وكأنك تراه فى مرآة إنما يراه الشيخ حتى إذا نظر فى مواد لا تعكس الصور (انظر البيت ١٦٨ من الكتاب الثانى و ٢٠٣٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، وهكذا يحدث الأمراء أنفسهم لائمين إياها على إهمال نصيحة الأب "المرشد" ، وتجاهل أوامر المليك ، واعتمادهم على عقولهم وأوهامهما ، فسقطوا فى نفس الخندق الذى امتلأ برؤوس عشاق الأميرة (الصورة من رواية شمس الدين) ، وما كان أشبههم بمريض السل ، تبدو على الصحة والمرض ينخر فى داخله ، وذكر الحق لا يغنى عن وجود المرشد، فأحياناً لا يوصل الذكر إلى جناب الحق عندما يكون رياءً وسمعة ، وعين المرشد المبصرة هى التى تدل على الذكر الحقيقى وتميز بين العبادة الحقيقية والذكر الحقيقى وبين

عبادة الرياء والسمعة والذكر الذى لا يجاوز التراق ، ويرى الأنقروى (٦-٢/٣٦٦) : إن بنت ملك الصين هنا هى العلم اللدنى المكتوم عن غير الخاصة ويروى ما رواه أبو هريرة عن أبى بكر ﷺ : حفظت من رسول الله ﷺ دعاءين فأما أحدهما فنبأته وأما الآخر فلو نبأته لقطع منى هذا البلعوم " . وعن الحسن بن على رضى الله عنهما :

ورب جوهر علم لو أبوح به لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنـــا

(٣٨٠٠ - ٣٨١٢) : رغم الندم والألم يتساءل الأمراء عن صاحبة الصورة ، ترى من تكون؟ لقد سقطوا وانتهى الأمر ، وبدلاً من العودة عن الطريق عزموا على مواصلته ، وظلوا يتساءلون حتى كشف لهم عن السر شيخ بصير (ما علاقة الشيخ ببنت ملك الصين إذا كان دنيوية ؟ ليس عن طريق الأذن تعرف هذه الحقيقة بل عن طريق الإلهام ، إنها بنت ملك الصين ، والملك غيور {إن سعداً لغيور وأنا أغير منه والله أغير منها ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن} ملك الصين لا يمكن أن يكون هنا سوى رمز للحق يخفى الحقيقة حتى لا يسقط من ليسوا بأهل لها افتتاناً بها ، إنها غيرة الحق على أسراره ، وحتى الطيور المحلقة فى أجواء الفضاء (المرشدون) الذى لم يصلوا بعد إلى مرحلة الكمال ولم يؤذن لهم لا يصلون إليها فما بالك بأولئك الذين زرعوا بذور الجهل ، وضربوا بنصيحة المرشد عرض الحائط ، ولم يسقطوا التدابير ، وليتهم اعتمدوا على عنايته وهى تكفى فى هذا الطريق ، فهيا أيها الأمير (يا ابن الخليفة) ودع عنك التدابير وادعاء الفضل والاعتزاز بالعقل ، وكن بين يدى المرشد كالميت بين يدى الغسال يقلبه كيف يشاء ، ولا حيلة تنفع هنا ، ليس إلا الموت قبل الموت ، الموت عن الدنيا والحياة بالآخرة .

(٣٨١٣ - ٣٨٢٥) : يترك مولانا قصة قلعة ذات الصور ليسوق حكاية أخرى عن الاستسلام وعدم الطلب (ناقش مولانا فكرة الأولياء الداعين والأولياء الصامتين فى قصة رؤى الدقوقى فى الكتاب الثالث فقد حرم الدقوقى من صحبة الأولياء لأنه تدخل فى أمر الله ودعا) ويطل

القصة هو صدر جهان(يذكره مولانا بلقب صدرجهان والصدر الأجل ويرى استعلامى أنه أحد حكام آل برهان فى بخارى ، وقد مر ذكره أيضاً فى الكتاب الثالث فى حكاية العبد الهارب منه والذى عاد إليه بعد أن عذبه الفراق .انظر الكتاب الثالث ابتداء من البيت ٣٦٨٨) والقصة غير مسبوقة وإن كان استعلامى يرى أن هناك حكاية تشبهها فى الهى نامه للعطار وخصوصاً بالنسبة للخاتمة وإن كان ما يقصه لا يدل على أى شبه بالحكاية التى بين أيدينا (استعلامى ٦-٤١٢) وذكر فروزانفر (مآخذ ٢١٩) مثيلاً ملخصا لها عن كتاب الجواهر المضيئة (لم يذكر مؤلفه أو العصر الذى عاش فيه ، وانظر مناقب العارفين /١/١٢٢-١٢٣.) وبالطبع يهدف مولانا بهذه الحكاية إلى الحديث عن الموت قبل الموت والنور هو المستعار والضياء هو النور الذاتى، وهناك من الكواكب ما لا يستمد نوره من الشمس ، ويدق مولانا على فكرة قديمة أخذها عن سنائى هى أن الشمس هى التى تحول الحجارة إلى معادن ثمينة، ويعبر عن هذه الفكرة دائماً فى معرض التبديل الروحانى. لم يكن صدر جهان يمنح أحد يسأله بلسانه ؛ وكأنما كان شعاره الحديث النبوى الشريف {من صمت نجا} (أحاديث مثنوى ص ٢١٩) .

(٣٨٢٧ - ٣٨٢٩) : الحوار هنا بين صدر بخارى والشيخ وخاصة الحجة التى أفحم بها الشيخ صدر بخارى له أشباه فى حوارات كثيرة بين دراويش وملوك ورويت عن بهلول أنه قالها لهارون الرشيد "إنما الزاهد أنت لأننى أزهد فى ملك الدنيا وهو فان وأنت زاهد فى ملك الآخرة وهو باق" .

(٣٨٥١-٣٨٥٦) : يعود مولانا إلى مبحث الموت قبل الموت "كل لحظة موت وحياة" ويعبر سنائى بأن الصوفية يقيمون فى كل لحظة عيدين (انظر الحديقة الترجمة العربية البيت رقم ٥٣٩٤ وشروحه) ، وكل موت يؤدى إلى مرحلة من اكتمال، من جماد إلى نبات ومن نبات إلى حيوان ومن حيوان إلى إنسان ومن إنسان إلى ملاك ثم إلى ما لا يحده وهم (انظر الكتاب

الثـالث الأبيـات ٣٩٠٣ – ٣٩٠٩ وشـروحها والكتـاب الخـامس الأبيـات ٨٠٠ – ٨١٠ وشروحها) ، وليس ثم كمال إلا عن هذا الطريق ، وعنايتـه سبحانه وتعالى أفضل من مائـة جهد فجذبة من الحق تساوى عمل الثقلين ، عنايته موكولة بالموت قبل المـوت (انظـر سنائى مت قبل الموت أيها الصديق إن كنت تريد الحياة ، فمن هذا الموت صار إدريس إلـى الجنـان قبلنا – ديوان ص ٥٢) . ونقل الأنقروى (٦-٢/٣٧٢) : العناية تهدم الجناية وتوجب الهدايـة وتورث الولاية . بل إن هذا الموت نفسه موكول بالعناية ، فالعنايـة هـى بمثابـة الزمـرد الـذي يقتلع عين هذه الأفعى (الدنيا) وهذا في اعتقاد القدماء .

(٣٨٥٧ – ٣٨٨٢) : يسوق مولانا حكاية هازلـة لعلهـا تخفف عـن المريـدين هـذا السـيل مـن الفيض ، وليس الهزل مقصودا لذاته فقد أشار مولانا نقلا عن سنائى أن هزله ليس هزلا لكنـه تعليم (انظـر البيـت ٣٥٥٠ مـن الكتـاب الرابـع و ١٢٤٧ مـن الكتـاب الـذي بيـن أيدينـا– وقـد اعتبرها استعلامى من المأثور الشعبى ، ٦/٤١٤) .

(٣٨٥٧ – ٣٨٨٢) : ليس من المفهوم ما هو المقصود ببيت العزاب هنا هل هو موضع كـان العزاب من غير المتزوجين يجتمعون فيه من أجـل اللهـو أو مكـان أشبه بالبنسيونات الحديثـة يقيم فيه من لا أسـر لهـم مـن المغـتربين وعـابرى السـيل ، وإن كـان قـد اتضـح فيمـا بعـد انـه خانقاه ، على كل حال من الواضح أن البيت لم تكن فيه إقامة مشتركة ولم يكن هناك مـن داع لسوق هذه الحكاية الطويلة لبيان أن ذرة من العناية الإلهية خير من مائة احتياط (شعيرات فـي الوجه تحمى أكثر من كثير من الاحتياط) والحكاية تدل علـى واقـع اجتمـاعى شـديد التدنـى لـم يكن ليغيب عن نظر مولانا جلال الدين الذي صوره الغرب كمحلق في السـموات العـلا، لكنـه يستفيد من هذه الحكايات وأشباهها لبيان معان شديدة العمق من أجـل المريديـن مـن غيـر ذوى العلم والثقافة، وفي البيـت رقـم ٣٨٧٦ لايزال استعلامى يفسر "حمزه خـوار" بـآكل حسـاء البرغل وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع في تعليقات البيت ١٣٣٢ من الكتاب الذي بين أيدينا فليطلب من موضعه .

(٣٨٨٣ - ٣٩٠٠) : يعود مولانا فيتحدث عن العناية الإلهية وأهميتها بالنسبة للعبد ، وعلى العبد ألا يعتمد على الطاعات ، لأن الشيطان قد يذرى طاعة عمر أدراج الرياح ، فالعناية من الله ، والطاعات من جهدك أنت ، وانظر إلى بعض تجار الحياة ، إنك لو وضعت مائة قفل على بابك فإن اللص لا يتورع عن سرقتك لكن ختما واحدا من الشمع يضعه شرطى على بابك يهلع اللصوص من مجرد رؤيته ، طاعاتك كالأقفال المائة وحفظ الله كختم الشرطى ، لكن هذا لا يعنى أننى أصرفك عن الطاعات بل داوم عليها ، لكن كن حريصا حذرا دائم التنبه من وساوس النفس وشهوات الدنيا ، فإن حصلت بعدها على العناية الإلهية ، فاشعر بالأمان ، والعارف على كل حال يقظ متنبه عابد حتى في نومه مصداقا للحديث النبوى : { نوم على علم خير من عبادة على جهل } (جامع ٢/١٨٨) . إن الأمر أشبه بالسباحة في بحر لجى : فالعارف ساكن مطمئن والجاهل يتخبط بكلتا يديه وقدميه يسير على العمياء ويغرق ، ذلك أن بحار الغيب لا شطآن لها ، وطالب معرفتها لا يشبع مصداقا لقوله ﷺ : { منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا } ، ويفسر مولانا الخبر بأنه مادام قد وضع العلم في مقابل الدنيا فلا شك أنه غير علم الدنيا ، وليس هناك سوى الدنيا إلا الآخرة .

(٣٩٠١ - ٣٩٢٧) : عودة إلى حكاية الأمراء الثلاثة وقلعة ذات الصور : لقد صاروا جميعا يعانون همّا واحدا ، ويتحملون حزنا واحدا ، ويواجهون هذه المشكلة بسلوك واحد ، ويحترقون في أتون واحد هو أتون العشق . وها هو الأخ الأكبر يقوم بينهم خطيبا يذكرهم بما كانوا عليه فيما مضى قبل أن يفتتنوا: إنه يذكرهم بأنهم كانوا الناصحين للناس بالصبر وطالما قالوا لكل ممتحن إن الصبر مفتاح الفرج . فكيف لا يلجأون إلى هذا المفتاح ؟! ماذا جرى ؟! هل نسخ هذا القانون الأزلى ؟! إن هذا العالم قد خلق في ستة أيام وكان سبحانه وتعالى يستطيع أن يخلقه بحرفى " كن " والأن وقد جاء دورنا في تجربة هذا العلاج الناجح ، مالنا أصبحنا كالنساء لا نفعل إلا النواح ؟! هيا أيها العاقل اعمل ، وأيها اللسان انصح ، وأيها

المليك حرك لحيتك ومر بالصفح عنا " إشارة إلى حكاية السلطان محمود الغزنوى وعصابة اللصوص في الكتاب الذي بين أيدينا " ؛ (انظر الأبيات ٢٨٢٥ و ٢٨٤٧ و ٢٩١٨) ، هذا أوان الرجولة فأظهرها ، كيف تكون عالى الصوت خطيبا مفوها واعظا ناصحا عند مصائب الآخرين ، فإذا وقعت أنت في المصيبة أخذت في النواح والعويل ، إن ما قمت به من أعمال خلال عمرك الطويل لابد وانه قد جعل منك مستعدا للحرب والمقاومة فيها ، لقد آن أوان النزال ، وحافظ على رئاستك وعلى كرامتك ، لا تفقد مظاهر رجولتك ، والدور عليك الأن في اللعب، فانشط وعد إلى طبيعتك .

(٣٩٢٨ - ٣٩٤٧) : على ذكر وجوب عودة المرء إلى طبيعته يذكر مولانا جلال الدين حكاية أخرى هازلة ، صمت المفسرون عن البحث عن مصدر لها ، ويقدم مولانا شخصية الفقيه ساخرا ، فقد كان من الممكن أن يعتذر عن الشراب دون أن يحدث هذه الضجة المبالغ فيها إظهارا لزهده وورعه ، ثم يترك مولانا سياق الحكاية لحديثنا عن أهل المعنى عندما يبتلون بصحبة أحد من أهل الدنيا أو أهل الظاهر ، إن الحق سبحانه وتعالى يسقى خواصه من خمر ليست هى خمر الدنيا ﴿ إن الأبرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا ﴾ (الإنسان / ٥) ، هذه هى معرفة عالم الغيب وعندما يعرضون خمرهم على من لم يؤذن له بها يعرض عنها ، وينصرف إلى قشور المعرفة ، فمتى كانت المعدة تستريح من القش ؟! إن هذه القشور التى يهرع إليها أهل الدنيا هى حطب جهنم ، وإذا أضرمت النار في لب أنضجته ولم تحرقه ، إن الحق الحكيم ، دائما يفرق بين القشور واللباب ، وهو أدرى بها ، وهذه هى سنته في خلقه ، إن هذا ليس إحراقا بل إنضاج ، " نار المحنة تحرق الفج الجاهل وتنضج العالم العارف العاقل " ، وهكذا أيضاً خمر الكرام، هى إنضاج ونور لأهل المعرفة ، لكنها سم زعاف لأرباب الجهل ، والله تعالى ينبه عباده المخلصين دوما ، ويبتليهم لكى يعودوا إلى طبيعتهم ، ولو لم يفعل ذلك لحرموا من عطائه ومكافأته .

(٣٩٤٩ – ٣٩٥٢) : إن الله تعالى جلت قدرته يستطيع أيضاً أن يسلب العقل من الرأس ، حتى الشمس التى تبث النور هى أيضاً أسيرة في يد الحق ، ويجعل الفلك يدور حول نفسه إن أمره بذلك ، والعقل الذي يسيطر على عقل آخر ويوجهه إنما يحمل قبسا من نور الله ، فالعقول بمثابة قطع الشطرنج في يد القدرة يوجهها حيث يشاء .

(٣٩٦٤ – ٣٩٧٠) : المقصود أن المرأة تتطبع بما يعودها زوجها عليه ، أحياناً يعطف وأحيانا يقسو ، لكن لا غنى لأحدهما عن الآخر ، هذه هى لعبة الحياة ، لا غالب فيها ولا مغلوب ، بل إن كل عنصر يكمل الآخر ، وليست هذه اللعبة قاصرة على الزوج والزوجة ، بل هى لكل معشوق وعاشق ، القديم والحادث ، والجوهر والعرض ، فكلاهما يلتف حول الآخر ويطوف حوله ، مثل التفاف العاشقين ويس ورامين، وكل عشق سواء كان جسديا أو روحانيا فيه هذا الالتفاف بين العاشق والمعشوق ، لكن له صوراً أخر ، لكنى ذكرت الزوجة والزوج على سبيل المثال لأنه مثال واضح ، ومولانا ناظر في هذه الأبيات إلى قول الرسول ﷺ في خطبة الوداع ، { اتقوا الله في النساء فأنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله } (مولوى ٦/٥٤١) .

(٣٩٧٤ – ٣٩٩٣) : ليس التقاء الجسدين في رأى مولانا مجرد شهوة وتطفأ ، بل هو التقاء روحين في المقام الأول ، وهكذا نسى الفقيه زهده وورعه " المصطنع " ، ونسيت الجارية خوفها وتمنعها ، ويطول التقاء ، ليضبطهما الملك متلبسين بالجرم المشهود ، لكن الأمر لايثير عنده سوى بعض الغضب ثم السخرية من الفقيه " الورع " الذي سقط من أول مجلس شراب ، ويسوق مولانا على لسان الملك سمة محببه في الملك في تصرفه تجاه الرعية بأن يرضى لهم ما يرضاه لنفسه وأن يطعمهم مما يطعم وذلك مصداقا للحديث النبوى الشريف : { إخوانكم خولكم جعلهم الله فتية تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه من طعامه ويلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعينه } (جامع / ١-١٤) . ويعود

الابن الأكبر للملك (فى قصة قلعة ذات الصور) إلى الحديث : لقد حدث قبل ذلك أن أعاد الكثيرين إلى طبيعتهم ، وحثهم على الصبر ، فهيا تصبر ، وعد إلى نفسك الصابرة برجولة ، واستخدم هذا العقل المفكر دليلا لك إلى الصبر ، مثلما كان صبر محمد ﷺ على الكفار وأذاهم سببا في معراجه وقربه من الله سبحانه وتعالى ، وهكذا يكون لك الصبر جناحا تحلق به إلى أوج العرش والكرسي .

(٣٩٩٤ - ٣٩٩٩) : لقد كان من المفهوم في الأبيات السابقة أن الأمير يوصى نفسه بالصبر عن طلب المحبوب ، وإيثار السلامة، لكن الأمور تجرى على غير ما هو مفهوم فالصبر المطلوب هنا هو الصبر في طلب الحبيب، قال كبيرهم هذا ، وانطلقوا في طريقهم ، فلم يعد الأمر في أيديهم ، وهكذا انطلقوا إلى بلاد الصين ، فإن كان طريق الوصل مسدودا ، فالقرب بقدر الإمكان محمود ، أو ما لايدرك كله لا يترك كله ، والعاشق يظن أن طريق الوصل خطوتان وقد وصل ، أو يقول أبى اليزيد البسطامى " خطوة بالجهد وأخرى بالتوفيق " ، (استعلامى ٦/٤٢٠ وانظر البيت رقم ١٥٥٠ من الكتاب الرابع) ، لم يكن الأمراء وحداء في هذا الطريق، فمن قبلهم كم من أناس تركوا الملك ، مثل إبراهيم بن أدهم (انظر البيت ٧٢٧ من الكتاب الرابع) ، وكم من نبى صبر من أجل المحبوب ، ألم يدخل إبراهيم عليه السلام نار النمرود ؟! وألم يسلم إسماعيل عليه السلام رقبته للذبح ؟!

(٤٠٠٠ - ٤٠١٣) : يقدم مولانا جلال الدين نموذجا آخر من الملوك الذي شردهم العشق ، وزهدهم في عروشهم وسطوتهم وصولجانهم ، ويقدم سيرة امرؤ القيس الشاعر الجاهلى الشهير من وجهة نظر صوفية ، فامرؤ القيس لم يترك الملك إلا لمقتل والده ، وقولته الشهيرة " اليوم خمر وغدا أمر " ، وذهابه مستنجدا بملك الروم ، ومقتله غيلة أو بمؤامرة ، إلى آخر هذه الروايات غير الثابتة ، بل هو في رواية مولانا جلال الدين ترك الملك زهدا ، وترك النساء المتراميات عليه لجماله تعففا ولأن جمالهن صورى ، وانطلق يبحث عن الملك الخالد

ملك العشق، والجمال الخالد جمال الحقيقة ، واحترف الملك صناعة الطوب اللبن في تبوك ، وها هو ملك الروم يعرض عليه ملك الدنيا ، لكن امرئ القيس يبوح له بالسر الذي شرده ، سر العشق ، فيجره إلى عالمه بهمسة واحدة ، ويسيحان معا في البلاد ، ولم يكونا أول الملوك أو آخرهم ، فالعشق قد ارتكب هذا الأمر كثيرا ، (خاصة بالنسبة للملوك الذين أصبحوا أنبياء وأولياء بوذا والنعمان بن المنذر ولهراسب في الشاهنامه وإبراهيم بن أدهم وغيرهم وغيرهم) ، (استعلامى ٦/٤٢١) إن العشق بمثابة الثقل الأخير الذي يوضع في سفينة الحياة الوتيرية الهادئة الناعمة ويجعلها تمخر عباب بحر الحقيقة الهائج .

(٤٠١٤ - ٤٠٢٣) : يعود إلى قصة قلعة ذات الصور والأمراء الثلاثة ، الذين نسوا مملكة والدهم ، وطافوا بمملكة الصين أملا في التقاط " حبوب " المعرفة ، كانوا يعلمون أنهم يملكون سرا خطيراً لا يملكون البوح به حتى بينهم وبين أنفسهم ، ولو كانوا قد باحوا به ، لفنوا وانعدموا دون نتيجة تذكر ، ولضحوا بأنفسهم بشروى فقير وبثمن بخس ، فالعشق من غيرته قاتل ، حتى في أوقات الرضا، فما بالك إن كان غاضبا ، إنه أشبه بالأسد الذي يهاجم مرج الروح ، لكن دعه يقتل، فإن في قتله هذا حياة الأبد وعيشة الخلود (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث ، وانظر الأبيات ٣٨٣٥ - ٣٨٣٩ من الكتاب الثالث وشروحها) إن الأمراء الثلاثة يتحدثون بالكناية والرمز فأى لغة هذه التى تصلح للعشق ، إن الخوف - خوف نتيجة البوح- يسيطر عليهم سيطرة شديدة ، الخوف من غيرة الحق ، ومن عواقب ذيوع السر، ومن ثم كانوا يتحدثون إلى بعضهم بلغة الكناية التى لا يفهمها " الأغيار " ممن لم يجربوا عالم العشق .

(٤٠٢٤ - ٤٠٣٤) : يسمى مولانا هذه اللغة الخاصة لغة العشق بـ " منطق الطير السليمانى " (انظر الكتاب الثانى ، البيت ٣٧٧٤ والكتاب الرابع الأبيات ٨٥١ - ٨٥٨ وشروحها) وفي هذه اللغة مصطلحات يعرفها أعزاء الحق ، وهى ليست من قبيل الألفاظ التى نجد معانيها في

المعاجم ، ويسمى هذه اللغة بلسان الطير ، وهى لغة لا يعرفها الغافلون والسذج ، حتى وإن تشابهوا مع سليمان عليه السلام (أو مع الأولياء) في الصورة والجسد ، فأشباه سليمان عليه السلام هم الأولياء الواصلون ، أما الشيطان وإن سرق الخاتم وتشبه بسليمان وجلس على كرسيه ، فلم يكن له بهاء سليمان ولا معرفة سليمان ولا فهم سليمان للغة الطير (انظر تفصيلات في الترجمة العربية للكتاب الرابع البيت ١٢٦٤ وما يليه) ، لقد كان تعليم سليمان من الإله ، ومن ثم أعلن ذلك بقوله ﴿ علمنا منطق الطير ﴾ (النمل / ١٦) . وما دمت لا تفهم لسان طيور الهواء (الأولياء والعارفين) فافهم أنك لا تملك علم الباطن مثل سليمان ، ولم تر الطيور المقصودة التى هى من لدن الله تعالى ، ومن أين لك أن تفهم وهذه الطيور كطائر العنقاء (الأسطورى) تعيش فيما وراء جبل قاف (فى ما وراء حدود هذا العالم المادى) ، هذا اللهم إلا أولئك الذين انشغلوا بعلوم الدنيا وسطع في قلوبهم شعاع فى نور الحقيقة إتفاقاً وعلى سبيل الصدفة ، لكنهم لم يتشبثوا به فمنوا بالفراق ، لكن هذا الفراق ليس فراقاً نهائياً ، فإن من ذاقه مرة لم ينسه ولم تنقطع صلته به ، وهذا الفراق فراق مصلحة من أجل ألا يذوب ذلك الجسد الروحانى (الذى وجد قبساً من الروح) وينتهى كلية ، ومن أجل أن يساعد فى المسيرة الروحانية ، فاطلب من المرشدين الصلاح ، ولا تسرق مصطلحاتهم ويضيف الانقروى (٦-٤٠٣/٢) " مشاهدة الأبرار بين التجلي والاستتار " وينقل عن سعدى بيتين عربيين :

أشاهد من أهوى بغير وسيلة	فيلحقنى شأن أضل طريقا
يؤجج نارا ثم يطفى برشة	لذاك ترانى محرقا وغريقا

(٤٠٣٥ - ٤٠٥١) : يشير مولانا إلى أن الأمراء الثلاثة كانوا يستخدمون فيما بينهم مصطلحات خاصة بهم ، ويتحدث عن لغة زليخا (امرأة العزيز) الخاصة التى كانت تتحدث بها عن يوسف عليه السلام ، وكان صويحباتها يعرفن كنايتها ويفهمن لغتها الخاصة ، والرواية هنا ذات أصول وردت فى كتاب بحر المودة فى أسرار المحبة المنسوب إلى أحمد

الغزالي وفي كتاب شرح التعرف لإبراهيم بن المستملي البخاري (١٠٦/١) (عن فروزانفر مأخذ ٢١٩-٢٠) ويطور مولانا الروايتين المذكورتين ، فعندما تذكر زليخا شيئاً محبباً من قبيل "ليونة الشمع" أو "طلوع القمر" و "اخضرار عود الصفصاف" وما إليه فهذا يعني أن الحال بينها وبين يوسف على خير ما يرام ،وإن ذكرت شيئاً منفراً فمعنى ذلك أنها تعاني من الحبيب الهم والفراق ، لقد كانت زليخا لا تتحدث في الواقع إلا عن يوسف ، مهما ذكرت من أسماء ، كان ذكر يوسف طعامها عند الجوع وماءها عند العطش ودواءها عند المرض ، وفراءها عند البرد "في رواية شرح التعرف ورووا في قصص زليخا أنها عندما كانت تغلبها المحبة كانت الصفات كلها تتحول إلى يوسف ، فعند البرد كانت تنطق اسم يوسف فتشعر بالدفء بحيث يتصبب منها العرق ، وكانت إذا نظرت إلى يوسف حدث لها نفس الشيء ، وعند الحر كانت تذكر يوسف فتشعر بالراحة وكذلك عند العطش والجوع كانت تذكر اسم يوسف أو تنظر إليه فتستغني عن الطعام والشراب ، (شرح التعرف ١٠٦/١) .

(٤٠٥٢ - ٤٠٦٧) : أنظر إلى زليخا إنها تذكر يوسف المحبوب في كل ما تقول ، ما تلفظ من قول إلا وفيه إيماءة أو إشارة أو ذكر ليوسف ، فما بالك بأولئك العوام الذين يذكرون اسم الله على طرف اللسان ، ولا حضور له سبحانه وتعالى ولا عشق في قلوبهم ، شتان ما بينهما ، فما كان اسم يوسف يفعله في زليخا ، كان اسم الله يفعله في عيسى عليه السلام ، إن الروح المتصلة بالحق ، ذكرها ذكره ، وذكره ذكرها أو كما قال ابن الفارض :

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها	وذات بذاتي إذ تجلت تجلت
فوصفي إذن لم يدع اثنين وصفها	وهيئتها إذ واحد نحن هيئتي
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن	منادى أجابت من دعاني ولبت

(انقروى ٦-٢/٤٠٦) ، إنها روح تكون خالية من نفسها ممتلئة بالله سبحانه وتعالى ، ومصداقاً للقول المأثور "كل إنا بما فيه ينضح" ، فلا ذكر إلا لله ، ولا وجود إلا لله ، ولا فعل

يصدر عن الولى ورجل الحق إلا عن الله ، ومن هنا يقوم الأولياء بخوارق العادات فلا هى تجرى على أيديهم ولابحولهم بل بحول الله تعالي وطوله . (انظر ٢٠٢ من الكتاب الثانى و ٩٠٥ من الكتاب الرابع) ، إن رضا الولى وابتسامه وتهلل وجهه إنما هو رضا الوصل وسروره (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٣٢٤٢-٣٢٥٤ وشروحها) ، وما هذا الحزن والاكتئاب عند بعضهم إلا لأنهم مطرودون عن عتبة الحق مبعدون عنها، ذلك أن كل إنسان يحس فى قلبه بمائة مراد، تتفرق به السبل والأودية فلا يبالى فى أى واد هلك ، وهذا ليس من مذهب العشق ولا الوداد فليس ثم إلا وجهه ونقل الأنقروى عن ابن الفارض :

وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب　　　　وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتى

ولو خطرت لى فى سواك إرادة　　　　على خاطرى سهواً قضيت بردتى

(انقروى ٦-٢/٤٠٧)، والشمس نفسها على عظمتها وجلالها بين الكواكب هى مجرد نقاب أمام هذا الوجه ، إنها مظهر من مظاهر تجلى الحق ، والذى لا يعرف الوجه من النقاب يكون مشركاً (انظر آية ٢٤ من سورة النحل والأبيات ٥٧٧-٥٨٠ من الكتاب الرابع وشروحها) فالحق بالنسبة للعشاق هو كل شئ، هو النهار وهو الرزق وهو القلب وهو حرقة القلب مثلما تحصل الأسماك من البحر على كل شئ (انظر إننا أسماك وأنت بحر الحياة من الكتاب الثالث البيت ١٣٤٢ وشروحه) والعاشق كالطفل الرضيع والحق بالنسبة له كاللبن الذى يرضعه سواء عرفه أو لم يعرفه لا محيص له منه ولا مهرب له عنه ، ولا تدبير له فى سواه ، إنه مثل تلك الورقة المستديرة التى تكتب فيها سورة من القرآن على نية شفاء المريض أو عودة الهارب ، فإذا كان المرء يؤمن بهذه الورقة ، فأولى به أن يؤمن أنه لا مهرب من الحق ، ولا محيص منه ، ويؤمن أنه مرتبط به إيماناً لا يقل عن إيمانه بتأثير هذه الورقة التى تحفظ المريض بين دفتيها وترد الهارب ، فالفاتح هو الله ، والمفتوح هو السر المراد ، والروح وإن كانت ذاهلة ، إلا أنها ليست ذاهلة فى عودتها ، فهى عودة طبيعية مثل عودة السيل إلى البحر ، إن البحر

هو الذى يدعوه ، لا جدول ماء ولا غيره، وعندما ما يجد أحدهم النداء ، نداء البحر ، فإنه يضيع فيه . ويصير بأجمعه غريقاً فى البحر ومن هذا الغرق يجد الوجود الحقيقى ، مثلما تضيع البذرة فى التراب ، وبعدها تتخلق شجرة ذات ورق وثمر ووجود حقيقى (أية حبة غرست فى الأرض ولم تنبت ، فكيف يكون ظنك هذا بحبة الإنسان ؟ كليات ديوان شمس غزلية ٩١١ ص ٣٦٧) وفى الشطرة الثانية إشارة إلى قصة صدر جهان آنفة الذكر والفقيه الذى تظاهر بالموت لينال العطاء (انظر ٣٨٥٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٤٠٦٨ - ٤٠٨٤) : البيتان العربيان المذكوران فى العنوان لم أعثر لهما على أصل . عودة إلى قصة الأمراء الثلاثة وقد وصلوا إلى الصين متوارين مختفين . وها هو الأخ الأكبر يجد نفسه قريباً من الهدف لكنه لا يناله ، ويفقد صبره واحتماله . ودخل فى مرحلة اللامبالاة ، وعدم تحمل الانتظار ، وهكذا نكون كلنا عندما نقترب من الهدف ، وأصعب ما فى صعود الجبل صعود قمته ، ما هذا الانتظار وما هذا القلق وإلى متى تحمل هذه الواقعة التى تفت العضد وتفل الطاقة ؟! إن تحمل هذا الفراق من علامات النفاق ، أصبر على المحبوب وهو قيد خطوات ؟! إن هذا ليس من العشق فى شئ ، وعلام أخاف؟ أعلى الرأس ؟ إن العشق يهب رؤوساً بدلاً من هذه الرأس ، وأية حياة هذه أشبه بالموت بل إن الموت أفضل منها ، إن السيف لا يقتل روح العاشق "من عاش بالعشق لم يمت أبداً" ، إنه ينفض الغبار، غبار أدران الدنيا وأدران الجسد عن هذه الروح {فالسيف محاء الخطايا} (حديث نبوى) ، وعندما ينتفى غبار الجسد فإن قمر الروح يتألق من تحت سحاب الجسد وغبار الدنيا ، إننى دائماً فى عشق هذه الحسناء أغنى لحناً واحداً غناه من قبلى الحسين بن منصور الملاح "إن فى موتى حياتى" ألست أدعى أننى من الطيور المائية طيور هذا البحر (التعبير من مقالات شمس الدين وانظر ٣٧٨٢ من الكتاب الثانى و ٣٤٩٠ من الكتاب الثالث) ، فإذا كنت حقاً من هذه الطيور فلماذا أصرخ من طوفان البلاء ؟! وهل يهلع السالك من غرق سفينة جسده ، إننى أدعى العشق ،

كيف ؟ وجسدى حى وروحى حية ، إننى مدع ، لكننى مدع ولست كذاباً ، أدعى العشق وإن كنت غير جدير بالوصال ، إننى أشبه الشمع تقطع رقبتى فأزداد ضياء (الصورة من شعر منوجهرى الدامغانى المتوفى سنة ٤٣٢ هـ) ، إن عشاق الحق إذا احترق كل ما يملكون فإنما يكفيهم ويعوضهم أن يتألق عليهم شعاع واحد من نور الحق وأعزاء الحق لا يختفون ، لقد جاهد إخوة يوسف فى أن يخفوا يوسف عن أبيهم لكن آية واحدة من آيات الحق (القميص ، بل ريح يوسف فى القميص) دلت يعقوب عليه وجعلت حيلة اخوة بدداً .

(٤٠٨٥ – ٤١٠٧) : يقوم الأخوان الآخران بنصح الأخ الأكبر: لاتكن غافلاً عما يحيط بك من أخطار ، لا تحرك آلامنا ، إنك لست موقناً من الوصول، فكيف تلقى بنفسك فى الخطر لمجرد الاحتمال والشك فى إنك سوف تصل تقوم بهذه الفعلة، دون أن تعد لها عدتها ، وما هى عدتها ؟ إنها تدبير الشيخ المرشد الذى يأخذ بيدك ، كيف يستطيع سالك مبتدئ أن يمضى إلى نهاية الطريق ؟ لقد كنت معتمداً على العقل ، وها أنت بقولك هذا تدل على أن عقلك قد ضاع منك . فلا بد لك من عقل المرشد ، فإن لم تكن مظفراً فعش فى ظل مظفر ، وإن لم تكن ذا بصيرة فتتبع خطو ذى بصيرة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٢٧٦-٢٧٩ وشروحها) ، وكيف بك تمضى دون مرشد؟ ألست ترى الفخاخ حولك؟ وكلها جراح تبدو لك فى صورة الدواء (عن الفخاخ انظر الكتاب الثالث ٢٦٩-٢٧٥ وشروحها) انظر الحية تمسك فى يدها ورقة شجرة يظنها الطائر قوتاً فيسقط فى فم الحية (الصورة مكررة فى البيت ٢٨١ من الكتاب الثالث) ، ويمكن أن تكون الإشارة هنا إلى المثل العربى القائل "المال حية" انظر البيت ٥٢٩٠ من الكتاب الخامس) ، والتمساح يصيد الطيور التى تطحن الديدان العالقة بأسنانه مائدة شهية ، نعم ، هذه هى صورة الدنيا تماماً ، تمد إليك صنوف النعيم ، لتقتلك (ثبت طبياً أن الأمر حقيقة وليست مجازاً ، والموت بالأمراض المستعصية وأمراض القلب نسبتها الأكبر فى الدول المرفهة) ، إننى أضرب لك صوراً من مكر الحيوان فكيف بالإنسان ومكره وهو سيد على كل

هذه الحيوانـات قد غلبها وسيطر عليها بمكره ، فإياك من نفاقه وتظاهره ، يكون أحدهم متظاهراً بتقوى على الأصغر بن الحسين السجادﷺ ، لكنه يخفى خنجره القاتل فى كمه ، يتهلل فى وجهه ، وفى قلبه كل سحر أهل بابل (انظر عن الملكين ببابل ، البيت ٥٣٩ من الكتاب الأول والبيت ٧٩٧ من الكتاب الثالث والرابع ٢٦٧٤ والخامس ٦٢٣-٦٢٦) أو كما يقول عليه السلام عن بعضهم {ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب} (انقروى ٦-٤١٥/٢) .

(٤١٠٨ - ٤١١٩) : إن متاع الدنيا قليل ، ونورها كالبرق الخاطف لا يدوم ، وبعدها ظلمة مترامية ، ومفازة دون شعاع من نور ، فإن قنعت بنور البرق حرمت من نور ربة الشرق ، فتتفرق بك السبل فى الظلام ، وتتوه وتضل بلا دليل ، بل إنك عندما ترى الدليل تتصرف عنه ، وأنت فى سعيك وبحثك عن جاه الدنيا تتخبط ، ففرق بين طالب الجاه وطالب الله ، إنك ترى أنك فى نهاية الطريق ، وأنت لا زلت فى بدايته ، بل إنك لم تبدأ الطريق أصلاً ، إنك تقطع الطرق على الظن ، ولو أنك تسير مع مرشد لقطعت الطريق الأصلى فى عشر معشار ما قطعت فيه كل هذه الطرق ، وهذا بعيد عنك وعن رشدك بعد أن قرأت ﴿ إن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً ﴾ (يونس ٣٦) فتركت ربة الشرق وسرت فى نور البرق .

(٤١٢٠ - ٤١٣٦) : الحديث يبدو من الأخوين إلى الأخ الأكبر لكنه من إفاضات مولانا جلال الدين فى الحقيقة يحدث المغرورين المبتعدين عن دائرة الإرشاد ، واركب سفينتنا أيها الضال خطاب نوح عليه السلام فى الحقيقة إلى ولده كنعان (انظر تفصيلات الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣١٠-١٣٣٥ وشروحها) ، واربط سفينتك بسفينتنا أى الحق وجودك بوجودنا ، إن العمى عيب واحد ، لكن العمى والابتعاد عن المرشد فى نفس الوقت هو العمى المركب ، أتراك تهرب من مجرد الإتباع والإقتداء إلى المتاهات والضلال ، فيالك من هارب من بعوضة إلى عقرب وهارب من القطر إلى اليم ، وهارب من شدة الأب وحرصه على تأديبك بالشدة إلى

صحبــة الشواذ وإلى الفتنة وإلى الشر (انظر شدة الأب خير من حنان الأم الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ١٤٣٧-١٤٤٣ وشروحها) وانظر إلى سيدنا يوسف عليه السلام ، لقد أخذ الإذن من أبيه لكى يرتع ويلعب ، وأخذته يرتع ويلعب هذه من أحضان أبيه وألقت به قاع البئر (انظر الكتاب الثالث البيت ٤١٧) ، ولو لم يكن أبوه قد أذن له ، لضاع وانتهى فى غيابة الجب ، وهكذا فكل أعمى البصيرة وسالك مغرور غير خبير يعصى أوامر الشيخ ، فإنه يحرم من فيضه ، وقد تكون فيه نهايته ومهما يناديه عيسى الإرشاد ، هيا تعال فأنا البشير معى قميص يوسف ألقيه على وجهك فترتد بصيراً ، فتعال أيها الحمار العجوز العنيد الكسول، واختر الشيخ . فلا كان هناك غير الشيخ قائداً أو دليلاً ، ولا أقصد بالشيخ ذلك الذى شيبته الأيام (انظر لشيخ العقل وشيخ الأيام الكتاب الرابع الأبيات ٢١٦٠-٢١٦٨ وشروحها وانظر أيضاً الكتاب الأول ٢٩٤٣) إن هذا الشيخ هو الذى يستطيع أن يخرج بك من الظلمات إلى النور ، ويوفر عليك المجهود ، فتنجو بفضله من عبادتك للظلمة وانغماسك فى الضلال .

(٤١٣٧ - ٤١٥٠) : إن الشيخ لا يطلب منك سوى شرط واحد : أن تستسلم له بكليتك وألا تجادل أو تناقش وأن تبرأ من كل حول وقوة لك ، إن السهم لا ينطلق إلا بالقوس ، وأنت لن تنطلق إلى السماء إلابقوس الشيخ ، لن تكون أكثر قوة من النمرود الذي أراد أن يطير إلى السموات محلقا بأجنحة عشرة نسور فلم يجده ذلك نفعا ، وكان يستطيع أن يصل عن طريق إبراهيم عليه السلام لو أنه أطاعه ، إن المرشد هو السلم إلى السماء ولا سلم سواه ، لماذا تفكر دائما في سفر الجسد ، إن سفر الروح لا وسيلة له سوى المرشد ، انظر : ألا تسافر أحاسيس الناس وهم نيام ثم تعود عند اليقظة ؟ (انظر الأبيات ١٦٩١ - ١٧٠٠ ، البيت ٢١٠٠ من الكتاب الأول وشروحها) ، والعارف أيضاً يمضى إلى مئات العوالم وهو جالس مستريح في مكانه ، وإذا لم يكن هذا السير الروحانى قد حدث له فمتى عن له وتيسر له أن يخبر عن الولايات البعيدة (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٨٠٢ وما بعدها وشروحها) وهم متفقون في هذا لا

يختلفون كعلماء الظاهر ، ذلك أن عملهم كحضور الكعبة وسط النهار في حين أن علم علماء الظاهر كالتحرى (البحث) عن الكعبة (جهة القبلة) في الليل الداجى .

(٤١٥١ -٤١٥٤): لا يزال إبراهيم عليه السلام يحذر النمرود أو بمعنى أصح لا يزال يبين للسالك العاصى الذي يريد أن يسير في هذا الطريق وحده وكلها في إطار نصح الأخوين لأخيهم الأكبر ، هيا أيها النمرود ودعك من أجنحة النسور واطلب أجنحة من الرجال ، ودعك من عقلك الجزئى الذي يسير به في طريق عالم الغيب وهو لا يصلح إلا للدنيا وإلا لما تمليه عليه الحواس (انظر البيت ١٥٥٩ من الكتاب الثالث والبيت ٢٧٢٣ من الكتاب الذي بين أيدينا) ودعك يا قليل الهمة من جيفة الدنيا (انظر ١٠٤٢ من الكتاب الرابع و ٣٤٨٥ من الكتاب الذي بين أيدينا) وعقول الأولياء بمثابة جناح جبريل تطير حتى سدرة المنتهى مرحلة بمرحلة، إننى – والكلام على لسان إبراهيم عليه السلام للنمرود – بازى السلطان ، لى صلابة البازى وطهره وزهده وملازمته السلطان – الخالق – وبمعونة جناح واحد منى تستطيع أن تصل أنت أيضاً إلى ساعد السلطان (انظر الغزلية رقم ٤٤١ ، ص ٢٠٣ من ديوان شمس الدين التبريزى) فحتام تسير على العمياء ؟ إنما يلزم لكل حرفة وكسب أستاذ فكيف تمضى بلا أستاذ؟! (لتفصيل الفكرة انظر الكتاب الخامس ، الأبيات ١٤٢٥ – ١٤٣١ وشروحها) .

(٤١٥٦ – ٤١٧٢) : عودة إلى حديث الأميرين إلى أخيهما الأكبر ويبين مولانا في هذه الأبيات صراحة أن بنت ملك الصين ليس لها وجود صورى وإن ملك الصين نفسه وجود روحانى ومعنوى وأن معظم السالكين والباحثين بالرغم من أنهم وجدوا ارتباطاً روحانياً مع هذا الوجود، إلا أنهم لم يصلوا قط إلى بنت ملك الصين وهى سر من أسرار الغيب ، وكل ما قاله لك الشيخ امض وفقا له ، لا تخدعه ، ولا تشح عنه بوجهك ، إن الناس جميعا يقولون إن ملك الصين " لم يلد " (الإخلاص /٣) ، وأنه ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ (الجن /٣) ، ومن قال هذا فقد عرض روحه للدمار ، فإن الملك يطلب منه إثبات ما لا سبيل إلى إثباته ، وهناك

خندق ملئ برؤوس فصلت عن أجساد أصحابها لأنهم " جدفوا " بهذا الباطل وخاضوا فيه ، وهكذا كانت نهايتهم مهما كان سيرهم ، وهكذا السائر مائة عام على العمياء ودون هداية المرشد ، واقرأ يا أخانا قول الله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة / ١٩٥) .

(٤١٧٣ - ٤١٨٨) : يجيب الأخ الأكبر مستبعداً أن الأوان أوان انتظار المرشد أو انتظار الدليل ، إن الزرع قد استوى على سوقه وقد آن أوان المنجل والحصاد ، أي صبر والعشق قد أضرم النار في مقام الصبر ، فكفاكم حديثا ، وكفاكم تحذيرى بالخطوب ، فلا صبر عندى ، مات صبرى ولكم طول البقاء ، أى رأس تخاطبه وأى عقل تخاطبه ، لقد انقلبت رأساً على عقب ، أنت تحدث الآن قدمى ، فهل تفهم القدم ؟! لقد سقط البعير من شدة الحمل ولم يعدله من حل سوى الذبح ؟! أي خندق وأية رؤوس مقطوعة ، إنها مجرد مزاح إلى جوار هذا الألم الذي أحس به ، فهل أخفى الهوى ؟! وهل يمكن إخفاءه ؟! كأنني أدق الطبول تحت الغطاء !! فإما أن أرى محبوبى وإما أن أفقد رأسى ، وجدير بهذا الرأس أن يفقد في سبيل هذا الهدف ، وأولى بالحلق الذي لا يتحمل شراب الهوى أن يذبح ، أو كما نقل الأنقروى عن ابن الفارض (٦-٢/٤٢٦) :

وانى إلى التهديد بالموت راكن ومن هوله أركان غيرى هدت

وأولى بالعين التى لا تبصره أن تعمى ، والأذن التى لا تسمع سره أولى بها أن تقطع ، واليد التى تخلو من هذه العطية عطية رؤية الحبيب أولى بها أن تقطع بيد القصاب ، والقدم التى لا تتنزه في رياض أسراره أولى بها أن تغل في الأغلال حتى تستريح منها الرأس !!

(٤١٨٩ - ٤١٩٨) : يقدم مولانا عنوانا جديداً ، إن الأخوين ينصحان أخيهما الأكبر بأن يدق باب المرشد ، وما وقر في ذهن الأخ الأكبر أن أبواب الله كلها واحدة ، وأنه من الممكن أن يدق على باب ، بينما ميسر له الله العطية من باب آخر ، إنه " معه " أي مع الله سبحانه وتعالى . والله يقول ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، والله

سبحانه وتعالى يعرف بفسخ العزائم ونقض الهمم ، (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٦٥ - ٤٤٧٠ وشروحها ، والبيت ٣٦٩٥ والبيت ٣٤٨٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) يقول الأخ الأكبر : إنني سوف أصل إلى بغيتي إما في هذا السفر وإما عند عودتي (إشارة إلى الحكاية التي تبدأ بالبيت ٤٢٢٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، المهم أن أحافظ على المعية ، ألا يفارق قلبي انه جل شأنه معي وذلك مصداق للآية الكريمة ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (الحديد /٤) ، والمهم أن يظل هذا القول في أذني ، لقد قال ﴿ وهو معكم ﴾ بحيث يطرد عن القلب اليأس من أن يظن انه مختوم عليه ، وحتى يجاهد ويسعى ولا يدرك أن الحبيب موجود في قلبه، وأنه ليس عليه أن يبحث خارج هذا القلب . فاطلب المعية كما كان يطلبها الحسين بن علي ﷺ في دعاء عرفة : " إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني بخدمة توصلني إليك " (جعفري ، ١٤/٤٥٢) . وحتى يدله بعد السعي والسير والسفر أن مطلوبك في الدار وأنت تبحث خارجها إنه يريد - أحيانا - من العبد أن يسير في الطريق العكسي وأن يبذل جهدا خارقا في طريق المعرفة، ويستخدم مولانا الفرضية الرياضية التي تصل إلى الحل الصحيح من فرض خطأين (استعلامي ٦/٤٣١) ، بعدها يعلم العبد ، بعدها وليس قبلها ، المهم أن يسعى ، والله يحقق طلبه من أي باب آخر .

(٤١٩٩ - ٤٢٠١) : ويشير مولانا إلى انه قد تحدث عن هذه الموضوعات في أجزاء سابقة - ويضرب المثل بقصة الشيخ أحمد خضرويه الذي كان مدينا في آخر أيامه - ومع ذلك فقد اشترى كل الحلوى التي يحملها بائع متجول وأعطاها لغرمائه دون أن يستطيع دفع نصف دينار هي ثمن الحلوى ، لكن بعد صراخ ابن بائع الحلوى يصل الفتوح ، ويحصل على المبلغ المدين به وفوقه نصف دينار هي حق بائع الحلوى . (انظر الكتاب الثاني ، الأبيات ٣٧٩ - ٤٤٧ وشروحها) .

(٤٢٠٢ - ٤٢١٩) : ولله - جل شأنه - في خلقه شئون ، إنه يلقى في قلبك الخوف من

المكان الذي يكون لك فيه – وليس في غيره – مطمع ويكون لك في الطمع نفسه فائدة ، إذا يعطيكه الله تعالى من موضع آخر ، وفي هذه الألعاب المقلوبة حكمة أخرى ومصلحة (انظر ١٦٤١ و ١٧٤٥ وشروحها من الكتاب الذي بين أيدينا) ، فلماذا طمعك إذن من هذه الناحية ما دام يريد أن يصرفك عنها ، هذه هي حكمته وهذا هو صنعه ، لكي تزداد فيه تحيرا ، وتقر بعجزك وجهلك ، ويوصل لك اليقين بعالم الغيب وتزداد حيرة في المنتجع ، (المكان الذي تطلب منه القوت) والمصرف : مصرف القلوب الذي يجذبها من ناحية ويصرفها إلى ناحية أخرى . فترى نفسك تطلب الرزق من عمل ثم يأتيك الرزق من عمل آخر ، فلماذا إذن وجهك نحو العمل الأول وهو يعلم أن الرزق سوف يأتيك من عمل آخر ، هذا من أجل حكمة نادرة في علم غيبه جل شأنه ، حتى يدفعك إلى التحير في خلقه والتحير عبادة الواصلين ، ومن ثم قال أحد الصوفية : " يا دليل المتحيرين زدني تحيرا " (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١١٠٨ – ١١٧ وشروحها) . ويواصل أكبر الأمراء : وها أنا في حيرة ، هل أصل إلى الحبيب من سعيي هذا أو سأصل إليه من طريق آخر خارج هذا الطريق الذي أسعى به وهو جسدي وذلك بعد أن ينتفي جسدي ، ها أنتم ترون أنه من الممكن بعد التضحية بالجسد أن يحدث المطلوب ، هل يكون مرادي من وصلي هذا ، أو من عالم الغيب المختفي خلف ذات البروج ؟!

(٤٢٢٠ – ٤٢٣٠) : الحكاية الواردة هنا أرجعها فروزانفر (مآخذ / ٢٢٠) إلى كتاب عجايب نامه الذي ذكر انه من مؤلفات القرن السادس ولم يذكر اسم مؤلفه ، والهدف من الحكاية هو ما يدق عليه مولانا في الأبيات السابقة أن هدف العاشق لا يوجد إلا داخله ، وأن السير إنما يكون للوصول إلى هذا الدخل ، وها هو الوارث الذي يتلف ميراثه ، لأنه لم يتعب فيه يئن إلى الله تعالى " وكل من في السجن عابدون " ، هكذا ، وكأنه الناي ، عندما يفرغ يئن ، وينسب قولا إلى الرسول ﷺ منسوب في كتب الصوفية إلى أبي طالب المكي : " مثل المؤمن كمثل المزمار لا يحسن صوته إلا بخلاء بطنه " (استعلامي ٤٣٣/٦) . " وبين الإصبعين " ،

إشارة إلى الحديث النبوى الشريف : { قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء " (انظر شروح البيت ٣٥٦٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) ومن بكاء هذا الوارث الذي أفلس ودموعه لجناب الحق فما دينه وإيمانه .

(٤٢٣١ - ٤٢٥١) : يتحدث مولانا عن دور الدعاء في القرب من جناب الحق مهما تأخرت الاستجابة (الاستجابة في الحقيقة قرينة الدعاء ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٨٩ - ١٩٦ وشروحها) وتأخير الاستجابة يكون من أجل أن الله تعالى يسر من دعاء عبده المؤمن ، ويحبه دائما على بابه . عن أبى عبد الله قال : إن العبد ليدعو فيقول الله تعالى : قد استجبت له ، ولكن احبسوه بحاجته فإني أحب صوته وإن العبد ليدعو فيقول الله تبارك وتعالى : عجلوا له حاجته فإني أبغض صوته " (عن جعفرى ٤٦٣/١٤) . (هناك صورة أخرى في الكتاب الثالث ، أن الله تعالى لم يبتل فرعون بأدنى ألم حتى لا يسمعه يتضرع إليه ، انظر الأبيات ٢٠٠-٢٠٤) كما روى حديث في هذا المجال ، قال ﷺ { إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه } (جامع ١٦/١) . ويقدم مولانا عددا من صور الواقع المعاش أجملها صورة مشترية الخبز الجميلة التى يؤخرها الخباز بينما يصرف القبيحة .

(٤٢٥٢ - ٤٢٥٤) : عودة إلى قصة الفقير الذي أتلف ميراثه وأخذ في الضراعة ، ويدق مولانا على حتمية استجابة الدعاء من قبل الله تعالى ، ما دام العبد صادقا فيه مقيما عليه " فمن دق الباب ونج ، ولج " ، ومن دق هذا الباب يجد مائة ربيع في انتظاره ، المهم أن يصحح النية ، ويقبل على التوبة والإنابة " فإن الذنوب هى التى تؤخر الاستجابة " كما يقول سنائى .

(٤٢٦٩) : الشواهد المذكورة في العنوان : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ (البقرة /٢١٦) . و﴿ سيجعل الله بعد عسرا يسرا ﴾ (الطلاق /٧) و ﴿ إن مع العسر يسرا ﴾ (الشرح / ٦) و " اشتدى أزمة تنفرجى " (انظر شروح البيت ٢٢٧١ من الكتاب الخامس) .

(٤٢٨٨ – ٤٢٩٤) : الحديث رواه أحمد والترمذى عن الحسن ﷺ { دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة } (مولوى ٥٧٨/٦) ويسوق مولانا أحاديث عن الصدق وكيف أن ذلك الفقير الذي قبض عليه العسس بتهمة اللصوصية نجا ببركة صدقه، إن الصدق في القلب بمثابة العود يفوح من حرقة القلب ويدركه اللهم إلا قلب فيه علة أو فيه غرض ، إن الدعاء الصادق من قلب الرسول ﷺ أصاب هدفه من القمر فانشق (انظر الكتاب الأول البيت ١١٨) .

(٤٢٩٥ – ٤٣٠٠) : يواصل مولانا حديثه عن الكلام والحديث : فحديث ينطلق من جهنم القلب الذى لا إيمان فيه ، ويأتى على صورة ألفاظ ، وحديث ينطلق من مدينة الروح ، من عالم الغيب فيثبت فى حى الشفة ، فى باطنها على ساحل بحر الغيب (عندما أقول الشفة فإننى أقصد ساحل البحر ، البيت ١٧٦٩ من الكتاب الأول) (استعلامى ٤٣٥/٦) (لب بالفارسية شفة وساحل) وباطن الإنسان عالم الغيب يزيد الروح وينعشها وهذه الدنيا بحر متلاطم ملئ بالجراح والمصائب والكوارث" ، وهذا الساحل "الشفة" ساحل بحر الغيب برزخ بين هذا العالم وذلك العالم ، وانظر إلى قول الله تعالى فى سورة الرحمن ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ (الرحمن ١٩ ، ٢٠وانظر الكتاب الأول البيت ٢٩٨) ، هذه الشفة وهذا الساحل مثل قافلة تنتقل بين المدن ، تأتيها المنافع من كل ناحية ، ومن ثم فهذا البرزخ الذى هو موضع اللقاء بين العالمين الروحى والمادى بمثابة السوق الذى يعرض فيه كل إنسان قيمته (قيمة الكلمة والمبدأ والمعتقد وكل مقومات الشخصية) فهناك بضاعة النشال "يقمشها من هنا وهناك ويزيفها وكل همه بلبلة الأفكار" ، وهناك بضاعة أخرى من الدر الفريد در التوحيد والإيمان وعالم الطهر ، فهى للأول دار للذنوب وهى للآخر موطن للربح ، وكل بقدر ما يريد ، وكل إنسان بقدر همته ، وبقدر فهمه ، وبقدر خبرته فى هذه التجارة .

(٤٣٠١ – ٤٣٠٥) : إن العالم متسع أمامك ، وكل أجزائه من الممكن أن تقربنا من المعرفة

أو تبعدنا عنها فهى إما قيد ومـانع وسد بالنسبة للغبى الذى لا يستطيع أن يفهمه حق الفهم ويعرفه حق المعرفة ، وهكذا ، فمن الممكن أن يكون سما لأحدهم وسكرا لآخر ، قهراً لأحدهم ولطفاً لآخر ، متحدثوها صامتون أمام أحدهم فلا يفهم عنهم شيئاً ونطقهم وصمتهم سواء بالنسبة له ، وجماداتها متحدثة أمام من يريد الله له الخير ، (أنظر حديث الجمادات إلى الأنبياء فى الكتاب الثالث الأبيات ١٠٠٨ - ١٠٢٢ وشروحها وعن الجمادات فى الكتاب الرابع الأبيات ٢٤١٢-٢٤٢٢وشروحها) والكعبة تشهد للحاج ، والمسجد يشهد للمصلى و﴿يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ ، ولم لا ، ألم يحدث هذا ؟ ألم يميز الجماد ؟ الريح تهلك قوم عاد وينجو المؤمن ، والنيل يصير دما لآل فرعون ماءً زلالاً لقوم موسى وقد مر كله وحدثتك عنه .

(٤٣٠٦ - ٤٣١٥) : تقول يا حسن حسام الدين (وليس أى شخص كما يقول استعلامى ٤٣٦/٦) أننا ذكرنا هذه الفكرة عدة مرات ، وماذا فى هذا ؟! لكن لا أمل من بيان هذه الأفكار فأنا أشتاق كثيراً إليها ومن ثم أبينها ، وكيف يتأتى الملال من غذاء الروح ولا يتأتى الملال من غذاء الجسد ؟ ألست كلما تجوع تأكل نفس الخبز ونفس أنواع الطعام فلماذا لا تمل ؟ الجوع هو الذى يجدد الطعام القديم أمامك . والشوق هو الذى يجدد المعانى القديمة أمامك به تتجدد أعضاؤك ، أترى لذة الطعام من الطعام ، إن لذتك من الجوع وليست من الطعام ، والمتخوم لا يتمتع بلذة أى طعام (انظر عن الملال والتخمة فى الطعام والأفكار الكتاب الثالث ٢٦٧٩ - ٢٧٠١ وشروحها) ، أتراك تمل من حديث الروح وعالم المعانى وأنت لا تمل من السعى فى هذه الدنيا والمساومة فيها ولا تمل من الغيبة وأكل لحوم الناس ، أم تراك نسيت الكلام الذى تقوله وتعيد فيه وتزيد بنفس الحماس وأنت "تصيد" أنثى لتأخذها بين أحضانك ؟!! إنك فى المرة الأخيرة كنت أكثر حماساً منك فى المرة الأولى ، لماذا لم تمل إذن من ذلك ؟ .

(٤٣١٦ - ٤٣٢٦) : يعود مولانا إلى الحديث عن متطلبات الباطن وأشواقه والتى يعبر عنها

بالألم ، ولعل مولانا هنا سبق الأفكار المعاصرة التى تقول أن الألم هو منبع الإبداع ، إن الألم هو الذى يجعلك تستخدم العلاج القديم ويبدو لك جديداً (كل عملية إبداع تجدد المبدع) ، وإذا كان الألم هو دليننا ، فلماذا تشكو من هذا الدليل (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٤٥٤٣-٤٥٤٨ والأبيات ٦٠٤٤ - ٦٠٤٦ وشروحها) لكن عندما تشعر بالألم ، عليك أن تكون حذراً فى اختيار الدواء ، لا تختر دواءً عشوائياً يدمرك وأنت لا تدرى أنك تبتعد عن الشفاء ، وما أشبه هذا الدواء العشوائى بالماء الملح يصرفك عن الماء الحلو ولا يروى ظمأك ، وما أشبهه بالعملة الرديئة التى تطرد العملة الصحيحة من السوق ، لقد خدعك هذا الدواء الخادع ، عندما قال لك: سوف أمحو ألمك ، وهو فى حد ذاته ألم ، إهرب إذن من هذه الأدوية الكاذبة ، واحتفظ بالألم ، واحتضنه بعشق (انظر البيت ٣٧٥٥ من الكتاب الثالث) .

(٤٣٣٦ - ٤٣٤٤) : تؤكد هذه الأبيات المعنى الذى أشرنا إليه آنفاً : كنوزنا موجودة داخلنا ومع ذلك نشقى شقاءً لا حد له ، ونسعى ونلهث طوال حياتنا فى سبيل الحصول على غير ما هو موجود متناسين بالفعل وغافلين عما هو موجود لدينا بالفعل (انظر لتفصيل الفكرة الكتاب الرابع الأبيات ٢٥٤٠-٢٥٥٤ وشروحها) ، لقد كان هذا الألم ، وكان هذا الصفع والتحقير والاتهام صعوداً لى فى الحقيقة ، وهبوطاً لك ، فلو انك أيها الشرطى سعيد لحصلت أنت على هذا الكنز ، وما كانت أشد تعاستى لو كان هذا الأمر معكوساً .

(٤٣٤٥ - ٤٣٤٩) : الدرويش الفقير وإن لم يعرفه أحد ، فإنه يعرف نفسه "إن لم تكن شديد الشهرة فى البلاد ، فلست بالقليل والله أعلم بالرشاد) فما قيمة أن يعرف الناس كلهم المرء وهو لا يعرف نفسه ؟! ومعرفة النفس هى المقدمة لمعرفة الرب "من عرف نفسه فقدعرف ربه" ، أترانى إذن أحمق أيها الشرطى ، ولن أرد فبدلاً من اللجاج والخصومة آتانى الإقبال خيراً مما آتاك ، وإلافقد أعطانى عطية عقلى الذى دفعني إلى الخروج من بغداد والسعى الذى جعل الكنز من نصيبي " والناس بقدر عقولهم يرزقون" .

(٤٣٥٠ – ٤٣٥٩) : فى العنوان غرائب إشارات الحق ، أى المواقع التى تجذبنا فيها إرادة الحق إلى طريق فى حين أن هذا الطريق لا يفضى إلى المقصود، ومن أجل أن نفهم أن للحق إرادة تعلو كل إرادة (انظر البيت ٤١٩١) ، والتأويلات هى النتائج التى ندركها من غرائب إشارات الحق ، وكل هذه الأمور من تصاريف الحق المعكوسة التى لا تجعل الأمور كما تدل عليها ظواهرها ، ونفس هذا الضلال يقلبه الله سبحانه وتعالى إلى عين الرشد ، وهذا كله لكى لا ييأس مذنب ، ولا يخلو محسن من الخوف ، فطالما يفكر الإنسان فى الإرادة الإلهية ، فليس الطريق الذى تسير فيه يفضى بك بالضرورة إلى المقصود ، بل تظل هناك دائماً إرادة الله غالبة ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ إن الترياق غالباً ما يكون مخفياً فى السم ، والله سبحانه وتعالى هو صاحب اللطف الخفى ، وليس مهماً أن يكون ذلك اللطف مرتبطاً بصلاتك ، فكم غفر الله تعالى للمذنبين ، فمن أسمائه الغفور والغفار كما أن من أسمائه اللطيف والكريم .

(٤٣٦٠ – ٤٣٩٩) : يدق مولانا على فكرة من الأفكار التى تتكرر كثيراً فى المثنوى، إن عوامل السلب فى الدنيا هى التى تساعد فى ظهور عوامل الإيجاب وتثبيتها ، كما أن التحدى هو الذى يظهر كثيراً من الأمور الكامنة عند أصحاب العوامل الإيجابية ، (انظر لا جهاد بلا عدو ولا صبر بلا ميل ولا عفة بلا شهوة ، الكتاب الخامس الأبيات ٥٧٥ – ٥٨١ وشروحها) إذن فلولا وجود المنكرين والساخرين من الأنبياء لما أظهر الله اجتباءه واصطفاءه لهم، ولما أجرى على أيديهم البراهين والمعجزات التى هى بمثابة الشاهد ، فإذا لم يكن ثم خصم أو منكر فمتى يطلب القاضى شاهداً ، وكلما كان يزداد إنكار المنكرين ، كانت البراهين والشواهد على صدق النبوة تزداد ، وانظر إلى فرعون الذى كان مكره أضعاف المكر العادى (انظر الكتاب الثالث ٩٦٤ – ٩٦٦ وشروحها) لولا هذا المكر ما أجرى الله المعجزات على يد موسى عليه السلام ، وبقدر ما كان مكر فرعون كانت معجزات موسى عليه السلام ، ولقفت عصاه كل

عصى السحرة ، ويسوق موسى قومه هرباً ويتبعهم فرعون وجنوده قاصدين القضاء عليهم فينشق البحر ، وتكون معجزة جديدة لـه تثبت لبنى إسرائيل الشاكين فـى رسولهم المرتابين فيه ، كان بنو إسرائيل خائفين من فرعون وجنوده وعنفوانـه ، وفروا خائفين ، وفـى خوفهم هذا كان الأمن ذاته مطوياً، وينقل الأنقروى حديثاً قدسياً {بعزتى وجلالى لا أجعل أمنين ولا خوفين فى جوف عبدى إن أمننى فى الدنيا أخفته في الآخرة وإن خافنى فى الدنيا أمنته فـى الآخرة" (٦-٢/٤٦٣) ، والسحرة الذين يمشون على أقدامهم عندما آمنوا بموسى عليـه السلام وقطعت أيديهم وأرجلهم وجدوا الأيدى الحقيقية والأرجل الحقيقية فى تقطيع الأيـدى والأقدام ، وأبدلهم الله خيراً منها ، والخوف أيضاً يكون مطوياً فى الأمـن ، والعارفون فـى أمـن طالما كانوا فى خوف من الله من أن تزل أقدامهم بعد ثبوتها ويضلهم الله على علم ، انظر إلى ذلـك الأمير اليهودى الذى كان يتجسس على عيسى عليه السلام لينقل أخبـاره إلـى اليهـود ، فوضـع الله عليه شبه عيسى ، فصلب بدلاً منه ﴿ ومـا قتلوه ومـا صلبوه ولكـن شبه لهم ﴾ (النساء ١٥١) (الروايـة مذكـورة فـى تفسير البيضـاوى وفـى قصص الأنبياء للثعلبى) (عن مـآخذ فروزانفر ص ٢٢١) وانظر كيف يفسخ الله العزائم ويقلب الأمور رأساً على عقب ، فـالجندى يذهب ليظفر ويغنـم فـإذا بـه ينقلب قتيلاً ويكون متاعـه فيئـاً ، والتـاجر يمضـى نحـو الكسـب فيخسر ، وهكذا الأمور تحدث على عكس النتيجـة المرجوة منهـا فـى هـذا العـالم ، وفـى هـذا يكون إثبات المشيئة الإلهية ، وانظر إلى أبرهـة ملـك الحبشـة يـأتى بجنـده وفيلتـه لكـى يحطـم الكعبة لكى يذهب عزها ويعلى من عز كنيسته ، فمـا النتيجـة ، يتحطـم أبرهـة وتتحطـم فيلتـه وتزداد الكعبة عزاً ومنعة بعد أن ثبت بالدليل الإلهى أن لها ربـاً يحميهـا ، وهكـذا يكـون فسـخ العزائم مثلما حدث في قصة المسافر من بغداد إلى مصر للبحث عن الكنز .

(٤٤٠٠ - ٤٤٢٣) : عودة إلـى قصـة الأمـراء الثلاثـة : وكـرر الأميران النصـح بمـا يوحـى بأنهما أكثر معرفة من الأمير الأكبر بالأسرار ، وإن لم يكن هنـاك ثـم إذن بـالبوح ، ومـن ثـم

فهما كالضفادع إن سكتت تحت الماء فاختناق وإن تحدثت لم تنج من خطر (مثل فارسى)
ويعرض مولانا هنا باختلاف الأمراء الثلاثة رغم كونهم جميعا من السالكين في طريق الحقيقة ، تراهم كانوا يريدون البوح له بأن الأمر ليس في يدك وليس بجهدك ، حتى وإن كانا قد فعلا ذلك فإن ذلك الصنف من السالكين لايقبعون في انتظار التوفيق والعناية والمصادفة وتنتهى أحوالهم دفعة واحدة . لقد ظل عشق الصورة كامنا في قلبه، ومن ثم رأى أن كماله الروحانى موقوف على إنهاء حياته (جلال الدين همائى : داستان قلعه° ذات الصور ، ص ٣٠-٣١) إنه يعلم انه لن يصل إلا بعد أن يفنى وجوده الصورى ومن ثم يقف وينعى نفسه ودنياه ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ (النساء /١٩٧) . عبارة واحدة وانطلق بعدها كالسهم ، ودخل على ملك الصين ، رمز الخالق عند استعلامى ورمز القطب أو الغوث الأعظم أو ولى العصر عند همائى (ص ٢٩) ، وكان الملك يعرف كل شئ عن أحوالهم ، أولها وأخرها ، وحزنهم وتزلزلهم ، وحيرتهم وولههم ، وهل يخفى على الراعى أحوال القطيع ، ما معنى كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وكيف تكون هناك مسئولية دون علم ومعرفة ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ، لقد كان الملك عالما بكل شئ ، لكنه لم يتدخل ، كان صامتا وصمته مصلحة ، يكون حاضرا حضورالنار تحت القدر يدفعه إلى الغليان ، وهكذا غليان عاشق الروح ، مخفى في العروق ، وبالرغم من أنه لم تكن هناك حاجة عند الأمير لشرح أحواله المعروفة برمتها عند الملك بنور العرفان ، إلا انه تركه يتحدث ويستفيض ، " إن الله يحب أن يسمع ضراعة عبده " . ويستفيض الأمير : لقد تعنقت بأهداب سرج دولتك ، فجد على جودا ملكيا .

(٤٤٢٤ - ٤٤٣٧) : يعرض الملك أن يهب الأمير ملكا يبلغ أضعاف ملكه ، ولكن عاشق وجه الله لا يعوضه شئ عن شغفه ولو كان ملك الأرض " حسب الواجد إفراد الواحد له " ، (من أقوال الحلاج عن تذكرة الأولياء ، ص ٥٩٣ ، عن استعلامى ٤٤٣/٦) ، ويصور الأمير

نفسه صوفيا مزق خرقته وألقى بها في مجلس السماع ، يجمعها بقية الصوفية ولا ترد إليه ، والخرقة هنا هي الجسد ، لقد خرجت عن جسدى ولا أبغى عنها عوضا سواك ، (فى محضر الملك اختفى الحديث عن ابنته تماما وصار الملك نفسه هو المطلوب) إن الصوفى إن خرج عن خرقته أثناء الوجد إن استردها فإن وجده لا يكون صادقا ، فالعشق في حد ذاته يساوى أن يضحى في سبيله العاشق بمائة جسد لا بجسد واحد ، فما الدنيا ؟! وما سكرها ، الذي يسبب الصداع ، وما قيمتها إلا لعباد الجسد ، أي ملك ، إن العزل عن ولاية العشق لا يعدله ملك الدنيا ، والمنصب الدنيوى الذي يجعل المرء معزولا عن وجهك ، هو العزل الحقيقى !!

(٤٤٣٨ - ٤٤٤٩) : يقول الأمير الذي تهور وانطلق إلى بلاط المليك : لقد تأخرت في المجيء إليك والمثول بين يديك واجتلاء حضرتك ذلك لأننى لم أكن جديرا بهذه الحضرة ، " العطايا بقدر القابليات " ، وماذا في يدى والجدارة أيضاً ممنوحة منك ، " القابليات أيضاً هبة منك " ، وكيف آتيك بلا استعداد ؟! وأية فائدة تتأتى لى إذا جئتك بلا استعداد وكل فائدة من الدنيا إنما تتأتى من الاستعداد لها ، هل يذهب غير عالم بالمناجم إليها ؟! هل يشترى عنين جارية ، هل يضاء مصباح بلا زيت أو فتيل ، هل يدخل أخشم إلى روضة ؟! هل تكون حسناء فاتنة في حضرة عنين ؟! وكيف يخوض رجل الدنيا بحار المعرفة ؟! وكيف يمضى إنسان إلى طاحون دون قمح ؟! وماذا يكون حاصله منها إلا أن يبيض شعره وشعر لحيته ؟! إن جئناك بالزاد المعنوى وهبتنا الشأن والسلطان الروحى ، لازلت طفلا صغيرا فأية لذة لى من طعام الكبار ومن متعتهم ؟!

(٤٤٥٠ - ٤٤٦٢) : يقول للأمير : إن هذا الكلام كله لا طائل من ورائه ، فأولى بك أن تذهب وتستعد ، أي استعداد ، لقد قعد للأمير طوال هذه الفترة من أجل أن يستعد (أى فترة ؟!) لكن هذا الاستعداد لم يحدث ، لأن الاستعداد بدوره عطية من المليك ؟! وأى صيد للمليك ؟! إن من يريد أن يصيد المليك يسقط هو ويصير صيداً ويتكرر هذا التعبير عن مولانا " كل من تراه عاشقا إعلم انه معشوق " (١٧٥٠ من الكتاب الأول) ، و " وماذا يكون الحبيب في

معناه إلا الحبيب (انظر ٢٢٦٦ من الكتاب الذي بين أيدينا) أتريد إمارة العشق؟! أبشر إذن بأنك سوف تسقط أسيرا للعشق ، ولم لا ؟! وكل أمور الدنيا معكوسة ، إن كل هؤلاء العبيد للدنيا يسمون سادة الدنيا (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٠٠٠ - ٣٠١٠ وشروحها) . وكن أيضاً أيها الجسد معوج السير (بعكس رغباتك وشهواتك) فإنك بسيرك هذا قد استعبدت أرواح آلاف الأحرار ، فاترك هذا المكر إذن ، وعش حرا ، وإن كنت عاكفا على هذا العيش راضيا به ، وكنت كالدلو لا سير لك إلا في البئر ، فدعني، دع روحي حرة ، وامض وابحث عمن سواى ،هيا لقد انتهى دور إقامتي معك ، لقد سلبت عمري ، فدعني وابحث عن سواى ..

(٤٤٦٣) : اتركني وابحث عن آخر ، من هذه العبارة يدخل مولانا جلال الدين في حكاية أخرى ، ظاهرها الهزل لكنها تدور حول نفس المستوى (لها أصل من ألف ليلة وليلة ، الليالى من ٥٩٢ إلى ٥٩٥) (عن فروزانفر ، مآخذ ٢٢١ - ٢٢٦) والقاضي في القصة والذي تجرى على لسانه العبارة رمز للروح التي لم تتخلص بعد من كل علائقها المادية ، وامرأة جحا رمز للشهوات الدنيوية .

(٤٤٧٣ - ٤٤٨٣) : من الحديث عن الضجة في منزل القاضي ينتقل مولانا إلى الحديث عن الضجة الموجودة في باطن الإنسان ، إن منزل الرأس ملئ بالرغبات والوساوس والمهاوس ، في حين أن بقية الأعضاء ساكنة هامدة ، أما الصدور فقد تعبت وحطمت من الرغبات التي تنتقل إليها ، وخوف الحق : هو الخوف من ألا تقبل أعمال المرء حتى لو قام بفرائض العبودية ، ومن هنا يشبهها مولانا بالخريف وبالرياح ، لكنها على كل حال ملجأ للعبد يستطيع أن يهرب إليه من مهاوس الدنيا ، وشقائق الأمس ، أي نعم الدنيا التي لا دوام لها كزهرة الشقائق ، فهذه الشقائق لا تعيش ، وفي نفس الوقت تفوت الفرصة على تربية الزهور التي تخرج البراعم من شجرة القلب ، فإن هربت منها إلى النوم استيقظت في عالم المعنى ، وعالم المعنى يقظ فتى حي ، بينما تحسبه أنت راقدا معدوما ، وهكذا كان أيضاً أصحاب الكهف ﴿ تحسبهم أيقاظا وهم رقود ﴾ .

(٤٤٩٥ – ٤٤٩٦) : الحوار هنا بين جحا وزوجته (منقول من حديقة الحقيقة ، الأبيات ١١٥٠٤ – ١١٥٠٦ انظر إليها وشروحها) .

(٤٥١٠ – ٤٥١٣) : يتحدث مولانا خارج قصة جحا وزوجته فيتحدث عن من هم داخل الصندوق بالرغم من أنهم يظنون أنهم خارجه ، أي يظنون أنهم أحرار وهم في الحقيقة عبيد ، فالعاشق الموجود في أسر معشوقه يظن انه خارج الصندوق وهو في الحقيقة داخله ، إنه حبيس داخل أحزانه وهمومه فكأنها صندوق حوله ، ولم ير طوال حياته سوى هذا الإطار الذي يبدو حوله كالصندوق " بالتأكيد يتحدث عن العاشق الأرضي " . وإن ذلك الذي يظل حبيسا لرغباته في هذه الدنيا ولا يطمع إلى آفاق السموات هو في الحقيقة داخل صندوق ،وخروجه من صندوق البدن يؤدى به إلي صندوق آخر ومن قبر إلى قبر ومن قفص إلى قفص .

(٤٥١٧ – ٤٥٣٣) : يدعو مولانا خارج نطاق الحكاية وبوحي منها ، الله سبحانه وتعالى أن يهبنا قوما من ذوى الأرواح من المرشدين والأولياء يشروننا من صندوق البدن ومن مهاوسه ووساوسه ، ومن بين آلاف البشر قد يكون هناك واحد حسن النظر يستطيع أن يدرك ما وراء هذه القشور (انظر البيت ١٤٦٧ من الكتاب الذي بين أيدينا والبيت ٦٧٣ و ٤٢٢ من الكتاب الرابع) إن هذا المجتبى المصطفى لا يكون من هذا العالم بل يكون مخلوقا من الأزل من عهد ألست واطلع ما على هو ضد هذه الدنيا وبالضد عرف الضد ، ومن هنا قيل العلم ضالة المؤمن ، والحديث المروى هو " الحكمة ضالة المؤمن " . نقل جعفرى (١٤/٥٠٤)عن الإمام علىﷺ الحكمة ضالة المؤن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق . لكن هذا العارف أينما يؤمن بنفسه ويوقن في نفسه فهو على ثقة من علمه ولذلك فهو ضالة نفسه ، لابد لمن يريد أن يضيق من هذا الصندوق أن يكون قد جرب الحرية أن يكون على علم بذلك العالم الذي هو خارج الصندوق ، لكن الذي ولد في الرق لا يعرف سوى هذه الصندوق ، إنه حبيس في

أقفاص الدنيا المتعددة ، يمضى من قفص إلى قفص ، ومن ثم فهو يظل حبيسا لا يطمح إلى النفاذ إلى السماء ، فلا سلطان معه ، ولا مرشدين له ، ولا قدرة له، وإلا فإن الله سبحانه وتعالى قد طلب من الجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض إن استطاعوا ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ (الرحمن /٣٣) ، وهكذا يظل حبيس الصندوق رهنا به ناظرا إليه عاشقا له فهو لا يعرف سواه لكن الذي لا يغتر ، يكون كالقاضى المذكور في الحكاية تواقا إلى الخروج من هذا الصندوق صارخا كل لحظة : أخرجونى ، يكون مرتعدا في كل لحظة ، ضائقا من هذا الصندوق ومن سجنه فيه .

(٤٥٤٠ - ٤٥٥١) : يتحدث مولانا عن الستر ، إن من يسعى في نصح الآخرين لابد وأن يكون آمنا على نفسه في البداية متأكدا من أنه لن يفتضح أو أنه لا يرتكب ما يدعو إلى الفضيحة ، وإلا فإنه معرض أيضاً لأن ينطبق عليه الصندوق ، ومن سعى في فضح أخيه فضحه الله ، وينقل الأنقروى (٦-٢/٤٨٦) إن الله ستار يحب الستر ، كما ينقل : من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله . فالله سبحانه وتعالى بالمرصاد ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ (الفجر /١٤) ، والله سبحانه وتعالى محيط بكل ما يفعله المرء وبكل الخليقة ، فحذار إذن، إياك أن تبتعد عن الدين أو ترتكب الظلم ، فالثواب في العدل ، والعقاب في الظلم ، ويجيب جحا : نعم كل هذا كلام جميل ، لكن البادى أظلم . وينقل جعفرى (٥١٣/١٤) عن ابن الحجاج عن أبى الحسن " الإمام موسى بن جعفر ﷺ " في الرجلين يتسابان ؟! قال البادى منهما أظلم ما لم يعتذر إلى المظلوم " . أي أن القاضى الموجود في الصندوق هو البادى بظلم جحا لأنه كان قد هم بالاعتداء على عرضه ، ويجيب النائب : بل ونحن البادئون ، والإشارة بالطبع إلى اتهام النائب لجحا وزوجته بأنهما هما اللذان بدآ المؤامرة من أولها ، وقد يقصد أن من يقع عليه الظلم لا يجأر بالشكوى ، فلابد أن هذا الظلم انتقام من ظلم وقع منه ، ومن هنا

فكلنا ملوثون ، ومع كل الذنوب التى نرتكبها نحـن سعداء مسروررون آمنـون نستبعد أن يقـع علينا ظلم ، وكلنا في كل لحظة فـي معرض الخطـر والشر والوقـوع فـي الإثم ،والألطـاف الإلهية هى التى تشرينا من هذا الزلل ومن هذا الظلم .

(٤٥٥٢ – ٤٥٦٦) : من يهديك يكون مولاك بمعنـى سيدك ولا أدرى ما مناسبة سوق هذا الخبر الذي لم يثر خبر آخر في الإسلام مثلمـا أثاره هذا الخبر : حديث غدير خم ، حديث الوصاية والولاية والنص الصريح بالخلافة عند الشيعة ، أما السنة فهم يعترفون بالحديث لكنهم لا يعترفون بأنه يحتوى على كل هذه المعانى ، والأمر لا يعدو مجرد وصية بعد حجة الوداع بآل البيت الذين يمثلهم على ﷺ أو على أكبر تقدير بالرجوع في الأمور الدينية والفتيا إلى على ﷺ بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، ومن ثم يضيف مولانا : إن الرسـول ﷺ سمى نفسه بالمولى وسمى عليا بالمولى لأن الرسول ﷺ يحط عنك إصرك والأغلال التـى في قدمك ، فالنبوة هادية إلى الحرية ، والنبوة للبشر بمثابة الربيع للنباتات والريـاض ، يحييها بعد موتها ، وتصبح الأغصـان حاملا بالثمار والخيرات التى تحيى الأرواح مثلما يحييها المسيح ﷺ فكأنها في حملها مريم البتول وإنما ينطق عيسى ﷺ من بهاء مريم فنطقه تبرئة لها وشهادة بعفافها ، كما أن نطق آدم كان من النفس الإلهى الذي نفخ فيه ، لكن قمر الأنبياء جميعا سطع بلا نطق ، بعد الخلوة والعزلة والانقطاع عن الناس ، ومن أجل أن تزيدوا الشكر لا تزال الموائد ممدودة ولا تزال الثمار متزايدة ، وإياكم أن تحتجوا بالحديث { عز من قنع وذل من طمع } ، فإن هذا الحديث يقصد الأمور الدنيوية، ولكن إياك أن تقنع فيما يختص بأمور الآخرة، فالذل لمن قنع والغنى لمن طمع واستزاد فيما يقربه من خالقه ، وهذا موكول في ألا تتبع النفس ، وأن تكون متنبها إلى هاتفي الغيب الذين يشرونك .

(٤٥٧٧ – ٤٥٧٨) : يدور الحديث هنا بين جحا والقاضى بمصطلحات لعبة النرد .

(٤٥٨١ – ٤٦٠٢) : انتقال من الخمسـة والسـتة " في زهـر النرد " بين القاضى وجحا إلى

العارف الذي نجا من قيد الخمسة " الحواس " والستة " الجهات " ،وبذلك جعلك عارفا بما وراء هذه الخمسة وهذه الستة ، ولم يكن ذلك من كثير سياحة أو كثير دراسة ، بل لأنه جاوز الأوهام واعتزل ، ومن هنا فإن إشاراته أصبحت إشارات الأزل " فبى يسمع وبى يبصر " ، وإن لم يكن العارف خارج بئر الدنيا ، فكيف يستطيع أن ينجى الأرواح من داخله ، إن العارف مشرف ببصيرته على الفلك الأعلى ، ومع ذلك فهو ببشريته ومواساته للبشر واهتمامه بخلاصهم ونجاتهم منصرف إلي البئر يخلص منه السالكين ويصل بهم إلى الملك الذي لا يبلى ، وهذا هو مصير الأرواح الناظرة إلى الحق والتى يرمز لها بيوسف الصديق عليه السلام نعم إن الآخرين باحثون عن الماء في البئر أي عن النفع في الدنيا لكنه هو أي العارف باحث عن نجاة الصحاب من قاع البئر ومن ثم فدلوه (وجوده) ليس دلوا ، إنه ماء ، هو نفسه قوت لأرواح أسماك بحر الحياة ، والناس الآخرون متعلقون بالأفلاك، لكنه – أي العارف – موجود دائما بين إصبعين من أصابع الرحمن ثم يعود مولانا قائلا : ما هذا الذي أقول ؟! ما الدلاء وما الجبال وما الأفلاك ؟! ما هذه التشبيهات التى ألجأ إليها ، ما هذا التعبير الركيك ؟! المشكلة أنه لا يمكن التعبير عن هذا العالم المعروف بالعارف ، فكل التعبيرات إلى جوار وجوده الحقيقى تعبيرات ركيكة ، إنه مئات الآلاف من الرجال ، فيه قدرتهم الروحية مهما كان جسده نحيلا أو ضعيفا ، إنه نموذج لقدرة الحق ، إنه فتنة ، لأنه مفتون بالحق ، وهو أيضاً فتنة للمنكرين وغير العالمين وكلهم في مقابل عظمته وقدرته حفنة ، أو هو نفسه حفنة أدمجت فيها كل البيادر ، وذرة أدمجت فيها مائة شمس ، وإن أبدت هذه الذرة قوتها لانمحت أمامها كل الأفلاك والكواكب ، مثل هذه الروح العظيمة لايمكن أن يحتويها جسد إن هذا يشبه أن تصب البحر كله فى قربة ، إنها فى عظمة جبريل والمسيح والكعبة ، وإن تبدت فى صورة حقيرة تمويها واخفاءً وضناً وغيرة ، إنه رباني ، الهى ، على مثال الله ، إنه موضع سجود عالم المعنى ، لأن الآخرين عن طريقه يرتبطون بعالم الروح وأمثال إبليس إنما يضلهم

أمثالك ، إنهم يظنونك صورة ، مجرد صورة لا تستحق السجود ، ولايدركون أن منك قبساً من ذى الجلال .

(٤٦٠٣ – ٤٦٠٩) : عودة إلى قصة الأمراء الثلاثة ، كان الأمير قد توقف فى الجزء الأخير من القصة – قبل أن يقطعها مولانا بقصة جحا وزوجته والقاضى على أنه قد جاء إلى الحضرة دون الاستعداد الكافى ، وأن هذا الاستعداد أيضاً عطاءٌ من الله سبحانه وتعالى ، وها هو الأمير فى مقام الحيرة ، فبالنسبة له لا يمكن إدراك الوجود المطلق بموازين عالم المادة ، وربما كان من الأوفق هنا أن نقول أن ملك الصين هو فعلاً رمز القطب أو الغوث وأنه وإن بدى روحانيا خالصاً فى بعض أجزاء الحكاية إلا أن مولانا مهد بوصفه السابق للعارف بالحديث عن ملك الصين أيضاً ، كوجود صورى ، فالملك فى نظر الأمير هو الأفلاك السبعة ممثلة فى قبضته من الطين (وهكذا كل إنسان انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع "الإنسان ذلك العالم الكبير) ، وفى أثناء هذه الحيرة التى فرضت الصمت ، كانت روح الأمير مع روح الملك فى حديث مستمر ، كان الأمر غريباً جداً أمام الأمير، إن الملك كله معنى من المعانى فما هذه الصورة التى له ، إنها صورة حقاً لكنها ليست ككل الصور ، وذلك الكلام المستمر الذى يجرى دون لسان يخلصك وينجيك من كل كلام ، فما دمت مشغولاً به لن تكون لك علاقة بكلام البشر ، وذلك السقام الذى أنت فيه ينجيك من كل سقام ، وعلى الأمير إن أراد أن يفنى فى ملك الصين أن يعبر وجوده الجسدى ، وبعدها لن يراه مجرد قبضه من طين ، وسوف يراه كله معنى، وعلى هذا يطلب الأمير من الجسد أن يخلص الروح حتى يتصل بالوجود المطلق .

(٤٦١٠–٤٦٢١) : فى هذه الأبيات يصف مولانا التجليين الصورى والباطنى للأمير، إن ملك الصين يكرم روح السالك ، وهذا النضج المعنوى الروحانى ذوبان لجسد السالك ، ومن ثم فإن هذا الذوبان هو نمو وتعال ، ومن هنا يتهلل العاشق به ولا يذبل بل يقول "زيدونــى" ، إن هذه

اللحظة، لحظة ارتباط السالك بعالم الغيب قيمتها خارج حساب المكان والزمان ، وكل ما يفعله السالك في هذه اللحظة عندما يكون رجل حق، فى هذه اللحظة لا يوزن بموازين الطاعة والمعصية ويقول الأمير : إذا كان الملك قد قال أن العشاق غير الجديرين بابنته أو مدعى أسرار الغيب ينبغى أن يعدموا، فسوف أطلب أن أعدم فى كل لحظة لا مرة واحدة، وعن ابن الفارض :

ولم تعسفى بالقتل نفسى بل لها   به تسعفى أن أنت أتلفت مهجتى

وقال آخر :

مالي سوى روحى وباذل روحه   فى حب من يهواه ليس بمسرف

(انقروى ٦-٢/٤٩٩) ، (للعشاق فى كل لحظة موت ٣٨٨٦ من الكتاب الثالث) إن الرأس التى تقطع فى سبيل هذا العشق تعوض بمئات الرؤوس ،ولا زلت أيضاً مستعداً للتضحية بهذه المئات من الرؤوس ، إن الرأس التى أتحدث عنها رأس أخرى والقدم التى أتحدث عنها قدم أخرى ، ومن هنا فكل المجالس تنتهى ، إلا مجلس العشق ، فالعاشق متجدد ، وفى كل لحظة يزداد مجلس عشق الحق حرارة، وهذه الحرارة ليست فى هذا العالم بل فى اللامكان ، فى عالم الغيب ومن ثم فهو حار بحيث لا تساوى حرارة الجحيم شررا واحداً منه .

(٤٦٢٢ – ٤٦٢٨) : عندما يتحدث مولانا عن نار العشق وكيف أن الجحيم منها شرر واحد يذكر الحديث النبوى المذكور أكثر من مرة فى المثنوى وهو أن النار تقول للمؤمن عندما يعبر الصراط "جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نارى" والعبارة المذكورة فى العنوان : نورك أطفأ لهيبى ، هذا النفس أى نفس العشاق الحار هو الذى يطفئ لهيب الكفر ، فأودع نار كفرك آهة العاشقين حتى تطفئها ولا تجعلك محترقاً بها فى نار جهنم ، ويضيف أيضاً فكرة جديدة وهى أن الجنان أيضاً لا تتحمل العاشق ، فإنها رغم عظمتها لا تعد شيئاً إلى جوار عظمته "لا جزاء للعاشق إلا وجه الله" .

(٤٦٢٩ – ٤٦٣٣) : عودة إلى قصة الأمراء الثلاثة أو قصة الأمير الأكبر : كان الأمير قد وصل إلى بلاط ملك الصين، لكن هذه القطرة لم تكن قد وصلت بعد إلى مرحلة يتيسر لها فيها أن تذوب فى البحر ، كان يحترق انتظاراً لابنة ملك الصين ، وكان يتحمل الفراق وكأنه خلع الأضراس ، وبلغ عمره آخره ، وحان أجله ، لكنه مقيم على معنى المعشوق ولا علاقة له بتجليات المعشوق فى عالم الصورة ، إنه يريد المحبوب بغير حجاب ، مهما كانت تجلياته الصورية العظيمة ، فان عين الحقيقة دون هذه التجليات أعظم ، إن روحى قد ألقت عنها لباس الجسد ، ومن ثم فإن وجوده المطلق قد ألقى عنه لباس الخيال أى التجلى الصوفى ، والآن أجد نفسى مستعد للالتحاق ببحر الوجود المطلق ، إنه وصال بعد الموت ، بينما وصال الرجال يكون قبل الموت .

(٤٦٣٤ – ٤٦٤٧) : هكذا ، وإلى هنا ينبغى عليك أن تصمت، فمن بعد هذه المرحلة... لا تعبير. وصلنا إلى البحر ، فدعك من الجواد والسرج (البيان) ولم يعد يصلح لك إلا المركب الخشبى ، الزورق وهو الصمت ، قد يكون هذا الصمت ، يلقى بك فى الملال ، لكن عن هذا الصمت حديث وولولة فى عالم العشاق , لكنك لأنك منفصل عن هذا العالم لا تسمع ، وكما أنك تتعجب من صمته يتعجب هو أيضاً من ثقل سمعك (إن ما يلقن للواصلين فى عالم الغيب هو أن اصمتوا الكتاب الخامس البيت ٢٢٤٢) (الشفة صامتة والقلب ملئ بالأصوات ٢٢٤٠ من الكتاب الخامس) إن العاشق هو الذى يدرك ، وغير العشاق إلى جواره لا يعرفون، كنائم إلى جوار حالم لا يدرى بما يجرى فى أحلامه ، ويصل العاشق إلى مرحلة انكسار المركب الخشبى "الصمت" ، وكالسمكة يصبح غريقاً فى بحر الأبدية ، لكنه الواصل الكامل لا يمكن وصفه فلا هو صامت ولا هو متحدث ولا اسم هناك يعبر عنه ، وهو لا يستوعب وصفه حديث، على كل حال ، ليكن معلوماً لكن أننى أعتبر ما تسمعه من كلام هنا تعبيراً ركيكاً عما أريد قوله ، لكن هذا هو أفضل ما وجدته من العالم المحسوس .

(٤٦٤٨ – ٤٦٧١) : يلتقى الابن الأوسط بالملك فى جنازة أخيه ، ومع أن الملك يعرفه إلا أنه يسأل متعمداً "من يكون هذا ؟ يبدو أنه سمكة من نفس البحر" أى يبدو أنه أيضاً سالك يريد أن يصل إلى بحر الغيب وبإكرامه لذلك الأخ الأوسط صاده أيضاً وجعله مفتوناً بالوجود المطلق ، وذلك الملتاع فى مصيبة أخيه ، رأى أن روحاً جديدة قد نفثت فى جسده ، لقد كانت العطية عظيمة ، مجرد التفات من الوجود الحقيقى ، وهو التفات بلا حول ولا طول ولا جهد ، لقد قامت ضجة عالية فى قلبه ، فلم يكن قلبه متوقعاً لها ، وانعكست مشاعره هذه على كل ما حوله ، فحتى الجمادات اكتسبت روحاً جديدة ووصلها فيض العطاء ، كل ذرة أخذت تتضخم أمامه وتكشف عن أسرارها ، وكل شىء مما هو موجود حوله أخذ يكتسب معنى جديداً، لقد انقلب إلى روح منفصل عن الجسد ، والروح عندما تنفصل عن الجسد يصبح العالم كله أمامها جديداً ، ليس هذا فحسب بل إن كثيراً مما لم تكن تراه تبدأ تراه من جديد ، لقد كان يقرأ فى الكتب عن هذه الأحوال ، لكنه خبرها عياناً الآن وتجلت أمامه ، وليس ذلك إلا من عناية ذلك الملك العظيم الذى كحل عينيه بكحل المعرفة ، لم يكن الكحل من يده ، بل من غبار مطيته ، فكأنه قبض قبضة من أثر الرسول ، وأخذت الفيوضات تنهمر عليه وهو يصيح : هل من مزيد ، لقد كان فى روضة من المعانى تختلف عن تلك الرياض التى ترونها والتى يمكن أن تصبح صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً ، إنها روضة نامية من القلب ، دائماً فى ازدياد ، ربيعها دائم ومتجدد ، وكل ما تعلمه من علوم ، حتى العلوم التى تعترف بها والتى ترى أنها ذات طعم ، حتى علوم القلب هى مجرد باقة أو باقتان من هذه الرياض فليس كل من ذاق منها استطاع أن يعبر عن كل ما ذاقه ، وإننا لنشعر بالضعف تجاه هذه الباقات ، لأنك لم تدرك هذه الروضة ولم تدرك قيمتها ، وأغلقت أبواب الروضة أمامك لأن مفاتيح هذه الأبواب ضاعت منك وأنت مشغول بهموم العيش وإن فرغت منها لحظة ، انصرفت باحثاً عن النساء ، ثم طف عندك هذا الميل وهذا الهوس فانقلبت من حية إلى تنين ذى سبعة رؤوس إلى

جهنم ، تحتاج إلى مدينة من الخبز والنساء (انظر النفس تنين ٣/١٠٥٣) .

(٤٦٧٢ - ٤٦٨١) : مزق شبكة الدنيا التى تحيط بك ، واحرق حبوب الحرص وافتح أبواباً جديدة لهذه الدار ، كن عاشقاً ، ولا تكن شحاذاً ملحاحاً يعتمد على تنغيم صوته وتباكيه ورفع هذا الصوت ، ولا تكن كالصدى مردداً لأقوال الآخرين بل ذق أنت واعرف أنت ، كل ما لديك انعكاسات وردود أفعال ، تقليد، تسر لأسباب شهوانية "مما تجلبه القوادة" وتغضب لأسباب خارجية "غضب الشرطى" الذى يظهر إخلاصه لسيده بالتجبر على الضعفاء، إنك تنبهر بشىء، تنبهر بآراء الآخرين وأقوال الآخرين بل ونجاح الآخرين "وأحياناً مظاهر الآخرين" وتحاول تقليدهم ، متى تصبح "نفسك"؟ متى يكون اعتمادك على نفسك ؟ بحيث يكون كل ما تحصل عليه لك ولا ينال أحد منه شيئاً ، كل ما تحصل عليه يكون لك ولا يشاركك فيه أحد . يقول الأنقـــــروى (٦-٢/١١٥) وكان شيخنا أبو مدين يقول فى فتوح الغير أطعمونا لحماً قديداً أى لا تنقلوا إلينا من فتوح غيركم إلا ما يفتح عليكم فى قلوبكم يرفع بهذا همة أصحابه لطلب الأخذ من الله) .

(٤٦٨٢ - ٤٦٨٦) : الكلام لا يخرج عن نوعين : إما وحى وإما هوى ، وما لايكون من الوحى فهو من الهوى ، وإن كان هذا القول لا يبدو لك صحيحاً ، فهيا اقرأ من سورة النجم ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (النجم ٣-٤) ، فليكن لك الوحى يا أحمد فأنت جدير به "وما للأنبياء يكون للأولياء" ، أما أرباب الجسد فتصلح لهم وسائلهم من تحر وقياس ودرس وقراءة وقال وقيل ، فهؤلاء لا يدركون الوحى ، فهم مضطرون ، والمضطر يأكل الميتة ، لكن من يقبل الوحى يكون كمن هو داخل الكعبة ، لا يتحرى عن جهة القبلة (لا رسم للقبلة داخل الكعبة ١١٧٢ من الكتاب الثانى) .

(٤٦٨٧ - ٤٧١٧) : ماذا يحدث لو أن القياس والتحرى لم يعط نتيجة ؟ حرقة البدعة والضياع فى السبل والطرق ، وطالما ضربت لكم الأمثال ، سيروا فى القرون وانظروا ،

واستخدموا القياس فهل كانت كل ريح حمالة للعرش كما حملت سليمان عليه السلام ؟ لا بل حملت قوم عاد ، كما يحمل القصاب الحمل ، يحمله ليذبحه ، ثم قلبت الفراء من وجهه الجميل إلى وجهه القبيح وشتان ما بين الوجهين (التعبير مأخوذ من الإمام على رضى الله عنه " لبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً" (من الخطبة ١٠٧ من نهج البلاغة تحقيق وترجمة فيض الإسلام ص ٣٢٤) فكانت دماراً حطمهم ، وحطم الذيول التى يتشبثون بها ، بعد أن أمنتهم (انظر الكتاب الرابع الأبيات ١٢٥-١٣٠ وشروحها والكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢١٩٨-٢٢٠٠ وشروحها والأبيات ٤٨٣١-٤٨٣٦وشروحها) فهيا حطم الهوى قبل أن يحطمك الهوى كما حطم قوم عاد ، والرياح أنواع يا بنى يسرها الله سبحانه وتعالى كيف يشاء "ريح للظفر وريح للحراسة ريح للطلق وريح للولادة ريح تسير السفن وريح تؤلم الأسنان" (انظر الكتاب الرابع الأبيات ١٣٠- ١٤٩).

(٤٧١٨ - ٤٧٣٦) : الدنيا بمثابة حلق يبصق علينا جميعا ، وأفواهنا لا تأكل إلا التراب ، أليس الطعام الذي نأكله مهما كان شهيا والشراب الذي نشربه يتحول إلى لحم وجلد ، أليس اللحم والجلد هو في النهاية تراب طريق ، ما أشبه الطعام بتراب يرتق الطين ثم يتحول إلى تراب، مثلما تتحول كل الألوان والصور والجنسيات إلى تراب ، كل الألوان وزينات الدنيا تتحول إلى تراب ، كلها أقنعة وثمة لون واحد يبقى ، ما كان لله ، صبغة الله (البقرة / ١٣٨ والبيت ٧٧٠ من الكتاب الأول و ١٣٤٩ من الكتاب الثانى) أو اللون الواحد (البيت٥٠٤ الأول) أو اللا لون (٢٤٧٩ و ٣٤٩٠ من الكتاب الثانى) أو اتحاد اللون (١٣١٦ من الكتاب الخامس) وهى كلها ليست واحدا من هذه الألوان لأنها لا ألوان ، معنى ممتد على كل الخليقة ليس له لفظ يعبر عنه ، وكل الألوان غيره أعراض ، مثل الألوان التى تطلى على رقاب الإبل، ومن الواضح أن صبغة الله لا لون لها ، هل هناك لون للتقوى والصدق واليقين ؟! هل هناك لون للكفر والشك والنفاق ؟! إن الحسن والقبح لا لون ولا مفهوم صورى لهما ، إن

انعكاسهما فقط هو الذي يبدو على الوجه، سرور دائم أو عبوس دائم ، وما أشبه هـذه الصـور بتماثيل من عجين يلعب بها الطفل ، ويعض عليها بالنواجذ ، ثم يأكلها ،إنه دائما في عناد من أجلها ، ولله الحمد إنه في عناده هذا لا قوة له .

(٤٧٣٧ - ٤٧٥٤) : انظر إلى الأطفال و (الرجال الأطفال) ، وماذا يصنعون في الدنيا مـن شر وفتنة وظلم ؟ انظر عندما يجتمع الجهل والسلاح معاً !! " سيف في زنجي ثمل ، البيت ١٤٣٨ من الكتاب الرابع " إن من العصمة ألا تجد في طلب البسطة لا تجتهد أو كما قال علـى رضى الله عنه " من العصمة تعذر المعاصى (انظر الكتاب الثالث ، البيـت ٣٣٨٢) والإنسان الجائع المحتاج متجه دائما إلى الله ، وبعيد عن وساوس الشيطان (الجوع طعام الله ، الكتـاب الخامس ، البيت ٢٩٧) ، انظر إلى أولئك الذيـن امتـلأت بطونهم كيف يعرض عليهم تجار السوء بضائعهم (من جنس ومخدرات وخمر وشذوذ يجعل البطـن المليئـة تشتهى!!) فيضيع العقل كما ضاع الجسد، فياله من خالق عظيم ذلك الذي يجعلنا نتقاتل على تراب " وأحيانا على وهم وخيال وأحيانا على ما يدمرنا " ، يجعلنا كالأطفال نتشاجر على التراب ، وشـتان مـا بين الطفل والبالغ : الطفل مهما كان ضخما وكبيرا المتلعق بهذا التراب الملون ، والبـالغ الـذي وصل إلى كماله الروحى والمعنوى ، شتان ما بين الفاكهة الناضجة وما بين الحصرم، (انظـر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٧٩٥ - ١٨٠٠ وشروحها) . إنه في شك وتـردد ، ترى هل يصـل إلى مرتبة أن يكون عنبا ناضجا ، هل يترك مرحلة الفجاجة والحصرمية ؟!!

(٤٧٥٥ - ٤٧٧٢) : لا يزال المتردد الذي يرى نفسه حصرمـا ويتـوق إلـى الوصـول إلـى النضج يتساءل : ليس لى رجاءٌ في شئ قط ، لكن الله سبحانه وتعـالى يقـول : ﴿ لا تيأسـوا من روح الله ﴾ (يوسف / ٨٧) وانظر البيت ٩٨٤ من الكتاب الثـالث) وطالمـا مد لنـا موائد كرمه ونعمه وقال لنا ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ (الزمـر / ٥٣) ، ومهمـا كنـا يائسين مـن أنفسنا ، نسقط في حفر الكآبـة والقنـوط ، لكنـه عندمـا ينادينـا بالعطـاء علينـا أن نمضـى إليـه

راقصين سعداء مسرورين ، كأننا جياد تسرع إلى مرعاها ، هنالك يكون الإسراع بلا خطـو ، والشراب بلا كأس ، ليست حركة الجسد بل حركة الروح ، إلى عالم الـروح ، حيث المعـانى ولا أجسام ، والشموس ولا ظلال ، أليست الجدران العالية تحجب أنوار القمر ؟! فإن انهـارت وصار خلاء ، سطع القمـر (انظـر ٥٥٣ - ٥٥٩ مـن الكتـاب الثـالث) . ومـا القصـور ، ومـا الجدران ، وما الشرف ، وما الأسوار ، إن الجبل ليندك إن سطع عليه هذا النـور ، بـل لينـدك من شوقه إلى هذا النور ، لقد اندك لأنه تجلى على ظـاهره (الأعراف /١٤٣) والبيتـان ٢٥ و ٢٦ من الكتاب الأول) فما بالك إذا كان قد سطع على باطنه ، لكان قد تفتت لتنال كل ذرة فيـه نصيبها من النور ، انظر إلى الجائع يتفتح عندما يجد رغيف خبز ، فما بـالك بـالنور والغـذاء الروحى وقوت الملائكة والأبدال ، إن هذا النور يساوى أيتها الأرض التمزق إلى آلاف القطـع ، فانهضي من بين الفلك ، ترى هل كـان مولانـا جـلال الديـن يعتبر الأرض كـرة معلقـة فـي فضاء الفلك ، كرة معتمة إن تمزقت سطع عليها النور ؟! الله أعلم ، الخلاصة هنـا إنـه إن لـم يكن ثم حياة مادية ، تراب ، يسطع النور على كل شئ ، لكن الأرض على كل حال هـى مهـد الأطفال (طه / ٥٣) ، (المهد متأرجح ومتحرك) وهى لازمة طالما كـان البشـر أطفـالا ، فـإن نضجوا وبلغوا مبلغ الرجال ضاقت بهم الأرض. ويا أيها المليك ، وسع عليهم هذه الدار ، فإن فيها أيضاً بعض الناضجين البالغين ، وهم في حاجة أيضاً إلى الحركة .

(٤٧٧٣ - ٤٧٩١) : عودة إلى قصة الأمـراء الثلاثـة وقلعـة ذات الصـور : وهـا هـو الأمـير الثانى الذي تعرض لعناية ملك الصين ونال من ألطافه ، يدخل في " الحـال " الـذي أرداه : هـا هو يسقط صريعا للوسوسة وأن ما وصل إليـه إنمـا بحولـه هـو ووحـى قلبـه هـو ، ويصبـح " مستغنيا " عن عنايات ملـك الصيـن ﴿ إن الإنسـان ليطغـى أن رأه اسـتغنى ﴾ (العلـق / ٦-٧) (انظر قصة كاتب الوحي وسطوع نور الوحى المحمدى عليـه ، البيـت ٣٢٤١ ومـا بعـده مـن الكتاب الأول) ويشير مولانا في العنوان إلى ملك القلـب ويقصـد بـه ملـك الصيـن أو الوجـود

المطلق ، ومعنى لا علم له عن صورة الملك أي أن الجرح الذي أصابه لم يكن هناك دخل لوجود الملك الصوري فيه ، لقد كان الراتب الروحي يصل إليه دون دخل منه ، كان قوتا مستطابا ، لأنه لو كان الرزق الذي وعد به المؤمن هو الطعام والشراب لما رزق غير المؤمن منه (انظر ١٥٦٣ و ١٨٦٢ من الكتاب الرابع) لقد ظن الأمير نفسه قمراً ، ناسيا أن القمر نفسه يستمد ضياءه من الشمس ذات البهاء ، وأن الأنبياء والأولياء فحسب هم الشموس الساطعة ذات الأنوار المستمدة من ذواتها ، لقد استغنى الأمير وانتهى الأمر ، ولم يعد الملك ذو الألطاف في رأيه إلا مانعا في الطريق (غبار يقف على وجه القمر) ، لقد أحس الأمير " بأنيته " ، وتولدت فيه نفسه الأمارة بالسوء ، ظن أن المعرفة (الماء) نابعة من داخله (جدوله) وحين تتولد النفس داخل الإنسان ، فنها تفتح كل أبواب الشرور ألعن من الحرص وألعن من الحسد ، ثم نفسْ السوء التى تنظر إلى كل الوجود فتراه شيئا قبيحا ، لكن الملك كان يعلم بكل ما يدور في داخله ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ، ولقد تأمل الملك من هذا الجحود لعطاياه الغيبية وأخذ يخاطب الأمير الجحود (الإنسان المنكر على وجه العموم) بخطابه القاسي : لماذا هذا الشر الصاعد برغم العطاء النازل .

(٤٧٩٢ – ٤٨١٠) : حذار من غيرة المليك التى تثار عندما يتوجه العشاق إلى أنفسهم وإلى كل ما سواه وانعكس هذا على الأمير ، وحسر طائر الدولة ظله عنه ، وافتضح كل شئ وتمزق حجابه ، وضربه بجناح غضبه ، وانصرف عنه منتحيا جانبا ، وبدأ يحس بأن هذا الانعامات التى تتوالى ، وأفاق الأمير من سقطته وزال عنه سكر الكبرياء ، وبدأ الذنب يدق رأسه، وبعد السكر يكون الخمار ، وهكذا كان آدم عندما آكل من الشجرة المحرمة شجرة الحنطة (البقرة / ٢٥) فبدت له سوءته ، وطرد من جنة الله ، لقد شرب الأمير شربة النفس والغرور ، فانقلب من طاووس يتبختر في رياض الجنة ، إلى بوم ينعق في خرابة الدنيا ، لقد انقلب عز آدم إلى مجرد حراث يسوق بقرة ، وأخذ يخاطب نفسه : أيتها الكافرة " الهندية " ،

لقد جعلت أسد الـروح مجرد أسيرا لذيل بقـرة النفس الأمـارة ، لقد اختـرت قمـح الغـرور ، فانقلبت كل حبة منه إلى عقرب لادغ ، وتغلبت عليك الأنية ، فعقدت قدمك عن الانطلاق بقيـد يزن خمسين منّاً ، لماذا انقلبت على مليكى ؟! لماذا كفرت بالنعمة التى صبها على صبا ؟ لقد أفـاق ، واستغفر ، وتـاب وأنـاب واستعان علـى هذا كلـه بـالألم والإيمـان ، فـلا كـانت هنـاك للإنسان قوة واستغناء ، فهو عندما ينجيه اللـه مـن الصـبر علـى الحرمـان يطمـع فـي الزيـادة وصدارة المجلس ، ولا كان للإنسان قدرة على الظلم ، فهو حينئذ ظلـوم جهـول لا يـؤدى حقـا لله ولا للناس، وأولى بالإنسان إذا أراد أن ينجو أن يكون مبتلى مشغولا ببلائه ، ذلك أن نفسـه كافرة بالنعمة ميالة إلـى الشـر (انظـر عـن صفـات النفـس ، الكتـاب الثـالث الأبيـات ٢٥٥٠ – ٢٥٥٨ وشروحها) .

(٤٨١١) : نموذج آخر لمن انصبت عليه الأنعام الإلهية ثم صار نموذجاً في الكفر والضلال : النمرود مدعى الألوهية والواقف في وجه أبى الأنبيـاء إبراهيم عليه السلام ، والحكايـة المرويـة هنـا يرى فروزانفر أنها ترجع إلى الكتاب المسمي عجايب نامه ، كما نقل رواية شبيهة بها وردت فـي كتـاب جوامـع الحكايـات ولوامـع الروايـات لمحمـد عوفــى (مـآخذ / ٢٢٦–٢٢٨) وعـن عزرائيل ودوره في قبض أرواح الأموات ، لتفصيلات انظر : الكتاب الخامس الأبيات ١٦٥١ – ١٦٨٤ وشروحها) .

(٤٨٢٩) : الرواية المذكورة هنا عن شـيبان الراعـى ذكـرت روايـة شـبية بهـا عـن أبـى حليـم حبيب بن سالم الراعى (انظر كشف المحجوب ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وآخريـن ، ص ١١٣ – ١١٤) أما شيبان الراعى فهو أبو محمد الدمشقى وكان صديقـا لسفيان الثـورى ومعاصرا للشافعى وأحمد بن حنبـل رضـى اللـه عنهمـا (انظـر تعليقـات كفـافى علـى ترجمـة الكتاب الأول ، ص ٤٨٤) والكرامة المنسوبة هنا ، والحكاية هنا أيضا ، مذكورة فى الكتــاب الأول أيضاً فى معرض ذكر دائرة هود حـول المؤمنيـن (انظـر الكتـاب الأول الأبيـات ٨٦٠–

٨٦٣) وأشار فروزانفر (مآخذ ١٠-١١) إلى أصل الحكاية أنها وردت في حلية الأولياء لأبي نعيم ط مصر ج ٣١٨/٨) وبالنسبة لهود عليه السلام ودائرته انظر تعليقات كفافي على البيت ٨٥٥ من الكتاب الأول وانظر تعليقات الأبيات ٤٦٨٧-٤٧١٧ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٤٨٣٧ - ٤٨٤٤) : يخاطب مولانا المؤمن بالطبيعة ، اعلم أن الطبيعة هي الأخرى في حكم التصريف الإلهي ، ولا تنكر نص القرآن الكريم ، أو أن استطعت فامنع قراءته ، واقض على كل من يعلمه ويقرأه ويتدبر آياته ويفهمها بقلبه ، إن كل هذا من ضلالك وعجزك ، وكم كن لك من قبل من أصناف العجز ، نجاك الله منها مرحلة بعد مرحلة وأنت لا تدرك ولا تفهم ، ويوم أن تفهم ، سيفتضح عجزك على الملأ ولا تملك له رداً ، اعترف إذن بعجزك ، وتحير في الخليقة ، فالحيرة عبادة ، تجعلك في ظل الحبيب الحي الباقي ، وافهم عجزك في الدنيا ، وعجزك في الآخرة ومت قبل الموت ، واختر دين العجائز متمثلاً بقول الرسول ﷺ {عليكم بدين العجائز} (مولوى ٦٤١/٦) وانظر إلى زليخا امرأة العزيز ، لقد ارتدت شابة بدعاء يوسف (يوسف وزليخا للجامى استفادت من هذا ، انظر الترجمة العربية لعبد العزيز مصطفى) والرواية ذكر فروزانفر أنها وردت في كتاب بحر المحبة المنسوب إلى أحمد الغزالى "فتحير يوسف من ضعفها وعجزها وكبر سنها لأنه كان لا يعلم أنها حية أو ميتة ، فقال له جبريل إن الله تعالى يقول اقض حاجتها، فقال لها ما حاجتك؟ قالت أني أريد أن أكون لك زوجة وأنت لى زوجاً، قال ما أصنع بك فانك عجوز فقيرة عمياء كافرة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا يوسف إن الله تعالى يقول إن كانت عجوزاً فأنا أجعلها صبية وإن كانت فقيرة فأنا أجعلها غنية وإن كانت عمياء فأنا أجعلها بصيرة وإن كانت كافرة فأنا أجعلها مؤمنة لأنها تحب من يحبنا بلا واسطة فمسح جبريل عليها فصارت أحسن من زمانها وهي بكر فآمنت بالله القدير وأسلمت" (عن فروزانفر مآخذ ٢٢٧) وعن الحياة في الموت انظر مقدمة الترجمة العربية الكتاب الثالث . و "مت بالإرادة تحيا بالسعادة" انقروى (٦-٥٣٦/٢) .

(٤٨٤٥ – ٤٨٧٨) : عودة إلـى قصـة تربيـة النمـرود "وفـى روايـة شـداد بـن عـاد "لقـد ربـى النمرود كما يربى العارفون ، يربيهم الله سبحانه وتعالى بلا واسطة ، وهكذا لطفه وكرمه جل شأنه ، انظر إلى أيوب عليه السلام ، لم يقض عليه الدود بأمر الله تعالى "حتـى أن الـدود لمـا يقع على جراحة كـان يرفعـه عـن الأرض ويضعـه علـى جراحـه ليـأكل" (مولـوى ٦٤٢/٦) ، (وعن تعليم الأمهات وصنعة اللـه فـى حنـان الأم انظـر الكتـاب الثـالث الأبيـات ٣٢٨ – ٣٣٠ وشروحها) ويعود إلى حكاية النمرود : لقد يسر الله تعالى له كـل شـيء وهـو الـذى كـان بـلا والد ولا والدة ولا إنسي حولـه ، كـان يريده أن يعلـم أن كـل مـا فيـه مـن تربيـة اللـه سـبحانه وتعالى ، ثم ماذا كـانت النتيجـة؟ لقـد صـار محرقـاً للخليـل عليـه السلام ، وهكـذا الأمـير فـى محضر ملك الصين لقد تجبر فختم الله علـى قلبـه فخفيت عليـه ألطافـه ، تمامـاً مثـل النمـرود (انظـر الحكايـة البيـت ٣٧٨ والبيـت ٤١٤٠ وشـرحيهما مـن الكتـاب الـذى بيـن أيدينـا) ، وفـى الأبيات التالية يخلط مولانا بين رواية إبراهيم عليه السلام والنمرود وروايـة موسـى وفرعـون (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٨٤٠ وما بعده وشروحها) ، تـرى إذا كـان الآخـرون مـن الكفـار يقولون وجدنا آباءنا ، ما حجة هذا النمرود الذى لم يعرف له أباً أو أماً ، وبـم يحتـج : إنـه لـم يرث الملك عن أبيه حتى نقول : ظلوم ابن ظلوم ، لقد وجد الانعامات الإلهية مباشرة ، أتدرى ما السر ، إنه النفس الغشوم ، هى كلب وخنزير وذئب مفترس وأفعى (انظـر شـروح الأبيـات ٤٧٩٢–٤٨١٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) فليت المرء يقرا الحديث النبوى {طوبى لمن ذلـت نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره} (جامع ٥٤/٢) ، لكن وآسفاه إنك جلد لم يدبغ بعد ولم يصبح أديما طائفياً يصلح لأن يكون خفاً للمحبوب (قرينـا للحق) ، والسهيل هو رجل الحق وقد ورد تشبيه رجـل الحـق بالسـهيل ، والصـورة كلهـا فـى ديوان شمس تبريز "يلمع سهيل شمس الدين التبريزى فى اليمن وإلا لصار الجلد غير المدبـوغ أديماً طائفيا فى كل مكان" (عن استعلامي : ٤٦٧/٦) وكان أهـل الطـائف يدبغـون الجلـد فـى

شعاع نجم السهيل ومنه يأخذ لونه (انظر لغت نامه على أكبر دهخدا الطبعة الأولى من النسخة الجديدة المعدلة جـ١ ص ١٣٥١ تهران انتشارت دانشكاه تهران – خريف ١٣٧٢ هـ.ش) ولماذا أطيل عليك فى الكلام إن القرآن الكريم كله شرح لخبث النفس ، وهلاك القرون ، وفساد الدنيا من جراء فسادها .

(٤٨٧٩ – ٤٨٩٠) : كان مصير الأمير الثانى قد حسم ، لقد تحركت غيرة الملك ، لقد كان محواً ، وجوداً غير مرئى ، وتسير الحكاية بين الوجود المطلق والوجود الصورى للملك بشكل متواز ، وقتل الأمير بسهم من الملك ، عندما تجلى غضب "المريخ" فى وجوده ، لكن القتل كان بشكل غير متعمد ، وهذا الوجود المتوازى جعل مفسرا مثل همائى يفسره بأنه الغوث والقطب ، وهو أكثر إقناعاً لأن الله لا يقتل ، ولا يقتل دون أن يدرى ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ (فى رواية سابقة عن البسطامى قتل مريدوه أنفسهم دون أن يدرون انظر الكتاب الرابع الأبيات ٢١٠٢–٢١٣٩ وشروحها) ، المهم أن الملك علم بأن السالك المغرور قد قتل بعد أن رأى سهماً ناقصاً من كنانته ، لقد سأل الحق ، فقال الله إن السهم الذى أصماه من كنانته ، وهنا يتجلى الوجه الآخر ، وجه الرحمة ، لقد عفا عنه المليك ، لكن السهم كان قد قضى عليه ، ومن هنا أخذ ينوح عليه ويبكيه ، إن العاشق والمعشوق فى الحقيقة واحد ، وإن لم يكن كذلك ، فكيف يكون كليا ، كيف يجمع بين الأوصاف المتناقضة ، كلها تجليات أوصاف الحق ، يتجلى على أحدهم باللطف ويتجلى على الآخر بالقهر ، وقد يتجلى على أحدهم باللطف وبالقهر الواحد تلو الآخر ، وربما يكون مولانا ناظراً إلى حديث يرويه الصوفية "من احبنى قتلته ومن قتلته فأنا ديته ، (استعلامى ٦/٤٦٧ وانظر الكتاب الرابع البيت ٢٩٦٦ وشروحه) ، والعاشق القتيل مع أنه قتل ، أخذ يردد الشكر ، لقد فنى الجسد ولم تفن الروح ، فنى الجسد ، وأصبح المعنى باتصاله بالحق خالداً ، لقد أوذى الجلد وكان ثمن إيذائه الوصول إلى الحبيب ، لقد تمسك بأهداب سرج الملك (الغوث) ومن هذا التمسك وصل إلى الكمال ، وفى بيت واحد

يعبر مولانا عن مصير الأمير الأصغر ، كأن أكثرهم استسلاماً لم يبد فنا ولا حيلة ، فاختطف الصورة والمعنى ، وفي نسخة جعفرى (٦٠٧/١٤) أبيات زائدة (ومعظم المفسرين والباحثين لا يعتبرونها) أن الأصغر أخذ الفتاة والملك والخلافة ، وليس ذلك إلا نتيجة للذلة والعجز والضراعة ، وإن كان مولانا يشير في الحكاية التالية مجرد إشارة إلى أن هذا بالفعل كان مصير الابن الأصغر .

(٤٨٩١ – ٤٩١٦) : هنا لطيفة يقصها مولانا ويرى استعلامى أنها لا توجد في مصدر قبل المثنوى (٤٦٨/٦) ، لكن الأبناء الثلاثة هنا لم يقصوا أية حكاية عن كسلهم ليثبتوا للقاضى أيهم أكسل الجميع ، والمعنى المفهوم ضمناً أن الأصغر لم يقص أية حكاية لإبداء كسله أنه حتى لا يريد أن يقص حكاية من أجل الحصول على الثروة والميراث كله لأن معظم الأبيات التالية تتحدث عن فضيلة الصمت ، ويعلق مولانا بأن العارفين هم أكثر من في الدارين كسلاً ، فهم في ألطاف الله بمجرد تسليم القلوب له ، ولا يحسبون حساباً لفعلهم وكسبهم ، فهم في انتظار الأمر ، وبما أن العوام يفتقدون هذه الصلة فهم في كد ليل نهار وليس معنى هذا أن مولانا يدعو إلى عدم العمل فهو يقول ازرع ثم توكل (انظر الكتاب الأول الأبيات ٩٥١ ، ٦٢١ – ٦٤٥ ، ١٤٧٣–١٥٠٣ والكتاب الرابع ١٣٨٤–١٤٠٢ والكتاب الخامس من ٢٩٦٥ وما يليه والبيت ٦٥٠ ، ١٤٤٨ من الكتاب الذى بين أيدينا) وهكذا يطلب القاضى من الأبناء الوارثين الثلاثة الكلام "مما يؤكد ما ذهبت إليه في أول تفسير هذه الأبيات ، ويحمل كلام مولانا هنا مضمون قول الإمام علي رضى الله عنه "تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه" فإن اللسان "وهو الحجاب الصغير لا يستطيع أن يغطى مئات المعانى الموجودة داخل القلب ، والصدق له رائحة ، والكذب أيضاً له رائحته (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٦٠–١٧١ وشروحها) هذا مثلما ينبئ كل نسيم عن المكان الذى يهب منه ، مثلما تنبئ رائحة القدر عما فيه ، قال تعالى ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ محمد ٣٠ وانظر الكتاب الثالث البيت

٧٩٠ وما يليه وشروحها) ، وإن لم يكن فى القدر شئ ، فإن صوت الـدق عليـه ينبـئ عمـا إذا كان سليماً أو مكسوراً . والمقصود بالمعرفة فى ثلاثة أيام من مقارنة أحواله وتصرفاته .

(٤٩١٧ – ٤٩٣٢) : يرى استعلامى أن المثال هنا غيرمرتبط بتيـار الحديث (٤٦٩/٦) عـن الصمت وعن كسل العارفين . والواقع أنه مرتبـط أشد الارتبـاط ، فنصيحـة الأم نصيحـة مـن جانب واحد متناسية أن للشبح أيضـاً أمـاً ، وهـو مـا فطـن إليـه الطفـل الصـغير بتلقائيـة ودون تعلم . ثم يواصل مولانا حديثه عن الصمت وكيفيـة معرفـة الشـخص إن صمـت والحيلـة هـى الصمـت أمامـه أيضـاً (انظـر الكتـاب الثـالث : الصـبر مجــن عظيـم الأبيـات ١٨٣٧-١٨٥٦ وشروحها) والإشارة فـى الأبيـات إلـى التواصـل الإيحـائى أو التلبـاتى فـى المصـطلح الحديـث فعندما تصمت الألسنة تكون القلوب فى تواصل (هذا لمن سلموا أمورهم لله فإنه يلقى فى قلب كل منهم ما يقوله الآخر) حين ذاك يكون الضمير مساعداً على التواصل لإنـه يكـون فـى نـور سهيل اليمانى والمقصود بالميمنة هنا يمين القلب موضع الصدق . ترى هل كان يريد أن يبلـغ رسالة أخيرة!!! إذا كنت قد صمت عن الكلام فى هـذا الجـزء مـن المثنـوى فـإنك تسـتطيع إن إستنار قلبك أن تواصل معى الحديث عن طريق القلب! .

تمت الشروح بحمد تعالـــــى

فهرس المجلد السادس

دون عقاب بحيث لا يحترق السفود ولا يبقى الشواء نيئاً

في بيان أن هذا الغرور لم يكن عند هذا الهندي وحده بل إن كل إنسان مبتلى بهذا الغرور في كل مرحلة إلا من عصمه الله

في عموم تأويل هذه الآية : ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب ﴾

قصة في تقرير هذا المعنى أيضاً

إظهار الملك للأمراء والمتعصبين بالنسبة لإياز سبب فضله ومرتبته وقربه وراتبه عليهم ، على وجه لا تبقى معه حجة أو اعتراض عندهم احتجاج الأمراء بشبهة جبرية وجواب الملك عليهم

حكاية ذلك الصياد الذي كان قد لف نفسه في العشب ووضع باقة ورد وشقائق كالقلنسوة فوق رأسه حتى تظنه الطيور عشباً ، وذلك الطائر الذكي فهم بعض الفهم أنه إنسان وقال في نفسه : لم أر نباتاً على هذا الشكل ، لكن لأنه لم يكن تام الفهم اغتر بوسوسته ذلك أنه لم يكن يقطع في البداية للإدراك الأول ، وقطع بإدراك المكر الثاني وهو الحرص والطمع لا سيما عند فرط الحاجة والفقر ، قال النبي ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً !!

حكاية ذلك الشخص الذي سرق اللصوص كبشه ولم يكتفوا بذلك بل سرقوا ثيابه أيضاً بالحيلة

مناظرة الطائر مع الصياد عن الترهب ومعنى الترهب وأن المصطفى ﷺ نهى عنه قائلاً : « لا رهبانية في الإسلام »

حكاية ذلك الحارس الذي صمت حتى سلب اللصوص بضائع التجار تماماً وبعد ذلك أخذ يطلق الصيحات ويقوم بواجب الحراسة

تحويل الطائر وقوعه في الفخ إلى فعل الزاهد ومكره واحتياله ، وجواب الزاهد على الطائر

حكاية ذلك العاشق الذي جاء ذات ليلة إلى تلك الحجرة على أمل وعد المعشوق إذ واعدته فيها ، وانتظر شطرا من الليل ثم غلبه النوم ، وجاءت المعشوقة لإنجاز وعدها فوجدتـــه نائما فملأت جيبه بالجـــوزوتركته نائما ومضت

استدعاء الأمير التركى المخمور للمطرب وقت الصبوح وتفسير هذا الحديث : {إن لله تعالى شرابا أعده لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طابوا}... إلى اخره:

إن الخمر لتجيش في دن الأسرار ∴ ليشرب كل مجرد من تلك الخمر

قال تعالى : ﴿ إن الأبرار يشربون ... ﴾

هـــذه الخمر التى تشربـــها أنت حـــــرام ∴ ونحن لا نشرب إلا الخمر الحلال

جـاهـــد حـــتى تصيـــر وجـــودا مـن العـــدم ∴ وتـصيـــر ثـــملا بــشـــراب اللـــه دخول ضرير إلى منزل المصطفى ﷺ وهـرب عائشة رضى الله عنها من أمام الضرير ... وقول الرسول ﷺ : لماذا تفرين ... إنه لا يـراك، وجواب عائشة رضى الله عنها على الرسول ﷺ

امتحان المصطفى ﷺ لعائشة رضى الله عنها قائلا لها : لماذا تحتجبين ؟! لا تحتجبى فهو أعمى لا يراك ،حتى يظهر له : هل تفهم عائشة ضمير الرسول ﷺ أو أنها تقلد القول الظاهر

حكاية ذلك المطرب الذي بدأ في مجلس الأمير التركى بهذا الغزل :

أأنت وردة أو سوسنة أو سروة أو قمر لا أدرى

وماذا تريدين من هذا المولة مسلوب القلب لا أدرى

وصياح الأمير التركى له : قل ما تدريه ... وجواب المطرب على الأمير

تفسير قوله ﷺ : موتوا قبل أن تموتوا

مت أيها الصديق قبل الموت إن كنت تريد الحياة

فإن إدريس من مثل هذا الموت صار إلى الجنة قبلنا

تشبيه المغفل الذي يضيع العمر ، وعند الموت في تلك الشدة يأخذ في التوبة والاستغفار ، بقيام شيعة حلب بالتعزية كل سنة في أيام عاشوراء على بوابة إنطاكية ، ووصول شاعر غريب من السفر وسؤاله قائلا : هذه الضجة أى تعزية تكون ؟!

قول الشاعر لنقطة دقيقة طعنا لشيعة حلب

تمثيل الرجل الحريص الذي لا يرى رزق الحق وخزائن الرحمة بنملة تكدح من أجل حبة وهى في بيدر عظيم وتسعى وترتعد وتسحبها بعجلة ولا ترى سعة ذلك البيدر

قصة ذلك الشخص الذي كان يدق للسحور على باب قصر في منتصف الليل ... فقال له الجار : إن الوقت هو منتصف الليل آخر الأمر ، وليس وقت السحر ، وثانية فإنه لا أحد في القصر ، من أجل من تدق ، وجواب " المطرب " عليه !!

قصة قول بلال رضي الله عنه أحد أحد في حر الحجاز محبة للمصطفى ﷺ في تلك الظهيرات إذ كان سيده خلالها يضربه من تعصبه اليهودى بفروع الشوك تحت شمس الحجاز ، ومن الجراح كان الدم يفور من جسد بلال وكان يصيح أحد أحد بلا قصد كما يخرج الأنين من المتألمين الآخرين بلا قصد لأنه كان ممتلئا بألم العشق ولم يكن هناك اهتمام بدفع ألم الشوك مثل سحرة فرعون ومثل جرجيس

عليه السلام وغيرهم لا يعد ولا يحصى

رؤية الصديق رضي الله عنه واقعة بلال رضي الله عنه وجور " اليهود " عليه وقوله " أحد أحد " وازدياد حقد اليهود عليه ورواية هذا الأمر للمصطفى ﷺ واستئذانه في شرائه من اليهود !!

وصية المصطفى ﷺ للصديق رضي الله عنه قائلا : عندما تصبح مشتريا لبلال مهما زادوا من غضبهم في الثمن ، فاجعلني شريكك في هذا الفضل وكن وكيلي وخذ مني نصف الثمن

ضحك اليهودي وظنه أن الصديق مغبون في هذه الصفقة

عتاب المصطفى ﷺ للصديق رضي الله عنه قائلاً : ألم أوصك أن تشتريه مشاركة بيننا ، فلماذا اشتريته من أجلك وحدك ؟! واعتذاره

قصة هلال الذي كان عبدا مخلصا لله صاحب بصيرة ، غير مقلد ، اختفى في عبودية البشر للمصلحة لا للعجز مثل يوسف ولقمان وغيرهما في الظاهر ، وذلك أنه كان عبدا سائسا عند أحد الأمراء ، وكان ذلك الأمير مسلما إلا أنه كان أعمى :

يعلم الأعمى أن له أما .:. لكنه لا يستطيع أن يتصور كيف تكون

فإن قام بتعظيم هذه الأم على أساس هذا العلم ربما نجا من العمى : مصداقا لقوله ﷺ :

إذا أراد بعبد خيرا فتح عيني قلبه ليبصره بها الغيب.

حكاية في تقرير هذا الكلام

مثل

مرض هلال هذا ، وعدم معرفة سيده بمرضه احتقارا لشأنه وجهلا به ،

قال النبي ﷺ : { إن الله تعالى يلقن الحكمة على لسان الواعظين بقدر همم المستمعين }

إدعاء التركى ومراهنته على أن الترزى لا يستطيع أن يسرق منه شئياً

قول الخياط للفكاهات ، وإغماض التركى لعينيه من شدة الضحك واهتبال الخياط للفرصة

قول الخياط للتركى : انتبه واصمت فلو قلت فكاهة أخرى لضاق قباؤك

بيان أن العاطلين وطالبى المزاح مثل ذلك التركى ، والدنيا الغرورة الغادرة مثل ذلك الخياط

والشهوات والنساء هى مزاح هذه الدنيا ، والعمر مثل ذلك الأطلس أمام ذلك الخياط من أجل صنع قباء البكاء ولباس التقوى

مــــثــــل

تكرار الصوفى للسؤال

جواب القاضى على الصوفى

حكاية في بيان أن الصبر على الشدة أيسر من الصبر على فراق المحبوب

مــــثــــل

بقية قصة الفقير طالب الرزق دون واسطة الكسب

قصة تلك الخريطة للكنز التى تقول : قف إلى جوار القبة متجها إلى القبلة وضع سهما في القوس .. وألقه وحيثما يسقط .... هناك كنز !!

بقية قصة ذلك الفقير وعلامة مكان ذلك الكنز

شيوع خبر هذا الكنز وبلوغه سمع الملك

يأس ذلك الملك من العثور على الكنز وملله من طلبه

ردا الملك خريطة الكنز للفقير قائلا : خذها لقد انصرفنا عن هذا الأمر

حكاية مريد الشيخ أبى الحسن الخرقانى قدس الله سره

سؤال ذلك القادم حرم الشيخ ، أين الشيخ؟ وأين أطلبه ؟ وجواب الزوجة بفاحش القول

جواب المريد وزجره لتلك الشتامة عن الكفر وعابث القول
عودة المريد من منزل الشيخ وسؤاله الناس حتى دلوه على أن الشيخ ذهب إلى غابة كذا
بلوغ المريد المراد ولقاؤه مع الشيخ بالقرب من تلك الأجمة
حكمة : إني جاعل فى الأرض خليفة
معجزة هود عليه السلام فى تخليص مؤمنى الأمة عند نزول الريح
عودة إلى قصة القبة والكنز
إنابة طالب الكنز إلى الحق بعد طلب شديد وعجز واضطرار قائلاً : يا ولى الإظهار اكشف عن هذه الأسرار
نداء الهاتف لطالب الكنز وإعلامه بحقيقة أسراره
حكاية المسافرين الثلاثة المسلم والمسيحى واليهودى الذين تلقوا صدقة بأحد المنازل ، وكان المسيحى واليهودى شبعين ، فقالا : لنأكل هذه الصدقة غداً ، وكان المسلم جائعاً فبقى جائعاً ، إذ كان مضطراً !!
حكاية الجمل والثور والكبش الذين وجدوا في الطريق بعض العشب ، وأخذ كل منهم يقول : أنا آكله

مـــــثـــل

جواب المسلم بما رآه على رفيقيه اليهودى والمسيحى وحسرتهما على الطعام
نداء سيد ملك ترند أن كل من يذهب إلى سمرقند فى ثلاثة أو أربعة أيام فى مهمة كذا أعطيه خلعة وجواداً وغلاماً وجارية وذهبا كثيرا ،وسماع المهرج خبر هذا المنادى فى القرية ومجيئه فى خيل البريدإلى الملك قائلاً : أنا لا أستطيع الذهاب
حكاية تعلق الفأر بالضفدعة . وربطها لرجليهما معاً بخيط طويل واختطاف الغراب للفأر وبقاء الضفدع معلقاً في الفضاء وعويلها وتدلها على تعلقها بمن هو من غير جنسها ، وعدم تجانسها مع من هم من جنسها
تدبير الفأر مع الضفدع وقوله : إننى لا أستطيع أن أجئ إليك في الماء عندما

أريدك ، فينبغى أن تكون بينا صلة بحيث استطيع عندما أجئ إلى حافة الجدول أن أخبرك بقدومى كما تستطيع أنت أن تخبرنى عندما تجئ إلى فوهة الحجر ..... إلى آخره

إسراف الفأر في التضرع والعجز وطلب الاتصال بالضفدع المائى

تضرع الفأر للضفدع قائلاً : لا تتعلل ولا تؤجل انجاح هذه الحاجة ، ففى التأخير آفات ، والصوفى ابن الوقت والابن لا يكف يده عن طرف ثوب أبيه ، والاب المشفق للصوفى وهو وقته لا يحوجه إلى الانتظار لغد مهما يجعله مستغرقاً في روضته سريعة الحساب ؛ لا كالعوام ينتظر المستقبل ، إنه نهرى وليس دهريا فلا صباح عنده ولا مساء ولا ماض ولا مستقبل ولا أزل ولا أبد هناك ، لا يكون آدم السابق ولا الدجال المسبوق فهذه الرسوم في خطة العقل الجزئى والروح الحيوانية ، وفي عالم اللازمان واللامكان لا توجد هذه الرسوم إذن فهو ابن الوقت أى لا يفهم منه إلا نفى تفرقة الأزمنة كما نفهم من أن الله واحد نفى الإثنينية لا حقيقة الواحدية

حكاية لصوص الليل الذين وقع بينهم السلطان محمود ذات ليلة ، وقال لهم : أنا واحد منكم ، واطلاعه على أحوالهم ، إلى آخره

قصة ذلك الثور البحرى الذي أخرج لؤلؤة شاهانية من قاع البحر ... وكان يضعها ليلا على ساحل البحر ويرعى في ضوئها وإشعاعها ، والتاجر الذي يخرج من مكمنه فيخفى الجوهرة بالطمى الأسود والطين الكدر ويهرب أعلى شجرة ... إلى أخر القصة ، والتقرير

العودة إلى قصة طلب ذلك الفأر لذلك الضفدع على شاطئ الجدول وجر طرف الخيط حتى يعلم الضفدع وهو في الماء أنه يطلبه

قصة عبد الغوث واختطاف الجن له وإقامته سنوات بين الجن ومجيئه إلى بلده وأهله بعد سنين ثم عدم تعجبه من الجان تحكم بحكم التجانس في المعنى واتحاد قلبه معهم

قصة ذلك الرجل الذي كان يتقاضى راتبا من محتسب تبريز واقترض كثيرا على

أمل ذلك الراتب دون أن يعلم بوفاته ... والنتيجة أن ديونه لم يقضها
حتى قط ولم تقض إلا من المحتسب المتوفى كما قيل:
ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء
مجيء جعفر رضي الله عنه للاستيلاء على قلعة وحده واستشارة ملك تلك القلعة وزيره
في دفعه
وقول ذلك الوزير للملك : احذر وسالم ولا تتهور جهلا فهذا الرجل مؤيد وله من
الحق جمع عظيم في روحه ... إلى آخره ...
عودة إلى حكاية ذلك الشخص المدين ومجيئه إلى تبريز على أمل عناية ذلك
المحتسب
علم ذلك الغريب بوفاة المحتسب واستغفاره عن الاعتماد على المخلوق وتعويله
على عطاء المخلوق وتذكره للنعم التي أنعم الله بها عليه وإنابته إلى الحق من
جرمه ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾
مثل الأحول مثل ذلك الغريب في مدينة كاشان المسمى بعمر ، ولهذا السبب
حولوه من هذا الدكان إلى ذلك الدكان ولم يفهم أن كل الحوانيت واحدة في أنها لا
تبيع لمن يسمى عمر ، فقال في نفسه : لأتدارك الأمر في التو واللحظة وأقول :
لقد أخطأت ، ليس اسمي عمر ، وعندما أتوب وأتدارك الأمر أمام هذا الحانوت
فأنني أحصل على الخبز من كل حوانيت هذه المدينة ،
وإذا لم أتدارك الأمر وأظل اسمي بعمر ، أمر من هذا الحانوت محروما ، وأكون
أحول إذ اعتبرت كل هذه الحوانيت مختلفة عن بعضها !!
طواف رجل شهم بكل مدينة تبريز وجمعه لشئ قليل وذهاب ذلك الغريب إلى قبر
المحتسب زائرا وروايته لقصته على قبره نائحاً ... إلى آخره
رؤية خوارزمشاه رحمه الله وهو في موكبه لجواد نادر جداً وتعلق قلب الملك
بحسن ذلك الجواد وخفته ، وتسخيف عماد الملك لذلك الجواد في قلب الملك

واختيار الملك قوله على رؤيته مصداقا لما قاله الحكيم عليه الرحمة في " الهى نامه " :

عندما يصير لسان الحسد نخاساً * تجد مثيل يوسف بذراع من الكرباس

فمن دلالة إخوة يوسف بحسد خفي ذلك الحسن الشديد

في قلوب المشترين وأخذ القبح في الظهور ومصداقا لقوله تعالى : ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾

عقاب يوسف الصديق صلوات الله عليه بالحبس بضع سنين بسبب طلبه العون من غير الحق وقوله ﴿أذكرني عند ربك﴾ وشرحه

العودة إلى قصة ذلك الرجل الشهم وذلك الغريب المدين وعودتهما من قبر السيد ورؤية الرجل الشهم للسيد في النوم .... إلى آخره

قول السيد في النوم لذلك الرجل الشهم من أي موضع تقضى ديون ذلك الصديق ودلالته لمكان دفن ذلك المال ورسالة إلى ورثته قائلاً : لا تنظروا إليه على أنه كثير إطلاقا، ولا تمنعوا منه شيئاً وحتى إن لم يقبله أو يقبل بعضه دعوه في مكانه يأخذه من يريده إذ نذرت لله ألا تعود حبة من هذه الفضة إلىّ أو إلى ورثتي

حكاية ذلك الملك ووصيته لأولاده الثلاثة قائلاً : في سفركم هذا إلى ممالكي ، رتبوا مكان كذا على هذا النسق ومكان كذا نصبوا النواب على هذا النسق ، لكن بالله عليكم لا تذهبوا إلى قلعة كذا ولا تحوموا حولها

بيان استمداد العارف من نبع الحياة الأبدية واستغنائه عن الاستمداد والجذب من عيون الماء التى لا وفاء لها. وأن أمارة ذلك التجافى عن دار الغرور إذ أن الإنسان عندما يعتمد على إمدادات تلك العيون يهن فى قلب العين الباقية الدائمة :

ينبغى أن يكون العمل من داخل روحك بحيث لا يفتح أمامك باب على سبيل العارية

فان نبعا واحداً من الماء فى داخل الدار أفضل من ذلك النهر الذى يأتى من الخارج

سير الأمراء فى الممالك بعد توديعهم للملك وإعادة الملك لوصيته عند الوداع ذهاب أبناء السلطان بحكم أن الإنسان حريص على ما منع نحو تلك القلعة الملعونة : لقد أبدينا عبوديتنا .. لكن طبعك السئ لم يعرف شراء العبيد لقد أهملوا كل وصايا والدهم ونصائحه حتى سقطوا في بئر البلاء وأخذت النفوس اللوامة تقول لهم ﴿ألم يأتكم نذير﴾ ، فأخذوا يقولون باكين دامعين : ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾!!

رؤيتهم في هذه القلعة ذات الصور صورة وجه بنت ملك الصين وفقدان الثلاثة للوعى وافتنانهم وبحثهم عن صورة من هذه !!

حكاية صدر جهان بخارى الذي كان يحرم كل سائل يسأل بلسانه من صدقته العامة التى لا تنقطع ، وذلك العالم الفقير الذي سأل بلسانه في الموكب لنسيانه من فرط حرصه وعجلته ، فأشاح عنه صدر جهان بوجهه ، وكان كل يوم يقوم بحيلة ، فحينا يجعل نفسه امرأة تحت الملاءة، وحينا يتظاهر بالعمى ويخفى عينه ووجهه فكان يعرفه بفراسته ... إلى آخره

حكاية أخوين أحدهما أجرد والآخر أمرد ، ناما في منزل للعزاب ، وذات ليلة ، وكدس الأمرد طوب اللبن على مقعده ، لكن رجلاً دب عليه ، وحمل من فوقه تلك اللبنات بالحيلة والخفة ، فاستيقظ الولد وتشاجر ، وقال : أين تلك اللبنات ؟! وإلى أين حملتها ؟! ولماذا أخذتها ؟! فقال له : وأنت لماذا وضعت هذه اللبنات ؟! إلى آخره ...

في تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ إذ قال : منهومان لا يشبعان طالب الدنيا وطالب العلم ، وأن هذا العلم ينبغى أن يكون غير علم الدنيا حتى يكونا قسمين ، لأن علم الدنيا دنيا ... وإذا كان هو المقصود لكان الأمر تكرارا طالب الدنيا وطالب الدنيا ولما كان تقسيما .... مع بيانه

تباحث هؤلاء الأمراء الثلاثة في تدبير تلك الواقعة

مقال الأخ الأكبر

ذكر ذلك الملك الذي أتى بذلك العالم إلى مجلسة بالإكراه وأجلسه ، وعرض الساقى الشراب على العالم ووضع الكأس أمامه فاعرض بوجهه وبدأ في العبوس والحدة ، فقال الملك للساقى : هيا ... اجعله على طبيعته فضربه الساقى بضع لكمات على رأسه وجرعه الشراب ... إلى آخره

مضى الأمراء بعد تمام المناقشة وما جرى صوب الصين حيث المعشوق والمقصود حتى يكونوا بقدر الإمكان أقرب إلى المقصود فإذا كان طريق الوصل مسدودا فالقرب بقدر الإمكان محمود ... إلى آخره

حكاية امرئ القيس الذي كان ملكا على العرب وكان على قدر كبير من الجمال في خلقته ، وكان نسوة العرب كزليخا قتيلات هواه كما كان شاعرا موهوبا نظم : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . وإذا كن النسوة يبحثن عنه بأرواحهن فعجبا مما كان غزله وتوجعه ؟! تراه علم أنهن كلهن تماثيل مصورة نقشت على لوح التراب ؟! وفي النهاية وجد امرئ القيس هذا حالا بحيث هرب في منتصف الليل من ملكه وهجر ولده وأخفى نفسه في خرقة درويش وتنقل من ذلك الإقليم إلى إقليم آخر في طلب ذلك الذي يكون منزها عن الإقليم ﴿ يختص برحمته من يشاء﴾ .... إلى آخره

بعد مكثهم متوارين في بلاد الصين في حاضرة الملك وبعد طول الصبر ، ونفاد صبر الأخ الأكبر وقوله : إني ذاهب أعرض نفسي على الملك فوداعاً :

" اما قدمى تنيلنى مقصودى أو القى رأسى كفؤادى ثمة

أما توصلنى قدمى إلى المقصود والمراد أو أفقد رأسى هناك كما فقدت قلبى

وعدم جدوى نصيحة أخويه له :

يا عاذل العاشقين دع فتنة أضلها الله كيف ترشدها

بيان المجاهد الذي لا يكف عن المجاهدة بالرغم من أنه يعلم أن بسطة عطاء الحق وهي المقصود تصل إليه من جهة أخرى وبسبب نوع آخر من العمل ربما ليس في حسبانه، وكل همه ورجائه ربما يكون معقوداً على طريق معين ، فهو يدق حلقة نفس الباب وربما يوصل إليه الحق ذلك الرزق من باب آخر ربما لم يكن قد دبر له ويرزقه من حيث لا يحتسب ، العبد يدبر والله يقدر ، وربما يكون عند العبد وهم العبودية فيقول : أنه يصلني من غير هذا الباب بالرغم من أنني أدق هذا الباب ، فيوصل إليه الحق تعالى الرزق من نفس هذا الباب والخلاصة أنها كلها أبواب لدار واحدة ... مع تقريره

حكاية ذلك الشخص الذي رأى في النوم هاتفا يقول له : إن ما تطلبه من يسار موجود في مصر فهناك كنز في محلة كذا ... و منزل كذا ... وعندما جاء إلى مصر قال له أحدهم لقد رأيت في النوم أن هناك كنزا في بغداد في محلة كذا في منزل كذا وذكر اسم محلة ذلك الشخص ومنزله وفهم ذلك الشخص أن المراد بذكر أن الكنز موجود في مصر حتى أتيقن أنه لا محل للبحث في غير منزلي لكن هذا الكنز لن يتحقق لك يقينا إلا في مصر

في سبب تأخير دعاء المؤمن

عودة إلى قصة ذلك الشخص الذي دلوه على كنز في مصر وبيان تضرعه من الفقر في حضرة الحق

وصول ذلك الشخص إلى مصر وخروجه ليلا إلى الحي من أجل التكدي وإمساك العسس به ووصوله من العسس إلى المراد بعد ضربه كثيراً ، ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾وقوله تعالى ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن مع العسر يسرا ﴾ ، وقوله ﷺ : { اشتدى أزمة تنفرجي } وجميع القرآن والكتب المنزلة في تقرير هذا

بيان هذا الخبر ، الكذب ريبة والصدق طمأنينة

مثل

عودة ذلك الشخص فرحا موفقا شاكرا لله ساجدا له وحائرا في غرائب

إشارات الحـــــــق وظهور تأويلاتها على وجه لا يصل إليه عقل وفهم أبدا
تكرار الأخوين النصيحة للأخ الأكبر وعدم تحمله لتلك النصيحة وفراره منها ، وذهابه مفتونا
مسلوب النفس والقائه بنفسه في بلاط الملك دون طلب للإذن بالمثول ، لكن من فرط العشق وليس من الوقاحة أو اللامبالاة ... إلى آخره
افتتان القاضى بامرأة جحا وبقاؤه فى صندوق وشراء نائب القاضى للصندوق ، ثم مجيء زوجة جحا فى السنة التالية للقيام بنفس اللعبة السابقة وقول القاضى لها ، لا ، اتركينى وابحثى عن آخر..... إلى آخر القصة
ذهاب القاضى إلى منزل امرأة جحا ودق جحا الباب بغضب وهروب القاضى إلى داخل الصندوق...... إلى آخره
مجيء نائب القاضى وسط السوق وشراء الصندوق من جحا ، إلى آخره
فى تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ إذ قال : { من كنت مولاه فعلى مولاه}
فاعترض المنافقون وقالوا : لم يكفه أن نصير له تبعاً مطيعين ويأمرنا أيضاً بأن نتبع طفلاً ملوثاً بالمخاط ،.... إلى آخره
عودة امرأة جحا إلى محكمة القاضى فى السنة التالية على أمل الظفر بمبلغ السنة السابقة وتعرف القاضى عليها ..... إلى آخره
عودة إلى تفصيلات قصة الأمير وملازمته لحضرة الملك
فى بيان أن النار التى توجد قنطرة الصراط فوقها تقول : أيها المؤمن ، أعبر الصراط ، عجل حتى لا تطفئ عظمة نورك نارنا ، جز يا مؤمن فان نورك أطفأ نارى
وفاة الأكبر من الأمراء ومجيء الأخ الأوسط إلى جنازة أخيه ، لأن الأصغر كان طريح الفراش لمرضه ، وإكرام الملك للأوسط حتى صار هو أيضاً أسير الإحسان ، فبقى عند الملك ، ووصله الملك بمائة ألف من الغنائم الغيبية والعينية من دولة ذلك الملك ونظره ، مع تقرير بعضه
الوسوسة التى حدثت لدى الأمير بسبب الاستغناء والكشف الذى كان قد وصل

لقلبه من الملك ، وانتوائه علـى الجحود والعصيان ، ومعرفة الملك نواياه عن طريق الإلهام والسر وتألم قلبه ، وإصابه الأمير بضربة بحيث لا يكون عنده خبر عن صورة الملك ..، إلى آخره

خطاب الحق لعزرائيل : أى الناس الذين قبضت أرواحهم ، أشفقت عليهم أكثر؟

وجواب عزرائيل على الحضرة الإلهية

كرامات الشيخ شيبان الراعى قدس الله روحه العزيز

عودة إلى قصة تربية الحق تعالى للنمرود فى طفولته دون أم أو حاضنة

عودة إلى تلك القصة حيث تلقى الأميرضربـــة خفية من خاطر الملك فغادر الدنيا قبل استكمال الفضائل

وصية ذلك الشخص الذى قال إنه بعد وفاتى يؤول مالى إلى أكثر أولادى الثلاثة كسلاً

مثـــــــــل

تمت ترجمة الكتاب السادس والأخير من مثنوى

مولانا جلال الدين